

مراح لبید - تفسیر النووی

التفسير للنير لمآل التنزيل . للسفر عن وجوه محاسن التأويل . المسمى
طبقاً لمعناه مراح لبید لكشف معنى قرآن مجيد لجامعة العالم
التحریر . وعلم الفضل الشير . للتخلي بكرم الشيم
ومهاة الاعزاز . العلامة الشيخ محمد نووی الجاوی
سید علماء الحجاز . نفع الله تعالى به
للسامعين . وجمعنا وإياه من
خير أرحمه للقبولين
آمین

﴿ وبهامسة كتاب الوجيز . في تفسير القرآن العزيز . للإمام أبي الحسن علي بن
أحمد الواحدی للتوفى سنة ٤٦٨ هـ رحمه الله وجعل الجنة مثقبه ومشواه آمين ﴾

المَجْزُءُ الْأَوَّلُ

طبع بمطبعة دار احیاء الکتب العربیة
لاصحابها عيسى البابی الجلی وشركاه

معناهما ذو الرحمة وهي

الاعلام لا يعرف له اشتقاق وقيل معناه ذو العبادة التي بها

معناهما ذو الرحمة وهي

ارادته الحخير ولا فرق

دنیویا نیکو ندامان و ندم

く組・組長(通称)

(أ) مصلحة (المصلحة) والسر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مالک الخوارزمی (مات)

يوم الدين) ماحود من

الملك والملك ماحود من

لذلك اى فاضى يوم الجزاء

والحساب لانه منفرد في

ذلك اليوم بالحسم (أيًا)

(عبدالای شخصت و تفصیل)

۱۱ -

بالعبادة وهي الطاعة مع

الحضوع (واياك تسعين)

وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ لَطِيفُ الْعَوْنِ (أَهْلُ بَيْتِ)

الصراط المستقيم) أي دلتنا

عليه واسلمت بنافيه وبينا

عليه (صراط الدين النعمان)

عليهم) بالهداية وهم قوم

موسیٰ وعیسیٰ قبل ان یغیروا

بِعَمِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقِيلَ لَهُمْ

الدين ذلهم الله تعالى في

قوله فاولئك مع الذين

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ

والصديقين الآية (غير

الغضوب عليهم) أى غير

الذين غضب عليهم وهم

البود وميض الغضب من

اقول ان الله اعلم بالظالمين

(لا اله الا الله)

(وہ الصالحین) ای وہ

الذين ضلوا وهم النصاري

م. يضاوعن الحق كاضلت

هذا الكتاب يعني القرآن

ولافسوق ولارمېښه

﴿سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكتابتها

ثلاث آلاف ومائة وحروفاً خمس وعشرون ألفاً وخمسة

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر جبروف المجاهد في أوائل السور من التشابه الذي انفرد الله بعلمه وهي سر القرآن فحقن ثمن بظاهرها وتغوض العلم بها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الأيمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأولياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن وأوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أى هذا الكتاب الذى يقرؤه عليكم رسولى محمد لا شك فى أنمن عندى فإن آمنتم به

وكان للسالمين سألوا الله تعالى أن يهديهم طريق الدين أنهم عليهم يرضع عليهم كما غضب على اليهود ولم يضاوعن الحق كما ضلت
 (تفسير سورة البقرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) أنا الله أعلم (ذلك الكتاب) هذا الكتاب بيني القرآن
 (لا يبيغ) لا شك فيه أي لا يصدق وحق وقيل لفظه لظهور آية الله عن الارتياح قال الفاروق ولا يبيغناه

(هدى للتقين) بيان ودلالة في تخصيصه كتابه الهدى للتقين دلالة على أنه ليس يهدى لغيرهم وقد قال والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر
الآية للتقين الذين يتقون الشرك (الذين يؤمنون) يصدقون (بالنبي) بما غلب عنهم من الجنة والنار والبث (ويقومون الصلاة)
يدعونها ويحافظون عليها (وعما رزقناهم) أعطيناها ما يتفقون به (يتفقون) يخرجونه في طاعة الله (والذين يؤمنون بما
أنزل إليك) نزلت في أهل (٤)

(وبالآخرة) وبالدار الآخرة (هم يوقنون) يعلمونها علماً باستدلال (أولئك) يعنى للوصوفين بهذه الصفات (على هدى) بيان وبسيرة (من ربهم) أى من عند ربهم (وأولئك هم الفالحون) الباقون في النعم القسم (ان الذين كفروا) ستروا ما أنعم الله عليهم من الهدى والآيات فجحدوها وركبوا تحديدهم (سواء عليهم) معتدل ومتساو عندهم (الأنفرتهم) ألم تنفروهم أعلمتهم وخوفهم وأمرت ذلك (لا يؤمنون) نزلت في أهل جهنم وخمسة من أهل يثب ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال (ختم الله على قلوبهم) أى طبع الله على قلوبهم فلا يدخلها إيمان وعلى سمعهم فلا يسمعون ما يسمعون من الحق ووجد السمع لوحدة للسمع وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتداً وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا ينصرون الحق (ولهم عذاب عظيم) أى شديد في الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكتُمون الحق وهم يعلمون وهم كذب بن الأشرف وحي بن أخطب وجدي بن أخطب ويقال لهم مشركو أهل مكة غيبة وشيبة والوليد بن المغيرة وأبو جهل (ومن الناس من يقول آمنا) في السر (بالله وباليوم الآخر) أى بالبعث بعد الموت الذى فيه جزاء الأعمال (ولمهم يؤمنين) في السر (يتخادعون الله) أى يكذبونه في السر (والذين آمنوا) أبابكر وسائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخادعون) أى يكذبون (الأنفستهم) وهذه الجملة حال من ضمير يتخادعون أى يقولون ذلك والحال أنهم ما يضرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ عاصم وابن عاصم وحزرة الكسائي وما يخادعون بفتح الباء وسكون الحاء وفتح الدال وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الحاء مع اللوكسر الدال ولا خلاف في قوله يتخادعون الله فالجميع قرأوا بضم الياء وفتح الحاء بالآلف بعدها وكسر الدال وأما الزمخشري فيغير ألف في اللوضعين (وما يشعرون) أن الله يطالع نبيه على كذبهم (في قلوبهم مرض) أى شك وظلمة (فزادهم الله مرضاً) أى شكاً وظلمة بما أنزله من القرآن لأنه كما أنزل آية كفرها بها فازدادوا شكاً وخلافاً

(ومن الناس من يقول) الآية نزلت في المنافقين حين أظهروا كلمة الإيمان وأسرر الكفر فنرى الله عنهم الإيمان بقوله (ولمهم يؤمنين) فدل على أن حقيقة الإيمان ليس الاقرار فقط (يتخادعون الله والذين آمنوا) يعملون عمل المخادع باظهار غير ما هم عليه ليدفعوا عنهم أحكام الكفار (وما يتخادعون إلا أنفسهم) لأن وبال خدامهم عاد عليهم باطلاع الله نبيه على أسرارهم واقتضاهم (وما يشعرون) وما يعلمون ذلك (في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادهم الله مرضاً) أى بما أنزل من القرآن شكوا فيه كما شكوا في الذى قبله

قِيلَ لَهُمْ لَوْلَا إِيَّاكُمْ لَفِيقَ الْإِنسَانِ (لَتَقْسَدُوا فِي الْآرْضِ) بِالْكَفْرِ وَتَعْوِقُ النَّاسَ (۵) عَنِ الْإِيمَانِ (قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْمَصْلُحُونَ) (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مَوْءُ (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) بِتَسْكَدِهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ وَمَنْ قَرَأَ يَكْذِبُونَ فَعَنَاهُ بِكَتْمِهِمْ فِي أَدْعَائِهِمُ الْإِيمَانَ (وَإِذَا

(ولهم عذاب أليم) أى وجيع في الآخرة يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) قرأنا في
 وان كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أى بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقون
 بتخفيف الذال أى بكذبهم في قولهم آمناني السر وهم للتائقون عبدالله بن أبي وجدة بن قيس ومعتب
 ابن قيس (وإذا قيل لهم) أى هؤلاء المنافقين (لا تفلسوا في الأرض) بتعويق الناس عن دين
 محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا انما نحن مملوون) وانما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة
 اصلاح لما في قلوبهم من المرض قال تعالى ردا عليهم أبلغرد (الا) أى بلى (لأنهم هم
 المفسدون) لها بالتعويق (ولكن لا يشعرون) أن الله تعالى يطلع نبيه على فسادهم (وإذا قيل
 لهم آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أى ان المؤمنين نصحو المنافقين من وجوب أحدهما
 انتهى عن الافساد وهو التخلي عن الرذائل واثنيهما الأمر بالايان وهو التحلي بالفضائل (كما آمن
 الناس) أى الكاملون في الانسانية الماملون بقضية العقل كأصحاب النبي أو كعبد الله بن سلام وغيره
 من مؤمن أهل الكتاب والمعنى آمنوا ايانا مقروء بالاخلاص متمحصا عن شوائب النفاق امثالا
 لايانهم (قالوا) فيما بينهم لا بحضرة السليمان (أتؤمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كما آمن
 السفهاء) أى الجاهل وانما سفهوا المؤمنين لتحقير شأنهم لأن أكثرهم قراء وبعضهم
 موال كصهيب وبلال وألعلم بالبلالة عن آمن منهم ان فسر الناس بميدانهم سلام وأصحابه قال الله
 تعالى ردا عليهم أبلغرد (الا) أى بلى (انهم هم السفهاء) أى الجاهل الخرفي (ولكن لا يعلمون)
 أنهم سفهاء (وإذا لقوا) أى للتائقون (الذين آمنوا) أيا بكر وأصحابه (قالوا آمننا) في السر
 كمايمانكم (وإذا خالوا) أى عادوا (الى شياطينهم) أى أكابرهم الذين يقرون على الافساد في
 الأرض وهم خمسة نفر كعب بن الأشرف من اليهود بلدينه وأبو بردة في بني أسلم وعبد الباري جهينة
 وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن الأسود بالشام (قالوا) لهم ثلاثون هم فيهم البانية (انا
 معكم) أى على دينكم في السر (انما نحن) في اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهنزون) بهم
 من غير أن يحيط بالنا الايمان حقيقة (الله يستهزئ) بهم) أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ في
 الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا فلا ته تعالى أطلع الرسول على أسرارهم مع أنهم كانوا يبالغون في اخفائها
 عنه وأما في الآخرة فقال ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ففتح الله من الجنة ابوابا على
 الجحيم في الموضع الذي هو مسكن للتائقين فاذا رأى للتائقون الباب مفتوحا خرجوا من الجحيم
 ويوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصالوا الى باب الجنة سلم عليهم الباب وذلك قوله
 تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (ويدهم في طغيانهم) أى يزدهم في ضلالتهم
 (يعمبون) أى يترددون في الكفر وترك متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى
 أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الايمان (فارجعت
 تجارتهم) أى فلم يرجعوا في تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) الى الطريق للتجارة قال القاصد
 منها سلامة رأس المال والرجع وهؤلاء قباضا وهو ما فرأى منهم العقل الصرف ربحه الهدى (مثلهم
 كمثل الذي استوفد نارا) أى صفة المنافقين في حال نفاقهم كصفة الذي أوقد نارا في ظلمة لكي يأمن
 بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضاءت ما حوله) أى فلما أضاءت النار المبكأن التي حول المسوقد
 للتجارة على طريق الاتساع كاضافة النيران الى النار (وما كانوا مهتدين) فيما فعلوا (مثلهم كمثل الذي استوفد نارا فلما أضاءت)
 انارت أى حلهم في نفاقهم وأضائهم الكفر كحال من أوقد نارا فاستضاء بها أو أضاءت النار (ما حوله) بما غافى به يحرق فأمّن فيناهو
 تجارتهم واضافة الرجع الى

كذلك اذ طغى ناره فيق مظلما خائفا متحيرا فذلك قوله (ذهب الله بنورهم) الآية كذلك المنافقون لما اظهرهم وكلة الايمان اغتر بها وامنوا من الآفات فلما اتوا عادوا الى الخوف والعذاب (صم) لتركم قبول ما يسمعون (بكم) لتركم القول بالخير (عوى) لتركم ما يبصرون من الهداية (فهم لا يرجعون) عن الجهل والعوى الى الاسلام ثم ذكر تشبيلا آخر فقال (أو كصيب) يعنى أو كأصحاب مطر شديد (من السماء) من السحاب (فيه) في ذلك السحاب (ظلمات ورعد) وهو صوت ملك موكل بالسحاب (ورق) لعمان سوطه الذى يزرجه (يجعلون أصابعهم) (٦) فى آذانهم) يعنى أهل هذا الطر (من الصواعق) من شدة صوت الرعد

فأبصر وأمن بما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود بالايقاد فى المستوقدون فى ظلمة وخوف (وتركم) أى المستوقدين (فى ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم الغمام فيه وظلمة انطفاء النار (لا يبصرون) ما حولهم فكذلك هؤلاء المنافقون آمنوا على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بسبب اظهار كلة الايمان فأذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب وهم فى القبر وما بعده (صم) عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (بكم) عن الخير فلا يقولونه قولاً مطابقاً لما سقى انهم مؤمنون ظاهراً (عوى) عن طريق الهدى فلا يرونه رؤية نافية (فهم لا يرجعون) عن كفرهم وضلاتهم (أو كصيب) أوصفة للمنافقين كصفة أصحاب مطر تازل (من السماء) أى السحاب ليلاهم فى مغارة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تكافئه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضرب اذا أخذتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد (ورق) وهو ما يلع من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد يكون معها قطرة نار (حتر اللوت) من سماعها فكذلك هؤلاء المنافقون اذا نزل القرآن التشبيهاً للطر فى أن كلا سبب الحياة وفيه ذكر الكفر التشبيه بالظلمات وعدم الاعتماد وذكر الوعيد على الكفر التشبيه بالرعد فى ازعاجه وارهابه وذكر الحجج البينة التشبيه بالبرق فى ظهوره يسدون آذانهم من سماع القرآن حذر لليل الى الايمان الذى هو بمنزلة اللوت عندهم فان ترك الدين موت (والله محيط بالكافرين) علماً وقدره فلا يقوتونه تعالى لأن المحاط لا يقوت المحيط (يكاد البرق يضطف أبصارهم كلما أضاء) أى البرق (لهم مشوافيه) أى فى ضوء البرق (وإذا أظلم عليهم قاموا) أى بقوا فى الظلمة وهنا تشبيلا لزعاج ما فى القرآن قلوبهم باختلاف البرق بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل النعمة وعصمة البداء والأموال بتسليمهم فى البرق ولوقوفهم لما يكرهون من التكليف الشاق عليهم كاصلا والصوم بوقوفهم فى الظلمة (ولوا شاء الله) أن يذهب بسمعهم وأبصارهم (لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق كذلك لوشاء الله لذهب بسمع المنافقين بزعج ما فى القرآن ووعيد ما فيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شئ) أى يمكن من ذهاب السمع والبصر (قدير) قال القشيري الرازى وأضاء امامته بمعنى كلما نور لهم مسلماً أخذوه واما غير متعدد بمعنى كلما لم لهم مشوافيه بطرح نوره وقوته قراءة ابن ابي عمير (كأضاء) أى أهل مكة أى بأهل مكة أو بأهل اليهود (اعبدوا ربكم) أى وحدوه بالعبادة (الذى خلقكم) نسما من النطفة (والذين من قبلكم) أى أنشأهم ولم يكونوا شيئاً (لعلكم

يسدون آذانهم بأصابعهم كيلا يسمعون ما يسمعون من الصوت والطر مثل للقرآن لما فيه من حياة القلوب والظلمات مثل لما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأحوال والزعد مثل لما خوفا به من الوعيد وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن وما فيه من البيان وجعل الأصابع فى الأذان (حتر اللوت) مثل لجمل المنافقين أصابعهم فى آذانهم كيلا يسمعون القرآن غافة ميل القلب الى القرآن فيؤدى ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر والكفر موت (والله محيط بالكافرين) مهلكهم وجامعهم فى النار (يكاد البرق يضطف أبصارهم) هذا تشبيلا يقول يكاد ما فى القرآن من الحجج تضطف قلوبهم من شدة ازعاجها

تتقون

الى النظر فى أمر دينهم (كأضاء لهم مشوافيه) كلما سمعوا شيئاً ما يحبون صدقوا وإذا سمعوا

ما يكرهون وقفوا وذلك قوله (وإذا أظلم عليهم قاموا) ولوا شاء الله لذهب بسمعهم) أى بأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأبصارهم وأبصارهم الباطنة حتى صاروا صاعياً فليحزنوا عاجل عقوبة الله وأجلها قربان الله على كل شئ مقدير) من ذلك (بأهل الناس) يعنى أهل مكة (اعبدوا ربكم) ان خضوعه بالطاعة (الذى خلقكم) ابتداءكم ولم تكونوا شيئاً (والذين من قبلكم) أى ان عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوق وهو الصمت (لعلكم

تقون) لكي تتقوا عبادته عتقو به أن يحل بكم (الذي جعل لكم الأرض فراشا) بساطا ليحبلها حزمة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها (والسباء بناء) سقفا (وأزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) يعني حمل الأشجار وجميع ما ينفع به بما يخرج من الأرض (فلا تجعلوا لله أندادا) أمثالا من الأصنام التي تصبونها (وأتم تملون) أنهم لا يخلقون واقدا لخالق وهذا احتجاج عليهم في إثبات التوحيد ثم احتج عليهم في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بما قطع

(٧)

تقون) أي لكي تتقوا السخط والذئاب بعبادته ولعل للأطماع لكن الكريم الرحيم إذا أطعم أجرى المطامع يجري وعنده المحتوم فلماذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى يخفى (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي بساطا (والسباء بناء) أي سقفا مرفوقا وعبر عنه بالبناء لأحكامه (وأزل من السماء ماء) وعن خالد بن معدان قال الطرماء يخرج من تحت العرش فينزل من ماء إلى السماء حتى يجتمع في مياه الدنيا فيجتمع في موضع فتجىء السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الثمرات طمعا لكم ولسترا لخلق (فلا تجعلوا لله أندادا) أي شركاء في العبادة (وأتم تملون) أن الأنداد لأعماله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال (وأتم تملون) أنتم ليس في التوراة والإنجيل جواز اتخاذ الأنداد (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) علمتم القرآن في أنه من عند نفسه (فأتوا بسورة من مثله) أي مما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم والأخبار بالتيوب (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي ادعوا أكبركم من غيره تعالى عز وبناقكم في أنكار أمر محمد ليسنوك على المعارضة وليحكموا لكم وعليكم فيما بينكم ويعتبر وقد كان في العرب أكبر يشهدون على التنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلى درجة من الآخر (ان كنتم صادقين) في مقاتلتكم أن محمدا يقول من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أي لم تأتوا بسورة من مثل النزل (ولن تفعلوا) أي لن تقضوا أن تحيوا مثله (فاقتوا النار) والتي إذا ظهر عجزكم عن المعارضة صحت عندكم صدق محمد عليه السلام وإذا صحت ذلك فارتكوا العناد وإذا زمت العناد استوجبتم العقاب بالنار (التي وقودها الناس) أي حطبها الكفار (والحجارة) للبعدو قلم قال تعالى انكم وما تصبون من دون الله حسب جهنم (أعلنت) أي هيئت تلك النار (للكافرين) بما نزلناه وجعلت علة لعناهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطامحات (أن لهم جنات) أي بساتين ذات شجر ومساكن وللاُمور بالبراءة أمارس الله صلى الله عليه وسلم وما كل أحد يقدر على البراءة وهذا أحسن كما قال صلى الله عليه وسلم بشر الشائين إلى الساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بذلك وأحدا بينه وقرآن يدين على وبشر بلفظ للبي للمفول عطفًا على أعلنت (يجرى من تحتها) أي من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أي أنهار الخمر واللبن والعسل واللآلئ وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود (كلارزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا من رزقها من الجنات من نوع ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر إلينا قال تعالى صدقًا في تلك البعوى (وأتوا بمثابها) أي أتته الملائكة والولدان برزق الجنة مثابها به بضا في اللون ومختلفا في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الحور والأدميات (مطهرة) من الحيض وجميع الأقدار ومن دنس الطبع وسوء الخلق (وهم فيها)

في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلنا على محمد صلى الله عليه وسلم وقلم لا ندرى هومن عند الله أم لا (فأتوا بسورة من مثله) في الإعجاز وحسن النظم والأخبار عما كان وما يكون (وادعوا شهداءكم) فاستعنوا بالهتكم التي تدعونها (من دون الله ان كنتم صادقين) أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من نفسه (فان لم تفعلوا) هذا فيامضى (ولن تفعلوا) أيضا فما يستقبل أبدا (فاقتوا) فاحلروا أن نصلوا (النار التي وقودها) ما تودقه (الناس والحجارة) يعني حجارة الكبريت وهي أشد لا يقادها (أعلنت للكافرن) بتكذيبهم ثم ذكر جزاء للذين فقال (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الأعمال الصالحة أي أخبرهم خبرا يظهر أثر السوء على بشرتهم وعملوا

الصالحات يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم) بأن لهم (جنات) حدائق ذات الشجر (يجرى من تحت) أشجار (ها) ومساكنها (الأنهار) كما رزقوا أطعموا من تلك الجنات ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) تشابها بآيوت به وأرادوا ههنا من نوع ما رزقنا من قبل (وأتوا بمثابها) في اللون والصورة ومختلفا في الطعم وذلك أبلغ في باب الإعجاب (ولهم فيها أزواج) من الحور والأدميات (مطهرة) من كل أذى وقذى مما في نساء الدنيا وسواي الأخلاق وأفات الشيب والحرم (وهم فيها)

خالبون) لأن نعم النعمة الخلود (إن الله لا يستحي) الآية المضرب الله المثل للشركين بالذباب والعنكبوت في كتابه ضحك اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأزل الله تعالى أن الله لا يستحي لا يترك ولا يتخفى (أن يضرب مثلا) أي يبين شيئا بالبعوضة (ما) زائدة والبعوض صغار البق الواحدة (بعوضة فافوقها) يعني فهاو أكرمها والمعنى أن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة لما فوقها إذ اعلم أن فيه عبرة لمن اعتبر وجعله على من جهد (فأما الذين آمنوا فإيمانهم) أن المثل وقفي في حقه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا) أي شيء (أراد الله بهذا مثلا) من الأمثال (أ) والمعنى أنهم يقولون أي فائدة في ضرب المثل بهذا فأجابهم الله سبحانه

فقال (يضل به كثيرا) أي أراد الله بهذا المثل أن يضل به كثيرا من الكافرين وذلك أنهم ينكروته ويكذبونه (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين لأنهم يعرفونه ويصدقون به (وما يضل به إلا الفاسقين) الكافرين الخارجين عن طاعته (الذين ينقضون عهدهم) ويفسدون (عهد الله) وصيته وأمره في الكتب المتقدمة بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ميثاقه) من بعد توحيده عليهم بإيجابه ذلك (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني الرجم وذلك أن قرشا قطعوا رحم النبي بالمادة ومعنى (ويسفسون في الأرض) بالمعنى ويتورق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأولئك هم الخاسرون) بقوت المثوبة والمصير إلى العقوبة (كيف ينكرون بالله)

خالبون) أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا) أي أن الله لا يترك أن يبين المثل على مثل كان (بعوضة فافوقها) في الذات كالذباب والعنكبوت أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناح البعوضة وكيف يستحي الله من ذكر شيء لو اجتمع المخلوقات كلها على تخليفه مقدر عليه والرداء البعوضة هنا الناموس وهو من عجب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم وخوف وهو مع صغره يفوق خرطومه في جلد القمل والجالموس والجل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فإيمانهم) أن الله لا يترك ضرب المثل (الحق) أي الثابت (من ربه) فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عينا بل هو مشتمل على الأسرار والقوائد (وأما الذين كفروا) من اليهود (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) تمييز نسبة من اسم الإشارة أي أي فائدة في هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم (يضل به) أي بهذا المثل عن الذين (كثيرا) من اليهود (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين (وما يضل به إلا الفاسقين) أي الخارجين عن حد الإيمان (الذين ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عباده الباطلة على وجوب وجوده وحدانيته وعلى وجوب صدق رسوله (من بعد ميثاقه) أي توحيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فأنه أمرهم أن يصلوا صلواتهم على محمد وآله وسلم (من بعد ميثاقه) من بعد توحيده عليهم بإيجابه ذلك (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني الرجم وذلك أن قرشا قطعوا رحم النبي بالمادة ومعنى (ويسفسون في الأرض) بالمعنى ويتورق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأولئك هم الخاسرون) بقوت المثوبة والمصير إلى العقوبة (كيف ينكرون بالله)

معنى كيف ها هنا استفهام في معنى التعجب للخلق أي أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله وحالهم أنهم كانوا ترابا فأحياهم بأن خلق فيهم الحياة فالخطاب للكفار والتعجب للمؤمنين وقوله (ثم يمتكم) في الدنيا (ثم يحكمكم) في الآخرة البعث (ثم اليرجعون) تردون فيعمل بكم ما يشاء فاستظم المشركون أمر البعث والاعادة فاتحج الله عليهم بخلق السموات والأرض فقال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) بعضها للاتفاع وبعضها للاعتبار (ثم استوى إلى السماء) أقبل عليها وقصد إليها (فسواهن سبع سموات) مستويات لاشقوق فيها ولا فطور ولا تقاوت

(وهو بكل شيء عليم) اذ بالهم يصح الفصل الحكم (واذ قال ربك) واذ كرهم يا محمد اذ قال ربك (للا لثة اني جاعل في الأرض خليفة) يعني آدم جعله خليفة عن اللا لثة الذين كانوا ساكن الأرض بعد الجن والبراديد كهمذ القصة ذكر به مخلق الانسان (قالوا اتجعل فيهمان يفسد فيها) كما فعل بنو الجان فاسوا على القاتب

من كل سوء وقول سبحانه الله وبحمده (وتقدس لك) ونزهك عما لا يليق بك (قال اني أعلم ما لاتعلمون) من اضرار ابليس العزم على العصية فاما قال الله هذا لللا لثة قالوا فيهمان لن يخلق الله خلقا أعلم منا بفضل الله آدم عليهم بالعمل وعلمه اسم كل شيء. حتى اسم القصة والمفرقة وذلك قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) أي خلق في قلبه علمها بالاسماء على سبيل الابتداء (ثم عرضهم) أي عرض التسميات بالاسماء من الحيوانات والجمادات وغير ذلك (على اللا لثة فقال انبشوني) أي خبروني (باسماء هؤلاء) وهذا أمر تعجز عن ازاله الله أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويعاشرون (ان كنتم صادقين) اني لا اخلق خلقا أعلم منكم فقالت اللا لثة اقرارا بالعجز واعتذارا (سبحانك) تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك (لا علم لنا الا ما

في الماء على صفاته والصفاته على ظهر ملك ولللك على الصخرة والصخرة على الرمح فتحررك الحوت فنزلت الأرض فأمرى عليها الجبال ففرت ظليبال فتخترت على الأرض (وهو بكل شيء عليم) فلا يمكن أن يكون خافق الا لأرض وما فيها وللمسوات وما فيها من العجائب والثرائب الا اذا كان علمها بها محيطا بجزئياتها وكلياتها (واذ قال ربك لللا لثة) قاذ نصب باضار اذ كر وقيل زائدة وقيل يعني قدوي يجوز أن يمتص بالوا اتجعل أي قالوا لك القول وقت قول الله تعالى لهم اني جاعل في الأرض خليفة روى الضحاك عن ابن عباس انه تعالى اعطاهم هذا القول لللا لثة الذين كانوا في الأرض عمارين مع ابليس لأن الله تعالى لما سكن الجن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بفت الله ابليس في جندهم لللا لثة فقتلهم ابليس بمكره حتى أخرجهوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحر وهؤلاء من الجن انهم الله من السماء الى الأرض لظروا الجن الى الجزائر والجبال وسكنوا الأرض تخفف الله عنهم العبادات وكان ابليس يبعده الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا لللك الا لأني أكرم لللا لثة عليه فقال تعالى له ولجنه (اني جاعل في الأرض خليفة) أي بدلنا منكم ورافكم الى فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون لللا لثة عبادة والمراد به آدم عليه السلام (قالوا) استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة لاعتراضا على الله تعالى ولا طمنا في بني آدم على طريق التوبة (اتجعل فيها من يفسد فيها) بالماضي يقتضى القوة الشهوانية (ويفسدك الدماء) بالظلم يقتضى القوة التنبيهية فنفخوا عن مقتضى القوة العقلية التي بها يحصل الكمال والفضل (وتعجز نسيح) أي نزهك عن كل ما يليق بشأنك متبشرين (بحكمك) على ما أنعمت به علينا من فنون النعم التي من جملة ما توفيقنا لهذه العبادات فالتسبيح لظهور صفات الجلال والمجد لتذكر صفات الانعام (وتقدس لك) أي نصفك بما يليق بك من الملو والعزة ونزهك عما يليق بك وقيل المعنى ظهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك أي فحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (اني أعلم ما لاتعلمون) من مصلحة استخلاف آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) أي أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع القنات المختلفة التي يتكلم بها ولما آدم اليوم (ثم عرضهم) أي ذوات الأشياء (على اللا لثة) بأن صور الله الأشياء في قلوبهم فصارت كأنهم شاهدوها وأخلق الله تعالى معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدتها لللا لثة (فقال) تعالى لهم توبيعنا (انبشوني) أي باسماء هؤلاء للتسميات (ان كنتم صادقين) في زعمكم أنكم أحق بالخلافة من استخلفته (قالوا) اقرارا بالعجز (سبحانك) أي تنبأ اليك من ذلك القول (لا علم لنا الا ما علمنا) أي وانما قالوا اتجعل فيهمان يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك فكأنهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون في الأرض ويفسكون الدماء فقلنا لك اتجعل فيها من يفسد فيها وأما هذه الأسماء فانك ما علمتنا كيف فيها فكيف نفعلها (انك أنت العليم) أي الذي لا يخرج عن علمه شيء (الحكيم) أي الحكم بصنعه (قال) تعالى (يا آدم أنبشهم) أي أخبر اللا لثة (باسمهم) أي التسميات (فلما أنبأهم باسمهم) مقصدة بين لهم أحوال كل من التسميات وخواصه وأحكامه

(قال) الله تعالى (الآن قل لكم) وهذا استفهام يتضمن التوبيخ لهم على قولهم (تجعل فيها من يفسد فيها) (انى اعلم غيب السموات والارض) (انى ما غيب فيها معكم) (١٠) (واعلم ما تبديون) (علائكم) (وما كنتم تكتمون) (بسرركم)

لا ينجي عن عبي من أموركم
 (وإذ قلنا للأنكة اسجدوا
 لآدم) وسجدوا
 وتسلم ونحية وكان ذلك
 اختفاء يدل على التواضع
 ولم يكن وضع الجبهة على
 الأرض (فسجدوا لا
 إبليس أنى) امتنع
 (وأسكنه) وكان من
 الكافرين في سابق علم
 الله (وقلنا يا آدم اسكن
 أنت وزوجك الجنة)
 اتخذناها مأوى ومنزلا
 (وكلما نهار غدا) واسما
 (حيث شئت) كيف شئت
 (ولما قرأ هذه الشجرة)
 لا تخو محو لها لآكل منها
 يعني السلسلة (فكسوا من
 الظالمين) العاصين الذين
 وضعوا أمر الله في غير
 موضعه (فأرسل الشيطان)
 نخاعها وبمعدا (عنها)
 فأخبرهما بما كانا فيه
 من الزينة ولين العيش
 (وقلنا) آدم وحواء
 وألجأ إبليس (أهبطوا)
 أنزلوا إلى الأرض (بعضكم
 لبعض عدو) يعني
 العداوة التي بين بني آدم
 وحواء وأحييت بين ذرية
 آدم من المؤمنين وبين
 إبليس (ولكم في الأرض

المتعلقة بالعماس والمعاد (قال) الله تعالى لهم موينا (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض) أي أعلم غيب ما يكون فيها (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون من قولكم اتجعل فيها إلى آخره (وما كنتم تكتمون) أي من استبطنكم أنكم أحقاء بالخلافة وروى النسعي عن ابن عباس وابن مسعود أن الراد بقوله تعالى ما تبدون قوله اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما أسر ابليس في نفسه من الكبر ومن أن لا يسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ماشاء فلن يخلق ربنا خلقا لا كنا أكرم عليه منه فهذا الذي كنتموه (وأدقلنا الملائكة اسجدوا لآدم) سجدوا تعظيم لآدم من غير وضع الحبة على الأرض (فسجدوا الا ابليس) أي عن أمر الله (واستكبر) أي تعاطى عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي صار من الكافرين باباءه عن أمر الله ويقال ان ابليس حين اشتتاله العبادة كان منافقا كافرا وهذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى ان بني آدم عشر الجن والجن وبشواتم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض للوكن بها وكل هؤلاء عشر ملائكة مياه الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي زرقايل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السراشق الواحد من سرادقات العرش التي عندها سبعمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسبكه اذا قوبلت به السموات والأرضون وما فيها وما بينها فانها كلها تكون شيئا ليسيا وقنرا ضيحا ومامن مقدار موضع قدم الاوفى ملك ساجد أو راس أو أقدام لهم جزل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعلم عددهم الا الله فمنع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياخ اسرافيل عليه السلام والملائكة التي هم جند جبريل عليه السلام وكلهم مشغولون بعبادته تعالى لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفية عبادتهم الا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة وكلا منها) أ كلا (رغدا) أي أوسعا لا يفتأ (حيث شئنا) أي في أي مكان أردنا منها (ولا تقربا هذه الشجرة) روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هي الشجرة للباركة السنبلة وعن مجاهد وقناة هي التين وعن يزيد بن عبد الله هي الأترج وعن ابن عباس هي شجرة العلم عليها من كل لون وفن (فتكونان من الظالمين) أي قصيرا من الضارين لأنفسكما ويقال من الذين وضعوا أمر الله تعالى في غير موضعه (فأزلفهما الشيطان) أي أزلفهما ابليس (عنهما) أي الجنة وقرأ حمزة بآلف بعد الزاى والباقون بغير آلف وتشديد الهمزة (فأخرجهما عما كانا فيه) أي من الرغد (وقلنا) لآدم وحواء وابليس (اهبطوا) انزلوا إلى الأرض فهبط آدم بسرديب من أرض المهند على جبل يقال له نود وهبطت حواء بجدة وابليس بالآلة من أعمال البصرة (يسبحكم لبعضه) قال الله تعالى ان الشيطان لكاعدومين (ولكم في الأرض مستقر) أي منزل (ومتاع) أي منفعة ومعايش (إلى حين) أي إلى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي حفظ آدم من ربه كلمات لكي تكون سبيله لأولاده إلى التوبة وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورضي كلمات أي جاءه عن الله تعالى كلمات

(ومتاع) ماتمتعون به عما تلبثه الأرض (الى حين) الموت

(فخلق آدم من ربه) أخذوا قلبي (كلمات) هو أن الله تعالى ألهم آدم حين اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا الآية

للمعكم) موافقا للتوراة في التوحيد والتبوء (ولا تكونوا أول كافر) من يكفر (به) من أهل الإيمان لانكم اذا كفرتم كفر آبائكم فتكونوا أئمة في الضلال والخطاب لعلماء اليهود (ولا تستروا) ولا تستبشروا (بآياتي) ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبشبهه (مناقيل) عرضا يسيرا من الدنيا يعني ما كانوا يصيبون من سفلتهم يخافون أنهم ان يبنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم أن تقوهم تلك الملائكة كل زال ياسة (واباى) فاتقون) فآخسون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لاما يفوتكم (١٢)

موافقا للتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول كافر) أي بالقرآن من اليهود فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها ربيعة والنضير فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ويقال ولا تكونوا أول من جعلهم العرف لأن كفر قريش كان مع الجهل لاعم العرفه (ولا تستروا بآياتي) أي بكتبان صفة محمد (مناقيل) أي عوضا يسيرا وذلك لأن رؤساء اليهود مثل كعب بن الاشرف وحبي بن أخبط وأشاهما كانوا يأخذون من سفلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمدا لانقطع عنهم تلك الهدايا فأصرروا على الكفر لثلاثين قطع عنهم ذلك القدر المحر وذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدا ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القليلة بالنسبة الى الدنيا (واباى فاتقون) أي فخافوني في شأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم (ولا تلتسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تخطوا الحق بسبب الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد كانت نصوصا خفية يحتاج لمعرفةا الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على للتأملين فيها بسبب القاء الشبهات (وأتم تعملون) مافى اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيامة وذلك لأن التليس صار صارا للخلق عن قبول الحق الى يوم القيامة وداعيا لهم الى الاستمرار على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (وأقيموا الصلاة) أي اتقوا الصلوات الخمس (وأتوا الزكاة) أي أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا الصلوات الخمس مع الصليين محمد وأصحابه في جماعتهم وخص الله الركوع بالذكر تحريضا لليهود على الاتيان بصلاة للساكنين فان اليهود لا ركوع في صلاتهم فكانه تعالى قال صلوا الصلاة ذات الركوع في جماعة (أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس أنه قال ان احبار المدينة اذا جاءهم أحد في الحففة لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيا يقول وأمره حق فآقبوه وهم كانوا لا يطيعوه لطعمهم في الهدايا والصلوات التي كانت فصل اليهم من اتباعهم ويقال ان جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أي التوراة الناطقة بنصوت محمد صلى الله عليه وسلم (أفلاتعلمون) أي أتولونه فلاتعلمون مافيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ما تحبون من الدنيا وعلى الدخول فيها تستقبله بلباسكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أي بحبس النفس عن اللذات (والصلاة) فانها جامعة لألوان العبادات (وأنها) أي الصلاة (الكبيرة)

من الرئاسة (ولا تلتسوا الحق بالباطل) أي لا تخطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وتبديل نعمته (وتكتموا الحق) أي ولا تكتموا الحق وهو عطف على النهي (وأتم تعملون) أنه نبي مرسل قد أنزل عليكم ذكره في كتابكم فجحدتم نبوته مع العلم به (وأقيموا الصلاة) للفرضة (وأتوا الزكاة) الواجبة في المال (واركعوا مع الراكعين) وصلوا مع الصليين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جماعة (أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) لاقرائهم المسلمين اقتبوا على ما أنتم عليه ولا ترجعوا عنه فأنزل الله تعالى توبيعا (أأأمرون الناس بالبر) أي بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وتنسون) وتتركون (أنفُسكم) فلاتأمرنوها بذلك (وأنتم تتلون)

الكتاب) تقرأون التوراة وفيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته (أفلاتعلمون) أنه حق فتنبعونه ثم أمرهم الله بالصوم والصلاة لأنهم إنما كان ينهون عن الاسلام الشرع خوفا ذهبوا كلهم فأمره بالصوم الذي يذهب الشره بالصلاة التي تورث الخشوع وتبني الكبر وأرشد بالصلاة الصلاة التي بها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال (واستعينوا بالصبر والصوم) (والصلاة) لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر (وأنها) أي الصلاة (الكبيرة) ثقيلة

(الاعلى الحاشيين) الساكنين الى الطاعة وقال بعضهم رجع هذا القول الى خطاب المسلمين فأمرهم أن يستمعوا على ما يطلبونه من رضاء الله ونيل جنته بالصبر على أداء فرائض الصوم والصلاة (الذين يظنون) يستيقنون (أنهم ملاقوا ربهم) أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون الى الله أى يصدقون (١٣) بالبحث والحساب (يا بني اسرائيل اذكروا

نعمتى التى أنعمت عليكم)

مضى تفسيره (وأتى

فصلكم على العالين)

أعطيتكم الزيادة على

عالم زمانكم وهو ما ذكر

في قوله اذ جعل فيكم

أنبياء والمراد بهذا

التفضيل سلمهم وهذا

التفضيل بالانفراد لأن

تفضيل الآباء شرف لا بناء

(واقفوا يوما) واحنوا

واجنبوا عقاب يوم

(لا تجزى) لا تقضى ولا

تغنى (نفس عن نفس

شيئا ولا تقبل منها شفاعا)

أى لا تكون شفاعا

فيكون لها قبول

وذلك أن اليهود كانوا

يقولون يسفح لنا آبائنا

الأنبياء فأيسم الله من

ذلك (ولا يؤخذ منها

عنان) فداء (ولاهم

ينصرون) يمنعون من

عذاب الله (واذ نجيناكم)

واذكروا ذلك (من آل

فرعون) أتباعه من كان

على دينه (يسمونكم)

يكلفونكم (سوء العذاب)

شديد العذاب وهو قوله

أى لشاقة (الاعلى الحاشيين) أى للخالين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالموت في كل لحظة وذلك لأن كل من كان منتظرا الموت في كل لحظة لا يفارق قلبه الخشوع فهم باذرون الى التوبة لأن خوف الموت ما يقوى دواعي التوبة (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأتى فصلكم على العالين) أى اذكروا وأتى فصلت آباءكم على المو جودين فمن ماتهم لاعلى من معنى ولاعلى من موجد يسلمهم وأيضاً معنى تفضيلهم على جميع العوالم أن الله تعالى يمتنهم رسلا كثيرة لم يمتهم من أمة غيرهم ففضلوا لهذا النوع من التفضيل على سائر الأمم (واقفوا) أيها اليهود ان لم تؤمنوا (يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبى عمرو وبالتذكير على قراءة الباقين (منها شفاعا ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم القيامة لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا مما أصابها بل يفرلر فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه التباينة أن طاعة للطبع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه (واذ نجيناكم) وقرئ: أجيئناكم ونجيتكم فاذ في موضع نصب عطفا على معنى عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظرف الآتية في الكلام المتعلق ببني اسرائيل وينقضى عند قوله تعالى سيقول السفهاء والمخطبال موجودين في زمن نبينا ذكرا لهم بما أنهم الله على آباءهم لأن انجاء الآباء سبب في وجود الأبناء والنعى يا بني اسرائيل اذكروا (واذ نجيناكم) (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وعرعرعون أكثر من أن يحصى التسعة وهو الوليد بن مصعب بن ريان (يسمونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صفارا وقرئ: يذبحون بالتخفيف (ويستحيون نساءكم) أى يتركونهن صفارا ويقال يستحيون منهن كبرا وذلك أن فرعون رأى في منامه نارا أقبلت من بيت القدس حتى أحاطت ببيت مصر وأحرقت كل قبطي وترك بني اسرائيل فبدأ فرعون الكهنة وسأهم عن ذلك فقالوا يولد في بني اسرائيل ولد يكون هلاك القبط وزوال ملكك على يده فأمر فرعون يقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألف صبى (وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم) والبلاء هنا هو المحنة أن أشد بلفظ ذلك إلى صنع فرعون والنعمة أن أشد به إلى الانجاء وحمل البلاء على النعمة أسس لأنها هي التى صدرت من الله تعالى ولأن موضع المحنة على اليهود انعام الله تعالى على أسلافهم ثم ان كون استبقاء سائهم على الحياة بمنع ما نه ترك للعذاب لما أن ذلك كان للاستعمال في الأعمال الشاقة وكان سببا لانقطاع النسل ولفساد أمر معيشتهم (واذ فرقنا بكم البحر) أى واذكروا اذ قلنا سبيكم أى لأجل أن تبسركم سلكوه (فأجيئناكم) من الفرق باخراجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم نظرون) انظمام أمواج البحر بفرعون وقومه وترى بعد ثلاثة أيام جثثهم التى فلقها البحر الى الساحل وفرعون معهم طافين

(يذبحون) يقتلون (أبناءكم ويستحيون نساءكم) يستيقنون أن يحيا (وفى ذلكم) الذى كانوا يفعلونه بكم (بلاء) اختبار وامتحان (من ربكم عظيم) وقيل في تنجيكم من هذه المحنة نعمة عظيمة والبلاء النعمة والبلاء الشدة (واذ فرقنا بكم البحر) فجعلنا ما تاتي عشر طريقا حتى خاض فيه بنو اسرائيل (فأجيئناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم نظرون) الى انضباط البحر عليهم وانجائكم منه

روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى بيني إسرائيل وكانوا اثني عشر سبطا كل سبط
 خسون ألفا فلما خرج موسى بيني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعهم حتى يصبح الديك
 ثم اجتمع إلى فرعون ألف ألف ومائتا ألف كل واحد منهم على فرس فتبعوا موسى وقومه نهرا
 وصادقهم على شاطئ البحر فضرب موسى بصاه البحر فانشق البحر اثني عشر جيلاني كل واحد
 منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصياح قبض البحر حتى صار طريقا يابسا فأخذ كل سبط منهم
 طريقا ودخلوا فيه فقالوا لموسى إن بضنا لا يرى صاحبه فضر بموسى عصاه على البحر فصارت
 الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بضنا فلما وصل فرعون شاطئ البحر رأى ايليس واقفا فنهأ عن
 السخول فجاء جبريل على حجرة فتقدم فرعون وهو على فعل فتبعها فرس فرعون فلما دخل
 فرعون البحر صلح ميكائيل بهم من خلفهم وهو على فرس فقال الحقوا آخركم بأولكم فلما دخلوا
 البحر ولحقوا وحملتهم النظم البحر عليهم وأغرقتهم جميعا وكان بين طرفي البحر أر بعفر اسخ وهو
 بحر القلزم طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك
 اليوم شكرا لله تعالى (واذ أوعدنا موسى) قرأ أبو عمر و يعقوب بن إبراهيم في هذه السورة
 وفي الأعراف وله وقرأ الباقون بالألف في اللوائح الثلاثة (أربعين ليلة) باعطاء الكتاب
 (ثم اتخذتم العجل) أي عبدتم العجل السمي بهموت (من بعده) أي بعد انطلاقه إلى الجبل
 (وأتم ظلمون) أي ضارون لأنفسكم • قيل وعلم موسى عليه السلام بنى إسرائيل وهو بمصر أن
 أملاك الله عدوهم أنهم بكتابتهم عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما ينزلون فلما هلك فرعون سأل
 موسى به بالكتاب فأنزه أن يحيى إلى الطور ويوم فيه ذا القعدة وعشر ذى الحجة فذهب إليه
 واستخلفه وروى علي بن إسرائيل ومكث في الطور أربعين ليلة وأزلت عليه التوراة في الواح من
 زبرجد فلما ذهب موسى إلى الطور وكان قد سبق مع بنى إسرائيل الثياب والحلي التي استعاروه من
 القبط لعمل حرس قال لهم هرون أن هذه الثياب والحلي لا تحمل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا وأحرقوها
 وكان موسى السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في البحر نظر إلى حافرة جبريل عليه السلام
 حين تقدم على فرعون فدخل البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري
 أخذها كان معه من الذهب والفضة وضور منه عجلا في ثلاثة أيام مرصعا بالجواهر كحسن ما يكون
 وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشي فقال لا تقوم هذا الحكم وإله موسى فذكره هنا
 وخرج يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخذوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
 عشرون يوما لم يرجع موسى عليه السلام وقصوا في القصة فصبوا عليهم العجل الأهرن مع اثني عشر
 ألف رجل وكان موسى السامري رجلا صامتا من جملة يقال له سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام
 وكان من بنى إسرائيل من قوم يصبون البقر (ثم عفونا عنكم) أي عفوناكم عنكم حين تبتم (من بعد
 ذلك) أي من بعد ما تبتم العجل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا عظمة عفوي وتستمروا
 بذلك على طغي (واذ أتيناموسى الكتاب والفرقان) أي واذكروا إذا أعطيتنا موسى التوراة
 وبيننا فيها الحلال والحرام والأمر والنهي وغير ذلك (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا بتدبر
 الكتابين الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) أي
 انكم تقصم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (باتخاذكم العجل) أي بعبادتهم
 العجل فقالوا لموسى لماذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا إلى بارئكم) أي إلى خالقكم ولما أظهرتم التوبة

(واذ أوعدنا موسى أن بين
 ليلة) أي انقضاءها وتامها
 لتكلمهم معه (ثم اتخذتم
 العجل) مسودا وإله (من
 بعده) أي من بعد خروجه
 عنكم البقاة (وأتم
 ظلمون) واضعون العباد
 في غير موضعها وهذا تنبيه
 على أن كفرهم بمحمد
 ﷺ ليس بأعجب من
 كفرهم وعبادتهم العجل
 في زمن موسى (ثم عفونا)
 عفوناكم عنكم (عنه) من
 بعد ذلك عبادة العجل
 (لعلكم تشكرون) لكي
 تشكروا نعمتي بالعبادة
 (واذ أتيناموسى الكتاب
 والفرقان) يعني التوراة
 الفارق بين الحلال والحرام
 (لعلكم تهتدون) لكي
 تهتدوا بذلك الكتاب
 (واذ قال موسى لقومه)
 الذين عبدوا العجل (يا قوم
 انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
 العجل) إله (فتوبوا إلى
 بارئكم) خالقكم قالوا
 كيف قال

من أقامكم على عبادة
العجل ثم فعلكم ما أمرتم به
(فقال عليهم) انه هو
التياب الرحيم واذ قلتم
يا موسى ان تؤمن بآية
الذين اخذناهم موسى
ليستروا الله تعالى من
عبادة العجل فلما سمعوا
كلام الله وفرغ موسى من
مناجاة الله قالوا لن صدقك
(حتى رزى الله هجرة) عينا
لا يسترحناشى (فأخذتكم
الصاعقة) وهى نار جابت
من السماء فأحرقتهم جميعا
(وأنتم تنظرون) الباهين
نزلت وانما أخذتهم
الصاعقة لانهم استمعوا
من الايمان بموسى بعد
ظهور معجزته تنقذهم
ربهم هجرة والايمان
بالأنبياء واجب بعد ظهور
معجزتهم ولا يجوز اقتراح
المعجزات عليهم فلهذا
عاقبهم الله وهذه الآية
توضح لى على مخالفة
الرسول مع قيام معجزته
كخالف أسلافهم موسى
مع ما لى به من الآيات
الباهرة (ثم يشناكم)
نشرناكم (من بعد موتكم
لعلكم تشكرون) نعمة
البعث (وظلنا عليكم
التمام) سنراكم عن

بالبدن دون القلب فأتهم ما تبتم إلى الله وأما تبتم إلى الناس قالوا كيف توب فقال لهم (فأتقوا أنفسكم) أى سلموا أنفسكم للقتل وارضوا بما جابروا فأخذ عليهم الوثائق ليصبروا على القتل فأصبحوا مجتمعين فكل قبيلة على حدة وأتهم بالاتبى عشر ألفا الذين لم يصبوا العجل البتة وبأيديهم السيوف فقال الثابتون ان هؤلاء اخوانكم فأتاكم شاهر بن السيوف فأتقوا الله واصبروا فعلن الله رجلا قام من مجلسه أود طرفه إليهم وأتاهم يندأ رجل فيقولون آيين فجاءوا يقتلون من الصباح إلى المساء وقام موسى وهرون عليهما السلام يدعوان الله تعالى ويقولان البقية البقية يا الهنا فوحي الله إليهما أني قد غفرت لمن قتل وتبت على من بقى وكان القتل سبعين ألفا (ذلكم) أى القتل فى التوبة (غيرلكم عند بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (تأب عليكم) أى قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل من بقية المجرمين وعفا عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أى للتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على التوبة (وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن بك حتى ترى الهة فخذتك الصاعقة) وذلك لما رجح موسى عليه السلام من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل حرق العجل وأتاه فى البحر واختار من قومه سبعين رجلا من خيارهم فلم يخرجوا إلى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعا كلامه فقال موسى عليه السلام ذلك أجابه الله ولذا نمن الجبل وقع عليه عمود من النعام وتفتى الجبل كله ودأمن موسى ذلك النعام حتى دخل فيه فقال القوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كله ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحسن من أن ينظر إليه وسمع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول لافضل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى النعام الذى دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لا تصلق لك بأن مانسمة كلام الله حتى ترى الله معانية فأحرقهم نار من السما وما تواجبوا قوم موسى وأضا يده إلى السماء يدعو ويقول يا الهى اختر من بنى اسرائيل سبعين رجلا يكونوا شهدا بقبول توبتهم فأرجع إليهم وليس منى منهم واحد فما أنى يقولون فلم يزل موسى مشتغلا بالدهاء حتى رد الله أرواحهم وبطلت توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لأقرب الأذن يتقوا أنفسهم (وأتم تنظرون) إلى النار الواضحة من السماء (ثم ببناكم من بعد موتكم) أى ثم أحسيناكم بعد حرقكم بالنار وبعد موتكم يوما وليلة وذلك لأظهار آثار القدرة وليستوفوا بقية أجلكم وأرزاقهم ولوما نوا ابتهاج أجلكم بعصوا إلى يوم القيامة (لذلك تشكرون) أى لى تشكروا أحيائى (وظلنا عليكم النعام) أى جعلنا السحاب الرقيق يظلكم من حر الشمس أى كان يسير يسيرهم وكانوا يسرون ليلا ونهارا ويظل عليهم بالليل عمود من نور يسرون فى خواتمه وفيهاهم لاتنسخ ولا تبلى وذلك فى التوبة وهو دواب الشام ومصر وفرد تسعة فراسخ مكشوفة أرى بين سنة متحجرين لا يمتدون إلى الخرج ومنه وسب ذلك مخالفتهم أمر الله تعالى بقتال الجبارين الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا عن القتال (وأزنا فى التية) (عليكم لن) وهو شئ كالصنم كان يقع على الأشجار طمعه كالشهد وكان يقع على أشجارهم من الفجر إلى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسوى) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنهم يكن يزل يوم السبت والسوى وهو طائر ليس له ذنب ولا يطير الا قليلا وموت إذا سمع صوت الرعد كان الحطاف يقتله بالبرق فلهذه الله أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون فيها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوان للطور والعدف يخرج من الجزائر وينتشر فى الأرض

الشمس في التيه بالسحاب الرقيق (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَن) وهو التزجيج كان يقع على أشجارهم بالأسحار (والسوى) وهو طير أمثال السجاني وقتنا

(كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم وما علمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأنهم على موسى دخول قرية الجبارين
ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التيه فلما انقضى مدة حبسهم وخرجوا من التيه قال الله لهم (وادخلوا)
حيث شئتم رغداً وهي أريحا (وادخلوا الباب) يعني باباً

(١٦)

هذه القرية فكلوا منها

وخصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم)
أي من مستلذات مارزقناكم ولا تدخروا لند فادخروا قطع الله ذلك عنهم وذودوا مدخروهم (وما
ظلمونا) أي وما قصونا بالدخروا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يضرون لنقص أنفسهم
حظهم من التعميم (وادخلنا) لهم بعد خروجهم من التيه على لسان موسى أو على لسان يوشع
(ادخلوا هذه القرية) روى أن موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الأربعين سنة من بني
اسرائيل ففتح أريحا ففتح الهمة وكسر الرءاء قرية الجبارين وهي بين القدس وصوران وأقام فيها
ما شاء الله ثم قبض فيها وقيل انقبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبى وأن الله تعالى
أمره بقتال الجبارة فسار بهم يوشع وقتل الجبارة وصار الشلم كله بني اسرائيل (فكلوا منها) أي
تلك القرية (حيث شئتم رغداً) أي موسماً عليكم (وادخلوا الباب) أي باب القرية أي من أي
باب كان من أبوابها السبعة ومن باب يسمى باب الحطة أو باب القبة التي كانوا يصلون إليها فأنهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (سجدوا) أي منحنيين متواضعين كالراعى (وقولوا حطة)
أي إن القوم أمروا بأن يدخلوا الباب على وجه الخنوع وأن يدكروا بلسانهم التماس حط الذنوب
حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن أبي عمير بالنصب
ولم يحن حط عنا ذنوبنا حطة (تفرح لكم خطاياكم) وقرأ نافع بالتثنية وبن عمر بالتأنيث على
البناء للجهر والبالون بالنون للفتحة (وسيزيد المحسنين) بالطاعة في حسناتهم (فبذل الذين
ظلموا) أنفسهم (قولا غير التي قيل لهم) أي أمر لهم أي فدخلوا الباب زاحفين على أقدامهم
فأثبن حطة على شجرة استخفاً بأمر الله تعالى (فأترنا على الذين ظلموا) أي غيروا الأمر
(رجزاً) أي طاعونا مقترراً (من السجدة بما كانوا يقسمون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن
الطاعة فغروا أنهم ماتوا بالطاعون في ساعة واحدة أربعمائة وثمانون ألفاً الذين غيروا أمرهم في
التيه (وإذا كروا) (اناستسقى موسى لقومه) في التيه (فقلنا اضرب بعصا الحجر) وكانت العصا من
آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شجرتان تتقدان في الظلمة نوراً حملها آدم معهما
الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاهم موسى وروى أن ذلك الحجر حجر طورى حملهم
وكان مربوياً لاربعة جوانب وكان خرافاً في خراع ينبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل
في جدول إلى ذلك السبط وكانوا سائمة ألف وسبعة المصكرات ثم عشرين مائة وكان حجراً أعطاه الله
عليه اثني عشر نداً كندى للرأفة يخرج من كل ندى نهر إذا ضرب عصاه عليه (فأفجرت منه
اثنتا عشرة عيناً) أي نهر (قد علم كل أناس) أي سبط (مشرهم) أي موضع شرهم من
نهرهم روى أنه كان لكل سبط عين من اثني عشرة عيناً لا يشرك فيها غيره وقلنا لهم (كلوا)
من اللبن والسوى (واشربوا) من الأنهار كلها (من رزق الله) أي كلوا واشربوا من رزق الله
الذي يأنىكم بالاتب (ولا تشبوا في الأرض مفسدين) أي لا تشبوا في الفساد في الأرض في حالة إفسادكم
ويقال لا تشبوا في الأرض على خلاف أمر موسى (وإذا غلتم يا موسى لن نضرب على طعام واحد

من أبواب المسجد
(سجدوا) منحنين
متواضعين (وقولوا حطة)
وذلك أنهم أصابوا خطيئة
بأنهم على موسى دخول
القرية فأمر الله تعالى أن
يفتحها لهم أي مستلذات حطة
وهي أن تحط عنا ذنوبنا
(وسيزيد المحسنين) الذين
لم يكونوا من أهل تلك
الحطية أحساناً وثواباً
(فبذل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم) وغيروا
تلك الكلمة التي أمروا بها
وقالوا حطة (فأترنا على
الذين ظلموا رجزاً) ظلمة
وطاعونا فوكل في ساعة
واحدة سبعون ألفاً لفسقهم
ببديل ما أمروا به من
الكلمة (وإذا استسقى
موسى لقومه) في التيه
(فقلنا اضرب بعصا الحجر)
وكان حجراً خفيفاً مربوياً
لرأس الرجل
(فأفجرت) أي ففجرت
فأنبتت منه اثنتا عشرة
عيناً فكان يأتي كل
سبط عينهم التي كانوا
يشربون منها وذلك قوله
(قد علم كل أناس مشربهم)

وقلنا لهم (كلوا) من اللبن

والسوى (واشربوا) من الماء هناك (من رزق الله) لا تشبوا في الأرض مفسدين

أي
أي لا تشبوا فيها بالفساد فلما ذلك النيش وذكروا عيشا كان لهم بمصر وقالوا (يا موسى لن نضرب على طعام واحد) يعني لن الذي يأكلونه
والسوى وكان طعاماً واحداً

(قادم لتار بك) سله وقله (مخرج لتار ثابت الأرض من قهلا) وهو كل نبات لا يبق لساق (وقتها) وهو نوع من الخضراوات (وقومها) وهو الخطة فقال لهم موسى (أستبدلون الذي هو أدنى) أخس وأضعف (بالذي هو خير) أرفع وأجل فدعا موسى قاستجبنا له وقتلنا لهم (اهبطوا مصرا) انزلوا بلدة من البلدان فان الذي سألتهم (١٧) لا يكون الا في القري والامصار وضربت عليهم

عليهم أي على اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم (الذلة) يعني الجزع يوزي اليهودية ومعنى ضرب الذلة الزامهم اي اهازل ازالا يبرح (والمسكنة) زى الفقر والبؤس (وبادوا) احتماوا وانصرفوا لضرب من الله) أي (ذلك) الضرب والفضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين) أي يتولون أولئك الذين يفعلون (ذلك) فيرسلون أي قتل (فيالحق) يعني بالظلم ذلك الكفر والقتل بشؤم ركو بهم المعاصي ونجاوهم أمر الله (ان الذين آمنوا) بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك (والذين هادوا) دخلوا في دين اليهودية (والصابئين) الخارجين من دين الى دين وهم قوم يبدون النجوم (من آمن) من هؤلاء (بالله واليوم الآخر) عمل صالحا بالآمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن الدليل قد قام ان من لم يؤمن بالله لم يكن عمله صالحا

أي على كل طعام واحد وهو اللبن والسوى (قادم لنا) أي أسأل لاجلنا (ربك) مخرج لتار ثابت الأرض من قهلا) أي من أطايبه التي تؤكل كالكرفس والكراث والبنوع (وقتها وقومها) أي نومه كما هو مرور عن ابن عباس ومجاهد وهو اختيار الكسائي لأن التوم بالاء في حرف عبد الله بن مسعود (وعلسها وبصلها) قال أي موسى (أستبدلون الذي هو أدنى) أي أخس وهو التوم والبصل (بالذي هو خير) أي أشرف وهو اللبن والسوى فانه خير من الذلة والتفجع وعدم الحاجة الى السى (اهبطوا مصرا) أي اخرجوا من هذا المكان الى المكان الذي خرجتم منه (فان لكم) هناك (ماسأتم وضربت عليهم الذلة) أي جعلت على فروع بني اسرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أي زى الفقر (وبادوا بضرب) أي استحقوا الضرب أي الذلة (من الله ذلك) أي الذلة والمسكنة والذلة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بسبب أنهم كانوا يعجبون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآياته التي في التوراة والانجيل (ويقتلون النبيين) أي غير الحق) أي ظنوا روى أن اليهود قتل تسعين نبيا في أول التوراة ولم يقتلوا حتى قافوا آخر التوراة يسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا ٧ وغيرهم من الأنبياء (ذلك) الضرب (بما عصوا) وكانوا يشتدون أي يتجاوزون الحد بقتل الأنبياء واستحلال المعاصي وهذا القتل الذي أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى في زعمهم وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة عدم بعض العلماء من باب المجزئات لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقدم الأركان لكيفية هذا الخبر اعن القريب فيكون معجزا وهذا الكلام الى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض في خلال القصص المتعلقة بحكاية أموال بني اسرائيل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لأن قتل الأنبياء ما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أي الذين تهودوا (والنصارى) أي الذين تنصروا (والصابئين) أي الخارجين من دين الى دين وهم قوم من النصارى يعقلون وسط رؤسهم ويقرءون الزبور ويعبدون للآلثة يقولون صابت قلوبنا أي رجعت قلوبنا الى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فبا بينهم ذين ربه (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من القلب ويحزن القصور على نفوت الثواب والعي ان الذين آمنوا قبل بنة محمد صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة يبعس عليهم السلام مثل قس بن ساعدة وبجرة الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن قنيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ووفد النجاشي والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم بيعت محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر ومحمد عليهم أجرهم عند ربهم واللعن ان الذين أسوا بالاسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من آتى منهم بالايمان الحقيقي صلا من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثوري (واذ أخذنا من اقربكم) أي اقراركم بقبول التوراة (ورفضنا فوقكم الطور) أي رفضنا فوق رؤسكم الجبل مقدار قامة كالظلة وكان فرسخا في فرسخ حتى أعطينا المشاق وقتلنا (خذوا ما آتيناكم) أي اعملوا

(٣) - (تفسير مراح لبيد) - أول (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) واذا أخذنا من اقربكم بالطاعة لله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في حال رفع الطور فوقكم يعني الجبل وذلك أنهم أي اوافقوا شرعية التوراة فأمر الله جبلا فقلع من أصله حتى قام على رؤسهم فقبلاوا خوفا من أن يرضخوا بالجبل وقتلناهم (خذوا ما آتيناكم) اعملوا ما أمرتم به

(بقوة) ويجد ومواظبة على طاعة الله (وإذكروا ما فيه) من الثواب والمغاب (لعلكم تتقون ثم توليت) أعرضت عن أمر الله وطاعته (من بعد ذلك) أي أخذ الميثاق (قلوا) (١٨) فضل الله عليكم بتأخير المغاب عنكم (لكنتم من الخاسرين) الهالكين

في الذات (ولقد علمت) عرقم (الذين) جاوزوا ما حلفهم في ترك الصيد (في السبت فقلنا لهم كونوا) يتكوبنوا أي اكم (قردة خاسئين) مطرودين مبعدين (فجلناها) أي تلك العقوبة والسخط (نكالا) عبرة (لما بين يديها) الأمم التي ترى تلك القسوة (وما خلفها) والأم التي تأتي بعدها (وموعظة) عبرة (للتقين) المؤمنين من هذه الأمة (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة) وذلك قد وجدتم في بني إسرائيل ولم يبرأوا قاته فسألو موسى أن يدبوا الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربه فأمرهم بدبح بقرة فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة (قالوا) أتعذرتنا هذا) تستعزى بنا حين نسألك عن القتل فأتيناك بدبح بقرة (قال أعود بالله) أمتنع بالله (أن أكون) من المستهزئين بالمؤمنين فلما علموا أن ذلك عزم من الله سألوا الوصف (فخلقوا ادع لنا ربك) سله بدعائك أيه

بما أعطيناكموه من الكتاب (بقوة) أي يجد (وإذكروا ما فيه) من الثواب والمغاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المعاصي (ثم توليت) أي أعرضت عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي رفع الطور وإتاء التوراة (قلوا فضل الله عليكم) بتأخير المغاب (ورحمته) بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليكم (لكنتم من الخاسرين) أي لصرفتم من المؤمنين بالقوة وبالانهماك في المعاصي (ولقد علم الله الذين اعتدوا منكم في السبت) أي وبالله لقد عرقم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت (داود عليه السلام يرى أنهم أمروا بأن يتعصخوا يوم السبت للعبادة ويتركوا السبوت هو لا المقوم كانوا في زمن داود عليه السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحرين والدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع إليه الحيتان من كل أرض في شهر من السنة حتى لا يرى للآل لكن تهاوى غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحضروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتدائهم ثم أنهم أخذوا السمك وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استحسن الإبناء بسنة الآباء فغشي اليهم طواقم من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوههم فلم يتوبوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فازادنا الله بما لا خيرا فقبل لهم لا تقفروا فرعازل بكم المذاب فأصبح القوم قردة خاسئين فمكثوا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم كونوا) أي صيروا (قردة خاسئين) أي ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (فجلناها) أي للسخط أو القردة أو قرعة أصحاب السبت وهذه الأمة (نكالا لما بين يديها وما خلفها) أي عقوبة رادعة للأمة التي فزماها وبها إلى يوم القيامة والمقرب من تلك القرية وما بعد عنها أو عقوبة لأجل ما تقدم على هذه الأمة من ذنوبهم وما تأخر عنها (وموعظة للتقين) أي لكل متق سمع تلك الواقعة فانه يخاف أن فعل مثل فعلهم أن يزل بمثل ما زل بهم والرد الله تعالى كونه مرة لتكوين وأمرهم صاروا كذلك كأراد الله بهم (وإذ قال موسى لقومه) أي وإذ كروا وقت قول موسى عليه السلام لا حولكم (إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلا فقيرا في بني إسرائيل قتل ابن أخيه وأخاه وأن عمله كثر به ثم ما في جمع الطريق ثم شكك ذلك إلى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا لعل لنا ربك حتى يبينه فأوحى الله إليهم أن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على أنفسهم بالاستسقام حال البساح واستقصوا في طلب الوصف فلما تصيفت البقرة لم يجدوها بذلك التفت الا عندا انسان معين ولم يبق الا بأضعاف ثمنها فاشتروها فدبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عظامها فيضربوا به القاتل ففعلوا فاصار القاتل حيا وعين لهم قاته وهو الذي ابتدأ بالشك فيقتلوه قودا (قالوا أتعذرتنا هذا) أي استعزى بنا يا موسى فان سؤالا عن أمر القاتل وأنت تأمرنا بدبح بقرة وانما قالوا ذلك لأنهم لم يعلموا أن الحكمة هي حياة القاتل يضرب به بعض البقرة وأخباره بقاتله (قال أي موسى) (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين لأن الفرء في أثناء تبليغ أمر الله تعالى جعل فلما علموا أن الأمر بالتدبح حق (قالوا ادع لنا) أي لأجلنا (ربك يبين لنا ما هي) أي ما سئنا أخيرة أو كبيرة (قال انه) أي الله تعالى (يقول انها بقرة لا فاض) أي كبيرة في السن (ولا بكر) أي صغيرة (عوان بين ذلك) أي وسط بين السنة

(فأفعلوا ما تؤمرون) وقوله (فأفعلوا ما تؤمرون) أي شديد الصفرة (تسر الناظرين) (١٥٨) تمنعهم غشها (قالوا الذئب نار بك يبين

لنا ما هي) أسامة عاملة

(إن البقر) أي جنس

البقر (تشابه) أشبه

واستشكل (علينا وانا إن

شاء الله لمهندون)

إلى وصفها قال رسول

الله صلى الله عليه

وسلم وإيم الله ولم يستنوا

لما يبتلعهم إلى آخر الأبد

(قال أنه يقول أنها بقرة

لأذلول) من ذلة

(تسير الأرض) تغلبها

للزراعة أي ليست تغلب

لأنها ليست ذلولا (ولا

تسقى الحراث) الأرض

البينة للزراعة (مسلمة)

من العيوب والآثار (الاشية

فيها) لا لون فيها يفارق

سائر لونها (قالوا الآن

جئت بالحق) بالوصف

الثام التي تتميز به من

أجناسها فطلبوها

فوجدوها (فقبضوها

وما كادوا يفعلون) لئلا

تمنوا (وإذ قلتم نفسا) هنا

أول القصة ولكن مؤخر

في الكلام (قادر أتم)

فأقتلتم وندائم (واقه

مخرج) مظهر (ما كنتم

تكنمون) من أمر

القتل (قلنا أضربوه

بعضها) بلساتها فيجبا

فغضب فخي (كذلك

باعتبر اليهود أي

والفتية (فأفعلوا ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قالوا له) تعالى
(يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها) أي صاف لونها (تسر الناظرين) إليها بسبب حسنها وتعجبهم من
شدة صفرتها لغرابتها وخر وجهها عن اللعاد (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أعلمة هي أم لا (إن
البقر تشابه علينا وانا إن شاء الله لمهندون) إلى وصفها وأولى القاتل (قال أنه) تعالى (يقول أنها
بقرة لأذلول) أي غير مثقلة (تسير الأرض) أي تغلبها للزراعة (ولاستقى الحراث) أي الزرع
(مسلمة) من كل عيب (لاشية فيها) أي لا خلط في لونها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا سود (قالوا
الآن جئت بالحق) أي نطق بالبيان الحق ففتشوا عليها فوجدوها عند الفتى البار لأمه فاشترىها
بمل مجلد لها (فقبضوها وما كادوا يفعلون) أي ما كانوا يفعلون حتى انتهت سؤلاتهم ويقال وما
كادوا أن يذبحوها لأجل غلامتها وخوف الفضيحة في ظهور القاتل روى أنه كان في بني إسرائيل
شيخ صالح له ابن طفل ومعه لعبة فأتى بها إلى البقرة وقال اللهم إني استودعتك هذه اللعبة لا يبي حتى يكبر
فكانت من أحسن البقر وأسمنها فلما كبر الابن كان يرا لوالده فكان يقسم الليل اثلاثا يمشي لثلاث
وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فلما أصبح احتطب على ظهره فيبيع الحطب في السوق ثم يصدق
بثلثه يأكل ثلثه ويعطى والديه ثلثه ثم أمرته أمه أن يأخذ تلك اللعبة من البقرة فلما أخذها قالت له
أمه أنك فقير يشتق عليك الاحتطاب النهار والليل فيبيع هذه البقرة فقال بك أييها قالت بثلاثة
دنابر ولتبيع فيمشرورى وكان من البقرة إذ ذاك ثلاثة دنابر فأنطلق بها إلى السوق فبعت الله ملكا
ليختبر الفتى كيف يربو به الله فقال الملك له بك بيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنابر بشرط رضى والدي
فقال الملك لك ستة دنابر ولا تستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتي وزنها ذهبا لم أخذها الأرض أبى
فردها إلى أمه وأخبرها بالتمن فقلت أرجع فيها يستدنابر على رضا مني فأنطلق بها إلى السوق وأتى
الملك فقال استأذنت أمك فقال الفتى أنها أمرتني أن لا أتقصها عن ست دنابر على أن استأذنها فقال
الملك إني أعطيتك اتى عشر دنابر على أن لا تستأذنها فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت
إن الذى بأنيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له أنا مرنان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل
فقال للملك له اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشترىها منك لقتيل يقتل
في بني إسرائيل فلا تبصمها إلا بعل مسكنا هذا دنابر فأمسكها وقد رآه تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك
البقرة بعينها مكافأة للفتى على ربوبه الله فغضاض من الله تعالى (وإذ قلتم نفسا) اسمه عاميل وقيل نكار
(قادر أتم فيها) أي تخاضعت في شأنها (واقه مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكنمون) من قتلها
وهذه الجملة معترضة بين المظوف والمظوف عليه وهما قادر أتم وقوله (قلنا أضربوه) أي القتل
(بعضها) أي بضومن أعضاء البقرة قتل بذنبها وقيل بلساتها وقيل بفمها الأيمن ففعلوا ذلك فقام
القتيل حيا بذان الله تعالى وأوداجه تشعب دمه وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل قتله فحرم
البراث وفي الحديث ما ورث قاتل بئد صاحب البقرة (كذلك) أي كما أسيا الله عاميل في الدنيا (يحيى
الله الولى) في الآخرة من غير احتياج إلى آله (ويريكم آياته) أي يجعلكم مبصرين لدلائل قدرته
واحياته ليبت (لكنهم كفارون) أي لم يصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أي اليهود فلم تقبل الحق (من
يحيى الله الولى) كما أسيا هذا القتل (ويريكم آياته) قدرته في خلق الحياة في الأموات (ثم قست قلوبكم) باعتبار اليهود أي
اشتدت وصلبت (من)

بعد ذلك من بعده الآيات التي تخلصت من السخ ورف الجبل فوقهم وانجاس للاممن حجر واحياه الليت بضرب عضو وهذه الآيات بما يدعون بها (فهي كالحجارة) في القسوة وعلم النقة بل (أشد قسوة) وانما غنى هذه القسوة تركهم الايمان بيجسد صلي الله عليه وسلم بما عرفوا صدقه وقرة الله على عقابهم بتكذيبهم اياه من غير الحجارة وفضلها على قلوبهم فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه (٢٠) الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه ماء وان منها لما يهبط من خشية

الله يهبط من علوا الى سفلى من خشية الله قال مجاهد كل حجر يتفجر منه ماء أو يشقق عن ماء أو يرد أو يهبها من رأس جبل فهو من خشية الله زلزاله القرآن ثم أوعدهم فقال (وما الله ببالف عما تعملون) ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقطع طمعهن عن إيمانهم فقال (أفقطموني أن يؤمنوا بكم) وحللم ان طاعة منهم كانوا (يسمعون كلام الله) يعني التوراة (ثم يحرفونه) يعني يغيرونه من وجهه يعني الذين غيروا أحكام التوراة وغيروا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ما علقوه) أي لم يفعلوا ذلك على مسان وخطأ بل فعلوه بعين تمرد (وهم يعلمون) أي ذلك يكتب الأنوار (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني متاعف اليهود (فقالوا

بذلك) أي احياء ما قبل واخباره بقاتله وأمن بعد الأمور التي جرت على أجدادكم (فهي كالحجارة) في القسوة (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قال الحكماء ان الأنهار انما تنشأ عن أغرة تجتمع في باطن الأرض فان كان ظاهر الأرض رخوا انشقت تلك الأغرة وانفصلت وان كان ظاهر الأرض حرجا واجتمعت تلك الأغرة حتى تكسر كثرة عظيمة فتشقق الأرض وتسيل تلك المياه أنهارا (وان منها لما يشقق فيخرج منه ماء) أي العيون الصغار التي هي دون الانهار (وان منها لما يهبط) أي يتدرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) أي من اتقياد أمر الله وقولكم أيها اليهود لا تسرعن من خوف الله واللام في الام الابتداء دخلت على اسم ان وهو ما يعني الذي والصبر منه ويشقق ويهبط يهود عليه (وما الله ببالف عما تعملون) أي ان الله محافظ لأعمال الناس في قلوبهم حتى يجازيهم بها في الآخرة وقرأ ابن كثير بالياء على التنية (أفقطموني أن يؤمنوا بكم) وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون أي أقطموني أيها النبي والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتك ويستجيبوا لكم والحال ان طاعة منهم وهم أحبارهم يسمعون كلام الله التوراة ثم يغيرونه من بدل المعنى الذي يفهمه بمقولهم وهم يعلمون أنهم مقترون وذلك كنت محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة كحل العين ربي جمده الشعر حسن الوجه فكاتبوا بدلها طويلا أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والني أفرجوا يا شرفا خلقني أن تؤمن بك اليهود والحال أن أسلافهم وهم السبعون المختارون للعقبات الذين كانوا مع موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ما علقوه بقيناهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك أنهم قالوا سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وان شئتم ان لاتفعلوا فلا بأس (وإذا قالوا الذين آمنوا قالوا آئنا) أي ان منافق أهل الكتاب كانوا اذا لقوا أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد ان صاحبكم صادق وأن قوله حق ونجد نعتي كتابنا (وإذا خلا بعضهم) أي رجع الساكنتون الذين لم ينافقوا (الى بعض) آخر منهم وهو منافقهم (قالوا) أي الساكنون موخين للمنافقين (أتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) أي بما بين الله لكم في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم بعهد ربكم) أي ليقيموا الحجة عليكم بما أنزل ربكم في كتابه في ترك اتباع محمد مع اقراركم بصدقه وقوله تعالى ليحاجوكم متعلق بالتحديث والراد بها تشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لأجل هذا الغرض بما لا يكاد يصبر عن الماقل أي يتحدثونهم بذلك ليحاجوكم عليكم بكتاب الله وحكمه وقال عند الله كذا بمنا في كتابه وحكمه (أفلا تعقلون) ان ذلك لا يليق بما آتم عليه (أولا يعلمون) أي اللاعنون أو المنافقون أو كلاهما (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان

واخفاء

بما منهم من محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبي صادق يجده في كتابنا (وإذا خلا بعضهم الى بعض)

تزوج هؤلاء المنافقون الى رؤسائهم لاجلهم (وقالوا أتحدثونهم) أخبرون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (بما فتح الله عليكم) من حجة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (ليحاجوكم) ليجادلوكم ويخاصموكم (به) بما قلتم لهم (عند ربكم) في الآخرة يقولون كفرتم به بغيرها وقيمتم على صدقه (أفلا تعقلون) ليس لكم ذهن الانسانية فقال الله تعالى (أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون) من التكذيب يعني هؤلاء المنافقين (وما يعلنون) من التصديق

وذي القرنى) أى القرابة فى الرحم (وقولوا لناس حسنا) صدقا وحقا فى شأن محمد (ثم توليتهم) أى غرضت من العهد واليثاق بينى وأولئهم (الا) صلى الله عليه وسلم (وأتم مرضون) عما عهد إليكم كأوائلكم (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) بأن لا يقتل بضعكم بعضا ولا يخرج بضعكم بعضا من داره ويقلبه عليها (ثم أقررتهم) أى قبلتم ذلك (وأتم) اليوم (تشهدون) على اقرار أوائلكم ثم أخبر أنهم تقضوا هذا لليثاق فقال (ثم أتم هؤلاء) أراد يا هؤلاء (تقفلون أنفسكم) يقتل بضعكم بعضا (وتخرجون فرقا من ديارهم) تظاهرون عليهم) (تعاونون) على أهراسيتكم بالمصيبة والظلم (وان يأتوكم) مأسورين يطلبون الفداء فديتوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) أى اخراجهم عن ديارهم محرم عليكم (أفتؤمنون) بعض الكتاب) يعنى فداء الأسير (وتكفرون ببعض) يعنى القتل والاخراج والظاهرة قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك

(٢٢)

بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين (وذي القرنى) أى أحسنوا بالأقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا لناس حسنا) وقرأ حمزة والكسائي بفتح الحاء والسين وقرئ حمزة شاذة حسنا بضمين وحسن كبرى والقول الحسن هو الذى يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم في ملتهم. فقبلتم ذلك لليثاق المذكور (ثم توليتهم) أى أعرستم عن الوفاء باليثاق (الاقبلا منكم) أى آباءكم وهومن أقام اليهود على طريقتها قبل النسخ ويقال الاقبلا منكم وهم من أسلم كعبداة بن سلام وأصحابه (وأتم مرضون) عن الطاعة كأوائكم (واذ أخذنا ميثاقكم) أى اذكروا يا أيها اليهود للعاصر بن وهب لحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا لليثاق على آباءكم فى التوراة (لا تسفكون دماءكم) أى لا يقتل بضعكم بعضا (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بضعكم بعضا من منازلكم يابى قرينة والتضير (ثم أقررتهم) بوجوب المحافظة على الليثاق (وأتم تشهدون) أى تعلمون ذلك (ثم أتم هؤلاء) أى هؤلاء الحاضرون بذلك (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بضعكم بعضا (وتخرجون فرقا منكم من ديارهم) أى من منازلهم ذلك الفريق (تظاهرون عليهم) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء والباقون بالتشديد أى يملون بضعكم بعضا (بالأثم) أى للمصيبة (والسدون) أى التجاوز فى الظلم (وان يأتوكم أسارى) أى أسارى أهل دينكم (تفادوهم) بالمال أو غيره أى وان يقع ذلك الفريق الذى تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيرا فى يد حلفائكم فتدوه قرأ حمزة أسرى بفتح الحزوة وسكون السين مع الالة وقرأ عاصم والكسائي تفادوهم بضم التاء وفتح اللام والباقون بفتح التاء وسكون الفاء (وهو) أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) قال السدى ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة الليثاق أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأما بعد وأما وجدتموه من بنى اسرائيل فأشتره وأعتقه وكان فرقة والتضير آخرين كالأوس والخزرج فافترقوا فكانت فرقة حلفاء الأوس والتضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة فكان كل فريق يقتل مع حلفائه فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم إذا أسروا رجل من الفريقين فدوه كما لو أسروا واحد من التضير ووقع يد الأوس أقدته فرقة منهم بالمال وهكذا يقال فى عكس ذلك فخيرتهم العرب وقالت كيف تقتلونهم ثم تدوهم فيقولون أمرنا أن نقدمهم وحرم علينا قتلهم ولكن نستحي أن نذل حلفائنا ففهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى تفعلون بعض الواجبات وهو الفداء (وتكفرون ببعض) أى فلم تتركوا المحرم وهو القتل والاخراج والمعاونة (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) أى ثم عظم وتحقير بالغ (فى الحياة الدنيا) فكان خزي قرينة القتل والسبي وقيدقتل صلى الله عليه وسلم منهم سبعة فى يوم واحد وخزي بنى التضير بالاجلاء الى أذربعت وأرميا وقيل هو ضرب الجزية على التضير فى الشام وعلى من بقى من فرقة الذين سكنوا خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أى عذاب جهنم لما أن محبيبتهم أشد للعاصي (وما الله بناقل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بناء الخطاب فى يملون وأما فى يردون فالسبعة بالنسبة فقط وأما بناء الخطاب فشاذة وهذه الجملة زجر عظيم عن المصيبة وبشارة عظيمة على الطاعة

فديتوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) أى اخراجهم عن ديارهم محرم عليكم (أفتؤمنون) بعض الكتاب) يعنى فداء الأسير (وتكفرون ببعض) يعنى القتل والاخراج والظاهرة قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك

أولئك

الظاهرة وفداء اسراهم فأعرضوا عن كل ما أسروا الا الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) فضيحة وهوان فى الحياة الدنيا

وقوله (لا تخفف عنهم العذاب) معناه في الدنيا والآخرة وقبل هذه الحالة عظمة الآخرة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناه من بعد الرسل) وأرسلنا رسولا بعد رسول (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات)

(٢٣)

يعني مأثوق من المعجزة (وأيدناه) وقويناه (روح القدس) بجبريل

وذلك أنه كان قرينه يسير معه حيث سار يقول كل

هذا فما استقمتم لأنكم (كلما جاءكم رسول بما لا

تهوى أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن الإيمان به (ففرقا كذبتم) مثل

عيسى وعهد الله عليه وسلم (وفرقا تقتلون) مثل يحيى وزكريا (وقالوا

قلوبنا غلف) وهوان اليهود قالوا استهزاء وانكارا لما أتى به عهد

قلوبنا غلف عليها غشاوة فهي لا ترى ولا تفهم ما يقول فكل شيء غلاف

فهو أغلف وجمعه غلف ثم أكد بهم الله تعالى فقال

(بل انهم الله بكفرهم) أي أيدهم من رحمته وطردهم (قليل

ما يؤمنون) أي بقليل المؤمنين (قليل ما يؤمنون) أي بقليل قادة قليل ما يؤمنون أي

كبيد الله بن سلام (ولما جاءهم كتاب) يعني القرآن (مصدق) موافق لما سمعوا

وكانوا) يعني اليهود من قبل نزول هذا الكتاب

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا) أي استبدلوا (بالآخرة) بأن اختاروا الكفر على الإيمان (فلا يخفف عنهم العذاب) لا بالانقطاع ولا بالقلّة في كل وقت أو في بعض الأوقات (ولا هم ينصرون) فلا يدفع أحد هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي التوراة (وقفيناه من بعده بالرسل) أي أتيناهم أيام مرتين وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيال واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وجميع الأنبياء بين موسى وعيسى على شريعة موسى قبلهم سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف ومدة ما بينهما ألف وتسعمائة سنة وخمسة وعشرون سنة (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه سواء كان كهم خلقيا أو طارئا وإبراء الأبرص وكالإخبار بالنبات وكالإنبيل ثم عيسى بالسريانية أي شوع ومعناه للبارك ومريم بالسريانية يعني الخادم وفي كتاب لسان العربي الرأه التي تذكره مخالطة الرجال (وأيدناه) قرأ ما بين كثير بمد الحمزة وتخفيف الياء أي قويناه (روح القدس) وهو جبريل وهو الذي بشر مريم بولادتها وأما ولعيسى عليه السلام من فتحة جبريل وهو الذي رآه في جميع الأحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد إلى السماء (أفكلما جاءكم) يابعث اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) أي بما لا يوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أي تعظمتم عن الإيمان به والأتباع (وفرقا كذبتم) وفرقا تقتلون) أي كذبت طائفة عهدا صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام وقتل فريق يحيى وزكريا (وقالوا) أي اليهود (قلوبنا غلف) أي مشاة بأغشية عن قلوبهم قليل ما يؤمنون بالله الاتهم كانوا يكفرون بالرسل وقال قتادة والأصم وأبو مسلم أي لا يؤمن منهم إلا القليل وذلك نظير قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما سمعهم) أي موافق لكتابهم التوراة بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل ميث عهد وزول القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفتحة أي النصرة (على الذين كفروا) أي مشركي العرب أسد وغطان ومزينة وجهية وهم عدوهم يقولون اذادهم عدوا لهم افتح علينا وانصرنا بالنبي الأبي (فما جاءهم ماعرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدوا وخافوا على الرياسة وقال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يقولون لخالفهم عند القتال هذا نبى قد قرب زمانه ينصرنا عليكم (فلنعلن الله على الكافرين) أي إبادا لله من خيراته الآخرة عليهم (فما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بنس التي مشينا اشتروا بها أنفسهم كفروا بالقرآن المصدق للتوراة أي أن هؤلاء اليهود لما اعتقدوا أنهم عافوا وخلصوا أنفسهم من العقاب وأصلوا إلى

(يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) محمد ﷺ وكتابه ويقولون اللهم انصرنا بالنبي للبعث في آخر الزمان (فلما جاءهم ماعرفوا) يعني الكتاب بعثة النبي (كفروا به) ثم ذم منهم فقال (شعيا اشتروا بها أنفسهم) أي بنس ما باعوا به أسلأ أنفسهم من الثواب بالكفر بالقرآن

(بني) أي حسدا (أن ينزل الله) أنزال الله (من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن كفرة اليهود لم يكن من شك ولا شبهة (صارت النبوة في أولاد اسمعيل (قباءوا) فأنصرفوا واحتملوا

(٢٤)

وانما كان حسدا حيث

(بغضب) من الله عليهم
لأجل فضيعهم التوراة
(على غضب) لكفرهم
بأنبي الله صلى الله عليه
وسلم والقرآن (وإذا قيل)
اليهود (آمنوا بما أنزل الله)
بالقرآن (قالوا تؤمن بما
أنزل علينا) يعني التوراة
(ويكفرون بما وراه)
سواء (وهو الحق)
يعني القرآن (مصدقا
لما معهم) موافقا للتوراة
ثم كذبهم الله تعالى في قولهم
تؤمن بما أنزل الله علينا
بقوله (قل فلم تقتلون
أنبياء الله) أي كتاب جوز
فيه قتل نبي ثم ذكر
أنهم كفروا بالله مع
وضوح الآيات في زمن
موسى فقال (ولقد جاءكم
موسى بالبينات) يعني الب
والنصا وقلق البحر (ثم
أخذتم العجل من بعده)
إله (وإذا أخذنا ميثاقكم)
إلى قوله واسمعوا قاضي
ومعنى واسمعوا أي
نافيه من حرمة وحلله
(قالوا سمعنا) مافيه
(وعصينا) ما أمرنا به
(وأشربوا في قلوبهم
العجل) أي سقواحب
العجل وخطوا بحب
العجل حتى اختلط بهم

الطوب فقد اشتروا أنفسهم به في زعمهم وقال الآكثرون الاشتراء هنا بمعنى البيع لأن النعموم
لا يكون إلا ما كان حاصلهم لئلا كان زنا لا عنهم وللمنى باعوا أنفسهم بكفرهم لأن الذى حصلوا
على منافع أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان القرض بالبيع والشراء
إبدال ملك ملك حصل أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتري لوقوع هذا للمنى من كل
واحد منهما (بنيان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي حسدا على أن ينزل الله النبوة
بفضله على محمد وطلبنا ليس لهم أي فاتهم ظنوا أن هذا الفضل العظيم بالنبوة للتظرة يحصل في
قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على الحسد وقدا أجاز العلماء أن يكون بنيان مفعولاه ناصبه
أن يكفروا وأن ينزل الله مفعولاه وناصبه بنيان (قباءوا بغضب على غضب) أي فاستحقوا لعنة
بطلنة لأمو صرحت عنهم (وللكافرين عذاب مهين) أي يهانون بالعذاب الشديد بخلاف
عذاب الناس فانهطروا لدنو به (وإذا قيل لهم) أي وإذا قال المؤمنون لليهود الموجودين في زمن
بنيان (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله من الكتب الهلجية جميعا (قالوا) في جواب
هذا القيل (تؤمن بما أنزل علينا) أي بما أنزل على أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الأنبياء
الذين أنوارهم شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما وراه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم
يكفرون بما بعده وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما وراه ما أنزل على نبيهم من الانجيل
والقرآن (الحق مصدقا لما معهم) أي موافقا بالتوحيد لكنهم (قل) لهم يا أشرف الخلق
الزماو يا أنالكفرهم بالتوراة التي ادعوا الايمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم
مؤمنين) وللمنى أن كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلا شيء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل
لأن في التوراة تحريم القتل وذلك لأن التوراة دلت على أن المعجزة تدل على الصديق ودلت على
أن من كان صادقا في ادعاء النبوة فإن قتله كفر وإذا كان الأمر كذلك كان السخي في قتل زكريا
ويحيى وعيسى كفرا فلم سمعتم في ذلك أن صدقتم في ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة
وللمنى أنهم لو آمنوا بالتوراة لاقتلوا الأنبياء فالأمرهم إلى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى
لا بالبص كما ادعوا لأن قيل قوله تعالى آمنوا خطاب لهؤلاء الموجودين وقوله فلم تقتلون حكاية
قل أسلافهم فكيف وجب الجع بينهما قلنا معناه أنكم بهذا التكذيب للانجيل والقرآن خرجتم
من الايمان بما آمنتم كما خرج أسلافكم بقتل بعض الأنبياء عن الايمان بالباقيين (ولقد جاءكم
موسى بالبينات) أي بالآيات التسع وهي العصا والبد والسنون وقص الخراف والدم والطوفان
والجراد والقمل والضفادع وقلق البحر (ثم أخذتم العجل) أي عديتم العجل (من بعده) أي
من بعد انطلاقه إلى الجبل (وأنتم ظالمون) أي كافرون ببادته (وإذا أخذنا ميثاقكم) أي اقراركم
(ورفضنا فوقكم الطور) أي رفضنا فوق رؤوسكم الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقلنا
(خذوا ما آتيناكم بقوة) أي اعملوا بما أعطيناكم من التكليف بجهد (واسمعوا) أي أطيعوا
ما تومرون (قالوا سمعنا) قولا بآذاننا (وعصينا) أمركم بقولنا وبغيرها (وأشربوا في قلوبهم
الكفر) أي وأخذنا في قلوبهم حب عبادة العجل بسبب كفرهم السابق للوجوب لذلك (قل) لهم
يا أشرف الخلق (بما يأمركم بما يأنسكم) بما أنزل عليكم من التوراة وقولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل

(بكفرهم) باعتقادهم التشبيه لأنهم طلبوا ما يتصور في نفوسهم

ان كنتم مؤمنين) هذا تكذيب لقولهم "ومن بما ازل علينا وذلك ان اياهم ادعوا الى ان يمشوا على القوائم فليس الايمان بامر بالسفر والمشي لو كنتم مؤمنين ماعبدتم العجل يسمى اياهم كذلك اليهود يقولون يدخل الجنة الامن كان هوذا فقيل لهم اثم لو كنتم مؤمنين بما ازل عليكم ما كنتم عبدا ^{للعجل} (٢٥) (فل ان كانت لكم النار الآخرة)

(५०)

الآية كانت اليهود تقول
لن يدخل الجنة الا من
كان هودا قتييل لحمان
كنتم صادقين فتمنوا
للو تقاتنه من لا يشك أنه
صائر الى الجنة فاجله أثر
عنده (ولن يضمنوه ابدا)
لأنهم عرفوا أنهم كفرة
ولا تنسب لهم الى الجنة وهو
قوله (ما قلتم ايديهم)
أى بما عملوا من كتمان
أمر محمد صلى الله عليه
وسلم (والله اعلم بالظالمين)
فيه معنى التهديد
(ولتجدنهم) يا محمد يعنى
علما باليهود أنهم (أحرص
الناس على حياة) لأنهم
علموا أنهم صائرئون الى
النار اذا ماتوا لما أتوا الى
أمر محمد صلى الله عليه وسلم
(ومن الذين أشركوا)
أى وأحرص من منكرى
البعث ومن أنكر البعث
أحب العمر لأنه لا يرجو
بشا قاله يهود أحرص منهم
لأنهم علموا ما جئوا فهم
يخافون النار (يود
أحسهم) أى أحد اليهود
(لو يعمر ألف سنة) لأنه
يعلم أن آخرته قد فسدت

(ان كنتم مؤمنين) بالتوراة كازعتم فان يجوز فيها الوجهان من كونها باقية وشريطية وجوابها مخوف تقديره فيلسا يأمركم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى نعيم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خالصة من دون الناس) أى خالصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق فيها حق باصص قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (فتمنوا الموت) كأن يقولوا لينا موت (ان كنتم صادقين) فى مقاتلتكم لأن من يقن أن أمن أهل الجنة اشتاق إليها وتغنى سرعة الوصول إلى النعيم (ولن يتمنوه) أى لن يسألوا الموت (أبدا بما قلتم أيديهم) أى بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وكنتم رفض التوراة (والله عليم بالظالمين) أى الكافرين فيجازيهم (ولتجننهم) أى والله لتجند اليهود يا محمد (أحرص الناس على حياة) أى بقاء فى الدنيا (ومن الذين أفسدوا) أى أحرص من مشركي العرب للسكرين للبحث لعالمهم بأن مصيرهم النار دون للسكرين لا تسكرهم (يود) أى يتمنى (أحلم لو يمر ألف سنة) وللمراد بألف سنة التكبر لا خصوص هذا المندوب ليس للراد بها قول الأجاج عش ألف سنة لو مصرية وهى مع صلتها تأويل مصدر مفعول يود (وما هو بيزجره من العذاب أن يمر) فاعل المزجر أى وما أحلمهم بمن يصدمهم النار بحمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به قرأ السبعة بالياء المتحثة ويقوب من الشجرة بالفوقية روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم المدينة أتاه عبد الله بن مسعود بأفقال يا محمد كيف نومي فقد أخبرنا عن نوم النبي يحيى فى آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تمام هينأى ولا ينام قلبى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الوفا من الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والنصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت فمأبال الرجل يشبه حمامة دون أو خالو يشبه خال الهدون أمهمه فقال أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت فأخبرني أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفى التوراة أن النبي الأبي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل مرض مرضا شديدا فاطفال سقمه فنزل الله نارا أن غافاه الله من سقمه ليحرم من على نفسه حب الطعام والشراب وهو لجان الابل والبنات فقالوا نعم فقال له بقيت صعلتوا واحدة أن فطنت أمئت بك أى ملك بأيتك بما تقول عن الله قال جبريل قال ان ذلك عدونا نزل بالقتال والشدة يورسون لكم كائيل يأتي بالبشر والرخاء فلو كان هو الذى يأتيك أميتك فأقول الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل) لأنه نزل القرآن على محمد فقد خلع ربة الاوصاف (فاته) أى جبريل (زله) أى القرآن (على قلبك باذن الله) أى بأمره وخص القلب بالذكرا ليه خزنة الحفظ ويت الرب (مصداقا لما بين يديه) أى لما قبل القرآن من الكتب الالهية لأن الشرائع التى تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقبلة بالأوقات ومتتمية فى هذا الوقت فان النسخ بيان انتهاء مدة العبادة وحيثه لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف فى الشرائع (وهدى) أى بيان ما وقع التكليف به من أعمال

و بشرى للؤمنين (رداعلى اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدّة فقيل لهم ان كان ينزل بالحرب والشدّة على الكافرين فانه ينزل بالهدى والبشرى للؤمنين (من كان عدوا لله) الآية أى من كان عدوا لأحد من هؤلاء فان الله عدو له لأن عدو الواحد عدو الجميع وعدو محمد صلى (٢٣٦) الله عليه وسلم عدو الله والواهبنا بمعنى أو وقوله (فان الله عدو للكافرين)

أى أنه تولى تلك المدواة بنفسه وكفى رساله وملائكته أمر من عاداهم (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) بدلالات واضحات وهذا جواب لابن صوريا حين قال يا محمد أنزل اليك من آية حتى تؤمن بها (وما يكفر بها الا الفاسقون) الخارجون عن آديانهم واليهود خرجت بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة موسى ولما ذكر محمد لهم ما أخذ الله عليهم من العهد فيه قال مالك بن النسيب والله ما عهد البنا في عهد صلى الله عليه وسلم عهد ولا ميثاق فأنزل الله هذه الآية وقوله (نبذه فريق منهم) يعنى الذين تقضوه من علمائهم (بل أكثرهم لا يؤمنون) لأتهم بين ناقض العهد وجاحد لنبوته مما بدله وقوله (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) يعنى علماء اليهود (كتاب الله)

القلوب وأعمال الجوارح (و بشرى) أى بيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذکر رداعلى اليهود فى دعوى عدائوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الاجساد كما أن جبريل ملك الوحي الذى هو حياة القلوب والأرواح وقسم جبريل لشرفه لأن العلم أشرف من الأغذية وقسم الثلاثة على الرسل كما قسم الله على الجميع لأن عدواة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها ينزل للاتبكة ونزولهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حزة والكسائي بفتح الجيم والراء وحزرة بعد الراء مكسورة وقرأ أشعة كذلك لأن حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقيون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الآن ابن كثير فتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الألف واللام وقرأ نافع همزة صد الألف ولا ياء بعد الهمزة والباقيون بهمزة بعد الألف وياه قال ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبشع فلما بمشمن العرب كفروا به وجدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم ماذا ابن جبريل يا مبشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتجبروتنا أنهم مبشرون وقصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جافا بشى من النبأت وما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا اليك) يا مبشر الحق (آيات بينات) أى آيات القرآن الذى لا يأتى بمثله الجن والانس (وما يكفر بها الا الفاسقون) وهم أهل الكتاب الحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهد فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن النسيب والله ما عهد البنا فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية (أو كلفا عهدا عهدا نبذه فريق منهم) أى اكفروا بالآيات وكلفا عهدا الله عهدا كقولهم قبل مبشع صلى الله عليه وسلم لأن خرج النبي لثؤمنين به ولنخرج من المشركين من ديارهم (وكونهم هادوا الله على أن لا يعينوا عليه صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين ثم أعانوا عليه قريشا يوم الخندق نبذه فريق منهم) بل أكثرهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون بكأبد الحسد منهم وقيل لا يصدقون بكتابهم لأنهم كانوا فى قومهم كالنفاقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرن لهم الايمان بكتابهم ورسولهم ثم لا يملكون بمقتضاه (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى أعطوه وتمسكوا به (كتاب الله وراؤهم كأنهم لا يملكون) أى أنه كتاب الله أى فكفروا عنادوا الكتاب مفعول ثان لأوتوا وكتاب الله مفعول نبذ وقال السدى لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خصصوه بالتوراة فانفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لها وأخذوا بكتاب آسف وسحر هراروت وما روت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أى اليهود (ماتوا) أى تسكبن (الشياطين على ملك سليمان) من السحر وكانت الشياطين دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك

التوراة (وراء ظهورهم) أى تركوا العمل به حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (كأنهم لا يملكون) أنه حق وانما أتى بصديق وهذا اخبار عن عنادهم ثم أخبر الله تعالى أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر فقال (واتبعوا) يعنى علماء اليهود (ماتوا) أى ما كانت (الشياطين) تحدث وتقص من السحر (على ملك سليمان) فى عهده وزمان ملكه وذلك أن سليمان لما نزع ملكه دفنت الشياطين فى خزائنه سحرا وبهرجانات فلما مات

سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم
كتب انبيائهم وقشت اللامة على سليمان فزول هذه حالهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم واوئل الله عليه براءة سليمان ومدة تزعم ملكه اربع بون يوما وسبب ذلك ان احدي زوجه
عبثت بها اربع بون يوما وهو لا يشعر بها فمات الله تعالى بنزع ملكه اربع بون يوما وذلك ان ملكه
كان في خاتمه وهو من الجنة وكان اذا دخل الخلاه زعمه ووضعه عند زوجه له تسمى الأمانة ففعل ذلك
يوما فاجاه حتى اسمه صنخر وتصور بصور سليمان ودخل على الأمانة وقال اعطيني خاتمي فدفعت
له فسخرت له الجان والانس والطير والرجح وجلس على كرسي سليمان فجاءه سليمان للامينة وطلب الخاتم
فرا تصورته غير الصورة التي تعرفها منه فقالت له ما أنت سليمان وهو قد أخذ الخاتم فلعانم الأرض بون
طار الجاني من فوق الكرسي وصر على البحر وألقى الخاتم فيه فاطلعت سمكة فوقت في يد سليمان
فأخذ من بطنها ولبسه ورجعه للملك فأمر الجان باحضار صنخر فأثاب به فحصد في صنخرة وسد عليه
بالرصاص والحديد ورماه في قعر البحر (وما كفر سليمان) أي ما كتب سليمان السحر وما عمل به لأن
العمل بالسحر كفر في شر ميتة وما في شر عنان اعتقد فاعله حل استعمله كفر والا فلا وما فعله فان كان
لعمله به فحرام أوليته وقاه فيباح أولا ولا لشركه (ولكن الشياطين كفروا) أي كتبوا واستعملوا
السحر وقرأ لكن ابن عامر وحزمة والكسائي بتخفيف النون مع الكسر ورفع الشياطين
(يعلمون) أي الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به اضرالهم (وما أنزل على الملكين) عطف على
السحر أي ويعلمونهم ما ألهماهم من السحر وقيل عطف على ماتوا واختار أبو مسلم أن مافي محل جر
عطف على ملك سليمان وذلك أن الملكين أنزل لتعليم السحر امتحانهم الله فلما هل تعلمونه
أولا كما امتحن قوم طالوت بالشرب من النهر وقيل أنما أنزل لتعليمه للتمييز بين المعجزة لثلاث
يقترب به الناس لأن السحرة كثير في ذلك الزمن واستنبطوا أبو ابا غريبتهم السحر وكانوا يبدعون
النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلم الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك
الكذابين واظهار أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد في سواد العراق (هار وتومار) عطف بيان
للكين لانهم ملكان نزل من السماء كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل ما أنزل في معطوف على
قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين سحر لأن السحرة كانوا
يسندون السحر الى سليمان وزعموا أنه ما أنزل على الملكين ببابل هار وتومار وتكلمهم الله
تعالى على ذلك وقيل ان الملكين هما جبريل وميكائيل أخرجه البخاري في تاريخه وابن النضر عن
ابن عباس وابن أبي حاتم عن عطية وسعيد بن جابر عن هار وتومار وتعرفون بدل من الشياطين بدل
البعض كما هو قراءة الزهري وعلى هذا كما قاله الحسن والضحاك فهما عليان من بابل يعلمان السحر
وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام فهما داود وسليمان كما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن
إبراهيم وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك (وما يعلمان من أحد) أي وما يعلم الملكان أحدا السحر
(حتى يقرأوا) أولا (انما نحن فتنة) أي امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أي فلا تسلم ولا تسلم
به أي لا يصفان السحر لأحدا لأن بقولنا لا يصفان السحر لغيرنا لا يصفان السحر لغيرنا لا يصفان السحر لغيرنا
منه أن تميز به الفرق بين السحر والهجرت ولكن يمكن أن تتوصل به الى الفاسد والعامي فأيما
مبدوقك عليه أن تستعمله في نهايت عنه وتوصل به الى شيء من الأغراض العاجلة (فيعلمون)
أي الأحاد والمراد به السحرة (منهم) أي الملكين أو السحر والنزل على الملكين أو الفتنة والكفر

سليمان دل الشياطين عليه
الناس حتى استخرجوها
وقالوا للناس انما ملككم
سليمان بهذا فعله ما قبل
بنو اسرائيل على تعلمها
ورفضوا كتب انبيائهم
فبرأ الله سليمان فقال (وما
كفر سليمان) أي لم يكن
كافرا سحرا بسحر
(ولكن الشياطين كفروا)
بالله (يعلمون الناس
السحر) يريد ما كتبت
لهم الشياطين من كتب
السحر (وما أنزل على
الملكين) أي ويعلمونهم
ما أنزل عليهم أي علما
والهما وقيل في قلوبهما
من علم التفرقة وهو رقية
وليس بسحر وقوله (وما
يعلمان) يعني الملكين
السحر (من أحد) أحدا
(حتى يقرأوا) فتنة
ابتلاء واختبار (فلا تكفر)
وذلك أن الله عز وجل
امتحان الناس بالملكين
في ذلك الوقت وجعل الجنة
في الكفر والإيمان أن
يقبل القابل تعلم السحر
فيكفر فتمله ويؤمن
بترك التعلم ولله امتحن
عباده بما شاء وهذا معنى
قوله انما نحن فتنة فلا
تكفر أي محنة من الله
تخبرك أن عمل السحر
كفر بالله وتهاك عنه

فان اطمعنا جرت وان عصيتنا هلكت وقوله (فيعلمون منهم) أي فليؤمنوا فيعلمون من الملكين

(ما يقرن به بين الرموز وجه) وهو أن يؤخذ كل واحد منهما من صاحبه ويغض كل واحد منهما إلى الآخر (وما هم) أي السحرة الذين يتعلمون السحر (بضارين به) بالسحر (من أحد) أحدا (الإاذن الله) بإرادته كون ذلك أي لا يضررون بالسحر إلا من أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر (ويتعلمون) (٢٨) ما يضرهم) في الآخرة (ولا ينفعهم ولقد علموا) يعني اليهود (لن اشتراه) اختار

السحر (ماله في الآخرة من خلاق) من نصيب ثم ذم صنعم فقال (وليس ما شر واه أنفسهم) أي بشئ شيء باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله (لو كانوا يعلمون) كنه ما يصرون إليه من تحسر الآخرة من العقاب (ولو أنهم آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واقفوا) اليهودية والسحر لا يبقوا بامور خير لهم من الكسب بالسحر وهو قوله (لثوبهم عند الله خير لو كانوا يعلمون) أي الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان السالمون يقولون لثبي صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وكان هذا لسان اليهودية شيئا قبيحا فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لثبي صلى الله عليه وسلم أعجبتم فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيها بينهم فنهى الله المؤمنين عن ذلك فأذن الله هذه الآية

(ما يقرن به بين الرموز وجه) أما بان يتقدآن ذلك السحر مؤثري هذا التفريق فبصير كافر إذا صار كافرا بانتفخه امرأته فيحصل تفرق بينهما وأما بقوله والحيل فيغض كل منهما في الآخر (وما هم) أي السحرة أو الشياطين (بضارين به) أي باستعمال السحر (من أحد الإاذن الله) أي بإيجاد الله قوارضه وعلمه (ويتعلمون) أي الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (ما يضرهم) في الآخرة (ولا ينفعهم) في الدنيا ولا في الآخرة وهو السحر (ولقد علموا) أي اليهود (لن اشتراه) أي استبدل ما تملأوا الشياطين (ماله في الآخرة) أي في الجنة (من خلاق) أي نصيب أوماله في النار من خلاص أي أن اليهود لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأقبلوا على التكسب بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله (وليس ما شر واه أنفسهم) أي والله ليس شيا باعوا به حظ أنفسهم في الآخرة التكسب أو تعلم السحر (لو كانوا يعلمون) قبحه على اليقين (ولو أنهم) أي اليهود (آمنوا) بمحمد لما نشر اليقين قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل إليهم من الآيات المذكورة بقوله تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات أو بالتوراة التي أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله ورأوا ظهورهم (واقفوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لثوبهم عند الله خير) أي لشيء من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (أي أيها الذين آمنوا لا تقولوا) لثبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) وكان السالمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذنا لا عليهم شيئا من العلم راعنا يارسول الله أي تأن بنا حتى نفهم كلامك واليهود كانت لهم كلفه عيرانية يتسايون بها فيما بينهم فلما سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خطبوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك السبوت يضحكون فيها بينهم فسمعهم سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لن سمعتم من أحد منكم يقول راعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرين عنقه قال أولستم تقولونها فنهى المؤمنين عنها وأمرها بلفظة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظروا) أي انظروا البناء والمقصود منه أن العلم إذا انظر إلى الشيء كان اتينا له كالمعلم على نعمت الأفهام أقوى وقيل لا تجعل علينا نقاله ابن زيد (واسمعوا) أي أستمعوا ما يوقله النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذان وافية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجون إلى الاستعانة (والكافرين) أي اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (ما يوذ الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا للشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خبير من ربكم) أي ما يحب اليهود كذب بن الأشراف وأصحابه ومشركو العرب أبو جهل وأصحابه أن ينزل عليكم وحى من ربكم لأنهم يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أي بوجه (من يشاء) أي من كان أهلا لذلك وهو محمد ﷺ (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار أن محمدا يأمر أصحابه بأمرهم فيها معنو يأمرهم بخلافها يقولوا لا من تلقاه نفسه نزل قوله تعالى (مانسخ من آية أو ننسخها نأت بخير منها أو مثلها)

وأمرهم أن يقولوا بديل راعنا انظروا أي انظروا أينما نهيتمكم ما تقول (واسمعوا) أي أطعوا وأتروا هذه الكلمة (ما يوذ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا للشركين) أن ينزل عليكم من خبير من ربكم والله يختص برحمته بنبوته (من يشاء) مانسخ من آياتنا ونفسها أي ما نرفع آياتهم جهة النسخ بأن نبتل حكمها ولا نساءلها بمحوها عن القلوب (نأت بخير منها) أي أبلغ من خيراها وأضع لهم وأسأل عليهم وأكره لأجرهم (أو مثلها) في اللغة والثبوت

(ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) نزلت هذه الآية حين قال للشركون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله وإذا بدلنا آية مكان آية الآية (ألم تعلم أن الله له ملك) (٢٩) السموات والأرض) يصل فيها

ما يشاء وهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتبعدهم به من تاسخ وتبديل (ومالككم من دون الله من ولي) والى والى أمركم وقيام به (ولانصير) ينصركم وفي هذا تحذير من عذابه إذا لم آمن منه (ألم تر يدون) أي بل تر يدون (ان تسألوا رسولكم) محمداً صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان قريشاً قالوا يا محمد اجعل لنا آية فذهبوا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقتربوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا أرنا الله جهره وذلك ان السؤال بتقديم البراهين كسر ولذلك قال (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) فصدمو وسطه (ود كثير من أهل الكتاب) الآية نزلت حين قالت اليهود للسلميين بقتل نبيهم (ألم تر إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فذلك قوله عز وجل (لو يردونكم

قراً ابن عامر ينسخ بضم النون الأولى وكسر السين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ننسا بفتح النون الأولى والسين وبهمزة ساكنة بعد السين أي ما تبدل آية إيماناً بآية نيل حكمها فقط أو تلاوتها فقط أو بطلها مما أوتىكم كما كانت فلا تبدلها نأت بأفع من للتبديل وأخف العمل بها وأوتأت بمثلها في الثواب والنفع والعمل أو يقال مانع من آية قد عمل بها أو توتر نسخها فلا تفرق تلاوتها ولا زيل حكمها نأت بمها أو انفع بالعادي السهولة كنسخ وجوب مصادرة الواحد عشرة من الأعداد بوجوب مصادرة ثلاثين أو في كثرة الأجر كنسخ التخير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم أو نأت بمثلها في التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال صخرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فيها متساويان في الأجر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وهذا تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على قدرته تعالى على تصرف الكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وأنه لا دافع للأمر ولا مانع لا اختار (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى إنما حسن منه التكليف لمحض كونه مالكاً للخلق مستولياً عليهم لا لتأويل يحصل ولا لعقاب يندفع (ومالككم) يا معشر اليهود (من دون الله) أي غيره (من ولي) أي قريب منكم (ولانصير) يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولي والتبصير بأن الولي قد يعجز عن النصرة والتبصير فيكون أجبياً عن النصرة ولما قالت اليهود يا محمد اتنا بكتبكم من السماء جملة كآتي موسى بالثورة نزل قوله تعالى (ألم تر يدون) أي أن تر يدون (أن تسألوا رسولكم) أي الرسول الذي جاءكم (كاسئل موسى) أي سأله بنو إسرائيل رؤية الرب وغير ذلك (من قبل) أي من قبل هذا الرسول (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) أي ومن غتر الكفر على الإيمان أي بأن يأخذ الكفر بدل الإيمان فقد أخطأ الطريق للمستوى أي الحق (ود كثير من أهل الكتاب) أي من أحبار اليهود كتب بن الأشرف وحسي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب (لو يردونكم) يا عمار ويا حذيفة ويا معاذ بن جبل (من يدعيانكم) بمحمل القرآن (كفرا) أي تمنى كثير من اليهود أن يصير وكم من يدعيانكم مرتدين روى ان فنحاص بن عاذور أو زبد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة وعمار بن ياسر بملوكة أحلاماً تر ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف تقض العهد فيكم قالوا أمرهم شديد قال فاني قد عاهدت الله تعالى أني لا أكفر بمحمل ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صاب وقال حذيفة أما أنا فقد ضربت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبالقرآن أملاً وبالكعبة قبله وبالوثنين اخواناً ثم أنبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراء بذلك فقال أسبأ خيراً وأقمتنا فأنزلت هذه الآية (حسداً من عند أنفسهم من يدعيانكم لهم الحق) في كتابهم ان محمداً هو الحق وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك فقال أني لمعي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال أرى معادته أيام الحياة فهذا حكم الحسد (فاعفوا) أي اتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أي أعرضوا عنهم فلا تؤامروهم (حتى يأتي الله بأمره) فيهم أي يقتل بن قريظة ويبيهم واجلاء بني النضير واذلهم بضرب الجزية

من يدعيانكم كفرا أحسداً من عند أنفسهم) أي في حكمهم ويتدينهم بما يؤمروا به (من يدعيانكم لهم الحق) في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينهم (فاعفوا واصفحوا) وأعرضوا عن مساوي أخلاقهم وكلامهم وظلوا بهم (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال

(وقالوا لن يدخل الجنة) الآية أي قالت اليهود لن يدخل الجنة الامن كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا النصارى (تلك امانهم) التي منحوها على الله باطلا (قل هاتوا) (٣٠) برهانكم) قربوا حجتكم على ما تقولون ثم بين من يدخلها فقال (بل) عليهم أو ياذنه في القتال (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والاجلاء

يدخلها (من أسلم وجهه لله) انقاد لأمره وبذله وجهه في السجود (وهو محسن) مؤمن مصدق بالقرآن (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) الآية قدم وفد نجران فتنازعوا مع اليهود وكفر كل واحد من الفريقين الآخر وقوله (وهم يتلون الكتاب) يعني أن الفريقين يتلون التوراة وقد وقع بينهما هذا الاختلاف وكتابتها واحد فدل بذلك على ضلالتهم (كذلك قال الذين لا يملكون) يعني كفار الأمم للباطنية وكفار هذه الأمة (مثل قولهم) في تكذيب الأنبياء والاختلاف عليهم فقبيل هؤلاء الذين يتلون الكتاب كسبيل من لا يعلم الكتاب من للسكرين في الانكار لدين الله (فانه يحكم بينهم) الآية أي يرى بهم عيانا من يدخل الجنة ويدخل النار (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) يعني يمت للقدس ومحاربه زلت في الروم حين خربوا بيت المقدس (أولئك) يعني أهل الروم (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) لم يدخل بيت المقدس بمدان عمره المسلمون روى الاخلاقا لوعلم به قتل

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الواجبين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالقوة والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي عمل صالح أي أي شيء من الطلوعات تقدموه لصلحة أنفسكم (محبوه عند الله) أي تجتدوا ثوابه مدخرا عند الله (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل (وقالوا) عطف على ود (ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى) أي قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولادين الا دين اليهودية وقالت نصارى نجران لن يدخل الجنة الا النصارى ولادين الا دين النصرانية وقرأ أبي ابن كعب الامن كان يهوديا أو نصرانيا أي قالوا ذلك لما تناظروا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (تلك) أي الأمان الباطلة وهي أمانيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم (امانهم) أي متبنياتهم على الله ما ليس في كتابهم (قل) يا أشرف الخلق (هاتوا برهانكم) أي أحضروا حجتكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) في مقاتلتكم (بل) يدخل الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أي من أخلص نفسه لله لا يشرك به شيئا (وهو محسن) في جميع أعماله (فله أجره) الذي وعد له على عمله (عند ربه) أي في الجنة (ولا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم أناهم أخبار اليهود فتخاصصوا في الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أتم على شيء من الدين وقالت النصارى لليهود ما أتم على شيء من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود) أي يهود المدينة (ليست النصارى على شيء) أي أمر يتد به من الدين قاله رافع بن سمرارة فكفر ببسبى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) قاله رجل من أهل نجران فكفر بموسى والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أي الفريقان (يتلون الكتاب) للزحل عليهم ويقولون ما ليس فيه وكان حق كل منهم أن يقر بحقيقة دين خصمه بحسب ما ينطق به كتابه فان في كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أي مثل ذلك الذي سمعته به (قال الذين لا يملكون) كتاب الله قال السدي هم العرب وقال عطاء هم ما كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما ابن جرير (مثل قولهم) بدل من كذلك بيان للكاف أي لأهل كل دين أنهم ليسوا على شيء (يصح فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يخلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وقال الحسن أي فانه يكذبهم جميعا ويدخلهم النار (ومن أظلم) أي لأحد أظلم (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) الصلاة والتسبيح (وسى) أي عمل (في خرابها) بالمهدم والتعطيل بانقطاع الذكر (أولئك) للامنون الساعون في خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد البتة وخشوع وقيل معنى هذه الجملة النبي عن تمكين الكفار من الدخول في المساجد واختلاف الأمة في ذلك فجوز ما يؤخف مطلقا ومنع مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنهم قرئوا في كتاب الله ان هذه الآية نزلت في شأن مشركي العرب الذين منعوا رسول الله ﷺ عن الصلاة الى الله بمكة وأجأوه الى الهجرة

من الصحابة سافروا
فأصابهم الضباب ففجروا
القبلة وصلوا إلى أمتاء
مختلفة فلما ذهب الضباب
استبان لهم أنهم لم يصيبوا
فلما قدموا سألو النبي
صلى الله عليه وسلم عن
ذلك وقوله (فأينما تولوا
فثم وجه الله) أي فأينما
تولوا وجوهكم فثم هناك
وجه الله قبله الله وجهه
التي تصيدكم بالتوجه إليها
(إن الله واسع) أي واسع
الشريعة يوسع على
عباده في دينهم (وقالوا
اتخذ الله ولدا) يعني
اليهود في قولهم عزير
ابن الله والنصارى في
قولهم المسيح ابن الله
والشركيين في قولهم
للالئكة بنات الله ثم
نزه نفسه عن الولد
فقال (سبحانه بل)
أي ليس الأمر كذلك
(له ما في السموات
والأرض) عبيدا أو
ملكا (كله قاتنون)
أي مطيعون يعني أهل
طاعته دون الناس
أجمعين (يدعي السموات
والأرض) أي خالقهما
وفوجدهما لأعلى مثال
سبق (وإذا قضى أمرا)
دبره وأراد خلقه (فأما

فصاروا مانعين له ولأصحابه أن يدركوا الله في السجود الحرام وقد كان الصديق رضي الله عنه في
مسجدا عند داره ففتح وكان من يؤذيه ولدان فريش ونساقهم وقيل أن أبا بكر رضي الله عنه كان له
موضع صلاة غفر به فريش لما هاجر ومن طريق القنوي عن ابن عباس أنهم النصارى كانوا أهل عن ابن
عباس أن طيطيوس بن اسديانوس الرومي ملك النصارى وأصحابه غزوا بني إسرائيل وقتلوا مقاتلتهم
وسبوا ذراريرهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا في الجفيف وذبحوا فيه الخنازير ولم
يزل بيت المقدس خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر رضي الله عنه ومعنى هذه الآية حيث نذ لأحد
أظلم في كفره من خرب بيت المقدس لكيلا يذكر فيه اسمه بالتوحيد والأذان وعمل في خرابه من لقاء
الجفيف فيه أولئك أي أهل الروم ما كان لهم أمن في دخوله المستخفين من المؤمنين مخافة القتل
وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أي مسجد كان (لم في الدنيا خزي) أي هوان بالقتل
والسبي وضرب الجزية عليهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله الشرف
والغرب) أي له تعالى كل الأرض فان منعم أن تصالوا في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد
جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما تولوا) وجوهكم في الصلاة بأمره (ثم) أي هناك (وجه
الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء واللام أي فأينما توجهوا إلى القبلة فثم مرضاة الله (إن
الله واسع) برحمته يريد التوسعة على عباده (علم) بمصالحهم وأعمالهم في الأمان كلها أي إن الله
تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة فين تعالى إن المشرق والغرب
وجميع الجهات مملوكة تعالى فأينما أمر الله باستقباله فهو القبلة لأن القبلة ليست قبلتها بل إن الله
تعالى جعلها قبلته فان جعل الكعبة قبلته فلا تنكروا ذلك لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن
عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكروا اليهود ذلك فزلت هذه الآية رداعليهم وقال أبو مسلم
إن اليهود أنما استقبلوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا أن الله تعالى ضد السماء من الصخرة والنصارى
أنما استقبلوا المشرق لأن عيسى عليه السلام ولد هناك فرد الله عليهم بهذه الآية (وقالوا اتخذ الله
أى صنع (ولدا) وقرأ ابن عمر قالوا بنبروا وقبل القاف أي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقال مشركوا العرب اللاتكة بنات الله فقال الله تعالى رداعليهم (سبحانه) وهي كلمة
تثني به يثني الله تعالى بها نفسه عما قاله (بل له ما في السموات والأرض) وللكعبة ثناني الولدية أي
ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جعلها عزير والمسيح ولللاتكة (كله
قاتنون) أي كل ما في السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى شيء منهم على تكونه ومشيئته
فالطاعة هنا طاعة الإرادة لا طاعة العبادة (يدعي السموات والأرض) أي موجدتهما بلامثال
(وإذا قضى أمرا) أي إذا أراد إيجاد شيء (فأما يقول له كن فيكون) أي أحدث فيحدث وقوله
كن تمثيل لسهولة حصول المقصودات بحسب تلقى مشيئته تعالى وتصوره لسرعة حدوثها من غير توقف
كطاعة الأمور للطبع للأمر القوي الطالع ولا يكون من للأمر الإياه وقرأ ابن ماسر كن فيكون
بالنصب في كل القرآن إلا في موضعين في أول آل عمران في قوله تعالى كن فيكون الحق من ربك وفي
الأنعام في قوله تعالى كن فيكون الحق فانه رفضا وقرأ الكسائي بالنصب في النحل ويس وبالرفع
في سائر القرآن والباقيون بالرفع في كل القرآن أمثال النصب فعلى جواب الأمر وأما الرفع فباعلى أنمخير
مبتدأ مخفوف أي فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من حيث للشيء كما هو قول
الفارسي (وقال الذين لا يملكون) للشيء صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن حرملة كما

لن تؤمن لك حتى يكمن الله أنك رسوله (أو تأتينا آية) يعني مأساؤه من الآيات الأربع في قوله وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا والآيات ومعنى لولا يكمن الله هلا يكمن الله أنك رسوله (كذلك قال الذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الحالية والآيات كقولهم قالوا (مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى أشبه بعضها

(٣٣)

كفروا من التعتن بطلب

أخبر جبرير عن ابن عباس أو النصارى كإفاله وصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والتبوة كما ينبغي أوهم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكمن الله) أى هلا يكمن الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهي كما يكلم للملائكة أو موسى وهلا ينص على نبوتك وهذنا منهم استكبار (أو تأتينا آية) أى فإن كان الله تعالى لا يفضل ذلك فلم لا يفضلك بآية ومعجزة تأتينا وهذا منهم انكار في كون القرآن آية ومعجزة لأنهم لو أقروا بكونه معجزة لاستحال أن يقولوا ذلك ثم أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أى مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين من قبلهم) أى من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) في التشديد وطلب الآيات فقالوا أرنا الله جبره وقالوا لن نصاب على طعام واحد وقالوا اجعل لنا لها وقالوا هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) أى توافق قلوبهم مع آياتهم واستوت قلوبهم في الكفر والعناد (قد بينا الآيات) أى زلناها بينة (لنؤمنون) أى يطلبون اليقين وحصل هذا الجواب من الله تعالى أنقادا بدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبيننا قوله بالآيات وهي القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوائد من باب التعتن وإذا كان كذلك لم يجب اجابتها (اننا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى اننا أرسلناك ملتسبا بالقرآن والدين لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنظرا لمن كفر بك وضل عن دينك أو للنفى اننا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالتواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أى ولست بمسؤول عنهم ملهم لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعدما بلغت ما أرسلت به وقرأ نافع بالجزم وفتح التاء على النهي أى لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التي تكون لهم القيامة ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وذلك اعلام بكمال شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أى لن ترضى عنك يهود المدينة ولو خلتهم وشأنهم حتى تتبع دينهم وقبيلهم ولن ترضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبيلهم (قل ان هدى الله هو الهدى) أى قل لهم يا أشرف الخلق ردا لقولهم لك لن ترضى عنك حتى تتبع ديننا أن دين الله هو الاسلام وان قبلنا الله هي الكعبة (ولئن اتبعت) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (أهواءهم) أى أقوالهم التي هي أهواء النفس وهي المبرعها أولا بقوله تعالى ملتهم اذهبهم الذين يتنسبون إليها أما الحقيقة الحقيقية من الله فقد غيروها تغييرا أى والله لئن اتبعت ملتهم وقبيلهم (بعد الذي جاءك من العلم) أى من الدين المعلوم محته في أن دين الله هو الاسلام وقبلنا الله هي الكعبة (مالك من الله) أى من عذاب الله (من ولي) أى قريب بشفعة (ولا نصير) يمتك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه وبخيرا الراغب وأصحابه وأنجاشي وأصحابه

بعضا في الكفر والقسوة ومبأساته المحال (قد بينا الآيات لقوم يوفون) أى من أيقن وطلب الحق فقد أتته الآيات لان القرآن برهان شاف (اننا أرسلناك بالحق) بالقرآن والاسلام (أى معك الحق) (بشيرا) مبشرا للمؤمنين (ونذيرا) مخوفا ومخبرا للكافرين (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أى لست بمسؤول وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الله عز وجل أنزل بأسه باليهود لآمنوا فأنزل الله هذه الآية أى ليس عليهم شأنهم عهدة ولا تبعة (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) الآية زلت في تحويل القبلة وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرجون أن يرجع محمد صلى الله عليه وسلم الى دينهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم

فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم يعني دينهم

يشاونه

وتصلى الى قبيلتهم (قل ان هدى الله هو الهدى) أى الصراط الذي دعا اليه وهدى اليه وهو طريق الحق (ولئن اتبعت أهواءهم) يعني ما كانوا يدعونه اليه من الهادنة والاهمال (بعد الذي جاءك من العلم) أى اليقين بأن دين الله هو الاسلام وانهم على الضلالة (الذين آتيناهم الكتاب) يعني مؤمني اليهود

(يتلوه حتى تلاوته) قرأوه كما أنزل ولا يحرقوه (واذ ابنتي ابراهيم) اختبر (٣٣) أي عامله عاملة المختبر (بكلات)

هي عشر خصال خمس في الرأس وهي الفرق والضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وخمس في الجسد وهي تقليم الأظفار وحلق العانة والحتان والاستنجاء وتنف الاطمين (فأتمن) أي أدامهن ثلمات غير ناقصات فقال الله تعالى (إني جاعلك للناس إماما) تقتدى بك الصالحون فقال ابراهيم (ومن ذريتي) أي ومن أولادي أيضا فأجل أمة يقتدى بهم فقال الله تعالى (لإنيال عهدي الظالمين) يريد من كان من ولدك ظلما لا يكون اماما ومعنى عهدي تنبؤي (واذ جئنا البيت) يعني الكعبة (مثابة للناس) معادا يهودون اليه لا يقضون منه وطرا كلها انصرفوا اشتاقوا اليه (وأمننا) أي آمننا وكانت العرب يرى الرجل منهم قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له فأما اليوم فلا يهاجم الجاني اذا التجأ اليه عند أهل النزاع وعند الشافعي الأولى بأن لا يهاجم فإن أخيف بأقامة الحد عليه جازي

(يتلوه حتى تلاوته) أي يقرأونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخوضون عند تلاوته ويثبتون أمره ونهيه لمن سألهم (أولئك يؤمنون به) أي بكتابتهم وبمتشابهه ويتوقفون فيما أشكل عليهم منه ويقرضونه إلى الله تعالى ويعملون بحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب للوثني بأن يغيره (فأولئك هم الكافرون) حيث اشترؤا الكفر بالآيات (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة إنما يكون بشكرها وشكرها الآيات بجميع ما فيها ومن لازم الآيات بها الآيات بنينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن نعت النبي من جملة ما فيها (وأتى فضلكم) بالاسلام (على العالمين) أي للوجودين في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (النجزي نفس عن نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعا شفاعة ولا هم ينصرون) أي ينعون عما يرد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة ابراهيم توبيخا لأهل اللل الخالفين وذلك لأن ابراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قدما وحديثا فالشركون كانوا متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادى بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بأنهم من أولاده فحكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه لأن ما أوجب الله تعالى على ابراهيم جاء به محمد كإفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (واذ ابنتي ابراهيم ربه بكلات) أي بأوامر ونواه قيل قال ابن عباس وقتادة هي مناسك الحج كالاحرام والطواف والسعي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعهم وهي ست في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس أي فرق شعره إلى الجانب الايمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالحتان وحلق العانة وتنف الاطمين وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وقرأ ابن عباس وأبو حنيفة ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصير به ولغني ان ابراهيم دعاه به بكلات من البعاء كفعل المختبر هل يجيبه الله تعالى أم لا (فأتمن) أي قام بها حق القيام وأدامها أحسن التأكيد من غير تفرقة (قال) تعالى له (إني جاعلك للناس إماما) أي قدوة في الدين إلى يوم القيامة والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله مستقلا بالشرع وأن يكون نبيا اذ لم يبعث بعده نبي الاكلان من ذريته مأمورا باتباعه في الجلالة (قال) أي ابراهيم (ومن ذريتي) أي وأجل من بعض أولادي أمة يقتدى بهم في الدين (قال) الله (لإنيال عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالامامة والنبوة الكافرين وكل عاص فانه ظالم لنفسه وقرأ قتادة والأعمش وأبو رجاء الظالمون رضا للفاعلية وعهدي مفقولة وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبار مطلقا (واذ جئنا البيت) أي جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم فانهم يثوبون اليه كل عام بأعيانهم أو بأمانهم كما قاله الحسن أول الراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يمتنئى الود اليه كما قاله ابن عباس وبجاءه وأولتي جئنا الكعبة موضع ثواب شاؤون بحججه واعتباره (وأمننا) أي موضع آمن لمن يسكنوه يلجأ اليه من الاعناء والمخوف وللشيخ وأمان من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب فاقبله وحمل بعضهم هذه الكعبة على الامر على سبيل التأويل ولغني ان الله تعالى أمر الناس بأن يجعلوا ذلك للوضع آمنان النار والقنل فكان البيت

فقد قال كثير من المفسرين من شاء آمن ومن لم يشأ لم يؤمن كما أنه للمجاهدين من شاء ثلثون من يشأ لم يشأ

وهو أنه تسن الصلاة خلف
للقام (وعهدنا الى ابراهيم
واسماعيل) أمرناهما
وأوصينا بهما (أن طهرا
يتى) من الأوثان والرب
(واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا) أى هذا
للكان وهذا الوضع
(بلدا) أى مسكنا (أمتنا)
ذا أمن ليعاد طيره ولا
يقطع شجره (وارزق أهله
من الثمرات) أى أنواع
حمل الشجر (من آمن
منهم بالله واليوم الآخر)
خص ابراهيم بطلب
الرزق للمؤمنين قال الله
تعالى (ومن كفر فأمتنه
قليلًا) فسأرزقه الى
منتهى أجله (ثم أضطره)
ألجئته فى الآخرة (الى
عذاب النار وبئس
المصير) هى (واذ يرفع
ابراهيم القواعد من
البيت) أى أصول الأساس
(واسماعيل) ويقولان
(ربنا تقبل منا) تقر بنا
التيك ببناء هذا البيت
(إناك أنت السميع)
لضعائنا (العلم) بما فى
قلوبنا (ربنا واجعلنا
مسلمين لك) أى مطيعين
متقادين لحكمك (ومن
ذريتنا أمة) أى جماعة
(مسلمة لك) وهم المهاجرون
والأنصار والتابعون لهم
باحسن (وأرأيتنا سكتنا) عرفنا متباعدنا (ربنا وابشعهم) فى الأمة للسلة (رسولا

محرما بحكم الله تعالى (واخذوا من مقام ابراهيم مصلى) روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن
ابراهيم عليه السلام كان يبنى البيت واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إناك أنت
السميع العليم فلما ارتفع البناء وضع ابراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم
عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وعاصم والكسائي واخذوا بكسر الحاء على صيغة
الأمر قال قتادة والسدى أمروا أن يصلا عنده وعلى هذا فهذه الجملة كلام اعترض فى خلال
ذكر قصة ابراهيم عليه السلام فكانه تعالى قال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمانا واتخذوا آية
يامنة محمد من مقام ابراهيم مصلى والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمانا فأتخذه قبة
لأنفسكم وقرأ تافع وابن عامر واخذوا بفتح الحاء على صيغة الماضى فهو اخبار عن ولدا ابراهيم انهم
اتخذوا من مقامه مصلى (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أى أمرناهما (أن طهرا يتى) أى بأن
أساءه على التقوى وقيل معناه عرف الناس أن يتى طهره متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه (الطائفتين
والمكنتين والركم السجود) جمع ركن وساجد فالمراد بالطائفتين من يقصد البيت حاجبا ومعتبرا
فيطوف به وبالمكنتين من يقيم هناك ويحاور وبالركم السجود من يصلى هناك قال عطاء فاذا كان
الشخص طائفا فهو من الطائفتين واذا كان جالسا فهو من المكنتين واذا كان مصليا فهو من الركن
السجود ثم إذا فسرا الطائفتين بالقرىاء فحيث تبدل الآية على أن الطواف للثر بأفضل من الصلاة فرى
عن ابن عباس وعطاء أن الطواف لأهل الأعمار أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلدا آمنا) أى كثيرا لحجب فان الدنيا اذا طلبت ليتقوى بها على
الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين فاذا كان البلد آمنا وحصل فيه الحجب نفع أهل طاعة الله
تعالى وأيضا ان الحجب ما يدعو الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله فى الطاعة (وارزق أهله)
أى الحرم (من الثمرات) وقد حصل فى مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى
أن الطائف كانت من بلدان الشام فى أردن فلما دعا ابراهيم بهذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه
السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الآن فنهى أكثر ثمرات مكة
(من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البض خصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة
لحسن الأدب وفى ذلك ترغيب لقومه فى الإيمان (قال) تعالى (ومن كفر) أى أرزقه (فأمتنه)
بالرزق (قليلًا) أى مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (ثم أضطره) أى ألجئته فى الآخرة (الى
عذاب النار وبئس المصير) هى النار (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) أى واذا يرفع
ابراهيم واسماعيل الجدران التى هى من البيت أى التى هى بعضه للمستتر من الأرض قيل بنى ابراهيم
البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيناو لبنان والجودى وأسمن حراء وجابجريل عليه
السلام بالحجر الأسود من السماء وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما استه الحصى فى الجاهلية
أسود يقولان (ربنا تقبل منا) بئنا بيتك (إناك أنت السميع) لدعائنا (العلم) ببنائنا فى جميع
أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أى مخلصين (لك) بالتوحيد والمعبادة لان عبد الإياك (ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك) أى واجعل بعض أولادنا جماعة مخلصين لك (وأرأيتنا سكتنا) أى علمنا سنن حجنا
(وتب علينا) أى تجاوز عن تقصيرنا والعبد وان اجتهد فى طاعة ربه فإنه لا ينفك عن التقصير
من بعض الوجوه اعطى سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الدعاء لأجل ذلك
(إناك أنت التواب) أى المتجاوز لمن تاب (الرحيم) به (ربنا وابشعهم) أى فى ذريتنا (رسولا

منهم) أى من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال نادعوه أى اخرجهم من
 حديث العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أى يذكرهم بالآيات ويدعوهم بها ويحلمهم
 على الإيمان بها (ويعلمهم الكتاب) أى يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب
 وحقايقه (والحكمة) قال الشافعي رضى الله عنه الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 قول قتادة (ويزكهم) أى يظهرهم من شركهم (إنك أنت العزيز) أى القادر الذى لا يئلب
 (الحكيم) أى العالم الذى لا يجهل شيئا منها سؤال ماله الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد بن باب الصلاة
 حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فجوابه أن ابراهيم
 دعا ل محمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على السقاة محمد إلى يوم القيامة أداء من حق واجب
 على محمد ل ابراهيم والجواب الثاني أن ابراهيم سأل به بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أى
 أبقي لى نناء حسنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله تعالى بقرن بين ذكرهما بقاء لثناء الحسن
 على ابراهيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أباً لله ومحمداً كان أباً للرحمة
 وفي قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا
 لكم مثل الوالدائى في الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الآوة من وجه قرن بين
 ذكرهما في باب لثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمداً كان
 منادى الإيمان فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجليل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أى
 لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أى فلم يفكر في نفسه فيستبدل
 بما يحبه فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته ثم يستبدل بذلك على محبة نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم (ولقد اصطفينا في الدنيا) أى اخترناه في الدنيا للرسالة فمن دنس سائر الخليفة وعرفناه
 للملة التى هي جامعة للتوحيد والعدل والشرائع (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أى مع آياته له السليل في
 الجنة (اذ قال له رب) عند استدلاله بالكوأبوالقمر والشمس وإطلاعه أمارات الحلوث فيها وذلك
 قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أى فرد في مقاتلك وقيل لاله الا الله
 (قال أسلمت رب الملائين) ويقال قال له رب حين دعا قومه الى التوحيد أسلم أى أخلص دينك وعملك
 فله قال أسلمت أى أخلصت ديني وعملى لله رب الملائين ويقال قال له رب حين أتيت في النار أسلم نفسك
 الى قال أسلمت نفسي قد رب الملائين أى فوضت امرى اليه وقد حقق ذلك حيث لم يستغن بأحلمن
 للملائكة حين أتيت في النار (وصى) وقرأنا في ابن عباس وأوصى بهززة مفتوحة قبل واوصا كنة
 (به) أى باتباع للملة (ابراهيم بنه) وكانوا غانية اسماعيل وهو أول أولاده وأمه هاجر القطبية
 واسحاق وأمسارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران وأشباق وشوح أمهم قنطوره
 السكناعية تزوجها ابراهيم بعد وفاة مسارة (ويقوب) والأشهر أنه مطوف على ابراهيم ويجوز
 كونه مبتدأ مخوف الخبر والخبر أن يقوب وصى كوصية ابراهيم وقرى بالنصب عطفنا على بنه والمعنى
 وصى بها ابراهيم بنه وناقلته يقوب (يا بى) هو على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى
 عند الكوفيين لأننى معنى القول (ان الله اصطفى) أى اختار (لكم الدين) أى دين الاسلام الذى
 هو صفوة الأديان (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أى فأتبشوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين
 له تعالى بالتوحيد والعبادة روى أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تعلم أن يقوب
 أوصى بنه باليهودية يوم مات فزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أى كنتم يا مشرك اليهود حضراء
 شهداء أى حضورا

منهم) أى من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال نادعوه أى اخرجهم من
 حديث العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أى يذكرهم بالآيات ويدعوهم بها ويحلمهم
 على الإيمان بها (ويعلمهم الكتاب) أى يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب
 وحقايقه (والحكمة) قال الشافعي رضى الله عنه الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 قول قتادة (ويزكهم) أى يظهرهم من شركهم (إنك أنت العزيز) أى القادر الذى لا يئلب
 (الحكيم) أى العالم الذى لا يجهل شيئا منها سؤال ماله الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد بن باب الصلاة
 حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فجوابه أن ابراهيم
 دعا ل محمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على السقاة محمد إلى يوم القيامة أداء من حق واجب
 على محمد ل ابراهيم والجواب الثاني أن ابراهيم سأل به بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أى
 أبقي لى نناء حسنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله تعالى بقرن بين ذكرهما بقاء لثناء الحسن
 على ابراهيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أباً لله ومحمداً كان أباً للرحمة
 وفي قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا
 لكم مثل الوالدائى في الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الآوة من وجه قرن بين
 ذكرهما في باب لثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمداً كان
 منادى الإيمان فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجليل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أى
 لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أى فلم يفكر في نفسه فيستبدل
 بما يحبه فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته ثم يستبدل بذلك على محبة نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم (ولقد اصطفينا في الدنيا) أى اخترناه في الدنيا للرسالة فمن دنس سائر الخليفة وعرفناه
 للملة التى هي جامعة للتوحيد والعدل والشرائع (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أى مع آياته له السليل في
 الجنة (اذ قال له رب) عند استدلاله بالكوأبوالقمر والشمس وإطلاعه أمارات الحلوث فيها وذلك
 قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أى فرد في مقاتلك وقيل لاله الا الله
 (قال أسلمت رب الملائين) ويقال قال له رب حين دعا قومه الى التوحيد أسلم أى أخلص دينك وعملك
 فله قال أسلمت أى أخلصت ديني وعملى لله رب الملائين ويقال قال له رب حين أتيت في النار أسلم نفسك
 الى قال أسلمت نفسي قد رب الملائين أى فوضت امرى اليه وقد حقق ذلك حيث لم يستغن بأحلمن
 للملائكة حين أتيت في النار (وصى) وقرأنا في ابن عباس وأوصى بهززة مفتوحة قبل واوصا كنة
 (به) أى باتباع للملة (ابراهيم بنه) وكانوا غانية اسماعيل وهو أول أولاده وأمه هاجر القطبية
 واسحاق وأمسارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران وأشباق وشوح أمهم قنطوره
 السكناعية تزوجها ابراهيم بعد وفاة مسارة (ويقوب) والأشهر أنه مطوف على ابراهيم ويجوز
 كونه مبتدأ مخوف الخبر والخبر أن يقوب وصى كوصية ابراهيم وقرى بالنصب عطفنا على بنه والمعنى
 وصى بها ابراهيم بنه وناقلته يقوب (يا بى) هو على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى
 عند الكوفيين لأننى معنى القول (ان الله اصطفى) أى اختار (لكم الدين) أى دين الاسلام الذى
 هو صفوة الأديان (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أى فأتبشوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين
 له تعالى بالتوحيد والعبادة روى أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تعلم أن يقوب
 أوصى بنه باليهودية يوم مات فزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أى كنتم يا مشرك اليهود حضراء
 شهداء أى حضورا

(اذخضر يعقوب اللوث) وذلك أن اليهود قالت لثي صلى الله عليه وسلم أنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأكد لهم
الله تعالى وقال أكنتم حاضرين وصيته (٣٣)

(اذخضر يعقوب اللوث) بماذا أوصى بنيه باليهودية أو بالإسلام أى حضره أسباب اللوث (اذقال
لبنيه مات يعقوبون من بعدى) أى أى شيء تصبونه بعد موتى (قالوا نعبد الملك والاله أبائكم ابراهيم
واسماعيل واسحق والمواحد) ونحن له مسلمون (أى مقرون بالعبادة والتوحيد (نلك) أى
ابراهيم ويعقوب وبنوهما (أمة) أى جماعة (قد خلت) أى مضت باللوث (لها) أى
لنلك الأمة (ما كسبت) من الخير أى جزاؤه (ولكم) أى يامعشر اليهود (ما كسبت) أى
جزاء ما كسبتموه من العمل (ولاستألون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) كما لاستألون
عن عملكم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا صفية عمه محمد يا فاطمة بنت محمد أتوفى
يوم القيامة بأعمالكم لأبائكم فأتى لأغنى عنكم من الله شيئاً وقال ومن أيضاً به عمله لم يسرع به نسبه
(وقالوا كونوا هوداً أو نصارى) أى قالت يهود المدينة للؤمنين كونوا هوداً أى اتبعوا اليهودية وقالت
نصارى نجران للؤمنين كونوا نصارى أى اتبعوا النصرانية (تهتدوا) من الضلالة (قل بل ملة ابراهيم)
أى قل يا أشرف الخلق بل اتبعوا ملة ابراهيم أى بل تكونوا أهل ملة ابراهيم (حنيفاً) أى مستقيماً
مخالفاً لليهود والنصارى منحرفاً عنهما (وما كان من للشركين) أى ما كان ابراهيم على دينهم
وهذا اعلام بطلان دعواهم اتباعاً عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير بن الله والسبح بن الله
(قولوا) أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آتينا الله وما أنزل البنا) وهو
القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط)
وهم بنو يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً وهم يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون ولاوى
ودان وقناني وجادور والون ويشجر ودان والصحف إنما أنزلت على ابراهيم لكن لما كانوا
متعبدين بذلك الصحف كانوا داخلين تحت أحكامها فكانت منزلة اليهم أيضاً كما أن القرآن منزل
البنا (وما أنزل موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أنزل النبيون من ربهم) من كتبهم
والمعجزات (لا يفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل
تؤمن بجميعهم (ونحن له) أى الله (مسلمون) أى مخلصون (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى
(بمثل ما آمنتم بفقد اهدوا) أى فان آمنوا بالتوراة من غير تصحيف وتحريف كما أنكم
آمنتم بالقرآن من غير تصحيف وتحريف فقد اهدوا لأنهم يتوصلون بذلك الى معرفة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وأولئك فان صاروا مؤمنين بمثل ما به صرنا مؤمنين فقد اهدوا من الضلالة بدن
عمدوا ابراهيم (وان تولوا) أى أعرضوا عن الإيمان بالبين وكتبهم (فانما هم في شقاق) أى
فانما هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيهم الله) أى سيكفيهم الله شقاقهم
وقد أعجز الله تعالى وعده يقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم (وهو
السميع العليم) فيترك ما يقولون وما يضررون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله) أى اطلبوا
صبغة الله وهي دين الاسلام عبر بهاجن الدين لكونه نظيراً للؤمنين من أضرار الكفر وحلية
تزينهم بها ثارهم الجميلة ومتداخلاً في قلوبهم كما أن شأن الصبيغ بالنسبة الى الثوب كذلك كافيلاً بما

واسماعيل واسحق والها
واحدوا ونحن لهم مسلمون
نلك أمة) بنى ابراهيم
وبنيه ويعقوب وبنيه
(قد خلت) أى مضت (لها)
ما كسبت) أى من العمل
(ولكم) يعنى معشر اليهود
(ما كسبت) أى حسابهم
عليهم (ولا تستألون عما
كانوا يعملون) وانما تستألون
عن أعمالكم (وقالوا)
كونوا هوداً أو نصارى)
وزلت في يهود للدينة
ونصارى نجران قال كل
واحد من الفريقين للؤمنين
كونوا على ديننا فلا دين
الا ذلك فقال الله (قل
بل ملة ابراهيم) أى بل
تتبع ملة ابراهيم (حنيفاً)
أى ما تلا عن الأديان كلها
الأدين الاسلام ثم أمر
للؤمنين أن يقولوا آمنا
بالله وما أنزل البنا) يعنى
القرآن (وما أنزل الى
ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب والأسباط)
وهم أولاد يعقوب وكان
فيهم أنبياء لنلك قال يوما
أنزل اليهم وقوله (لا يفرق
بين أحد منهم) أى
لا تفرق بين بعض وتؤمن
ببعض كما فعلت اليهود

والنصارى (فان آمنوا بمثل ما آمنتم) أى ان أتوا بتصديق مثل تصديقكم وكان إيمانهم
كإيمانكم (فقد اهدوا) أى فقد صاروا مسلمين (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما هم في شقاق) أى خلاف وعداوة فسيكفيهم الله ثم فعل
ذلك فكفاه أمر اليهود بالقتل والسبي في قريظة والجلاد والنفي في بنى النضير والنالة والجزية في نصارى نجران (صبغة الله) أى ألزمو دين الله

(ومن أحسن من الله صفة) أي ومن أحسن من الله دنيا (قل) يا محمد يهود والنصارى (أعاجوتنا في الله) أي أخاصصوننا في دين الله وذلك أنهم قالوا ان ديننا هو الأقدم وكنابنا هو الأسبق ولو كنت نبيا لكنت منا (ولنا) (٢٧)

أعمالنا) نحازي بحسنا وسبها وأتم في أعمالكم على مثل سبيلنا (وعن له) غلصون) أي موحدون (أم تقولون ان) الأنبياء من قبل ان نزل التوراة والإنجيل (كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) أي قد أخبرنا الله ان الأنبياء كان دينهم الاسلام ولا أحد أعلم منه (ومن أظلم عن كتم شهادة عنده من الله) هذا نوبيخ لهم وهوان الله تعالى أشهدهم في التوراة والإنجيل انه باعث فيهم محمدا من ذرية ابراهيم فأخذ موافقهم على أن يبينوه للناس ولا يكتموا ثم ذكر تحويل القبلة فقال (سيقول السفهاء من الناس) يعني مشركي مكة ويهود المدينة (ما صرفهم) ما صرفهم يعنون النبي والمؤمنين (عن قبلهم التي كانوا عليها) وهي الصخرة (قل) قد للشرق والغرب) بأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء (مهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أي دين مستقيم ير يد أي قدر ضبط هذه

سعي دين الله بصفة الله لأن اليهود تصبغ أولادها يهودا والنصارى تصبغ أولادها نصارى يعني أنهم يلتصقونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون في قلوبهم فقال تعالى صفة الله أي أتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صفة) أي لاصفة أحسن من صفة تعالى لأنه تعالى يصبغ عباده بالان والابن ويظهرهم به من أوساخ الكفر (وعن له) أي الله الذي أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرها ولسائر نعمه (قل أعاجوتنا في الله) أي في شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لاسمكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأزل عليكم وترؤفكم أحق بالتبوة منا (وهو رشاؤركم) فانه أعلم بتدبير خلقه وبين يصلح للرسالة وبين لا يصلح لها فلا ترضوا على ريبكم فان المبدليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لارجع اليانمن أفعالكم ضرر وانما امرادنا نصحكم وارشادكم (وعن له غلصون) في اليهودية ولستم كذلك فعن أولي بالاصطفاء (أم تقولون) قرأ ما بن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن ماصم بالآه على الخطابية فأما يحصل أن تكون متصلة بمقالة الهزيمة والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد أم باتباع دين الأنبياء وأن تكون منقطعة مقصورة ببل والهزمة دالة على الانتقال من التوبيخ على الحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وقرأه الباقون بالياء على صفة النبوة فأما منقطعة غير داخل تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا لهم لامن جهة رسول الله ﷺ على نهج الالتفات (ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط) أي أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزل التوراة والإنجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف الخلق لهم (أأنتم أعلم) بدینهم (أم الله) فان الله أعلم وخبره أصدق وقدر أخبر في التوراة والإنجيل وفي القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم) أي لأحد أظلم (عن كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لابراهيم عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بنافل عما تملكون) أي تكتمون من الشهادة (تلك أمة قد خلطت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تبشلون عما كانوا يعملون) هذا نكسر ريبك كون وعظا لليهود وزجرا لهم حتى لا يتكلموا على فضل الآباء في كل واحد يؤخذ بعلمه (سيقول السفهاء أي الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لا نكار للنسخ وكرهية التوجه إلى الكعبة والقائل منهم رفاعه بن قيس وقرم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن حرمة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق وقيل هم المنافقون كما قاله السدي لجراد الاشتره والظعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم الطعن في الذين (ما ولاهم) أي أي شيء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس (قل) لهم بأشرف الخلق (فه للشرق والغرب) أي الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا تختص به مكان وانما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (مهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أي موصل إلى السعادة البارين وقدها لنا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أي كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبيل (جعلناكم) أي أمة محمد (أمة وسطا) أي خيارا عبادا لم يوحين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس)

القبلة لمهدى صلى الله عليه وسلم ثم مدح أمته فقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي كاهدناكم صراطا مستقيما جعلناكم أمة وسطا أي عدا لا خيارا (لتكونوا شهداء على الناس) أي لتشهدوا على الأمم قبله في الأنبياء

(ويكون الرسول) على صدقكم (شهيدا) وذلك ان الله تعالى يسأل الأمم يوم القيامة فيقول هل بلغتكم الرسل فيقولون ما بلغنا أحد عنك شيئا فيسأل الرسل فيقولون بلغناهم رسالتك فقصوا فيقول هل لكم شهيد فيقولون نعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم ايهم فتقول الأمم بم عرفوا ذلك وكانوا بعدنا فيقولون أخيرا بذلك نينا في كتابه ثم يزكّيهم محمد ﷺ (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي التي أمت عليها اليوم وهي الكعبة قبلية (الا نعلم من يتبع الرسول) في تصديقه بنسخ

(٢٨)

يوم القيامة أن رسلمهم بلتسم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي يشهد بعد التكبر وى أن الأمم يحجودن تبليغ الأنبياء فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينه على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيؤتي بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم للاضية من أين عرفهم وأتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نمة الصادق فيؤتي بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمة فيزكّيهم ويشهد بعد انهم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه صلى الله عليه وسلم اذا ادعى على أمة أنه بلغهم تقبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهيد يشهد له فسميت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شيء آخر (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ومن يتقلب على عقبيه) أي وما صيرنا لك القبلة الآن لجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة الا لتعلمهم معاملة من يمتحنهم ولعلم حيثئذ من يتبع الرسول في التوجه الى ما أمرهم به يردد عن دين الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم صلى الى الكعبة فلما هاجر أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس أنافا لليهود فصلى اليها سبعة عشر شهرا ثم حول الى الكعبة وارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان) هي الخفية من التلبية أي وانها (كانت) أي التولية الى الكعبة (لكيرة) أي شاققة على الناس (الا على الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان بل أعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة للنسوخة وصلاحكم اليها أي فان الله لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (ان الله بالناس) أي بالمؤمنين (ارعوف رحيم) فلا يضيع صلاحهم الى بيت المقدس (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فقد لتكتبر أي كثيرا نرى تصرف نظرك في جهة السماء انتظارا للوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يترجى من ربه أن يحوله الى الكعبة لأشفاقه إبراهيم أبيه وأدعى لله ربالي الايمان لأنها مفخرة لهم وخلافة اليهود فكان ينتظر نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة ترضاها) أي فلنحولك في الصلاة الى قبلة تحبها لأغراضك الصحيحة التي أضمرت في قلبك (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي فأصرف جملة يدك لقاء الكعبة أي استقبل عنها بصرك في الصلاة وان كنت بعيدا عنها والراد بالسجد الحرام هنا الكعبة كما هو في أكثر الروايات وقال آخرون للراد بالسجد الحرام جميع السجد

ان الله تعالى جعل نسخ القبلة عن الصخرة الى الكعبة ابتلاء لعباده للمؤمنين فمن عصم صدق الرسول في ذلك ومن لم يصمه شك في دينه وتردد عليه أمره وظن أن محمدا في حيرة من أمره فارتد عن الاسلام وهذا معنى قوله تعالى (وان كانت لكيرة) أي وقد كانت التولية الى الكعبة لتلبية (الاعلى الذين) عصمهم الله بالهداية به فلما حولت القبلة قالت اليهود فكيف بمن مات منكم وهو صلى الى القبلة الأولى لقد مات على الصلاة فأزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي تصديقكم بالقبلة الأولى (ان الله بالناس) يعني بالمؤمنين (ارعوف رحيم) والرافة أشد الرحمة

(قد نرى تقلب وجهك) الآية كانت

الكعبة أحب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى أن الصلاة اليها أدعى لقومه الى الاسلام فقال لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهودي غيرها فقال له جبريل أما أنا فبعثتك وأنت كرم على ربك فسلمه ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر الى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالناس فأزل الله عن وجهك تقلب وجهك في السماء أي في النظر الى السماء (فلنولينك) أي فلنصيرك تستقبل (قبلة ترضاها) أي تحبها وتهواها (فول وجهك) أي أقبل بوجهك (شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاه

الحرام

هو شي * بقده من نفسك فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب

(59)

لُعَدَا

الحرام قبله ابراهيم واخيه
(ومالله نافع لعاملوه)
باعشر للمؤمنين من طلب
مرضاً (ولئن أثبت الدين
أوزر الكتاب) بنى اليهود
النصارى (بكل آية أى
بكل معجزه قودليل) مايعوا
قبلتك) لانهم معاندون
جاحدون نوبت مع العلم
بها (وما أنت بتابع قبلتهم)
حسم بهذا أطماع اليهود
في رجوع النصارى صلى الله
عليه وسلم الى قبلتهم لانهم
كانوا يطمعون في ذلك
(وما بعضهم بتابع قبله
بعض) أخبرتهم وان
اتفقوا في الظاهر على التبع
صلى الله عليه وسلم يختلفون
في باطنهم فلا يهود تتبع قبله
النصارى ولا النصارى تتبع
قبله اليهود (ولئن اتبعت
أهواءهم) أى صليت الى
قبلتهم من صدامك من
العلم أى ان قبله الله الحكيمه
(انك اذا نزلن الظالمين) أى
انك اذا مثلهم والخطاب
لنبي صلى الله عليه وسلم في
الظاهر وهو في المنى لامته
(الذين) أتيناها الكتاب
يعرفونه أى يعرفون
محمداً بنتمه وصفته (كما
يعرفون أناسهم وان

الحرام وقال آخرون والمراد به الحرم كله وروى عن ابن عباس أنه قال الليث قبة لأهل السجدة وللشجرة قبة لأهل الحرم والحرم قبة لأهل الشرق والغرب وهذا قول مالك (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى أى موضع كنتم بأمة محمد منه برأى وعبر مشرق أو مغرب فأصرفوا وجوهكم لنقاء السجدة الحرام التى هو بمعنى الكعبة (وان الذين أنونا الكتاب) هم أحبار اليهود وعلما النصارى (ليعلمون أنه) أى التولى الى الكعبة (الحق من ربهم) لما يتهم لما هو مسطور فى كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم صلى الى القبلتين ولكن يكتمونه (ومالقه بنافل مما يعملون) قرأه ابن عاصم وحزرة والكسائى بالثاء اما خطاب للسلميين أى ومالقه بساء مما تعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبة واما خطاب لأهل الكتاب أى ومالقه بنافل مما تعملون بأهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبة وقرأ الباقون بإلواء على أنه راجع لمؤلاه (ولئن أثبت الذين أنونا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلك) أى والله لئن جئت الذين أعطوا الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدقك فأن تحوكل بأمر من الله صاموا الى قبلك ولم يدخلوا فى دينك (وما أنت تابع قبلكم) أى اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبة لا تصير منسوخة وحسم لمطاع أهل الكتاب وقرئ: تابع قبلكم بالإضافة (وإما بعضهم تابع قبة بعض) فليهود بيت المقدس وللنصارى للشرق (ولئن أتيت أهواهم) أى الأمور التى يحسونها منك (من بعد ما جادك من العلم) أى الوصى فى أمر القبة بأنك لا تعود الى قبلكم (إنك إذا) أى أنك لو فعلت ذلك على سبيل تقدير للتحليل وقوعه (لن الظالمين) لأنفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة (يرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره (كما يرفقون أنباهم) لانتسبب عليهم أنباؤهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن سلام رضى الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة فى هذه الآية فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرافىنى ومعرفةى محمد أشد من معرفتى بآبى فقال عمر فكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقا وقضى الله تعالى فى كتابنا ولا أدرى ما صنع النساء فقبل عمر رأسه وقال وفقك الله بأبائكم فقد صدقت وإن فرقا منهم) أى من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة فى التوراة والإنجيل وإن كانا الحق مصحبة (الحق من ربك) مبتدأ وخبر أى الحق الذى أنشئ عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ربك ويحتمل أن الحق خبر مبتدأ محذوف أى ما كتبه هو الحق وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك بالتصديق على أن يبدل من الأول أو مفعول ليعلمون (فلا تكون من المترين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب علموا صحة نبوتك وشر يفتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أى لكل قوم من المسلمين جهنم الكعبة صلى البهاجنو يذأو شمالية وأخرى قبة أو غربية وقال آخرون لكل واحد من الرسل وأصحاب الشرائع جهة قبة فجهة القبة للقرين العرش وقبة الروحانيين الكرسي وقبة الكرويين الليث المعمور وقبة الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام بيت المقدس وقبلك الكعبة وهى قبة إبراهيم (هو) أى الله (موليا) أى أمرا بان يستقبلها وفى قراءة عبد الله بن عامر النخعي هو مولاه وهى قراءة ابن عباس وأبى جعفر محمد بن على الباقر

فريقانهم ليكمون الحق من صفته في التوراة (وهم يعلون) لان القديين ذلك في كتابهم (الحق من ربك) أى هذا الحق من ربك (فلا تكون من المعتري) الشاكين في الجملة إلى آخرتك من أمم القبط وعناد اليهود وامتناعهم عن الايمان بك (ولكل) أى ولكل أهل دين (وجهة) قبلته ومتموجه اليه في الصلاة (هو مولها) وجهه أى هو مستقبلها

(فاستبقوا الخيرات) فبادروا الى القبول من الله واولوا وجوهكم حيث امركم الله (اي ايتوا كنونا) بجمعكم الله للحساب فيجز بكم بأعمالكم ثم اكد عليه استقبال القبلة أين ما كان بايتين وعما قوله (ومن حيث خرجت) الآية وقوله ايضا ومن حيث خرجت الى قوله تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة) يعني يقولون يتحالفنا محمد في ديننا ونبع قبلتنا وهذه حجبتهم التي كانوا يحتجون بها عنونها على الجهال فلما صرفت القبلة الى الكعبة بطلت هذه الحجة ثم قال تعالى (الا الذين ظلموا منهم) من الناس وهم المشركون فانهم قالوا اقد توجه محمد الى قبلتنا واعلم انا اهدى سبيلا منه فهو لا يحتجون بالبطل ثم قال (فلا تخشوهم) يعني للمشركين في تظاهروهم عليكم في الحاجة والحاربة (واخشوني) في ترك الله وخالفها (ولاتم) أي ولكي اتم عطف على قوله لئلا يكون (نعمت) عليكم) بهدائي اياكم الى القبلة ابراهيم فتم لكم القبلة الجنيقية (ولم تكم تهتدون) أي ولكي تهتدوا الى القبلة ابراهيم (كما ارسلنا فيكم) للذي ولاتم نعمتي عليكم كرسالي اليكم رسولا أي اتم هذه كما نعمت تلك (رسولا منكم) تعرفون صدقه ونسبه (يتوا عليكم آياتنا) يعني القرآن وهذا احتجاج عليهم لانهم عرفوا انه ابي لا يقرأ ولا يكتب فافارقا عليهم القرآن بين صدق النبوة (ويذكركم) أي يعرضكم لتاتكونون به

(٤٠)

واللعي هو أي كل قوم مولى لتلك الجهة وقرى ولكل وجهة بالاضافة (فاستبقوا الخيرات) أي فبادروا بأتمه على الطاعات وقبول أوامرها (اي ايتوا كنونا) أي في موضع تصكونوا من بر أو بحر (يأت بكم الله جميعا) أي بجمعكم الله يوم القيامة فيجز بكم على الخيرات (ان الله على كل شئ قدير) من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت اليه للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر للسجد الحرام) وانه أي هذا الأمر (للحق) أي الثابت للواقع للحكمة (من ربك) والله بغافل عما تعملون قرأ أبو عمرو بالياء على التنية وهذ راجع للكفار أي من انكار أمر القبلة والباقون بالياء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفاركم ومغازيكم من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر للسجد الحرام) أي تلقاه (وحيث ما كنتم) من أقطار الأرض مقبين أو مسافرين في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة من محالكم (شطره) أي للسجد الحرام وكرر الله تعالى أمر التولي لشطر السجد الحرام ثلاث مرات لتأكيد أمر القبلة لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة مع أنه تعالى علق بكل آية فائدة أماني الآية الأولى فيمن أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لانهم شاهدوا ذلك في التوراة والانجيل وأما في الآية الثانية فيمن أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقا مغيرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقا وأما في الآية الثالثة فيمن أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين وذلك قوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود والمشركين (عليكم حجة) أي مجادلة في التولي واللعني ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن محمد ابي محمد ديننا ونبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن النبوة في التوراة قبلته ^{عليه السلام} الكعبة وتدفع احتجاج للمشركين بأنه صلى الله عليه وسلم يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) أي الالاعادين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى الدين قومه وحباليله (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتهم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) أي احسبوا عقابي فلا تخافوا امرى (ولاتم نعمتي عليكم) بالقبلة كما نعمت عليكم بالدين (ولم تكم تهتدون) الى الحق (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) أي من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا امام متعلق بما يهدها أي كاذركم بالارسل فاذا كروني (يتوا عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالأمر والنهي (ويذكركم) أي يطرهم من الذنوب بالتوحيد والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي السنة (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الأنبياء وأخبار الحوادث المستقبلية (فاذا كروني) باللسان والقلب والجوارح فالصدقة مشتملة على الثلاثة فالأول كالنسيب والتكبير والثاني كالخشوع وتبديل القراءة والثالث كالركوع والسنجود (أذكركم) بالاحسان والرحمة والنعمة في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعمتي بالطاعة (ولا تكفرون) أي لا تنكروا شكرها (بأيها الذين آمنوا استمعوا) على تعميم الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي

يقولون يتحالفنا محمد في ديننا ونبع قبلتنا وهذه حجبتهم التي كانوا يحتجون بها عنونها على الجهال فلما صرفت القبلة الى الكعبة بطلت هذه الحجة ثم قال تعالى (الا الذين ظلموا منهم) من الناس وهم المشركون فانهم قالوا اقد توجه محمد الى قبلتنا واعلم انا اهدى سبيلا منه فهو لا يحتجون بالبطل ثم قال (فلا تخشوهم) يعني للمشركين في تظاهروهم عليكم في الحاجة والحاربة (واخشوني) في ترك الله وخالفها (ولاتم) أي ولكي اتم عطف على قوله لئلا يكون (نعمت) عليكم) بهدائي اياكم الى القبلة ابراهيم فتم لكم القبلة الجنيقية (ولم تكم تهتدون) أي ولكي تهتدوا الى القبلة ابراهيم (كما ارسلنا فيكم) للذي ولاتم نعمتي عليكم كرسالي اليكم رسولا أي اتم هذه كما نعمت تلك (رسولا منكم) تعرفون صدقه ونسبه (يتوا عليكم آياتنا) يعني القرآن وهذا احتجاج عليهم لانهم عرفوا انه ابي لا يقرأ ولا يكتب فافارقا عليهم القرآن بين صدق النبوة (ويذكركم) أي يعرضكم لتاتكونون به

أزكياء من الأمر بطاعة الله (فاذا كروني) بالطاعة (أذكركم) بالنبوة (واشكروا لي) نعمتي (ولا تكفرون) أي ولا تنكروا نعمتي (بأيها الذين آمنوا استمعوا) على طلب الآخرة (بالصبر) على الفرائض

(و: بالصلاة) الحس على تمحيص الذنوب (إن أقمم الصابرين) أتى بمحكم أنصركم ولا تخلكم (ولا تقولوا لن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت في قتلى بدر من المسلمين وذلك أنهم كانوا يقولون لن يقتل في سبيل الله قتالان وذهب عنه نعيم الدنيا فقال تعالى ولا تقولوا للذين قتلوا في سبيلي هم أموات (بل) هم (أحياء) وأرواح الشهداء في أجواف طير خضر سرح في الجنة (ولكن لا تسمعون) ما هم فيه من النعيم والكرامة (ولتبأونكم) أي ولتعاملنكم معاملة البئس (بئس من الخوف) يعني خوف العدو

وعلى الرازي (والصلاة) أي بكرة صلاته تطوع في الليل والنهار (إن الله مع الصابرين) بالنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) كثرة الأموات (بل أحياء) أي بل هم كآسياء أهل الجنة في الجنة يرزقون من التحف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وحلم قال ابن عباس نزلت الآية في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الأنصار فلما جرحوا عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمر بن أبي وقاص وذو النبالين وعمر بن قتيبة وعامر بن بكر ومجيع بن عبد الله والأضر سعيد بن خشبة وقيس بن عبد الله وزيد بن الحرث وتيم بن المهام ورافع بن للي وحارثة بن سراقة ومعوذ بن عفرام وعوف بن عفرام وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى أن يقال فيهم أنهم ماتوا وقال آخرون إن الكفار ولنا فائق قالوا إن الناس يقتلون أنفسهم لمطلب لمناضة محمد من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبؤنكم) أي والله لنصننكم أصابة من يختار أحوالكم أنصرون على البلاء وتسلبون القضاء (ألا بشيء) أي قليل (من الخوف) من العدو (والجوع) في قسط السنين (ونقص من الأموال) بالهلاك (والأنفس) بالقتل واللول (والثروات) بالجوع قال الساجي رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات والنقص من الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد (وبشر الصابرين) المحلبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأذى منه البشارة (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلم معا (إن الله) أي نحن عبد الله (وإن الله راجعون) بعد اللول قال أبو بكر الوراق إن الله أقرار من الممالك تعالى وأنا إليه راجعون. أقرار على أنفسنا الممالك (أولئك عليهم صلات) أي مقفرة (من ربهم ورحمة) أي لطف (وأولئك هم المهندسون) للاسترجاع حيث سلبوا لقضاء الله تعالى (إن الصفا والروة من شعرات الله) أي من علامات مواضع العبادات قد بالحج والعمرة (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أي فلا ثم عليه أن يسعى بينهما سباقا لابن عباس كان على الفصافص اسمه سباق وعلى الروة من آخر اسمه نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويتسحرون بهما فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأذن الله تعالى فيه وأخبرنا نعم شعرات الله لأن من شعرات الجاهلية (ومن طلوع خيرا) أي زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة حتى طاف بالصفا والروة طلوعا (فإن الله شاك) أي مجاز على الطاعة (عليهم) أي يطمق قدر الجزاء فلا يبيح للاستحقاق (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات) هي كل ما نزل الله على الأنبياء (والهدى) أي ملبس في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايان به من الدلائل العقلية والنقلية (من بعد ما بيناه لناس) أي لبني إسرائيل (في الكتاب) أي التوراة (أولئك يلعنهم الله) أي يلعنهم من رحمة

۶۔ (تفسیر مراح لید) - اول

معظمه (أو اعتمر) فصد البيت للزيارة (فلا جناح عليه) أي

وليعلم اللاعنون) أى كل شئ إلا الانس والجن (الذين تابوا) أى يرجعوا من بعد الكفان (وأصلحو) السريرة (و يبنوا) صفة عهد (فأولئك أتوب عليهم) أى أعود (٤٣) عليهم بالفقرة (إن الذين كفروا) الى قوله والناس أجمعين ينى

المؤمنين (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) لا يمهلون أى للرحمة والتوبة والعفوة (والحكم اله واحد) الآية كان للشركين ثلثة صنم يعبدونها من دون الله فين الله أنه لهم وأنه واحد فقال والحكم اله واحد أى ليس له فى الالهية شريك ولا له فى ذاته نظير (لا اله الا هو الرحمن الرحيم) كذبهم الله عز وجل فى اشرأكهم معه لاله فصب للشركون من ذلك وقالوا ان محمدا يقول والحكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأول الله (ان فى خلق السموات والأرض) مع عظمها وكثرة اجزائها (واختلاف الليل والنهار) أى (والفلك) أى السفن (التي تجري فى البحر بما ينفع الناس) من التجارات (وما أنزل الله من السماء من ماء) أى من مطسر (فأحيا به الأرض) أى أنصبتها بعد جلودها (وبث

(وليعلم اللاعنون) أى يسألون الله أن يعلمهم ويقولون اللهم الغنهم وهؤلاء دواب الأرض كذا قال مجاهد أخرجه مسيد بن منصور وغيره وقال قتادة والربيعهم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (الذين تابوا) أى ندموا على ما فعلوا (وأصلحو) بالزم على عدم العود (و يبنوا) ما كتموه (فأولئك أتوب عليهم) أى أقبل توبتهم (وأنا التواب) أى القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أى المبالغ فى نشر الرحمة لمن ملت على التوبة (ان الذين كفروا) بالكفان وغيره (وماوا وهم كفار) بالله ورسوله (وأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فانهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) أى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) طريقة عين (ولا هم ينظرون) أى يؤجسون من العذاب فإذا استمهوا لا يمهلون واذا استغاثوا لا يفتأون (والحكم) أى المستحق منكم العباد (الواحد) أى فرد فى الالهية (لا اله الا هو) أى لا معبود لنا موجود الا اله الواحد (الرحمن الرحيم) خبر ان آخران للبثا فالرحمن المبالغ فى النعمة والرحيم كثير النعمة (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب للسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكي بالوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى براءته من الانداد النوع الأول السموات والأرض والآيات فى السماء هي سمكها وأرقاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى ففهم الشمس والقمر والنجوم والآيات فى الأرض مدها وبسطها على الماوما يرى فيها من الجبال والبحار والعدن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار النوع الثانى الليل والنهار والآيات فيها تعاقبها بالجمي* والذهب واختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد فى معاشهم بالراحة فى الليل والسعى فى الكسب فى النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جرياتها على وجه الماء وهي موقرة بالأنفال والرحال فلا ترسب وجرياتها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخر البحر لحمل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينحى منه الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والحمل عليها فى التجارة والآيات فى ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلوبهم من ركوب هذه السفن لأمم الفرس فى تجارتهم ومنافعهم وأيضاف الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الأخطار فى الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالعالم ينتفع لأنه يربح والحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس نزول المطر من السماء والآيات فى ذلك أن الله جعل الماء سببا لحياة جميع الموجودات من حيوان ونبات وأنه يزله عند الحاجة اليه بمقدار النعمة وعند الاستسقام يزله بكان دون مكان النوع السادس انتشار كل دابة فى الأرض والآيات فى ذلك أن جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم منع ما فهم من الاختلاف فى الصور والأشكال والألوان والأنسنة والطباع والأخلاق والأوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان النوع السابع الرمح والآيات فيه أنه جسم لطيف لا يمكس ولا يرى وهو مع ذلك فى غاية القوة بحيث يقطع الشجر والصخر ويخرب البنيان وهو مع

ذلك

أى فرق (ففيهم من كل دابة وتصريف الرياح) أى تقلبها مرة جنو يامرة شمالا وباردة وحارة

(والسحاب للسخر) أى للتلل لأمر الله (بين السماء والأرض لآيات) أى لدلالات على وحدانية الله (لقوم يعقلون) فعلمهم بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيدهم الى التفكير فى آياته والنظر فى مصنوعات علم أن قوما بعد هذه الآية والبيان يتخلون

الأنداد مع عليهم أنهم لا يأتون بشئ مما ذكر فقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) يعني الأصنام التي هي أنداد بعضها البعض أي أمثال (يحبونهم كحب الله) كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) لأن الكافر يمرض عن معبوده في وقت البلاء وللمؤمن لا يمرض عن الله في السراويل الفراء والشدة والرخاء (ولو يرى الذين ظلموا) أي (٤٣) كفر واشدة عذاب الله وقوته لعلوا

مضره فأتخذوا أنداد وجواب لو مخلوف وهو ما ذكرنا (اذتبرأ الذين اتبعوا) هذه الآية تصل بما قبلها لأن للمنى وإن الله شديد العذاب حين تبرا للتبعون في الشرك من أتباعهم عند رؤية العذاب يقولون لم نسمعك إلى الضلالة وإلى ما كنتم عليه وتقطعت بهم عنهم (الأسباب) الوصلا التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام واللودة وصارت غلظتهم معادة (وقال الذين اتبعوا) وهم الأنواع (لأن لنا كربة) أي كربة إلى الدنيا (فتتبرأ منهم كاتبرأ وإنما كذلك) أي كيتبرأ بعضهم من بعض (يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم) يعني عبادتهم الأوثان رجاء أن تقر بهم إلى الله فلما عدوا على ما كانوا يرمون نوابه تحسروا (يا أيها الناس كلوا مما على الأرض حلالا طيبا) نزلت هذه الآية للذين حرموا على أنفسهم السواحب والوسائل والبحائر فاعلم الله تعالى أنها يحصل أسكلها وأن تحررها من عمل الشيطان فقال (ولا

ذلك حياة الوجود فلو أمسك طرفه عين لما لك ذي روح وأنت ما على وجه الأرض النوع الثامن السحاب والآيات في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولاداعة تسنده قال القاضي زكريان السحاب من شجرة مشمرة في الجنة ولطمر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) أي ومن الكفار من يسيء من غير الله أو أناسا (يحبونهم) حبا كأننا (كحب الله) أي كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه تعالى وبين الأصنام في الطاعة والتعظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة (والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لأصنامهم فان المؤمنين لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى بخلاف المشركين فانهم يسألون الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون إلى الأصنام (ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قرأ الجمهور ولو يرى بإياه للقوة من تحت مع فتح الهزمة من أن عند القراء السبع والمنى ولو يعلم الذين أشركوا بالله شدة عذاب الله وقوته لانتفوا من دونه فأتخذوا وعلى قراءة بعض القراء غير السبع بكسر الهزمة من أن كان التقدير ولو يعلم الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مبادتها عذاب الله لتأولوا أن القوة لله وقرأنف وابن طمرى بالتاء للقوة من فوق مع فتح الهزمة على الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من يصلح للخطاب والمنى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهزمة كان للمنى ولو ترى الذين أشركوا اذ يرون العذاب لقلت أن القوة لله جميعا وقرأ ابن طمرى يرون بضم الياء (اذتبرأ الذين اتبعوا) أي القادة وهم الرؤساء من مشركي الانس (من الذين اتبعوا) أي السفلة (ورأوا العذاب) أي وقد رأى القادة والسفلة العذاب في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أي تقطعت عنهم الواصلات والأرحام والأعمال والعهود والألفة بينهم أي أشكر القادة اضلال السفلة يوم القيامة حين يجتمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أي السفلة (لأن لنا كربة) أي ليت لنا رجة إلى الدنيا (فتتبرأ منهم) أي القادة هناك (كاتبرأ وإنما) اليوم (كذلك) أي كآرام الله شدة عذاب (يربهم الله أعمالهم حسرات) أي ندامات شديدة (عليهم) أي على قريظهم (ومهم) أي القادة والسفلة (مخرجين من النار) بعد دخولها (يا أيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية للذين حرموا على أنفسهم السواحب والوسائل والبحائر وهم قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج (كلوا مما على الأرض) أي من الحرب والأنعام (حلالا طيبا) أي مباحا بأن لا يكون متعلقا بحق الغير (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تتقوا طرق وسوس الشيطان في تحريم الحرب والأنعام (انكم عبدو مبین) أي ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة (أنا يا أيها مكرم بالسوء) أي الفتيح من الذنوب التي لاحد فيها (والفتحشاء) أي المعاصي التي فيها حد (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي هو بأن تفتروا على الله ما لا تعلمون أن الله تعالى حرم هذا وذاك (وإذا قيل لهم) أي لشركي العرب (اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطبائ (قالوا) لا تبعه (بل نسمع ما نلتقي) ما وجدناهم

يتبعوا خطوات الشيطان) أي سبله وطرقه من بين عداوة الشيطان فقال (أنا يا أيها مكرم بالسوء والفتحشاء) أي أرباب السوء والمعاصي والفتحشاء البخل وقيل كل دنس فيه حد (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من تحريم الأنعام والحرب (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء الذين حرموا من الحرب والأنعام أشياء (اتبعوا ما أنزل الله) قالوا بل نسمع ما نلتقي ما وجدنا (عليه بأداة) فقال الله تعالى منكرا عليهم

(أولوكان آياؤهم لايقولون شيئاولايهتدون) يتبعونهموالنبي أتبعونآباءهم وان كانوا جهالاًضرب الكافرين مثلالفقار (ومثل الذين كفروا) في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل (كثل الراعي) (الذي) يصيح بالقتل وهي لاتسمع ومعنى (ينق) يصيح (بالإسمع) وأراد بما لا يسمع (الادعاء ونداء) البهائم التي لاتقبل ولا تفهم مايقول الراعي انما تسمع صوتا ولا تدري مايتحدث كذلك الكفار يسمعون كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهم كالقنم اذ كانوا لا يستمعون ما يأمرهم به ومضي تفسير قوله (صم بكم عني) ثم ذكر ان ما حرمه (٤٤) للشركون حلال فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)

عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولوكان آياؤهم) أي أتبعونهم وان كانوا آياؤهم (لايقولون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) إلى الحق (ومثل الذين كفروا) كمثل الذي يتبع ما لا يسمع (الادعاء ونداء) أي وصفة الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليد لهم كهفة الراعي الذي يصوت على مالا يسمع من البهائم فانها لاتسمع الاصوت الراعي من غير فهم لكلامه أصلا فكم أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذلك التقليد ويقال مثل الذين كفروا وفي فلة عظمى في عبادتهم لاخوان كمثل الراعي الذي يتكلم مع البهائم فكما يحكم على الراعي بقلة العقل فكذلك عظمى هؤلاء (صم) لانهم لم يسموا الحق (بكم) لانهم لم يستجيبوا لادعوا اليه (عني) لانهم أعرضوا عن الدلائل (فهم لايقولون) أي لا يفقهون أمر الله ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما لانهم البهائم كلام الراعي (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي كلوا من حلال ما أعطيناكم من الحث والأنعام (واشكروا لله) على ما رزقكم من الطيبات (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان صحتكم تخصونه بالعبادة وتقولون أنه تعالى هو للنعمة لا غير فان الشكر رأس العبادات (انما حرم عليكم الميتة) أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة أو بالسمك والجراد فهما خارجان عنها باستثناء الشرع كخروج الطحال من اللحم (والدم ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وما أهلكه من قبض) أي ما مضى من قبضه فمات وهو نائب الفاعل والياء بمعنى في مع حذف مضاف والنبي ومما يبيع في ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لأنهم عند الذبح وقال الربيع بن أنس وابن زيد والنبي وما ذكر عليه غير اسم الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتدة (فمن اضطر) أي أحوج إلى كل ما ذكر بأنه أصابه جوع شديد ولم يجد حلالا يديه الرق أو أكره على تناول ذلك (غير باغ) أي غير طالب للذة (ولا عاد) أي متجاوز سد الجوعه كاتل عن الحسن وقادة والربيع ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالي ولأعد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد وسهم الله (فلا تأم عليه) في كل ما ذكر (ان الله غفور) لمن كل في حال الاضطرار (رحيم) حيث ألبح في تناول قدر الحاجة (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على الأحكام من المجلات والمحررات وعلى نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أي بالكتاب (عنا قليلا) أي عوضا قليلا (أو تلك مايا تكون في بطونهم الانثار) أي الا الحرام التي هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يزكهم)

أي حلال ما رزقناكم من الحث والأنعام وحرمه للشركون على أنفسهم منها (واشكروا لله) كنتم اياه تعبدون أي وان كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه الحكيم فالتشكر له واجب بأنه محسن اليكم ثم بين الحرام ما هو فقال (انما حرم عليكم الميتة) وهي كل ما فرقه الروح من غير ذكاة مما يذبح (والدم) يعني الدم السائل كقوله في موضع آخر أو دما مسفوحا وقد دخل هذين الجنبين الخصوص بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان الجديد وقوله (ولحم الخنزير) يعني الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وما أهلك به لغير الله) يعني ما يذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله عز وجل (فمن اضطر) أي أحوج إلى شيء في حال الضرورة (غير باغ) أي قاطع مفارق للأمة مشاقق للأمة (ولأعد) أي ولا تأمل متدافعا كل (فلا تأم عليه) وهذا يدل على أن العاصي بسفره لا يستطيع أكل الميتة عند الضرورة (ان الله غفور) للصبية فلا يأخذ بما جعل فيه الرخصة (رحيم) حيث رخص لغيره ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعني رؤساء اليهود (ويشترون به) أي بما أنزل الله من نعت محمد في كتابهم (منافيل) يعني ما يأخذون من الرضا على كتمان نعتهم (أو تلك مايا تكون في بطونهم الانثار) أي الاما عاقبت النار (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلاما يسرههم (ولا يزكهم)

أي

اضطر) أي أحوج إلى شيء في حال الضرورة (غير باغ) أي قاطع مفارق للأمة مشاقق للأمة (ولأعد) أي ولا تأمل متدافعا كل (فلا تأم عليه) وهذا يدل على أن العاصي بسفره لا يستطيع أكل الميتة عند الضرورة (ان الله غفور) للصبية فلا يأخذ بما جعل فيه الرخصة (رحيم) حيث رخص لغيره ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعني رؤساء اليهود (ويشترون به) أي بما أنزل الله من نعت محمد في كتابهم (منافيل) يعني ما يأخذون من الرضا على كتمان نعتهم (أو تلك مايا تكون في بطونهم الانثار) أي الاما عاقبت النار (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلاما يسرههم (ولا يزكهم)

أى ولا يظلمهم من دنس ذنوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة) أى استبدلوا (بالهدى والعذاب بالمغفرة) حين جعلوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكنتموا نعمة (فما أصبرهم) أى فأى شيء (٤٥) صبرهم (على النار) حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا

استفهام معناه التوبيخ لهم (ذلك) أى ذلك العذاب الأليم لهم (بأن) الله زل الكتاب بالحق) يعنى القرآن فاختلخوا فيه (وان الذين اختلفوا في الكتاب) فقالوا انه رجز وشعر وكهانة وسحر (لنى) شقاق (بيد) أى لنى خلاف الحق طويل (ليس البر) الآية كان الرجل في ابتداء الاسلام اذا شهد الشهادتين وصلى إلى أى ناحية كانت تممات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله عز وجل هذه الآية فقال (ليس البر) كله (أن تولوا) وجوهكم أى ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك (ولكن البر) أى أى البر (من آمن بالله واليوم الآخر واللائكة) والكتاب والتبيين وآتى المال (ذو القربى) واليتامى (والساكن) وابن السبيل) وهو النقطع الذى يمر بك (والضيف) ينزل بك (وفى الرقاب) أى وفى غنمنا يعنى

أى لا يظلمهم من دنس الذنوب (ولم عذاب أليم) يخلص أنه إلى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) أى أولئك الكاثبون اختاروا ما يجب به النار على ما يجب به الجنة (فما أصبرهم على النار) أى فما أجرهم على النار (ذلك بأن الله زل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد مع ما لم يسبب أن الله زل الكتاب بالصدق وذلك العذاب بسبب أن الله زل الكتاب ببيان الحق وهم قد حرفوا وتأولوه (وان الذين اختلفوا في الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها (لنى شقاق) يعنى أى لنى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق) أى جهة الكعبة (وللمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرا حفص وخزعة بنصب البرعى أنه خير مقدم (ولكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر واللائكة) والكتاب والتبيين وآتى المال على حبه) أى مع حلاله وهو أن يؤمنه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتحشى الفقر (ذو القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المأخوذ منهم (والساكن) وابن السبيل) أى مزار الطريق (والسائلين) أى الذين أحتاجهم الحاجة إلى السؤال (وفى الرقاب) أى فى السكاكين وقيل فى اشتراء الرقاب لاعتقادهم (وأقام الصلاة) للفرصة منها (وآتى الزكاة) أى للفرصة (والوفون بعدهم) عطف على من آمن (اذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفما بينهم وبين الناس (والصابرين) معقول الفعل محذوف كاذكر (فى البأساء) أى الخوف والبلاء والتشدائد (والضراء) أى الأمراض والأوجاع والجوع (وحين البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) فى الدين وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر (تنبيه) قوله ليس البر هو اسم جامع لكل طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والأصل بر ر بكسر الراء الأولى فلما أراد الادغام نقلت كسرة الراء إلى الباء بعد سلب حركتها أو هو مصدر يعنى اسم الفاعل الذى هو البراء كراهو القراءة والاشادة واختلف فى الخطاب بهذه الآية فقال بعضهم للراد مخاطبة اليهود لما شدوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقال بعضهم بل للراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم قد نادوا البنية بالتوجه إلى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخطوبوا بها الكلام وقال بعضهم بل هو خطاب لكل وقال الله تعالى ان صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا عند مجموع أمور اربعة ايمان بالله فاهل الكتاب أخلاوا بذلك فان اليهود قالوا بالتسجود وصفا الله تعالى بالخل وقالوا عز رايان الله وان النصارى قالوا المسيح ابن الله وانها الايمان باليوم الآخر اليهود أخلاوا بها الايمان حيث قالوا لن نؤمن النار الا أياما معدودة والنصارى أنكروا للمعاد الجبائى ونالها الايمان باللائكة فاليهود أخلاوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام ورأيها الايمان بكتب الله فاليهود والنصارى قد أخلاوا بذلك حيث قبلوا القرآن وخامسها الايمان بالتبيين واليهود أخلاوا بذلك حيث قبلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد ﷺ وسادسها باذل الأموال على وفق أمر الله تعالى واليهود أخلاوا بذلك لأنهم يلقون الشبهات لطلب المال القليل وسابعها اقامة الصاوات والزهوات فاليهود كانوا يمتنعون الناس منها وثامنها الوفاء باليهود اليهود تقضوا العهد بأيمانهم الذين آمنوا كتب عليكم (التقصاص) أى فرض عليكم للمائة وصفا وفعل (فى القتل) أى بسبب قتل

للسكاكين (والوفون بعدهم اذا عاهدوا) أى اذا عاهدوا الله أو الناس (والصابرين) فى البأساء) يعنى الفقر (والضراء) يعنى للرض (وحين البأس) يعنى القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى أيمانهم بأيمانهم الذين آمنوا كتب عليكم (التقصاص) زلت فى حين من العرب أحدهما أشرف من الآخر فقتل الأوضح من الأغر فقتل

فقال الأشرف لقتلن الحر بالبعد والذكر بالثأى ولتضاعفن الجراح فأقر الله هذه الآية وقوله كتبنا أى واجب وفرض عليكم القصاص اعتباراً للمائة والتساوى بين القتلى حتى لا يجوز أن يقتل حر عبيد ولا مسلم بكافر فاعتبار المائة واجب وهو قوله (الحر بالحر والعبد بالعبد والأثى بالآثى) ودل قوله في سورة المائدة أن النفس بالنفس على أن الذكـر يقتل بالآثى (فمن عفى له أى ترك له (من) دم (أخيه) القتل (شئ) *) وهو أن يعفو بعض الأولياء فيسقط القود (فاتباع بالمرءوف) أى فعلى المافى الذى هو ولى الدم أن يتبع القاتل بالمرءوف (٤٦) وهو أن يطلب بالمال من غير تشديد وأذى (وأداء إليه) وعلى

الطلب منه أداء تأدية للال إلى المافى (باحسان) وهو ترك المظل والتسوف (ذلك) تخفيف من ربكم (ورحمة) هو أن الله تعالى خير هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو ولا يمكن ذلك لهذه الأمة (فمن اعتدى) أى ظلم يقتل القاتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم ولكم في القصاص) أى في اثباته (حياة) وذلك أن القاتل إذا قتل ارتد عن القتل كل من يهب القاتل فكان القصاص سبباً لحياة الذى يهب بقتله وحياة الهام أيضاً لأنه أن قتل قتل (بأولى الأبواب) أى بأذى العقول (لكم) تتقون (أراقه الدماء مخافة القصاص) كتب عليكم (الآية) كان أهل الجاهلية يوصون بالمهم للبعداء رياء وسمعة ويترون أثارهم فقراء فأقر الله هذه الآية كتب

القتلى عند مطالبة الولي بالقصاص (الحر بالحر) أى الحر يقتل الحر لا يقتل العبد (والعبد بالعبد) وبالحر من باب أولى (والأثى بالآثى) ويقت الأحدث أنه يقتل أحد النوعين الذكر والآثى الآخر ويعتبر أن لا يفضل القاتل القاتل بالدين والأصلية والحرية (فمن عفى له من أخيه شئ) فاتباع بالمرءوف وأداء إليه (باحسان) أى فمن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذى هو القاتل شئ من المال فعلى ولى الدم مطالبة ذلك للمال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وعلى القاتل أداء الدية على ولى الدم من غير عاملة وبخس بل على بشر وطلاقة وقول جميل ومعنى هذه الآية أن الله تعالى حث الأولياء إذا دعوا إلى الصلح من الدم على الدية كلها أو بعضها أن يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أى الحكم من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) فى حكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لأن العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على النصارى بل فرض عليهم العفو على الإطلاق وفى ذلك تنصيق على كل من الوارث والقاتل وهذه الأمثلة بين الثلاث القصاص والدية والعفو تسيراً عليهم (فمن اعتدى) أى جاوز الحد (بذلك) أى بسببىان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أى شديد الألم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) أى ولكم فى مشروعية القصاص حياة لأن من أراد قتل الشخص إذا علم القصاص ارتدع عن القتل فيسبب حياة نفسه ولأن الجماعة يقتلون بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم فإذا اقتصر من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سبباً لحياتهم (يا أولى الأبواب) أى ذوى العقول الخالصة من الهوى (لكم تتقون) أى لى تتقوا للمساهلة فى أمره وترك المحافظة عليه (كتب عليكم) إذا حضر أحدكم اللوت أن ترك خبرا الوصية للوالدين والأقربين بالمرءوف (أى فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما قاله عبد الرحمن بن زيد أوالرحم غير الوالدين كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا يفضل الثنى ولا يتجاوز الثلث إذا ظهرت على أحدكم أمارات اللوت كالمرض الخوف أن ترك ما لا يقل الأهم أنهم كانوا يوصون للأبدين طلباً للفخر والثرف ويتركون الأقارب فى الفقر والسكنة فأوجب الله تعالى فى أول الإسلام الوصية لهؤلاء من القوم عما كانوا اعتادوه (حقاً على اللتين) أى حق ذلك حقاً على الموحدين (فمن بدله) أى الوصية من وصى وشاهد ما بانكار الوصية من أصلها أو بالتقص فيها أو بتبديل صفاتها أو غير ذلك (بعد ماسمه) أى بعد علم الوصية (فأما أمه) أى التبديل (على الذين يبدلونه) أى الوصية لاعلى لليت لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع (إن الله سميع) لوصية لليت (علم) بل لبس لليت فيجازى لليت بالخير واللبس للشر (فمن خاف من موص) قرأه شعبة وحزمة

والصكائى

عليكم أى فرض عليكم وأوجب (إذا حضر أحدكم اللوت) أى أسبابه ومقدماته (أن ترك خبراً) أى مالا

(الوصية للوالدين والأقربين بالمرءوف) يعنى لا يرد على الثلث (حقاً) أى حق ذلك حقاً (على اللتين) أى الذين يتقون الشرع وهذه الآية منسوخة بآية اللواتى لا تجب الوصية على أحد (فمن بدله) أى بدل الإصام وغيره من وصى ولى وشاهد (بعد ماسمه) عن لليت (فأما أمه) أى أم اللتين يبدلونه (وبرى اللتين) (إن الله سميع) بسمع ما قاله الموصى (علم) بنيتة وما أراد فكانت الأولياء والأوصياء يحضون وصية لليت بعد نزول هذه الآية وإن استغرت للمال فأقر الله (فمن خاف) أى علم (من موص

جنفا) أى خطأ فى الوصية من غير عمد وهو أن يوصى لبعض ورثته أو يوصى بحاله خطأ (أو أئماً) أى قصد الجبل (فأصلح) بعمدونه بين ورثته وبين الوصى لهم (فلا تأم عليه) أى ليس بجبل تأم بل هو

متوسط للإصلاح وليس عليه تأم

(يا أيها الذين آمنوا كتب

عليكم الصيام) يعنى صيام

شهر رمضان (كما كتب)

أى أوجب (على الذين من

قبلكم) أى أتمتعبدون

بالصيام كما تعبد من قبلكم

(لعلكم تتقون) أى تتقون

الأكل والشرب والجماع

في وقت وجوب الصيام (يا أيها

مسلودات) يعنى شهر

رمضان (فمن كان منكم

مریضاً أو على سفر) فأفطر

(فعدة) أى فليعدة أى

صوم عدة يعنى ببلد ما أفطر

(من أيام آخر) سوى أيام

مرضه وسفره (وعلى الذين

يطيقونه فعدة طعام

مسكين) هذا كان فى

ابتداء الاسلام من أطاق

الصوم جازله أن يخطر

ويطعم لكل يوم مسكينا

مدا من طعام فنسخ بقوله

فمن شهد منكم الشهر

فليصمه (فمن تطوع

خيراً) أى زاد فى القدية

على مد واحد (فهو خير له

وأن تصوموا خير لكم)

أى والصوم خير لكم من

الافطار والقدية وهذه

أما كانت زلت قبل

النسخ (شهر رمضان)

أى هو شهر رمضان أى

تلك الأيام المدودات شهر

والكسائي بفتح الواو وتشديد الصاد أى من علم من ميت (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو أئماً) أى عمدا فى الليل فى الوصية (فأصلح بينهم) أى فعل ما فيه الإصلاح بين الوصى والوصى لهم برده الى الثلث والعدل (فلا تأم عليه) أى على من علم ذلك فى هذا الصلح وان كان فيه تبديل لانه تبديل باطل بحق بخلاف الاول (ان الله غفور) لئيت ان جار وأخطأ لوصى (رحيم) للوصى حيث رخص عليه الرد الى الثلث والعدل ومعنى الآية أن الميت اذا أخطأ فى وصيته أو جاز فيها متعمدا فلا تأم على من علم ذلك أن ينهره ويردله الى الصلح بعموه وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأمن من لدن آدم عليه السلام (لعلكم تتقون) أى تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات فالرغبة فى الطعوم والنكوح أشد من الرغبة فى غيرها والاتقاء عنهما أشق فأذا سهل عليكم اتقاء الله بتركهما كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف واللحن لعلكم تتقون ترك المحافظة على الصوم بسبب عظم درجته (يا أيها المدودات) أى فى أيام مقررات بحد معلوم ثلاثين يوما وهو رمضان (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ولو فى أثناء اليوم (أو على سفر) أى مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أى فليعدة أى أفطر صوم عدة أيام للرض والسفر أى بقدر ما أفطر من رمضان ولو مقرا وعن أى عبدة بن الجراح أنه قال ان الله تعالى لم يخصص لكم فى فطره وهو يريد أن يشق عليكم فى قضاءه ان شئت فقل وان شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أيام من رمضان أيجزى نى أن أقضيهام متفرقة فقال له أرايت لو كان عليك دين فقضيته البرهم والبرهمين أما كان يجزى بك قال نعم قال فآله أقضى أن يعفو ويصفح وعن عائشة أن حزة الأسلمى سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم على السفر فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت وأفطرت ان شئت وروى الشافعي أن عطاء قال لابن عباس أقصر الى عرفة فقال لا فقال الى مرا الظهران فقال لا لكن أقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أو بمة برد (وعلى الذين يطيقونه) أى وعلى اللطيقين للصيام ان أفطروا (فدية طعام مسكين) أى قدر ما يأكله فى يوم وهو مدين غالب قوت بلده وقرأ نافع وابن عمر بإضافة فدية وجمع مسكين قال ابن عمرو وسئل عن الأكواع وغيرها ان هذه الآية منسوخة وذلك أنهم كانوا فى صدر الاسلام يخبر بن بين الصيام والقدية وأما خبرهم الله تعالى بينهم ما كانهم كانوا لم يتعدوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم فى الافطار وقيل ان هذه الآية نزلت فى حق الشيخ الهرم واللحن وعلى الذين يقدرون على الصوم مع الشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن زاد فى القدية على القدر الواجب أو صام مع أخرج القدية (فبؤ) التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أيها الرخصون لكم فى الافطار من الرضى والسافرين والذين يقدرون على الصوم مع الشقة (خير لكم ان كنتم تعلمون) ما فى الصوم من التفضيلة ومن العافى المودة والتقوى وبرادة اللمعة فان العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أى ان جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة فى ليلة القدر وكانت ليلة أربع وعشرين من رمضان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فأملأه جبريل على السفرة فكتبوه فى صحف وكانت تلك الصحف فى محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله

رمضان (الذى أنزل فيه القرآن) أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد عليهما السلام بنحو ما نحو ما عشر من سنة

(ελ)

والباطل (ثمن شهيد منكم الشهر)

أولى سفر فقرة من أيام
 (آخر) أعاد ههنا تخيير
 للريض والسافر لأن
 الآية الأولى وردت في
 التخيير للريض والسافر
 والمقيم وفي هذه الآية
 نسخ تخيير للمقيم فأعيد
 ذكر تخيير للريض
 والسافر ليعلم أنه باق على
 ما كان (يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ
 الْيُسْرَ) أي الرخصة
 للمسافر وللريض (ولَا
 يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) لأنه لم
 يشدد ولم يُلِصِقْ عليكم
 والعزير يَدُلُّه بِكُمْ الْيُسْرَ
 ولا يريد بكم العسر ليسهل
 عليكم (وَلَتَكْمَلُوا الْعَمَلُ)
 أي ولتكملا عدة ما
 أفطرتكم بالقضاء إذا أتممت
 ورتابكم (وَلَتَكْمَلُوا اللَّهُ)
 يعني التكبير لله العطر إذا
 روي هلال شوال (على
 ماهاكم) أي أرشدكم
 من شرائع الدين (وإنما
 سألت عبادي عن فاني
 قريب) الآية سأل بعض
 الصحابة النبي صلى الله عليه
 وسلم أقرير بنافسانيه
 أم بعيد فتأيد بآل الله
 هذه الآية وقوله فاني قريب
 أي قرب بالعلم (أجيب)
 أسمع (دعوة الباقي أنا
 دعاء) فليست حسنة إلّا لأمر

إصابة الرشد (أحل لكم ليلة الصيام) الآية كان في ابتداء الاسلام لتدخل المجاعة في ليالي الصوم ولا الأكل والشرب بعد عشاء الآخرة فأحل الله

ذلك كله الى طلوع الفجر وقوله ايضا (الرفث الى نساكم) يعني الاضناء اليهن بالجماع (هن لباس لكم) أي فراس (وأتم لباس) أي
لحاف (لهن) عندا لجماع (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تخونون أنفسكم (٤٩) في الليالي رمضان بالجماع وذلك أن

عمر بن الخطاب وغيره
فماوا ذلك ثم أنوارسول
الله صلى الله عليه وسلم
يسألونه فزلت الرخصة
(كتاب عليكم) أي فماد
عليكم بالترخيص (وعفا
عنكم) ما فطعت قبل الرخصة
(فالآن باسروهن) أي
اجمعوهن (وابتغوا) أي
اطلبوا (ما كتب الله
لكم) أي ما قضى الله لكم
من الواجب (وكأوا واشربوا)
الليل كله (حتى يبين لكم
الحيط الأبيض) يعني
بيان الصبح (من المحيط
الأسود) من الفجر (بيان أن
هذا المحيط الأبيض من
الفجر لامن غيركم) ثم أعوا
الصيام الى الليل) بالامتناع
من هذه الأشياء (ولا
يباسروهن وأتم ما كفون
في الساجد) هي المتكف
عن الجماع فإنه يقسده
(تلك) أي هذه الأحكام
التي ذكرها (حدود الله)
يعني ممنوعاته (فلا تفر بها)
أي فلا تأتوها (كذلك)
أي مثل هذا البيان (بين
الله آياته للناس لعلهم
يتقون) أي يتقون المحارم
(ولا تأكلوا أموالكم

الرفث الى نساكم) أي الجماعه مع نساكم قال للفسرون كان في أول شريعة محمد صلى
الله عليه وسلم إذا أفر الصائم حل له الأكل والشرب والوقاع بشرط أن لا ينام ولا يسل المشاء
الأخيرة فإذا نفل أحدهما بأن نام أو صلى المشاء حرم عليه هذه الأشياء الى الليلة القابلة فواقع
عمر بن الخطاب أهله بصلاته المشاء فغسل أخذ بيكي ويوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
واعترى اليه فقام رجال واعترفوا بالجماع بعد العشاء فزلت هذه الآية ناسخة لتلك الشريعة (هن لباس
لكم وأتم لباس لهن) هذا مبين لسبب حلال الوقاع وهو صحوه واجتماعهن وسقاهما بعد الآخر عن
الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي ظلمونها لأنكم تسرون بالمصية في الجماع بعد
صلاة العشاء والأكل بعد النوم (كتاب عليكم) أي قبل تو بكم (وعفا عنكم) أي عاذوكم
ولم يماض في الحياة (فالآن) أي حين أهلك الله لكم (باسروهن) أي اجمعوهن (وابتغوا) ما كتب
الله لكم) أي اطلبوا مواضع الله لكم بالنكاح من التناسل وقصد العفة أي لا تباسروا قضاء الشهوة
وحدها وقبل هدايته عن الزلل قال الشافعي لا يزيل الرجل عن الحرمة الا بإذنها ولا بأس أن يزل عن
الأمة وقيل معنى ذلك ابتغوا هذه للبشارة من الزوجة ولما ذكره فان ذلك هو الذي كتب الله لكم
قسم الله لكم (وكأوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى يبين لكم المحيط الأبيض من المحيط
الأسود) أي حتى يبين لكم بياض النهار من سواد الليل حال كون المحيط الأبيض صفا (من الفجر)
الصادق وسمى الصبح الصادق جرا لأنه يتفجر منه النور (ثم أتوا الصيام الى الليل) أي الى دخوله
بغروب الشمس زلت هذه الآية في شأن صرمة من مالك بن عدى وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو
صائم فلما أمسى رجع الى أهله فقال هل عندك طعام فقالت لا وأخذت تصنع له طعاما فأخذه النوم
من التعب فأيقظته ففكره أن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما مجعودا في عمله فلم يتمصف النهار حتى
غشى عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع فأزل الله هذه الآية (ولا تباسروهن)
أي لا تجمعوهن ليلا ونهارا (وأتم ما كفون) أي ما كشون (في الساجد) بنية الاعتكاف للتعرف
الى الله تعالى (تلك) أي للبشارة (حدود الله) أي معصية الله (فلا تفر بها) أي فلا تفر بها للصية
وأتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرغوا من الاعتكاف (كذلك) أي هكذا (بين الله آياته)
أي أمره ونهيهِ (فالناس) أولئك كايين الله ما أمركم بموتها كم عنه كذلك بين سائر أدلته على
دينه (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا معصية الله زلت هذه الآية في حق نضر من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على بن أبي طالب وعمر بن ياسر وغيرهما فكانوا متكفين في المسجد فيأبون الى أهاليهم
إذا احتاجوا ويجمعون نساءهم ويفتسلون فيرجعون الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل) أي لا تأخذ بكم مال بعض بالطريق الحرام شرعا (وتلوا بها الى
الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالآثم) أي ولا تدخلوا بالأموال الى الحكام لتأخذوا جملة
من أموال الناس متلبسين بالآثم أي بالحلف الكاذب (وأتم تعلمون) أنكم مبطون فلا فنام على
الصبح مع العلم بقبحه أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق روى أن عبدان بن الأسوع الحضرمي رآه
على امرئ القيس السكندري قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف

(٧) - (تفسير مراح لبيد) - (أول)

بينكم بالباطل) أي لا يأكل بكم مال بعض بالباطل في الشرع من
الحياة والنصب والسرقة والقتال وغير ذلك (وتلوا بها الى الحكام) أي ولا تصانوا بأموالكم الحكام لتفقدوا حقكم (لتأكلوا
فريقا) أي طائفة (من أموال الناس بالآثم) أي بأن ترشوا الحاكم ليقضي لكم (وأتم تعلمون) أنكم مبطون وأنه لا يحل لكم

(يسألونك عن الأهلة) سأل معاذ بن جبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيادة القمر وقصصه فأقر الله تعالى يسألونك عن الأهلة وهي جمع هلال (قل هي موافق للناس والحج) أخبر الله سبحانه أن الحكمة في زيادة القمر وقصصه نزال الالتباس عن أوقات الناس في حجهم وعمل دينهم وعدد نسايتهم وأجور أجزائهم ومدة حواملهم وغير ذلك (وليس البر) (إن تأو البيوت من ظهورها) كان الرجل في الجاهلية إذا حرم تقبى بيته تهاب من (٥٠) مؤخره يدخل منه ويخرج فأمرهم الله بترك سنة الجاهلية وأعلمهم أن

ذلك ليس ببر (ولكن البر من اتقى مخالفة الله) وأتوا البيوت من أبوابها الآية (وقالوا في سبيل الله) الآية نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الحديبية إلى المدينة حين صده المشركون عن البيت صالحهم على أن يرجع عامه القابل ويخولاه مكة ثلاثة أيام فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش وأن يصودهم عن البيت ويقتلوهم وكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأقر الله تعالى وقالوا في سبيل الله أي في دين الله وطاقته (الذين يقاتلونكم) يعني قريشا (ولا تتعدوا) أي ولا تظلموا اقتصدوا في الحرم بالقتال (واقبلوهم حيث تقتلوه) أي وجدوهم

أمرؤ القيس فهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين يشركون بعد الله وأيمانهم تخافا الآية فارتدع عن العين وأقر بالحلف وسلم الأرض إلى عبيدان فزلت هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم عالم بالخصومة وجاهل بها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يارسول الله والذي لا إله الا هو اني حق فقال ان شئت أعوده فعادوه فقضى للعالم فقال المقتضى عليه مثل ما قال أولا ثم عاودوه ثالثا قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فأما اقتطع قطعة من النار فقال العالم للمقتضى يارسول الله ان الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجدله حق غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخفى وسأل معاذ بن جبل وطبقة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ما بال الملل يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلى ثم يورأ ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كابدأ ولا يكون على حالة واحدة كالشيس فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة اختلاف الأهلة باز زيادة والتقصان لماذا (قل) بأشرف الخلق (هي موافق للناس والحج) أي هي علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية وللحج كعدة نسايتهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم واطفارهم وقضاء دينهم وأوقات زرعهم ومناجرهم ودخول وقت الحج وخروجه ثم نزل في شأن نغم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ككنانة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الاحرام من خلفها أو من سطحها كما فعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) في الاحرام (ولكن البر من اتقى) عماره تعالى كالصيد وتوكل على الله تعالى في جميع أموره (وأتوا البيوت) أي ادخلوها (من أبوابها) في الاحرام كغيره (واقبلوهم) أي في تدمير الأحكام أو في جميع أموركم (اسلمكم تفعلون) لكي تفوزوا بالخير في الدين والدنيا أولئك تنجحوا من السخط والغضب (وقالوا) أي جاهدوا (في سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يبدؤونكم بالقتال من الكفار (ولا تتعدوا) عليهم بأبداء القتال في الحرم (ان الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير للتيجاوزين الحد (واقبلوهم) ان يبدؤكم (حيث تقتلوه) أي وجدوهم في الحل والحرم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والفتنة التي تفتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لنوم تعبها وبقاء تألم النفس بها وقيل وشركهم بالله وعبادة الأوثان في الحرم وصلهم لكم عنه أثر من قتلكم إياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) أي لا تبدأوهم بالقتال في الحرم (حتى يقاتلوكم) أي الحرم بالابتداء (فان يقاتلوكم فيه بالابتداء فاقبلوهم) فيه ولا تباروا بقتالهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب فآخرة والكسائي لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان يقاتلوكم كله بغير ألق (كذلك) أي مثل هذا الجزاء الواقع منكم بالقتل والإخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان اتهموا) عن الكفر

(فان) (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) يعني من مكة (والفتنة أشد من القتل) يعني وشركهم بالله أعظم من قتلهم إياهم في الحرم (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) نهوا عن ابتدائهم بقتل أوقات حتى يبدؤوا للمشركين (فان يقاتلوكم) أي ابتدأوا بقتالكم عند المسجد الحرام فلكم القتال على سبيل المكافأة ثم بين أنهم ان اتهموا كفوا عن الكفر واكثروا القتال وأسلموا

(فان الله غفور رحيم) أى يغفر لهم كفرهم وقتلهم من قبل وهو منهم عليهم يقول تو بهما واتهمهم بكفرهم وقتلهم (وقتلهم حتى لا تكون فتنة) يعنى شرك بيني قاتلهم حتى يسلموا فان يقبل من الشرك (٥١) الوتنى جزية (و يكون الدين) أى

الطاعة والعبادة (الله) وحده

فلا يبعدونه شئ (فان اتوا) أى عن الكفر (فلا عدوان) أى لاقتل ولا نهب (الاعلى الظالمين) الكافرين (الشهر الحرام) بالشهر الحرام) أى أن قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلهم في مثله (والحرمات قصاص) أى إن اتهمكوا لكم حرمة فاتهمكم مثل ذلك أعلم الله أنه لا يكون للسلبيين أن يتهمكوا على سبيل الابتداء ولكن على سبيل القصاص وهو معنى قوله (فمن اعتدى عليكم) الآية (وأنتقوا الله) أى في طاعة الله من الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ولا تمسكوا عن الانفاق في الجهاد (وأحسنوا) أى الظن بالله في الثواب والاختلاف عليكم) وأنتموا المحص والعمرة (به) بناسكهم وحدودهم واستبها وتأذبه كل ما فيها (فان أحصرتم) حبستم ومنعتم دون تمامها (فما تيسر) أى فواجب عليكم ما تيسر (من الهدى) وهو ما يهدي إلى بيت الله الحرام أعلاه بدنة وأوسطه بقره وأدناه شاة أى فطيه ما تيسر من هذه الأجناس

(فان الله غفور) لم يقد سلف (رحيم) بهم (وقتلهم) بالابتداء منهم في الحل والحرم (حتى لا تكون فتنة) أى كي لا توجد فتنة عن دينكم أى وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم واطبوا على ذلك الإيذاء حتى ذهبوا إلى المدينة وكان غرضهم من إثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأتزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلهم حتى تصادوا عليهم فلا يفتنوك عن دينكم فلا تقموا في الشرك (و يكون الدين) أى وكى يوجد الاسلام والعبادة (الله) وحده لا يبعدون في الحرم سواء (فان اتهموا) عن قتالكم في الحرم (فلا عدوان) أى فلا سبيل لكم بالقتل (الاعلى الظالمين) أى للتبدين بالقتل أو المعنى فان اتهموا عن الأمر الذى يوجب قتالهم وهو ما كفرهم أو قتالهم فلا قتل الاعلى الذين لا يتهمون عن الكفر فانهم باصرارهم على كفرهم ظالمون أنفسهم (الشهر الحرام) الذى دخلت يا محمدي قضاء العمرة وهو ذو القعدة من السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرام) الذى صدك عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة أى من استحل دمكم من الشركين في الشهر الحرام فاستحلوه فيه (والحرمات) أى الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام (قصاص) أى يجزى فيها بدل (فمن اعتدى عليكم) بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أى فجازوه بمثل ما اعتدى عليكم به (واتقوا الله) أى اخشوه بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والحفظ (وأنتقوا في سبيل الله) أى في طاعة الله قضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أى ولا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك بمنع النفقة في سبيل الله أو بالامراف في النفقة أو بتضييع وجه العاش (وأحسنوا) في الانفاق على من تاركم مومته بأن يكون ذلك الانفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقترعوا وقالوا أحسنوا الظن في الله (ان الله يحب المحسنين) أى يريد بهم الخير ويشيم نزلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله إلى ههنا حتى الحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد طم الحديبية لأنهم خافوا أن يقتلهم الكفار في الحرم والاحرام أو الشهر الحرام وكرهوا ذلك لأن القتال في ذلك الوقت كان محرما في تلك الأحوال الثلاثة (وأعوا الحج والعمرة لله) أى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانها وشروطها فبه بأن تخلصوها للعبادة ولا تخطوها بشئ من التجارة والأغراض الدنيوية (فان أحصرتم) أى منعتم عن آتامها بدم (فما تيسر من الهدى) أى فطيسكم إذا أردتم التحلل ما تيسر من الهدى من بدنة أو بقرة أو شاة لترك الحرم واذبحوها حيث أحصرتم في حل أو حرم (ولاحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى وقت يجزى ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعى لكن يندب إرساله إلى الحرم خروجا من خلاف أبي حنيفة فإذا ذبحتم فاحلقوا وبجبة التحلل عند النزح والحلق وهما يحصل الخروج من النسك قال الشافعى كل ما وجب على الحرم في حاله لا يجزى إلا في الحرم لا في غيره (أهل الأتي نوعين أحدهما من ساق هديا فطيه في طريقه فيذبحه ويحلى بين يمين الساكنين وثانيهما دم المصرب بالدفوفانه يذبح حيث حبس لأن هذا الدم أعاجب لآلة الحافوفوز والاحوف انما يحصل اذا قدر عليه حيث أحصر (فمن كان منكم مريضا) في بدنه محتاجا إلى اللواطة واستعمال الطبيب واللباس (أو) كان (به أذى من رأسه) أى لم يرأسه بسبب القمل والصبيان أو بسبب

(ولاحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى ولا تحلقوا من احرامكم حتى يشر الهدى بمكة في بعض الأقوال وهو مذهب أهل العراق وفي قول غيرهم حله حيث يشاء وهو غير صحيح وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه)

فحلق (فقدية من صيام) وهو صيام ثلاثة أيام (أو صدقة) وهي الطماق ستمسكين لكل مسكين بلدان (أونسك) أى ذبيحة (فاذا أمنت) أى من العدو أو كان حج ليس فيه (٥٢) خوف من عدو (فن تمتع بالعمرة إلى الحج) أى قدم مكة محرماً واعتبر في أشهر

الحج وأقام حلالاً بمكة حتى يفتى منها الحج عامه ذلك واستتم بمحظورات الاحرام لأنه حل بالعمرة فن فعل هذا فعليه (ما استيسر من الهدى فن لم يجد) فن الهدى (فصيام ثلاثة أيام في أشهر الحج وسبعة اذا رجعتم) أى بعد الفراغ من الحج (تلك عشرة كاملة) أى ذلك القرص الذى أمرنا من الهدى أو الصيام (لن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أى لمن لم يكن من أهل مكة (الحج أشهر) أى أشهر الحج (أشهر) (معلومات) مؤقته معينة وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة (فن فرض) أى أوجب على نفسه (فبين الحج) بالاحرام والتلبية (فلارث) أى لا جماع ولا فسوق) أى لا معاص (ولاجدال) وهو أن يجادل صاحبه حتى يرضيه والمضى لا ترثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا (في الحج) وامتثلوا من غير يعلم الله) أى يجازيكم به الله العالم (وزودوا) زلت في قوم كانوا يصحون بلا زاد ويقولون نحن متوكفون فكانوا يسألون الناس

زودوا ظنهم وغضبهم فأمرهم الله أن يزودوا فقال وزودوا ما تبغون به (فان خير زاد التقوى) معنى فأنك تكون به وجهك عن السؤال وأنفسك عن الظلم (ليس عليكم جناح) الآية كان قوم يزعمون أنه لا حج لجمال ولا تجار فاعلم الله: للأحرج في ابتغاء الرزق بقوله ليس عليكم جناح (أن تبغوا فضلاً) أى رزقاً من ربكم) بالتجارة في الحج (فاذا أفضتم) أى دفتم

من

فأنك تكون به وجهك عن السؤال وأنفسك عن الظلم (ليس عليكم جناح) الآية كان قوم يزعمون أنه لا حج لجمال ولا تجار فاعلم الله: للأحرج في ابتغاء الرزق بقوله ليس عليكم جناح (أن تبغوا فضلاً) أى رزقاً من ربكم) بالتجارة في الحج (فاذا أفضتم) أى دفتم

وانصرفتم (من عرفات فاذا كروا الله) بالداء والتبعية (عند الشعر الحرام واذ كروه كاهداكم) أى ذكر مثل هدايته أى يكون جزاء لهدايته اياكم (وان كنتم من قبله) أى وما كنتم من قبل هدايه الاضالين (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) يعنى العرب وعلامة الناس الا قرب يساود ذلك انهم كانوا لا يقفون بعرفات وانما يقفون بالزدلفة ويقولون نحن اهل (٥٣) حرم الله فلا يخرج منه فأمرهم تعالى أن

يقفوا بعرفات كما يقف سائر الناس حتى تكون الافاضة معهم منها (فاذا قضيت مناسككم) أى فاذا فرغتم من عباداتكم إلى أمرهم بهانى الحج (فاذكروا الله كذكركم اياهكم) كانت العرب اذا فرغوا من حجهم ذكروا وما فرأى اياهم فأمرهم الله تعالى بذكره (أو أشد ذكرا) يعنى واشد ذكرا (لئن الناس من يقول ربنا آتانا الدنيا والله فى الآخرة من خلاق) وهم للشرك كانوا يسألون للمال والابل ولا يسألون حظا فى الآخرة لأنهم لم يكونوا مؤمنين بها والسلمون يسألون الحظ فى الدنيا والآخرة وهو قوله (ومنهم من يقول ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) أى دافع عنا العذاب (أولئك) أى أهل هذه الصفة (لم ينصب) أى حظوا فى الجنة (عما كسبوا) أى من حجهم (والله سريع الحساب) أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وعالم بحيلة سؤال الله السائلين (واذكروا الله) أى بالتكبير والتهليل والتجديد (فى أيام معدودات) أى فى أيام التشريق الثلاثة (لئن تعجل) يرجوعه الى أهله (فى يومين) يعنى بدو يوم النحر (فلا تأم عليه) بتعجيله (ومن تأخر) الى اليوم الثالث حتى يرى فيه قبل الزوال وأى بعده (فلا تأم عليه) بتأخره فهم غير وفى ذلك (لئن اتى) أى وفى الأيام لمن اتى الله حجه لأهله التسع بمحجودون من سواء (واتقوا الله) أى احذروا والاخلال بما ذكر من الأحكام (واعلموا انكم اليه تعشرون) أى للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) أى ومن الناس من يعظم فى قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الأخس بن شر فى التقى واسمه أى كان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما فى قلبه) فان الأخس هذا أقبل الى النبي ﷺ وأظهر الاسلام وحلف بالله انه يحبه ويتابعه فى السر ويحتمل أنه يقول فاقه يشهد بأن

(من عرفات فاذا كروا الله) بالتبعية والتسبيح والتحميد والتهليل (عند الشعر الحرام) وهو جبل يقف عليه الامام وسمى قرح وهو آخر حمل للزدلفة وقال بعضهم للشعر الحرام هو للزدلفة لأن الله ذكر الأمور به عنده يحصل عقب الافاضة من عرفات وماذاك الا بالمبيت للزدلفة (واذكروا) أى الله (كاهداكم) أى لأجل هدايته اياكم كاهداكم (وان كنتم من قبله من الضالين) أى وانكم كنتم من قبل الهدى الى الجاهلين بالايمان والطاعة (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) أى ثم ارجعوا من الزدلفة الى متى قبل طلع الشمس للرعى والتحرر لارجع منها ابراهيم واسماعيل فى ذلك الوقت على ما جاء به الرسول ﷺ وكان العرب الذين وقفوا بالزدلفة يرجعون الى متى بعد طلع الشمس وهذا كما اختاره الضحاك (واستغفروا الله) بالاسان مع التوبة بالقلب وهو ان يندم على كل قصير منه فى طاعة الله ويمزم على أن لا يقصر فيما بعد ويقصد بذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (ان الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم) أى منعم عليه (فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم اياهكم) وكان العرب بعد الفراغ من الحج يقفون بين السجود والجبل فيبثون فى الثناء على آياتهم فى ذكر منافعهم وقضائهم فقال الله تعالى هذه الآية فاعلموا فاذا فرغتم من عبادتكم المتعلقة بالحج كأنهم يرمون حجرة العقبة وطقتم واستقروا ثم يأتون الجاهلية (أو أشد ذكرا) أى بل أكثر ذكرا من ذكر آياتكم لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (لئن الناس) أى للشركين والوثنيين (من يقول) فى الموقف (ربنا آتانا) أى أعطانا (فى الدنيا) ابلوا بقرا وغنا وعيلا وأموالا ومالا (ومالا) فى الآخرة من خلاق) أى من نصيب فى الجنة بحجه (ومنهم من يقول ربنا آتانا فى الدنيا حسنة) أى علما وعبادة وعصمة من الذنوب وشهادة وغنية وحجة وكفاة وتوفيقا للخير (وفى الآخرة حسنة) أى جنات ونعيمها (وقنا عذاب النار) أى دفع عنا العذاب (أولئك) أى أهل هذه الصفة (لم ينصب) أى حظوا فى الجنة (عما كسبوا) أى من حجهم (والله سريع الحساب) أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وعالم بحيلة سؤال الله السائلين (واذكروا الله) أى بالتكبير والتهليل والتجديد (فى أيام معدودات) أى فى أيام التشريق الثلاثة (لئن تعجل) يرجوعه الى أهله (فى يومين) يعنى بدو يوم النحر (فلا تأم عليه) بتعجيله (ومن تأخر) الى اليوم الثالث حتى يرى فيه قبل الزوال وأى بعده (فلا تأم عليه) بتأخره فهم غير وفى ذلك (لئن اتى) أى وفى الأيام لمن اتى الله حجه لأهله التسع بمحجودون من سواء (واتقوا الله) أى احذروا والاخلال بما ذكر من الأحكام (واعلموا انكم اليه تعشرون) أى للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) أى ومن الناس من يعظم فى قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الأخس بن شر فى التقى واسمه أى كان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما فى قلبه) فان الأخس هذا أقبل الى النبي ﷺ وأظهر الاسلام وحلف بالله انه يحبه ويتابعه فى السر ويحتمل أنه يقول فاقه يشهد بأن

التشريق (لئن تعجل فى يومين) من أيام التشريق فغير فى اليوم الثانى من منى (فلا تأم عليه) (ومن تأخر) عن النحر الى اليوم الثالث (فلا تأم عليه) (لئن اتى) أى طرح للمآتم يكون لمن اتى فى حجة تنصيح شئى لمحاجة الله (ومن الناس من يعجبك قوله) يعنى الأخس بن شر وفى ذلك (لئن اتى) أى وفى الأيام لمن اتى الله حجه لأهله التسع بمحجودون من سواء (واتقوا الله) أى احذروا والاخلال بما ذكر من الأحكام (واعلموا انكم اليه تعشرون) أى للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) أى ومن الناس من يعظم فى قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الأخس بن شر فى التقى واسمه أى كان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما فى قلبه) فان الأخس هذا أقبل الى النبي ﷺ وأظهر الاسلام وحلف بالله انه يحبه ويتابعه فى السر ويحتمل أنه يقول فاقه يشهد بأن

(وهو ألد الخصام) أى أشد الخصومة وكان جدلاً بالباطل (وإذا تولى سعى فى الأرض) الآية وذلك أنه رجع إلى مكة فبرزوع المسلمين وحرق أزرع وعقر الحمر (٥٤) فهو قوله تعالى (ويهلك الحرث والنسل) يعنى نسل الدواب (وإذا قيل

له اتق الله) أى إذا قيل له مهلبلاً (أخذته العزة بالآثم) أى حملته الآفة وحية الجاهلية على القتل بالآثم (فحسبه جهنم) أى كافيه الجميع جزاءه (ولبس للهاد) أى لبس للقر (ومن الناس من يشرى نفسه) أى يبيع نفسه يعنى يبذلها لأوامر الله (ابتغاء مرضات الله) أى لطبرياء الله زلت في صيب (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أى في الإسلام (كافة) جميعاً أى في جميع شرائعه زلت في عبادة بن سلام وأصحابه وذلك أنهم بعد ما دخلوا في الإسلام عظموا السب وكروا لحوم الأبل فأمروا بترك ذلك وليس من شائر الإسلام تحريم السب وكراهة لحوم الأبل (ولا تتبوا خطوات الشيطان) أى تأثروا وزفاته (فان زلتم) أى تتعجم عن التصد (من بعد ما جاءكم البينات) أى القرآن (فاعلموا أن الله عز وجل) أى تقمته لا تعجزونه ولا يعجزه شئ (حكيم) فيما شرع لكم من دينه (هل ينظرون) أى هل ينتظرون

يعنى التاركين للدخول في السلم وهل استقام معناه الذى يعنى ما ينتظرون هؤلاء في الآخرة (الأن بأنهم) عذاب الله (فى ظلم من التهام) الظلم جمع ظلم وهو ما غلظت (والنبي أن المذاب) أى فى ما ينتظرون أهول (وللائكة) يعنى الملائكة الذين وكوا بتعليمهم

بالقيام ونزل الملائكة نزيلا (وقضى الأمر) أي تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها
 وازال كل أحسن للكافرين منزلته في الجنة والنار (والى الله ترجع الأمور) أي إن الله تعالى ملك
 عباده في الدنيا كثير من أمور خلقه فإذا صاروا إلى الآخرة فلا ملك للحكم في العباد سواء كما قال تعالى
 والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للجوهر على معنى ترد وقرأ ابن عامر
 وحزرة والكسائي ترجع بالبناء للفاعل أي صير كقوله تعالى ألا إلى الله تصير الأمور قال خفر الدين محمد
 الرازي والأوضح عندي أن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أعمزت حتى حق اليهود
 والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتاب للتقدم أكلوا طاعتكم في الإيمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله
 وكتبه فادخلوا بإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتبه في الإسلام عن التلم ولاتبوا الشهوات
 التي تسمعون بها في بقاء تلك الشريعة وعلى هذا التقدير فقوله تعالى فإن زلتم من بعد ما جاءكم
 اليثبات فاعلموا أن الله عز رحيم يكون خطايا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى هل ينظرون إلا
 أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله
 في ظلل من الغمام والملائكة الأتري أنهم ضلوا مع موسى مثل ذلك فقلوا لن تؤمن بك حتى يرى الله
 جهرة وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها وذلك لأن اليهود كانوا على
 مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله الجبى والتعاب وكانوا يقولون انه تعالى تجبى لموسى عليه
 السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير
 يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ إلى التأويل وإلى حمل
 اللفظ على المجاز وذكر الله تعالى بعد ذلك ما يجري مجرى التهديد بقوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور
 (سل بنى إسرائيل) قل يا أشرف الخلق لأولاد يعقوب الحاضرين منهم نوبيخا (كم آتيناهم من
 آية بيّنة) أي معجزات موسى عليه السلام كفتل البحر وتظليل الغمام وأزال للّن والسوى وتلق
 الجبل وتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام من السحاب وأزال التوراة عليهم فبطلوا مقتضاها وهو
 الإيمان بها بالسفر فاستوجبوا العقاب من الله تعالى فانكم لو زلتم عن آيات الله تعالى لو قسمت في
 العذاب كراويع أسلافكم أولئك سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بنى إسرائيل بنبيهم على
 ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بيّنة محمد ﷺ يعلم به صدقه وصحة شريعته وكفروا بها (ومن
 يبدل نعمة الله من بعد ما جادته) أي ومن يبدل آيات الله الباهرة المالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 بالكفر من بعد ما عرفها أولئك ومن يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جادته محمد ﷺ (فإن الله
 شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أي حسن مافي الحياة الدنيا من
 سعة العيشة لكفار مكة أبي جهل ورؤساء قريش (ويسخرون من الذين آمنوا) أي يسخرون
 على فقر المؤمنين كعبدة بن مسعود وعمار وخباب وسالم مولى أبي حذيفة وعامر بن فهرة وأبي
 عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بنسق للعيشة (والذين اتقوا) عن الدنيا الشاغلة عن
 الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لأن المؤمنين في عليين والكافرين في سجين ولا تسهم في أوج
 الكرامة وهم في حضيض الللة ولأن سخرة المؤمنين بالكفار يوم القيامة فوق سخرة الكافرين
 بالمؤمنين في الدنيا (والله يرزق من يشاء) في الدنيا من كافر ومؤمن (بشر حساب) أي بشر
 تكلف من الرزوق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين بما أفاض عليهم من أموال صنديد
 قريش ورؤساء اليهود حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر (كان الناس أمة واحدة) فأنه على الحق

كفرا كلهم

(ليحكم بين الناس) أى
الكتاب (فما اختلفوا فيه
وما اختلف فيه الا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات فيها يتهيم) أى
وما اختلف في أمر محمد
صلى الله عليه وسلم بعد
وضوح الدلائل لم يهاجم
وحسدا اليهود أى الا
الذين أوتوا الكتاب وهم
علماء اليهود لان المشركين
وان اختلفوا في أمر محمد
صلى الله عليه وسلم فانهم لم
يفعلوا ذلك لثبتي والحسد
ولم تأتهم البينات في شأن
محمد كما اتهم اليهود قال يهود
مخصوصون من هذا
الوجه (فهدى الله الذين
آمنوا لمعرفة (ما اختلفوا
فيه من الحق بآذنه) أى
بعلمه وارادته فيهم (أم
حسبت أن تدخلوا الجنة)
نزلت في فقراء المهاجرين
حين اشتد الضر عليهم
لأنهم خرجوا بلا مال فقال
أفهم أى لم لا تطلبوا هاجر
أم حسبت أن تدخلوا الجنة
من غير بلاء ولا مكروه
(ولما أتاكم) أى ولما أتكم
(مثل الذين) أى مثل عنة
الذين (دخلوا) أى مضوا
(من قبلكم) أى ولم يصحبكم
مثل الذى أصابهم فتصبروا
كصبروا (مستهم البأساء)

ثم اختلفوا بسبب الحسد والتنازع في طلب الدنيا فان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والاناث
كانوا أمثوا واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (قبض الله اليدين مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله
(ومندرين) بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)
أى ليحكم الكتاب في الحق الذى اختلف الناس في ذلك الحق فالكتاب حاكم والمختلف فيه هو الحق
محكوم عليه (وما اختلف فيه) أى الحق (الا الذين أوتوه) أى أعطوا الكتاب مع أن المقصود
من أنزال الكتاب أن لا يختلفوا وأن يرضوا للتنازع في الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أى
الدلائل العقلية التى نصبها الله تعالى على اثبات الأصول التى لا يمكن القول بالنسبة الا بعد ثبوتها (بنيا
بينهم) أى حسد منهم أى أن الدلائل امامية واماعلية أو السمعية فقد حصلت بآيات الكتاب وأما
العقلية فقد حصلت بالبينات للتقدمة على آيات الكتاب فبعد ذلك لم يبق في العدول عن الحق علة فلو
حصل العدول لم يكن ذلك إلا بحسب الحسد والحرص على طلب الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق بآذنه) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف بعلمه
وبارادته وبكرامته قال ابن زيد اختلفوا في القبلة فصلت اليهود الى بيت المقدس والنصارى الى الشرق
فهذا ما اتفق عليه واختلفوا في الصلوة فهذا ما اختلفوا فيه فمضوا واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان
يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا انه كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى قال يهود فطواحيث
أنكروا بنوه ورسالته والنصارى أفرطوا حيث جعلوا له ولدا وقلنا قولا عدلا وهو أنه عبد الله ورسوله
(والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أى طريق حق لا يضل سالكه ويقال والله ثبت من يشاء
على دين قائم برضيه (أم حسبت أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي
المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطيبا
لتأويلهم وقال قتادة قال السدي نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن
وقيل نزلت في حرب أسلما قال عبد الله بن أبي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم متى يقتلون أنفسكم
وترجون البطل ولو كان محمد نبيا لسلط الله عليكم الأسر والقتل ومعنى الآية أنتم أيها المؤمنون أن
تدخلوا الجنة بمجرد الايمان بى وتصديق رسولى بدون أن تعبدوا الله بكل ما كلفكم وباتلاك بالبر
عليه ودون أن ينالك أذى الكفار والفقير ومقاساة الأحوال في مجاهدة العدو كما كان كذلك من
قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم أى والحال لم
يأتكم شبهة للثومنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم البأساء والضراء فالأبساء
تضييق جهات الحغير والتنفه والضراء افتقار جهات الثر والآفات والألم ومعنى زلزلوا أى حركوا
بأنواع البلاء والازايا ومعنى حتى يقول الرسول لان الرسل عليهم السلام يكونون في غاية الثبات والصبر
وضبط النفس عند نزول البلاء فآذ الله بى لم صبر حتى ضجوا كان ذلك هو الغاية القصوى في الشدة
فلما بلغت بهم الشدة الى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم (الآن نصر الله قريب) اجابة لهم من الله
أؤمن قوم منهم والأحسن أن يقال فالذين آمنوا قالوا لم نصر الله ثم سؤلهم قال الآن نصر الله قريب
روى السكبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمرو بن الجوح وكان شيخا كبيرا هارما وهو الذى

أى الشدة (والضراء) أى للرض والجوع (وزلزلوا) أى وحركوا بأنواع البلاء

قتل

(حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) أى حين استبطأوا النصر فقال الله (الآن نصر الله قريب) أى أنا ناصر ألبائى لأخاه

(يسألونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجوح وكان شيخا كبيرا وعنده مال عظيم فسأل الرسول اقصى الله عليه وسلم ماذا تنفق من أموالك وأنهم أنضها فنزلت هذه الآية قال كثير من الفقهاء في هذا (٥٧) كان قبل فرض الزكاة قبل فرضت

نسخة: إلكاة هذه الآية
(كتب عليكم القتال)
فرض وأوجب عليكم
الجهاد (وهو كره لكم)
أى مشقة لا يدخل منه
لى النفس والمال (وعسى
أن نكسرهم أينما هو خير
لكم) لأن فى النزوا احدى
الحسينين اما القنصر
والنقمة واما الشهادة
والجنة (وعسى أن نعوا
شيتا) وهو القعود عن
النزو (وهو غير لكم) لما
فيه من الذل والقنصر
وحرمان النقمة والأجر
(والله يعلم) ما فى مصالحكم
فبادروا الى ما بأمركم به
وان شئ عليكم (سأؤنك
عن الشهر الحرام)
نزلت فى سريه بها
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاتلوا المشركين
وقد اهل هلال رجب وهم
لا يصحون ذلك فاستظلم
المشركون سفك الدماء
فى رجب فآذن الله تعالى
بسأؤنك بضى للمشركين
عن الشهر الحرام قتال
فيه قل قتال فيه كبير
ثم أبنا فقال (وصد)
ومنع (عن سبيل الله)
أى عن طاعة الله بضى صد
المشركين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه عن

قيل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تفقون أموالنا وأين نضعها قلت هذه الآية (يسألونك ماذا ينفقون) أي أي شيء يصرف للمال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فلو الذين والأقربين واليتامى) أي المحتاجين منهم (والسائلين وابن السبيل) فالانفاق على الأولاد واليتامى واجب عند عجزهم عن الكسب والمالك والانفاق على الأقربين وهم الأولاد وأولاد الأولاد قد يلزم عند فقد المالك فيحتمل الواجب فيه ذكر فقر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والانفاق على اليتامى والسائلين والأقربين في السبيل إمامين جهة الزكاة ومن جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب الأقرب إلى الله تعالى في باب الثقة فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وما تفعلوا من خير) أي من سائر وجوه البر والطاعة (فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفى ثوابه (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم قتال الكفرة في أوقات الغلبة للعالم مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي والحال أن القتال مكروه لكم جميعا لشدة على النفس (وعسى أن تكرهوا شيئا) كالجهاد في سبيل الله (وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والفتنة والأجر (وعسى أن تحبوا شيئا) كالجلوس عن الجهاد (وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الفتنة ولا الأجر (والله يعلم أن الجهاد خير لكم) فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولتلك تكرهونه وأولئها والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلاتبعوا في ذلك رأيكم واستأخوا أمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص وللقداد بن الأسود وأصحابها (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن حنظل قتال بدر بشهرين وبسبعة عشر شهرا من جمية المدينة في ثمانية رطل وكتب له كتابا وعهدا ودفعه إليه وأمره أن يقتله بعد مئزتين ويقرأ على أصحابه ويعمل بعباه فإذا فيه أما بعد فعلى ربك الله تعالى بمن ابتكلك حتى تنزل طين نخل فترصد بها عير قریش لتلك أن تأتيانمنا بخير فقال عبد الله سمعوا وطاعة لأمره فقال لأصحابه من أحب منكم الشهادة فلينطلق معي فأتى ماض لأمرهم من أحب التخنل فليتخنل فشيء حتى بلغ طين نخل بين مكة والطائف فرعليهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثه فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهوا بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقد بن عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش وروى عمرو بن الحضرمي قتله وأمروا اثنين وساقوا الير بباقي من تجارة الطائف حتى قفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضج جحش وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأمن فيه الخائف فيسبك فيه العلماء والسلمون أيضا قد تعجبوا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إني مأمركم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا نرى أفرجيب أمسينا أم بقي جدادى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم الير والاسارى فزلب هذه الآية فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وعلى هذا التقدير فالظاهر أن هذا السؤال إنما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه) أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وزرا وقدم الكلام ههنا والوقف ههنا تام (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكره عند الله) أي ولكن منع الناس

(۸۔) (تفسیر: مراحلیں)۔ (۱۔ اول)

النبي عام الحديبية (وكفره) أي بالله (والسجد الحرام) أي وضد

عن السجدة الحرام (واخراج اهله منه) أى أهل السجدة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أخرجوا من مكة (أكرم عند الله)

أى أعظم وزر عند الله (والفتنة) أى والشرك (أكبر من القتل) يبنى قتل السرية للشركين في رجب (ولا يزالون) يعنى المشركين (يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) (٥٨) الى الكفر (ان استطاعوا ومن يردنكم عن دينه) الاسلام أى

يرجع (فيتم وهو كافر) أى تم مات على الكفر (فأولئك حبطت أعمالهم) الآية فقال هؤلاء السرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أصبنا للتوم في رجب أرجو أن يكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله فأقول الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) أى فارقوا عشائرهم وأوطانهم (وجاهدوا) للمشركين (في سبيل الله) أى في نصرة دين الله (أولئك يرجون رحمت الله) والله غفور رحيم) غفر هؤلاء السرية ما لم يعلموا ورحمهم والإجماع اليوم منقطع على أن قتال المشركين يجوز في جميع الأشهر حراما وحلالا (يسألونك عن الحجر والبسرس) نزلت في عمر ومعاذ وسعد بن أبى وقاص أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أقتنا في الحرة والميسرة فها هم مذهبة للعقل مسلبة للال فنزل قوله يسألونك عن الحرة والميسرة وهو كل مسكر مختلط للعقل مغط عليه والميسرة القمار (قل فيها

عن دين الله وطاعته وكفر بالله ومنع الناس عن مكة وإخراج أهله وهم الذى صلى الله عليه وسلم والؤمنون من مكة أعظم وزرا عند الله من قتل عمرو بن الحضرمى في رجب خطا مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا في جمادى الآخرة (والفتنة) أى ما فعلوا الفتنة عن دين المسلمين تارة بإلقاء الشبهة في قلوبهم وتارة بالتعذيب كقتلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر (أكبر من القتل) أى أقطع من قتل عمرو بن الحضرمى روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش الى المؤمنين مكة اذا عيركم للمشركون بالقتال في الشهر الحرام فبيروهم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولا يزالون) أى أهل مكة الكفرة (يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) أى كى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) وهذا استبعاد لاستطاعتهم وإشارة الى ثبات المسلمين في دينهم (ومن يردنكم عن دينه فيمت وهو كافر) بأن يرجع الى الاسلام (فأولئك) للصرون على الارتداد الى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التى عملوها في حالة الاسلام (في الدنيا والآخرة) لحبوط الأعمال في الدنيا هوانه يقتل عند الظفر هو يقاتل الى أن يظفر هو لا يستحق من المؤمنين نصرا ولتأناه حسنا ونبيين زوجته منه ولا يستحق للبراث من كل أحد وجوب طاعته في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذى استحقوه بأعمالهم السابقة أما لو رجع اللى الاسلام عدت عليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكلف بإعادتها وهذا هو المتمد فيذهب الشافعى (وأولئك أصحاب النار) أى ملازموها (هم فيها خالدون) أى مقيمون لا يخرجون ولا يموتون (وروى) أن عبد الله بن جحش قال يا رسول الله هب أنه لا عقاب علينا فإنا فلان أهل قطع منة أجرا ونوايا فنزلت هذه الآية (ان الذين آمنوا بالله ورسوله (والذين هاجروا) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة الى المدينة (وجاهدوا) أى بذلوا جهدهم في قتل العدو كقتل عمرو بن الحضرمى الكافر (في سبيل الله) أى لإعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمت الله) أى يطمعون في ثواب الله أو ينالون جنة الله (والله غفور رحيم) فيحقق لهم رجاءهم اذا ما تواروا على الإيمان والعمل الصالح (يسألونك عن الحرة والبسر) أى عن تناولها (قل فيها) أى في طاعيتها (أثم كبير) أى عظيم بعد التحريم لما يحصل بسببها من الخاصة وللشاعة وقول الفحش واتلاف الأموال ولأن الحرة مسلبة للقول التى هي قطب الدين والدنيا وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء للثلة (ومنافع للناس) قبل التحريم بالتجارة فيها وبالأداة والفرح وتصفية اللون وحمل البخیل على الكرم وزوال ألم وهضم الطعام وتقوية البائة وتشجيع الجبان في شرب الحمر وإصابة اللال بلاكد في القمار أى الغالبية بأخذ المال في أنواع اللعب (وأثمها) بعد التحريم (أكبر من نفعها) قبل التحريم وقرىء أقرب من نفعها قال المفسرون نزلت في الحرار مع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان للمسلمون بشر بوزنها وهى حلال لهم ثم ان عمرو ومعاذ أنفرا من الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يا رسول الله أقتنا في الحرة والميسرة فها هم مذهبة للعقل مسلبة للال فنزل فيها قوله تعالى قل فيها أثم كبير ومنافع للناس فشرها قوم وركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف

أثم كبير) يعنى الأثم بسببها لما فيها من الخاصة وللشاعة وقول الفحش والزور (ومنافع للناس) أى ما كانوا يصبون منه من المال في بيع الحمر والتجارة فيها والذة عند شربها ومنفعة للبسر ما يصاب من القمار ويرتفع به الفقراء ثم بين أن ما يحصل بسببها من الأثم أكبر من نفعها فقال (وأثمها) أكبر من نفعها) وليست هذه الآية بالمرعة للخمر والبسر أعلا المرعة التى في المائدة وهذه

الآية نزلت قبل تحريمها (ويسألونك ماذا ينفقون) نزلت في سؤال عمرو بن الجوح لما نزل قوله فقلوا الدين والأقر بين في سؤاله أعاد السؤال وسأل عن مقدار ما ينفق فنزل قوله (قل العفو) أي ما فضل من المال عن البقال فكان الرجل بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه وينفق ما بقيه إلى أن فرغت الزكاة فسخت الآية الزكاة التي في براءة (٥٩) هذه الآية وكذا صدقة أمر بها قبل الزكاة

(كذلك) أي كيانه في

الحجر واليسر أو في الانفاق

(بين الله لكم الآيات)

للتفكر والرفي) أمر (الدين

والآخرة) فحرفوا فضل

الآخرة على الدنيا

(ويسألونك عن البتاي)

كانت العرب في الجاهلية

يشدون في أمر مال اليتيم

ولا يواكلونه وكانوا

يتشامون ببلاسة أموالهم

فلما جاء الإسلام سألوا عن

ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم فأزل الله هذه

الآية وقوله (قل إصلاح لهم

خير) يعني الإصلاح

لأموالهم من غير أجره خير

وأعظم أجرا (وان

تخالطوهم) أي تشاركوهم

في أموالهم وتخالطوها

بأموالكم فتصيبوا من

أموالهم عوضا عن قيامكم

بأموالهم (فانخسروا)

أي فهم اخسأواكم والاخوان

يعين بعضهم بعضا ويصيب

بعضهم من مال بعض (واقد

يعلم القصد) لا أموالهم (من

الصلح) لها فاتقوا الله في

مال اليتيم ولا تحسبوا

مخالطكم إياهم ذرا إلى

ناسمهم فشر بواوسكروا فقام بعضهم صلى اماما فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدا لعبدين يحذف
لا فزلت لا تقر بوا الصلاة وأتم سكرارى فقل من شر بهما اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي
وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعر حتى أئندسعد شعرا فيهجاء لا أنصار فضر به
أنصارى بلحى بغير فشجه شجة موضحة فشكالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين
لنابى الحجر بيانا شافيا فنزل يا أيها الحجر واليسر إلى قوله فهل أتم متهمون فقال عمر انتهيتا رب (ويسألونك
ماذا ينفقون) أي أي قدر ينفقونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجوح سأل النبي صلى الله عليه
وسلم ماذا تصدق من أموالنا وقيل السائل معاذ بن جبل ومثله وقال الرازى كان الناس للمراواة
ورسوله يحضن على الانفاق ويدلان على عظيم نوابه سألوا عن مقدار ما كفوا بههل هوكل للمال
أو بعضه فأعلمهم الله تعالى أن العفو القاضى عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما سهل عما
يكون فضلا عن حاجة الإنسان في نفسه وعياله ومن تلزمه مؤتهم (كذلك) أي كما بين الله لكم
قدر النفي وحكم الحجر واليسر بأن فيها منافع في الدنيا ومضار في الآخرة (بين الله لكم الآيات)
الدالة على الأحكام الشرعية (لعلكم تتفكرون في الدنيا) أيها فانية (والآخرة) أيها باقية فإذا
تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن
اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الاتفاق بأموال اليتامى وما تزوجوا باليتمة طمعا في مالها
ثم إن الله تعالى أنزل قولان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أي يأكلون في بطونهم ثارا وقوله ولا
تقر بوا مال اليتيم الإلأى هى أحسن فصد ذلك ترك القوم مخالطة اليتامى والمقر بتمن أموالهم
والقيام بأموالهم فاحتلت مصالح اليتامى وسامت معيشتهم فنقل ذلك على الناس فقال عبدالله
ابن رواحة وقيل ثابت بن رفاعة الأنصارى يا رسول الله مالكننا منازل نسكنها الإيتام ولاكننا عبيد
طعاما وشرابا ودرهما ليتيم فهل يجوز مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والسكن أم لا فنزلت هذه الآية
(قل إصلاح لهم خير) أي قل يا أشرف الخلق إصلاح أموالهم من غير أخذ أجره خير لكم من ترك
مخالطهم وأعظم أجرا لكم (وان تخالطوهم فانخسروا) أي وان تخالطوهم بمال يتضمن افساد
أموالهم فذلك جائز لأنهم اخسأواكم في الدين (واقد يعلم الفساد من الصلح) أي يعرف الفساد
لأموالهم بالمخالطة من الصلح لما قيل يلغضون من أراد الافساد والطعم في أموالهم بالنكاح عن
أراد الافساد (ولو شاء الله لأعتكم) أي لكفكم ما يشتد عليكم أولضيق الأمر عليكم
في مخالطهم (ان الله عزيز) أي غالب على أمره قوى بالنقمة الفساد مال اليتيم (حكيم) يحكم بما
تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس طاعة البشر (ولا تنكحوا للمشركات حتى
يؤمن) أي ولا تزوجوا للمشركات بالله إلى أن يؤمن بالله بأن يقرن بالشهادة ويلزم من أحكام
الإسلام هذا مقصور على غير الكتابيات لما روى عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال تزوج نساء أهل الكتب ولا تزوجون نساءنا وروى عبد الرحمن بن عوف

افساد مال اليتيم وكله بغير حق (ولو شاء الله لأعتكم) أي لضيق عليكم وأتمكم في مخالطهم ومعنا ما ذكر بالتمتع في التوسة (ان
الله عزيز) في ملكه (حكيم) فيما أمر به (ولا تنكحوا للمشركات حتى يؤمن) نزلت في أمر منكره خلية مشركة فلما
أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل له أن يتزوجها فأنزل الله هذه الآية وللشركات ههنا عامة كل من كفرت بالنبي صلى الله
عليه وسلم حرم الله بهذا الآية نكاحهن ثم استثنى الخثرات الكتابيات بالآية التي في الأندة في نكاح الأمة الكتابية على التحريم.

وعرضوا عليه حرة
مشركة فأئز الله هذه
الآية وهو قوله (ولو أعجبكم
للمشركة بما لها ومجالها
ولا تنكحوا للمشركين
حتى يؤمنوا) لا يجوز
تزوج البسعة من المشرك
بجمال (أو لك) يعني
للمشركين (يدعون إلى
النار) أي الأعمال اللوعبة
لنار (والله يدعو إلى الجنة
والنقرة) أي إلى العمل
للموجب الجنة والنقرة
(بأذنه) أي بأمره يعني أنه
بأوامره يدعوكم
(ويسألونك من المحض)
سأل أبو الدحداح رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف
نضع النساء إذا حضن
فأئز الله هذه الآية والمحض
الحيض (قل هو أذى)
أي فترودم (فاعتزلوا
النساء في الحيض) أي
مجامعتهم إذا حضن (ولا
تقر بهن) أي ولا يجامعوهن
(حتى يظفرن) أي يقتسلن
ومن قرأ يظفرن بالتخفيف
فمنه يفعل الطهارة (١) التي
هي التسل (فإذا ظفرون)
أي اغتسلن (فأئزهن)
أي جامعوهن (من حيث
أمركم الله) سبحانه في
الحيض وهو الفرج
(ان الله يحب المتوايين)

أنصلى الله عليه وسلم قال في حق الجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا كحي نسأهم ولا كحي
ذناهم وسب نزول هذه الآية وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مرشد بن أبي مرشد الفنوي
إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين مرافق قدومه جاءه امرأ مشركه اسمها عناق فالتقت
الحارة فقال ويحك ان الإسلام حال بيني وبينك فقالت هل لك أن تزوج فيقال نعم وعدها أن
يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما انصرف الرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ماجري في أمر
عناق وسأله هل يصل له الزوج بها فأئز الله تعالى هذه الآية (ولامة مؤمنة خير من مشركه ولو
أعجبكم) أي لنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح مشركه ولو أعجبكم تلك للمشركه بحسبها أو
بمالها أو بحريتها أو بنسبها قال السدي نزلت هذه الآية في حق عبدالله بن رواحة كان له أمة فأعتقها
وتزوج بها فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت نكح أموعرضوا عليه حرة مشركه فأئز الله
تعالى تلك الآية (ولا تنكحوا للمشركين حتى يؤمنوا) أي ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب
للمؤمنات حتى يؤمنوا (ولمبدؤ من خير من مشرك) أي تزويجكم لمبدؤ من خير من تزويجكم
لمشرك (ولو أعجبكم) ذلك للمشرك لاله وجهه وقوه وحريته (أو لك) للمشرك والمشركون
(يدعون إلى النار) أي إلى ما يؤدى إلى النار فإن الزوجية مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة في الأغراض
ور ما يؤدى ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة المحبوب (والله يدعو إلى الجنة والنقرة) ببيان هذه
الأحكام من الإباحة والتحريم فإن من تمسك بها استحق الجنة والنقرة (بأذنه) أي بتيسيره تعالى
وتوفيقه للعمل الذي يستحق بالجنة والنقرة وفرا الحسن والنقرة بأذنه بالرفع أي والنقرة حاصلة
بتيسير الله تعالى (وبين آياته) أي أمره ونهيه في الزوج والنزوح (الناس لهم يذكرون)
فبعب النهي عنه وحسن اللحواليه (ويسألونك عن المحض) أي الحيض والسائل عن ذلك نابت
الدحداح الأنصاري وقيل عباد بن بشر وأسيدين الحضير لأن أهل الجاهلية كانوا إذا حضت المرأة
لم يزلوا كلوها ولم يشار بها ولم يجالسوها على فرش ولم يسأكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس
وأما الأنصاري كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (قل) يا أشرف الخلق (هو) أي الحيض (أذى)
أي فتر للراحة للسكره التي فيه واللون الفاسد والحدة القوي التي فيه كما قال صلى الله عليه وسلم
المحيط هو الأسود المحتلم أي المحترق من شدة حرارته (فاعتزلوا النساء في الحيض) أي في موضع
الحيض (ولا تقر بهن) أي لا يجامعوهن (حتى يظفرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال قرأ ابن
كثير ونافع وأبو عمرو وإن عامر وحفص ويحيى بن عمار حتى يظفرن بسكون الطاء وضم الهاء
بمعنى حتى نزول عنهن الدم وقرأ شعبة وحزرة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بمعنى يقتسلن (فإذا
ظفرن) أي اغتسلن أو يئمن عند قمر استعمل الماء (فأئزهن من حيث أمركم الله) أي فجامعوهن
في موضع أمركم الله وهو القبل وقال الاصم والزجاج أي فأئزهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك
بأن لا يكن صانعات ولا معتكفات ولا يحرم من النكاح وفيهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض
الأغتسل لا نفد صار المجموع فاعب ذلك بمنزلة قولك لا تنكح فلانة حتى يدخل الدار فإذا طابت نفسه بعد
الدخول فلكم فانه يجب أن يتعلق بإباحة كلامك بالأمرين جميعا واتفق مالك والأوزاعي والثوري
والشافعي أنهما إذا نأت الظهور دون عشرة أيام لم يهر بها زوجها وإن رآته لعشرة أيام جاز أن يقر بها
قبل الاغتسل (ان الله يحب المتوايين) بالنسبة على ماضى من الذنب والتركيب الحاضر والغرم على أن

من التنبؤ (والتطهير) بالماء من الأحداث والجنابات والتجاسات (نساؤكم حث لكم) أي مزرع لكم ومنبت لاولاد (فأو احرثكم أي شتمتم) أي كيف شتمتم من أين شتمتم جدان يكون في صام وادحوا الآية نزلت تكذيبا لليهود وذلك أن المسلمين قالوا انا نأتى النساء براكات وقائمات ومستلقيات ومن بين أيديهن ومن خلفهن جدان يكون الماءى واحدا ففعل اليهود ما أتم الأمثال الهائم لكننا غير الاستفاد من عند الله فأكذب الله (٦١)

تعالى اليهود (وقدموا

لأنفسكم أي العمال لله

عالمی ویدیا

بما يحب ويرضى (واللهوا
 ربنا انك اعلم)

الله) فيما حذر لكم من الاجتماع

وأمر الحيض (وأعلموا

أنکم ملاقوه) ایہ را جمون

إليه (وشرح المؤمنان)

الذين يخافون وجنات

میں نے ان کو دیکھا تھا۔

معصيته (ولا تجعلوا الله
فتناً فيكم)

عرضه لإيمانكم) ای

لَا تَجْعَلُوا اليمينَ بِاللَّهِ عِلَّةَ مَانِعَةٍ

من البر والتقوى من

حيث تعتمدون الحسن

المجلس الأعلى للمعاهد العليا

[illegible]

ان رواجہ حلف ان

لايكنم ختة ولا يدخل

بينه وبين خصمه له وجعل

يقول قد حلفت أن لا أفعل

فلا يحال وقم له تعالى الآن

تجربہ کار افسر نے ان کے ساتھ

پروا) ای سی ای پروا

ويجوز ان يكون قوله ان

تیر وابتداء و خیرہ مخدوف

علی تقدیر ان خبر وا (وتتقوا

وتصلحوا للناس)

أول رأي، الذي والتقى بأولي

(أ) (ب) (ج) (د)

والله السميع العليم) ای یسبح

إِيمَانِكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

بہا (لا یؤاخذکم اللہ باللغو

فِي آيَاتِنَا لَكُمْ) يَعْنِي مَا يَسْبِقُ بِهِ

تسميت لغو الآن الكفارة

عناء و لك. و اخذ كراي

(III) (continued)

(المدین یوں امن سے ہم)

نَیْطَلِقُ وَأَمَّا أَنْ یَطِیْعَانَ أَبَاهُمَا

لا يقبل منه في التسجيل (ويحبط التطهرين) أى التزهين عن الماصي من اتيان النساء في زمان
الحيض والأتان في الأدبار وقيل بحبل السنجين بالماء (نساؤكم حرث لكم) أى فروج نساتكم
مز رعة لأولادكم (فأواحرثكم) أى مز رعتكم (أتى شتم) أى من أى جهة شتم أى فالرادمين هذه
الآية أن الرجل يخزيه أن يأتى زوجته من قبلها قبلها وبين أن يأتيها من دبرها قبلها لأن سبب نزول
هذه الآية ما روى ان اليهود قالوا من جامع امرأته من قبلها من دبرها كان ولدها أحول غلبوا زعموا
ان ذلك في التوراة فذكر ذلك رسول الله ﷺ فقال كذب اليهود (وقدموا لأنفسكم)
من الأعمال الصالحة كالنسيئة عند الجماع وطلب الولد روى أن النبي ﷺ قال من قال بسم الله
عند الجماع فأثابه وأدفعه حسنت بعدد نفاث ذلك الولد وعده عقبة الى يوم القيامة أى قدموا ما يدخر
لكم من الثواب ولا تكونوا في قبضة الشبهة (واتقوا الله) في أدبار النساء وجماعتهن في
الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أى الله باليت فزودوا ما تنتفون به فانه تعالى يجزيكم
بأعمالكم (وبشر المؤمنين) خاصة بالتواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أى ولا تجعلوا ذكر الله عاراً بسبب إيمانكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس قال ابن عباس أرجو الى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم فلهذه الآية في شأن عبد الله
ابن رواحة فانه حلف بالله أن لا يحسن الى أمته وختنه أى زوج أخته بشر بن النعمان ولا يكلمهما
ولا يصلح بينهما فكان اذا قيل له في الصلح يقول قد حلفت بالله ان لا أفعل فلاحمل أن لا أبر في يميني
(والله سميع) يمينكم بترك الاحسان (عليم) بنياتكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم) قال الشافعي رضى الله عنه ان القنوقول العرب لا والله وبلى والله في الشراء والبيع وغير ذلك
ما يؤكدون به كلامهم ولا يحط بله بالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
أحرام ألف مرة لأنكر ذلك ولم له قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة ان القنوقول يحلف على شيء
يعتقدانه كان من أن لم يكن فالشافعي لا يوجب الكفارة في المسئلة الأولى ويوجبها في الثانية وأبو
حنيفة يحكم بالضمن ذلك (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أى قصدتم من الايمان بحد ووطئت
بمقصدكم فاذا حلف على شيء بالجد في أنه كان حاصل ما ظهر أنه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق
قول نفسه ووطئت قلبه بذلك فكم ذلك لتوا بل كان حاصل لا يكسب القلب (والله غفور) حيث لم
يؤاخذكم بالقنوقول كونه ناشئاً من عدم الاحتياط (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على عين الجدل (الذين
يؤولون من نسائهم تربطوا ربعة أشهر) أى الذين يخلفون أن لا يجامعوهن مطلقاً أو مدة تربط
أربعة أشهر اظن ان ربعة أشهر (فان فاقوا) أى رجعوا عن اليمين بالحنث بأن جامعوا قبل أربعة أشهر
(فان الله غفور) ليمينهم ان تابوا قبل الكفارة (رحم) حيث بين كفارتهم (وان زعموا الطلاق) أى ان

اللسان من غير عقد ولا قصد ويكون كالصلة للكلام مثل قول القائل لا والله بلى والله وقيل لغو اليمين اليمين المكفرة سميت لغو لأن الكفارة

تسقط منها الإثم (ولكن يؤخذ كم بما كسبت قلوبكم) أي عزمتم وقصدتم وعلى القول الثاني في لغو البين معناه ولكن يؤخذ كم أي

منكم عا. أن لا تبوا وتعتابوا في ذلك بأنك حلفتهم (والله عفو، حلیم) يؤخر عفو به الكافر من العصاة (للذين يؤلون من أنفسهم)

أما إذا كان لا يتصور (في بعض الحالات) فقد استأجر (كما أن الأجر في ذلك الحين) استأجره فإذ مضت هذه المدة فإما أن يطلقه وإما أن يطلقه أو أن يهاجها

[illegible]

جميعا طلقوا الجاهلية (فان فاءوا) اي يرجعوا لما قبلوا عليه اي بالجماع (فان الله غفور رحيم) اي يغير ما خطه قبل (وان عزموا لشدة فيه)

أى طلقوا ولم يشؤا بالوطء (فان الله سميع) لا يقوله (عليم) بما يفعله (والطلفات) أى الخفيات من حبال الأرواح بين البالغات للدخول بهن غير الحوامل لأن فى الآية بيان عدتهن (ير بصن بأنفسهن ثلاثة قروء) أى ثلاثة أطهار يعنى ينتظرن انقضاء مدة ثلاثة أطهار حتى يمر عليهن ثلاثة أطهار وقيل ثلاث حيض (ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) يعنى الولد ليطلقن حق الزوج من الرجعة (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) وهذا تغليظ عليهن فى اظهار ذلك (و بموتهن) أى أنزاهن (أحق بردهن) أى مراجعتهن (فذلك) أى فى الأجل الذى أمرن أن ير بصن فيه (ان أرادوا اصلاحا) لا اضرازا (ولهن مثل التى عليهن بالمعروف) أى النساء على الرجال مثل الذى للرجال عليهن من الحق بالمعروف أى بما أمر الله من حق الرجل على المرأة (والرجال عليهن درجة) يعنى بما سافوا من المهر وأفقوا من المال (والله عزيز حكيم) يأمر كما أراد ويمتنع كما أحب (الطلاق مرتان) كان طلاق الحاملية غير محصور بحد فحصر الله الطلاق بثلاث فذكر فى هذه الآية المطلقين وذكر الثالثة فى الآية الأخرى وهي قوله فان طلقها فلا تحل له الآية وقيل المعنى فى الآية الطلاق التى تمك به الرجعة مرتان (فاساك بمعروف) يعنى اذاراجها بطلقتين فعليه امساك بما أمر الله (أو تسريح باحسان) وهوان يطلقها أو يتركها حتى تبين بانقضاء

حقوق الطلاق وبروا بينهما (فان الله سميع) ليعينهم (عليم) بزمهم فليس لهم بعد الترابص الا الفتية أو الطلاق فان بر الولي يمينه وترك جماعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بآتمنه امرأته بتطبيق واحدة وان جامعها قبل ذلك فعليه كفارة العيىن كما قاله ابن عباس (والطلفات) أى ذوات الأقراء من الحرار للدخول بهن (ير بصن بأنفسهن) فى العدة (ثلاثة قروء) فلا توقف العدة على ضرب بقاض (ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الحبل والحيض معا وذلك لأن المرأة لها أغراض كثيرة فى كتمانها فإذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها فزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج وأحببت الزوج يزوج آنرا وأحببت أن يلتحق ولها بالزوج الثاني فلهذه الأغراض تسكمت الحبل وإذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجها الزوج الأول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعتها ولا يتم لها ذلك الابتكتان بعض الحيض فى بعض الأوقات (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) فلا يجترئن على ذلك السكتان وهذا الشرط لتغليظ حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن العدة أيضا (و بموتهن أحق بردهن فى ذلك) أى أنزواج المطلقات أحق برجعتن فى مدة ذلك الترابص (ان أرادوا) أى البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب فى هذه الآية ان فى الجاهلية كانوا يراجعون الطلفات ويريدون بذلك الاضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة الى أن تعد عدة حادثة فنهوا عن ذلك (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذى) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا فى حسن المعاشرة (والرجال عليهن درجة) أى فضيلة فى الحق لأن حقوقهم عليهن فى أنفسهم وحقوقهن عليهن فى المهر والنفقة (والله عزيز) يقدر على الاتقام عن مخالف أمكاه (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق مرتان فاساك بمعروف أو تسريح باحسان) أى ذلك الطلاق الذى حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن يوجد مرتان فالواجب بدهاتين للرتين اما امساك بمعروف أى رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لاعلى قصد اضرازا أو تسريح أى إرسال بتركه للرجعة حتى تنقضى العدة وتحصل البينة باحسان أى بشيذ كرسوء بعد الفارقة وبأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية متناولة لجميع الأحوال لأن الزوج بعد الطلقة الثانية إما أن يراجها وهو المراد بقوله تعالى فاساك بمعروف أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح باحسان أو يطلقها ثالثة وهو المراد بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فكات الآية مشتملة على بيان كل الأقسام ولوجعلنا التسريح مطلقة ثالثة لكان قوله تعالى فان طلقها طلقة رابعة فانه غير جائز وسبب نزول هذه الآية ان امرأة شكت الى عائشة رضى الله عنها بأن زوجها يطلقها يراجها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا بما آتيتموهن شيئا) أى ومن جهة الاحسان انه اذا طلقها لا يأخذ منها شيئا من الذى أعطاه من المهر والثياب وسائر ما تقبله عليها لأنه استمتع بها فى مقابلة ما أعطاه (الآن يخاف أن لا يقبها حدود الله) أى أن لا يراعى

العدة ولا يراجها ضرارا (ولا يحل لكم أن تأخذوا بما آتيتموهن شيئا) لا يجوز زلزوج أن يأخذ من امرأته شيئا مما أعطاه من المهر ليطلقها الا فى الخلع وهو قوله (الآن يخاف) أى يعلم (أن لا يقبها حدود الله) والمعنى ان المرأة اذا خافت أن تعصى الله فى أمر زوجها بفساد له وخاف الزوج اذا لم تقطع امرأته أن يتدى عليها حل له أن يأخذ القدية منها اذا دعت الى ذلك

مواجب

(فان خفتم) أيها الولاة
والحكام (أن لا يقبلا حدود
الله) يعني الزوجين (فلا
جناح عليهما فيما اقتدت
به) أي المرأة أي لا جناح
عليها فيما أعطت ولا جناح
على الرجل فيما أخذ (تلك
حدود الله) يعني ما حده
من شرائع الدين (فان
طلقها) يعني الزوج الطلق
ثنتين (فلا تحل له) الطلقة
ثلاثاً (من بعد) أي من بعد
الطليقة الثالثة (حتى
تسكح زوجها غيره) أي غير
الطلق (فان طلقها) أي
الزوج الثاني (فلا جناح
عليهما أن يتراجعا) يسكح
جديد (ان ظنا) أي علما
وأيقنا (أن يقبلا حدود
الله) أي ما بين الله من حق
أحدهما على الآخر (وإذا
طلقتم النساء فبلغن أجلهن)
أي قاربن انقضاء عدتهن
(فأسكنوهن بمحرف)
أي ارجوهن بأشهاد على
الرجعة وعقد لها بالوطء
كما يجوز عند أبي حنيفة
رحمه الله (أو سرحوهن
بمحرف) أي اتركوهن
حتى تنقضي عدتهن ويكن
أملك بأنفسهن (ولا
تسكنوهن ضرارا) أي
لا ترجعهن مضاراً وأنتم
لا ساجدة لكم إلاهن (تعتدوا)
عليهن بظنويل العدة

موجب أحكام الزوجة وقرأ حرة يخافضم الياء (فان خفتم أن لا يقبلا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) أي فلا حرج على الزوج في أخذ ما اقتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولا عليها في إعطائه إياه بطيعة نفسها نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس بن شماس وفي شأن جميلة بنت عبد الله ابن أبي اسيرت نفسها من زوجها بمهرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت خفتمنا ما أعطيتنا وخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الإسلام وفي سنن أبي داود أن المرأة كانت حفصة بنت سهل الأنصاري ؓ تنهيه يجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولا تجعل لكم أن تأخذوا خطباء الأرواح وأخراها وهو قوله تعالى فان خفتم خطباء الأئمة والحكماء وذلك غير غريب في القرآن ويجوز أن يكون الخطاب كله للأئمة والحكماء لانهم الذين يأمرهم بالأخذ والاعطاء عند الترافع اليهم فكأنهم هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشتفاق مما يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كقارى قراءة شاذة الآن يظنوا الخوف اما أن يكون من قبل المرأة فقط أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا أو لا يحصل الخوف من قبل واحد منهما فان كان الخوف من قبل المرأة بأن تكون ناشزة مبغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وان كان من قبل الزوج فقط بأن يضرها أو يؤذيها حتى تلزم القداء فهذا المال حرام كما كان الخوف حاصل من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضاً وان لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين ان هذا المخلع جائز والمال للمأخوذ خلال وقال قوم انه حرام (تلك) أي ما تقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أي أحكام الله بين المرأة والزوج (فلا تنسوها) أي فلا تستجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أي ومن يتجاوز أحكام الله التي ماتهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) أي الضالون ان أنفسهم بتعريضها لسلطه الله تعالى وعقابه (فان طلقها) بعد الطلقتين (فلا تحل له من بعد) أي من بعد الطليقة الثالثة (حتى تسكح زوجها غيره) أي الطلق منهج جمهور المجتهدين أن للطلقة بالثلاث لا تجعل لتلك الزوج الاجمى شرائط تقدمته وتنفذ لثاني ويظنهم يطلقها ثم تقدمته وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب نحل بمجرد العقد روى أن تيممة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً فتزوجت بعدد الرحمن بن الزبير القرظي ففتح الزاى وكسر الباء فأثبت التي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رفاعة فطلقني فبطلت فقلت فزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وان مالمه مثل هبة الثوب وانه أراد أن يطلقني قبل أن يمسي أفأرجع الى ابن عمي فقبض رسول الله ﷺ فقال آثر دين أن ترجعي الى رفاعة لا حتى تدق عسبته ويدق عسبك والسياسة عجز عن قبل الجاهل اذا يكن قليل انتشار وفيه عبد الرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تسكح زوجها غيره والحكمة في التحليل الردع عن السارعة الى الطلاق والعدوى للطلقة ثلاثاً (فان طلقها) أي طلق الزوج الثاني الطلقة ثلاثاً (فلا جناح عليهما) أي المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يسكح جديد ومهر (ان ظنا أن يقبلا حدود الله) أي أحكام الله فيما بين المرأة والزوج (وتلك) أي الأحكام (حدود الله) أي فرائض الله (بينهما القوم يملكون) أنتم الله ويصدقون بذلك (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن ولم تنقض (فأسكنوهن بمحرف) أي ارجوهن بنهر ضرار بل بحسن الصلحة والمعاينة (أو سرحوهن بمحرف) أي أو اخواهن حتى ينقضي أجلهن بشير تطويل (ولا تسكنوهن ضرارا) أي لا ترجعهن بسوء العشرة وتضييق النفقة (تعتدوا) أي تظلموهن بالإلجاء الى الافتداء وتطيلوا عليهن العدة نزلت هذه الآية في رجل من

(ومن فعل ذلك) الاعتداء (فقد ظلم نفسه) ضررها وأثم فيما يمتد بين الله (ولا تخفوا آيات الله هزوا) كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول أنا طلقته وأنا لا أعبر ويرجع فيها فأزل الله هذه الآية (واذكروا نعمته عليكم) بالاسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) مواضع (٦٤) القرآن (واذا طلقتم النساء فليئن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا تخفواوهن) أي لا تخفوهن (أن ينسكن أزواجهن) ينسكن جديد يعني الذين كانوا أزواجهم نزلت في أخت معلق بن يسار طلقها زوجها فلما انقضت عدتها جاء خطيبها فأتى معلق أن يزوجه ومنعها حتى الولاية (إذا راضوا بينهم بالمعروف) يعني بمقتدر حال ومهر جائز (ذلك) أي أمر الله بترك الفضل (يرعظ به من كان منك) يؤمن بالله واليوم الآخر (ذلكم) أي ترك الفضل (أزكى لكم) خير وأفضل (وأطهر) أي أطهر لقلوبكم من الرية وذلك أنهما إذا كان في قلب كل واحد منهما علاقة حب يؤمن عليهما (والله يعلم) أي يعلم ما لكم فيه الصلاح (والوالدات يرضعن) لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وهو أمر استحباب لا أمراً يجب يردهن أحق بالارضاع من غيرهن إذا أردن ذلك (حولين) أي ستين (كاملين) أي ثمانين وهذا تحديد لقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع يدل على

الأنصار يدعي ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارها حتى تبقى في العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن فعل ذلك) أي الاساءة المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) أي أضر بنفسه بتمريضها الى عذاب الله (ولا تخفوا آيات الله) أي أمر الله ونبيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (واذكروا نعمته عليكم) حيث هداهم الى ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية أي فاشكروها واحفظوها (وما أنزل) الله (عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة (يعظمكم) أي يأمركم ويهاكم بما أنزل عليكم (واقتوا الله) في أوامره وكها ولا تخالفوه في نواهي (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتنفرون (واذا طلقتم النساء فليئن أجلهن) فلا تخفواوهن أن ينسكن أزواجهن والخطاب اما للأزواج واللى حيثئذ وإذا طلقتم النساء فانقضت عدتهن فلا تخفواوهن من أن ينسكن من يريدون أن يزوجهن فان الأزواج قديضون مطلقا فهم أن يزوجهن طلما واما الأولياء فنسبة الطلاق اليهم باعتبار تسبيهم فيه كيقع كثيرا أن الولي يطلب من الزوج طلاقها واللى حيثئذ إذا خلصتم النساء من أزواجهن بتطليقهن فانقضت عدتهن فلا تخفواوهن من أن ينسكن الرجال الذين كانوا أزواجهن فمن روى أن معلق بن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وركبها حتى انقضت عدتها ثم نكح بقا خطيبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معلق انه طلقك ثم تريد من مراجعتي وجهي ومن جهك حرام ان راجعني فأزل الله تعالى هذه الآية فهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقلدا وتلاعبه هذه الآية فقال معلق رغم أنفي لأمرني الله بغيري واليه رخصت وسلبت لأمرك ثم أنكح أخته زوجها الأول عبد الله بن عاصم (إذا راضوا بينهم) أي بأن يرضى كل واحد منهما ما رزقه من هذا القدر لصاحبه (المعروف) أي بالخير عند الشرع للستحسن عند الناس (ذلك) أي تفصيل الأحكام (يرعظ به) أي يأمر به (من كان منك) يؤمن بالله واليوم الآخر (لانه للمظ (ذلكم) أي العمل بالوعظ (أزكى لكم) أي أصلح وأنفع لكم (وأطهر) للقبول من العداوة والتهمة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وأتم لاتعلمون) ذلك فدعوا رأيكم (والوالدات) ولو مطلقات (يرضعن أولادهن) حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الأبوين وليس فيما دون ذلك حد وإنما هو على مقدار صلاح اللولود وما يعيش به (وعلى اللولود) أي على الأب (يرضعن) أي تفتحن (وكسوتهن) لأجل الارضاع إذا كن مطلقات من الأب طلاقا باتنا لم يبق بقاء علاقة النكاح للوجة لذلك فالولر رضعهم والوالدات لم يجب فان كن زوجات أو رضيعات فالزرق والنكسوة لحق الزوجية ولهن أجره الرضاع ان امتنعن منه وطلبن ما ذكر (المعروف) أي بغير اسراف وتقتير (لا تسكن نفس) بالشفقة على الرضاع (الا وسعها) أي لا يقدر ما أعطاها الله من المال (لأنصار والده بولدها) أي بأخوالها منها بعد ما رخصت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة محبتها له (ولامولوده) أي لا يضر أب (بولده) بطرح الولد عليه لم يعاير أمه ولا قبل لدى غيرها مع

أى لا تخفوهن (أن ينسكن أزواجهن) ينسكن جديد يعني الذين كانوا أزواجهم نزلت في أخت معلق بن يسار طلقها زوجها فلما انقضت عدتها جاء خطيبها فأتى معلق أن يزوجه ومنعها حتى الولاية (إذا راضوا بينهم بالمعروف) يعني بمقتدر حال ومهر جائز (ذلك) أي أمر الله بترك الفضل (يرعظ به من كان منك) يؤمن بالله واليوم الآخر (ذلكم) أي ترك الفضل (أزكى لكم) خير وأفضل (وأطهر) أي أطهر لقلوبكم من الرية وذلك أنهما إذا كان في قلب كل واحد منهما علاقة حب يؤمن عليهما (والله يعلم) أي يعلم ما لكم فيه الصلاح (والوالدات يرضعن) لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وهو أمر استحباب لا أمراً يجب يردهن أحق بالارضاع من غيرهن إذا أردن ذلك (حولين) أي ستين (كاملين) أي ثمانين وهذا تحديد لقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع يدل على

هذا قوله (من أراد) أي هذا التقدير والبيان لمن أراد (أن يتم الرضاعة على اللولود) يعني الأب (يرضعن وكسوتهن) أي رزق الوالدات وليس قال المفرون وعلى الزوج رزق للمرأة المطلقة وكسوتها إذا أرضت الولد (المعروف) أي بما تفرقوا أنه عدل على قدر الامكان وهو معنى قوله (لا تسكن نفس الا وسعها) أي لا تفرق نفس الا بما يسعها (لأنصار والده بولدها) أي لا يضرع الوالدتها الى غيرها بغير ما رخصت لزوجها وألقها المني ولا تلقيه الى أي به بعد ما عايرها بضره بذلك وهو قوله (ولامولوده بولده

(وعلى الوارث مثل ذلك) هذا نسق على قوله وعلى للولود هزقهن وكسوتهن يعني على وارث الصبي الذى لومات الصبي وله مال ورثه مثل الذى كان على آبيه فى حياته وأراد بالوارث من كان من عصبته كاتنا من كان من الرجال (فان أراد) أى الأبوان (فضالا) أى فطاما للوليد (عن تراض منهما) قبل الحولين (وتشاور) (٦٥) بينهما (فلا جناح عليهما وان أردتم

ان الأب لا يمنع عليهما من الرزق والكسوة (وعلى الوارث مثل ذلك) أى على الصبي نفسه الذى هو وارث آبيه التوفى مثل ماعلى الأيمن النفقة والكسوة فانه ان كان له مال وجب أجر الرضاع فى حاله وان لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاة ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان وهو قول مالك والشافعى وقيل للراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم تستنا بأبينا عنا وأبصارنا واجعلهما الوارث منا (فان أراد) أى الوالدان (فضالا) أى فطام الصبي عن اللبن قبل تمام الحولين (عن تراض) أى باتفاق (منهما) لامن أحدهما فقط (وتشاور) أى تدقيق النظر فيما يصلح الولد (فلا جناح عليهما) فى ذلك وكما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه كذلك يجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى ان أردتم أن تطلبوا مرضع لأولادكم (فلا جناح عليكم) فى الاسترضاع (اذا سلمتم) الى المرضع (ما آتيتم) أى ما آتيتموهن إياه أى ما أردتم إتيانه (بالمرضع) أى بالموافقة وليس تسليم الأجرة شرطا لصحة الاجارة بل تكون للرضعة طيبة لنفس راضية فيصير ذلك سببا لصلاح حال الصبي ولا احتياط فى مصالحه (واقفوا الله) فى الضرر والخالفه (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجوز لكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويترون أزواجيا تر بص بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أى والذين تقبض أرواحهم من رجالكم ويتركون أزواجيا ينظرن بهن بأنفسهن فى العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند الأكثرين لا لالم بالوفاة كما قال به بعضهم فلا انقضت للدة أو أكثرها بل المرأة خبر وفات زوجها وجب أن تمتد بما انقضى والدليل على ذلك أن الصغيرة التى لاعلم لها يكفى فى انقضاء عدتها انقضاء هذه للدة (فاذا بلن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) بأولياء الميت فى تركهن (فما فعلن فى أنفسهن) من التزين وخشبه من كل ما حرم عليهن فى زمن العدة لأجل وجوب الاحتياط عليهن (بالمرضع) أى بما يحسن عقلها وشرعا وقيل الما يطلب بهذا الخطاب جميع المسلمين وذلك لأنهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منهن عن ذلك ان قهر على المتعففان عجز وجب عليهما أن يستمن بالسultan (واقه بما تعملون) من الخير والشر (خير) فيجوز لكم عليه (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو كنتم فى أنفسكم) أى ولا حرج عليكم فيما يطلبن النكاح من النساء المحدثات للوفاة والطلاق الثلاث بطريق التريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكد بدلالة الحال على المقصود كما يقول ان جميع الله بيننا بالجلال يعجبني ذلك أو فما أضمرت فى قلوبكم من قصد نكاحهن (علم الله أنكم ستدكرونهن ولكن لا نواعدهن سرا إلا أن تقولوا قولا مبروفا) أى إلا أن يالحل لكم التريض لعله بأنكم لاتصبرون على السكوت عنهن لأن شهوة النفس اذا حصلت فى باب النكاح لا يكاد يخلو ذلك المشتبه من العزم والتقى وبأنه لا بد من كونكم ستدكرونهن بالخطبة فادكرهن

(٩) - (تفسير مراح لبيد) - (أول)

الكلام دلالة على ما يدل (من خطبة النساء) أى التماس نكاحهن فى العدة يعنى التوفى عنها الزوج يجوز التريض بخطبتها فى العدة وهو أن يقول لها وفى العدة انك لحبيبة وانك لصالحة وانك لنافعة وان من عزى أن تزوج وما أشبه هذا (أو كنتم فى أنفسكم) أى أضمرت (من خطبتهن ونكاحهن) (علم الله أنكم ستدكرونهن) يعنى الخطبة (ولكن لا نواعدهن سرا) يعنى لا تأخذوا ميثاقين لى لا ينسكن غيركم (الأن تقولوا قولا مبروفا) يعنى التريض بالخطبة

كاذكرنا (ولانزوموا عقدة النكاح) أى لاصححووا عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تنقضى العدة المفروضة (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) أى مطلع على ما فى ضمائركم (فاحذروه) أى فخافوه (لإجناح عليكم أن تطلقتم النساء ما لم تمسوهن) نزلت فى رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يمس لها مهرا ثم طلقها قيل أن يحسها فأعلم الله أن عقد التزويج بغير مهر جائز ومعناه لا يسيل للنساء عليكم إذا طلقتموهن قبل اللبس (٦٦) والقرض بصدق ولا نفقة وقوله (أو ترضواهن فرضة) أى توجبواهن صداقا (ومتسوهن) أى

زودوهن وأعطوهن من المالكم ما يستعين به فالمرأة إذا طلقته قبل تسمية المهر وقبل اللبس فلها ما تستحق للتمتع بإجماع من العلماء ولا مهر لها (على الوسع) أى التنى الذى يكون فى وسعة من غناه (قصدته) أى قدر إمكانه (وعلى للقتل) أى الذى فى ضيق من فقره قدر إمكانه أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ماله فمن قال الشافعى رحمه الله وحسن ثلاثون درهما (متاعا) أى متعوهن متاعا (بالمرور) أى بما تعرفون أنه القصد وقبر الامكان (حقا) أى واجبا (على المستين وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) هذا فى الطلقة بعد التسمية وقبل الفحول حكم الله لها بنصف المهر وهو قوله (فنصف ما فرستم أى فلو اوجب نصف ما فرستم (الا أن يفقون) يعنى النساء أى الا أن يتركن

ولكن لئلا يعاون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لا يصف الخاطب نفسه لما بكثرة الجماع كان يقول لها أتيك الأربعة والخمسة الا أن تساروهن بالقول غير المنكر شرعا كان يدها الخاطب فى السر بالاحسان اليها والاهتمام بشأنها والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك الترضى (ولا تزموا) أى لا تخفقوا (عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من الزعم على ما تهيمت عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن الزعم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لإجناح عليكم أن تطلقتم النساء ما لم تمسوهن أو ترضواهن فرضة) وقرا حمز زوال الكسائي تمسوهن بضم التاء وبالألف بسلامم أى لا تقل عليكم بأنزوم المهر ان طلقتم النساء ما لم تاجمعهن أو ما لم يتيبوا لهن مهرا فلا تطوهن المهر (ومتسوهن على الوسع قدره وعلى المقر قدره متاعا بالمعروف حقا على المستين) أى أعطوهن مائة الطلاق جبرا لإباحته الطلاق على التنى فبرماله وإمكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطلقة متعينا بالوجه الذى تستحسنه الثرية والمرومة واجبا على المؤمنين الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى طاعة الله تعالى لأن التمتع بدل المهر نزلت هذه الآية فى شأن رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يمس لها مهرا ثم طلقها قيل أن يحسها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمتها قال لم يكن عندى شيء قال متعها بقلنسوتك (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجمعهن (وقد فرضتم لهن فرضة) أى وقد يبيتن مهورهن (فنصف ما فرستم) أى نصف ما يبيتن ساقط (الا أن يفقون) أى الا أن تسهل الزوجان براءه حقا فيسقط كل المهر (أو يفقوا الذى يديه عقدة النكاح) أى أو يسهل الزوج ببيت كل الصداق فيثبت الكل البها (وان نفقوا أقرب التقوى) أى عفو بعضهم أيها الرجال والنساء أقرب للألفة وطيب النفس من عدم العفو الذى فيه التنصيف (ولانساوا الفضل بينكم) أى ولا تتركوا أن يتفضل بعضهم على بعض بأن يمس الزوج المهر اليها بالكلية أو تترك المرأة المهر بالكلية (ان الله باطنون) من الفضل والاحسان (بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخس بأدائها فى أوقاتها كاملة لا ركان والشروط وهذا المحافظة تكون بين العبد والرب كما قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الله الذى أمرتك بالصلاة وتكون بين المسلمى والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة الوسطى) أى الفضلى قيل هى صلاة الصبح وهو قول على وعمر وابن عباس وجابر وأبى أمامة الباهلى وهم من الصحابة وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد منهم من التائبين وهو مذهب الشافعى فإن أولها يقع فى الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع فى الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنها منفردة فى وقت واحد لا تجمع مع غيرها ولأنها مشهودة لأنها تؤدى بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هى صلاة العصر وهو

ذلك التنصيف لا بطلان الأزواج به (أو يفقوا الذى يديه عقدة النكاح) يعنى الزوج لا يرجع فى شيء من المهر مروى فيجوز لها المهر الذى وفاه كاملا (وان نفقوا) خطاب للرجال والنساء (أقرب التقوى) أى أدعى الى إتمام ما عصى الله لأن هذا العفو نوب فإذا انتدب له علم أنه لما كان فرضا كان أشد استعمالا (ولانساوا الفضل بينكم) أى لا تتركوا أن يتفضل بعضهم على بعض هذا أمر للزوج والمرأة بالفضل والاحسان (حافظوا على الصلوات) أى بأدائها فى أوقاتها (والصلاة الوسطى) يعنى صلاة التجر أفرد بها بالذكر تخصيصا

مطيعين (فان ختمت فرجالا)
 يعنى ان لم يمكنكم أن تصالوا
 موفين للصلاة حقها فصالوا
 مشاة على أرجلكم أو ركبانا
 على ظهور دوابكم وهذا
 فى السابقة والمطردة (فإذا)
 آمنتم فاذكروا الله) أى
 فصالوا الصلوات الخمس تامة
 لحقوقها (كما علمكم مالم
 تكونوا تعلمون) (أى كما
 افترض عليكم فى مواقبتها
 (والذين يتوفون منكم
 ويثرون أزواجاً وصية)
 فليهم وصية (لأزواجهم)
 أى لنفسائهم وهذا كان
 فى ابتداء الاسلام لم يكن
 لمرأة ميراث من زوجها
 وعلى الزوج أن يوصى
 لها بنفقة حول فكان
 الورثة ينفقون عليها حولا
 وكان الحول عزيمة عليها
 فى العصر من الأزواج
 وكانت خيرة فى أن تعدد
 ان شامت فى بيت الزوج
 وان شامت خرجت قبل
 الحول وتسقط نفقتها
 فذلك قوله (مما إلى
 الحول) أى يمتوهن مما
 يعنى عن النفقة (غير اخراج)
 أى من غير اخراج الورثة
 ايها (فان خرجن فلا
 جناح عليكم) أى يا أولياء
 البيت فى قطع النفقة عنها
 وترك يمينها عن التشوف
 للزواج والتضع للأزواج
 وذلك قوله (فما فلن فى

مروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة فانها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة وتر
 ولأن وقت صلاة العصر أخفى الأوقات فلا يظهر دخول وقتها الا بنظر دقيق وتأمل عظيم فى حال الظل
 فلما كانت معرفته أشقى كانت التفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء المضروب ولكن ليس هى
 المذكورة فى القرآن فهنا صلاتان وسطيان المصبح والمغرب أحدهما ثبت بالقرآن والأخرى بالنسبة
 كإيمان الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالنسبة واختار جمع من العلماء أنها إحدى الصلوات
 الخمس لا يسيئها فأيها الله تعالى تحريضا للعباد فى المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر فى شهر
 رمضان وأخفى ساعة إجابة الدعوة فى يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم فى جميع الأسماء ليحافظوا
 على جميعها وأخفى وقت الوتقى الأوقات ليكون للكلف خاتمان للوتقى كل الأوقات فيكون
 آتيا بالثبوت فى كل الأوقات (وقوموا لله) فى الصلاة (هفتاتين) أى ذاكرين داعين مواظبين على
 خدمة الله تعالى (فان ختمت فرجالا أو ركبانا) أى فان ختم من عدو وغيره فصالوا مشاة على أرجلكم
 بالإيمان فى الركوع والسجود أو راكعين على السجود حين توجهتم والخوف الذى يفيد هذه الرخصة
 أمان أن يكون فى القتال أو فى غير القتال طاعون فى القتال أمان أن يكون فى قتال واجب أو مباح فالقتال
 الواجب هو القتال مع الكفار وهو الأصل فى صلاة الخوف ويلتحق بقتال أهل البنى وكما اذا
 قصد الكافر نفسه فانه يجب الدفع عنه لئلا يكون اختلاسا بحق الاسلام وقد يجوز الشافى أداء الصلاة
 حال للسابقة والقتال للباح هو أن يدفع الانسان عن نفسه وعن كل حيوان يحرم فيجوز فى ذلك
 هذه الصلاة أما اذا قصد انسان بأعدائهم فلا يصح أنه يجوز هذه الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم من
 قتل دون ماله فهو شهيد والدفع عن المال كاللص من النفس وقبل لا يجوز لأن حرمة الروح أعظم
 والخوف الحاصل فى غير القتال كالهرب من الحرق والفرق والسبع والطلب بالدين اذا كان
 مصرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الأعصار فله أن يصا هذه الصلاة (فإذا آمنتم) يزوال
 الخوف الذى هو سبب الرخصة (فاذكروا الله) أى فافعلوا الصلاة (كما علمكم) بقوله تعالى
 حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا هفتاتين لأن سبب الرخصة اذا زال عاد الوجوب
 فيه والصلاة قد تسمى ذكر كما فى قوله تعالى فاستمعوا الى ذكر الله (مالم تكونوا تعلمون)
 قبل بعثته محمد صلى الله عليه وسلم فامعول للمسلم أن جعلت ما الأولى مصيرية أما ان جعلت موصولة
 فانه بدل من الأولى أو من العهد الموقوف (والذين يتوفون منكم ويثرون أزواجاً وصية
 لأزواجهم مماتا إلى الحول غير اخراج) أى والذين يثرون من الوفاة رجالكم ويثرون أزواجاً
 عليهم أن يوصوا وصيقت وجاتهم فى أموالهم ثلاثة أشياء النفقة والكسوة والسكنى إلى تمام الحول
 من مومن غير خرجت من مسكنه وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن ماصم وصية
 بالرفع أى عليهم وصية أوليها والذين يقبضون من رجالكم ويثرون أزواجاً بصد اللوت وصية
 من الله لأزواجهم فوصية مبتدأ ولأزواجهم خبر أى أمره وتكليفه لمن (فان خرجن) عن
 منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء البيت (فما فلن فى أنفسهن
 من معروف) أى غير منكر فى الشرع أى فلا جناح على ورة لبيت فى قطع النفقة والكسوة
 عنهن اذا خرجن من بيت زوجهن بما فلن فى أنفسهن من معروف من الذين ومن الاقدام
 على التشكك أو لئلا جناح عليكم فى تركيتمهن من الخروج لأن مقامها حولا فى بيت زوجها
 ليس بواجب عليها فى الذى فلن فى أنفسهن من معروف من زين وتشفون للأزواج (واقه
 عزيز) أى غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراى فى أحكامه مصالح عباده واختيار
 أنفسهم من معروف) وهذا كله منسوخ بما فى التوارىث وعادة للتوفى عنها زوجها

جمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الاسلام أنه إذا مات الرجل لم يكن لأمراته من ميراثه شيء إلا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت بخبرة بين أن تعدد في بيت الزوج وأن تخرج من قبل الحول لكن متى خرجت سقطت فقعتها فهذه الوصية صارت مفسدة بالنفقة والسكنى والسكنى إلى الحول فثبت أن هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداسنة لأن وجوب السكنى والنفقة من مال لليتسنة توجب تلتن من الزوج بزواج أخرى هذه السنة ثم إن الله تعالى نسخ هذه الحكمين وقدر القرآن على ثبوت الميراث لها بتبيين الرابع أو الثمن ودلت السنة على أنه لا وصية لوارث فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية لزوج بالنفقة والسكنى في الحول ووجوب المنة في الحول منسوخ بقوله تعالى ير بصن بأنفسهم أر بعتاً شهر وعشرا (وللطائف متاع) أى منة (بالمروف) أى بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقاقي للثنتين) قال الشافعي رحمه الله لكل مطلقة منة إلا للطقة التي فرض لها مهر ولم يوجد في حقها اليسير روى أنما نزل قوله تعالى ومتوهن إلى قوله تعالى حقاقي الحسين قال رجل من المسلمين إن أردت فلت وان لم أر لم أفضل فقال تعالى وللطائف متاع بالمروف حقا على الثنتين أى على كل من كان متقيا عن التكفر (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (بين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بأنسيين لبياده من الأحكام بما يحتاجون إليه معاشا ومعادا (لعلكم تفقون) أى لكي تفهموا ما فيها وتمتعوا بموجبهات ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (أمر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أى أمرهم بصل عمك إلى الذين خرجوا من منازلهم لقتال عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة آلاف أو أر بون ألفا كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الروايات فاجبنوا عن القتال مخافة القتل فأماهم الله مكاتهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما إن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمر عسكره بالقتال فحافظوا القتال وقالوا للملك إن الأرض التي نذهب إليها فيها لواء فنحن لانذهب إليها حتى يزول ذلك اللواء فأماهم الله تعالى بأسره وبقوا ثمانية أيام حتى استغفوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا الذين فجعوا من كثرتهم فحظروا عليهم حظائر فأحياهم الله بعد ثمانية وبق فيهم شيء من ذلك التقوى بقى ذلك في أولادهم إلى هذا اليوم (إن الله لود فضل على الناس) أى على أولئك القوم بسبب أن أحياهم ومكنهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا والمعاد الذين عسكوا يقول اليهودي كثير من الأمور فيرجعون من الانكار إلى الاقرار بالبعث بسبب اخبار اليهودي بهذه الواقعة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينبغي أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنين فلم يسلوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيده هذه القصة تشجع الانسان على الاقلام على طاعة الله تعالى كيف كان ونزل على قلبه الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلا وإحسانا من الله تعالى على عبده لأن ذكر هذه القصة سبب لبعث العبد من الصبر وقربه من الطاعة ثم قال الله بعد ما أحياهم (وقاتلوا في سبيل الله) أى في طاعة الله مع عدوك وسميت المبادات سبيلا إلى الله تعالى من حيث إن الانسان يسلكها ويتوصل إلى الله بها ومعالم أن الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلاشك أن الجهاد مقاتل في سبيل الله (واعلموا أن الله سميع) لكلامكم في ترغيب التبر في الجهاد وفي تنفير التبر عنه (عليه) بما في صدوركم من البواحت والأغراض وأن ذلك الجهاد لغرض الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قرأ أبو عمرو

(وللطائف متاع بالمروف حقا على الثنتين) لما ذكر الله متعة المطلقة في قوله حقا على الحسين قال رجل من المسلمين إن أردت فلت وان لم أر لم أفضل فأوجبه الله على المؤمنين الذين يتقون الشرك (كذلك بين الله لكم آياته) شبه البيان الذي يأتي بالبيان الذي مضى في الأحكام التي ذكرها (أمر إلى الذين خرجوا من ديارهم) أى إلى الذين خرجوا من ديارهم إلى هؤلاء وهم قوم من بني اسرائيل خرجوا من بلادهم هاربين من الطاعون حتى ثروا واديا فأتاهم الله جميعا فذلك قوله (حذر الموت) أى لحذر الموت (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أى معتهم الله على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ثم يشمهم ليستوفوا بقية أجالهم (إن الله لود فضل على الناس) أى فضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم (وقاتلوا في سبيل الله) يحرض المؤمنين على القتال (واعلموا أن الله سميع) لما يقوله للجهل (عليه) بما يضمره قايكم والتتلل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)

ونافع وحزمة والكسائي فيضاعف بالألف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالألف والنصب وقرأ ابن كثير فيضعفه بالتشديد والرفع بالألف وقرأ ابن عامر فيضعفه بالتشديد والنصب والعنى من ذا الذي يماثل الله بانفاق ماله في طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للحلال الذي لا يغتسل بالحرام للخالص من اللين والأذى ولنية التقرب إلى الله تعالى لا لرياء وسعته فيضاعف الله جزاءه له في الدنيا والآخرة أنضاعفا كثيرة ليعلمها الآلهة تعالى وقد روى عنه عليه السلام أنه قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليعلن اليهودياته له صدقة ويرى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقيض ويسقط) أي يقبض الرزق عن من يشاء ولو أمسكه عن الانفاق ويسقطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا أولعنى والله يقيض بعض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ويسقط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة (واليرجون) فلا مدبر ولا حاكم سواء قال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أبي الدحاح رجل من الأنصار قال يارسول الله إن لي حديثين فإن تصدقت باحداهما فلهي مثلهما في الجنة قال نعم قال وأم الدحاح معي قال نعم قال والصبي معي قال نعم فتصدق بأفضل حديثيه وكانت تسمى الجنينية فرجع أبو الدحاح إلى أهله وكانوا في الحديقة التي تصدق بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لأمهاته فقالت أم الدحاح بارك الله في ما اشتريت فخر جوا منها وسلموها فكان صلى الله عليه وسلم يقول كم من نخلة وداح تدلى عروها في الجنة لأبي الدحاح (ثم الرأى للثلاثين من بني إسرائيل من يمد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابث لنا ملكا) أي أنهم أخبروا بأشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بني إسرائيل من بدوفاة موسى حين قالوا لنبيهم شمويل كقائه وهب من منبه وأسمعهم أو يوشع بن نون كقائه قتادة أوحز قيل كما حكاه الكرماني أو سامويل بن حلفا واسم أمه حسنة كقائه مجاهد وسبب سؤال بني إسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت الخطايا ساءل الله عليهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على كثيرين أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسرهم وأمن أبناء ما كرمهم ببيعة وأر بعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولم يكن لهم حيث يذني بدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكتوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحسوها في بيت فوايت غلاما فلما كبر كفه شيخ من عساكرهم في بيت المقدس فلما بلغ الثلام أنه جبريل فقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالتك بك فان الله قد بشك فيهم نبيا فلما أنهم كذبوه وقالوا استعملت بالنبوة فان كنت صادقا فينب لنا ملك الجيش (تقاتل) بأمره عنونا (في سبيل الله) أي في طاعة الله وأما كان صلاح أمر بني إسرائيل بالاجتماع على السلوك وطاعة الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والتي هو التي يقيم أمره ويشير عليه يرشده (قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) أي قال نبيهم هل قار بتم أن لا تقاتلوا عدوكم أن فرض عليكم القتال مع ذلك للملك (قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي أي شيء ثبت لثاني ترك القتال الذي في طاعة الله والحال أنه قد أبعد بعضنا من للنازل والأولاد والقاتلون لتبيهم بما ذكر كانوا في ديارهم فسأل الله تعالى ذلك النبي فأوجب عليهم القتال وعينهم ملكا ليقاتلهم (فلما كتب) أي أوجب (عليهم القتال تولوا) أي عرضوا عن قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكتهم (الاقليانهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) أي هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف ربه ولم يف بما قبل من ربه

أي من ذا الذي يعمل عمل
للقرض بأن يقدم ماله
فيأخذ أضعاف ما قدم
وهذا استدعاء من الله إلى
أعمال البر (والله يقيض)
أي يمسك الرزق عن من يشاء
(ويسقط) أي ويوسع
على من يشاء (ثم ترى
للأمن من بني إسرائيل)
يعني إلى الجماعة (اذ قالوا)
لنبي لهم ابث لنا ملكا
سألوا نبيهم شمويل ملكا
تنظم به كلمهم ويستقيم
حالمهم في جهاد عدوهم وهو
قولهم (تقاتل في سبيل
الله) فقال لهم ذلك النبي
(هل عسيتم أن كتب
عليكم القتال أن لا تقاتلوا)
يقول لعلكم أن تجبنوا
عن القتال (قالوا وما لنا
أن لا نقاتل في سبيل الله)
أي وما يمنعنا عن ذلك
(وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا) أي وأفرقنا من
أبنائنا بالسبي والقتل يعنون
إذا بلغ الأمر مناهضا فلا
يضمن الجهاد قال الله تعالى
(فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم) وهم
الذين عبروا النهر وياقي
ذكرهم

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أى قد أجبكم الى ما سألتم من بعث الملك (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى كيف يملك علينا وكان من أدنى بيوت بني اسرائيل ولم يكن من سبط للملكة فأنكر واملكه وقالوا (عن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى يؤتى ما يملك به (٧٠) اللوك (قال النبي) ان الله اصطفاه عليكم) بالملك (وزاده بسطة في العلم والجسم) وكان طالوت

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم) أى لأجل سؤالكم (طالوت ملكا) أى لما سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا أرسل الله له عصا وقرنا فيدهن القدس وقيل له ان صاحبك الذى يكون ملكا هو من يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فانشر الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فآدهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت فدخل عليه رجل فانشر الدهن في القرن فقام شمويل فقاومه بالصاف كان على طولها وقال له قرب رأسك ففر به فدهنه النبي يدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذى أمرني الله أن أملكك عليهم فقال طالوت أمعلت أن سبطي أدنى من سبط ملوك بني اسرائيل قال بل فقال شمويل الله يؤتى ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يصكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والحال نحن أولى بالملك منه وليس له سعة المال لينفق على الجيش وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نوبة وسبط ملكة فكان سبط النوبة سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهما السلام وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا وقالوا هو دباغ أو راع أو سقاء يستقى للماء على حماله وإنما زرع الملك والنوبة منهم لأنهم عمالو ذبا عظيم كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم فزعم ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الأم (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بسطة) أى سعة (في العلم) أى علم الحرب وجمع الديانات حتى قيل لانه نبي أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمل وبطول القامة فإنه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجملهم وأهم خلقا (والله يؤتى ملكه من يشاء) في الدنيا (واقه واسع) بالعطية (علم) بمن يليق بالملك (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكة علينا (ان آية ملكه) أى ان علامة محبة ملكه من الله (أن يأتيكم التابوت) أى الصندوق الذى أخذتمكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد فرسه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام لسخطه على بني اسرائيل المعصاة وفسادها فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء الى الأرض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت (فيمسكينة من ربكم) أى كان في التابوت بشارات من كتب الله تعالى المنزل على موسى وهرون ومن بعدهما من الأنبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده ويذل عنهم الخوف من العدو (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) وهى رياض الأرواح وعسا موسى وثيابه ونملاه وثنى من التوراة ورداء هرون وعصاه (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان في ذلك) أى في ذلك التابوت اليكم (لآية لكم) أى علامة لكم دالة على أن ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتسليمكم عليكم أولئك ان في هذه الآية من نقل القصة معجزة دالة على نبوة محمد ﷺ حيث

يؤمنذ أعلم أهل زمانه في بني اسرائيل وأجملهم وأهمهم وبالسطة الزيادة في كل شيء (والله يؤتى ملكه من يشاء) ليس بالوراثة (والله واسع) أى واسع الفضل والرزق والرحمة فسألوا نبيهم على تخليك طالوت آية (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وكان تابوتا أنزله الله على آدم عليه السلام فيصور الأنبياء كانت بنو اسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم المعالفة على التابوت فلما سألو نبيهم الآيئة على ملك طالوت قال آية ملكه أن يرد الله التابوت عليكم فحملت للملائكة التابوت حتى وضعت في دار طالوت وقوله (فيمسكينة من ربكم) أى طمأنينة كانت قلوبهم مطمئن بذلك وفي أى مكان كان التابوت سكنوا هناك وكان ذلك من أمر الله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) أى تركاهم لما كانت البقية

نصلى موسى وعصاه وعمامة هرون وبقية من اللين الذى كان ينزل عليهم (تحمله الملائكة) يعنى التابوت (ان في ذلك لآية لكم) أى في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين

(فلما فصل طالوت بالجنود) أي خرج بهم من الوضع الذي كانوا فيه إلى الجهاد العدو (قال) لم طالوت (إن الله مبتليكم) يعني يختبركم أي معاملكم بمعاملة المختبر (نهر) وهو نهر فلسطين ليتميز (٧١) الحق ومن لعنة في الجهاد من العذر

(فمن شرب منه) أي من ماءه (فليس مني) أي من أهل ديني (ومن لم يطمعه) أي لم يذقه (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) أي مرة واحدة أي اخضعه بحرة أوقرية أو ما أشبه ذلك مرة واحدة قال لم طالوت من شرب من النهر وأكثرت فقد عصى الله ومن اغترف غرفة بيده أمتعه به عطف شديد فوقع أكثرهم في النهر وأكثروا الشرب فهؤلاء جنبا عن لقاء العدو وأطاع قوم قليل عددهم فلم يزدوا على الاختراف فتقويت قلوبهم وصبروا النهر فبذلك قوله (فصبروا) منه الا قليلا منهم) وكانوا ثلثة ويضعه عشر رجال (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي الذين آمنوا معه (قالوا) أي بض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاعة لنا اليوم بجلاوت وجنوده) أي ملاقوا نواب الله بسبب هذه الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (واقه مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنين الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم ممن يحب الحياة ويكره الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى قالوا هم الذين قالوا لا طاعة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا قولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاعة لنا اليوم بجلاوت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتال لانه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قالوا لوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين التريغ في الشهادة والقوز بالجنة وغرض الفريق الثاني التريغ في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا الجلاوت اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا مشرعين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والأمور المسألة (وبئت أقلامنا) في مداحض

أخبر بهذا التفصيل من غير سماع من البشر إن كنتم عن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة والرسالة فلما رد عليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم يمانون ألفا من الشبان الفارغين من جميع الأشغال (فلما فصل طالوت) أي خرج من بيت المقدس (بالجنود) أي بالجيش التي اختارها وكان الوقت قريبا وسلك بهم في أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال إن الله مبتليكم بنهر) أي يختبركم بنهر جار يظهر منكم الطبع والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين أي وللغرض من هذا ابتلاء أي بين الصديق عن الزنديق وللواقف عن المخالف (فمن شرب منه) أي من ماء النهر (فليس مني) أي من أتباعي المؤمنين فلا يكون مأذونا في هذا القتال (ومن لم يطمعه) أي من لم يذقه (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) فانه مني ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وغرفة بفتح العين وكذلك يقوب وخلف وقرأهم وابن طبري وحمز وقال الكسائي بالضم فالغرفة بالضم الشيء القليل الذي يحصل في الكف والغرفة بالفتح القمل وهو الاغتراف مرة واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم (فصبروا منه) أي فلما وصلوا إلى النهر وقفوا فيه وشربوا منه بالكرع والتم كيف شاءوا (الا قليلا منهم) ثلثة وثلاثة عشر رجلا فلم يشربوا الا قليلا وهو النهر فري أن من اغترف غرفة كأمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفت تلك الغرفة الواحدة لشرب دوابه وخمعه وحمله مع نفسه امالانه كان مأذونا في أخذ ذلك القدر وامال الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يصحكي لكل هؤلاء وذلك معجزة لنبي ذلك الزمان وأما الذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم وظلمت عيونه فلم يروا وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أي بض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاعة لنا اليوم بجلاوت وجنوده) أي ملاقوا نواب الله بسبب هذه الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (واقه مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنين الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم ممن يحب الحياة ويكره الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى قالوا هم الذين قالوا لا طاعة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا قولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاعة لنا اليوم بجلاوت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتال لانه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قالوا لوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين التريغ في الشهادة والقوز بالجنة وغرض الفريق الثاني التريغ في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا الجلاوت اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا مشرعين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والأمور المسألة (وبئت أقلامنا) في مداحض

راجعون إليه (كم من فئة) أي جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) أي بالمعونة والنصر (ولما برزوا) أي خرجوا (الجلاوت وجنوده) أي لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أي اصب (علينا صبرا وبئت أقلامنا) بتقوية قلوبنا

القتال بكال القوة عند اللقاة وعسى أنزل وقت للمقاومة (وانصرتا على القوم الكافرين)
 بهزمهم وهزمهم (فهزمهم باذن الله) أى كسروهم بنصرة الله اجابة لجأهم (وقتل داود جالوت)
 قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام كان راعيا لبعرة اخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر
 اخوته على أيهم أنشا أرسل ابنه داود اليهم لآتيه بجبرهم فأتاهاهم وهم فى الصاف وبادر جالوت الجبار
 وهو من قوم عادلى البراز فلم يخرج اليه أحد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بضكم
 فقال داود لاخوته أما فيكم من يخرج الى هذا الألف فسكتوا فذهب الى ناحية من الصف ليس
 فيها اخوته فلم يره طالوت وهو عرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الألف فقال طالوت
 أنكحه ابنتى وأعطيه نصف ملكى فقال داود فأناخرج اليه وكان عادته أن يقتل بالمقارع الذب
 والأسدنى للمرجى وكان طالوت عارفا بجلادة فلما هو داود بأن يخرج الى جالوت من ثلاثه أحجار فقلن
 يا داود خذنا معك ففينا نمتة جالوت فلما خرج الى جالوت الكافر رماها فصابه فى صدره ونفذ الحجر
 فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخرج جالوت قتيلا فأخذته داود بجمره حتى ألقاه
 بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل وانصرفوا الى البلاد سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال
 أنجزنى وامدعنى فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعدته فكشتمه كذلك أر بعين سنة فأت
 طالوت وأتى بنو اسرائيل بداود وأعطوه خزائن طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى
 رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وآ ناه الله الملك) أى السكامل سبع سنين بسموت طالوت أى ملك بنى اسرائيل
 فى مشارق الارض المقدسة ومغار بها (والحكمة) أى النبوة بسد موت شمويل وكان موته قبل
 موت طالوت ولم يجمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة لأحد به الله بل كان الملك فى سبط والنبوة فى
 سبط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة (وعلمه بما يشاء) كصنة
 البروع من الحديد وكان يلين فى يده ويشجعه وفهم كلام الطير والفعل وكيفية القضاء وما يتعلق
 بمصالح الدنيا ومعرفة الأخلاق الطيبة ولم يسط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور
 تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير ويركد لئله الجارى ويسكن الريح (ولولا دفع
 الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الأرض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لقلب
 المشركون على الأرض فقتلوا للؤمنين وخربوا للساجد والبلاد وقبل للمنى ولولا دفع الله بالؤمنين
 والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض من فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكفار وبالصالح
 عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالمسلم
 الصالح من مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الأرض
 (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أى القصص بأخبار الأمم الماضية
 (آيات الله) للآلة من عنده تعالى (تلاوها عليك) أى بواسطة جبريل (الحق) أى ملتبسة باليقين
 الذى لا يشك فيه أحد من أهل الكتاب لا يجنونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن
 والانس كافة بشهادتنا خبرك عن الأمم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد خبرك بذلك
 (تلك الرسل) أى جماعة الرسل (فضلنا بينهم على بعض) فى مراتب الكمال بأن خصصناه بمنزلة ليست
 لنبره (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى حيث كله ليلة الحيرة وهى تحيره فى معرفة طريقه
 من مسيره من مدين الى مصر وفى الطور ومحمد حيث كله ليلة المراج (ورفع بعضهم درجات) أى
 فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذ خليلا ولم يؤت أحدا من هذه الفضيلة وادريس قاته تعالى

(فهزمهم) أى فردهم
 وكسروهم (باذن الله)
 أى بقضائه وقدرته (وقتل
 داود) وكان فى عسكر بنى
 اسرائيل (جالوت) الكافر
 (وآ ناه الله الملك والحكمة)
 أى جمع له الملك والنبوة
 (وعلمه بما يشاء) يعنى صفة
 النزوع ومنطق الطير
 (ولولا دفع الله الناس بعضهم
 بعضا) أى لولا دفع الله
 بجنود المسلمين لقلب
 للمشركون على الأرض
 فقتلوا للؤمنين وخربوا
 البلاد والساجد (تلك آيات
 الله) أى هذه الآيات التى
 أخبرتك بها آيات الله أى
 علامات توحيد (وانك
 لمن المرسلين) أى أنت من
 هؤلاء الذين قصصت آياتهم
 (تلك الرسل) يعنى جماعة
 الرسل (فضلنا بينهم على
 بعض) أى لم نجعلهم سواء
 فى الفضيلة وان استوا فى
 القيام بالرسالة (منهم من
 كلم الله) وهو موسى عليه
 السلام (ورفع بعضهم
 درجات)

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله الى الناس كافة (وأينما عيسى بن مريم اليينات وأيدناه بروح القدس) معنى تفسيره (ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم) يعني من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم اليينات) أى من بعد ما وضحت لهم البراهين (ولكن اختلّفوا ففهم من آمن) أى ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح اختلّفوا فصاروا فرقاً ثم تحاربوا (ولو شاء الله ماقتلوا) كرر ذكر اللئيمة باقتلهم تكديبا لمن زعم

(٧٣)

لم يوجب قضاء من الله (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفى من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) اتقوا ما رزقناكم) معنى الزكاة للفروض وتوقيل إيراد التفقة في الجهاد (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) يعنى يوم القيامة لا يؤخذ في ذلك اليوم بدل ولا فداء ولا خلة) أى ولا صداقة (ولا شفاعة) هم نفي الشفاعة لأنه عسى الكافرين بأن هذه الأشياء لا تنفعهم الآخرة أنه قال (والكافرون هم الظالمون) أى هم الذين وضعوا أمر الله غير موضعه (الله لا اله الا هو الحى القيوم) أى الحى الباقى البقاء القيوم القائم بتدبير أمر الخلق فى انشائهم وارتزاقهم (لأنه سنة) وهى قتل الناس (ولا نوم) وهى الفتنة الثقيلة (له) مافى السموات وما فى الأرض (ملكوتهم) (من)

رضه مكانا عليا وداود فانه تعالى جميع الملك والتبوء قول يحصل هذا لغيره سليمان فانه تعالى سخر له الانس والجن والطير والرجل يمكن هذا حاصل الآية داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه ناسخ لكل الشرائع (وأينما عيسى بن مريم اليينات) أى العجايب من احياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والاخبار بالنبيات (وأيدناه بروح القدس) أى أعانه بجبريل فى أول أمره وفى وسطه وفى آخره وهو فتح جبريل فى عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الأعداء وإعانه ورضه الى السباحين أراد الله اليهود وقتله (ولو شاء ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم اليينات) أى الذين جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلّفوا) فى الدين (فمنهم من آمن) بمجاءت بهاء ذلك الرسل من كل كتاب ومما رواه (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلافهم فى الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وهذا التكرار ليس لتأكيد بل لتفنيته على أن اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم بل الله تعالى مختار فى ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ماقتتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفى من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه فى فعله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) اتقوا ما رزقناكم) أى أصنعوا بشئ مما أعطيناكم من الأموال والى طاعة الله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع) أى فداء (فيه ولا خلة) أى مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح فى بيع وخلة وشفاعة والياقون جميعا بالرفع (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الحيرات ليوم حاجتهم وأثم أيها الحاضرون لا تقتلوا بهم ولكن قدموا لأنفسكم ما يعاملونه يوم القيامة فدية لأنفسكم من مذاب الله تعالى وقيل للمنى والتاركون لأن كاهنهم الذين ظلموا أنفسهم بشرى بها للعقاب (الله لا اله الا لا لمعبود بحق موجود (الا هو الحى) أى الباقي الذى لا سبيل عليه الموت والفناء (القيوم) أى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فى الوجود والرزاق (لأنه سنة) أى الناس (ولأنهم) تقبل فيشغله عن تدبيره وأمره أى لا يأخذهم ناس فضلا عن أن يأخذهم نوم (له مافى السموات وما فى الأرض) وهذا رد على الشركين الما بدلين لبعض الكواكب التى فى السماء ولا أسمان التى فى الأرض أى فلا تصلح أن تكون معبودة لأنها مملوكة لله مخلوقة (من ذا الذى يشفع عنده الا بانه) أى لا يشفع عنده أحد من أهل السموات والأرض يوم القيامة الا بأمره وهذا رد على الشركين حيث زعموا أن الأصنام تشفع لهم فانه تعالى لا يلائق فى الشفاعة لغير المبيطين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما قبلهم وما بعدهم وأما فاعلم من خبروشر وما يفعلونه بذلك (ولا يحيطون بشئ من علمه) أى يقليل من معلوماته (الا بما شاء) أن يعلموه أى أن أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى الا ما شاء هو أن يعلمهم وألغى أنهم لا يعلمون التنبؤ الا عند اطلاع الله بعض أنبيائه على بعض التنبؤ (وسع كرسى السموات والأرض) فالكرسى جسم عظيم

(١٠) - (تفسير مراحليد) - أول) ذا الذى يشفع عنده الا بانه) أى لا يشفع عنده أحدا الا بأمره

بأمره بالاطلاق من الكفار أن الأصنام تشفع لهم (يعلم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا (وما خلفهم) من أمر الآخرة (ولا يحيطون بشئ من علمه) أى لا يعلمون شيئا من معلومات الله (الا بما شاء) أى الا بما أنبأه الأنبياء وأعلمهم عليه (وسع كرسى السموات والأرض) أى احتملها وأطاقها يعنى ملكه وسلطانه وقيل هو الكرسى نفسه وهو مشتمل بظلمته على السموات والأرض وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كرسى الله

(ولا يؤوده) أى لا يجهد ولا يشغل (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض (وهو العلى) بالقدرة وتقدرة السلطان عن الأشياء والأعمال (الظيم) أى عظيم الشأن

(٧٤)

(لا اكره فى الدين) بعد اسلام العرب لأنهم أكرهوا على

الاسلام فلم تقبل منهم الجزية فلما أسلموا أزل الله سبحانه هذه الآية (قد تبين الرشد من الفنى) أى ظهر الايمان من الكفر والمهدى من الضلالة بكثرة الحجة (فمن يكفر بالطاغوت) أى بالشيطان والأصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى عقد نفسه عقدا وثيقا وهو الايمان وكلمة الشهادتين (لا انقطاع لها) أى لا انقطاع لها (والله سميع) لبعثك يا محمد إياي بإسلام أهل الكتاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اليهود الذين حول المدينة ويسأل الله ذلك (عليهم) بحركتك واجتهادك (الله والى الذين آمنوا) أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من الكفر والضلالة الى الايمان والمهداية (والذين كفروا) يعنى اليهود (أولياؤهم الطاغوت) يعنى رؤسائهم كب بن الأشرف وحبي بن أخشب (يخرجونهم من النور) يعنى عما كانوا عليه من

تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والأرض (ولا يؤوده حفظهما) أى لا يشغل عليه تعالى حفظ السموات والأرض غير اللانكته (وهو العلى) أى تعالى بذاته عن الأشياء والأظفار (الظيم) أى الذى يستحق كل ماسواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا سحر تأرب عين ليله وتوعن على أن يقال سمعت نبيك على أعدائك وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت أى فإذا مات دخل الجنة ولا يواظب عليها الا الصديق أو عابدين قرأها إذا أخذ مضجعه أمناه الله على نفسه ونحوه وجار جاره والآيات التي حوله (لا اكره فى الدين) أى لا اكره على الدخول في دين الله (قد تبين الرشد من الفنى) أى قد تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والمهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى أنه كان لأبي الحصين الأنصارى من بنى سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما للمدينة فخرهما أبوهما وقال والله لأدعكما حتى تسلميا فأيافا خستصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فدخل سيلهما ثم زل في شأن منذر بن ساوى التميمي قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) أى بالشيطان وبكل معبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أى فقد تمسك بالعقدة المحكمة لا انقطاع لها أى فقد أخذ بالثقة لا انقطاع لصاحبها عن فهم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله سميع) لقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر (عليه) بما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله سميع علم لبعثك يا محمد بحرك على اسلام أهل الكتاب وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام أهل الكتاب بنى اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلاية (الله والى الذين آمنوا) أى الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سالم وأصحابه (يخرجهم) بطفه وتوفيقه (من الظلمات) أى الكفر (الى النور) أى الايمان (والذين كفروا) ككعب بن الأشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أى الشياطين وسائر الضللين عن طريق الحق (يخرجونهم) بألوساوس وغيرها من طرق الاضلال (من النور) الفطرى أى الذى جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات التى شاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم (الى الظلمات) أى ظلمات الكفر والانهماك فى الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى ما كشون أبدا (ألم تر) أى ألم تنظر (الى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات (الذى حاج ابراهيم فر به) أى الى قصة التى خاصم ابراهيم في دين رب ابراهيم وهو غزو ذين كمنان (أن آتاه الله الملك) أى فطني وادعى الربوبية فحاج لأن أعطاه الله الملك (انقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) أى يخلق الحياة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة ربى يسكنون الياء وههنا لما جمعت ابراهيم بعد لقائه فى النار وخروجه منها سالما. وذلك أن الناس قسطوا على عهد غمرود وكان الناس يتنازلون من عنده فكان اذا أتاه الرجل فى طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأتاه ابراهيم فقال له

الايمان بمحمد ﷺ قبل بعثه (الى الظلمات) أى الى الكفر به بدعته

(ألم ترالى الذى حاج) أى جادل وخاصم (ابراهيم فر به) حين قال لمن ربك (أن آتاه الله الملك) أى الملك الذى آتاه يريد بطر الملك الذى حمله على ذلك وهو غمرود ذين كمنان (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال) عدو الله

(أنا أحى وأميت) فلما رضى فى الاسترسال فى العبرة من غير فعل حياة وموت فلما بس فى الحجة بأن قال أنا فعل ذلك احتج عليه إبراهيم
بجدة لا يمكنه فيها أن يقول أنا فعل ذلك وهو قوله تعالى (قال إبراهيم فان الله يأبى بالشمس من الشرق فأتبها من الغرب فبهت الذى
كفر) أى انقطع وسكت (أو كاذبى) هنا عطف على المعنى لأعلى (٧٥) اللفظ كأنه قيل رأيت كاذبى حج
أو كاذبى (مر) وهو

من ربك فقال له ذلك (قال أنا أحى وأميت قال إبراهيم) له اتنى ببيان ذلك فدعا عمرو ذر برجلين
من السجن وقتل واحدا وترك واحدا قال هذا بيان ذلك قال إبراهيم (فان الله يأبى بالشمس من
الشرق) فى كل يوم (فأتبها من الغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقاً فأتبعه من الرابطة
(فبهت الذى كفر) أى سكت بفيرحجة أى فبني مغلوباً بالجد للحجة مقلاً وللأسئلة جواباً (والله
لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر إلى طريق الحجة (أو كاذبى) أى رأيت مثل الذى (مر على قرية)
هى بيت المقدس كما أخرجها بن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية
التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كانوا ينهون عن إبليس فأتى
الذى مر على قرية كيف هدهاه القوم أخرجه من غلبة الاشتباه إلى نور البيان ولما هو عزير ابن
سروحا كما روى عن على بن أبى طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهى خاوية على
عرشها) أى ساقطة على سوقها بأن سقطت السقوف وألأم الأبنية (قال أتى بجي هذه الله بعد
موتها) أى كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم تعجباً من قدرة الله تعالى على إحيائها (فأما
الله) مكانه فكان ميتاً (فأما هم لم يموتوا) أى إحياء فى آخر النهار (قال) تعالى له (كم لبثت) أى
مكثت هنا يا عزير بعد الموت وإفانك هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال
لبثت يوماً) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها شئ فقال (أو بض يوم قال) أى الله أولئك (بل
لبثت) ميتاً (فأما هم فانظر إلى طعامك) أى التين والعنب (وشرايك) أى الصير (يرى سنه) أى لم
يتغير ولم ينصب فى هذه اللذة للتطاولة فكان التين والشب كأنه قد قطف من ساعته والصير كأنه قد
عصر من ساعته والذين قد قلب من ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف نالوح
عظامه يبضه فلما ذلك الإحياء لتأمين ما استبعدته من الإحياء بعد حمر طويل (ولنجعلك آية
لنناس) أى لك تجعلك علامة لقناس فى إحياء الموتى أنهم يحيون على ما كانوا لأنهم شابا
وبشاً شاباً وعبره للناس لأنه كان ابن أربعين سنة وأبوه عمره وأبوه عمره وأبوه عمره (وانظر إلى
العظام) أى عظام الحمار (كيف نشزها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبالراء أى كيف نجسها
ونخلها وقرأ حمزة والكسائي نشزها بالراء أى كيف نخلها ونخلها على بعض (ثم نكسوها
لحماً) أى نبت عليها العصب والروق والحم والجلد والشعر ونخل فيه الروح بذلك (قلنا
نبتله) وقوعاً ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شئ) من الحياة والموت
(قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى سبب نزول هذه الآية أن ابن مختصر البالي
غزبان إسرائيل وهو فى سببته ألفراية فسي من بني إسرائيل الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم
فجاءهم إلى بابل فدخل عزير تلك القرية التي أهدمت جيطانها ونزل تحت شجرة وهو على حمار
فر بطاحره وطاف فى القرية فلم ير فيها أحداً ففج من ذلك وقال أتى بجي هذا الله بدموتها وذلك
على سبيل الاستبعاد بحسب المادة لأعلى سبيل الشك فى قدرة الله وكتب الأشجار مشرة فتناول من

من ربك فقال له ذلك (قال أنا أحى وأميت قال إبراهيم) له اتنى ببيان ذلك فدعا عمرو ذر برجلين
من السجن وقتل واحدا وترك واحدا قال هذا بيان ذلك قال إبراهيم (فان الله يأبى بالشمس من
الشرق) فى كل يوم (فأتبها من الغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقاً فأتبعه من الرابطة
(فبهت الذى كفر) أى سكت بفيرحجة أى فبني مغلوباً بالجد للحجة مقلاً وللأسئلة جواباً (والله
لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر إلى طريق الحجة (أو كاذبى) أى رأيت مثل الذى (مر على قرية)
هى بيت المقدس كما أخرجها بن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية
التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كانوا ينهون عن إبليس فأتى
الذى مر على قرية كيف هدهاه القوم أخرجه من غلبة الاشتباه إلى نور البيان ولما هو عزير ابن
سروحا كما روى عن على بن أبى طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهى خاوية على
عرشها) أى ساقطة على سوقها بأن سقطت السقوف وألأم الأبنية (قال أتى بجي هذه الله بعد
موتها) أى كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم تعجباً من قدرة الله تعالى على إحيائها (فأما
الله) مكانه فكان ميتاً (فأما هم لم يموتوا) أى إحياء فى آخر النهار (قال) تعالى له (كم لبثت) أى
مكثت هنا يا عزير بعد الموت وإفانك هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال
لبثت يوماً) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها شئ فقال (أو بض يوم قال) أى الله أولئك (بل
لبثت) ميتاً (فأما هم فانظر إلى طعامك) أى التين والعنب (وشرايك) أى الصير (يرى سنه) أى لم
يتغير ولم ينصب فى هذه اللذة للتطاولة فكان التين والشب كأنه قد قطف من ساعته والصير كأنه قد
عصر من ساعته والذين قد قلب من ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف نالوح
عظامه يبضه فلما ذلك الإحياء لتأمين ما استبعدته من الإحياء بعد حمر طويل (ولنجعلك آية
لنناس) أى لك تجعلك علامة لقناس فى إحياء الموتى أنهم يحيون على ما كانوا لأنهم شابا
وبشاً شاباً وعبره للناس لأنه كان ابن أربعين سنة وأبوه عمره وأبوه عمره وأبوه عمره (وانظر إلى
العظام) أى عظام الحمار (كيف نشزها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبالراء أى كيف نجسها
ونخلها وقرأ حمزة والكسائي نشزها بالراء أى كيف نخلها ونخلها على بعض (ثم نكسوها
لحماً) أى نبت عليها العصب والروق والحم والجلد والشعر ونخل فيه الروح بذلك (قلنا
نبتله) وقوعاً ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شئ) من الحياة والموت
(قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى سبب نزول هذه الآية أن ابن مختصر البالي
غزبان إسرائيل وهو فى سببته ألفراية فسي من بني إسرائيل الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم
فجاءهم إلى بابل فدخل عزير تلك القرية التي أهدمت جيطانها ونزل تحت شجرة وهو على حمار
فر بطاحره وطاف فى القرية فلم ير فيها أحداً ففج من ذلك وقال أتى بجي هذا الله بدموتها وذلك
على سبيل الاستبعاد بحسب المادة لأعلى سبيل الشك فى قدرة الله وكتب الأشجار مشرة فتناول من

يبض نالوح (ولنجعلك آية للناس) الواو زائدة والنون لبثت ما طعام لنجعلك آية للناس وكبره آية أن بشبها أسود الرأس والحية
وبنو فيه شب (وانظر إلى العظام) يبض عظام حماره (كيف نشزها) أى نجسها (ثم نكسوها لحماً فلتبين له) أى
فلما شاهد ذلك (قال أعلم أن الله على كل شئ) (قدير) أى أعلم العلم الذى لا يترض عليه الأشكال وتأويله أى قد علمت مشاهدته
ما كنت أعلمه غيباً

كيف يحيي الموتى) وذلك أنه رأى جيفة بساحل البحر يتناولها الطير والوحش ودواب البحر ففكر كيف يجتمع ما قد تفرق منها فأحبا أن يرى ذلك فسأل الله أن يريه اسماء الموتى (قال) الله تعالى (أولم تؤمن) يعني أليس آمنت بذلك (قال) بلى ولكن لمطمئن قلبى بالمعينة بعد الإيمان بالنبي (قال) فتخذا رب من الطير طولوسا ونسرا وغبابا وديكا (فصرهن اليك) أى قطعهن كأنه قيل خذ اليك أربعة من الطير فقطعهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أمر أن يخلط ريشها ولحومها ثم يفرق أجزاها بأن يجعلها على أربعة أجبل ففعل ذلك إبراهيم وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن فقال تعالى يا ذن الله فصلت أجزاها الطيور بطير بعضها إلى بعض حتى تكاملت أجزاؤها ثم أقبلن إلى رؤسهن فذلك قوله تعالى (ثم ادعهم يا ذنك سميا واعلم أن الله عزيز) أى لا يمتنع عليه ما يريد (حكيم) فيما يدبر فلا ذكر الدلالة على توحيده بما أتى الرسل من البينات حث على الجهاد والاتفاق فيه فقال

الفاكهة التين والعنب وشربعن عصار العنب وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العنب في زق ونام فأما الله تعالى فيمنه ما عاين وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الأنس والسباع والطير ثم أحياه الله تعالى بسلامة ونودي من السماء يا عزيرك لبثت بعد الموت فقال بومأفا بصر من الشمس بقية فقال أو بعض يوم فقال الله تعالى بل لبثت ما تعلم فانظري طعامك من التين والعنب وشرباك من العنب لم يتغير طعامك فانظري فإذا التين والعنب كما شاهد عمام قال تعالى وانظري حارك فظفر فاذا هو عظام يعض نالوح وقد تفرقت أوصاله وسمع صوتا أيها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها إلى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به إلى مكانه ثم جاء الرأس إلى مكانه ثم العصب والمرق ثم أنبت طراء اللحم عليه ثم أنبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينطق فخر عزير ساجدا وقال أعلم أن الله على كل شئ قدير ثم اندخل بيت المقدس لما روى أنه لما مضى من وقت موته سبعون سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فصره ووصل أحسن مما كان ورد الله تعالى من بني اسرائيل إلى بيت المقدس ونواحيه فصرها ثلاثين سنة وكثروا كالحسن ما كانوا أو أعمى القديسون عن العزيز هو هذه الملة فلم ير أحد قطعا مضى للماتة أحياء الله تعالى منه عيني موسى جسد ميت ثم أحياه الله تعالى جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس قال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن سرحاؤ ابن شرخيا مات بابل وقد كان مختصر قتل في بيت المقدس أربعين ألفا من قرأت التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا أنه قرأ التوراة فلما أتاهم بسدة مائة طم جسد لهم التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لم يحرم منها حرفا وكانت التوراة قد دقت في موضع فأخرجت وعوزت بمأمله فلما اختلفا في حرق ففند ذلك قالوا عزير ابن الله (و) ألم تر (إذ قال إبراهيم) هذا دليل آخر على ولايته تعالى للؤمنين وخراجهم لهم من الظلمات إلى النور (رب أرني كيف يحيي الموتى) قال الحسن والضحاك وقادة وعظاما ابن جرحه أنه رأى جيفة مطروحة في شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال إبراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر (قال) تعالى (أولم تؤمن) أى أنسأل ولم تؤمن بقسرتي على الأحياء (قال بلى) أنا مؤمن بذلك (ولكن لمطمئن قلبى) أى ولكن سألت ما سألت لتسكن حرارة قلبى وأعلم بأن خليقت مستجاب الدعوة وللطوبى من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا (قال) فتخذا رب من الطير اشتاتا وزا وديكا وطولوسا وآلا وهو فرخ النعام كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق الضحاك أو طولوسا وديكا وحلمة وغيره فقا هو الكر كى كما أخرجه عنه من طريق خش (فصرهن) قرأه حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وتخفيف الراء أى قطعهن وبعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أى أعضاها ولحومها وريشها ودماءها واخلط بعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أى ثم ضغ على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزء من أى على حسب الطيور الأربع وعلى حسب الجهات الأربع أيضا (ثم ادعهم) بأسمائهن أى قل لهن تعالين ياوز ويا ديك ويا طولوس ويا رآل يا ذن الله تعالى (يا ذنك سميا) أى مشيا سر ياولم تأت طائفة ليتحقق أن أرجلها سليمة في هذه الحالة (واعلم أن الله عزيز) أى غالب على جميع الملكات (حكيم) أى عليم بعواقب الأمور وظلمات الاشياء روى أنه أمر بذبها وتنفس ريشها وتقطيعها جزءا جزءا واخلط دماها ولحومها وأن يمسك

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة) أي مثل صدقاتهم واثقافهم كمثل حبة (أنبت سبع سنابل) الآية يريد الله بضاعه
 الواحد سبعة لا يشترط وجوده لأن هذا على ضرب المثل (٧٧) (الذين ينفقون أموالهم

رءوسها بيده ثم أم بأن يجعل أجزأها على الجبال على كل جبل يعلم كل طائر ثم يصبح بها تعالى
 باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزء بطائر إلى الآخر حتى تكاملت الجشت ثم أقبلت كل حبة إلى رأسها سيعا على
 أرجلها وانضم كل رأس إلى جنته وصار الكل أحياء باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في
 سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل) أي صدقات الذين ينفقون أموالهم في دين الله كصدقة
 آخر جت سبع سنابل أو العنى مثل الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخيرات من الواجب والتفعل كمثل
 زارع حبة أخر جت ساقا تشعب منه سبع شعبة كل واحدة منها سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) كما
 يشاهد ذلك في القرية والذين بل فيها أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على
 حسب حال المنفق من إخلاصه ونسبه واثقافه وتفاوت مراتب الأعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أي
 لا يضيق عليه ما يفضل به من التضخيف (عليم) بنية المنفق ومن يستحق الضائفة (الذين ينفقون
 أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الأذى) ولأن هو الاعتداد بالنعمة واستطامها على
 المنفق عايه والأذى بأن يؤذى المنفق عليه بالقول والعوض في وجهه أو أبعاء عليه وقيل الراد هو
 للنعمة على الله وهو العجب والأذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أي ثواب ثقاتهم (عند ربهم) في الجنة
 (ولا خوف عليهم) أي لا يخافون فقدا جوارهم ولا يخافون المذاب البتة (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا
 من خلفهم زلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف لأمعتان فجهز جيش العسرة
 في غزوة تبوك بألف بغير باقتناها وألف دينار فرفض رسول الله ﷺ يده يقول يارب عثمان رضي
 عنه فأرض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فإنه صدق نصف ماله أربعة آلاف دينار وقال كان عندي
 ثمانية آلاف فاستمسكت لنفسي وعبأ إلى أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف رجل فقتل رسول
 الله ﷺ بارك الله لك فيما استمسكت وفيما أعطيت وللمنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله
 بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤونتهم ولم يخطف بهم شيء من اللئ والأذى (قول معروف) أي
 كلام جميل يرد به السائل من غير إعطاء شيء (ومعفرة) من المسئول عن زيادة لسان الفقير (خير)
 للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لصكونها مشوبة بضرر التحير بالأسؤال (والله غنى) من
 صدقة العباد فاعلم أنكم بالصدقة لتبكم عليها (حليم) اذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذى
 بصدقه (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجر صدقاتكم (بالن والأذى) قال ابن عباس
 أي بالن على الله معناه العجب بسبب صدقتكم والأذى للسائل وقال الباقر بالن على الفقير والأذى
 للفقير (كاذبي) أي كاطلأجر نفقة الذي (ينفق ماله رياء الناس) أي سمعة الناس ولطلب
 للدعة والشهرة (و) كاذبي (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فإن المنافق والرائي بأن يأن
 بالصدقة لآلوه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالن والأذى فقد أتى بتلك الصدقة لآلوه الله أيضا أدلوا
 كان غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى لما من على الفقير ولا آذاه فلقصود من الاجال الاتيان
 بالانفاق باطلا لأن القصد الاتيان به محيحاته احباطه بسبب اللئ والأذى والأوجه كما قال بعضهم اذا فضل
 ذلك فله أجر الصدقة ولكن ذهب مضاعفته وعليه الوزر بالن (فقله) أي خالته للرائي في الانفاق (كمثل
 صفوان) وقيل الضمير عا على المنافق فيكون للنبي أن الله تعالى شبه المنافق وللؤذى بالمنافق ثم شبه المنافق
 بالحجر الكبير الأملس (عليه تراب) أي شيء من التراب (فأصابه وابل) أي مطر شديد (فتركه صلدا)
 الناس يررون في الظاهر أن هؤلاء أعمالا كبري التراب على هذا الحجر فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل كآذنه الوابل ما كان
 على الصفوان فلا يضر أحدا من الحق على ذلك التراب كذلك هؤلاء اذا قدموا على ربهم لم يحسوا شيئا وهو قوله

الذين ينفقون أموالهم
 في سبيل الله ثم لا يتبعون
 ما أنفقوا منها وهو أن
 يقول قد أحسن إلى فلان
 ونسخته وجبرت حاله بمن
 بما فعل (ولأذى) وهو
 أن يذكر أحسانه لمن لا يجب
 الذي أحسن إليه وفوقه
 عليه (قول معروف) أي
 كلام حسن ورد على
 السائل جميل (ومعفرة)
 أي تجاوز عن السائل اذا
 استطل عليه معتدده
 (خير من صدقة يتبعها
 أذى) أي من وتيسير
 للسائل بالأسؤال (والله غنى)
 من صدقة العباد (حليم)
 اذ لم يعجل بالعقوبة على من
 يمن (يا أيها الذين آمنوا
 لا تبطلوا صدقاتكم) أي
 ثوابها (بالن) وهو أن
 يمن بما أعطى (والأذى)
 وهو أن يوجع العلى له
 (كاذبي) ينفق ماله رياء
 الناس أي كاطلأجر ثوابه
 برياء الناس وهو المنافق
 يعطى ليريههم أنه مؤمن
 (فقله) أي مثل هذا المنافق
 (كمثل صفوان) وهو
 الحجر الأملس (عليه تراب)
 فأصابه وابل أي مطر
 شديد (فتركه صلدا) أي
 برقا أملس وهذا مثل ضرب
 الله للمنافق يعني أن

(لا يقدر ون على) ثواب (شيء) عما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) أى لا يجعل ثوابهم على كفرهم أن يهديهم ثم ضرب مثلا لمن يتقير بدماعته ولا يمن ولا يؤذى فقال (ومثل الذين يتفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبتيان أنفسهم) أى يقينا وصدقا من أنفسهم بالتوابع كالنفاق الذى لا يؤمن بالتوابع (كمثل جنّة برية) وهو مال ترفع من الأرض وهو أكثر بياض المستقل (أصاها) وابل) وهو أشد الطلر (فانت) أى أعطت (٧٨) (أكلم) أى ما يؤكل منها (ضعفين) أى حملت في سنة من الربيع ما يحمله غيرها

أى فجعل للطر ذلك الحجر أجلس بقيام التراب (لا يقدر ون على شيء مما كسبوا) أى لا يقدر ون على ثواب شيء في الآخرة مما أنفقوا في الدنيا رثاء وألغى لا يجلب لسان وللؤذى ثواب صدقة كما لا يوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه الطلر الشديد (والله لا يهدي القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كلامنا رياء واللى والأذى على الاتفاق من خصائص الكفار فلا بد للؤمنين أن يحتجبوها (ومثل الذين يتفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبتيان أنفسهم كمثل جنّة برية) أى مثل أموال الذين يتفقون أموالهم طلب مرضاء الله تعالى ويقيمون قلوبهم بالتوابع لله تعالى وصدقا بوعده بياض أن ما أنفقوا خير لهم ما تركوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو أصابه مطر شديد كثير (فانتأ كلهما ضعفين) أى فأخرجت ثمرها مضاعفا مثل ما يثمر غيرها بسبب الوابل فتحمل من الربيع في سنة ما يحمل غيرها في سنتين (فان لم يسبها وابل فطل) أى رث مثل الرذاذ يكتفها لجودتها ولطافة هوائها والغنى أن تنفقت هؤلاء زاكية عنده الله تعالى لا تصنع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما تار نهان من الأحوال (والله بما تعملون) عملا ظاهرا وأقليا (صبر) لا يخفى عليه شيء منه (أبو أحدم) أى أحب حبا شديدا أو شئى (أن تكون له جنّة) أى بستان (من نخيل وأعناب تجري من تحتها) أى تورد (الأنهار) من تحت شجر تلك الجنّة ومساكنها (له فيهن كل الثمرات) أى لذلك الأحمال كونه في الجنّة رزق من كل الثمرات (وأصاها الكبير وله ذرية ضغفاء) أى وقد أصابه كبار السن فلا يقدر على الكسب والحال أن له أولادا صغارا لا يقدر ون على الكسب (فأصاها) أى الجنّة (أعصار) أى يرفع ترفع الى السماء كأنها عمود (فيه نار فاحترقت) أى تلك الجنّة والقصد من هنا المثل ببيان أنه يحصل في قلب هذا الإنسان من القم والحسرة والحيرة ما لا يملحه الا لافقه كذلك من أتى بالأعمال الحسنة الا أنه لا يقصدها وجه الله بل يقرن بها أمورا تخرجها عن كونها موجهة للثواب في حين يقدم يوم القيامة وهو حينئذ في غاية الحاجة ونهاية العجز عن الاكتساب عظمت حسرته وتناهت حيرته (كذلك) أى مثل هذا البيان في أمر النفقة للقبولة وغيرها (بين الله لكم الآيات) أى الدلائل في سائر أمور الدين (لعلكم تفكرون) أى لكي تفكروا في أمثال القرآن (بأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أى زكوا من جياذ ما جمعت من القهب والفضة وعروض التجارة وللواشى (وعما أخرنا لكم من الأرض) من الجيوب والنخاز وللعدن (ولا تيمموا الخبيث) أى ولا تقصدوا الردى من أموالكم (منه تتفقون ولستم بأخذيه) فقلوه منه استقم على سبيل الانكار وهو متعلق بالقول بعده وللغنى من الخبيث تتفقون في الزكاة والحال أنكم لستم تقابل الخبيث اذا كان لكم حق على صاحبكم (الآن تمضوا فيه) أى الابان تساهلوا في الخبيث وتركوا بعض حكم كذلك لا يقبل الله

في سنتين (فان لم يسبها وابل فطل) أى فأصاها طل وهو لطر الضعيف فذلك حالها في البركة يقول كأن هذا الجنّة تتمر في كل حال ولا يغيب صاحبها قل الطلر أم كثر كذلك ضعف الله ثواب صدقة المؤمن قلت ففقته أم كثر ثم ضرب الله مثلا الرائي في النفقة والفرط في الطاعة الى أن يموت بقوله (أبو أحدم) الآية يقول مثلها كمثل رجل كانت له جنّة فيها من كل الثمرات (وأصاها الكبير) فضعف عن الكسب (وله ذرية ضغفاء) أى وله أطفال لا يجيدون عليه ولا يتفقونه (فأصاها أعصار) وهو يرحش شديدة (فيه نار فاحترقت) ففقدوها أحوج ما كان اليها عند كبار السن وكثرة العيال وطفولة الولد فينى هو وأولاده عجزه متعجزين لا يقدر ون على حيلة كذلك يبطل الله عمل النفاق والرأي حيث لا توبة

الردى

لهما ولا اقالة من ذنوبهما (كذلك بين الله) كمثل بيان هذه الأقاصيص بين الله

(لكم الآيات) أى أمر توحيد (بأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) زلت في قوم كانوا يتصدقون بشار غارهم ورذالة أموالهم والردا بطيبات ههنا الجياذ الحيار وقوله عما كسبتم من التجارة (وعما أخرنا لكم من الأرض) يعنى الجيوب التى تحب فيها الزكاة (ولا تيمموا الخبيث) أى ولا تقصدوا الخبيث (منه تتفقون) أى تتفقونه (ولستم بأخذيه) أى ولستم بأخذ الخبيث لو أعطيتهم في حق لكم (الآن تمضوا فيه) أى الابالاعماض والتساهل وفي ههنا بيان أن الفقراء شر كارب للمال والشر لك لا يأخذ الردى من الجياذ الابالاعماض

(الشیطان يمدك الفقر) أي يخوفك به يقول أمسك مالك فانك ان صدقت افترقت (و يأمركم بالفحشاء) أي بالبخل ومنع الزكاة (والله يمدك) أي يجازيكم على صدقتكم (مفرقة) لنزوبكم وأن

(٧٩)

الذي منكم (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم (حميد) أي مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد لقبول الجيد وبالإبادة عليه (الشیطان يمدك الفقر) أي ابليس يخوفكم بالفقر عند الصدقة ويقول لكم أمسكوا أموالكم فانكم اذا صدقتم صرتم فقراء أو ألغى النفس الأماره بالسوء توسوس لكم بالفقر (و يأمركم بالفحشاء) أي بالبخل ومنع الزكاة والصدقة (والله يمدك) بسبب الاتفاق (مفرقة منه) عز وجل (وفضلا) أي خلفا في الدنيا ونوبا في الآخرة (والله واسع) بالمفرقة للذنوب وبإغنائكم واخلاف ما تنفقونه (علم) ببنائكم وصدقاتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) فالحكمة هي العلم النافع وفعل الصواب فقبل في حد الحكمة هي التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله تعالى (ومن يؤت الحكمة) أي أصابه القول والفعل والرائي (فقد أوتي خيرا كثيرا) أي أعطى خيرا للدارين (وما يذكر) أي ما يتفكر في الحكمة (الأولوا الألباب) أي الأصحاب العقول السليمة من الزكون الى متابعة الحوى (وما أنفقتم من نفقة) أي أي نفقة كانت في حق أو باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم من نذر) أي أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو غير شرط متعلق بالمال أو بالأفصال كالصيام (فان الله يمدك) أي ما أنفقتموه فيجوز بكم عليه (وما للظالمين) بالانفاق والنذر في المعاصي أو بمنع الزكاة وعدم الوفاء بالنذور أو بالانفاق بالحديث أو بالرياء واللن والأذى (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من عقاب الله (ان تبدوا الصدقات فنعماي) أي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا اظهرها ببدان لم يكن رياء وسعيه (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) أي أفضل من إبدائها وإبتائها الأغنياء روى أنهم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكفر بالنون ورفع الراء وقرأ نافع وحزم والكسائي بالنون والحزم أي ونكفر عنكم شيئا من ذنوبكم بقدر صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرئ قراءة شاذة تكفر بالياء والرفع والحزم والفعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضربان (والله بما تعملون) من الصدقة في السر والعلانية (خير) لا يخفى عليه شيء منه (ليس عليكم جناح) أي ليس عليكم عهدي من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم (ولكن يهدي من يشاء) هدايته الى الدخول في الاسلام روى أن نبيلا أم أساء بنت أبي بكر وجدت أمها وها مشركتان جاءتا أساءا تسألانها شيئا فقالت لا أعطيك كل شيء أستأمر رسول الله ﷺ فانك اسألتا على ديني فإنته عن الصدقة على الكفار فقالت هل يجوز لنا يا رسول الله أن تصدق على ذوى قرابتنا من غير أهل ديننا فأتزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصدق عليهما (وما تنفقوا من خير فلا تكسبكم) أي وكل نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافر فأما هو يحصل لأنفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أي أولستم في صدقتكم على أثار بكم من الشركين تصدون الواجبه الله فقد

أي علم القرآن والفهم فيه وقيل النبوة (من يشاء) ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر (الأولوا الألباب) أي ما ينطق الا ذوو العقول (وما أنفقتم من نفقة) أي أنفتم من زكاة (أو نذرتم من نذر) أي في صدقة التطوع يعني نويت أن تنطوعوا بصدقة (فان الله يمدك) أي يجازي عليه (وما للظالمين) من أنصار) ويعلم أن نفق في غير الوجه الذي يجوز له من رياء أو معصية أو من مال مغشوب (ان تبدوا الصدقات) الآية سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فأنزل الله هذه الآية والفسرون على أن هذه الآية في التطوع لا في الفرض وأن الفرض اظهره أفضل وعند بعضهم الآية طمة في كل صدقة وقوله (ونكفر عنكم من سيئاتكم) أي تغفرها لكم ومن الله والتوكيد (ليس عليكم جناح) نزلت حين سألت نبيلا أم أساء بنت أبي بكر إبتان تعطيا

شياهي مشركة فأبى وقالت حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والمعنى ليس عليكم عهدي من خالفك فتصنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام (وما تنفقوا من خير) أي مال (فلا تكسبكم) ثوابه (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) خبر والرياء الأخرى وقيل هو

لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا (للفقراء) أى هذه الصدقات والاتفاق التي تقدم ذكرها للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) أى حبسوا ينيهم فعادوا ذلك حبسوا أنفسهم في سبيل الله أى في الجهاد يني فقراء المهاجرين (لا يستطيعون ضربا) أى سيرا (في الأرض) لا يتفرغون إلى طلب العاش لأنهم قد أزموا أنفسهم أمر الجهاد فغلبهم ذلك من التصرف حيث الله تعالى المؤمنين على الاتفاق عليهم (بحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التمتع) عن السؤال (تفرغهم بسياهم) أى بعلامتهم وهي التمشع والتواضع وآثار الجهد (لا يسألون الناس إلخاف) أى إلخاذا كان عندهم غداه لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداه (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية نزلت في على ابن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فصدق بدرهم سرادردهم علانية ودرهم ليلا ودرهم نهارا (الذين يأكلون الربوا)

علم الله هذامن قلوبكم فأفقوا عليهم إذا كنتم تنفون بذلك وجه الله في صلحهم وسد خلعتهم وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمتنع ذلك من الاتفاق عليهم (وماتفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (يوفى اليكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك في الآخرة (وأتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض) أى ذلك الاتفاق المحدث عليه للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا في ذلك الزمان نزلت هذه الآية في حق فقراء المهاجرين من قريش وكانوا يحاورونهم بأمة وهم أصحاب السفلة يكن لهم مسكن ولا عشاء بالمدينة وكانوا ملازمين السجود يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة لا يستطيعون سقرا في الأرض ثم عدم الاستطاعة لسيرام الاشتغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك بمنهم من الاشتغال بالسكس والتجارة وأما حقوقهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد بلان الكفار كانوا يحجمين حول المدينة وكانوا حتى وجدوهم قتالوهم فذلك بمنهم من السفر وأما ملزمهم بالروح كما قاله سيدي السيو بسجدهم لفقيرهم كما قاله ابن عباس وذلك بمنهم من السفر ففحص الله عليهم الناس فكان من عنده فضل تأمهم بهذا أمسى (بحسبهم الجاهل أغنياء من التمتع) أى بظنهم من ليختارهم أمرهم أغنياء لآظهارهم التحمل وتركهم للسئلة (تفرغهم) أيها الخاطب (بسياهم) أى بعلامتهم من الحمية ووقع في قلوب الخلق وأثار الخشوع في الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى أنهم كانوا يقومون الليل للتهجد ويحتمطون بالنهار للتمتع (لا يسألون الناس إلخاف) أى لا سألوا لهم أصلا فلا يقيع منهم إلخاف أى كثرة التلطف وملازمة السؤال أى أنهم سكتوا عن السؤال لئلا يضمنوا إلى ذلك السكوت من رثاة الحال وأظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل إلخاف بل يزبون أنفسهم عند الناس ويتجملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطلع عليه إلا الخلق والرا ديقوله تعالى لا يسألون الناس إلخافا التنيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلخافا عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الله يحب العفيف للتمتع ويبغض الفاحش البذي السائل لللحف الذي أن أعلى كثيرا أقرط في الملح وان أعلى قليلا أقرط في القم (وماتفقوا من خير) أى من مال (فان الله بعلم) فيجوز لكم على ذلك أحسن جزاء وهذا يجري مجرى ماذا قال السلطان العظيم لعبدته الذي استحسن خدمته ما يكفيك بأن يكون علمي شاهدا بكيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعا مما إذا قال له أن أجرك وأصل اليك (الذين ينفقون أموالهم) في الصدقة (بالليل والنهار سراد وعلانية فلم أجركم عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) إذا حزن غيرهم قيل لما نزل قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بث عبد الرحمن بن عوف إلى أصحاب الصفة بدنانير وبث على رضي الله عنه بوسق من تمر ليلا فزالت هذه الآية وقال ابن عباس أن عماريا رضي الله عنه ماعك غرابا بة دراهم فصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سراد وعلانية فقال صلى الله عليه وسلم ما مملك على هذا فقال أن أستوجب ما وعدني في فقال لك ذلك فأقر الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السرو عشرة في العلانية وأخرج ابن النضر عن ابن المسيب أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وقال الأوزاعي نزلت في الذين يرطلون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربوا) أى يأخذون ما استحللوا (لا يقومون) من قبورهم إذا بشوا (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس) أى

أى يما لون به فنبه بالأكل على غير (لا يقومون) من قبورهم يوم القيامة (إلا كما يقوم الذي يتخبطه) يمينه (الشيطان) يجنون (من اللس) من الجنون وذلك أن كل الر يابيت يوم القيامة مجنونا

(ذلك بأنهم) أي ذلك الذي نزل بهم بأنهم (قالوا إنما البيع مثل الربوا) وهوان المتشركين قالوا الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة بالربح فكذبهم الله تعالى فقال (وأحل الله البيع وحرم الربوا) فمن جاءه موعظة من ربه أي وعظ (فاتهى) عن أكل الربا (فلهما سلف) أي ما أكل من الربا ليس عليه رما أخذ من قبل انتهى (٨١) (وأمرنا الله) والله أومرنا (ومن

(عاد) الى استئصال الربا

حرب لله ولرسوله (وان تبتم) من الربا فلنكمروا بكم و أموالكم (لا

ظلمون) يطلب الزيادة (ولا تظلمون). بالتقصان عن رأس المال (وإن كان ذو عسرة) أي وإن وقع غريم ذو عسرة (فطرة) أي فطيمكم فطرة مع تأخره إلى الميسرة أي إلى غير وجود المال (وإن تصعبوا) يعني على المسكين رأس المال (خير لكم: إن كنتم تعلمون

وانتقوا يوما يرجعون فيه الى الله) يخبر يوم القيامة تردون فيه الى الله (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من الاعمال (وهم لا يظلمون) أي لا ينقصون شيئا

(٨٢)

فلا حرم الله الربا بأباح السلم فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتهم بدين الى

أجل مسمى) أي تبايعتم (فاكتبوه) أمر الله تعالى في الحقوق والأوجه بالسكينة والشهاد في قوله وأشهدوا إذا تبايعتم حفظا منه للأموال ثم نسخ ذلك بقوله فان آمن بعضهم بعضا الآية (وليكتب بينكم) أي بين المستدين والمدين (كاتب بالعدل) أي بالعدل والإنصاف ولا يزيد في المال والأجل ولا ينقص منهما (ولا يأب كاتب أن يكتب) أي لا يمنع من ذلك إذا أمر وكانت هذه عزيمته الله واجبة على الكاتب والشاهد ففسخها قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ثم قال (كما علمه الله فليكتب) أي كما فعله الله بالسكينة وبالحمل الذي عليه الحق) أي الذي عليه الدين يمل لأنه المشهود عليه فيقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه (ولا يبخل منه شيئا) أمر أن يقر بجميع المال من غير نقصان (فان كان الذي عليه الحق) أي الذين (سقيوا) طفلا أو صبغرا (أو صبغرا)

(وانتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) أي الى حسابه لأعمالكم وهو يوم القيامة (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي توفي فيه كل نفس برزق وفترة جزاء ما عملت من خيرا أو شرا (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يا أيها الذين آمنوا) بالله والرسول (إذا تدانيتهم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) أي إذا دأب بعضهم بعضا وعامله نسيئة مطيعة أو أخذ إلى وقت معلوم بالأيام أو الأشهر ونحوهما مما يرفع الجاهلية لا لحصاد ونحوه مما لا يرضها فاكتبوا الدين يأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والأكثر على أن هذه الكتابة أمر استحباب فان ترك فلا بأس وهو أمر تعليم ترجع فائدة الى منافع الخلق في دينهم فلا يثاب عليه للكلف الا ان قصد الامتثال قال للمفسرون الراد بالمدانة السلم فائدة تعالى لما منع الربا في الآية للتقدمة أذن في السلم في جميع هذه الآية مع أن جميع النافع المطلق من الربا حاصل في السلم ولهذا قال بعض العلماء لآفة ولا منفعة بوصول اليها بالطريق الحرام الا اوضح الله تعالى لتحصيل مثل تلك الفائدة طريقا حلالا وسبيلا مشروعاً والقرض غير الدين لأن القرض أن يقرض الانسان دراهم أو دنانير أو حبا أو غيرها أو ما أشبه ذلك ويسترد مثله ولا يجوز فيه الاجل والدين يجوز فيه ذلك فذكر الأجل في القرض ان كان لقرض للقرض أفسده والا فلا يفسده ولا يجب الوفاء به لكنه يستحب قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت في السلف لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم للمدينين يسلفون في الفخر الستين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف في كل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم وقال أكثر المفسرين ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخل تحت هذه الآية بيع العين بالدين وهو ما إذا باع شيئا بضمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو يسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت هذه الآية (وليكتب) كتاب الدين (بينكم) أي بين الدائن والمدين (كاتب بالعدل) أي بحيث لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص في ذلك (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يمنع أحد من أن يكتب كتاب الدين بين الدائن والمدين على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله ايها (ولمئل الذي عليه الحق) أي وليبين للمدينون للكاتب ما عليه من الدين لأنه المشهود عليه فلا بد أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه ولا يبخل منه شيئا) أي وليخش المدينون ربه بأن يقر بمبلغ المال الذي عليه ولا ينقص مما عليه من الدين شيئا في القاء اللفاظ على الكاتب (فان كان الذي عليه الحق سقيها أو صبغها ولا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه) أي فان كان المدينون ناقص العقل مبذرا أو عاجزا عن سماع اللفاظ للكاتب لمصر أو كبر منهف للعقل أو لا يحسن الانماع بنفسه على الكاتب فخرس أو جهل بالغة أو بما عليه فليقر على الكاتب ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولي هو الولي لغته وهو من له ولاية عليه بأي طريق كان كوصي وقيم ومترجم (بالعدل) أي بالصديق من غير زيادة ونقص (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أي وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين الاحرار المسلمين وعند شرحه وابن سيرين وأحمد يجوز شهادة العبيد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين بأن لم يقصد

عاجزاً أحق (ولا يستطيع أن يمل) فخرس أو عي (فليمل وليه) يعني وارتد أو من يقوم مقامه (بالعدل) أي بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) أي وأشهدوا شهيدين (من رجالكم) يعني من أهل ملتكم من الاحرار البالغين وقوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان)

أشهادهما فرجل وامرأتان كاتبتون (عن ترضون) لدينه وعدايته (من الشهادة) يشهدون وهذا تفسير للخبر (أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى) قرأ حزمة أن تضل بكسر ان وتذكر بالرفع والتشديد وقرأ نافع وطاسم والكسائي فتذكر بالتشديد والتصبوق قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالتخفيف والتصبأما سائر القراء فقرأوا بنصب أن على حذف لام التعليل أي وأما اشترط التعدي في النساء لأجل أن تنسى إحدى الرأيتين الشهادة لتقص عقلمن فتذكر أحداهما الفأكرة للشهادة المرأة الأخرى المناسبة لها (ولأبأب الشهداء إذا مدعوا) أي ولا يتمتع الشهداء إذا دعوا إلى تحمل الشهادة وأدائها عند الحكم فيحرم الامتناع عليهم لأن تحمل الشهادة فرض كفاية مطلقا والاداء كذلك ان زاد للتحملون على من ثبت بهم الحق والافترض عين (ولا تسأمو أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله) أي ولا تملأوا أن تكتبوا الذين لكثرة وقوع اللبائنة على أي حال كان الدين قليلا أو كثيرا وعلى أي حال كان الكتاب مختصرا أو مشطحا لكون الدين مستقرا في فسخة للديون إلى وقت حوله الذي أقر به الديون أي فكتبوا الذين بصفة أجله ولا تملأوا لأجل في الكتابة قوله تعالى ولا تسأمو مطوف على قوله تعالى فكتبوه (ذلكم) أي الكتابة للدين (أقسط عند الله) أي أعدل في حكم الله (وأقوم للشهادة) أي أبين للشهادة إذا نسى (وأدنى أن لا تراثوا) أي وأقرب إلى اتقاء شككم في قدر الدين وأجله (الآن تكون بخارة حاضرة تدبرونها بينكم) قرأ عاصم بخارة بالنصب على أن تدبر تكونون بالرفع على أنه اسم تكون والخبر تدبرونها والاما استثناء متصل راجع إلى قوله تعالى إذا تدايتهم بدين إلى أجل مسمى فكتبوه والتفدير إذا تدايتهم بدين إلى أجل مسمى فكتبوه الآن يكون للأجل قريبا وهو للرا من التجارة الحاضرة وأما استثناء منقطع فالتقدير لكنه إذا كانت تجارتكم ومدايتكم بخارة حالة تعاملونها بديا بدو التقدير لكن إذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي ليس عليكم مضرة في ترك الكتابة في اللبائنة الحاضرة كأن باع نوبابهم في الزمة بشرط أن يؤدي الدرهم في هذه الساعة أي لأبأس بيسم الكتابة في ذلك بعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا إذا تبايستم) بالأجل (ولا يضار كاتب) بالكتابة (ولاشهد) بالشهادة وهذا ما مبنى للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له الحق وهو قول كثر للفسرين والحسن وطاسم وقادة ويدل على ذلك قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضار بالاطهار والكسر واختار الزجج هذا القول لقوله تعالى وإن تفعلوا فانهفوق بكم وذلك لأن اسم التمسق بمن يحرف الكتابة ومن يتمتع عن الشهادة حتى يطل الحق بالكيفية ولا تعالى قال فيمن يتمتع عن الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قبله وآثم والفاسق متقربان وامدني للقول فيكون نهيا للمالك الحق من اضرار الكاتب والشهيد كأنه يكفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ولا يطل الكاتب جهه ولا الشهيد مؤنة تجميحه حيث كان فان لمعا طلب الجبل ولا يكلفان الكتابة والشهادة مجا وهو قول ابن مسعود وعطاء ومجاهد يدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضار بالاطهار والفتح وهذا لو كان نهيا للكاتب والشهيد لقل وإن تفعلوا فانهفوق بكما ولأن دلالة الكلام من أول الآيات انما هو في المكتوبه والمشهوده وإذا كان هذا النهي متوجها للذين يقدمون على اللبائنة فالتبويون عن الضرر هم (وإن تفعلوا) ما يتبعهم عن الضرر (فانهفوق بكم) أي فان فعلكم ذلك فعصيتكم بكم وخروج عن طاعة الله (واقضوا الله) فاجتبر منه وهو هال الضارة أولعني اقضوا الله في جميع أوامره ونواهيه

عن ترضون من الشهادة
أي من أهل الفضل والدين
(أن تضل أحداهما فتذكر
أحداهما الأخرى) الشهادة
(ولأبأب الشهداء إذا
مدعوا) لتحمل الشهادة
وأدائها (ولا تسأمو أن
تكتبوه) أي لا يتمتع
الشهداء وللأجل أن تكتبوا
ما شهدتم عليه من الحق
(صغيرا أو كبيرا إلى أجله)
أي إلى أجل الحق (ذلكم)
أي الكتابة (أقسط) أي
أعدل (عند الله) في حكمه
وأقوم) أي أبغ في
الاستقامة (لشهادة)
لأن الكتابة تذكر الشهود
فتكون شهادتهم أقوم
(وأدنى أن لا تراثوا) أي
أقرب إلى أن لا تشكروا في
بلغ الحق والأجل (الآن)
تكون) تقع (تجارة
حاضرة) أي متجر فيه
حاضر من العروض وغيرها
بما يتقاضى وهو معنى قوله
(فليس عليكم جناح أن لا
تكتبوها وأشهدوا إذا
تبايستم) فتذكر أن أن هذا
مقصود الحكم فلا يجب
ذلك (ولا يضار كاتب ولا
شاهد) نهى الله الكاتب
والشاهد عن الضرر وهو
أن يزيد الكاتب أو ينقص
أو يحرف وأن يشهد
الشاهد بما لم يشهد
عليه أو امتنع من إقامة
الشهادة (وإن تفعلوا) شيئا من هذا
(فانهفوق بكم) اقضوا الله

ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فليؤد الذي اتمن (أي الذي أمن عليه) (أمانة) وليتق الله (ولا يبدأ الأمانة إلا إذا تكتموا الشهادة) إذا دعيتهم لأقامتها (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) أي فاجر قلبه (فه ما في السموات وما في الأرض) ملكا وهو مالك أميانه (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) لما نزل هذا جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلنا من العمل

(٨٤)

(ويعلمكم الله) ما يكون ارشادا واحتياطا في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في أمور الدين (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فراهن مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمر وفره بنظم الراء والماءد أسكونه والباقون فراهن بكسر الراء وفتح الهامع للدعوى بمعنى في أو بمعنى إلى أي وان كنتم مسافرين أو متوجهين إلى السفر ولم تجدوا كتابا أو آلة الكتابة في الدائنة فراهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال في الوثيقة رهان مقبوضة (فان أمن بضعكم) أي الدائن (بضع) أي للدين بالدين بل رهن لحسن ظنهم (فليؤد الذي اتمن) بالدين (أمانته) أي حق صاحبه (وليتق الله ربه) أي وليخش الله بدينه ربه في أداء الدين عند حلول الأجل من غير مطالعة ولا انكار بل يعامل الدائن بمعاملة حسنة كما أحسن ظنهم فيه (ولا تكتموا الشهادة) عند الحكم بامسكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء الشهادة عند الحاجة إلى اقامتها (ومن يكتمها) أي الشهادة (فإنه آثم قلبه) أي فاجر قلبه (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة وأقامتها ومن الحيانة في الأمانة وعندها (عليم) فيجازيكم على ذلك ان خيرها فخير وان شرا فشر (فه ما في السموات وما في الأرض) ملكا وملكاً من الخلق والسجائب يأمر صباه بما يشاء (وان تبدوا ما في أنفسكم) من العزم على السوء بأن تظهره وتلتصق بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموه منهم (يحاسبكم به الله) يوم القيامة فالحوار الحاصلة في القلب على قسمين ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود وما لا يكون كذلك بل تكون أمورا خاطرة بالبال مع أن الانسان يكرها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الأول يكون مؤاخذا به والثاني لا يكون مؤاخذا به (فيفتر) بفضله (لمن يشاء) مغفره (ويصنّب) بعينه (من يشاء) تعذيبه وقد يفرق لمن يشاء الذنب العظيم وقد يصنّب من يشاء على الذنب الخفيف لا يستل عما يفعل قرأ عاصم وابن عمر فيفتر ويصنّب بالرفع والباقون بالجرم (والله على كل شيء) من المنفرة والعذاب (قدير آمن الرسول) أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن قال الزجاج لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج وذكر الطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بجميع ذلك انتهى (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (أمن بالله) أي بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه وبأسبابه (وملائكته) أي بوجودها وبأنهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وأنهم وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله لنزلة أنما وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة (وكتبه) وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء مع اللد بأن يعلم أن هذه الكتب هي من الله تعالى إلى رسوله وأنها ليست من باب الحكاية ولا من باب السحر ولا من باب لقاء الشياطين والأرواح الخبيثة بأن يعلم أن الوحي بهذه الكتب فاته تعالى لا يمكن أحدا من الشياطين من التماس شيء من ضلالاتهم في أثناء هذا الوحي الظاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم ينزل ولم يعرف فمن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء ففعله عثمان رضي الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وهو قول فاسد بأن يعلم أن القرآن مشتمل على الحكم وللشباب وأن حكمه يكشف عن منشاها (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب

وثيقة الأموال وذلك قوله لم يخف حياته وجوده الحق (فليؤد الذي اتمن) أي الذي أمن عليه (أمانته) وليتق الله (ولا يبدأ الأمانة إلا إذا تكتموا الشهادة) إذا دعيتهم لأقامتها (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) أي فاجر قلبه (فه ما في السموات وما في الأرض) ملكا وهو مالك أميانه (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) لما نزل هذا جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلنا من العمل

وبان

ويعرفكم الله (آمن الرسول) الآية ذكر الله تعالى في هذه السورة الأحكام والحدود وقصص الأنبياء وآيات قدره ختم السورة بذكر تصديق نبيه وللمؤمنين بجميع ذلك

و بأن يعلم أن النبي أفضل من ليس بنبي وأن الرسل أفضل من اللائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل من البعض (لا تفرق بين أحد من رسلك) أى يقول المؤمنون لا تنكسر بأحد من رسلك بل تؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (سمعنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أى نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا واليك المصير) أى المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من الطاعة (الأوسعة) أى طاقتها (لها ما كسبت) أى ثوابه من الخير (وعليها ما كتسبت) أى وزره من الشرفان قلنا إن هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم إنهم لما قالوا سمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا كيف لانسع ولا نطيع وأنه تعالى لا يكلفنا إلا ما وسعنا وطاعتنا فإذا كان هو تعالى يحكم الرحمة الإلهية لا يطالبنا إلا باليسر السهل المهيّن فكذلك نحن بحكم السبوعية وجب أن نكون سامعين مطيعين وإن قلنا إن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم إنهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا دل ذلك على أن قولهم غفرانك طلب للغفرة مما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل المدفلة كان قولهم غفرانك طلبا للغفرة من ذلك التقصير فلا شك في أن الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والمعنى أنك إذا سمعتم وأطعتم ولم تعملوا التقصير فالواقع منكم نوع تقصير على سبيل السهو والتفلة فلا تكونوا خائفين منه فإن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها وبالجملة فهذا إجابة لهم من الله في دعائهم بقولهم غفرانك ربنا اه (ربنا لا تؤاخذنا) أى ياربنا لاتعاقبنا (إن نسينا) طاعتك (أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) أى تكليفنا بالأمر والشاقة (كاحملته على الذين من قبلنا) من بني إسرائيل أى لاتشد علينا في التكليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون إن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها وكانوا إذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أى قوة (لنا به) من البلاء والعقوبة أى ولا تحمل علينا أيضا ما لاراحة لنا فيه من الاستكراه (واضعنا) أى امح آثار ذنوبنا (واغفر لنا) أى استر عيوبنا ولا تفضحنا بين عبادك (وارحمنا) أى تطف بنا وتفضل علينا (أنتمولانا) أى أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك ويقال وابعضنا من المسخ كما مسحت قوم عيسى وأغفر لنا من الحسف كما حسفت بقارون وارحمنا من التفتد كما اقتفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والحطأ والاستكراه وعفا عنهم من الحسف واللبس والقذف (فاصرنا على القوم الكافرين) أى انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا لاجبة معهم وفي إعلاء دولة الاسلام على دولهم ولما مدح الله تعالى المؤمنين في أول السورة بين في آخر السورة إنهم أمة محمد ﷺ فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين أحد من رسوله وهذا هو الراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا وهو الراد بقوله تعالى هناك ويقومون الصلوة وما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير وهو الراد بقوله تعالى هناك وبالأخرة هم يوقنون ثم حكي الله تعالى عنهم ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو الراد بقوله تعالى ثم أولئك على عدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

بعض الرسل بل تجمع بينهم إلا بما بينهم (وقالوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (غفرانك) أى غفرانك (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ذكر أن هذه الآية نسخت ما شكاه المؤمنون من المحاسبة بالوسواس وحديث النفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) أى لا يؤاخذ أحد بذنب غيره (ربنا لا تؤاخذنا) أى قولوا ذلك على التعليم للدعاء ومعناه لاتعاقبنا (إن نسينا) كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما شرع لهم عجلت لهم العقوبة بذلك فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك (أو أخطأنا) أى تركنا الصواب (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) أى ثقلا ولقى لأحمل علينا أمرا (كاحملته على الذين من قبلنا) كاحملته على الذين من قبلنا (نحو ما أمر به بنو إسرائيل من الأقال التي كانت عليهم) (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أى لاتعاقبنا بالثأر (أنت مولانا) أى ناصرنا والذي يلي علينا أمورنا (فاصرنا على القوم الكافرين) في إقامة حجتنا عليهم وغلبتنا إياهم في حرمهم وسائر أمورهم حتى تظهر ديننا على الدين كله كما وعدتنا

﴿سورة آل عمران مدنية آياتها مائتان وكتبها ثلاثة آلاف وأربعمائة وستون

وحروفها أربعة عشر ألفاً وخمسة وخمسة وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لاله الا هو الحي) أي الذي لا يموت ولا يزول (القيوم) أي القائم بذاته والقائم بتدبير خلقه قال الكلبي والربيع بن أنس ومحمد بن اسحق زلت هذه الآيات في شأن وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا للمسجد حين صلى العصر عليهم ثياب الخبز وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أبيهم واسمه عبد السيخ والثاني مشيرهم وذو رأيهم واسمه الأهم والثالث صهرهم يقال له أبو حرة بن علقمة فكلهم الأهم وعبد السيخ فقال لهم رسول الله ﷺ أسلموا قالوا قد أسلمنا فقلت قال كذبنا عنكم من الإسلام ثلاثة أشياء اثبات كآله وإدا وعبادتكما للصليب وأكل كالحزير قالوا ان لم يكن عيسى ولما له من أبوه وخلصوه ﷺ في عيسى فقال لهم النبي ﷺ أستم تعلمون أنه لا يكون ولد الأوهو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربناقيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال أستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الاماعلة الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تعمل المرأة ثم وضعت كاتضع المرأة ثم غذى كما يغذي العبيد ثم كان طعامه ويشرب ويحدث قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كإزحمتم فسكنوا فأنزل الله تعالى من ابتداء السورة الآية المباهلة تشبيهاً لما احتج به النبي عليهم (نزل عليك الكتاب) أي القرآن وقرئ قراءة شاذة تخفيف نزل ورفع الكتاب (بالحق) أي بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره وفي وعده ووعيدته أو بالحجج المحققة التي آمن عند الله تعالى أو بالقول الفصل وليس بالهزل ولا بالماني الفاسدة للتناقض (مصدقاً لما بين يديه) أي لما تقدمه من الكتب السابقة في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتزياه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفي الأمه العدل والاحسان وفي أنباء الأنبياء والأمم الخالية وفي بعض الشرائع (وأنزل التوراة) جملة على موسى بن عمران (والإنجيل) جملة على عيسى بن مريم (من قبل) أي من قبل نزل القرآن (هدى الناس) أي حال كونهم هادين من الضلالة أو أنزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وأنزل الفرقان) قيل المراد به الزبور فاته مشتمل على الوصايا العشر إلى الخبير الزاجرة عن الشر الفارقة بين الحق والباطل ثم اختار عند الفخر الرازي أن المراد من الفرقان هو المعجزات التي قرنها الله تعالى بأنزال هذه الكتب الثلاثة لأنه لما أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق دعوى الرسل حصلت للمارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزات هي الفرقان (ان الذين كفروا بآيات الله) أي القرآن وغيره كفوف بنجران ونحوهم بأن كذبوا بالآيات الناطقة بالتوحيد والتز به البشارة بنزل القرآن ومبعث النبي ﷺ (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أي غالب لا يغلِب (ذواتقام) أي عقوبة عظيمة فالمراد بإشارة إلى القسرة التامة على العقاب وذو الانتقام إشارة إلى كونه فاعلاً للعقاب قالوا لصفة الذات والثاني صفة الفعل (ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) فصيلاً وأطولاً ولا حسناً وقبيحاً ذكر أو أنثى مفيداً وأشقياً

﴿تفسير سورة آل عمران﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لاله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب) أي القرآن (بالحق) يعني بالصدق في أخباره (مصدقاً لما بين يديه) أي موافقاً لما تقدم من الخبر به في سائر الكتب (وأنزل الفرقان) يعني ما فرقه بين الحق والباطل يعني جميع الكتب التي أنزلها وقوله (ذواتقام) أي ذو عقوبة (هو الذي يصوركم) أي يصممكم على صور في أرحام الأمهات (كيف يشاء) ذكر أو أنثى قصيراً أو طويلاً أسوداً أو أبيضاً

وهذه الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة فان عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنتما سكت في دارك كذا وصنعت في دارك كذا وكان يحيى الوترى ويرى الأكمة والأرض ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ثم تعالى استدل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله تعالى الحي القيوم قاله يجب أن يكون حيا فيوما وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا ان عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وللمنى لا يترجم كونه عالما ببعض الغيبات أن يكون الها لاحتمال أنه علم ذلك بتعليم الله تعالى له ذلك ولما قالوا ان عيسى كان يحيى الوترى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء وللمنى ان حصول الأحياء على وفق قوله عليه السلام في بعض الصور لا يدل على كونه الها لاحتمال أن الله تعالى أكرمه بذلك الأحياء اظهارا لمعجزته وأكراما له ولما قالوا بأنها للسلوى أنهم توافقونا على ان عيسى لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء فان هذا التصور لما كان من الله تعالى فان شاء صور من نقطة الأب وإن شاء صور ابتداء من غير أب ولما قالوا لرسول صلى الله عليه وسلم ألسنت تقول ان عيسى روح الله وكلته فهذا يدل على أنه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب التشابهات فوجب رده الى التأويل وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فظهر بذلك لذكر أن قوله تعالى الحي القيوم إشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم بقوله تعالى هو الذى يصوركم في الأرحام جواب عن تمسكهم بقدره عيسى على الأحياء ونحوه لا نفوت على الأحياء لقدره على الامانة ولوقدره على الامانة لأما اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الأحياء في بعض الصور لا يدل على كونه الها وهو جواب أيضا عن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر وجب أن يكون ابنا لله فكانه تعالى يقول كيف يكون عيسى ولله وقد صورته في الرحم والصور لا يكون أب بالصور وأما قوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب الى آخر الآيات فهو جواب عن تمسكهم بماورد في القرآن أن عيسى روح الله وكلته ثم أنه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجرا لساير النصارى عن قولهم بالتثليث فقال (لا اله الا هو العزيز الحكيم) فالمراد إشارة الى كمال القدرة والحكيم إشارة الى كمال العلم وهذا تثبت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الأحياء في بعض الصور لا يكتفى به كونه الها فان الاله لا يد وأن يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذى أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه آيات محكمات) أى محكمة البشارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المنى للراد (هن أم الكتاب) أى أصل في الكتاب ومحمدة ترد اليها آيات متشابهات ومثال التشابه قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفين فسفوفنا ففحق عليها القول فظاهرها الكلام أنهم يؤمنون بأن يسفوفوا والمحكم قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفسحشاء رادا على الكفار فيما حكي عنهم وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والآية للتشابهة قوله تعالى نسوا الله فأنسىهم والآية المحكمة قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أى وآيات أخر محتملات لمعان متشابهة لا يتضح مقصودها لأجبال أو مخالفة ظاهرة الانبظر دقيق وتأمل أنيق (فأما الذين في قلوبهم

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) وهي الثلاث الآيات في آخر سورة الأنعام قل تعالوا أنزل ما حرر بكم عليكم الى آخر الآيات الثلاث (هن أم الكتاب) أى هن أم كل كتاب أنزله الله تعالى على نبي فيهن كل ما أحل وما حرم ومعناه هن أصل الكتاب الذى يعمل عليه (وأخر) أى آيات أخر (متشابهات) يزيد الله اشتبهت على اليهود وهي حروف التهجى في أوائل السور وذلك أنهم أولوها على حساب الجمل وطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة فاختلط عليهم واشتبه (فأما الذين في قلوبهم

زيغ) وهم اليهود الذين طلبوا علم أجل هذه الأمة من الحروف للقطعة (فيتبعون ما يشابهونه) أى من الكتاب ببنى حروف التهجى (ابتغاء الفتنة) أى طلب اللبس ليضايبه جهلهم (وابتغاء تأويله) أى طلب مدق أجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وما يعلم تأويله الا الله) يريد ما يعلم انقضاء ملكة محمد الله لان انقضاء ملكهم مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك أحد ثم ابتدأ فقال (والراسخون في العلم) أى التائبون فيه يعنى علماء مؤمنى أهل الكتاب (يقولون آمنا به) أى بالمشابه (كل من عند ربنا) الحكم والمشابه وما علمناه وما علمه (وما يذكر الا اولوا الألباب) أى ما يفيق بالقرآن الا ذوو العقول (ربنا) أى ويقول الراسخون ربنا (لا تزغقلونا) أى لا تغلبنا عن الهدى والصدى كما زغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد اذ هدينا) للإيمان بالحكم والمشابه من كتابك (ربنا انك جامع الناس) أى حاشهم للجزاء (ليوم لا ريب فيه) أى في يوم لا شك فيه (ان الله لا يخلف اليعاد) ليعت والجرا

زيغ) أى ميل عن الحق الى الأهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) أى فيمتلقون بظاهر المشابه من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أى طلب الفتنة في الدين وهي الضلال عنه فانهم متى أوقعوا تلك التشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يقضى الى المهرج والتقاتل (وابتغاء تأويله) أى وطلب تأويل التشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان والنصف يحمل الأمر في الآيات على أقسام ثلاثة أحدها ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو الحكم حقا وثانيها الذى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذى يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره وثالثها التى لا يوجد جملتها من الدلائل على طرق ثبوتها واتفاقها فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك مقتضاها بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر إلا أن الظن الراجح حاصل في اجرائها على ظواهرها (وما يعلم تأويله الا الله) أى وما يعلم تأويل التشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لأحد جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) أى بالكتاب (كل) أى كل واحد من الحكم والمشابه (من عند ربنا) والراسخ في العلم هو الذى عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل اليقينية وعرف أنه تعالى لا ينكسر بالباطل والعبث فاذا رأى شيئا من تشابهها ودل الدليل القطعي على أن الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعنا عن مراد الله شيء آخر سوى ما دل عليه ظاهره ثم فوض تعيين ذلك المراد الى علمه تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أى شيء كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك التشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (وما يذكر الا اولوا الألباب) أى وما يتطابق بما في القرآن الا ذوو العقول الكاملة الخاصة عن الركوب الى الأهواء الزائفة وهذا مدح للراشخين ببجودة ذهن وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن التكممين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق الأمة والإعراب ومن تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحرا في علم الأصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية البعد عن الله تعالى ولما آمن الراسخون في العلم بكل ما أنزل الله تعالى من الحكايات والمشابهات تضرعوا الى الله تعالى بقولهم (ربنا لا تزغقلونا بعد اذ هدينا) أى لا تغلبنا عن دينك بعد اذ هديتنا لدينك أو يقال يا ربنا لا تجعل قلوبنا ما تهلكها الباطل بعد أن جعلها ما تهلكها الحق (وهب لنا من لدنك رحمة) أى نور الإيمان والتوحيد والعرفة في القلب ونور الطاعة والعبودية والخدمة في الأعضاء وسهولة أسباب للعيشة من الأمن والصحة والكفاية في الدنيا وسهولة سكرات الموت عند اللوت وسهولة السؤال والظلمة في القبر وغفران السيئات وترجيح الحسنات في القيامة (انك أنت الوهاب) لكل مطلوب فان هذا الذى طلبتموه منكم في هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى الله لكنه حقير بالنسبة الى الكمال ككرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقبل القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أى يا ربنا انك تجمع الناس للجزاء في يوم لا شك في وقوعه فإزنا فيه أحسن الجزاء (ان الله لا يخلف اليعاد) أى الوعد وهذا من بقية كلام الراشخين في العلم وذلك لانهم المطلبون من ربهم أن يصونهم عن الزين وأن يخصهم بالمهادنة وأنواع الرحمة فكأنهم قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقرضة وانما غرضنا الأعظم منها ما يتعلق

(ان الذين كفروا) يعنى

اليهود فریضة والنضیر

(لن تنفی عنهم) أى لن

تنفع ولن تنفع عنهم

(أموالهم ولا أولادهم)

الذى يفتخرون بها (من الله)

أى من عذاب الله (شيئا)

وأولئك هم وقود النار)

أى هم الذين توفدهم النار

(كذاب آل فرعون)

أى كصنع آل فرعون

وفلمهم في الكفر والتكذيب

كفرت اليهود بمحمد

صلى الله عليه وسلم (قل

لذين كفروا) يعنى يهود

للدينة ومشركي مكة

(ستغلبون وتحشرون الى

جهنم وليس المهاد) أى

يأس ماهدلكم (قد كان

لكم آية) أى علامة تدل

على صدق محمد صلى الله

عليه وسلم (فقتين) يعنى

السليين والمشركين

(التقتا) أى اجتمعتا يوم

يدل القتال (فئة تقاتل في

سبيل الله) وهم المسلمون

(وأخرى كافرة يرونهم

مثلهم) أى يرى المسلمون

المشركين مثلهم وهم

كانوا ثلاثة أمثالهم

ولكن الله ظلم في أعينهم

وأراهم على قدر ما أعلمهم

أنهم يفلونهم فتقوى قلوبهم

وذلك أن الله كان قد أعلم

المسلمين أن المائة منهم

تقتل المائتين من الكفار

بالآخرة فانهم أنك بالهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعم أن وعدك بالجزاء والحساب
والميزان والصراط والجنة والنار لا يكون خلفاً لمن زاع قلبه بئى هناك في العذاب أبداً الأبد ومن
أعطيته الهداية والرحمة بئى هناك في السعادة والكرامة أبداً الأبد (ان الذين كفروا لن تنفى عنهم
أموالهم ولا أولادهم) أى ان الذين كفروا ككعب بن الاشرف وأصحابه وأبى جهل وأصحابه لن
تنفعهم كثرة أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أى من عذاب الله أو عند الله (شيئا) وقيل ان
المراد بهؤلاء وقد تجردوا وذلك لأن أبحاثهم بن عقلمة قال أخيه كرزاني لأعلن أن محمد رسول الله حقا
وهو النبي الذي كنا ننظره ولكننى ان أظهرت إيمانى بمحمد أخفمواك الروم منى ما عطوني من
المال الكثير والجاه فآله تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا أو آخرتها
ان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار)
أى حطب النار الذي تسحر به (كذاب آل فرعون) أى شأن هؤلاء في تكذيب محمد صلى الله
عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب بموسى (والذين من قبلهم) أى من مكذبي الرسل
كقوم هود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهى المعجزات ومضى كذبوا بها فقد كذبوا بالأنبياء
بلاشك (فأخذهم الله بذنوبهم) أى عقبهم الله بشكيبهم للمعجزات العاللة على صدق الرسل وأما
استعمل الأخذ في العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالأسور المأخوذ لا يضر على التخلص
(والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما فرغ من ريشة بدر ورجع الى المدينة جمع يهود بنى قينقاع في سوق بني قينقاع وقال يا معشر
اليهود أسعوا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً يوم بدر فقد عرقتم أنى منى رسول تجدون ذلك في
كتابكم فقالوا يا محمد لا نتركك نفسك ان قتلت نرمن قريش أغمرنا لا يرفون القتال لو قاتلنا
لمرقت فأزل الله قوله هذا (قل لذين كفروا) هم يهود بنى قينقاع (ستغلبون) عن
قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بنى قريظة فقد قتل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في
يوم واحد ستائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السباغ بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفرة ورميهم
فيها وباجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على أهلها وبالأمر على بعض كل (وتحشرون)
في الآخرة (الى جهنم) دلت الآية على حصول البعث في يوم القيامة والنشر والحشر وعلى ان مرد
الكافرين النار (وبليس المهاد) أى الفرائس جهنم وقرا حزمة والكسائي بالنبيه في التعليل أى بلغهم
أنهم سيغلبون ويحشرون والباقرى بالخطاب الى قل لمسلم في خطابك إياهم ستغلبون وتحشرون
والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الاخبار بمنى كلام الله تعالى وعلى التسمية يكون لفظه (قد كان
لكم) أيها اليهود (آية) أى علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (في فقتين) أى فقتين (التقتا)
بالقتال يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أى في طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا
ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بين كل أربعة منهم يجرهم معهم من السروع ستون من السيوف ثمانية ومن
الحيل فرسان للقداد بن عمرو ولمرتد بن أبى مرتد (وأخرى كافرة) أى وجماعة أخرى كافرة بالله
والرسول وكانوا تسعائة وخمسين رجلاً وفيهم يوسفان وأبو جهل وقادوا ما لفرس وكانت معهم من
الابل سبعة وأهل الحيل كلهم كانوا دارعين وكان في الرجال دروع سوى ذلك (يرونهم مثلهم
رأى العين) أى يرى للمشركون المؤمنين مثل عدل للمشركين قريبا من ألفين أو مثلى عدد المسلمين
ستائة وثيقاً وعشرين رأيا ظاهر أعيانا بالعين في ذلك أنه تعالى كثر المسلمين في عين المشركين مع

قلتهم ليهابهم فيحترزوا عن قتلهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقرأ نافع وأبان عن عاصم من السبعة ويقوب تروهم بالحطاب والمضى ترون أيها اليهود للشركين
مثل المؤمنين بالقوة والشوك ومنع ذلك غلبهم المؤمنين مع قتلهم جذا فيكون هذا بلغ في اكرام
للمؤمنين وعناية الله بهم (واقه يؤيد) أي يقوى (بصره من يشاء) ولو بدون الأسباب القادرة
(ان في ذلك) أي في بصره الله محمد يمد ويقال أي في رؤية القليل كثير امن غلبة القليل العديم
المدعى الكثير الشاكي السلاح (امبره) أي لحظة عظيمة (لأولي الأبصار) أي لدوى العقول
ووجه نظم هذه الآية أن الآية للتقدمة وهي قوله تعالى ستطلبون نزلت في شأن اليهود وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمداعهم الى الاسلام أظهره والحمد والفرقة وقالوا لسا أمثال فر يش في الضعف وقلة المعرفة
بالقتال بل معنا من الشوك والفرقة بالقتال ما يظلم كل من نازعنا فله تعالى قال لهم انكم وان كنتم
أتوا يا وأرباب البد والعد فانكم ستطلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك
القول فقال قد كان لكم آية في فتنتي التقيا ثم قيل رويانا أن أبا حارثة بن عقمة النصراني
اعترف لأخيه بأنه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله لأنه لا يقر بذلك خوفاً من أن يأخذ
منه ماله الروم المال والجاه وأيضا رويانا أنه صلى الله عليه وسلم لمداع اليهود الى الاسلام بعد
غزوة بدر أظهره ومن أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين الله تعالى أن هذه
الأشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وأن الآخرة خير أبقى فقال (زين لناس حب الشهوات)
أي الأشياء الشهوات (من النساء) وانما قدسهن على الكل لأن الالتئاذ بهن أكثر
والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى
بالذكور ووجه التمتع بهم من حب السرور بهم وغير ذلك (والقناطر المقطرة من الذهب والفضة)
والقنطار بلسان الروم مسك نور من ذهب وأفضة والقنطار واحد والقناطر ثلاثة والمقطرة
تسعة ومعنى القناطر المقطرة أي الأموال المجموعة والأموال الفسرة بالنعوشة حتى صارت دراهم
ودنانير وانما كانا محبوبين لأنهما جلا من جميع الأشياء فلما كسها كمالك جميع الأشياء (والخيل
المسومة) أي المظومة الحسان بأن تكون غرا محجلة (والأنعام) وهي الابل والبقر والغنم
(والحرث) أي المزرع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا) أي منفعة للناس في الدنيا
ثم نفى (واقه عنده حسن المآب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل) يا أشرف الخلق
للكفار وللناس عامة وهو أمر للبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أعمل أولاً في قوله تعالى والله عنده
حسن المآب (وأؤتيكم خيراً من ذلك) أي زينة الدنيا (الذين اتقوا) أي يتقوا الى الله تعالى
وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار)
أي عند ربهم بساتين تطرد من تحت شجرها موسماً كنهها نهار الحر والعسل واللين والماء (خالدين فيها)
أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الحيض والنفس
والصاقي والمثي وتشبهه الخلق قسوس المشرة والخلق النسيمة (ورضوان من الله) ورضا ربهم أكبر
مما هم فيهم من النعيم (واقه بصير العباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين
يقولون) في الدنيا (ربنا اتنا آتنا) بك وبرسوك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استرها وتجاوز عنا
(وقنا عذاب النار) أي ادفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى
المرابي (والصادقين) في إيمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقاتنين) أي المواظبين على العبادات

وهي الآية التي يبر بها من
منزلة الجليل إلى العلم (الأولى
الأبصار) أي لدوى العقول
(زين للناس حب الشهوات)
جمع شهوة وهي توقان
النفس الى الشيء (من
النساء) وهي حال من
الشهوات أي حال كونها
من طائفة النساء وانما بدأ
بهن لان فتنة النساء أشد
من فتنة كل الأشياء
(والبنين) والفتنة بهم
أن الرجل ينتل بسبيهم
على جمع الأموال من
الحلال والحرام والقناطر
المقطرة أي الأموال
الكثيرة المجموعة (والخيل
المسومة) أي الراعية وقيل
المعلمة كالبلق وذات الشبان
وقيل الحسان والخيل
الافراس (والأنعام) أي
الابل والبقر والغنم
(والحرث) وهو مزرع
وغيره ثم بين أن هذه
الأشياء متاع الحياة الدنيا
وهي فانية زائلة (واقه عنده
حسن المآب) أي المرجع
ثم اعلم أن خيراً من
ذلك كله ما أعده الله
لأوليائه فقال (قل وأؤتيكم)
أخيراً (خير من ذلك)
الذي ذكرت (الذين
اتقوا) الشرك (جنات
تجري من تحتها الانهار)
الى آخر الآية (الصابرين)

في طاعة الله (والمستغفرين بالأسحار) أي الصلین صلاة الصبح قالوا هذه الآية نزلت في المهاجرين والأنصار (شهد الله أنه لا إله إلا هو) بين وأظهر بما نصب من الأدلة على توحيد الله أنه لا إله إلا هو (والملائكة) أي وشهدت الملائكة أي أقربت بتوحيد الله (وأولوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من مؤمنين أهل الكتاب والمسلمين (فأما بالقسط) أي بالعدل يجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور (إن الدين) عند الله الإسلام اقتصر للشركون بأديانهم فقال كل فريق لادين الأدينا وهودين الله فزلت هذه الآية وكذبهم الله تعالى فقال إن الدين عندنا الله الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود لم يختلفوا في صديق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا يجادلونه في كتابهم (الأمم) يعني النبي صلى الله عليه وسلم سعى علماء الأمة كان معاولهم يشتموه فتهافتوا قيل يشتمواهم فاختلفوا فيه قائلين بعضهم وكفر الآخرون (بما بينهم) طلبا للرياسة وسعيا على النبوة (ومن يكفر

(والتنفقين) أموالهم في سبيل الله (والمستغفرين بالأسحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت وقيل أي الصلین التطوع فيها وأعظم الطاعات قدروا أمران أحدهما الخطة بالمال واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التشفقة على خلق الله الإشارة بقوله تعالى هنا والتنفقين وتأتيها الخطة بالنفس واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التعتيم لأمر الله بالإشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالأسحار (شهد الله) أي بين خلقه بالدلائل السمعية والآيات العقلية (أنه لا إله إلا هو) أي لاستحقاق العبودية موجود (الاهو والملائكة وأولو العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة لأن الشهادة إنما تكون مقبولة إذا كان الإخبار مقرونا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا علمت مثل الشمس فأشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والرتبة الشريفة ليست إلا للعالم بالأسرار فشهد الله تعالى على توحيد الله أنه خلق الدلائل الباطنية على توحيد الله وشهادة الملائكة وأولو العلم هي إقرارهم بتوحيد الله تعالى (فأما بالقسط) أي مقيا للعقل جميع أموره وهذا بيان لكيفية تعالى في أفعاله بعد بيان كماله في ذاته (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) فالنزق للكل تلازم الوحدانية والحكمة في الصنع تلازم القيام بالقسط قال الكلبي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فقالا أنت محمد قال نعم قالوا أنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالا فأناسك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنابك وصديقنا فقال لهماسلا قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأقر الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجزان وفي الدار بك من قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عند مودة يقول الله يوم القيامة إن لعبدى هذا عندى عبدا وأنا أحق من وفى بالهد أدخلوا عبدي الجنة (إن الدين عند الله الإسلام) فلا دين مرضية الله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدريج بالشريعة الشريفة التي عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما دعت اليهود أنه لادين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لادين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال إن الدين عندنا الإسلام وقرأ السكاني ففتح هز أن وهو ما يدل من أنه يدل كل من كل إن فسر الإسلام بالتوحيد نفسه أي بالمان بكونه تعالى واحدا يدل كل من بعض إن فسر الإسلام بالشريعة فإنها تشمل على التوحيد والعدل ونحوهما أو معطوف على أنه بخلاف حرف العطف أو معنى على أن يشهد واقع على إن الدين أما بإجراء أنه على التعليل والتقدير شهد الله لأجل أنه لا إله إلا هو إن الدين الآية أو بإجرائه على قراءة ابن عباس وهو بكسر على جعل جملة أنه اعتراضا على إيقاع شهد على أن الدين من بلي تقديم وتأخير والتقدير شهد الله أن الدين عندنا الإسلام وشهد بذلك للملائكة والنبون وللمؤمنون أو بإجرائه شهد مجرى قالع جعل إن الدين معمولا للحكيم باسقاط الجراى الحكيم بأن الدين أما جعله بدل اشتغال من أنه ممنوع بذلك التفسير لأنه صار البدل أشمل من للبدل منه ولأن شرط بدل الاشتغال أن يكون المخاطب منتظرا للبدل عند سماع للبدل منه وهنا ليس كذلك ولا بيان هنا فضلا بين البدل والبدل منه بأجنبي (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوا التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى في دين الإسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قریش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب (الأمم) يعني علماءهم العلم أي الدلائل التي لو نظر فيها لم يحصل لهم العلم (بما بينهم) أي لأجل الحسد الكائن بينهم وطلب الرئاسة للشبهة وخفاء في الأمر (ومن يكفر

بآيات الله فان الله سريع الحساب) أى المجازاة على كفره (فان حاجوك) أى جادلوك (فقل أسلمت وجهي لله) أى أخلصت على الله وانتقلت له (ومن اتبعن) يعنى للهاجرين والأنصار (وقل للذين أوتوا الكتاب والأيمن) يعنى العرب (أسلمتم) استسلمهم معناه الأمر أى أسلموا وقوله (فاعلموا على البلاغ) أى التبليغ وليس عليك هدام (والله بصير بالعباد) يعنى بمن آمن بك وصدقك ومن كفر بك وكذبت (٩٢)

التبيين بغير حق) قد مضى في سورة البقرة وقوله (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بنو اسرائيل ثلاثون بين نيمان وأول التهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكروهم الله في هذه الآية وهؤلاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتولونهم فهم داخلون في جنتهم (أولئك الذين حبطت) أى بطلت (أعمالهم) التي بدعوها من التمسك بالتوراة وإقامة شرع موسى عليه السلام (في الدنيا) لأنها لم تحقق دماءهم وأموالهم (وفي الآخرة) لأنهم لم يستحقوا بها قوا (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى

بآيات الله) الناطقة بأن الدين عند الله هو الاسلام بأن لم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) أى فان الله يجازيه على كفره عن قريب فانه يأتي حساب عن قريب (فان حاجوك) أى خالصك اليهود والنصارى في أن الدين عند الله الاسلام بعد قيام الحجة عليهم (فقل أسلمت وجهي) أى أخلصت نفسي أو عملي (لله) لأنا شرك به في ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت أى وأسلم من اتبعني أو فمفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (والأيمن) أى الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب (أسلمتم) أى قبل أسلمتم بعد أن أناكم من بينات ما يوجب الاسلام أم أتم على الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أسلمتم لأن عيسى كلفه الله وعبدوه ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى أسلمتم لأن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا (فان أسلموا) كما أسلمتم (فقد اهتدوا) للفوز والنجاة في الآخرة (وان تولوا) عن الاسلام والاتباع لدينك لم يضروك شيئا (فاعلموا على البلاغ) أى ابلاغ الأدلة واطهار الحجة فإذا بلغت ما جاءك عن الله فقد أدبت ما عليك وليس عليك قبولهم (والله بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن فيجازي كلامهم بماله (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق) أى بلا جرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيبشروهم بمذابا لم يعلم) أى فأعلمهم بمذاب وجيع يخص وجهه إلى قلوبهم روى عن أبي عبيدة ابن الجراح أنه قال قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمروق ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال بأبي عبيدة قتل بنو اسرائيل ثلاثون بين نيمان من أول التهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف تلى منزلة في العظم منزلة الأنبياء وروى أن رجلا قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كل حق جند سلطان جائر (أولئك) للتصفون بالصفات القبيحة (الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أى بطلت أعمالهم في الدارين أما بطلانها في الدنيا فبإبدال الدح بالذم والتناء بالامن وبما يزل بهم من القتل والسبي وأخللال منهم غيبة والاسترقاق لهم إلى غير ذلك من أذل الظاهر فيهم وأما بطلانها في الآخرة فبإزالة الثواب إلى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب اعدى الدارين (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن حمر و الحرث بن زيد كما أخرجهم ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (يدعون إلى كتاب الله) أى التوراة (ليحكم) أى كتاب الله (بينهم) وقرى ليحكم على البناء للمفعول

اليهود (يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) وذلك أنهم أنكروا آية الرجم من التوراة وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حد المحضين اذ إن نياحكم بالرجم فقالوا اجرت يا محمد فقال بيني وبينكم التوراة ثم أتوا ابن صور يقرأ التوراة فلما أتى على آية الرجم سترها بكفه فقام ابن سلام ورفع كفه منها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأقر الله هذه الآية

بسبب اغترارهم حيث
(قالوا لن تمسنا النار الا
أياما معدودات وغرهم في
دينهم ما كانوا يفترون)
افتراؤهم وهو قولهم لن
تمسنا النار وقدمى هذا
في سورة البقرة (فكيف
اذا جمعناهم ليوم)
فكيف تكون لهم
اذا جمعناهم لجزاء يوم
(لارب فيه ووفيت كل
نفس جزاء ما كسبت
وهم لا يظلمون) بنقصان
حسانتهم أو زيادة سيئاتهم
(قل اللهم مالك الملك)
الآية لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة
ووعده أمته ملك فارس
والروم قال المنافقون
واليهود هيهات هيهات
فأنزل الله تعالى هذه الآية
وهو قوله (تؤتي الملك
من تشاء) محمدا وأصحابه
(وتزعم الملك من تشاء)
أي جهل وصناديد قريش
(وتزعم تشاء) المهاجرين
والأنصار (وتدل من
تشاء) أباجيل وأصحابه
حتى حزنهم وسهموا وألقوا
في القليب بيدر (يسدك
الخبير) أي عز الدنيا
وعز الآخرة وأراد
الخبير والشر فاكثرت

(ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض طائفة منهم بنور قبضة والنضير من أهل خير عن الحكم (وهم معشرون) أي مكذبون بذلك روى عن ابن عباس أن رجلا وامرأة من اليهود زنيا في خير وكانا ذوي شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرهما فيهم فرجوا في أمرهما إلى النبي ﷺ رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحك عليهما بالرجم فقال له التعمان ابن أوفى وعدى بن عمر وجرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله ﷺ يعني وينكم التوراة فان فيها الرجم فمن أعلمكم بالتوراة قالوا عبدالله بن صوريا القدي فأتوا به وأحضروا التوراة فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ فقال ابن سلام قد جاوز موضعا يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله ﷺ واليهود ان الحصن والحصنة اذا زينا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت حبلتي قد برص حتى تضع ماني بطئها فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أي التولى والاعراض (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) أي لن تمسنا في الآخرة (الا أياما معدودات) أي سبعة أيام (وغرهم في دينهم) أي في ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لارب فيه) أي في يوم لا شك في مجيئه (ووفيت كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) أي جزاء ما عملت من ثواب أو عقاب (وهم لا يظلمون) فلا ينقص أحدهم من ثواب الطاعات ولا يزداد على عقاب السيئات (قل اللهم مالك الملك) روى أن النبي ﷺ حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون منهم عبدالله بن أبي بن سلول واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم أولئك يفترون محمدا مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فزلت هذه الآية وروى أنه ﷺ لما خطب الخندق في عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربابين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كاتل العظيم لم تعمل فيها للعلول فوجهوا سلمان إلى النبي ﷺ ليخبره فذهب إليه فجاء رسول الله ﷺ وأخذ للعلول من سلمان فلما ضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها أي المدينة كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال ﷺ أضاء لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاء لي منها القصور المحرمن أرض الروم ثم ضرب الثانية فقال أضاء لي منها قصور رستم وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة على كلها فأبشروا وقال المنافقون ألا تعجبون من نبيكم يمدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من شرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأتم انما تحفرون الخندق من الخوف فزلت هذه الآية وروى أنها نزلت في شأن قريش قولهم لرسول الله ﷺ كسرى ينام على فرش الديباج فان كنت نبيا فأن ملكك (تؤتي الملك) أي تعطى الملك في الدنيا (من تشاء) من خلقك (وتزعم الملك من تشاء) منهم اما بالموت أو ازالة العقل أو ازالة القوى والحواس أو بورد التلف على الأموال أو بسلب الملك (وتزعم تشاء) بالايان والحقو بالأموال الكثيرة من الناطق والصامت وبالقاء الهيبة في قلوب الخلق (وتدل من تشاء) بالكفر والباطل (بيدك الخير) أي بقرتك النور والذل والغبينة والنصرة (انك على كل شيء) من ذلك (قدير تولى الليل) أي تدخل بعض الليل (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتج النهار في الليل)

بذكر الخير لأن الرغبة إليه في فعل الخير بالبعد دون الشر (تولج الليل في النهار) أي تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر

أى تدخل بعض النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) أى تخرج النطفة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحبة والطيّب من الخبث كالنومة من القنب والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبي جهل قال سلم حى الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من الحي) أى تخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطير والحب اليابس من النبات الحي والخبث من الطيب كالعجب من العبادات والكافر من المؤمن كعثمان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من نشاء بغير حساب) أى بلا تكلف ولا ضيق قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى التبع قال تعالى وترزق من نشاء بغير حساب وبمعنى العبد قال تعالى أعمى في الصابر ونأجرهم بغير حساب وبمعنى الطالبة قال تعالى فامان أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا يوال المؤمنون الكافرين لاستقلالهم ولا اشتراكهم مع المؤمنين وأما الجائر لهم قصر اللوالة والمحبة على المؤمنين بأن يوال بعضهم بصفاء فقط وإعلان كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع لأن الرضا بالكفر كفر * وثانيها العاشرة الجليقة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع * وثالثها الركون إلى الكفار واللوعة والنصرة أما بسبب القراءة أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر لأنه منهي عنه لأن اللوالة بهذا المعنى فتجده إلى استحسان طريقته والرضا بدينه وذلك يخرجهم عن الإسلام فهذه هو الذى هداه الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أى اللوالة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين (فليس) أى الوالى (من الله في شيء) أى ليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية (الآن تتقوا منهم تقاة) أى لاتعتدوا الكافرين أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الأحوال إلا حال اتفأك من جهتهم اتقاء والمعنى ان الله نهى المؤمنين عن مهادنة الكفار لأن يكون الكفار غالين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيدأهم بلسانه مطمئنا قلبه بالإيمان دفعاعن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات ومن غير أن يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لاتكون إلا مع خوف القتل مع محبة النية روى عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين لأن يوم القيامة لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان قال الحسن أخذتمسيلة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم نعم فقال أقشهد أني رسول الله قال نعم فتركه ودعا الآخر فقال أقشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أقشهد أني رسول الله فقال قال أى أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال أما هذا المقتول فحصى على يقينه وصدقه فهنيأه وأما الآخر فقبل رخصة الله فلاتجمل عليه (ويحذركم الله نفسه) أى ذاته لاندسة في التقية عن دم الحرم وفرج الحرم ومال الحرم وضرب الحجر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) أى الزجج فاحذروه ولا تعرضوا لخطئه بمخالفة أحكامه والمعنى ان الله يحذركم عقابه عند مصيركم إلى الله (قل ان تخفوا ما في صدوركم) أى ما في قلوبكم من البغض والبداوة لمحمد ﷺ (أو تبدوه) أى تظهروه بالتمهل والظن والحرب (يسلمه الله) أى يحفظه الله عليكم فيجاز بكم به (ويلم ما في السموات وما في الأرض) من الخير والشر والسر والملاينة (واقه على كل شيء) من أهل السموات والأرض ونوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية في حق المنافقين واليهود (يوم تجد كل نفس نفسا معاملة من

وتخرج الحي من الميت وتخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (وترزق من نشاء بغير حساب) يعنى بغير تقدير وتضييق (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى أنصارا وأعوانا من غير المؤمنين وسواهم نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يباطنون اليهود أى بالنفوس ويوالونهم (ومن يفعل ذلك) الأخاذ (فليس من الله في شيء) أى من دين الله أى قدير من الله وأما قوله الله وقار قديته ثم استثنى فقال (الآن تتقوا منهم تقاة) هذا في المؤمن اذا كان في قوم كفار وخافهم على نفسه وماله فإذن يحالفهم ويدارهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد مباداة ظاهرة (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم الله على موالاة الكفار عذاب نفسه فلما نهى عن ذلك خوف وحذر عن إبطان مواليتهم فقال (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) من ضائقكم في مواليتهم وركها (يسلمه الله) يعلم ما في السموات وما في الأرض) اتمام

للتحذير لأنه اذا كان لا يخفى عليه شيء فيها فكيف يخفى عليه الضمير (والله على كل شيء

قدير) تحذير من عقاب من لا يجهز شيء أى ويحذركم الله عذاب نفسه (يوم تجد كل نفس) أى تجد في ذلك اليوم وقوله (ما علمت من

خير محضاً) أى جزاء ما عملت بآثاري من الثواب (وما عملت من سوء تود لو أن ينهوا بيننا وبينه) أى غاية بعيدة كما بين للشرق والغرب
(قل إن كنتم تحبون الله) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قریش (٩٥) وهم يسجدون للأصنام فقال

يا معشر قریش والله لقد
خالقكم ملة أياكم إبراهيم
فقلت قریش أنا نعبد
هذه حباله يقرىونا إلى
الله فأترل الله قل يا محمد
إن كنتم تحبون الله
وتعبدون الأصنام لتقرىكم
إلى الله (فأتبعوني يحبك
الله) فأنا رسول الله وبك
عليكم ومعنى حبة العبد
قماراته طاعته وإثاره
أمره ومعنى حبة الله
للمبارادته ثوابه وعفوه
عنه وأضامه عليه
(قل أطيعوا الله والرسول
فإن تولوا) عن الطاعة
(فإن الله لا يحب الكافرين)
أى لا يفرح لهم ولا يثني
عليهم (إن الله اصطفى آدم
ونوحاً وإبراهيم) يعنى إسماعيل
واسحق ويعقوب
والأسباط (وآل عمران)
موسى وهرون (على
الثالين) على عالمي زمانهم
(ذرية) أى اصطفى ذرية
(بعضها من بعض) أى
من ولد بعض لأن الجميع
ذرية آدم ثم ذرية نوح
(واقره سميع) لما تقوله
الذرية للصفاة (عليه)
بما يصحبه فذلك فضله

خير محضاً) أى مكتوباً في ديوانها (وما عملت من سوء) أى من قبيح تجده مكتوباً في ديوانها
(تود لو أن ينهوا بيننا وبينه أمدابيدا) أى الذى حملته نفس من سوء تمنى تباعدا ما بين النفس وبين
السوء مكاناً بعيداً كما بين للشرق والغرب لو أن ينهوا بينه وأجلطويلا من مطلق الشمس إلى مغربها
لفرح بذلك (وخلصكم الله نفسه) عند المصيبة ذكر الله تعالى هذا أولاً للنع من موالاة الكافرين
وثانياً للتحب على عمل الخير والالتزم من عمل الشر (واقتره وف بالعباد) أى للؤمنين أى كما هو منتقم من
النفاق فيهم ووف بالمطيعين والمحسنين (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) أى فأتبعوا ديني فأنكم إذا
اتبعت ديني فقد أطعتم الله فأن الله تعالى يحب كل من أطاعه (يحبك الله ويفرحكم ذنوبكم) أى إن
اتبعت ديني يعنى برض الله عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما سلف من ذنوبكم (والله
غفور رحيم) لمن تحب إليه طاعته نزلت هذه الآية في حق اليهود لتقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال
الضحاك عن ابن عباس وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قریش وهم في السجدة الحرام وقد نصبوا
أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قریش
والله لقد خالقتكم ملة أياكم إبراهيم وإسماعيل فقلت قریش أنا نعبد حباله يقرىونا إلى الله زلنى
فنزلت هذه الآية وقيل إن نصارى نجران قالوا أنا نعظم المسيح حباله فنزلت هذه الآية ولما نزلت قال عبد
الله بن أبى لهيابة إن محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله وبأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى المسيح وقالت
اليهودى يد محمدًا تتخذ من أباحنا كما اتخذت النصارى عيسى حناناً فأترل الله بسبب قولهم قوله
تعالى (قل أطيعوا الله والرسول) أى في جميع الأوامر والنواهي أى أنا وأوصي الله عليكم ميتا بى
لا كما تقول النصارى في عيسى بل كقول رسولنا من عند الله (فإن تولوا) أى أعرضوا عن طاعتها
(فإن الله لا يحب الكافرين) أى اليهود والنفاقين الذين اتقوا شبهة في الدين فلما نزلت هذه الآية
قالت اليهود نحن على دين آدم ساميين فأترل الله قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم)
إسماعيل واسحق والأنبياء من أولادها الذين من حملتهم النبي صلى الله عليه وسلم (وآل عمران)
موسى وهرون وقيل عيسى وأمه حواء الكرماني ورجحه ابن عساکر والسبيل (على العالمين)
أى على أهل زمان كل واحد منهم بالإسلام وبالجمال الحميدة (ذرية بعضها من بعض) أى اصطفى
الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب (واقره سميع) لأقوال
العباد (عليه) بضايرهم وأقربهم وأغاصطى من خلقه من يعلم استقامته قولاً وفعلًا ويقال والله
سميع لقالة اليهود نحن من ولد إبراهيم ومن آل عمران فمنح أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه وقالة
النصارى للمسيح ابن الله عليه بقولهم وإذ كرم الله (اذقالت امرأت عمران) حنة بنت قافودا أم مريم
حين شاخت وكانت يوماً في ظل شجرة فرأى ظاهراً يطعم فرحاله فتحرك فنهضها الولد فهدت ربه أن
يحب لها ولداً فحملت بمرم ومات عمران فلما عرفت بالحمل قالت يا (رب انى نذرت) أن أجعل لك مافى
بطنى محزراً) أى عتيقاً من أمر الدنيا طاعة الله ومخلصاً للعبادة وخادماً لمن يدرس الكتاب ويعلم في
مسيحية للقدس (تقيل مبي) أى خدنى ما نقره على وجه الرضا (أنك أنت السميع) لتضربى
ودعائى ونذاي (العليم) بما فى ضميرى وقلبي ونيتي (فلما وضعتها) أى ولدت للندوة التى فى بطنها

على غيرها (اذقالت امرأت عمران) وهى حنة أم مريم (رب انى نذرت لك مافى بطنى) أوجبت على نفسى أن أجعل مافى بطنى (محزراً)
أى عتيقاً خلاصاً خادماً للكنيسة مفرغاً للعبادة وخادماً للكنيسة وكان على أولادهم قرصاً أن يطعموهم في نذرهم فتصدقت بولدها على
بيت المقدس (فلما وضعتها)

(قالت رب انى وضعتها) أى مافى بطنى (أنى والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وإنما قالت ذلك للاعتذار ولإزالة التشبهة التى فى قولها انى وضعتها أنى فأنها خافت أن يظن بذلك القول أنها تخبر الله تعالى وقرأ الباقون بسكون التاء أى أنه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيماً لولدها وتجهيلاً لها بقدر ذلك الولد والمعنى والله أعلم بأن الذى ولدته وإن كان أنى أحسن. وأفضل من الذكر وهى غافلة عن ذلك فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس وأحمد أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أى انك لاتامين قبر هذا للوهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنثى) أى وليس الذكر الذى يكون مطاوعاً كالأنثى التى هى موهوبة لله وهذا الكلام يدل على أن حنة كانت مستغرقة فى معرفة جلال الله عالة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريد العبد لنفسه ويحتمل أن هذه الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذى طلبته كالأنثى التى ولدتها بل هى خير منه وإن لم تصلح للسادة فإن فيها مزايأ أخرى لاتوجد فى الذكر (وانى سميتها) أى هذه البنت (مریم) أرادت حنة بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يصممها من آتات الدين والدنيا فإن مریم فى لغتهم العابدة فى لغة العرب (وانى أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أى وانى ألحقى مریم وذريتها بالرحمتك وعصمتك وألحق نفسها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان المعين (فتقبلها ربها بقبول حسن) بأن اختص الله تعالى مریم بإقامتها بمقام الذكر فى التنزى ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسادة روى أن حنة حين ولدت مریم لفتها خرقه وخلعتها إلى المسجد ووضعها عند الأبحار أبناء هرون وقالت خفوا هذه النذرة فتناصفوا فيها لأنها كانت بنت امامهم الأعظم فى العلم والصلاح فقال زكريا أنا أحق بها لأن ظالمها عندى فقالت الأبحار لاتقل ذلك فأنها لو تركت لاحق الناس بها لتركتم لأملها التى ولبتها ولكننا اتفعرع عليها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين إلى النهر حار فى حلي يقال له قرقم فأتوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون التوراة بها على أن كل من ارتفع قلعه فهو الراجح وعلى كل قلم اسم صاحبه ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات فى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق لواء ثم سبب أقلامهم فأخذها زكريا (وأنبتها نباتا حسنا) أى ربها الله بما يصلحها فى جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غذاء حسناً (وكفلها زكريا) أى جعله الله مربياً لها وضامناً لمصالحها وقام بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة فى المسجد وجعل بابها فى وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره وكان اذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها وشرابها ودهنها (كلمادخل عليها زكريا) وهو من ذرية يسلم بن داود (الهرباب) أى الغرفة (وجد عندها رزقاً) أى فأكهة للشئاء فى الصيف مثل القصب وفاكة الصيف فى الشتاء مثل العنب والتمرة ولم ترضع ندياً قط بل رأيت يها زرقها من الجنة (قال يا مریم أنى لك هذا) أى من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير حينه الذى لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أى أنى به جبريل من الجنة فتكلمت وهى مخيرة فى الهدى كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى الهدى (إن الله رزقهم من يشاء بغير حساب) أى بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة فى حينه وفى غير حينه (هنالك) أى فى ذلك المكان الذى كان قاعداً فيه عند مریم وشاهدت تلك الكرامات أوفى ذلك الوقت الذى رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا به قال) فى مناجاة فى جوف الليل

قالت رب انى وضعتها) أى اعتذرت عما فعلت من التنازل ولدت أنثى (وليس الذكر كالأنثى) فى خدمة الكنيسة لما يلحقها من الحيز والنفس (وانى أعينها بك) أى أمنعها وأجيرها (من الشيطان الرجيم) أى للمؤمن الطرود (فتقبلها ربها بقبول حسن) أى رضى بها مكان الحرر الذى نذرته (وأنبتها نباتا حسناً) أى فى صلاح ومعرفة بالله وطاعته (وكفلها زكريا) أى ضمن القيام بأمرها فبنى لها محراباً فى المسجد لا يرقى إليه إلا بسلم والهرباب الغرفة وهو قوله (كلمادخل عليها زكريا) أى فأكهة الشئاء فى الصيف وفاكة الصيف فى الشتاء تأتيا به لللائمة من الجنة فلهذا رأى زكريا ما أوتيت مریم من فأكهة الصيف فى الشتاء وفاكة الشئاء فى الصيف على خلاف مجرى العادة طمع فى رزق الولد من المافر على خلاف مجرى العادة وذلك قوله (هنالك) أى عند ذلك (دعا زكريا به قال

رب هب لي من لدنك) أي من عندك (ذري قطيبة) أي تسلم مباركاً تقياً فأجاب الله تعالى دعاءه وبث إليه اللاتكة بشرين وهو قوله (فنادته اللاتكة وهو قائم يصلي في الحراب أن الله يشرك بي صديقاً بكلمة من الله) ير بمصدقاً بيبي أنه روح الله وكلته وسمى عيسى كلمة الله لأنه حدث عند قوله كن فوقع عليه اسم الكلمة لأن بها كان (وسيدا) أي كرمياً على ربّه (وحسورا) وهو الذي لا يأتي النساء ولا يرله فيهن قال زكريا لما بشر بالولد (رباً أي يكون لي غلام) (٩٧) أي على أي حال يكون ذلك أردني

التي حال الشباب وإمرأتى أمهم حال الكبر (وقد بلغني الكبر) أي بلغته لانه كان ذلك اليوم ابن عشرين ومائة سنة (وامراتى عاقراً) لانه كانت بنت ثمان وتسعين سنة قيل له (كذلك) أي مثل ذلك من الأمر وهو هبة الولد على الكبر يفعل الله ما يشاء فسيحان من لا يجزئ شئ فلما بشر بالولد سأل الله علامة يعرف بها وقت حمل امرأته وذلك قوله (قال رب اجعل لي آية) افعل الله تعالى (آيتك) أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام (اجعل الله علامة حمل امرأته أن يمك لسانه فلا يقدر أن يكلم الناس ثلاثة أيام الامرا) أي اجعل بالشفقتين والحاجيين والعينين وكان مع ذلك يقدر على التسبيح وذكر الله وهو قوله (واذكر ربك كثيراً) وسبح بالعيشى أي وصل بالعيشى وهو آخر البشارة

(رب هب لي من لدنك ذري قطيبة) أي رب أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتدولاً مباركاً تقياً صالحاً رضيعاً كهنتك لجنة المجوز العاقر مريم (انك سمع الدعاء) أي يجيب الدعاء (فنادته اللاتكة) أي جبريل كما أغرقه ابن جرير عن السدى (وهو قائم يصلي في الحراب) أي في الوضع العالي الشريف في المسجد (أن الله يشرك) بولد يسمى (يعيسى) قرأ ابن عاصم وهزلة ان بكسر الهجمة والباقيون بالفتح (مصدقاً بكلمة من الله) أي يعيسى بن مريم ومعنى كونه كلمة من الله كونه غلوفاً بلا أب قال ابن عباس ان يحيى كان أكبر سن من عيسى ستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصديقاً بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى قبل ربح عيسى بمدة يسيرة (وسيدا) أي رئيساً المؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع قال ابن عباس أي حليماً عن الجهل وقال مجاهد أي كرمياً على الله (وحسورا) أي مانعاً من النساء لعملة والزهد للعجز (ونبياً من الصالحين) أي من المرسلين (قال رب آتي بكوني لي غلام وقد بلغني الكبر) أي قال زكريا لجبريل يا سيدى من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن (وامراتى عاقراً) أي عقيم لانه قال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ايشاع بنت فاووذ بنت تسعين وثمان (قال) أي جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكاً وأتينا على حال كامن للكبر (الله يفعل ما يشاء) من الأفاعيل الخارقة للعادة (قال) أي زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة في حمل امرأتى (قال) أي الله تعالى (آيتك) أي علامتك في حمل امرأتك (أن لاتكلم الناس) أي أن لاتقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلياليها (الامرا) أي التي تحركها بالشفقتين والحاجيين والعينين واليدين (واذكر ربك) باللسان والقلب في مدة الحسنة عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيراً) أي ذكر كثيراً على كل حال (وسبح بالعيشى والابكار) أي صل عيشاً وغدوة كما كنت تصلى (و) اذكر (انك قلت للاتكة) أي جبريل لمريم مشافهة (يا مريم ان الله اصطفاك) بتفرغك لعبادته وتخصيصك بأنواع الطيب والهدايا والصفوة والسكينة في أمر العيشة وسبح كلام جبريل شفها (وطهرتك) من الصبغة ومسحس الرجال ومن الافصال الذميمة ومن مقالة اليهود وتهمتهم ويقال أعماك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين) بولادة عيسى من غير أب وطقه حال انصافه من مريم حتى شهد به امرأتها عن التهمة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن السلام (يا مريم اقنتي لبك) أي دوبي على طاعتك بأنواع الطاعات شكراً لذلك ويقال أطيلي القيام في الصلاة شكراً لبك (واسجدى) أي صلى منفردة (واركعى مع الراكعين) أي صلى مع أهل الصلاة في بيت المقدس فان اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال

(١٣) - (تفسير مراح لبيد) - (أول) (واذا قلت اللاتكة) يعني جبريل وحده (يا مريم ان الله اصطفاك) بالقلب بك حتى انقطعت الى طاعته (وطهرتك) أي من ملامسة الرجال والحيف (واصطفاك على نساء العالمين) أي على عالمي زمانها (يا مريم اقنتي لبك) أي قوى للصلاة بين يدي ربك فقامت حتى سالت فلها فيها (واسجدى واركعى) أي اتى بالسجود والركوع والوا لا تقضى الترتيب (مع الراكعين) أي افضل كسبهم وقال مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لأنه أهم

(ذلك) أي ما قصنا عليك من حديث زكريا ومريم (من أنباء النبي) أي أخبار النبي (نوحه اليك) أي ثقبه (ما كنت لديهم) فتعرف ذلك (اذيقون) (٩٨) أقلامهم. وذلك أن حنة لما ولدت مريم أمت بهادته بيت المقدس

وقالت لهم دونكم هذه النذرة فتنافس فيها الاحبار حتى اقدروا عليها فخرجت القرعة زكريا فذلك قوله اذ يقون أقلامهم أي قسامهم التي كانوا يقدرون بها لينظروا أيهم تحب له كفالة مريم (اذ قالت الملائكة) يعني جبريل (يا مريم ان الله يشرك بكلمة) يعني عيسى لأنه في ابتداء أمره كان كلمة من الله وكون بكلمة (منه) أي من الله (اسمه المسيح) وهو مريم من مشيها بالسراية لقب لميسى ثم فسروا بن من هو فقال (عيسى بن مريم وجيها) أي ذا جاه وشرف وقدر (في الدنيا والآخرة ومن للقرين) أي نواب الله وكرامته (ويكلم الناس في الهد) أي صغيرا (وكهلا) ويتكلم بالنبوة كهلا وقيل بسد نزوله من السماء (ومن الصالحين) يريد مثل موسى واسرائيل واسحق وإبراهيم (قالت) مريم متعجبة (رب أي يكون لي ولد ولم يمسن بشر) أي من غير ميسس بشر

المفسرون لما ذكرت الملائكة هذا الكلام على مريم شفاهها قامت مريم في الصلاة حتى ومنت قدما لها وسال الله والتجس من قلميها (ذلك) الذي مضى ذكره من حديث حنة ومريم وزكريا (من أنباء النبي) أي من أخبار الناب عنك يا محمد (نوحه اليك) أي نزل جبريل بالقاء الغائب اليك (وما كنت لديهم) أي عند الذين تنازعوا في تربية مريم (اذ يقون أقلامهم) التي كانوا يكتبون بها الكتب في جرى الماء ليعلموا (أيهم يكفل مريم) أي أي أحدهم يربي مريم وكان القراع على أن كل من جرى فله على عكس جرى الماء فالخى معه (وما كنت لديهم اذ يختصمون) أي وما كنت هناك اذ يتقارعون على تربية مريم اذ يختصمون بسببها (اذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه) أي يولد يكون مخلوقا بكلمة من الله أي من غير واسطة الأسباب العادية فان غير عيسى من كل علوق وان وجد بكلمة كن لكنه بواسطة أب (اسمه) أي الولد (المسيح) سمي بالمسيح لأنه يسبح في البلدان ولأنه ماسح يبدد ذنبا عاذا البرى من مرضه (عيسى بن مريم) وانما نسبة الله الى الأم اعلاما لها بما تحمى بنير الألف فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجيها) أي ذا جاه وشرف (في الدنيا) بالنبوة وجاهه الموتى وبراء الأئمة والأبرص بسبب دعائه (والآخرة) بجعله شفيع أمته وبقبول شفافته فيهم وما وردت عنده عند الله تعالى (ومن المقرين) الى الله في الجنة عدن وهذا الوصف كالتيه على أن عيسى سرفر الى السماء وتصاحبه الملائكة (ويكلم الناس في الهد) أي في حجره وهو ابن ربيع يوما بقوله اني عبد الله (وكهلا) أي بعد ثلاثين سنة أي أن عيسى يكلم الناس مرة واحدة في حجره لظاهر طهارة أمانه من الفاسخ عند الكهولة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أي من الرسلين (قالت رب اني يكون لي ولد) أي قالت مريم لجبريل يا سيدي من أين يكون لي ولد (ولم يمسن بشر) بالحلال ولا بالحرام لأن المهررة لا تزوج أبدا كالكه كراهير (مال) أي جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق ما يشاء اذ قضى أمرا) أي اذا أراد خلق شيئا (فانما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريش فنفخ جبريل في جيب درعها فوصل نفسه الى فرجها فدخل رحمها فحملت منه (وبعلمه الكتاب) قرأ نافع وعاصم يعلمه بالياء معطوف على الحال وهي قوله وجيها فكان جبريل قال وجيها ومعلمها أو على يشرك والباقون وتعلمه بالتون معمول لقول مخوف من كلام الملك تقديره وجيها ومقولا فيه تعلمه أو أن الله يشرك بعيسى ويقول تعلمه كتب الأنبياء والكتبا في الخط (والحكمة) أي العلم للمقرن بالعمل وتهذيب الاخلاق (والتوراة والانجيل) وخصا بالذكر لفضلهما (و) نبش (رسولا الى بني اسرائيل) أي كلمهم وقيل هو معطوف على الاحوال السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرى ورسول بالجوعطا على كلمة والتمتع عند الجمهور أن عيسى انما نبى على رأس الأربعين وانه عاش في الأرض قبل رفضه مائة وعشرين سنة وهو آخر أنبياء بني اسرائيل كما أن أولهم يوسف بن يعقوب (آتي قد جئتكم) بفتح الهجمة مجرور بالياء المقدرة التي للابسة المتعلقة بمخوف حال من رسول المقدرة لافي معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم اني رسول الله

(قال كذلك الله يخلق ما يشاء) مثل ذلك من الأمر وهو خلق الولد من غير ميسس (اذا قضى أمرا) مذكور فيكم في سورة البقرة الى آخرها (وتعلمه الكتاب) أراد الكتاب في الخط وقوله (ورسولا الى بني اسرائيل) أي ونجلا رسولا الى بني اسرائيل (آتي) أي باقي (قد جئتكم)

فكم ملتبسا باني قد جشتم (بآية) أي علامة على صدقي في الرسالة (من ربكم) قالوا وما هي قال هي (أي أخلق) أي أمور (لكم من الطين كهيئة الطير) أي شيئا مثل صورة الطير (فأفخغ فيه) أي في فم ذلك المائل لهيئة الطير (فيكون) أي فيصير (طيرا) حيا طير بين السماء والأرض (بإذن الله) أي بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لأنها تكل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لأن له نابا وأسنانا ويضحك كما ضحك الإنسان ويطير بنبريش ولا يصرف في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والاشي منه لها ندى وتحبض وتطهر وتلد فصار لهم خفاشا قالوا هنا سحر فهل عندك غير مقال نعم (وأبرئ الأكه) بالدعاء أي وأصبح الذي ولد أعشى أو المسوخ العينين (والأبرص) وهو الذي في جلده يابض شديد فلما فعل ذلك قالوا هذا سحر فهل عندك غير مقال نعم (وأحيى الذي في القبر) أي بالاسم الأعظم وهو يحيى يا قيوم فأحيى أربعة أنفس أحيى عازرا بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولده وأحيى ابن العجوز وهو ميت عمول على السرير فقلل عن سريره وأحيى أوجع إلى أهله وعاش وولده وأحيى بنت العائش أي التي أخذ العشور من الناس بعد يوم من موتها فعاثت وولمها فقالوا ليس لك شيء من كان قريب العهد من اللوث فطلبهم لربيعوا حقيقة بل أصابهم سكتة فأحيى لناسهم بنوح وهو قد مضى من موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقام على قبره فدعا الله باسمه الأعظم فقام من قبره وقال للقوم صدقوه فإنه نبي الله ومات في الحال فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فهل عندك غير مقال نعم (وأثبتكم عانا ما يكون) غدوة وعشية (وبأندخرون) أي ترفضون من غدا لنشاء ومن عشاء لغدا (في يومئذكم) عالم أعيانه (ان في ذلك) أي في ما قلت لكم من هذه الحجة (لاية) أي لمعزة قوية دالة على صحة رسالتي دالة واضحة (لكم ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين انتقمتم بها (ومصدقا لما بين يدي) أي لما قبلي (من التوراة) وبين موسى وعيسى ألف سنة وقسمات سنة وخمس وسبعون سنة ومصدقا ما عطف على رسولنا (و) جشتم (لأجل لكم بعض الذي خرم عليكم) في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والتروب والبقر والغنم ولحوم الابل وعمالا صميمة لمن السمك والطير ومن العمل في يوم السبت وهذا لا يصح في كونه مصدقا للتوراة لأن النسخ تخصيص في الأزمان (وجشتم بآيتم ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وقرى بآيات (فاتقوا الله) في عدم قبولها (وأطيعون) فإيا أمركم به وأنها كمن عنه عن الله تعالى (ان أقبر في وربكم) وانما أظهر سيدنا عيسى الخضوع وأقر بالعبودية لكيلا يقولوا عليه الباطل فيقولوا انه الهواين لأن إقراره بالعبودية لله يمنع من ادعائه جهال النصارى عليه (فأعبدوه) أي لازموا طاعته التي هي الايمان بالأوامر والالتزام عن النهي أي لما كان الله تعالى ربا لخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه وقوله تعالى ان الله ربكم إشارة إلى أن استكمال القوة النظرية بالتوحيد وقوله فأعبدوه إشارة إلى أن استكمال القوة العملية بالطاعة (هنا) أي الجمع بين التوحيد والعبادة (صراط مستقيم) أي دين قائم برضاء الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل أمنت بالله ثم استقم لرجل قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لأسأل عنه أحدا بهدك (فلما أحسن عيسى منهم الكفر) أي فلما سمع عيسى بأذنه من بني اسرائيل تكبرار الكفر وطلبوا قتله لأنهم كانوا عافرين بأنه هو المسيح للبشر به في التوراة وأنه يفسخ دينهم (قال) لأضياف أصحابه (من أنصاري إلى الله) أي من أنصاري حال التجاني إلى الله يقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الحواريون)

بآيتم ربكم) وهي (أي
أخلق) أي أقدر وأصور
(كهيئة الطير) أي كصورته
(وأبرئ الأكه) وهو
الذي ولد أعشى والأبرص
وهو الذي بوضوح (وأثبتكم
بما تأكلون) في غدوكم
(وتسخرن) لباقي يومكم
(ومصدقا) أي وجشتم
مصدقا (لما بين يدي) أي
الكتاب الذي أنزل قبلي
(ولأجل لكم بعض الذي
حرم عليكم) أحل لهم على
لسان المسيح لحوم الابل
والدروب وأشياء من
الطير والحيتان مما كان
حراما في شريعة موسى
(وجشتم بآيتم ربكم)
يعني ما كان معصيا للمعجزات
الالهية على رسالته ووجد
لأنها كلها جنس واحد في
الدلالة (فلما أحسن عيسى)
أي علم ورأى (منهم
الكفر) وذلك أنهم
أرادوا قتله حين دعاهم
إلى الله فاستنصر عليهم (قال
من أنصاري إلى الله) أي
مع الله (قال الحواريون)
وكانوا أقصا من يحورون
التيالأي يعضونها آمنوا
بعيسى واتبعوه

أى القصارون أى الذين يبيعون الثياب (نحن أنصار الله) أى نحن أنعوانك مع الله على أعدائه قيل كانوا تسعة وعشرين سعى منهم قطرس ويعقوب وجليس وإيدارائيس وقيلس وابن تلاموتنا وبوقاس ويعقوب بن حليفا ويداوسيس وقياسا وبودس وككسابوطا ومرجس وهو الذى أتى عليه شبه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الحواريون اثني عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه السلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا اجنابا روح الله فغضب بيده الأرض فيخرج منها الكل واحمر غيغان وإذا عطشوا قالوا اعشنا فغضب بيده الأرض فيخرج منها لئلا فيشربون فقالوا من أفضل منا قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يمشون الثياب بالجرة فسموا حواريين أى أن اليهود طلبوا عيسى عليه السلام للقتل وكان هو فى الحرب عنهم قال لأولئك الاثني عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فأجابوه الى ذلك منهم (أمنا بالله) فهذا استئناف يجرى مجرى العلة لما قبله والمعنى يحب علينا أن نكون من أنصار الله لأجل أننا آمننا بالله فان الإيمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والله والمخاربة مع أعدائه (واشهد) بإسنادنا عيسى (بأننا مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد ذلك أقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الأنبياء صلوات الله عليهم واشهادنا أيضا على أنفسهم بذلك فلما أشهدوا عيسى على إيمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت) من الكتاب أى الانجيل (وابننا الرسول) أى دين رسول الله عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) أى اكتبنا فى جملتهم شهداء بالتوحيد والانبياء بالتصديق وقال ابن عباس فاكتبنا فى زمرة الأنبياء لأن كل نبى شاهد لقومته فاكتبنا مع محمد وأمنه لانهم هم المحصوصون بأداء الشهادة (ومكروا) أى أراد اليهود قتل عيسى (ومكراهه) أى أراد الله قتل صاحبهم طليانوس وقيل مكروهم بعيسى مهمم بقتله ومكراهه تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فى روضة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروضة وكان قد أتى شبهه على غيره فأخذوا صلب (والله خير للكارين) أى أقوى الرديين وقال أفضل الصائمين روى عن ابن عباس أن ملك بنى اسرائيل اسمه يهوذا لما قصد قتل عيسى أمر جبريل أن يدخل بيتا فى روضة فرقمه جبريل من تلك الروضة الى السماء فقال الملك لرجل خيئ منهم يقاله طليانوس ادخل عليه فاقبله فدخل البيت فلم ير عيسى فأتى الله تعالى شبه عيسى عليه فخرج يجرهم انابلس الى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا أوجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبا فان كان هذا عيسى فأين صاحبا وان كان هذا صاحبا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذقال الله يا عيسى انى متوفيك) أى مستوفى أجلك للسمى وعاصك من أن تقتلك الكفار (ورافك الى) من الارض الى محل كرامتى الى محل نوابك (ومطهرك من الذين كفروا) بك أى منحيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أى الذين آمنوا بأنك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتك وادعوا بحجتك كالنصارى (فوق الذين كفروا) بك يوم اليهود بالحجة والسيف والتهور والسططان والاستعلاء والنصرة (الى يوم القيامة) فان ملك اليهود قد ذهب فلم تبق لهم قامة ولا سلطان ولا شوكة فى جميع الارض بل يكونون مهقورين ابن ما كانوا بالثقل والسكنة وملك النصارى باق قائم الى قرب من قيام الساعة فان رأى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود ذكر محمد بن اسحق أن اليهود غدروا الحواريين بصرع عيسى

(نحن أنصار الله) أى أنصار دينه (أمنا بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) وقوله (فاكتبنا مع الشاهدين) أى مع الذين شهدوا للانبياء بالصدق والمعنى أثبت أممنا فمع أممناهم لنفوز بمثل ما فازوا (ومكروا) أى سعوا فى قتله بالمكر (ومكراهه) أى جازاهم الله على مكروهم بالقاء شبه عيسى على من دل عليه حتى أخذ وصلب (والله خير للكارين) أى أفضل المجازين بالبيئنة العقوبة لانه لا أحد أقدر على ذلك منه (اذقال الله يا عيسى) والمعنى ومكراهه اذ قال الله يا عيسى (انى) متوفيك) أى فاضلك من غير موت ورافى الى نامائ لم ينالوا منك شيئا (ورافك الى) أى الى أمائى ومحل كرامتى فيجعل ذلك رضا اليه للتفخيم والتعظيم كقوله انى اذهب الى ربى وانا اذهب الى الشام والمعنى الى أمربى (ومطهرك من الذين كفروا) أى يخرجك من بينهم (وجاعل الذين اتبعوك) وهم أهل الاسلام من هذه الأمة اتبعوا دين المسيح وصدقوه بأنه رسول الله فولاه ما تبعه من دعاءه (فوق الذين كفروا) بالبرهان والحجة والعز والنفية

الصلوات الدالة على رسالتك لأنها أخبار عن أمور لم يشاهدها ولم يقرأها من كتاب (والله كرا الحكيم) يعني القرآن المحكم من الباطل وقيل الحاكم أي السامع من الكفر والفساد (إن مثل عيسى) الآية تزل في وفد نجران حين قالوا للتي عليه السلام هل رأيت ولدان غيذ كرفاحنج الله عليهم بأدم والسنن أن قياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم بل الشأن فيه أعجب لأنه خلق من غير ذكر ولا شيء وقوله (عند الله) أي في الإنشاء والخلق وتم السلام عند قوله (كمثل آدم) ثم استأنف خبراً آخر من قصة آدم فقال (خلقه من تراب) أي قلابين تراب (ثم قال له كن) بشراً (فيكون) يعني كان (الحق من ربك) أي الذي أنبأك من خبر عيسى بالحق من ربك (فلا تكن من المترين) أي الشاكن الخطاب للتي صلى الله عليه وسلم والمراد به نهى غيره عن الشك (فمن حاجك) أي خاصمك (فيه) أي في عيسى (من

عليه السلام إلى السماء فشمسهم وعذبهم قبل ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته ثم بث إلى الحواريين فأنزعهم من أيديهم وأسلمهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابهم على دينهم وأزل للصابغين فيه وأخذ الخشب فأكرمهوا صاتها ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو قنصل نصرانيا إلا أنه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال ملطيس وغزا بيت المقدس بمرضى عيسى عليه السلام بمقدار أربعين سنة ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجر على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضري إلى الحجاز فهنا كله ما جازاهم الله تعالى على تكذيب السليح وقصده (ثم أي مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أي تخلفون في الدين (فأبأ الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالقتل والسبي والخزيرة والأقلة (والآخرة) بالنار (وما لهم من ناصرين) أي مائمين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وما لأتدين آمنوا) بالله والكتب وبنبوة عيسى وبنبوة محمد (وجعلوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيؤفهم أجورهم) أي فيؤفهم أجور أعمالهم في الجنة (والله لا يحب الظالمين) أي لا يريد إيصال الخبر إلى المشركين وقرأ حصن عن مسلم فيوفهم بالياء والفعل راجع إلى الله والباقيون بالنون (ذلك) أي خبر عيسى (تتوالى عليك) أي نزل عليك جبريل به (من الآيات) أي من آيات القرآن أو من الملامات الدالة على نبوت رسالتك (والله كرا الحكيم) أي الذي ينطق بالحكمة أو الحكم فان القرآن ممنوع من تعلق النحل إليه • وروى أنه حضر وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ما شأنك نذكر صاحبنا ونسب فقال من هو قالوا عيسى قال وما قول قالوا قول إن الله عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلتمه اتقلنا إلى الطراء البتول فضنبوا وقالوا هل رأيت إنساناً قط من غير أب ومن لأبيه فهو إن الله ثم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فقال قل لهم إذا أتوك (إن مثل عيسى عند الله) أي إن صفة تخلق عيسى في تقديره وحكمه بلأب (كن فيكون) أي نضج فيه قال آدم (خلقه من تراب) بلأب وأم (ثم قاله) أي لآدم (كن فيكون) أي نضج فيه الروح وكذلك عيسى قاله كن من غير أب فكان ولما بلأب فكان آدم كذلك ولم يكن أبناؤه فكذلك عيسى لمن لم ير بأن الله خلق عيسى من غير أب مع إقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو يخرج عن طور النقاء وأيضاً أنما إن خلق الله آدم من التراب فجوز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب إلى العقل من تولده من التراب اليابس (الحق) أي الذي أنزل عليك من خبر عيسى أنه لم يكن الله ولأولاده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من النصراني واليهود قالوا إن مريم ولدت إلهاً واليهود رموا مريم بالافك ونسبوا إلى يوسف النجار (فلا تكن من المترين) أي من الشاكن فيما بينك لك من تخليق عيسى بلأب والخطاب للتي صلى الله عليه وسلم تحركه لزيادة ثباته على اليقين ولكل سامع ليتزع عما يورث الاعتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بين لهم أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كآدم لأن عيسى لم يكن الله ولأولاده ولا شريكه فقال الله تعالى (فمن حاجك) أي خاصمك من نصارى نجران (فيه) أي في شأن عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من الدلائل الواجبة للعلم بأن عيسى عبده ورسوله (فقل تعالى) لنسج أبناءه وأبناءكم

بما جاءك من العلم) بأن عيسى عبده ورسوله (فقل تعالى) أي علموا (نسج أبناءه وأبناءكم) لما احتج الله تعالى على النصراني

من طريق القياس بقوله إن مثل عيسى الآية أمر النبي صلى الله عليه وسلم

أن يحتج عليهم من طريق الاعجاز فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ وفد نجران إلى البهالة وهي الدماء على الظالم من الفرقين وخرج رسول الله ﷺ ومعه الحسين والحسين وفاطمة وعلى رضي الله عنهم وهو يقول لهم إذا أنا دعوت فامنوا فذلك قوله (مع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم) يعني بني العم (ثم يتهلل) أي تضرع في الدماء وقيل يدعو بالبهلة وهي اللعنة فندعو الله باللعنة على الكاذبين فلم تجبه النصارى إلى البهالة خوفا من اللعنة وقبلوا الجزية (ان هذا) الذي أوجبه الله اليك (هو) القصص الحق أي الخير الصديق (فان تولوا) أي أعرضوا عما أتيت به من البيان (فان الله عليم بالمفسدين) أي علم من يفسد من خلقه فيجازيه على ذلك (قبل يأهل الكتاب) يعني يهود المدينة ونصارى نجران (تعالوا إلى كلمة) ومعنى الكلمة كلام فيه شرح قصة (سواء) أي عدل (يبنائو بينكم) ثم فسر الكلمة فقال

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا أي نخرج بأنفسنا (وأنفسكم) أي اخرجوا بأنفسكم (ثم يتهلل) أي نجتهد في الدعاء ونخلصه أو نلاعن بيننا وبينكم (فبصل لعنة الله) أي بيننا (على الكاذبين) على الله في حق عيسى وهم من يقولون ان عيسى بن الله أو أنه ﷺ روى أنه ﷺ لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصرروا على جعلهم فقال ﷺ ان الله أمرني ان أقبضوا الحجة أن يأهلكم فقالوا يا أبا القاسم حتى ترجع فننظر في أمرنا ثم تأتيناك غدا فلما رجعوا إلى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأهم بأبى عبد الله المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم والله ما ياهل قوم ينافق فماش كبيرهم ولا نبى صغيرهم وإن فلتتم تهلكن فان آيتهم الاقامة على دينكم والاصرار على ما آتاهم عليه من القول في صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد خرج من بيته إلى المسجد وعليه مرط من شرأسود تحضنا الحسين آخذنا بيد الحسن وفاطمة ثم شى خلفه وعلى خلفها رضي الله عنهم أجمعين وهو يقول هؤلاء الأربعة اذا دعوت فامنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبهاوا قتلكم كما تم قالوا يا أبا القاسم رأينا أننا لا نباهلك وإن ثبت على ديننا فقال رسول الله ﷺ فان آيتهم البهالة فأسلموا يكن لكم بالمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال فاني أنا جزكم القتال فقالوا ما لنا بحرب العربطاقة ولكن نصلحك على أن لا تزونا ولا تردنا عن ديننا على أن تؤدى اليك في كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درهما وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك (ان هذا) الذي ذكرت من الدلائل التي دلت على ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدماء إلى البهالة مع وفد نجران (لهو القصص الحق) دون أكاذيب النصارى (ومامن إلا الله) بلاتريك ولا ولد ولا زوجة (وان الله هو العزيز) أي الثالب الذي لا يمنع القادر على جميع المقدورات (الحكيم) أي العالم بجميع العلومات وبجميع عواقب الأمور فذكر العزيز الحكيم هنا إشارة إلى الجواب عن النصارى في التشبهين لعيسى القدرة على الاحياء ونحوه وأخبار النيوب (فان تولوا) فان الله عليم بالمفسدين) أي فان أبوا عن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من أن الله هو الواحد وأنه يجب أن يكون عالما قادرا على جميع المقدورات عالما بالتاليات محيطا بالعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك ومع قولهم ان اليهود قتلاه قاعلنا بأدهم وأعرضهم ليس الاعلى سبيل العناد فاطم كلامك عنهم ففوض أمرهم إلى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما قالو بهم من الأغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم (قل يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في شأن نصارى نجران كقائه ابن عباس وذلك لأن النبي ﷺ لما ذكر على نصارى نجران أنواع اللاتل أولا ثم دعاهم إلى البهالة ثانيا فحافوا وقبلوا الضار بأداء الجزية وقد كان ﷺ حريصا على إيمانهم فعدل إلى رعاية الانصاف وترك المجادلة فكانه تعالى قال يا محمد أترك ذلك النهج من الكلام وأعدل إلى منهج آخر يشهد بكل عقل سلم وطبع مستقيم انه كلام نبى على الانصاف وترك الجدال وقل يا أهل الكتاب أي يا معشر النصارى (تعالوا إلى كلمة سواء يبنائو بينكم) أي هلموا إلى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لأحد على صاحبه وقيل نزلت في حق يهود المدينة وقيل نزلت في شأن الفرقين وذلك لان قدم وفد نجران للمدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في دين ابراهيم فرعمت النصارى انه كان نصرا نيا وانهم على دينه وأولى الناس به

(الانبياء الله ولا تشرك به شيئاً) أى لا تعبده غيره (ولا يتخذ بضاً أباً من دون الله) كما اتخذت النصارى عيسى وبنو اسرائيل عزيراً وقيل لا طبع في مصيبة الله كما قال الله في صفته لها أنواعاً لم يصعب عليها أن تعذبوا أحبارهم الآية (فان تولوا) أى عرضوا عن الاجابة (فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون) أى

(١٠٣)

الكتاب لم يحتاجون في اليهود والنصارى مع النبي صلى الله عليه وسلم في ابراهيم فقالت اليهود ما كان الا يهودياً وقالت النصارى ما كان الا نصرانياً وقوله (وما آتت التوراة والانجيل الا من بعده) يعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول الكتابين وانما نزلا بعد مهلكه بزمان طويل (أفلا تقولون) فساد هذه السعوى (هاأنتم) يعنى أنتم (هؤلاء) يعنى هؤلاء (حاجبتم) أى جادتم وخاصتم (فبالكم بعلم) يعنى ما وجدوه في كتبهم وآوّل عليهم بيانه وقصته (فلم يحتاجون فيما ليس لكم به علم) من شأن ابراهيم وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً (واقبلوا) شأن ابراهيم (وأتم لتصلون) ثم بين حال ابراهيم فقال (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان

وقالت اليهود بل كان يهودياً ونحن على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفرخين يرى من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهودي محمد ما ربه الا ان تتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يبعده ما ربه الا ان تقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأقول الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أى يا معشر اليهود والنصارى هلما الى قصة عادلة مستقيمة يتناولونكم لا يختلف فيها الرسل والكتب فاذا آمننا نحن وأتم بها مكاناً على السواء والاستقامة ثم فسر الكلمة بقوله (ان لا نعبد الا الله) أى أن نوحده بالعبادة ونعصه بها (ولا نشرك به شيئاً) أى ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نعبد أهلاً لا نعبده (ولا يتخذ بضاً أباً من دون الله) أى لا يطبع أحداً من الرؤساء في مصيبة الله تعالى وفيما أحدثوا من التحريم والتحليل ولا تقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله لانهما بشران مثلنا (فان تولوا) أى أبوا الا الاصرار على الشرك (فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون) أى فاعطروا أنت ولؤمونيون بأنكم على هذا الدين وقولوا اعترفوا بأنما نقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى دونكم فقد لزمكم الحق فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك وبأنكم كافرون بما نقلت به الكتب وما يقتضيه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أى يا معشر اليهود والنصارى (لم يحتاجون في ابراهيم) أى لم يخصمون في دين ابراهيم ولم يدعوا أن ابراهيم عليه السلام كان منكم (وما آتت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الا من بعده) أى من بعد ابراهيم بزمان طويل اذ كان بين ابراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تقولون) أى ادعوا أن ابراهيم منكم فلا تقولون بطلان ادعائكم (هاأنتم هؤلاء حاجبتم) أى هاأنتم يا هؤلاء اليهود والنصارى خاصتم (فيا لكم بعلم) في كتابكم أن ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وأن محمداً نبى مرسل وهو موجود في كتابكم بنعتنا فأفكرتم ذلك (فلم يحتاجون فيما ليس لكم بعلم) في كتابكم لانه ليس لدين ابراهيم ذكر في كتابكم أصلاً ولم يدعوا أن شريعة ابراهيم مخالفة لشريعة محمد ﷺ (واقبلوا) كيف كانت حال هذه الشرائع في المخالفة والوافقة (وأتم لتصلون) كيفية تلك الأحوال ثم بين الله تعالى ذلك مفصلاً وكيفية قيام دعوى موافقة ابراهيم لموافقا (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً) أى ليس ابراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفاً) أى ما تلاحن الأديان الباطلة كلها (مسلماً) أى على ملة التوحيد لا على ملة الاسلام الحادثة (وما كان من المشركين) وهذا نص بوضوح يكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله وودعوا للمشركين في ادعائهم أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام (ان أولى الناس بابراهيم) أى أن أقرب الناس الى دين ابراهيم وأخصهم به (للذين اتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد (والذين آمنوا) بمحمدهم الذين يطيعون أن يقولوا نحن على دينه لان غالب شرع محمد موافق لشرع ابراهيم أى أن أحق الناس بدين ابراهيم فرقان أحدهما من

حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) ثم جعل للمسلمين أحق الناس به فقال (ان أولى الناس بابراهيم) أى أقربهم اليه وأحقهم به (للذين اتبعوه) أى على دينه وملتته (وهذا النبي) محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) أى فهم الذين ينبغي أن يقولوا انا على دين ابراهيم

(ود طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) أراد اليهود أن يستنزوا المسلمين عن دينهم ويردوهم إلى الكفر فقلت هذه الآية (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن

(١٠٤)

اتبعهم من أمته وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (واقه وإلى المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم ومكرهم ثم ذكر دعوة كعب بن الأشرف وأصحابه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة وعمار يمدون أحد إلى دينهم اليهودية عن دين الإسلام فقال (ود طائفة) أي غتت (من أهل الكتاب لو يضلونكم) أي أن يضلواكم عن دينكم الإسلام (وما يضلون) عن دين الله (الأنفسهم) لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الأثم بتبنيهم اضلال المؤمنين وهم صاروا غائبين حيث اعتقدوا شيئا ولا ح لهم أن الأمر بخلاف ماصوره (وما يشعرون) أن هذا نصرهم لأن المذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم ونفي اضلال للمسلمين (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) وهي الواردة في التوراة والإنجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والخبار بأن الدين هو الإسلام وبأن إبراهيم كان حنيفا مسلما (وأنتم تشهدون) محبتها إذا خلا بضعكم مع بعض وتذكرون أشغال التوراة والإنجيل على الآيات الدالة على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور السامعين وألغيتكم تكفرون بالقرآن فأنكم تنكرون عند العوام كونه معجزا وأنتم تشهدون بقولكم وعقولكم كونه معجزا (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) أي لم تخططون للزلز من التوراة بالحرف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن زبير أولم تشككون الناس باظهار الإسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن ابن عباس وقائدة وقرى تلبسون بشديد البلاء وقرأ يحيى بن وثاب يلبسون بفتح الياء أي تكتسون الحق مع الباطل (وتكتمون الحق) أي الآيات للوجود في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) أنكم أنتم تعلمون ذلك عنادوا وسدا وتعلمون أن عقاب من فعل مثل هذه الأفعال عظيم أي أنتم أرباب العلم والعرفه (وقالت طائفة من أهل الكتاب) هم أناعا عشر حبرا من أحبار يهود خبير لسفلتهم منهم عبدالله بن السيف وعدي بن زيد والحرث وكعب وأصحابه من الرؤساء (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) بمحمد أي آمنوا ببعض القرآن أي بالقبلة التي صلى إليها محمد وأصحابه (وجه النهار) أي أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الأخرى التي صالوا إليها (آخره) صلاة الظهر فإنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى بيت المقدس بصد أن قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطعموا أن يكون منهم فلما حوله الله تعالى إلى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف ومالك بن السيف لأصحابهما آمنوا بالذي أنزل على محمد في شأن القبلة وصالوا إليها أول النهار ثم رجعوا إلى قبلةكم وصالوا إلى الصخرة آخر النهار (لعلهم) أي أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقلبه (ولا تؤمنوا إلا بما نبيح دينكم) أي ولا تأتوا بذلك إلا بما لا أجل من تبع دينكم فأن مقصود كل واحد حفظ أتباعه على متابته أي غرضهم بالاتباع بذلك التلبس إبقاء أتباعهم على دينهم وألغيتهم للتصدقوا بالنبوة الأمان وافق دينكم اليهودية وقبلتكم بيت المقدس فأما من جاب تبشيرهم من أحكام التوراة فلا تصدقوه (قل إن الهدى هدى الله) أي إن الدين دين الله وهو الإسلام والقبلة قبلة الله وهي الكعبة (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تسكروا بامتناع اليهود أن يعطى أحسواكم من الدين والقبلة مثل ما أعطيتهمه وأن يحاجج السامعون أياكم

يشعرون أن هذا يضرمهم ولا يضرم للمؤمنين (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أي بالقرآن (وأنتم تشهدون) بما يدل على محبتكم كتابكم لأن فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وذكره (يا أهل الكتاب لم تلبسون مضي في سورة البقرة) (وقالت طائفة من أهل الكتاب) الآية وذلك أن جماعة من اليهود قال بعضهم لبعض أظهروا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن في أول النهار وارجعوا عنه في آخر النهار فأنهم يأن ينقلب أصحابه عن دينهم ويشكوا فيه إذا قلتم نظرتنا في كتابنا فوجدنا محمدا ليس كذلك فأطلع الله نبيه على سر اليهود ومكرهم بهذه الآية (ولا تؤمنوا) هذا كلام من اليهود بعضهم لبعض قالوا لا تصدقوا ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتب والالحجة واللن والساوى والفضائل والكرامات (الا) لمن تبع دينكم اليهودية وقام بشراعتهم وقوله (قل إن

بذلك

الهدى هدى الله) اعتراض بين القول وفعله وهو من كلام الله وليس من كلام اليهود

ومعناه أن الدين دين الله وقوله (أو يحاجوكم) عطف على قوله أن يؤتى ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم (عند ربكم) لأنكم أصبح ديننا منهم ولا تكون لهم الحجة عليكم فقال الله تعالى

(قل ان الفضل بيد الله) يعنى ما فضل عليك وعلى أمك (مختص برحمته) أى بدنيه الاسلام (من يشاء والله ذو الفضل) على أوليائه (الظيم) لأنه لا شئ أعظم عند الله من الاسلام ثم أخبر عن (١٥)

(ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) يعنى عبد الله بن سلام وأودع القنطاري أقية من ذهب فأدى الأمانة فيه إلى من اتهمه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) يعنى فنحاص ابن عازوراء أودع دينارا فخانه (الامامت عليه قائما) أى على رأسه بالاجتماع معه فان أنظرته وأخرته أنكر (ذلك) الاستحلال والحياة بأنهم يقولون ليس علينا مما أصبنا من مال العرب شئ لأنهم مشركون قلاميون في هذه الآية العرب كلهم ثم كذبهم الله تعالى في هذا فقال (ويقولون على الله الكذب) لأنهم ادعوا أن ذلك في كتابهم وكذبوا فان الامانة مؤداة في كل شريعة (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم رد عليهم قوليهم ليس علينا الأمين سبيل بقوله (يلى) أى بلى عليهم سبيل في ذلك ثم ابتدأ فقال (من أوفى بهده) أى يهده الله الذى عهد اليه في التوراة من الإيمان بمحمد والقرآن وأداء الامانة (واتق)

بذلك عندكم بكم ان لم تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بهمزتين مع قصر الأولى ونسبيل الثانية على الاستفهام الذى للانكار والتوبيخ والعنى أمن أجل أن يؤتى أحدا شرائع مثل ما لو تيم من الشرائع ينكرون اتباعه وهذا الوجه مرئى عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية ما فى هذا الباب أنه يقتصر في هذا التأويل إلى اضهار ملادة الانكار لأن عليه دليل وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله كان له تعالى أن يؤتية من يشاء من عباده ومتى كان الأمر كذلك لزم ترك الانكار (قل ان الفضل) بالرسالة والنبوة والاسلام وقبة ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتية من يشاء) أى يعطيه محمدا وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا وجه النهار وكفروا آخره لميمر ذلك شبهة للمسلمين في محبة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى مع كمال هدايته وقوة ياته لا يكون لهذا شبهة الركيكة كقوة ولا أثر وانما هيأهم استنكروا أن يؤتى أحدهم مثل ما لو تيم من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء (والله واسع) أى كمال القدرة فيقدر أن يفضل على أى عباده بأى فضل يشاء (عليم) أى كمال العلم فلا يكون شئ من أفعاله الا على وجه الحكمة والصواب (مختص برحمته) التى بلغت في الشرف وعلا المرتبة إلى أن تكون أعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلا نهاية لمراتب اعزاز الله وأكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب) أى اليهود (من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) بنير تعب كيد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) بل يستحله (الامامت عليه قائما) أى مطالبا غاصبا ككسب الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع رجل قرشى عبدا لله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه اليه وأودع قرشى آخر فنحاص بن عازوراء فخانه فزلت هذه الآية **تبيينه** يعنى الباء الصاق الامانة كما أن معنى على في قوله أمته على كذا استعلاء الامانة فمن اتهم على شئ فقل صار ذلك الشئ على معنى المتبصق وهو صار للودع كالاستعلى على تلك الامانة (ذلك) بأنهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل) أى ذلك الاستحلال والحياة مستحق بسبب أنهم يقولون ليس علينا فإنا أصبنا من أموال العرب سبيل أى فصره على المطالبة والازلام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والحق لنا عند فلا سبيل لاحد علينا إذا كنا أموال عبده تأو والعنى ليس علينا في أخذ أموال العرب سبيل أى اثم فانهم قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الحياة مع الخالف عند كوفي التوراة كانوا كاذبين في ذلك وعالمين بكوتهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت خيائته أعظم وجرمه فاحش (يلى) على اليهودي العرب سبيل وهذا رد على اليهود ولكن (من أوفى بهده) فإيائنه وبين الله أو بينه وبين الناس (واتق) عن تقص العهد بالحياة ورك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة في أمرين التنظيم لأمر الله والتشقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما لان ذلك سبيل لتفقه الحق فهو شقة على خلق الله وذلك أمر الله فالوفاء بالعهد تعظيم لأمر الله ثم الوفاء كما يكون في حق التبرير يكون في حق النفس فالوفاء بعهد النفس هو الاتى بالطاعات والتارك للحرمان (ان الذين يشتركون بهد الله) أى من جميع ما أمر الله به

الكفر والحياة وتقص العهد (فان الله يحب المتقين) يشي

(١٤) - (تفسير مرآة السالكين - أول)

من كان بهذه الصفة (ان الذين يشتركون بهد الله) زلت في رجلين اختصا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ضيعة فهم للدعى عليه

وعايناهم الشخص نفسه (وأيمانهم) وهى الحلف التى يؤكد بها الانسان خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اثبات (منا قليلا) من الدنيا (أولئك) للوصوفون بتلك الصفات القبيحة (لاخلاق) أى لانصيب (لهم فى) خير (الآخرة) ونسيها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولا يزكهم) أى لا يظهرهم من دنس ذنوبهم بالمفكرة (ولهم عذاب أليم) أى وجيع يخلص وجهه الى قلوبهم نزلت هذه الآية فى حق عبيدان بن الاشوع وامرى القيس اختصا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فتوجت اليهم على امرى القيس فقال أنظرنى الى القند ثم جاء فى القند وأقر له بالأرض وقيل نزلت فى شأن الاشعث بن قيس كان بينه وبين رجل خصومة فى أرض وبثراختصا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينتكم فقال ليس لى بينة فقال للاشتخليك يا مجين فهم الاشعث باليمين فأقر الله تعالى هذه الآية فنسك الاشعث عن اليمين ورد الأرض الى الخصم واعتقر بالحق وهذا قول ابن جرير وقيل نزلت فى شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن أخطب وأبى رافع ولبابة بن أبى الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأخذوا الرشوة على ذلك وحلفوا بأنهم عند الله كثار فيهم الشا كقاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا فى ادعائهم أنه ليس علينا فى الاميين سبيل وحلفوا أنهم عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على أنها نزلت فى أقوام حلفوا بالأيمان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أى من اليهود (الفرقا يلاون ألسنتهم بالكتاب) أى طائفة يحرفون اللفظة بالله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة حركات الاعراب تحريفا يتعبد به للنبي وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيفوسى بن أخطب أبو ياسر وشعبة بن عمير (لتحسبوه) وقرئ شاذة بالياء (من الكتاب) أى لى ظن السفلة أو السهلون أن الحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أى والحال ان الحرف ليس من التوراة فى نفس الأمر وفى اعتقادهم (ويقولون هو) أى الحرف (من عند الله) أى موجود فى كتب سائر الأنبياء مثل شعيا وأرخيا وحيفوف (وما هو من عند الله) فالأغمار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك الحرف الى أنتم التوراة والاذكيا زعموا أنه موجود فى كتب سائر الأنبياء الذين جاءوا بنموسى عليهم السلام وعلم من هذا التفسير المناورة بين القليلين فانه ليس كل ما لم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد ثبت نارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله (ويقولون على الله الكتاب وهم يملكون) أى يعمدون ذلك الكتاب مع العلم ان عيسى بن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قلعوا على كعب بن الاشرف وغيره التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) أى ما لم يكن وما صح لأحمن الأنبياء كيسى ومحمد أن يعطيه الله الكتاب أى التوراة أو القرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول ذلك البشر للشر بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كاتنين لى متجاوزين عن الله اشرا كأ أو افرادا قال مقاتل والضاحك نزلت هذه الآية فى شأن نصارى نجران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذهم أبأ وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزى ربان الله فقال نصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية وقال أيضا فى معالمتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء بن أبأ رافع القرظى من اليهود ورئيس وفد نجران من النصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم آرى بى دان

أن يحلف فزلت هذه الآية فنسك للذى عليه عن اليمين وأقر بالحق ومعنى يشتركون يستبدلون بعد الله توصية المؤمنين أن لا يحلفوا كاذبين باسمه (وأيمانهم) جمع اليمين وهو الحلف (منا قليلا) أى من الدنيا (أولئك لاختلاق) لهم فى الآخرة) أى لانصيب لهم فيها (ولا يكلمهم الله) بكلام يسرهم (ولا ينظر اليهم) نظر الرحمة وأكثر للفسرين على أن هذه الآية نزلت فى اليهود وكتبناهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأيمانهم بأن الذى بدلوه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من التوراة والدليل على هذا قوله تعالى (وان منهم) يعنى من اليهود (لفرقا يلاون ألسنتهم بالكتاب) أى يحرفون بالتفسير والتبديل والمضى يلاون ألسنتهم عن سنن الصواب بما يأمرون به من عند أنفسهم (لتحسبوه) أى لتحسبوا ما لوأا ألسنتهم به (من الكتاب) (ما كان لبشر) الآية لما ادعت اليهود أنهم على دين ابراهيم فكذبهم الله تعالى غضبوا وقالوا اميرضك منا يا محمد الا أن تتخذك ربا فقال رسول الله صلى الله عليه

نمديك وتخذ لك إياقال صلى الله عليه وسلم معاذ القمان نمدي غير الله أو أن تأمر بنبر عبادته الله فما
بذلك بعثي الله ولا بذلك أمرني فزلت هذه الآية وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله ولكن
أكرموا نبيكم وعرفوا الحق لأهلها فزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أي ولكن يقول ذلك
البشر الذي يرفقه الله إلى أعمال الراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعلمون الكتاب) قرأ عبادة
ابن كثير أبو عمرو ونافع يفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام
مشددة أي تعلمون الناس من الكتاب (وبما كنتم تعلمون) أي وبسبب كونكم تعلمون قرآن من
الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا لللائكة والنبيين أربابا) قرأ عاصم وحزمة وابن عامر يأمركم يفتح
الراء والفاعل ضمير يعود على البشر ولا يأمره الله أن يأمركم أن ليسر أن يجعل الله نبيا
ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو يتخذوا لللائكة والنبيين أربابا وقرأ الباقون برفع الراء على ميل
الاستئذان كيدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود أنه قرأ ولن يأمركم والفاعل حينئذ ضمير يعود
على الله كما قاله الزجاج وأبو محمد قاله ابن جرير وأبو عيسى وأبو كلبي من الأنبياء كما قيل بكل أي
ولا يأمركم يا معشر قريش واليهود والنصارى بأن تتخذوا لللائكة والنبيين أربابا كما اخفقت الصابئة
وقريش لللائكة واليهود عزرا والنصارى للسهل (أي يأمركم بالكفر) أي كيف أمركم ذلك
البشر والله تعالى بالكفر (بعد إذا تم مسلمون) وهذا استفهام إنكارى وهو خطاب للؤمنين
على طريق التحجيس من حال غيرهم وقال بعد إذ أمركم بالاسلام (وإذا أخذناهم بميثاق النبين لما
آتينكم من كتاب وحكمة) أي أعطيناكم قرآننا فآتيناكم بالكتاب وحكمة (ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه) وقرأ الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حزمة بكسر اللام وقرأ سعيد
ابن جبيل مشددة أما القراءة بالفتح فلما جازها من ما هو موصول مرفوع بالابتداء وغيره قوله
لتؤمن به وما هو متضمن لمضى الشرط فاللام في قوله لتؤمن به هي التلقية للقسم أما اللام في لمضى لا
تخلف تاروقه كراخرى ولا يتفاوت للمضى وهنا اختيار سيديو وللازني والزجاج وقال أبو السعود
واللام في المأمونة للقسم لأن أحد الميثاق يعني الاختلاف وما تحتل الشرطية ولتؤمن سادسد
جواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وأما القراءة بكسر اللام فلاها لتعجيل ولما مصدرية أو
موصول وأما قراءة بالتشديد فإما هي بمعنى حين أو لمن أجل ما على أن أصلها ما وأما معنى وإذا أخذناهم
فقال ابن جرير الطبري وأذكرها بأهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبين وقال الزجاج وإذا ذكر
يا محمد في القرآن إذا أخذناهم ميثاق النبين وللقصود بهذه الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق من
النبيين خاصة قبل أن يبعثوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد
على كل نبي أن يؤمن بعهده من الأنبياء وينصره أن أدركه وأن لم يدركه أن يأمر قومه
بنصرته أن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى
الله عليه وسلم وهنا قول سعيد بن جبيل والحسن وطائوس وقيل إنما أخذ الله الميثاق من النبين في
أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبين بعضهم لبعض صفته محمد وفضله وهو قول علي وابن عباس وقادة
والسدي وقال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله
عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمن به ولأن بعثوهم أحياء لينصروا وقيل إن المراد من الآية
أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون به

وسلم معاذ الله أن تأمر
بعبادة غير الله فزلت هذه
الآية ومعنى الآية أنه ما
كان لبشر أن يجمع بين
هذين بين النبوة وبين دعاء
الحق إلى عبادة غير الله
(ولكن) يقول (كونوا
ربانيين) الآية أي يقول
كونوا معلمي الناس بمسلكهم
ودرسكم أي علموا الناس
ويشوا لهم فكذلك كان
يقول النبي صلى الله عليه
وسلم لليهود أنهم كانوا أهل
كتاب يعلمون ما لا تعلمه
العرب (ولا يأمركم أن
تتخذوا لللائكة والنبيين
أربابا) كما اخفقت الصابئون
والنصارى (أي يأمركم
بالكفر) استفهام معناه
الانكار أي لا يفعل ذلك
(بعد إذا تم مسلمون) أي
بعد اسلامكم (وإذا أخذ الله
ميثاق النبين لما آتينكم)
ما هنا للشرط وللنبي لأن
آتينكم (من كتاب
وحكمة) ومهما آتينكم
(ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم) يريد محمد صلى
الله عليه وسلم (لتؤمن به
ولتنصرنه) يعني ان
أدركتموه ولم يبعث الله
نبيا إلا أخذ العهد في
محمد وأمره وأخذ العهد
على قومه ليؤمن به ولأن
بعث وهم أحياء لينصروا
وهذا احتجاج على

وينصرفونه وهذا قول كثير من المفسرين وللمراد من قوله لم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقاً لمعهم هو أن كيفية أحواله مذكورة في التوراة والانجيل فلما ظهر على أحوال مطابقة لما كان مذكوراً في تلك الكتب كان نفس حججه تصديقاً لما كان معهم (قال) الله تعالى لهم (أقررتهم) بالإيمان به والنصرة له (وأخذتم على أي قبلمت على عهدي (قالوا) أي التبنون (أقررتنا) بذلك (قال) الله تعالى (فاشهدوا) وأنتم معكم من الشاهدين) أي فليشهد بعضكم على بعض بالقرار وأنا على إقراركم وشهاد بعضكم بضمان الشاهدين (فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أي من أعرض عن الإيمان بهذا الرسول وبنصرته بعدما تقسم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الإيمان (أفخير دين الله يبينون له أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون) والوجه في هذه الآيات هنا للإشفاق لما كان مذكوراً في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عاقلين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة فلم يبق لكفرهم سبب إلا مجرد العداوة والحسد وأما كابلوس الذي دعاه الحسد إلى الكفر فأعلمهم الله أنهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين ديناً غير دين الله ومعبوداً سوى الله تعالى ثم بين أن الأعراض عن حكم الله تعالى عاقل لا يليق بالثقل فقال له أسلم من في السموات والأرض أي جلجل الله تعالى لغيره اعتقاد في طرقي وجوده وعلمه لأن كل ماسوى الله يمكن لذاته وكل يمكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاده ولا يسلم إلا بأعلامه سواء كان عقلاً ونفساً أو روحاً وجسماً أو جوهاً أو عرضاً أو ظاهراً وفعلوا ونظروا هذه الآية في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى والله يسجد من السموات والأرض فالسالمون الصالحون ينقادون لله طوعاً وفيما يتعلق بالدين وينقادون له كرهاً فيما يخالف طبعهم من الفقر والمرض واللوث وما أشبه ذلك أما الكفار ومن فهم منقادون لله تعالى كرهاً فيما كل حال لأنهم لا ينقادون فيما يتعلق بالدين ويخضعون له تعالى في غير ذلك كرهاً لأنه لا يمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وإيضاً كل الخلق منقادون لأهليته تعالى طوعاً بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ومنقادون لتسليمه تعالى وإيجاده للألام كرهاتهم المحزنة للاستفهام التوبيخي وموضعها لفظة يعنون والتقدير أيغفون غير دين الله لأن الاستفهام إنما يكون عن الفضائل الحوادث وقرأ أحصص عن عاصم يعنون ويرجعون بالياء على الضمة فيها أي أعاد ذكر الله تعالى حكاية أخذ للشيء خبر بين أن اليهود والنصارى يلزمهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما أصروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أفخيريدين الله يعنون وقرأ أبو عمر وتبعون بالياء خطاباً لليهود وغيرهم من الكفار ويرجعون بالياء يرجع إلى جميع الكافرين للذكورين في قوله تعالى وله أسلم من في السموات والأرض وقرأ الباقون بالياء على الخطاب فيها لأن ما قبلها مخاطب كقوله تعالى أقررتهم وأخذتم وأيضاً لا يبعد أن يقال أسلم والكفار أفخيريدين الله تبعون مع علمك بأنه أسلم له تعالى من في السموات والأرض وأن مرجعهم إليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولذا كراهه تعالى في الآية المتقدمة أنه أعاد أخذ للشيء على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مخصداً لما معهم بين الله تعالى من صفته محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقاً لما معهم فقال (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط) من الصحف والمراد بالاسباط أحفاد يعقوب وأبنائه الاثنا عشر (وما أوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما (والتيون من ربهم) من

(أأقررتهم) أي قال الله للذين أأقررتهم بالإيمان والنصرة له (وأخذتم على ذلكم عصري) أي قبلمت عهدي (قالوا) أقررتنا قال (فاشهدوا) أي على أنفسكم وعلى أتباعكم (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) أي أعرض (بعد ذلك) أي بعد أخذ للشيء وظهور آيات النبي صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن الإيمان (أفخير دين الله يبينون) أي بعد أخذ للشيء عليهم بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً) يعني لللائكة والسلمين (وكرهاً) يعني الكفار في وقت البأس (إليه) ترجعون (وعيد لهم أي أيغفون غير دين الله مع أن مرجعهم إليه (قل آمنا بالله) أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول آمنا بالله وبجميع الرسل من غير تفرق بينهم في الإيمان كما فلت اليهود والنصارى ونظير هذه الآية قد مضى في سورة البقرة

الكتب والعجرات (لا تفرق بين أحدهم) أى تقر بأنهم كانوا بأسرهم على دين واحد فى الدعوة
الى الله وفى الانقياد لكافة الله ولا تكفر بأحدهم كاضل اليهود والنصارى (وتعنه مسلمون)
أى مستسلمون لأمر الله بالرضا وترك مخالفة لاسمة ورياء وطلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله
والكافرون يوصفون بالمخاربة لله ولحقائقه تعالى وتعنه مسلمون بين أن الدين ليس الاسلام فقال
(ومن يشق غير الاسلام) أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله (دينا فلنقبل منه وهو فى الآخرة
من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب وحق التأسف على ما فاته فى الدين من العمل الصالح
وعلى ما حمله من التحصيف الدنيا فى تقرير الدين الباطل ولفظ ديننا امام مفعول وغير الاسلام حال منه
مقدم عليه أو غير أو بدل من غير (كيف يهدى الله قوما كفروا) أى كيف يخلف الله فيههم للفرقة
والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعلمائهم) بالقلب (وشهدوا) أى والحال هم قداماً و
باللسان (أن الرسول) عداً (حق وجاههم البينات) أى الصحيح الظاهرة على صدق
النبي ﷺ (واقه لا يهدى القوم الظالمين) أى الكافرين الأصليين والمرتدين وهذه الآية نزلت
فى شأن الذين ارتدوا ولحقوا بكه وهم اثنا عشر رجلاً منهم أبو عامر الراهب والحرث بن سويد
ابن الصامت ووضوح بن الأسلم وطعينة بن يرق كأخراجه عكرمة وابن عسكراً (أولئك جزأهم
أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فأن لعنة الله هى الابدان من الجنة وانزال العقوبة
واللعنة من الملائكة والناس هى بالقول وكل ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء
لذلك وجيع الخلق يلغونو للبل والكفر ولكنه يشق فى ذلك أنه ليس بمطل ولا بكفر فإذا لعن
الكافر وهو فى علم الله كافر فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالفين فيها) أى اللعنة فلا تزال
تضمر للملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار فلا يخلوئى من أحوالهم من أن يلغىهم لآعن من هؤلاء
(لا تخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يؤخر عنايتهم من وقت الى وقت (الذين تابوا)
من الكفر (من بعد ذلك) أى الارتداد (وأصلحو) باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فان
الله غفور) لقباً لهم فى الدنيا بالسر (رحيم) فى الآخرة بالمغفرة لهذه الآية شأن الحرث
ابن سويد وهو رجل من الأنصار فانه لما لحق مكة مرتداً ندم على رده فآرسل الى قومه بالمدينة
أن يسأوا النبي ﷺ هل فى من نوبة ففعلوا فآزال الله هذه الآية فبعت اليه أخوه الجلاس
مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة وتلقى على يد رسول الله ﷺ وقبل الرسول توبته وحسن
اسلامه (ان الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفراً) أى ثم أصروا
على الكفر (ان تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضى والقفال وابن الانبارى لما
قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الإيمان وبين أنه أهل اللعنة الآن يتوب ذكر فى هذه الآية أنه
لو كفر مرة أخرى بعد تلك التوبة فانها تصير غير مقبولة وكأنها لم تكن والتقدير الا الذين تابوا من بعد
ذلك وأصلحو فان الله غفور ورحيم فان كانوا كذلك ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (وأولئك هم
الضالون) على سبيل الكمال عن الهدى (ان الذين كفروا) بالله والرسول (وتابوا وهم كفار) بالله
والرسول (فلن يقبل من أحد منهم بل الأرض) أى مقدار ما علا الأرض مشرقها ومغربها (ذهابوا)
افتدى به) قال الزجاج ان الواو والظبط والتقدير لو تقرب الى الله فى الدنيا بل الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك
مع كفره ولو افتدى من العذاب فى الآخرة بل الأرض ذهباً لم يقبل منه أولئك بالواو التعميم فى الأحوال
كانه قبل لن يقبل من الكافر فى جميع الأحوال فى الآخرة قوله فى حال افتدائه نفسه فى الآخرة (وأولئك هم

(كيف يهدى الله قوما)

هذا لاستفهام بمنا الانكار

أى لا يهدى الله قوما

(كفروا بعد إيمانهم)

يعنى اليهود كانوا مؤمنين

بمحمد ﷺ قبل مبينه

فلما تب كفروا به وقوله

(وشهدوا) أى بعد ان

شهدوا (أن الرسول حق

وجاههم البينات) أى ما بين

فى التوراة (واقه لا يهدى

القوم الظالمين) أى لا يرشد

من تقصص عهد الله وعظم

نفسه (أولئك عليهم لعنة

الله) مثل هذه الآية قد مضى

فى سورة البقرة (الذين

تابوا من بعد ذلك) أى

راجعوا الى ما بان باقوه تصديق

نبيه (وأصلحو) أعمالهم

(ان الذين كفروا بعد

إيمانهم) وهم اليهود (ثم

ازدادوا كفراً) بالاقامة

على كفرهم (ان تقبل

توبتهم) لأنهم لا يتوبون

الا عند حشر الموت وتلك

التوبة لا تقبل (ان الذين

كفروا وتابوا وهم كفار

فلن يقبل من أحد منهم بل

الأرض ذهباً) وهو القدر

الذى يملأها يقولوا افتدى

من العذاب بل الأرض

ذهباً لم يقبل منه

كان حلالا لى اسرائيل)
أى حلالا (لا ما حرم
اسرائيل على نفسه من
قبل أن تنزل التوراة)
وذلك أن يعقوب مرض
مرضا شديدا فنذر لئن
عطاه الله ليحرم من أحب
الطعام والشراب إليه وكان
أحب الطعام إليه لحم
الابل وأحب الشراب إليه
ألبانها فلما دعى النبي عليه السلام
أنه على دين ابراهيم قال
اليهود كيف وأنت تأكل
لحوم الابل وألبانها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كان
كل ذلك حلالا لابراهيم
فأدعت اليهود أن ذلك
كان حراما على ابراهيم
فأنزل الله سبحانه تكذيبا
لهم وبين أن ابتداء هذا
التحريم لم يكن في التوراة
وأما كان قبل نزولها
وهو قوله من قبل أن
نزل التوراة (قل فاتوا
بالتوراة) الآية (فمن
افترى على الله الكذب)
يعنى بإضافه هذا التحريم
الى الله على ابراهيم وفي
التوراة (من يبدلك)
أى من بعد ظهور الحجة
بأن التحريم إنما كان من
جهة يعقوب (فأولئك هم
الظالمون) أنفسهم (قل
صدق الله) في هذا وفي

عنايبكم والملم من ناصرين) في دفع العنايب عنهم أو في تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب
والجنة أولن تبلغوا الى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم وعلمكم وجهكم
في معونة الناس وبهتكم في طاعة الله ومهتكم في سبيله (ومانتفقوا من شيء) يريدون بهوجه الله
أو مودة الناس (فان الله يعلم) هذا تعليل للجواب الخوف أى فيجوز لكم بحسبه جيدا كان
أوردنا فانه تعالى علم بكل شيء تنفقونه من ذاته وصفاته غلما كاملا بحيث لا يتنى عليه شيء (كل
الطعام) أى كل طعام حلال على عهدنا (كان حلالا لى اسرائيل) أى كان حلالا أكله على
أولاد يعقوب (الماحرم اسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة)
على موسى وذلك بعد ابراهيم بألف سنة * روى ابن عباس أن النبي عليه السلام قال ان يعقوب مرض
مرضا شديدا فنذر لئن عطاه الله ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه
لحوم الابل وأحب الشراب إليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة الى أكل تلك الأنواع فامتنع
من أكلها ففرا لنفسه وطلبا لمرضاة الله تعالى كما فعله كثير من الزهاد فصر عن ذلك الامتناع
بالتحريم وروى أن اليهود قالوا للنبي عليه السلام انك تدعى ناك على ملة ابراهيم فكيف تأكل
لحوم الابل وألبانها مع أن ذلك حرم في دين ابراهيم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال ان
ذلك كان حلالا لابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام الآن يعقوب حرمه على
نفسه بسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده أى فالحرمة عليهم ناشئة من نذره
أيضا فأنكر اليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار التوراة وباستخراج آية منها تدل
على أن لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام فحجروا عن ذلك فظهر أنهم
كانوا كاذبين في ادعاء حرمة هذه الأشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى (قل فاتوا بالتوراة
فأتواها ان كنتم صادقين) فدعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فمن افترى) أى اختلق (على
الله الكذب) بإدعاء أنه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على نبي اسرائيل وعلى من قبلهم من
الأمم (من يبدلك) أى من يبدلهم والتحريم بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد
ابراهيم (فأولئك) للصرور على الاقتراء بمنظور حقيقة الحال (هم الظالمون) المستحقون
لعنايب الله (قل صدق الله) في أن سائر الأطمعة كانت حلالا لى اسرائيل وأنها إنما حرمت على اليهود
جزاء على قيامهم (فاتبعوا ملة ابراهيم) أى ملة الاسلام التي هي الأصل ملة ابراهيم لأنها ملة
محمد عليه السلام (حنيفا) أى ملة الاديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) في أمر من
أمرودينه فانه لم يدع مع الله إلها آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الأوثان أو كما فعله
اليهود في ادعاء أن عزيرا ابن الله وكلفه التصاري في ادعاء أن المسيح ابن الله * ولما حول عليه السلام
القبلة الى الكعبة طعن اليهود في نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال
لأنه وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله
تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) أى ان أول بيت بني لعبادات الناس لبيت الذي هو بيكة
سميت مكة بكة لأنه بيك بعضهم بمنا أى يزدهون في الطواف وروى أنه عليه السلام سئل عن أول
بيت وضع للناس فقال للمسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعين سنة أى ان
آدم بنى الكعبة ثم بنى الأنصبي وبين بنائهما أربعين سنة (مباركا) أى ذابركم ما يجلب الفقرة والرحمة

ينتات) يعنى الشاعر
وللناسك كلها ثم ذكر
بعضها فقال (مقام ابراهيم)
أى منها مقام ابراهيم (ومن
دخله كان آمنا) أى من
حجه فدخله كان آمنا من
الدروب التى اكتسبها قبل
ذلك وقيل من النار (وقه
على الناس حج البيت)
عنه الإيجاب ثم خص وأبدل
من الناس فقال (من
استطاع إليه سبيلا) يعنى
من قوى فى نفسه فلا تلحقه
الشفقة فى الكون على
الراحلة فمن كان بهذه
الصفة وملك الزاد والراحلة
وجب عليه الحج (ومن
كفر) أى جحد فرض
الحج (فان الله غنى عن
المالين) قل يأهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من
آمن) كان صدقهم عن
سبيل الله بالتكذيب بالنبي
صلى الله عليه وسلم وأن
صقته ليست فى كتابهم
(تبغونها عوجا) أى
تطلبون بها عوجا بالنسبة إلى
يلسون بها على سفلتهم
(وأنتم شهداء) أى على
الثورة أن دين الله الاسلام
(بأبها الذين آمنوا ان
ظيعوا فرضا) الآية
نزلت فى الأوس والخزرج
حين أغرى قوم من
اليهود بينهم ليفتنوهم

(وهدى للمالين) أى قبله لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت الى جهة
صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازما فى دين جميع الأنبياء عليهم السلام بطريق قوله تعالى
أولئك الذين آمن الله عليهم من الذين آمنوا من ذرية آدم وعن حملناهم نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل
وعن هديناوا اجبتينا اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا بكيا فدللت الآية على أن جميع الأنبياء
عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبله فلو كانت قبله شيت واندرس ونوح عليهم
السلام موضعا آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى أن أول بيت وضع للناس لآنى بيكة فوجب أن يقال
ان قبله أولئك الأنبياء المتقدمين هى الكعبة فدل هذا على أن ههنا الجهة كانت أبدا مشرفة مكربة
(فيه آيات بينات) أى علامات واضحة كاعتراف الطيور عن موازاة البيت فلا تلو فوقه بل اذا قابل
هواه وهوى الجوارح عنه يمينا أو شمالا ولا يستطيع أن يقطع هواه الا اذا حصل له مرض فيدخل
هواه للتداوى ومخالطة شوارى السباع السيود فى الحرم من غير تعرض لها واهلاك أم صاحب الثيل
لما قصدوا غيره (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثيره عليه
فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين والآلة بعض الصخرة دون بعض وباقائه الأوف السنين
معجزة عظيمة (ومن دخله) أى الحرم (كان آمنا) أى ان من دخله فلنفس تقربا الى الله تعالى
كان آمنا من النار يوم القيامة وان الله اودع فى قلوب الخلق الشفقة على كل من اتجا إليه (وقه
على الناس حج البيت) أى قصدوه قز يارة على وجه مخصوص (من استطاع إليه) أى حج البيت
(سبيلا) أى بلا عجز وجود الزاد والراحلة والشفقة للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أى جحد فرض
الحج (فان الله غنى عن المالين) أى عن أيمانهم وحبهم قال الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى واليهود والصابئين والمجوس والمشركين
خطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فجدوا من به للسلمون وكفرت به للل الحس وقال
لاؤمن به ولا نصل إليه ولا نحبها فأنزل الله تعالى قوله ومن كفر فان الله غنى عن المالين أى ومن ترك
اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يأهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (لم تكفرون
بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال أن الله شهيد على أعمالكم ومجازيكم عليها
وهذه الحال توجب أن لا تجترعوا على الكفر بآياته (قل يأهل الكتاب) لم تصدون عن سبيل الله
من آمن) أى لم تصفون عن دينه الحق للوصول الى السعادة الأبدية وهومة الاسلام من آمن
بالله ومحمد وبالقرآن باضالك لشفقة المسلمين (تبغونها عوجا) أى تطلبون للسبيل زيفا
لانكم قلتم النسخ بدل على البدء وقولكم ورد فى الثورة ان شر يعتموسى باقية الى الأبد (وأنتم
شهداء) أن فى الثورة أن دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بنافل عما تعملون) قائم كانوا
يظهرون الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهرون القاء النسبة فى قلوب المسلمين بل
كانوا ياتلون فى ذلك بوجوه اصيل نزلت فيه الآية فى الذين دعوا عمرا وأصحابه الى دينهم اليهودية
(بأبها الذين آمنوا ان ظيعوا فرضا من الذين آمنوا) هم شاس بن قيس وعمر بن شاس
وأوس بن قيطى وجبار بن سحر (ردوكم) أى يصيروكم (بعدا عما كنتم) كافرين وكيف تكفرون
وأنتم تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أى كيف يوجدهم منكم الكفر والحال أن القرآن الذى فيه

عن دينهم ثم خاطبهم فقال (وكيف تكفرون) أى على أى حال يقع منكم الكفر (وأنتم تلى عليكم آيات الله) أى وآيات الله التى تدل
على توحيدته تلى عليكم (وفيكم رسوله

ويذكر فلا يذنب، ويشكر فلا يكفر فلما نزل هذا قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقوى على هذا وشق عليهم فأنزل الله فاتقوا الله ما استطعتم فنسخ الأولى (ولا تخوفن الا وانتم مسلمون) أي كونوا على الاسلام حتى اذا اناكم للوث صادفكم عليه وهو في الحقيقة نهى عن ترك الاسلام (واعتصموا بحبل الله جميعا) أي تمسكوا بدينه والخطاب للآلوس والخزرج (ولا تفرقوا) كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (اذ كنتم أعداء) يعني ما كان بين آلوس والخزرج من الحرب الى أن أنف الله بين قلوبهم بالاسلام فزال تلك الأحقاد وصاروا اخوانا متوادين فذلك قوله تعالى (فأنف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة) أي طرف حفرة (من النار) لو كنتم على ما كنتم عليه (فأنفدكم منها) أي نجاكم منها بالاسلام وبمنحله صلى الله عليه وسلم (كذلك)

بيان الحق من الباطل بتلى عليكم على لسان نبيكم غرض طرى ومعكم رسول الله الذي يبين الحق ويدفع الشبه روى أن شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنصر على نفر من الأنصار الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة يركة الاسلام فشق ذلك على اليهود جلس اليهم وذكروا لهم ما كان بينهم من الحروب قبل ذلك في بسات وهو موضع في المدينة وكان يوم بسات يوم القتل فيه الأوس والخزرج قبل بيمته صلى الله عليه وسلم بمائة وعشرين سنة وكان الظفر فيه للأوس وقرأ عليهم بعض ما قيل في تلك الحروب من الأشعار فتنازع القوم وقاضوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القليلتين خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فبين معهم المهاجرين والأنصار وقال أرجون الى أحوال الجاهلية وأنا بين أظهركم وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فصرف القوم أن ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك اليهودي فألقوا السلاح وعاقب بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم أقيح أولا وأحسن آخر من ذلك اليوم قال الامام الواحدى اصطفا القتل فزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفيين فقرأ من ورق صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعاقب بعضهم بعضا وجعلوا يبكون (ومن يتصم بالله) أي من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقهدي) أي فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أي الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حق معاذ وأصحابه ثم نزل في أوس وخزرج خصومة كانت بينهم في الاسلام افتخروا فيها بغير غنى وأسدعين زلزال بالقتل والثارة في الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي كما يجب أن يتقوا وهو استغفار الواسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحرم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغي (ولا تخوفن الا وانتم مسلمون) لفظ النهي واقع على اللوث وللقصود الأمر بالقامة على الاسلام أي ودوموا على الاسلام الى اللوث وذلك لان ما كان بينكم من الثبات على الاسلام حتى اذا اناكم للوث وهم على الاسلام صار اللوث على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فيوسهم (واعتصموا بحبل الله) أي بدينه وهودين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعا) أي مجتمعين في الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقض عجائبه ولا يخلف عن كثرة تاردين قال بصديق ومن عمل به رشد ومن اعتصم بهدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداهم يكون ضللا (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دينية وأخرية (اذ كنتم في الجاهلية) أي في الجاهلية (أعداء) يعني بعضكم بعضا ومحارب بعضكم بعضا (فأنف بين قلوبكم) أي قف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم بنعمته) أي نصرهم بدينه الاسلام (اخوانا) في الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي على طرفها أي وكنتم قريبين من الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم اللوث على تلك الحالة لوقتم فيها فليس بين الحياة واللوث للستام للوقوع في الحفرة الاما بين طرف الشيء الذي هو مثل الحياة وبين ذلك الشيء الذي هو مثل اللوث (فأنفدكم منها) أي أنجاكم من تلك الحفرة بأن هذا كلالاسلام (كذلك) أي مثل البيان للذكور (بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا من الضلالة (ولكن منكم أمة)

(ولا تكونوا كالذين
تفرقوا) يعنى اليهود
والنصارى (واختلفوا
من بعد مجيئهم الييننا)
يعنى ان اليهود اختلفوا
بعد موسى فصاروا فرقا
وكذلك النصارى (يوم
تبيض وجوه) يعنى وجوه
المهاجرين والأصناموس
آمن بمحمد (وتسود
وجوه) أى وجوه اليهود
ومن كذب به (فأما الذين
أسودت وجوههم) فيقال
لهم (أكفرتم بما يأمركم)
لأنهم شهدوا محمد صلى الله
عليه وسلم بالنبوة فلما قدم
عليهم كذبوه وكفروا به
(وأما الذين أبيضت وجوههم
ففي رحمة الله) أى جنته
(تلك آيات الله) يعنى
القرآن (تلاوها عليك)
أى نبينها (بالحق) يعنى
بالصدق (وما الله يريده
ظلما للملئين) أى فيعاقبهم
بلا جرم (كنتم خير أمة)
أى عند الله عز وجل في
اللوح المحفوظ يعنى أمة
محمد صلى الله عليه وسلم
(أخرجت للناس) أى
أظهرت للناس لما أخرج
الله للناس أمة خيرا من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم
مدحهم بما فيهم من الخصال
فقال (تأمروا بالعرف)
الآية

أى وتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يبدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة
هى دعوة الى إثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة المكنات (وأيامرون بالعرف)
والأمر بالمعروف تابع للأمر بهان كان واجبا فواجب وان كان مندوبا فتدبوا (ويهنون عن
النكر) فالتهى عن الحرام واجب كالأمر تركه واجب وهذه الأمور من فروض الكفايات لانها
لا تليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لا يوقع الأمور أولئهى في زيادة الفجور فان الجاهل
ربما دعا الى الباطل وأمر بالنكر ونهى عن المعروف وقد يظن في موضع الدين ويلين في موضع
الغلظة (وأولئك هم الفلاحون) أى المتحصنون بكال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من
أمر بالمعروف ونهى عن النكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالمداوة واختلفوا في الدين أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل
واحد من أولئك الاحبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق وان صاحبه
على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أضفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين
بهذه الصفة فنسأل الله المغفرة والرحمة (من بعد مجيئهم الييننا) أى الآيات الواضحة المبينة للحق
للوحيمة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك) الذين تفرقوا (لهم عذاب عظيم) في الآخرة بسبب
تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم تظهر بهجة السرور على قوم وسمويا يياض
الوجه والصحيفة وأشراق البشرة وسى النور أمامهم ويمحى عنهم يوم تظهر كآبة الخوف والخرن
على قوم وسمويا أسود اللون والصحيفة والخطاة الفالمة بهم من كل جانب وقرى تبيض وتسود (فأما
الذين أسودت وجوههم) فيلقون في النار وتقول لهم الزانية (أكفرتم بما يأمركم) أى بعد
ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو الدلائل التى نصها الله تعالى على التوحيد والتبوة وقال عكرمة
والاصم والزجاج أى أكفرتم بأهل الكتاب بمدينة محمد صلى الله عليه وسلم بما يأمركم به قبل
مبعثه (فتدفعوا العذاب) والأمر بدوق العذاب على طريق الاهانة (بما كنتم تكفرون) أى
بسبب كفركم (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله) أى في جنة الله وعبر عنها بالرحمة تنبيه على
ان المؤمنين وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرى ايباض
كافرى أسودت (هم فيها خالدون) أى لا يظنون عنها ولا يموتون (تلك) أى الآيات المستمرة
على تنعيم الاررار وتغذيب الكفار (آيات الله) أى دلائل الله (تلاوها عليك بالحق) أى بالحق
الحق أو متلبسة بالعدل من اجزاء الحسن والمسي بما يستوجبه (وما الله يريده ظلما للملئين) أى
ما يريد الله فردا من أفراد الظلم لفرد من أفراد الملئين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يفعله وأما ظلم
بعضهم بعضا فواقع كثيرا وكل واقع فهو بارادته تعالى (وقد ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا
احياء وامانة وأمانة وتغذيا (والى الله) أى الى حكمه (ترج الأمور) فيجوزى كالأمر (كنتم خير
أمة أخرجت للناس) أى أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفضل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف
أى بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وتنبهون عن النكر) أى عن الشرك وخلافة الرسول
(وتؤمنون بالله) ايمانا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة
هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم
خير أمة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى ايمانا كاملا كما يأمركم (لكان)
أى ذلك الايمان (خير لهم) فانهم أتروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام

(لن يضروكم) يعنى
اليهود (الاذى) أى
الاضرا يسيرا بالسان
مثل الوعيد والبهت (وان
يقاتلوكم يولوكم الأديار)
أى منزعين وعد الله
تعالى نبيه والمؤمنين النصره
على اليهود وصدق وعده
فلم يقا تل يهود للدينه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا لتزيموا (ضربت
عليهم النلة) مضى الكلام
فى هذا (أينا نتقوا) أى
وجدوا وصودقوا (الاجبل
من الله) أى لكن
قد يصتمون بحبل من الله
أى بالعهد اذا أعطوه
والذى أنهم آذله فى كل
ن الا أنهمكم يصتمون
بالعهد والمراد بحبل الله
وحبل الناس العهد والعهده
والامان الذى يأخذونه
من المؤمنين باذن الله
وباقى الآية منكر
فى سورة البقرة ثم أخبر
أنهم غير متساوين فى دينهم
فقال (ليسوا سواء) وأخبر
أن منهم المؤمنين فقال
(من أهل الكتاب أمة
قائمة) أى على الحق
(يتلون) يقرأون (آيات
الله) كتاب الله أى
يقرأون آيات الله (آناه
اللبل) أى ساعته يعنى
عبد الله بن سلام ومن آمن
معه من أهل الكتاب
(وهم يسجدون) أى
يصلون

ولو آمنوا حصلت لهم هذه الزيادة فى الدين مع الثواب العظيم فى الآخرة فكان ذلك خيرا لهم عما كانوا
(منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشى ورهطه من النصارى
(وأكثرهم الناصيون) فى أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلها لأن المسلمين
لا يقبلونهم لكفرهم والكفار لا يقبلونهم لكونهم مفسقين فيما بينهم فليسوا ممن يجب الاقتداء بهم البتة
عند أحد من العقلاء (لن يضروكم الأذى) أى لن يضركم اليهود ضررا البتة الاضرا يسيرا وهو
أذى أى ليس على المسلمين من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوكم بالسان اما بالطن
فى محمد وعيسى عليهما السلام واما بظاهر كلمة الكفر كقولهم عز ربان الله واما بتحريف نصوص
التوراة واما بالقاء الشبقي الاسماع واما بتخويف الضمقة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الأديار)
أى ينزمو من غير أن يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) أى ثم أخبركم أنهم بعد صبر ورتهم
منزعين لا يحصل لهم شوكة ولا قوة ولا يجدون النصره قط بل يقولون فى النلة أبدا كما قال تعالى
(ضربت عليهم النلة) أى جعلت عليهم النلة بأن يحاربوا و يقتلوا وتغنم أموالهم ونسب ذرارهم
وتملك أراضيهم (أينا نتقوا) أى صودقوا فلا يقرون أن يقوموا مع المؤمنين (الا) أن يصتموا
(بحبل من الله وحبل من الناس) أى المؤمنين فالامان الحاصل للذى فسبان أحدهما الذى نص
الله عليه وهو أخذ الجزية وثانيهما الذى فوض الله لى رأى الامام فيز يد فيه قارة وينقص بحسب
الاجتهاد فالأول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين (وإذا ما غضب من الله) أى
داموا فى غضب الله أو استوجبوا العنة الله (وضربت عليهم المسكنة) أى جعل عليهم زى الفقر واليهود
فى غالب الاحوال مساكين تحت أيدى المسلمين والنصارى (ذلك) أى لزوم النلة والمسكنة
وللك فى العنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم حتى
يعرفونها وبسائر الآيات القرآنية (ويقولون الأنبياء غير حق) أى بلا جرم فإن الذين قتلوا الأنبياء
أسلافهم وهؤلاء لا تأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب اليهم كما كان التحريف من أفعال أسيارهم
يفسب الى كل من يتبعهم (ذلك) أى الكفر والقتل (عاصوا) فى السب (وكانوا يستبدون) أى
يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أبو بابل للعاملات مع الله من ابتلى بترك الأداب وقع فى ترك
السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقاق
الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر (ليسوا) أى جميع أهل الكتاب (سواء) أى فليس من آمن
منهم كمن يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى جماعة سدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبادة بن سلام
وطلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسدين عبيد من أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير وابن
أبى حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال هم عبادة بن سلام وأخوه طلبة بن سلام
وسعية وميس وأسيد وأسيد هما ابنا كعب قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام
وأصحابه قالت أسيرة اليهود ما آمن بمحمد الأشرار ناولوا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأزل الله تعالى هذه
الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أى يقرأون القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أى يصلون
التهجد فى الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسمى سجودا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الحيرات) أى يبادرون مع كل الرغبة فى فعل أصناف
الحيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك) للوصوفون بالصفات السبعة (من الصالحين) أى من
جمله الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاهم ثناء وقال ابن عباس أى من صالحى أمة محمد صلى

الله عليه وسلم ويقال مع صالحى أمة محمد فى المجتمع أبى بكر وأصحابه واعلم ان اليهود كانوا أيضا يقومون فى البالي للتعبد وقراءة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتهجد وقراءة القرآن أرفد ذلك بقوله يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات فالإيمان بالله يستلزم الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله وكتبه والإيمان باليوم الآخر يستلزم المنع من المعاصى فإيمان اليهود بالله مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل وصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم الاحتراز عن معاصى الله واضلال الناس وصدهم عن سبيل الله ومبادرتهم إلى الشرور واعلم ان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والحير لأجل العمل وأفضل الأعمال الصلاة وأفضل الأذكار ذكر الله وأفضل المعارف معرفة للبهة ومعرفة للماد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة إلى الأعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر إشارة إلى فضل المعارف الخاصة بقلوبهم فكان هذا إشارة إلى كمال الحليم فى القوة العملية وفى القوة النظرية وذلك أكمل أحوال الانسان وهى الرتبة التى هى آخر درجات الانسانية وأول درجات الملكية واعلم ان الغاية القصوى فى الكمال أن يكون تاما فوق تمام فكون الانسان تاما ليس إلا فى كمال قوته العملية وقوته النظرية وكونه فوق تمام أن يسمى فى تكميل الناقصين وذلك بطريقين إما بإرشادهم إلى ما ينبغي أو بمنعهم عما لا ينبغي ثم الوصف بالصلاح غاية للحد وبدل عليه القرآن والعقل فان صلاح ضد الفساد وكل ما لا ينبغي فهو فساد سواء كان فى العقائد أو فى الأعمال فإذا حصل كل ما ينبغي فقد حصل الصلاح فكان الصلاح دالا على أكل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرأ حزنه والكسالى وحفص عن عاصم بآية فى القليل لأن الكلام متعل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرت بسبب هذا الإيمان قال تعالى وما يفعلوا أى عبد الله ابن سلام وأصحابه من خير مما ذكر ويقال من احسان الى محمد وأصحابه فلن يكفروا أى لن ينسئ ثوابه بل يشاؤوا وقرأ الباقون باللهاء فيهما على الخطاب لجميع المؤمنين الذين من حلتهم هؤلاء أى وما يفعلوا معاش المؤمنين من خير فلن تمتعوا ثوابه وجزاءه بل تجازوا عليه (والله عليم بالمتقين) وهذا بشاره لم يجز بل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده تعالى إلا أهل التقوى (ان الذين كفروا لن تنفى عنهم) أى لن تدفع عنهم (أموالهم وأولادهم من الله) أى من عذابه (شيئا) وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الأموال والأولاد بالذكر لأن انفع العبادات هو الأموال وأنفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى أن الكافر لا ينتفع بهما البتة فى الآخر وذلك بدل على علم ارتفاعه بأسائر الأشياء بطريق الاولى (مثل ما ينتفعون) أى الكفار (فى هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر) أى يرد مهلك أو حرم حرقت (أصاب حرق قوم ظلموا أنفسهم بالكفر وللعاصى فاهلكه) والذى مثل الكفر فى اهلاكه ما ينتفعون كمثل الريح للهلكة للزرع أو مثل الكافر الذى انفق أمواله فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان إلى الضعفاء والايتم والأرامل وكان ذلك للنفاق يرجو من ذلك الانفاق حبرا كثيرا فإذا قدم الآخر قرأى كفره مبطلا لأن آثار الخيرات فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفعاً كثيراً فأصابته ريح فأحرقته فلابقى معه إلا الخرن والأسف هذا اذا أنفقوا الأموال فى وجوه الخيرات أما اذا أنفقوها فيما ظنوا منه من الخيرات وهو للعاصى مثل انفاق الأموال فى إيذاء رسول الله وفى قتل المسلمين وتخريب ديارهم فهو أشد

(وما يفعلوا من خير
فلن تكفروه) أى لن
تجحدوا جزاءه (ان الذين
كفروا) الآية سبقت فى
أول هذه السورة (مثل
ما ينتفعون فى هذه الحياة
الدنيا) يعنى نفقة سفلة اليهود
على علمائهم (كمثل ربح
فيها صر) أى يرد شديد
(أصاب حرق قوم ظلموا
أنفسهم) بالكفر والمعصية
أعلم الله تعالى أن ضرر
نفاقهم عليهم كضرر هذه
الريح على هذا الزرع

(وما ظلمهم الله) لأن كل ما فعله بخلافه فهو حسنة عدل (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر والعصيان ثم همى المؤمنون عن مباطلتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لاتخفوا) (١١٣) بطانة أي دخلا وخوفا (من دونكم) أي من غير أهل

(117)

ملئكم (لا يألونكم خيالا)
أى لا يدعون جهنم
في مضرتكم وفسادكم
(ودوا ما عنتم) أى تمخروا
ضلالكم عن دينكم
قد بدت البغضاء أى
ظهرت العداوة (من
أقوامهم) بالشيعة
والواقعة في السلمين
(وما تخفى صدورهم)
من العداوة والحياة
(أصغر قد بينا لكم
الآيات) أى علامات
اليهود في عدوانكم (إن
كنتم تتقون) موقع نفع
البيان (ها أنتم) هاتينيه
دخل على أتم و (أولاه)
في معنى الذين كأنه قال
ها أنتم الذين (تحبونهم
ولا يحبونكم) أى تريدون
بهم الاسلام وهم يريدونكم
على الكفر (وتؤمنون
بالكتاب) أى بالسك
وهو اسم جنس (واذا خلوا
عضوا عليكم الأنامل) وهى
أطراف الأصابع (من
الغيظ) التقدير عضوا الأنامل
من الغيظ عليكم وذلك لما
يرى من اتلاف المؤمنين
واجتماع كلمتهم (قل موتوا
بشيظكم) أمر الله نبيه أن
يدعو عليهم بدوام غيظهم
إلى أن يموتوا (إن الله يعلم

بذات الصدور) أي بما فيها من خير وشر (إن تمسككم حسنة) أي نصر وغنيمة (تسوهم) أي
تخزنهم (وإن تمسككم سيئة) أي ضد ذلك (تفرحوا بها وإن تصروا) أي على ما تمسعون من أذاهم (وتتقوا) مقارنتهم وبخالطهم

كل ما نهاكم عنه وتوكلوا في أموركم على الله (لا يضركم كيدهم) أي حيلهم التي يدبرونها لأجلكم (شيئا) من الضر لأن كل من صبر على أداء أوامره تعالى واتفق كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره حيل المحتالين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ولا يضركم بفتح اليا وكسر الصاد وسكون الراء والباقون لا يضركم بضم الصاد والراء للشدة على الجزم بسكون مقدر للاتباع وروى الفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء للتخفيف (إن الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق القراءة العشرة أي أنه عالم بما يعملون في معاداتكم فيما يعامل عليه وفي قراءة شاذة بالتاء والمعنى أنه تعالى عالم بما تعملون من الصبر والتقوى فيفعل بكم ما أتم مستحقونه (واذ غدت من أهلك) أي واذكر يا بشر الخلق لأصحابك وقت خروجه من عند أهلك أي من حجرة عائشة إلى أحد ليتذكر ما وقع في ذلك الوقت من الأحوال الناشئة من علم الصبر ففعلوا منهم ولزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة روى أنه عليه السلام ذهب من منزل عائشة في المدينة فمشى على رجله إلى أحد بعد صلاة الجمعة في نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت وجعل يصف أصحاب القتال وكانوا ألفا وأقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل عليه السلام ظهره وظهر عسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة الكفار فالتفتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا نبي الله إنهم يرونك في هذا للقمام فاذا غابت عنك ولوكم الأديار فلا تطلبوا المديبرين ولا تغربوا من هذا للقمام فلما اتفق الفريقان انهزم عبد الله بن أبي مع ثلثمائة من المنافقين فبقوا من عسكر المسلمين سيمائة ثم قوام الله حتى هزموا للمشركين ثم طلبوا المديبرين وتركوا ذلك للقمام واشتغلوا بطلب الغنائم وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرق الله الرعب من قلوب المشركين فسكر عليهم للمشركين وفرق للمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجه الرسول وكسرت رابعيته وثلت يد طلحة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد وقت السبيحة في السكران محمدا فقتل وكان رجل يركي أباسقيان من الأنصار نادى الأنصار وقال هنا رسول الله فرجع إليه المهاجرون والأنصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثروهم الجراح وكل ذلك يؤكده قوله تعالى وإن تصبروا وتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والظفر إنما حصل ببركة طاعتهم لله ورسوله واليه يقوموا مع عدوهم (نبؤي المؤمنين مقاعد للقتال) أي تنزل المؤمنين بأحد مكانة لقتال عدوهم (واقه سميع) لأقوالكم (علم) بضرركم وبناتكم فإن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في ذلك الحرب فنهىهم من قتاله أتم بالبدنية وهو عبد الله بن أبي وأكثرت الأنصار ومنهم من قتاله أخرج إليهم وكان لكل أحد غرض (اذهمت طائفتان منكم) بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناح العسكر (أن تفشلا) أي بأن نجينا عن قتال العدو يوم أحد وتربحوا روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين وعلمهم النصران صبرا فلما بلغوا عند جبل أحد أنزل ابن أبي النفاق مع ثلاثمائة من أصحابه للمنافقين وقال يا قوم لا شيء قتل أنفسنا وأولادنا فتبهم عمر بن حزم الأنصاري وأبو جابر السلمي وقال أناسكم بالله في حفظ نبيكم وأنفسكم أي فأنكم لو رجعتما فتكتم نصرة نبيكم وفاتكم وقاية أنفسكم من العذاب لتخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبي ولم تقاتلنا تبعكم فهم الطائفتان أتباع عبد الله بن أبي فصممهم الله فنبئتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (واقه وليهما) أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانهصمهم ولما حكى الله عن الطائفتين انهما همتا بالبين والضعف أبدلك بقصة بدر فإني أظن فقر والضعف

(لا يضركم كيدهم)

عداوتهم شيئا إن الله بما

يعملون محيط أي عالم به

فلن تعلموا جزاءه (واذ

غدت) يعني يوم أحد

(من أهلك) أي من منزل

عائشة رضي الله عنها

(تبؤي) أي تهبي

(المؤمنين مقاعد) أي

مراكز ومنايا للقتال

والله سميع لقولكم

(علم) بما في قلوبكم (اذ

همت طائفتان منكم) بنو

سلمة وبنو حارثة (أن

تفشلا) أن نجينا وذلك

أن هؤلاء هموا بالانصراف

عن الحرب فصممهم الله

(والله وليهما) أي ناصرهما

وموالهما (وعلى الله

فليتوكل المؤمنون) أي

فليتعمد في الكفاية

المؤمنون

والكفار كانوا فى غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصرهم فهدموا أعداءهم وفازوا بطلوبهم وقال تعالى (ولقد نصركم الله بيدر وأتم أدلة) بقلة العدو وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم القدرة على مقاومة المدفوعين المسلمين كانوا ثلثة وثلاثة عشر رجلا وما كان فيهم إلا فرس واحد والكفار كانوا قريبين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الأسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله) فى أمر الحرب واتخاذوا الأمير الذى معكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته تعالى ونصرته (اذ تقول المؤمنون) فإذا ما منصوب بنصركم ويكون هذا الوجد حصل يوم بدر وهذه الجملة من تمام قصة بدر وهو قول أكثر المفسرين وإما بدل من قوله أذهمت أو بدل ثان من قوله تعالى وإذا غنوت ويكون هذا الوجد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترضين الكلامين وهو مروى عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل وعبد بن اسحاق (ألن يكفيكم) مع عدوكم (أن يذكر بكم) أى ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء قرأ ابن عامر منزلين مشددا الزاى مفتوحة والباقون بفتح الزاى مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أى منزلين النصر (بلى) يكفيكم (ان تصبروا) مع نبيكم فى الحرب (وتتقوا) محبة الله ومخالفة نبيه عليه السلام (وبأتوكم) أى يأتوكم للشركون (من فورهم هذا) أى من ساعتهن هذه من جهة مكة (يذكر بكم) أى ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم بكسر الواو أى معلنين أنفسهم وأخيلائهم والباقون بفتح الواو أى معلنين بالصوف الأبيض فى نواصي الدواب وأذناها وأجودته أذنانهم أو مرسلين (وما جعله الله) أى ما جعل الله الامداد (الابشرى لكم) بأنكم تنصرون (ولطمأننهم) فلو بكم به أى بالمدد وفى ذكر الامداد مطاوع اذ داخل السرور فى قولهم حصول الطمأنينة على ان اعادة الله معهم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) لامن العدة والعدد ولامن عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام متعلق بقوله وما النصر والنعى والمقصود من نصركم ان يهلك الله طائفة من كفار مكة بقتل وأسر (أو يكتبهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا خائبين) أى يرجعوا منقطعى الآمال غير فائزين بطلوبهم بشئ (ليس لك من الأمر شيء) وهذه الآية نزلت فى قصة أحد لئلا يطمأننهم صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم لما روى ان عتبة بن رضى وقاص شجوه وكسر ربايعته وهى السن التى بين الثنية والثاب ثم أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لمن أقواما فقال اللهم انى أسأفان اللهم انى احزن بن هشام اللهم انى صفوان بن أمية فنزل قوله تعالى أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من الهزم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من اللثة وقال لأمثال منهم ثلاثين فنزلت هذه الآية ومات فى ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسر عشر ون مات من الكفار ستة عشر وروى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت بسبب أنه عليه السلام أراد ان يلمن المسلمين الذين خانوا أمره والذين انتهزموا يوم أحد فنهقه الله من ذلك وأما نصوص الله تعالى على المنع تقوية لصحته (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) وهذا انما مطوفان على الأمر والنهى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شيء ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء لأنه ليس لك من مصالح عبادى شيء الا ما أوحى اليك وليس لك من سؤال اهلكهم شيء لأنه تعالى أعلم بالمصالح فربما تاب الله

فانه شكر نعمتى (اذ تقول للمؤمنين) يوم بدر (ألن يكفيكم) الآية (بلى) تصديق لوعده الله (ان تصبروا) على لقاء العدو (وتتقوا) محبة الله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم (يذكر بكم) أى يأتوكم للشركون (من فورهم هذا) أى من ساعتهن هذه من جهة مكة (يذكر بكم) أى ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم بكسر الواو أى معلنين أنفسهم وأخيلائهم والباقون بفتح الواو أى معلنين بالصوف الأبيض فى نواصي الدواب وأذناها وأجودته أذنانهم أو مرسلين (وما جعله الله) أى ما جعل الله الامداد (الابشرى) أى بشرة (لكم ولطمأننهم) فلو بكم به (فلاتنجزع من كثرة العدو) (وما النصر الا من عند الله) لأن من لم ينصره الله فهو مخدول وان كثرت أنصاره (ليقطع طرفا) أى ينصركم بيدر ليقطع طرفا أى يهزم ركنان من أركان الشركين بالقتل والأسر (أو يكتبهم) أى يخزيهم ويذلمهم معنى الذين انتهزموا قوله (ليس لك من الأمر شيء) أى لما كان يوم أحد من الشركين ما كان من كسر ربايعه النبي صلى الله عليه وسلم وشجوه قال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو

يدعوه الى الله فأقر الله هذه الآية يعلم ان كثير منهم يؤمنون والنهى ليس لك من الأمر فى عذابهم أو استملاهم شيء حتى يقع انابهم أو تعذيبهم وهو قوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) ولما نفي الأمر عن نبيه عليه السلام ذكر ان جميع

عليهم أو معطوفان على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالأمر ضد التوبيخ والمضي ليس لك من أمر خلق شيء أو من توبتهم أو من تعذيبهم شيء إلا إذا كان على وفق أمرى والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول إلا ما كان بآذنه وأمره وهذا هو الإرشاد إلى أن كل درجات العبودية (فإنهم ظالمون) أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها لتبليغ حسن التعذيب والمضي أو يعذبهم فانه تعالى إن عذبهم أنما يعذبهم لأنهم ظالمون والمراد بالعذاب أواعذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فلم ذلك مقوض إلى الله (وقته ما في السموات وما في الأرض) (يفقر لمن يشاء) مفقرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وتقديم الغفرة على التعذيب لإعلام بأن رحمته تعالى سبقت غضبه وبأن الرحمة من مقتضيات الذات دون الغضب فانه من مقتضيات سيئلت العصاة (وأنه غفور رحيم) والغفرة والرحمة على سبيل الاحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لأن الطاعة لا توجب الثواب والمصيبة لا توجب العقاب بل الكل من الله يحكم المحبة وقهره وإرادته (يأبها الذين آمنوا لأنك لو أبا الضعفاء) على درهم (مضاعفة) في الأجل وكان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان ما قدرهم إلى أجل فآذناه الأجل ولم يكن للديون وأجد ذلك المال قال زيد في المال حتى أزيد في الأجل فربما جعله مائتين ثم أدخل الأجل الثاني فصل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعاها فهذا هو المراد من قوله أضعاها مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا ألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن للشركون أنما أنفقوا على تلك العساكر أموالا جمعوها بسبب الر باغفل ذلك يصير داعيا للسامعين إلى الأقدام على الر باحتي يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنوا من الانتقام منهم فحققتهم الله من ذلك (واتقوا الله) فيأتيهم عنه من أخذ الر با وغيره (لعلكم تفلحون) أي لكي تنجوا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تحضنوا ما يوجبها وهو استحلل محارم من الر با وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله للؤمنين بالنار للعدة للكافرين إن لم يتقوه واجتناب محارمه وفي الآية تنبيه على أن النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به وبما نهاكم عنه من أخطأ الر با وغيره (والرسل لعلكم ترحمون) الذي يلبسكم أو أمراقه ونواحيه فإن طاعة الرسول طاعة الله (وسارعوا) قرأنافع وابن عامر بضيروا أي بادروا واقبلوا وقرى شادة وسابقوا (إلى مغفرة من ربكم) أي إلى السلام كما قاله ابن عباس وإلى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبي طالب والسموات الخس وإلى الاخلاص كما قاله عتيان بن عفان وإلى الجهاد كما قاله الضحاك ومحمد بن إسحق وإلى التذكيرة الأولى كما قاله سعيد بن جبير وإلى جميع الطاعات كما قاله عكرمة وإلى التوبة من الر با والذنوب كما قاله الأصم وابن عباس (وجنة) أي فكاك توجب للسراعة إلى المغفرة فكذلك توجب للسراعة إلى الجنة فغنى القرآن إزالة العقاب ومعنى الجنة إيسال الثواب فلا بد للكلف من تحصيل الأمرين (عرضها السموات والأرض) أي عرضها مثل عرض السموات والأرض لوجعلت السموات والأرض طبقات بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحها مؤلفا من أجزاء لا تتجزأ ثم ووصل البعض ببعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله تعالى (أعدت) أي هيئت الجنة (للتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات التقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (في السراء والضراء) أي في حال الثنى والفقر أوفى سرور وحزن أو على وفق طبيعتهم وعلى خلافه كما يحكى عن بعض السلف أمر بما تصدق ببصلة

الأمر له فمن شاء عذبه ومن شاء غفر له وهو قوله (ولله ما في السموات وما في الأرض يفقر لمن يشاء) أي الذنب العظيم للوحدين (ويعذب من يشاء) يريد للشركون على الذنب الصغير (وأنه غفور) لأوليائه (رحيم) بهم (يأبها الذين آمنوا) لا تأكلوا الر با أضعاها مضاعفة) وهو أنهم كانوا يزبدون على المال ويؤخرون الأجل كلما أخر أجل إلى غيره زيد زيادة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة (واتقوا النار) بتحرير الر با وترك استحلاله (التي أعدت للكافرين) دون أهل الإيمان (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) أي إلى الإسلام الذي يوجب الغفرة وقيل إلى أداء الفرائض (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للتقين) لكل واحد من أوليائه (الذين ينفقون في السراء والضراء) أي في اليسر (والضراء) العسر وقوله لئال

وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين التيط) أى الكافين غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقصر على انفاذه ملائكة قلبه أمنا وإيماننا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه زوجته من الحور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس والقد يحب المحسنين) وحجة الله لعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم أنه قال ليس الاحسن أن تحسن إلى من أحسن اليك ذلك كفاة إنما الاحسن أن تحسن إلى من أساء اليك واعلم ان الاحسن إلى الغير اما أن يكون بإيصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه أما إيصال النفع اليه فيدخل فيه اتفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه اتفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأمداف الضرر عن الغير فهو امان الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة بساءة أخرى فهذا داخل في كظم التيط وأما الآخرة بأن يرى ممة الغير عن المطالبات فهذا داخل في المغفوع الناس فهذه الآية تدخل على جميع جهات الاحسن إلى الغير (والذين اذا فعلوا فاحشة) أى معصية (أو ظلموا أنفسهم) بأن آذوا ذنبا أى ذنب كان (ذكروا الله) أى خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنها معدة للتيقن بين أن المتقين قسيان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم الله بالاتفاق وكظم التيط والمغفوع الناس وثانيهما الذين آذنبوا ثم تابوا وعلى هذا فالاسم الموصوف على اللطيف على الاحسن إلى النفس وعلى هذا فالاسم الموصوف على الاحسن إلى الغير ينب في هذه الآية إلى الاحسن إلى النفس وعلى هذا فالاسم الموصوف على الاحسن إلى الغير ينب في هذه الآية أن هذه الآية نزلت في رجلين أنصارى وثقي والرسول ﷺ كان قد اتى بينهما وكانا لا يفرقان في أحوالهما فخرج الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الأنصارى على أهله يتأخروهم فكان يفعل ذلك ثم قام إلى امرأته ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فشم الرجل فلما وافق الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم ير الأنصارى وكان قد هاجم في الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت في شأن أنى سيد نبهان النخار فأنه أنه امرأة حسنة تطلب منه تبرا بالشراء فقال لها هذا التمر ليس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فشمها إلى نفسه وقبلها فقالت له انى الله فتركها ونشم على ذلك ثم أتى النبي ﷺ وذكر له ذلك فزلت هذه الآية (فاستغفروا لذنوبهم) أى توبوا بالنية على الوجه الصحيح لأجل ذنوبهم وهو التندم على فعل ماضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فهذا حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فذاك لا أثر له في إزالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولإظهار انقطاعه إلى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أى لا يغفر ذنوب الناس أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن أقبلوا عنها في الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) أن الذى فعلوه معصية الله وهذه الجملة حل من قاعل يصروا (أولئك) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جزاؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنت) أى بسايتن (تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت شجرها ومسكنها أنهار الخرولاء والعسل والابن (خالدين فيها) أى دائماً في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ونم أجر العاملين) أى نعم ثواب التائبين للمغفرة والجنت (قد خلعت من قبلكم سنن) أى قلعت من قبل زمانكم سنن الله تعالى في الأمم السالفة المكذبة

(والكاظمين التيط) أى الكافين غضبهم عن امصاته (والعافين عن الناس) أى عن المالك وعمن ظلمهم وأساء اليهم (والله يحب المحسنين) أى الواحد بين الذين هذه الحاصل فيهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) يعنى الزنا زلت في نبهان النخار أنه امرأة حسنة تنبت منه تمرا فشمها إلى نفسه وقبلها ثم ند على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فزلت هذه الآية وقوله (أو ظلموا أنفسهم) يعنى مادون الزنا من قبله أولسة أو نظر (ذكروا الله) أى ذكروا عقاب الله (فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا) أى ولم يقيموا ولم يدوموا (على ما فعلوا) بل أقروا واستغفروا (وهم يعلمون) أن الذى آتوا معصية (قد خلعت من قبلكم سنن) أى قلعت من متى فمن كان قبلكم من الأمم الكافرة سنن بماهالى ايامهم حتى يلبثوا الأجل الذى أجلته في اهالكهم وبقيت لهم آثار في الدنيا فيها أعظم الاعتبار

لرسل باهلاهم ان لم يتوبوا وبالغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل
 أحوال هؤلاء الماينين ليصدق ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والاعراض عن الرياسة في الدنيا
 وطلب الجاه (فسر وافي الأرض فانظروا) أي تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الأمم السالفة بسير أو
 غيره ثم تفكروا فيها للتسلل والاعطاء (كيف كان عقوبة المكذبين) أي كيف صار آخر أمر المكذبين
 بالرسل الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلال والحرام (للناس) عامة
 (وهدي) من الضلالة (وموعظة للثقين) فالجمل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام
 الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدي والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو للوعظة
 وأما خصص الله للثقين بالهدي وللوعظة لأنهم المتفهمون بهما دون غيرهم (ولا تنهوا) أي
 لا تضفوا عن الجهاد مع عدوك (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من القاتل يوم أحد ولا على ما أصابكم
 من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ سبعون رجلا خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب
 ومصعب بن عمير صاحب بئر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمه التي صلى الله عليه
 وسلم وثاس بن غنم وسلمى بن عتبو بقيهم من الأنصار رضى الله عنهم أجمعين (وأنتم الأعوان) أي
 والحال أنكم في آخر الأمر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوك فإن مصير أمرهم إلى المحل حسب
 ما شاهدتم من أحوال أسلافهم (ان كنتم مؤمنين) وهذا إما منصب بالتمني أو بوعد النصر
 والغلبة أي ان كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا تحزنوا فان الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصدق الله تعالى
 ويسمى قرح فقد مس القوم قرح مثله أي ان أصابكم جرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر
 جرح مثل ما أصابكم يوم أحد ثم يصف ذلك قرحهم فأنتم أحق بأن لا تضفوا وقيل ان المعنى ان
 نالكم يوم أحد قرح وانتهزام فقد نال الكفار في ذلك اليوم مثل ذلك فان المسلمين نالوا من الكفار
 قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحبوا لهم
 وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيم عليهم في أول النهار (وتلك الأيام)
 أي أيام الدنيا (نداولها بين الناس) لا يدوم مسارها ولا مضارها فيوم يحصل فيه السرور للؤمنين
 وأنتم للأعداء ويوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين
 والأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله منصب شره فلا يليق بالكافر بل الراد من هذه
 المداولة أنه تارة يشدد الحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين ولوشدد الحنة على الكفار في جميع
 الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطرابي بأن الإيمان حق وما سواه
 باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضان المؤمن قديم على بعض المعاصي
 فيشدد الله الحنة عليه في الدنيا ناديا له وأما تشدد الحنة على الكافر فإنه غضب من الله عليه وأيضان
 لتأت الدنيا ولا ماض غير باقية وأما السعادة المستمرة فيدار الآخرة وروى أن أباسقيان صعد الجبل
 يوم أحد ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي حقة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا
 أبو بكر وهذا عمر فقال أبوسقيان يوم بيوم والأيام دول والحرب مجال فقال عمر لاسواء قتلتا في الجنة
 وقتلاكم في النار فقال ان كان الأمر كما تزعمون فقد جئنا إذا خسرتنا (وليعل الله الذين آمنوا) واللام
 متعلقة بفعل مضمر والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكي يرى الله الذين أغلصوا في إيمانهم متميزين من
 المنافقين إذا صابهم الشقة كواقع في أحلر ويخضعنكم شهداء أي يكرم الله من يشاء ممنكم بالشهادة
 نكحة والمعنى ليعلمهم

كيف كان عقوبة المكذبين
 أي كيف كان آخر أمر
 المكذبين منهم نزلت في
 قصة يوم أحد يقول الله فأننا
 أمهلهم حتى يبلغ أجلي
 الذي أجلت في نصرته التي
 وأوليائه وهلاك أعدائه
 (هذا بيان للناس) يعني
 القرآن بيان للناس عامة
 (وهدي وموعظة للثقين)
 خاصة وهم الذين هداهم
 الله بفضله (ولا تنهوا) أي
 ولا تضفوا عن جهاد
 عدوك بما نالكم من الهزيمة
 (ولا تحزنوا) أي على
 ما فاتكم من القاتل (وأنتم
 الأعوان) أي لكم تكون
 العاقبة بالنصر والغفران
 (ان كنتم مؤمنين) يعني أن
 الإيمان يوجب ما ذكر
 من ترك الوهن والحزن
 (ان يمسكم قرح) أي
 يصيبكم جراح أو ألمها يوم
 أحد (فقد مس القوم)
 يعني المشركين (قرح مثله)
 أي يوم بدر (وتلك الأيام)
 يعني أيام الدنيا (نداولها)
 أي نصرها (بين الناس)
 يعني مرة لفرقة ومرة
 عليها (وليعل الله الثقين
 آمنوا) يميز بين الإيمان
 من غيرهم أي إنما يحصل
 الدولة للكفار على المسلمين
 ليز المؤمن المخلص عن
 يرتدعن الذين إذا أصابته
 نكبة والمعنى ليعلمهم

(والله لا يحب الظالمين) أى المشركين يعنى أنهم اعدايدل المشركين على المؤمنين لما ذكرنا لأنه يجهم (ولم يحص الله الذين آمنوا) أى
ليخلصهم من ذنوبهم بما يلحقهم (١٢٢) من قتل وجرح وذهاب مال (ويحق الكافرين) أى يتأصلهم اذا

وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أى للمشركين وانما يظفرهم في بعض الاحيان استمراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين (ولم يحص الله الذين آمنوا) أى ليظهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم في الجهاد ان
كانت القلبة للكافرين على المؤمنين (ويحق الكافرين) أى يهلكهم في الحرب ان كانت القلبة
للمؤمنين على الكافرين (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
والصابرين) والخطاب للذين اتهموا يوم أحد أنهم أخذتمهم أن تدخلوا الجنة وتغفروا وبصحبهم والرجال أنه
لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أى الجمع بينهما أى لا تحسبوا ذلك والحال أن الله تعالى لم يجهدين
منكم في سبيل الله يوم أحد والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت)
بالشهادة في الحرب (من قبل أن تلقوه) أى الموت يوم أحد حيث قتلتم لبتنا يوما كريمة بدر لنتل
مانا لشهداء من الكرامة وكانوا قد أخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في الخروج ثم
ظهر منهم خلاف ذلك (فقد رأيتموه) أى ان كنتم صادقين في عنيكم الحرب فقد رأيتم الموت
بمشاهدة أسبابه يوم أحد (وأتم تنظرون) الى سيوف الكفار حين قتل أمامكم من قتل من
أخوانكم فلم اتهمز منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى قد مضت
من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس وجاهدوا المشركين لانزل الله صلى الله عليه وسلم
بأعداءهم الرامة أن يفرموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحبوا الكفار وشذازير يروى للقداد على
الشركين فاتهمز الكفار ثم بادر قوم من الرامة الى النسيمة وكان خالد بن الوليد صاحب يمينته الكفار
فلما رأى تفرق الرامة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورعى عبد الله بن قيس ثم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمحجر فكسر رابعتيه وشج وجهه وأقبل ير بقلته فقبضه عنه مصعب بن عمير وهو صاحب
راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد فقتله ابن قيس فظن أنه قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قد قتلتم محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل ففسا في الناس خبر قتله فهناك قال بعض
المسلمين ليت عبد الله بن أبى بأخذنا ما منا من أى سفيان وبعض الصحابة جلسوا أو القوا بأيديهم وقال
قوم من المنافقين لو كان محمد نبيا لقتل وان كان قد قتل فارجو الى دينكم الأول فقال أنس بن النضر
عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون في الحياة بدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعترز اليك بما يقول
هؤلاء للمسلمين وأبرأ اليك عما جاء به هؤلاء للمنافقين ثم سلم سيفه فقاتل حتى رجع الله تعالى ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس ويقول الى عباد الله فأول من عرفه
صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفته حين تحت المفرز ثم ان فناديت بأعلى صوتي يا معشر
المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار أن أن أسلك فأصارت الى الميمنة فمن أصحابه
فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا نبي الله فدينك يا بآتنا وأمهاتنا أنا ما الخبر بأنك قد قتلتم فرعبت فلو بنا
فوليتا مديرينا فآثر الله تعالى هذه الآية (أفأنت مات) وأقتل اقلتم على أعقابكم) أى أصرتم كفارا بعد
إيمانكم ان مات محمد أو قتل كغيره من الرسل فتخلفوا سنن أتباع الأنبياء قبلكم في بآتهم على ملل
أنبيائهم بعد موتهم أى لا ينبغي منكم الارتداد حيث قد لأن محمد صلى الله عليه وسلم مبلغ لا معبود وقد بلغكم

أدال عليهم يعنى أنه يدل
على المؤمنين لما ذكر
ويدل على الكافرين
لا هلاكهم بذنوبهم (أم
حسبتم) بل حسبتم أى
لا تحسبوا (أن تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله) أى
ولما يقع العلم بالجهاد مع
العلم بصبر الصابرين والآية
خطاب للذين اتهموا يوم
أحد قيل لهم أحسبتم أن
تدخلوا الجنة كما دخل
الذين قتلوا وثبتوا على ألم
الجراح والصبر من غير أن
تسلكوا طريقهم وتصبروا
صبرهم (ولقد كنتم
تمنون الموت) كانوا يمتنون
يوم ما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون
لننفعنا وننفعن ثم اتهمزوا
يوم أحد فاستحقوا
العقاب وقوله (من قبل
أن تلقوه) يعنى من قبل
يوم أحد (فقد رأيتموه)
أى رأيتم ما كنتم تمنون
من الموت يعنى رأيتم
أسبابه (وأتم تنظرون)
أى وأتم بصراء تتأملون
الحال في ذلك كيف هي
فلم اتهمزتم (وما محمد
إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل) أى يموت كما

والعبود

مات الرسل قبله (أفأنت مات أو قتل اقلتم على أعقابكم) أى

ارتددتم كفارا بعد إيمانكم وذلك أنه لما نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأشيع أنه قد قتل قال ناس من أهل النفاق للمؤمنين
ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فانزل الله هذه الآية

فلن يضر الله شيئا) أى
فأما يضر نفسه باستحقاق
العقاب (وسيجزى الله)
بما يستحقون من الثواب
(الشاكركين) أى الطائفين
لهم من المهاجرين والأنصار
ثم عاتب للتهنئين بقوله
(وما كان لنفس أن
تموت) أى ما كانت نفس
أن تموت (الا باذن الله)
أى بقضائه وقدره كتب
الله ذلك (كتابا مؤجلا)
أى إلى أجله الذى قدره فلم
انهزمتم والمزمنة لا تزيد
في الحياة (ومن يرد)
بطاعته وعمله (ثواب
الدنيا) أى زينتها وزخرفها
(تؤته منها) قطعه منها
ما قدرناه له يعنى بهذا
التهنئين طلبا للقيممة
(ومن يرد ثواب الآخرة)
يعنى الذين بشئوا حتى قتلاوا
(تؤته منها) ثم احتج على
التهنئين بقوله (وكلين
من نبي) أى وكمن نبي
(قتل معه) فى معركة
(ريون كثير) أى
جماعات كثيرة (فما
وهنا) أى لما ضعفوا
بقتل نبيهم الآية (وما
كان قولهم) أى قول
أصحاب ذلك النبي المقتول
عند الحرب بمنقتل نبيهم
(الا أن قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وامرنا) أى

والمعبودين فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق لومات من بلفكم إياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا) أى ومن يرجع إلى دينه الأول وهو الشرك فلن ينقص الله رجوعه شيئا وما يهلك
نفسه بإقباله على الذئاب (وسيجزى الله الشاكركين) أى الثابتين على دين الاسلام الذى هو أجل
نعمة وأمر معروف كائن بين النضر وأمنائه (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أى بإرادة
الله وقضائه (كتابا مؤجلا) أى كتب الله للوت كتابا مؤقلا كتابة أجله ووزقه سواء لا يسبق
أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن الحشر لا يدفع التقدر وأن أحدا لا يموت قبل الأجل وإذلاء الأجل
لا يدفع للوت بشئ فلا فائدة في الجبن والخوف (ومن يرد) بصدقه (ثواب الدنيا) أى منفعة
الدنيا (تؤته منها) أى نعطه من الدنيا ما يريدنا نساوان نعطيه إياه وماله فى الآخرة من نصيب
(ومن يرد) بصدقه (ثواب الآخرة) أى منفعة الآخرة (تؤته منها) أى نعطه من الآخرة ما يريد
عاشاء من الأنصاف حسب ما جرى به العود الكريم (وسيجزى الشاكركين) أى نعمة الاسلام
لثابتين عليه الصارفين لما أعظم الله تعالى من القوى إلى ما خلق لأجله من طاعة الله تعالى فاعلم أن الدين
حضر وأمر أحد كانوا فريقين منهم من يرد الدنيا كالدنيا كانوا تركوا للكر طلبا لقيمة والثناء
وهو لا يلد وأن ينهموا ومنهم من يرد الآخرة كالذين بشئوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلاوا
والذين حضروا للدين لا بد وأن لا ينهموا واعلم أن هذه الآية وإن وردت في الجهاد خاصة لكن تعامله
في جميع الأعمال وذلك لأن المؤثر في جلب الثواب والعقاب هو العمل والقصد لا الظاهر والأعمال كفى
قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات فمن وضع الجبهة على الأرض في صلاة الظهر والشمس
قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الاسلام وإن قصد بعبادة
الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر (وكلين من نبي) أى قاتل معه ريون كثير فلو هونوا لما
أصابهم في قبيل الله قرأين كثير كائن بألف بصدالكاف بعدها هزمة مكسورة والباقيون بهزمة
بصدالكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وقتل مبنيا للفعل وقناة كذلك الا
أنه شدد التاء وبقى السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على اللبتا والجملة خبر للبتا وجملة معه ريون
من اللبتا والخبر في محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير مفسطر بيون وللغنى على القراءة
الأولى وكثير من الأنبياء قتلاوا بدهم الذين بقوام جماعتهم فلو هونوا أى ضعفوا في دينهم بل استمروا
على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي أن يكون حالكم يا أمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير
ما سمعنا نبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من الضمائم يقتل نبي في حرب قط والغنى
على القراءة المشهورة وكثير من نبي قاتل لاعادة كلمة الله وامتزاز دينه كاتمامه في القتال جماعات كثيرة
من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فلو هونوا أى جبنوا لأن الذى أصابهم إنما هو في طاعة الله وإقامة
دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغي أن تغلوا مثل ذلك يا أمة محمد (وامضفوا) أى عجزوا وعن قتال
عدوهم (وامستكناوا) أى ذلوا لعدوهم كما ضلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم أن تنقضوا بالثأف
عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان (واقبح الصابرين) على عمل الشما في طريق
الله أى يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بصدالقتل نبيهم (الا أن قالوا) هذا البلاء وقولهم بالنصب
خير لكان واسمها أن وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) الصغائر والكبائر (وامرنا) أى
افرطنا (في أمرنا) بآياتنا الذنوب العظيمة الكبيرة (وثبت أقدامنا) بإزالة الخوف عن القلوب
وإزالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى في

تجاوزنا ما حدثنا (في أمرنا) وثبت أقدامنا) أى بالقوة من عندك والنصرة

ان طيعوا الذين كفروا)
 أي اليهود وللشركين حيث
 قالوا لكم يوم حذار جوا
 الى دين آبائكم وهو قوله
 (ردوكم على أعقابكم) أي
 يرجعوك الى أول أمركم
 من الشرك بالله (بل الله
 مولاكم) فاستنوا به عن
 موالاته الكفار فانا
 ناصركم فلا تستصروهم
 ولما انصرف للمشركون
 من أحد هوا بالرجوع
 لاستئصال المسلمين وخلف
 المسلمون ذلك فوعدهم
 الله تعالى خذلان أعدائهم
 بقوله (سنلقي في قلوب الذين
 كفروا والرعب) أي الخوف
 حتى لا يرجعوا اليكم (ع)
 أشركوا) أي بأشراكهم
 (باللهام ينزل به سلطانا)
 أي حجة وبرهان يضي
 الأنصام يبدونهم مع الله
 بغير حجة (ومأواهم) أي
 ومخرجهم (النار وبئس
 مثوى) أي مقام (الظالمين
 ولقد صدقكم الله وعده)
 أي بالنصر والظفر (اذ
 تحسونهم) أي تقتلون
 المشركين يوم أحرق أول
 الأمر (بإذنه) أي بلم الله
 وإرادته (حتى اذا فلتتم)
 أي جيتهم عن عدوكم
 (وتنازعتم) أي اختلفتم
 (في الأمر) يعني قول
 بعضهم ما مقامنا هنا

كيفية الطلب بالأدعية عند الثواب والمحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فاتاهم الله ثواب الدنيا)
 بالنصرة والنعمة وقهر العدو والتناء الجليل وانصرح الصدر بنور الايمان وزوال غلمات الشبهات
 وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أي حكم الله لهم بمحصل الجنة وما فيها من المنافع
 والذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أي المتعربين بكونهم مسيئين
 فلما اعترفوا بذلك ساءم الله محسنين كأن الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم بإساءةكم وعجزكم فانا
 أصفكم بالاحسان وأجعلكم أحباء لنفسي حتى تعلموا أنه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله
 الا بتطهير القلب والسكينة والعجز (بأيها الذين آمنوا) تطيعوا الذين كفروا) أي المنافقين في قولهم
 للمؤمنين للذين آمنوا دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبي لقاتل (ردوكم على أعقابكم)
 أي يرجعوك الى دينكم الأول قال علي والراء بالذين كفروا للمنافقين كما تقدم وقال السدي وغيره
 للراء بهم أبو سفيان بن حرب لأنه شجرة الفتن وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حيثئذ انتمضوا
 لأن سفيان وأشياعه وتسانمهم ردوكم الى دينهم وقيل للراء عبد الله بن أبي واتباعه من المنافقين
 لأنهم قالوا لو كان محمد رسول الله ما وقت لهذه الواقعة فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه وقال ابن
 عباس والراء بهم اليهود كعب وأصحابه والراء بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاسرين) أي
 فترجعوا مغبونين في الدارين بالانقياد للعدو والقتل له وبالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في
 العقاب الخالد (بل الله مولاكم) أي ناصركم (وهو خير الناصرين) أي أقوامهم بالنصرة فلا ينبغي
 أن تطيعوا الكفار لينصروكم لأنهم عاجزون (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي
 سننقذ في قلوب كفار مكة الخافعة منكم حتى انتهزمو ذلك أن الكفار لما هزموا المسلمين في أحد
 أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى أن أباسفيان صد الجبل
 وقال ابن أبي كبة سفيان بن أبي حطافة وأبن الجلب فأتاه عمر ودارت كلمات بينهما وما
 تجاسرا يوسف بن سفيان على النزول من الجبل والذهب إليهم (ع) أشركوا بالله ما ينزل به
 سلطانا) أي كتابا ولا رسولا (ومأواهم النار) أي مسكنهم في الآخرة النار (وبئس مثوى
 الظالمين) أي وبئس مقر الكافرين النار (ولقد صدقكم الله وعده) يوم أحد نزلت هذه
 الآية رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس
 من أصحابه من أين أماننا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنتل الله تعالى هذه الآية (اذ تحسونهم) أي
 تقتلونهم قتلا كثيرا في أول الحرب (بإذنه) أي بلمه ونصرته (حتى اذا فلتتم) أي الى أن
 ضغتم في الرأي أو الى حين متم الى النعمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر الحرب
 أو في امثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لا يرجعوا عن
 مكاهم البتة وجعل أميرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر للمشركون أقبل الرماة عليهم بالرماة الكثير حتى
 انتهزم للمشركون ثم ان الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث يبت
 خلاصهن فقالوا النعمة النعمة فقال عبد الله عهدها رسول النيان لا تبرح عن هذا المكان فأوا
 عليه وذهبوا الى طلب النعمة بقي عبدالله مع طائفة قليلة دون العشرة قال أن قتلهم للمشركون
 (وعصيت) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقامة في أصل الجبل وتركتم للركر لأجل تحصيل النعمة (من بعد
 ما أراكم ماتحبون) أي بعد ما أراكم النبي صلى الله عليه وسلم بالنصرة والنعمة (منكم) أي من

وقد انتهزم القوم أي الكافرون وقول بعضهم لا تجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الاختلاف كان بين الرماة
 الرماة الذين كانوا عند للركر (وعصيت) الرسول بترك للركر (من بعد ما أراكم ماتحبون) من الظفر والنصر على أعدائكم منكم

من ير يد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا الى التنب (ومنكم من ير بد الآخرة) يعنى الذين يبتوا في المركز (ثم صرفكم) أى ردكم بالفرقة (عنهم) أى عن الكفار (ليتليكم) أى ليتبركم بما جعل عليكم من البرة فتبين الصابر من الجازع والمخلص من الناق (ولقد عفا عنكم) ذنبكم بمصاير رسول الله ﷺ والفرقة (والله ذو فضل على المؤمنين) بالفرقة (اذ تصحون) أى تبعون في الفرقة (ولا تلوون) ولا تقيمون (١٢٥)

في آخركم) أى من خلفكم يقول الى عباد الله وأنتم لاتفتنون (فأتابكم) أى جعل مارجون من الثواب (غما) وهو غم الفرقة وظفر للشركين (بنم) يعنى بتمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عصيتموه (لكي لاتخزوا) أى عفا عنكم لكي لاتخزوا (على ما فاتكم) من النعمة (ولا) على (ما أصابكم) من القتل والجراح (ثم أنزل عليكم من بعد التلم أمة لئلا تكونوا كفاراً) وذلك أنهم خافوا كره للشركين عليهم وكنا نأخذ المحف متأهين للقتال فأنهم الله تعالى أماناً بمن معه وكان ذلك خلاصاً للمؤمنين وهو قوله (يشي طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم) وهم المنافقون كان مهمهم خلاص أنفسهم (يظنون بالله غير الحق) أى يظنون أن أمر محمد مضمحل وأنه لا ينصر (ظن الجاهلية) أى كظن الجاهلية وهم الكفار (يقولون

الزما (من ير يد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لأجل النعمة (ومنكم) أى من الرامة (من ير يد الآخرة) بجهاده وهم الذين يبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبر وأصحابه (ثم صرفكم عنهم) أى تمردا لله للمسلمين عن الكفار وألقى الفرقة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليتليكم) أى ليجمع ذلك الصرف عنكم عليكم لتتوبوا الى الله وتستغفروه فيالغتم فيه أمره ولم يتم فيه الى التنيمة (ولقد عفا عنكم) لما حصل من ندمكم على الخائفة وتضائلته تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين) حيث لم يستأصل الرامة (اذ تصحون) أى تصحون في الأرض (ولا تلوون على أحد) أى ولا تفتنون الى أحد من شدة الحرب (والرسول يدهوكم في آخركم) أى وهو واقف في آخركم وكان يقول الى عباد الله أنا رسول الله من يفرقه الجنة (فأتابكم غما غني) أى جازاكم الله غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الأحياب وفوت التناهم بنم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره (لكيلا تخزوا على ما فاتكم) من النعمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبو العوداى تتمروا على الصبر في الشدة فلا تخزوا على نفع فات أوضرات (والله خبير بما تصلون) أى عالم بأعمالكم ومقامكم قادر على مجازاتها ان خبرا فغير وان شرا فشر (ثم أنزل عليكم من بعد التلم أمة) من العدو (لئلا يشي طائفة منكم) أى يأخذ الناس للهاجرين وطائفة الأنصار (وطائفة) وهم المنافقون عبد الله بن أبى ومحب بن قشير وأصحابهما (قد أهتمهم أنفسهم) أى أوقعتهم في المموم لأن أسباب الخوف وهى قصد العدو وكانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو اللوق بوعد الله ورسوله غير معتبر عندهم لأنهم كانوا معكذين بالرسول في قلوبهم فلذلك عظم الخوف في قلوبهم (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أى كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محقا فدعواه لما ساط الكفار عليه وهذا ظن فاسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه فان النبوة خلعة من الله تعالى يشرف عبده بها وليس يجب العقل أن الله تعالى اذا شرف عبده بخلعة أن يشرف بخلعة أخرى بل له الأمر والتهى كيف شاء بحكم الالهية (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) أى هل لنا من النصر الذى وعدتنا به محمد نصيب قط وهذا الكلام ان كان قائم من المنافقين كبد الله بن أبى فاما قاله طعنا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاسلام وان كان من المؤمنين الحقين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج ومن أين يكون تحصل النصرة (قل ان الأمر) أى التدبير (كله) فانه تعالى قد بر الأمر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) أى يقولون فيما بينهم بطريق الحفية مظهرين أنهم مستترشدون طالون لنصر مبطين الانكار والتكذيب بخافة القتل (يقولون) أى معتب بن قشير وعبد الله بن أبى (لو كان لنا من الأمر شيء) ما قلنا ههنا) أى لو كان لنا من التدبير والراى شيء ما قتلنا من قتلنا في هذه المعركة وما غلبنا

هل لنا من الأمر من شيء) أى ليس لنا من الظفر والنصر شيء كما وعدنا يقولون ذلك على جهة التكذيب فقال الله تعالى (قران الأمر كله) أى النصر والشهادة والقضاء والقدر (لقد يخفون في أنفسهم) من الشرك والتناق (ملا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء) أى لو كان الاحتيار لنا (ما قلنا ههنا) يمتون أنهم أخرجوا كرها لو كان الأمر بيدهم ما خرجوا وهذا تكذيب منهم بالقدر فرد الله تعالى عليهم بقوله

(وليتلى الله ما فى صدوركم)
أيا المنافقون مثل ما قبل
يوم أحد (وليجص) أى
وليظهر ويكشف (ما فى
قلوبكم) أيها المؤمنون
من الرضا بقضاء الله
(والله علم بذات الصدور)
أى بضارتها (ان الذين
نولوا منكم) أيها المؤمنون
بقضاء الله (يوم التقي
الجمعان) يعنى الذين انهمزوا
يوم أحد (أما استرهم
الشیطان) أى حملهم على
الزلة (بعض ما كسبوا)
يعنى مصيبتهم التى عليها
ترك المركز (ولقد عفا الله
عنهم) تلك الخطيئة (أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا) يعنى المنافقين
(وقالوا لآخواتهم) فى النسب
أى قالوا فى شأن آخواتهم
(إذا ضربوا) أى سافروا
(فى الأرض) فماتوا أو
هلكوا (أو كانوا غزى)
جمع غاز فقتلوا (لو كانوا
عندنا مامتنا وماقتلوا)
تكذيباً منهم بالقضاء والقدر
(ليجعل الله ذلك) أى
ليجعل ظنهم أنهم لو لم
يحضروا الحرب لاندفع
عنهم القتلى (حسرة فى
قلوبهم) ينهى المؤمنين
أن يكونوا كقول الكفار
فى هذا القول منهم ليجعل
الله ذلك حسرة فى قلوبهم

(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلى المضاجع) أى قل يا أشرف الخلق لهم لو
جلستم فى بيوتكم فى المدينة لخرج منكم من كتب الله عليهم القتلى المضاجع أى ما كتبهم
أتى ماتوا فيها عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه يوجد فإن الحفر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم
التقدير فالذين قدر الله عليهم القتلى لا بد وأن يقتلوا لأن الله تعالى لما أخبر أنه يقتل قلوبهم يقتل لا نقب
ضله جهلاً وذلك محال (و) فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم يوم أحد (ليتلى الله ما فى صدوركم)
أى ليعلمكم معاملة من يختبر ما فى قلوبكم من الاخلاص والتفانى وليظهر ما فىها من السرائر وفى المثل
لشهور لا تكرر هو الفتن فاتها حصاد للنافقين (وليجص ما فى قلوبكم) أى ليخلصها من الوسوس
(والله علم بذات الصدور) أى بما فى القلوب من الخير والشر (ان الذين نولوا منكم) أى
انهمزوا يوم أحد وهم عثمان بن عفان ورافع بن الملى وخارجة بن زيد (يوم التقي الجمعان)
جمع محمد عليه السلام وجمع أبى سفيان (أما استرهم الشيطان) أى أنهم الشيطان بوسوسته
أن محمداً قتل (بعض ما كسبوا) أى بشؤم بعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز
وبالحرص على النعمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) ثوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور)
لن تاب (حليم) أى لا يجعل لهم بالقوة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله عليه السلام أربعة عشر
رجلاً سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة
ابن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزيد بن العوام وسبعة من الأنصار الخباب بن المنذر وأبو
دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيدين حضير وسعد بن معاذ (أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أى فى نفس الأمر وهم المنافقون عبد الله بن أبى وهاب
(وقالوا لآخواتهم) أى لأجل آخواتهم فى النسب أو فى الكفر والتفانى (إذا ضربوا فى الأرض) أى
ساروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أى مقيمين
فى المدينة (مامتنا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أى ظنهم أن آخواتهم
لو لم يسافروا ولم يحضروا القتال لما شوا (حسرة) أى حزنا (فى قلوبهم) واللام لام العاقبة
أى أنهم قالوا ذلك لأسماء قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليتخلفوا عن القتال فلما كان
المؤمنون لم ينتفوا إلى قولهم فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل التذمة فى قلوبهم (والله
بحي وبصيرة) فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد فإنه تعالى
قد يصحى السافر والغزى مع اقتحامها لموارد الخوف وبصيرة القاعد عن القتال والقيم مع
جوازهما لأسباب السلامة (والله بما تعملون بصير) فيجازيهم على قولهم واعتقادهم
وبجائزكم أن تقاتلوه فى ذلك (ولئن قلتم فى سبيل الله) أى فى الجهاد (أومتى) فى سفركم للزور
مع الكفار أو فى بيوتكم وكنتم مخلصين من التفانى (لخفرة من الله) لذنوبكم (ورحمة) منه
لكم (خير مما يجمعون) أى مما يجمعونه أتم لو لم يتوكلوا من الأموال التى تعد خيرات وقرأ
حفص عن عاصم بالنبية أى خير مما يجمعه هؤلاء الكفرة من منافع الدنيا وطيبات مائة أعمارهم
قال الفخر الرازى والأصوب عندى أن اللام فى ولئن لئلاً كيد فيكون المعنى ان وجب أن تموتوا أو تقتلوا
فى سفركم وغزركم فذلك يجب أن تفوزوا بالخفرة والرحمة فلماذا تحترزون عن الموت والقتل
بل ذلك مما يجب أن ينافس فيه المتنافسون لأن الموت الذى يستحق الثواب العظيم كان خيراً من الموت

دون قلوب المؤمنين (والله يحيى ويميت) فليس ينفع الإنسان نحر زمن آيات أجله (ولئن قلتم) أى والله لن
(قلتم فى سبيل الله) أى فى الجهاد أيها المؤمنون (أومتى) فى سبيل الله (لخفرة من الله ورحمة) أى ليغفر لكم وهو (خير مما يجمعون) أى

من غير فائدة (ولئن تمت) في حضرة أوسفر (أوقلتكم) في الجهاد وأغيره (لألى الله تحشرون) فجميع
 العالمين يوقفون في عرصة القيامة وسط العدل فيجتمع المظالم مع الظالم وللقول مع القاتل والله
 تعالى يحكم بين عبده بالعدل واعلم أن الله تعالى رغب المجاهدين في الآية الأولى بالمغفرة والرحمة وفي
 هذه الآية بالحشر إلى الفوز بزيادة في علاء المرجل يروى أن عيسى بن مريم مر بأقوام تحفت أبدانهم
 واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادات فقال ماذا تطلبون فقالوا اغشى عذاب الله فقال هو
 أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فألمهم فقالوا انقلب
 الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنكم رحمته ثم مر بقوم ورأى آثار العبودية عليهم أكثر
 فألمهم فقالوا انبده لانه ألهمنا ونحن عبده لارغبة ولا رهبة فقال أتم العبيد المخلصون والتعبدون
 المحقون فقلوه تعالى بالمغفرة من الله إشارة إلى من يبده خوفاً من عقابه وقوله ورحمة إشارة إلى من
 يبده بطلب ثوابه وقوله تعالى لآلى الله تحشرون إشارة إلى من يبده لله لجد الرب بيقول العبودية وهذا
 أعلا المقامات وأبعد النهايات في العبودية في علاء الدرجة فهؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعة
 الله ومجاهدة عدوه يكون حشرهم إليه واستئناسهم بكرمه وتتمتعهم بشروق نور ربوبيته (فبا
 رحمة) فما استفهام للتعجب بقدره في أي رحمة (من الله لنت لهم) وذلك لانه لما كانت جناباتهم
 عظيمة ثم أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر تليظاً في القول البتة علماً أن هذا الإتيان الإبتائي يدل على
 فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك التأييد (ولو كنت ظفراً بالأسنان (غليظ القلب) أي
 قاسيه (لا نفوضا من حوكم) أي لتفروا من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حوكم فأت
 القصد من الرسالة (فأعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك (واستغفر لهم) من الله تعالى فيما يتعلق
 بحقوقه تعالى أعمالاً للشفقة عليهم وأكلاً لبريهم (وشاورهم في الأمر) فإن المشاورة تقتضى
 شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم لانه يدل على رفعة درجتهم فترك المشاورة معهم اهانة لهم قال
 صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا لأرشد أموره (فأذعزمت) عقب المشاورة على شيء
 (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على ما هو أصح وليس التوكل اهمال التدبير بالكلية والالسان
 الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل بل التوكل هو رأي الانسان الأسباب الظاهرة ولكن
 لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله واعاقته (ان الله يحب للتوكلين) عليه تعالى
 في نصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاح (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) أي ان ينصركم كما
 نصركم يوم بدر فلا جد في قبلكم (وان يخذلكم) أي يترك الله نصرتمكم كيوم أحد (فمن ذا الذي
 ينصركم من بعده) أي فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد دخله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
 بالنصرة وغيرها (وما كان لبي أن يذل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الباء وضمة النون أي
 وما جاز لني أن يخون أمته في الغنائم قال السكبي ومقاتل نزلت هذه الآية حين ترك الرماة للمركز يوم
 أحد طلباً للغنيمة وقالوا اغشى أن يقول النبي ﷺ من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم
 كالمقسمة يوم بدر فقال ﷺ لهم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى
 فقالوا تركنا قبضة اخواننا وقوفاً فقال ﷺ ظنتم أنا نتفعل فلاتقسم لكم فترلت هذه الآية
 وقرأ الباقر من السبعة يظل يضم الباء وفتح النون أي وما جاز لني أن يخان لأن الوحي كان بأنه
 حلالاً فمن خافه فربما نزل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولان الحياة في
 حقه ﷺ أحسن لانه أفضل البشر ولان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر كاروى

من أعراض الدنيا (ولئن
 تمت) مقيم على الجهاد
 (أوقلتكم) مجاهدين (لآلى
 الله تحشرون) في الحالين
 (فبارحوا) أي فبرحوا أي
 بنعمة من الله واحسان منه
 اليك (لنت لهم) بما يحمدى
 سهلت لهم أخلاقك وكثر
 احتمالك (ولو كنت ظفراً
 أي غليظاً في القول (لا نفوضا
 من حوكم) أي لتفروا
 من حوكم (فأعف عنهم)
 ما فاضل يوم أحد (واستغفر
 لهم) حتى أشفقت فيهم
 (وشاورهم في الأمر)
 تطبيقاً لتفوسهم ورفاههم
 أقدارهم وتبصير سنة
 (فأذعزمت) أي على
 ما يريد امضاء (فتوكل
 على الله) لاهل المشاورة
 (ان ينصركم الله فلا غالب
 لكم) من الناس (وان
 يخذلكم) لا ينصركم أحد
 من بعده واللى لا تتركوا
 أمرى للناس وارفضوا الناس
 لأمرى (وما كان لني أن
 يذل) أي يخون بكتان شيء
 من الغنيمة عن أصحابه نزلت
 في قطيفة حراء فقتت يوم
 بدر فقال بعض الناس لعل
 الذى أخذها ففني
 عنه القاتل وبين أنه ما غل
 لى واللى ما كان لني غلوا

(ومن يضل يأت باغل يوم القيامة) حامله على ظهره (تم توفى كل نفس ما كسبت) أى تجازى ثواب عملها (وهم لا يظلمون) أى لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئا (أفمن اتبع

(١٢٨)

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقفت في يوم حنين غنم هوازن غل رجل بمحيط فزلت هذه الآية (ومن يضل يأت باغل) أى يأت بالقتل غله بينه ويحمله على عنقه (يوم القيامة) تم توفى كل نفس أى تعطي وأما (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من القتل وغيره (وهم) أى كل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص ثواب لانه تعالى عادل في حكمه (أفمن اتبع رضوان الله) أى من اتقى فاتبع رضوان الله بالإيمان به والعمل بطاعته (كن بأية بسخط من الله) أى كمن استحق سخطا من الله بالكفر به والاستغفال بحصيته (وما أواه) أى القاتل أو من استوجب سخط الله (جهنم) وبس الصير (جهنم) هم درجات عند الله) أى الفريقان مختلفون في درجات الثواب والعقاب في حكم الله وعلمه باختلاف مراتب الطاعات والمعاصي (واقه بصير بما يعملون) أى بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد علم الله على المؤمنين) أى لقد أحسن إليهم (اذبث فيهم رسولا من أنفسهم) أى بآدميا ولد في بلدتهم ونشأ في بينهم وهم كانوا عربين بأحواله من أول العمر إلى آخره أنه ملازم الصلوة والأمانة وهو صار شرفا للعرب وفخر لهم وذلك لأن الافتخار بأبراهيم عليه السلام كان مشركا فيه اليهود والنصارى والعرب من اليهود يقتضون بموسى والتوراة والنصارى يقتضون بيسى والإنجيل فما كان للعرب ما يقابل ذلك فغابث الله عهدا وأزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الأمم فهذا وجه الفائدة في قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن أى يبلغ الوحي من عند الله إلى الخلق بالأمر والنهي (ويزكهم) أى يطهرهم بالتوحيد من الشرك وبأخذ الزكاة من الذنوب ويكمل نظهرهم بمصالح المعارف الإلهية (ويلعلمهم الكتاب) أى ظواهر الشريعة أو يعرفهم التناويل (والحكمة) أى محاسن الشريعة وأسرارها وعلمها (وان كانوا من قبل) أى والحال أنهم كانوا من قبل بقتله صلى الله عليه وسلم (لن) ضلال ميين) وألغى وما كانوا من قبل بحجى محمد والقرآن الذى ضلاليين وذلك لأن دين العرب قبل ذلك كان أرذل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أرذل الاخلاق وهو الفجور والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمدا ﷺ إليهم انتقلوا إلى ربكته من تلك الدرجة التي هم إلى أخس الدرجات إلى أحسنها وصاروا أفضل الأمم في العلم والازهدوا العبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطيباتها ولا شك أن هذا أعظم النعمة (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) أى أقدمتم متعجبين من أن أصابنا هذا ونحن ننصر الاسلام الذى هو دين الحق ومعنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين علينا وقد تقدم الوعد بالصرحين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لأن المشركين قتلا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسر سبعين والاسير في حكم القتل لأن الأسير يقتل أسيره ان أراد (قل هو) أى حصول هذا الأمر (من عند أنفسكم) أى بثؤم مصيبتكم بترككم المركز وحرصكم على التفتية (ان الله على كل شئ قدير) فانه قادر على نصركم ولو كنتم صبرتم كما هو قادر على التخليعة ينكم بين عدوكم اذا خالفتم وعصيتهم (وما أصابكم) فى أحدم من القتل والجراحة (يوم التقي الجمعان) جمع محمد جميع أئى سفيان (فبإذن الله) أى فهو بقضائه وإرادته (ويلعلم المؤمنين ويلعلم الذين نافقوا قبل لهم) أى انكم تركتم للركر

بسخط من الله) أى احتمله بالكفر والعمل بمعصيته يعنى المنافقين (هم درجات عند الله) أى أهل درجات يريد أنهم مختلفون المنازل فلمن اتبع رضوانه الكرامة والثواب ولن ياء بالسخط منه المهانة والذئاب (واقه بصير بما يعملون) فيهىث على الطاعة وتعذيب من المعصية (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى واحدا منهم عرف أمره وخبر صدقه وأمانته ليس بملك ولا أحد من غير نبى آدم وباقى الآية مفسر في سورة البقرة (وان كانوا) أى وقد كانوا (من قبل) بعثه (لن) ضلال ميين (أولما) أوحين (أصابكم مصيبة) يعنى ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم) أنهم (مثليها) يوم بدر وذلك أنهم قتلوا سبعين وأسر سبعين وقتل منهم يوم أحد سبعون (قلتم أنى هذا) أى من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) أى انكم تركتم للركر

أى

وطلبتم التفتية فمن قبلكم جاءكم الشر (ان الله على كل شئ قدير) من النصرة طاعتكم

نبيكم وترك النصرة مع مخالفتكم إياه (وما أصابكم يوم التقي الجمعان) أى يوم أحد (فبإذن الله) أى بقضائه وقدره يسلمهم بذلك (ويلعلم المؤمنين) ثابتهن صابرين (ويلعلم الذين نافقوا) أى المنافقين جازعين عازل لهم (وقيل لهم) أى ليعبد الله بن أى وأحبها لما انصرفوا ذلك اليوم عن المؤمنين

(تعالى قاتلوا في سبيل الله وأدفعوا) عنالقوم بكتبتكم سوادنا لم قاتلوا (قالوا لولم قتلا لاتبعناكم) أى لو لم أنكم قاتلون اليوم لاتبعناكم ولكن لا يكون اليوم قتال وناقضوا بهذا أنهم لو علموا ذلك ما تبعوه (١٢٩) قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ) بما

أظهروا من خذلان المؤمنين (أقرب منهم للإيمان) لأنهم كانوا قبل ذلك أقرب إلى الإيمان بظاهر حلمهم فلما خذلوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر من حيث الظاهر (الذين قالوا) يعنى المنافقين (لأخوانهم) يعنى لأشغالهم من أهل النفاق (وقيدوا) عن الجهاد الوالو للحال (لأطاعونا) يعنون شهداء أحدى الاصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والنعوذ (ماقتلوا) فرد الله عليهم وقال (قل) لهم يا محمد (فادروا) أى فادفوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين (أى ان صدقتم أن الحشر ينفع من القدر) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله (أى قتلوا في سبيل الله) أى شهداء أحد (أموئا بل أحياء) أى بل هم أحياء (عند ربهم) أى فى دار كرامته لأن أرواحهم فى أجواف طير خضر (يرزقون) أى يأكلون (فرحين) أى مسرورين (بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أى ويفرحون بأخوانهم

أى وليلظفر الله للناس الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق والامتناع من الجهاد مع وجود الطلب وهم عبدالله بن أبى وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد إلى المدينة قال لهم عبدالله بن جبر أوعبد الله ابن عمرو بن حرام والهاجر بن عبدالله الانصارى أذكركم الله أن تخنلوا بينكم وقومكم عندحنوز العدو (تعالوا) إلى أحد (قاتلوا في سبيل الله وأدفعوا) أى كونوا أمامن رجال الدين ومن رجال الدنيا فان كان فى قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا لها فطاعة الله وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهلكم وأموالكم وبلدكم (قالوا لولم قتلا) أى لو نحن قتلا وتقدر عليه (لاتبعناكم) إلى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) أى هم للكفر يومئذ اقربوا ماقتلوا أقرب منهم للإيمان فانهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهرن الإيمان من أنفسهم وما ظهرت منهم أمارة تدل على كفرهم فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضا فلوهم ذلك يدل على كفرهم لأنه اعالى السخر قبل المسلمين واما على علم الوثوق بقول النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما كفر) يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) فانهم أظهرنا أمرين ليس فى قلوبهم واحد منهما أحد مما علم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم بوقد كذبوا فيما فانهم ملون بالقتال غيرناوين للاتباع بل كانوا مصرين على الانخزال عازمين على الارتفاع (والله أعلم بما يكتمون) أى يعلم من تفاصيل تلك الاحوال ما لا يعلم غيره (الذين قالوا) أى الذين ناقضواهم عبدالله بن أبى وأصحابه (لأخوانهم) أى لاجل اخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أقاربهم (و) قد (فعلوا) عن القتال بالانخزال (لأطاعونا) أى فبا أمرناهم به ووافقونا فى ذلك (ماقتلوا) كالم تقتل (قل) للمنافقين (فادروا) أى ادفوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) فى أن النعوذ ينجى منه وروى أنه أزال الله بهم الموت فمات منهم يوم قالوا هذا للقتال سيمون منافقا من غير قتال ومن غير خروج لظاهر كنسبهم (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) نزلت هذه الآية فى حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلا رأتهم للهاجرين حمزة بن عبدالله ومصعب بن عمير وشناس بن عثمان وعبدالله بن جعش وباقهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فزلفهم آية البقرة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله الآية (بل هم) (أحياء عند ربهم يرزقون) التحف من الجنة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى صفة الشهداء ان أرواحهم فى أجواف طير خضر واثباتها تردأها الجنة تؤكل من عمارها وتسرح حيث شادت وتأوى إلى فتاديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآلا أشرك أن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال عاتر يديا عبدالله بن عمرو أن أفضل بك فقال يارب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحين) بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعم المخلدة لاجلا (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أن لأخوف عليهم ولاهم يحزنون) أى أن الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا اخواننا فلانا وقلنا فى صف القتلة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصابنا أى يفرحون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا بدوام اتقاء الخوف والحزن وبلحوقهم بهم لأن الله بشرهم بذلك (يستبشرون بنعمة من الله) أى بشواب أعمالهم من الله (وقضل) أى زيادة عظيمة من الكرامة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول

من بعد ما أصابهم القرح) فى أحد منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (الذين أحسنوا منهم) فى طاعة الرسول فى ذلك الوقت (واقفوا) فى التخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فلبثوا الرواح ندموا وقالوا انا قلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم ففهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب الكفار ويريه من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لأريد أن يخرج الآن معى الامن كان معى فى القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوم من أصحابه قبل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسودى من المدينة على ثمانية أميال على يسار الطريق لمن أراد ذا الحليفة وكان بأصحابه القرح فحملوا على أنفسهم حتى لا يفتهموا الجرح فأتى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فأنزلت هذه الآية (الذين قال لهم الناس) وهو أعرابي من خزاعة أو جماعة راكبون من عبد القيس أنعم بن مسعود الأشجى (ان الناس) أى أباسفيان وأصحابه (قد جموا لكم) فى الطيمعة وهى سوق فى قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم روى أن أبا سفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدران شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل يئناو بينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل على الظهران فأتى الله الرعب فى قلبه وبداله أن يرجع فربه ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة ليرة فشرط لهم حمل بئير من زيب أن ينطوا السلمان وقيل لقي نعم بن مسعود وقد قسم معتمر فقال يا نعم انى واعيت محمد أن تلقى موسم بدر وان هذا عام جاب وقد بدا لى أن أرحم ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاد بذلك جراءة فذهب الى المدينة فقبضهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعم حتى أتى المدينة فوجد السلمان يتجهزون لمعادى سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا بأسفيان بموسم بدر أن تقتل فيها فقال لهم ما هذا بال رأى انوكم فى دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام فى قلوب بعضهم ففكره الخروج فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذى نفس محمد بيده لأخرجن اليهم ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وباقى الجماعة يمضون وفيهم ابن مسعود فذهبوا وكلهم يقولون حسنا الله ونعم الوكيل الى أن وصالوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان ثمان ليال ولم يلق أحد من المشركين ووافقوا السوق وابعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا أدماء وبيابور يحواق اليهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سائلين غنائم كما قال تعالى (فزادهم إيماناً) أى زادهم هذا الكلام الخوف جراءة بالخروج اليهم وعزموا متأكدا على محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا حسنا الله) أى كافينا الله وقتننا به (ونعم الوكيل) أى الكفيل بالنصرة والكافي (فاقبلوا بنعمة من الله) أى فخرجوا لى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أى ربح فى التجارة (لم يمسهم) أى لم يصيبهم فى التهاب والجحى (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة رسوله (والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويطيهم ثواب التزود ويرضى عنهم (انا ذلكم الشيطان يخوف أوليائه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أوليائه وقرأ أبى بن كعب يخوفكم بأوليائنا أى ذلكم للبط الشيطان يخوفكم أمهال المؤمنين المشركين أبا سفيان وأصحابه وقال الحسن والسدى

مخالفتته (أجر عظيم) نزلت فى الذين أطاعوا الرسول حين فدبهم للخروج فى طلب أبى سفيان يوم أحد لما هم بأوسفيان ومن معه بالانصراف الى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليستأصلوهم (الذين قال لهم الناس) الآية كان أبو سفيان وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوافيه العام المقبل يوم أحد ببدر الصغرى فلما كان العام المقبل بفتح نعم بن مسعود الأشجى ليجمع المؤمنين عن لقاءه وهو قوله الذين يعنى المؤمنين قال لهم الناس يعنى نعم بن مسعود (ان الناس) يعنى أبا سفيان وأصحابه (قد جموا لكم) فاجتمعوا (فاخشوهم) ولا تأوهم (فزادهم) ذلك القول (إيماناً) ثبوتاً فى دينهم وأقامة على نصرة دينهم (وقالوا حسنا الله) أى الذى يكفينا أمرهم الله (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه الأمر (فاقبلوا بنعمة من الله) وفضل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لذلك الموعد فلم يلق أحداً من المشركين ووافقوا للسوق وذلك أنه كان موضع سوق لهم فاتجهروا فرجوا وانصرفوا الى المدينة

في الكفر) أي في نصرته

وهم المنافقون واليهود

والشركون (انهم لن يضروا

الله شيئاً) أي أولياءه وائما

يعود وبال ذلك عليهم

(و بذلك لا يحصل لهم

خطأ) أي نصيباً (في الآخرة)

يعني الجنة (ان الذين

اشترى والكفر بالايان)

أي استبدلوا وكرر (لن

يضروا الله شيئاً) لأن ذكره

في الاول على طريق العلة

لما يج من التسلي الى

الساعة الى الضلوة ذكره

في الثاني على طريق العلة

للساعة المضرة بالعاصي

دون للصبي (ولا يحسن

الذين كفروا انما نملى لهم)

أي املاناهم وهو الامهال

والتأخير (خير لانفسهم

انما نملى لهم) أي نطول

أعمارهم (ليردادوا انما)

بمعادتهم الحق وخلافهم

الرسول نزلت الآية في قوم

من الكفار علم الله انهم

لا يؤمنون باداؤان بقاءهم

يزعم كفرا (ما كان

الله ليعر المؤمنين على

ما آثم عليه) أي المؤمنين

من التباس المنافق بالمؤمن

والمؤمن بالمنافق (حتى يميز

الحديث من الطيب) أي

المنافق من المؤمنين ففعل

ذلك يوم اعلان المنافقين

أظهروا النفاق بخلفهم

معنى هذه الآية الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويختارون أمرهم للمنافقون ليقعدوا عن قتال المشركين فأما أولياء الله فانهم لا يخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا يتقادون لأمره (فلا تخافوهم) أي أولياء الشيطان بالخروج اليهم (وخافون) في مخالفة أمري بالجلوس (ان كنتم مؤمنين) فان الإيمان يقتضي تقديم خوف الله على خوف الناس ويستلزم عدم الخوف من شر الشيطان وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قرأنا في محزنك بضم الياء وكسر الزاي في جميع ما في القرآن الاقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر في سورة الأنبياء فانه فتح الياء وضم الزاي كباقي القرآن في جميع ما في القرآن (انهم لن يضروا الله شيئاً) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في شأن كفار قر يش والله تعالى جعل رسوله أنامن شرهم ولعلني لا يحزنك من يسارع في الكفر بنصرته بأن يقصد جمع السأكركم محطرتك وابطال هذا الدين وازالة هذه الشريعة وهذا المقصود لا يحصل لهم بل يضمنحل أمرهم ونزول شوكتهم ويظلم أمرهم ويعلاشك فأنهم لن يضروا الله شيئاً بهذا الصنيع واخا يضررون أنفسهم وقيل نزلت في شأن رؤساء كانوا يخوفون المؤمنين بسبب وقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت في شأن رؤساء اليهود كعبد بن الأشرف وأصحابه الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لتناع الدنيا (يرد الله) بذلك (ألا يجعل لهم خطاً) من الثواب (في الآخرة) أي الجنة (ولهم عذاب عظيم) في النار (ان الذين اشترى الكفر بالايان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الإيمان فانهم متى كانوا مع المؤمنين أظهروا الإيمان فاذا خالوا الى شياطينهم كفروا وتركوا الإيمان فكان ذلك كأنهم اشترى الكفر بالايان ويمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشترى الكفر بالايان منهم أنهم كانوا يرفقون النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به قبل مبته ويستنصرون به على أعدائهم فلما يمت كفروا يوتركوا ما كانوا عليه فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشركي من اعطاء شيء وما أخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسن الذين كفروا انما نملى لهم) أي نمل لهم بتطويل الأعمار (خير لانفسهم انما نملى لهم ليردادوا انما) أي ذبا في الدنيا ودركات في الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون به يوم القيامة بساعة بعد ساعة قال الفخر الرازي بن الله تعالى في هذه الآية أن بقاء هؤلاء للخلفين عن القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلا في اعدلان هذا البقاء صار وسيلة الى الجزى في الدنيا والعقاب الدائم في القيامة وقتل أولئك الذين قتلا في أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة فترغب أولئك الشيطان في مثل هذا الحياة وتنقيرهم عن مثل ذلك القتل لا يقبله الا جاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو في الآية ولا تحسن الذين كفروا ولا تحسن الذين يبيعون على التحسين الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالثأومض الباطني قوله تعالى تحسبنهم وقرأنا في ابن عامر بالياء الاقوله فلا تحسبنهم فانه بالثأ وقراءة حمزة كلها بالثأ وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا حتى مشركي أهل مكة يوم أحد (ما كان الله لينر المؤمنين) أي ليترك المخلصين (على ما آثم عليه) أي الناس من اختلاط المنافقين بالمخلصين واظهر لهم أنهم من أهل الإيمان (حتى يميز الحديث) أي للمنافق (من الطيب) أي المؤمنين بالقاء الحق والامائب والقتل والمزينة فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وألتران فان المسلمين كانوا يفرحون بنصرة الاسلام وقوته وللمنافقين كانوا يمتنون بذلك (وما كان اقليلكم على الطيب) أي

(وما كان الله ليطاسكم على الغيب) فتمرقوا المنافق من المؤمنين قبل التمييز

ان عادة القمارية بأنه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لاسبيل لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا بالامتحانات من التكاليف الشاقة كبدل الأموال والأنفوس في سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع على التنبؤ فهو من خواص الأنبياء فهذا قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فخصهم بعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق أو النبي فيمتحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز الفرقان بالامتحان أو النبي وما كان الله ليجعلكم ككلمة كالين الغيبين حيث يعلم الرسول حتى نصير وامستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقي طاعة هؤلاء الرسل (فأمنوا بالله ورسوله) أي لما طعن المنافقون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث المكروهة في أحد بين الله تعالى أنه كان فيها مصالح منها تمييز الحبيث من الطيب وليربى بيد جواب هذه الشبهة الآن يؤمنوا بالله ورسوله (وان تؤمنوا) حق الإيمان (وتتقوا) أي الكفر والتفارق (فلنكم أجر عظيم) أي توابوا في الجنة (ولا يحصين الذين يبايعون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) أي لا يتوهم هؤلاء البخلاء ببذل المال في الجهاد أن يظلمهم هو خير لهم بل هو شر لهم لأنه يبيح عقاب يظلمهم عليهم (سيطوفون ما يجلبونه يوم القيامة) أي سيجعل ذلك المال طوقا من النار في عنقهم وقيل ان للراد البخل بالعلم وذلك لأن اليهود كانوا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك الكتاب بخلافه حيث كان معنى سيطوفون أن الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من نار قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يملكه فكتمه ألمه الله يلجم من النار يوم القيامة والنبي أنهم عوقبوا في أفواههم وألسنتهم بهذا اللجام لأنهم لم ينطقوا بأفواههم وألسنتهم بما يدل على الحق (ولهم ميراث السموات والأرض) أي له تعالى ما يتوارثه أهلها من مال وغيره (والله بما تعملون) من البخل والسخاء (خير) فيجازيكم عليه ما فيجزيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أي فنحاص بن عاز وراه كما قاله ابن عباس والسدي وأحيى بن أخطب كما قاله قتادة وكعب بن الأشرف كاتفه ابن عساكر روى أنه صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي أن الله فقير حتى سألنا القرض فقلطه أبو بكر في وجهه وقال لولا أني بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية متديقا لأبي بكر رضي الله عنه والجمع حيث تسمع كون القائل واحدا لرضا الباقي بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب من القرض (وتعني أغنياء) ولا تحتاج إلى قرضه (سكتك ما قالوا) أي من العظيمة الشناعة في مصاحف الحفظ بل قرأوا ذلك يوم القيامة أو سنحفظه وثبتته في علمنا لا نساها ولا نهملها أولراد سكتك عنهم هذا الجبل في القرآن حتى يعلم الخلق إلى يوم القيامة شدة جهلهم وطغيهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدروا عليه (وقتلهم الأنبياء بغير حق) في اعتقادهم كافي نفس الأمر أي نكبت عليهم رضاهم بقتل آبائهم الأنبياء بغير جرم أو للنبي سنحفظ عن الفريقين معا أقوالهم وأفعالهم (وهول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب أو عند الالتقاء في النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وإن لم يكن هناك قول وقرأ حمزة سكتك بالياء وضما على لفظا لم يسم فاعله وقتلهم ورفع اللام يقول بالياء والباقيون بالنون ونصب اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سكتك بالياء وبالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب الحرق) أي الحرق (ذلك) أي هذا العذاب الحرق (بما قلعت أيديكم) أي بسب ما افترقتموه من التفوه بتلك العظيمة وغيره من المعاصي (وأن الله ليس بظالم للعبيد) أي والأمر تعالى ليس بمعبد لعبيده بغير

ذلك من يشاء من الرسل
وكان محمد صلى الله عليه
وسلم بمن اصطفاه الله بهذا
العلم (ولا تحبين الذين
يبخلون) أي بخل الذين
يبخلون (بما آتاهم الله
من فضله) أي مما يحب فيه
الزكاة نزلت في معنى الزكاة
(هو) أي البخل (خيرا
لهم بل هو شر لهم) لأنهم
يستحقون بذلك عذاب
الله (سيطوفون ما جلبوا
به يوم القيامة) وهوانه
يجعل ما جلب به من المال
حية يطوقها الله في عنقه
تتشبه من فرقه إلى قمه
(ولهم ميراث السموات
والأرض) أي أنه يفي
أهلهم ما تبقى الأموال
والأعمال لله ولا مال لها
اللافة (لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير
وتعني أغنياء) نزلت في
اليهود حين قالوا لما أنزل
الله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا الآية ان الله
فقير يستقرضنا وتعني
أغنياء ولو كان غنيا لما
استقرضنا أموالنا (سكتك
ما قالوا) أي تأمر الحفظ
اثبات ذلك في مصاحفهم
(ذلك) أي ذلك العذاب
(بما قلعت أيديكم) أي
بما سلف من أفعالكم
(وأن الله) أي وبأن الله
(ليس بظالم للعبيد)

ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على القدم وأجرنا للذين الأول أي لتسمع الله قول الذين قالوا
 قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حق كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن السيف وهب بن
 بهودا وزيد بن النابت وفنحاص بن عاز وراه وحى بن أخطب وغيرهم أنوار رسول الله ﷺ
 فقالوا يا محمد نزع أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقصده الله اليان في التوراة أن لا تؤمن
 لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ويكون لها دوى خفيف نزل من السماء فان جئنا هذا صدقنا
 فنزلت هذه الآية (ان الله عهدا لينا) أي أمرنا في الكتاب (ألا تؤمن لرسول) أي أن لا تصدق
 أحدا بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ما كان عليه أسرى أنبياء بني إسرائيل حيث كان
 يقرب القربان من التمس أومن الصدقات غير الحيوان فيقوم النبي في البيت ويأخو به بنو إسرائيل
 واقفون حول البيت فتزل نار بيضاء أي لا دخان لها ولها دوى فتأكل القربان أي تحرقه وهذا من
 أباطيلهم فإن كل النار القربان لم يرجب الإيمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء وقد
 تقدمت للمعجزات الكثيرة لعهد ﷺ وطلبهم لهذا المعجز وقع على سبيل التفتت لاعلى سبيل
 الاسترشاد وذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (فجاءكم رسل من قبل بالبينات) أي
 بالمعجزات الواضحة (وبالذي قلتم) وهو القربان الذي تأكله النار (فلم تقتسموه ان كنتم
 صادقين) في مقاتلتكم انكم تؤمنون لرسول بآتيكم بما اقترحتموه من زكريا ويحيى وعيسى وغيرهم
 من الأنبياء عليهم السلام فجادوكم بما قلتم في معجزات آخر فالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجتمعت على
 قتلهم (فان كذبوك) في أصل النبوة والشريعة فقتل (فقد كنتم رسل من قبل جاءوا بالبينات)
 أي المعجزات (والزبر) أي الصحف كصحف إبراهيم وموسى (والكتاب النير) أي الواضح وهو
 التوراة والانجيل والزبور وقرأ ابن عامر بالزبر بعادة الباء كقراءة ابن عباس لالة على القارة
 وقرأ هشام بالكتاب بعادة الباء والباقون بغير الباء فيما (كل نفس ذائقة الموت) أي كل حيوان
 حاضر في داز التكليف بذوق الموت وروى عن الحسن أنه قرأ ذائقة الموت بالتونين ونصب الموت وقرأ
 الأعمش بطرح التنوين مع نصب الموت (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي وانما تطون أجرة
 أعمالكم على التمام يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم
 قبله كما يدل عليه قوله ﷺ القبر وضمن رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فمن زحزح)
 أي أبعد (عن النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أي نال غاية مقصوده وقال
 النبي ﷺ من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه ميتته وهو مؤمن بالله واليوم
 الآخر وبأنى إلى الناس ما يصيب أن يؤذي اليه (وما الحياة الدنيا الا متاع الزور) أي ليس ما في الدنيا
 من النعم الا استمتاع البيت في بقائه مثل الخنزير والزجاجة وغير ذلك أي ان العيش في هذه الدنيا يضر
 الانسان بما يمتنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريه موصفت بأنها متاع الزور ولها متاع يبدل
 المحبوب وتحيل للانسان أنه يديم وليس يدوم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية
 البسور وقال سعيد بن جبيران هذا في حق من آثر الدنيا على الآخرة وأمان طلب الآخرة بها فاتها نعم
 المتاع (تلبون في أموالكم وانفسكم) أي والله لتخسرن في ذهاب أموالكم بالهلكات كالفرق
 والحرق والتكاليف كالزكاة والجهاد وما يصيب انفسكم من البلاء كالأمراض والأوجاع والقتل
 والضرب ومن التكاليف كالصلاة والجهاد والصبر فيما (ولتسمن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
 ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) أي ولتسمن من اليهود والنصارى ومشركي العرب أنواع الأذى من
 ومن المشركين (أذى كثيرا)

فيما قبهم من غير جرم (الذين قالوا ان الله عهد
 لنا) الآية يعني اليهود
 وذلك أن الله تعالى أمر بني
 إسرائيل في التوراة أن
 لا يصدقوا رسولا جاءهم
 حتى يأتهم بقربان تأكله
 النار الا المسيح ومحمدا
 فكانوا يقولون لعهد
 ﷺ لا صدقك حتى
 يأتينا بقربان تأكله النار
 لأن الله تعالى عهد لنا ذلك
 فقال الله تعالى اقامة المحصنة
 عليهم (قل فجاءكم) الآية
 ثم عزى رسول الله ﷺ
 عن تكذيبهم إياه بقوله
 فان كذبوك الى قوله
 والزبر يعني الكتب
 (والكتاب النير) أي
 الهادي الى الحق (كل
 نفس ذائقة الموت) الى قوله
 فقد فاز ظفر بالخير ونحما
 من الشر (وما الحياة الدنيا)
 أي العيش في هذه الدار
 الفانية (المتاع الزور)
 لأنه يضر الانسان بما يمتنيه
 من طول البقاء وهو ينقطع
 عن قريه (تلبون) أي
 لتخسرن أيها المؤمنون
 (في أموالكم) بالفرافض
 فيها (وانفسكم) بالصلاة
 والصوم والحج والجهاد
 (ولتسمن من الذين أوتوا
 الكتاب) وهم اليهود
 ومن المشركين (أذى كثيرا)

الظن في الدين الخفيف والتدليس في أحكام الشرع الشرير فوصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن
وما كان من كذب الأشراف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتشيب نساءهم وتحريض الشريرين على
مضادة رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا يخفى فيه (وان تصبروا) على تلك البلى وأذى الكفار
وتستعملوا احتمال للسكر ومودارة الكفار في كثير من الأحوال (وتستقوا) أي تحترزوا عما لا ينبغي
وعن الداهية مع الكفار وعن السكوت عن أظهر الانكار (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من عزم
الأمور) أي من عزم أمور المؤمنين وخبرها ومن صواب التدبير والتي فان ذلك عاقبهم عليكم فيه
أي أزمتم الأخذ به وما يجب أن يعزم عليه كل أحد لانه حيد المقابلة (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه) أي وإذا ذكر وقت أخذه تعالى الميثاق على علماء اليهود والنصارى
تذكرن الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل والناس ولا تلغوا فيها التأويلات
الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغنية في الفعلان والباقون بالخطاب
فيما (فتبينوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي فلم يسموا به (واشتروا به) أي الكتاب
(بمناقليل) أي شيئاً تافهاً من الدنيا أي أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا (فبئس
ما يشترون) أي بئس شيئاً يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يبين الذي للناس وكنتم شيئاً منكم ففرض
فأسمن تسهيل على الظلمة وتطبيع قلوبهم ولجبر منفعة أولخوفاً ولينخل العلم دخل تحت هذا الوعيد
قال ﷺ من كنتم علماً عن أهل الجحيم من نار وعن محمد بن كعب قال لا يحل لأحد من العلماء
أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طو في عالم ناطق
ولستم واع هذا علماً قبله وهذا سمع خبراً فوهاه (لأتحسين الذين يفرحون بما أوتوا) أي بما
فعلوا من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا) أي
يحبون أن يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بمغفرة) أي بمباعدة (من العذاب)
وقيل زلت هذه الآية في شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أوتوا من أظهر الإيمان السامع على سبيل
التفاقم من حيث أنهم كانوا يتوصلون بذلك إلى تحصيل مصالحهم في الدنيا كما كانوا يتوقعون من الذي
ﷺ أن يحمدهم على الإيمان الذي لم يكن موجوداً في قلوبهم ولا شك أن هذه الآية واردة في الكفار
والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود الأولي إجراء
الموصل على العموم فيشتمل على كل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويود أن
يمدحه الناس بما هو عارته من سداد السيرة واستقامة الطريقة وهذا الإقبال على طاعة الله وقرأ
حزرة وعاصم والكسائي تحسبنهم بالياء التوقية وكلاهما بفتح الباء والتقدير لا تحسبنهم بالمحمد وأياها
السمع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين وللمقول الأول الذين يفرحون والثاني بمغفرة وقوله تعالى
فلا تحسبنهم تأكيداً للباء المقامحة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحية وكلاهما
بفتح الباء والفاعل الرسول وضمها والفاعل من يأتي منها لحسين أو بفتح الباء في الأول وضما في
الثاني وهو قرأة في عمرو والفاعل هو الوصول وللمقول الأول محذوف والتقدير ولا تحسبنهم الذين
يفرحون بأنفسهم بمغفرة من العذاب يجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف الفعلين مما اختصرا
لدلالة مقولتي الفعل الثاني عليهما أي لا تحسبن هؤلاء أنفسهم قال ابن أوعلى أن الفعل الأول مسند
لرسول أو لكل حاسب ومفعوله الأول للوصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل
الثاني مسند إلى ضمير الوصول والفاء الحظف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانهم ﷺ

وان تصبروا) على ذلك
الأذى بترك للطرسة
(وتستقوا) فان ذلك من عزم
الأمور) أي من حقيقة
الإيمان (واذا أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب)
الآية أخذ الله ميثاق اليهود
في التوراة ليعين شأن محمد
ﷺ ولفته ومبته ولا
يخفونه فتبينوا الميثاق ولم
يسموا بذلك قوله (فتبينوه
وراء ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلاً) يعني ما كانوا
يأخفونه من سفلتهم
يرياسهم في العلم (فبئس
ما يشترون) أي قبح
شرائهم وخسروا (لا يحسبن
الذين يفرحون بما أوتوا
ويحبون) الآية هم اليهود
فرحوا بإضلال الناس
وبنسبة الناس لإهم إلى
العلم وليسوا كذلك
وأصوب أن يمحذوا بالتحك
بالق وقالوا نحن أصحاب
التوراة وأولو العلم القديم
(فلا تحسبنهم بمغفرة) أي
منجاة (من العذاب

ومفعولاه ما بعده (ولهم عذاب أليم) أى وجميع فى الآخرة (ولله ملك السموات والارض) أى له تعالى
السلطان القاهر فيها بحيث يتصرف فيها وفيها فيهما كيفما يشاء إيجادا واعدادا احياء وامانة
تدبيراً وإثابة وهو تعالى يملك ما فيهما من خزان الطر والنبت والرزق (واقعه على كل شئ قد ير)
فلا يشد من ملكوته شئ من الأشياء وكل ما سواه تعالى مقبولة تعالى (ان فى خلق السموات
والارض) أى فى انشائها على ما هما عليه فى ذاتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أى فى
تأثيرهما فى وجه الارض وكون كل منهما خلفه لآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من
حركات السموات وسكون الارض أوفى تفاوتهما بازدياد وانقاص باختلاف حال الشمس بالنسبة
الى انحرافها وبسبب الأزمدة وفى اختلافهما بحسب الأمكنة (آيات) كثيرة عظيمة قد افعل
وحدانيته تعالى وقدرته تعالى (لأولى الالباب) أى لتدوى العقول للتفكيرين فى بدائع صنائع الملك
الخالق التدبرين فى حكمه المودعة فى الأنفس والآفاق وعن النبي ﷺ قال ينزل من مستقى على
فراشه اندر رأسه فنظر الى النجوم وإلى السماء وقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لى فنظر الله
اليه فغفله وقال النبي ﷺ لاعادة كالتفكير وحكى أن الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله
ثلاثين سنة أظلمت سحابة فبعد فى تلك الليلة حتى من قتيابهم فما أظلمت سحابة فقالت له أمه لعل فرقة
صدرت منك فى مدنتك فقال ما ذكره قالت لملك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فما آيت
الامن ذلك (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أى الذين لا ينفلون عن الله تعالى فى جميع
أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم يذكرونه تعالى واستغرق سرائرهم فى مراقبته لا أيقنوا بأن كل ما سواه
فاتض منه وعائده اليه فلا يشاهدون حال الامن الأحوال فى أنفسهم ولا فى الآفاق الا وهم يأمنون فى ذلك
شأنهم شؤنه تعالى فالمراد ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الثبات أو من حيث الصفات
والأفعال وسواء قرأه الذكر الساتى أولاً ولا يخص الامن الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر
بها بل لانها الأحوال للعبادة التى يتخلو بها الانسان غالباً والمراد تعميم الذكر لا اوقات قال النبي ﷺ
من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وعلى
وفى هذه الآية قوله ﷺ تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق أى لان الاستدلال بالخلق
على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت الماثة وانما يمكن وقوعه على نعت الخالفة فإذا استدلل بمحدث
هذه المحسوسات على قدم خالقها وبكميتها وكيفيتها وشكلها على راءت خالقها غنى الكميات والكيفية
والشكل وقوله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحوادث عرف ربه بالانتماء
ومن عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان
التفكر فى الخلق يمكن من هذا الوجه أما التفكر فى الخالق فهو غير ممكن ألبتة فإذا لتصور حقيقته
الا بالسواب فتقول انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا فى الجهة ولا شك أن حقيقة المحصورة
مغايرة لهذه السواب وتلك الحقيقة المحصورة لا سبيل للعقل الى معرفتها فيصير العقل كالواله فلهاذا
السبب نهى النبي ﷺ عن التفكر فى الله وأمر بالتفكر فى الخلق فلهذا البينة أمر الله فى هذه
الآية بذكره ولم يأمر بالتفكر فيه بل بأمر بالتفكر فى مخاوفه قال بعض العلماء الفكرة تبع الغفلة
وتجلب للقلب الخشية كما ينبى للماء الزرع وعن النبي ﷺ قال لا تغضوا على يونس حتى يمتى فانه كان
يرفع له يوم كرم مثل عمل أهل الأرض أى وذلك لان عمله هو التفكر فى معرفة الله لانه لا يشعر أحد أن
يعمل بحوار مثل ما عمل أهل الارض وأعلمهم عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة فى خمسين

ولهم عذاب أليم ولهم ملك
السموات والارض أى
بملك تدبيرها ونصرها
(واقعه على كل شئ قد ير)
على ما يشاء الآية والى
بعدها قد مضت فى سورة
البقرة (الذين يذكرون
الله قياماً وقعوداً وعلى
جنوبهم) يعنى يصلون
على هذه الأحوال على قدر
امكانهم (ويتفكرون فى
خلق السموات والارض)

دلائل الآفاق ودلائل الأنفس ولاشك أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلو أن الإنسان نظر إلى ورقة صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرقاً واحداً عنداً في وسطها ثم تشعب من ذلك العرق عروق كثيرة إلى الجانبين ثم تشعب منها عروق دقيقة ولا يزال تشعب من كل عرق عروق أخرى حتى تصبح في الدقة بحيث لا يراها البصر وعند هذا يعلم أن الخلق في تدبير تلك الورقة على هذه الحلقة حكماً بالغة وأسراً عجيبة ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلق الورقة لعجز فاذعرف أن عقله قاصر عن الوقوف على كيفية خلق تلك الورقة الصغيرة فاذعاف تلك الورقة إلى السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والعدان والنبات والحيوان عرف أن تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء كالعلم فاذعاف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقيق عرف أنه لا سبيل له إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض واذعاف بهذا البرهان قصور عقله ليرى معه الاعتراف بأن الخلق أجل من أن يحيط به وصف الوصفين ومعارف العارفين بل يعلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكماً بالغة وأسراً عظيمة ولا سبيل له إلى معرفتها فغداً هذا يقول (ربنا ما خلقناك) أي الخلق العجيب (باطلاً) أي بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهي أن تجعلها مسكن للكافرين الذين اشتغلوا بطاعتك وتعرضوا عن معصيتك ومداراة لما يشاء العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال البقاء والعداء (سبحانك) وهذا إقرار بعجز العقول عن الاطِّلاع على حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض أي أن الخلق إذا تفكروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر وهو أن خلقها ما خلقها بباطل بل خلقها لحكم عجيبة وأسرار عظيمة وإن كانت العقول قاصرة عن معرفتها (فقدنا عذاب النار) أي ادفع عنا عذاب النار لأنه جزاء من عصي ولم يطع أعلم أنه تعالى للمسيكين من هؤلاء العباد المخلصين أن يستقيم مستغرق بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله وقولهم في التفكر في دلائل عظمة الله ذكر أنهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيم عذاب النار لأنه يجوز على الله تعذيبهم لأنه لا يقبح من الله شيء أصلاً (ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت) أي أهنته (وما للظالمين) أي الكافرين (من أنصار) يعنونه من عذاب الله تعالى (ربنا اتنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم) أي سمعنا نداً مناداً وهو كإقوال محمد بن كعب القرآن المجيد يدعو الناس إلى الإيمان أي آمنوا بربكم (فآمنوا) أي فآمنوا بربكم وأجبنا نداً (ربنا فاعف عننا ذنوبنا) أي كبرائنا (وكفر عناسياتنا) أي صفاتنا فويل للرادب الأول ما زلنا وبقي بالثاني ما تكفركم الطاعة العظيمة وقيل الرادب الأول ما زلنا بالإنسان مع العلم بكونه معصية وبالثاني ما زلنا بالإنسان مع جهله بذلك (وتوفنا مع الأبرار) أي على مثل أعمالهم ليكون في درجاتهم يوم القيامة أو للثاني توفنا على الإيمان واجتماع أرواح النبيين والصالحين (ربنا أو اتنا ما وعدتنا على رسلك) والجوار والمجربون متعلقين بوعدتنا أي وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة المصدر مؤكدة بمحذوف أي وعدتنا وعدنا كأننا على ألسنة رسلك وقيل والثاني وقفنا للأعمال التي نصير بها أهلاً لوعدك من الثواب وأعصمان من الأعمال التي نصير بها أهلاً للعقاب والحرى (ولا تخزنا) أي لا تفضحنا (يوم القيامة) أنك لا تخلف للعباد وهذا يدل على أن المتقضى حصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزم أمره فقال ربنا خمس مرات أبحه الله ما يخاف وأعطاه ما أراد واستبدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم) فما سألوهم غفران الذنوب وأعطاهم الثواب (أني لأضيق عمل عامل منكم) وقرأ الجمهور بفتح الهمزة وقرأ أني بأنى بالباء إلى السبيبة وقرأ عيسى بن عمر بكسر الهمزة والثاني أني لأبطل ثواب عمل

ليكون ذلك أزيد في بصيرتهم (ربنا) أي ويقولون ربنا (ما خلقت هذا) الخلق الذي نراه من خلق السموات والأرض (باطلاً) أي خلقاً باطلاً يعني خلقته دليلاً على حكمته وكإل قدرتك (ربنا أنك من تدخل النار) للخلود فيها (فقد أخزيت) أي أهلكته وأهنته (وما للظالمين) يعني الكفار (من أنصار) أي يعنونه من عذاب الله (ربنا أنك سمعنا منادياً) يعني محمداً أو القرآن (ينادي للإيمان) أي إلى الإيمان (أن آمنوا) أي بأن آمنوا إلى قوله (وكفر) أي غط واستر عنا سيئاتنا) يقبول الطاعات حتى تكون كفارة لها (وتوفنا مع الأبرار) يعني الأنبياء أي في جعلتهم حتى يفسر معهم (ربنا) وأتينا وعدتنا على رسلك أي على استئجارهم من النصر لنا والخذلان لدنونا (ولا تخزنا يوم القيامة) أي لا تهلكنا بالنزاع وقوله

عامل منكم والبراد حصلت اجابة دعائكم في كل مطلستموة (من ذكر أو أثنى) فلا تفاوت في الاجابة وفي الثواب بين الذكر والاثني اذا كان في التحسك بالطاعة على السوية (بصكم من بعض) أي بصكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على العصية (فالذين هاجروا) أي اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أي ألجأهم الكفار الى الخروج من منازلهم التي ولدوا فيها (وأودوا في سبيلي) أي بسبب طاعتي ومن أجل ديني (وقاتلوا وقتلوا) قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وقاتلوا بالثقف وقاتلوا مخففة والفتح قاتلوا بالدوسه صلى الله عليه وسلم حتى قاتلوا في الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عمرو قاتلوا بالالف وقاتلوا مشددة تكرر القتل فيهم وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا بشير ألف أولا وقاتلوا بالالف ثانيا أي قاتلوا وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم سيئاتهم) ولأدخلتهم جنت تجري من تحتها الأنهار نوليا من عند الله والله عنده حسن الثواب) أي ان الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمر ثلاثة أولها عو السيئات وغفران الذنوب وذلك هو الذي طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا سيئاتنا وثانيها اعطاء الثواب العظيم وهو دخول الجنان وهو الذي طلبوه بقولهم وأتينا ما وعدتنا على رسلك وثالثها كون الثواب مقرونا بالتعظيم وهو اللسان اليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذي طلبوه بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة وقوله تعالى ثوابا مصدر مؤكد لمخى ماقبله لأن معنى مجموع قوله تعالى لا كفرن ولأدخلتهم لاتبهم فكانه قيل لا يبينهم اثابة من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب نأ كيد لكون الثواب في غاية الشرف روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله في أم سمع ذكر النساء في الهجرة فنزل قوله تعالى فاستجب لهم ربيم الي هنا ولما قال بعض المؤمنين ان أعداء الله في أروى من الخير ونحن في الجهد نزل قوله تعالى (لا يفرقنك قلب الذين كفروا في البلاد) أي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووقور الحظ ولا تفر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في الكسب والتجارة والمزاجع (متاع قليل) أي ذلك الذي ترى من الخير منفعة يسيرة في الدنيا لا قدر لها في مقابلة ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجهل أحدكم ما يصنع في اليوم فليظفر به يرجع رواه مسلم (ثم ما أوهام) أي مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا ربهم) من الشرك والمأسي وان أخذوا في التجارة (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) فلا يضرهم ذلك الكسب (نولا من عند الله) أي حال كون الجنات عطاءوا كراما من الله لهم كقائد الضيافة للضيفا كراما (وما عند الله) من الثواب الباطن (خير للبرار) أي للوحدين بما يتقلب فيه الفجار في الدنيا من المتاع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم) أي القرآن (وما أنزل اليهم) أي التوراة والإنجيل قال ابن عباس وجابر وقادة نزلت هذه الآية في شأن أحمدة النجاشي حين مات وأشير جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بموته فقال النبي لأصحابه اخرجوا فاصلا على أخ لكم مات بئرا رزكم فخرج الي البقيع وكشف الله له الى أرض الجنة فأبصر سرير النجاشي فبلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على عالج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه وقال ابن جريح وابن زيد نزلت في حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال عطاء نزلت في حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وعمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأسلموا وقال مجاهد نزلت في حق مؤمن أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أي متواضعين لله في الطاعة (لا يشركون بآيات الله فنا قليلا) أي لا يكتمون أمر الرسول ونصه كما يفعل غيرهم من

(بصكم من بعض) أي
حكم جميعكم حكم واحد
منكم فيما أقبل بكم من
مجازا تكم على أعمالكم
وترك تضييعها لكم (لا يفرقنك
قلوب الذين كفروا) أي
تصرفهم للتجارات (في
البلاد) وذلك أنهم كانوا
يتجرون وينتمون فقال
بعض المؤمنين ان أعداء
الله في أروى من الخير ونحن
قد هلكنا من الجوع
والجهل فنزلت هذه الآية
(متاع قليل) أي ذلك
الكسب والرجوع متاع قليل
فان منقطع وقوله (نولا)
النزول ما يهب للضيف ومعناه
هنا جبراء ونوابا (وما عند
الله خير للبرار) بما يتقلب
فيه الكفار ثم ذكر مؤمن
أهل الكتاب فقال (وان
من أهل الكتاب من
يؤمن بالله) الآية

أهل الكتاب لنرض للأكله والرياسة (أو لك) أي المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند ربهم) في الجنة (إن الله سريع الحساب) أي سريع لإيصال الأجر الموعود إليهم من غير حاجة إلى تأمل لكونه علما بجميع الأشياء فيعلم مالكل واحد من التواب والعقاب (يأبى الذين آمنوا أصبروا) على مشقة الاستدلال في معرفة التوحيد والثبوت والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات نحو الفلاسفة وعلى مشقة أداء الواجبات وللذنوب وعلى مشقة الاحتراز عن النهيات وعلى شدة الدنيا من الرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل السكاره الواقعة ينصم و بين غيركم فيدخل فيه تحمل الأخلاق الرديئة من أهل البيت والأقارب والجيران وترك الانتقام عن أساءه والمغفوع من ظلم والإيثار على الصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والمصاره مع المبطلين وحل شبههم (ورابوا) أي جاهدوا القوى التي هي مصادر الأفعال النعمية من الشهوة والغضب والحرص أو المني انتظروا الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) في مخالفة أمره و بتقوى الله يحصل دفع القوى الداعية إلى القباح والمنكرات (لعلكم تفلحون) أي في تنظيموا في زمرة الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل كرب فظهر أن هذه الآية مشتملة على علم الأصول والفروع وعلى الحكم والامور

سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكتابتها ثلاثة آلاف

وخمس وأربعون وحروفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم يأبى الناس اتقوا ربكم الذين خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) أيكم آدم (وخلق منها) أي من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة أتى عليه النوم فينأى هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع أعرج فإن ذهبت تقيمها كسرته وإن تركتها وفيها عوج استممت بها (وبت منهما) أي نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة روى ابن جرير عن ابن اسحق أن نبى آدم لصلبه أربعين سنة في عشرين سنة فما حفظ من ذكرهم قاييل وهابيل وأبأد وشبوه وهند ومهرانيس وفصحور وسند وبارق وشيث ومن نساهم أقيمة وأشوف وجيزروه وعزور قال ابن عساکر وقنروى أن من نبى آدم لصلبه عبد المنيث ونوامتهامة المنيث وودا وسوعا وبنوث ويعقوب ونسرا وجميع أنساب نبى آدم ترجع إلى شيث وسائر أولاده انقرضت أنسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذى تسالون به والارحام) قرأ عاصم وحزرة واليكسائى تسالون بالتخفيف والياقون بالتشديد وقرأ حمزة وحده والارحام بجر الميم والتقدير واتقوا الله الذى تسالون به وبالارحام لان العادة جرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم فيقول أسألك بالله والرحم وربما أفرد ذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الارحام بالنصب فمعاذ واتقوا الله الذى تسالون به واجتنب معاصيه واتقوا الارحام بوصلها وعدم قطعها فيا تبصل بالرحم والاحسان والاعطاء أو يقال والارحام وصلوها وقد دلت الآية على جواز المسئلة فيما بيننا بالله كقوله بالله أسألكم روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا مطلعا على جميع ما يصنع عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما فى ضمركم من النيات مرد المجاز انكم على ذلك (وأتوا اليتامى) الذين لبوا (أموالهم) التي عندهم وقال أبو السعود أي لاتعرضوا لاموال اليتامى بسوء حتى تأتئهم وتصل إليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار أو مايم الصغار والكبار

(يأبى الذين آمنوا أصبروا) أي على دينكم فلا تدعوه لشدة وقيل على الجهاد (وصابروا) عندكم فلا يكونن أصبر منكم (ورابوا) أي أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب والخيعة

تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأبى الناس) يعني أهل

مكة (اتقوا ربكم) الذى

خلقكم من نفس واحدة

يعنى آدم) وخلق منها

زوجها) حواء خلقت من

ضلع من أضلاعه (وبت)

أي نشر وفرق (منهما

رجالا كثيرا ونساء واتقوا

الله) أى خافوه وأطيعوه

(الذى تسالون به) أى

تسالون فيها بينكم لحوائجكم

وحقوقكم به فتقولون

أسألك بالله وأنشدك الله

وقوله (والارحام) أى

واتقوا الارحام أن تقطعوا

(إن الله كان عليكم

رقيبا) أى حافظا يرقب

عليكم أعمالكم فاتقوه

فيا أمركم به ونهاكم عنه

(وأتوا اليتامى أموالهم)

الخطاب للارحام والأولياء

أى أشطوهم أموالهم يعنى

إذا لبوا

الجسد من ماله ويجعل مكانه الردي (ولأنكم كانوا أموالكم إلى أموالكم) أي لا تتبدلوا أموالكم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالكم في حل الاشتغال بها فلا يجعل لكم من أموالكم مازد على قدر الأقل من أجرتم وتفترقكم (أنه) أي أكل مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لا ينح له يقيم فلما بلغ طلب المال فتمعه قترضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال ألعنا الله وألعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه (وان ختم) يا أولياء النبي (ألا تقسطوا) أي أن لا تبدلوا (في الشيء) لذا نكحتموهن (فانكحوا) غيرهن من القربان روى عن عروته قال قلت لعائشة ما معي قوله تعالى وان ختمت ألا تقسطوا في الشيء قالتين يا أختي هذه البيعة تكون في حجر ولها غير في جملها وما هو يريد أن ينكحها بأدنى من صداقاتهم إذا تزوج بها عملها معاملة رديئة لعله بأنه ليس لها من يذب عنها فتزوجه عن نكاحين الآن يقسطوا في كمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه وأتت زوجها كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها إلى أن تموت فيترضاها فبها فاعلم ذلك وأزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وأيتام فإذا نفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في انفاق أموال اليتيم عليهم قليل لهم لا يزيدوا على أربع فاتهم كانوا يتزوجون من النساء ما شاءوا نسألو عشرا وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فحرم الله عليهم ما فوق الأربع أي وان ختمت ألا تبدلوا في حق اليتيم إذا تزوجتم بهن بأداة العشرة أو بقص الصداق فانكحوا (ما طاب لكم من النساء) أي تزوجوا من استطابتهن نفوسكم ومالت إليهن فابكم من الأجنيات (مثنى وثلاث ورباع) ولا تزيدوا على أربع (فان ختمت ألا تبدلوا) بين هذه الأعداد في القسمة والنفقة كما تبدلوا فيما فوق هذه الأعداد وكما تبدلوا في حق اليتيم (فواحدة) أي قالوا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ فواحدة بالرفع أي كففت واحدة أو فصبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أي من السراري فإنه لا قسمة لمن عليكم (ذلك أدنى أن لا تبدلوا) أي اختار المرأة الواحدة أو الترسى أقرب إلى أن لا يمتدوا ولا يمتدوا بالنسبة إلى ما عداها والأمير يدور مع عدم الجور لا مع تحقق العدل (وأن النساء) اللاتي أمرتم بنكاحهن (صدقاتهن) أي مهورهن (نحلة) أي فريضة من الله تعالى كما قاله عباس وقتادة وابن جرير وابن زيد وأما فسروا النحلة بالفريضة لأن النحلة في اللغة معناها البياض واللؤلؤ والشرعة والذهب فقولته تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن لأنهن شرعية ودين ومنه ومنه وما هو كذلك فهو فريضة واتصاب نحلة على أنها مفعولة أو حال من الصدقات (فان طاب لكم عن شيء منه نفسا) أي فإن وهبن لكم شيئا من الصداق بطيبة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أو سوء معاشرتكم معهن (فكلوه) أي فخذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أي حللا بلاثم (مريثا) أي بلا ملامة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب إلى قضاته أن النساء يطعن برغبة ورهبة فأبى

فرضتو ديننا (فان طاب لكم) أي بأن طابت أنفسهن لكم (عن شيء) من الصداق (فكلوه هنيئا) في الدنيا لا يقضى بعلينكم سلطان (مريثا) في الآخرة لا يؤاخذكم الله به

وصالح دنياكم يقول
لا تعتمد على مالك الذي
خولك الله وجعله لك
مهيئة قطعته امرأتك
وبنيك فيكونوا هم الذين
يقومون عليك ثم تنظر إلى
ما في أيديهم ولكن
أسسك مالك وأصلحه
وكن أنت الذي تنفق
عليهم في كسوتهم ورزقهم
وهو قوله (وارزقوهم
فيها) أي اجعلوا لهم فيها
رزقاً (واكسوهم) وقولوا
لهم قولاً معروفاً أي
عدة جميلة من البر والصلة
(وابتأوا اليتامى) أي
اختبروهم يعني بعقولهم
وأديانهم (حتى إذا بلغوا
النكاح) أي حال النكاح
من الاحتلام (فإن
آتستم) أي بصرتهم (منهم
رشداً) أي إصلاحاً وحفظاً
للال (ولا تأكلوها اسرافاً
وبداراً أن يكبروا) أي
لا تباعدوا أباً كل مالهم قبل
كبرهم وشدتهم حلماً
أن يبلغوا فيانتمكم تسليم
للال اليتيم (ومن كان غنياً
من الاوصياء) (فليستغف) (عن
مال اليتيم ولا يأكل منه
شيئاً) (ومن كان فقيراً فليأكل
بالعرف) أي بقدر
أجرة عمله (فإذا دفعتم)
أبها الأولياء (اليهم) أي
إلى اليتامى (أموالهم)
فأشهدوا عليهم) لكن إن وقع الاختلاف أمكن الولي أن يقيم البيعة على رد للال إليه

أمر أفعالته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً)
أي ويأبى الأولياء لاتوتوا للبكرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم
التي جعل الله الأموال معاشكم أي لا يحصل معاشكم إلا بها لئلا تخاف أن يضيعوها وأضاف الله
للال إلى الأولياء من حيث أنهم ملوكوا التصرف في لالهم ملكوا للال ويكني حسن الإضافة
أدنى سبب (وارزقوهم فيها) أي أنفقوا عليهم (واكسوهم) وأما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا
يكون ذلك أمراً يحصل بعض أموالهم رزقاً لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم وكسوتهم
بأن يتجرأ فيها ويشرها فيجلبوا أرزاقهم من الأرباح لأمن أصول للال (وقولوا لهم قولاً
معروفاً) أي جميلاً وهو كل ما سكت إليه النفس من قول لحسن مشرعاً وعقلاً كأن يقول الولي لليتيم
مالك عندي وأنا نأخذ من لالها إذا رشحت سلبت إليك أموالك (وابتأوا اليتامى) أي واختبروا من
لا يبين منهم السفة قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجرأوا وابتدأوا
بالبیع والشراء ولما كسب فيها وولد الزرع بالزراعة والتفقه على القوام بها والأشياء فيما يتعلق
بالنزل والقطن وصون الأطعمة عن المارة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالنفاق مدة
في خبر وماء ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضي الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي حميدة
لأن قوله تعالى وابتأوا اليتامى أمر للالياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضي
صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي المميز يستثنى في المأكل كفاذا أراد المصدق
الولي لأنه لا يجوز دفع للال إلى حال الصغر فثبت عنهم جواز تصرف حال الصغر (حتى إذا بلغوا النكاح)
أي إذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يترمه الحدود وذلك بأن يحتلموا وأنما يسمى الاحتلام بلوغ النكاح
لأنه انزال الماء المالح الذي يكون في الجماع (فإن آتستم) أي عرقتم (منهم رشداً) أي اهتداء إلى
وجوه التصرفات من غير تبذير وعجز عن خديعة التبر (فادفعوا إليهم أموالهم) التي عندكم من غير
تأخر عن حد البلوغ وقرى رشداً بفتح حاء وشرها بضمتين وعند الشافعي الصلاح يتبرع مع صلح
للال في الدين بأن لا يرتكب كبيرة فلا يصدر على صغر قوعند أي خيفة هو غير معتبر وفائدة هذا
الخلاف أن الشافعي يرى الحرج على الفاسق وأب حنيفة لا يراه (ولأنها) أي أموال اليتامى
أبها الأولياء (اسرافاً وبداراً) أي مسرفين بغير حق ومبادرين إلى انفاقها (أن يكبروا) أي
غشاة كبرهم فيمنعوك عن ذلك وتقولون تنفق كما تشتهي قبل أن يكبر اليتامى فيزعوها من
أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنياً) عن مال اليتيم (فليستغف) أي فليتنزه
عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشغافاً على اليتيم وإبقاء على ماله (ومن كان) من
الأولياء والأوصياء (فقيراً) محتاجاً (فليأكل كل بالمعرف) أي بقدر أجرة خدمته لليتيم وعمله في
مال اليتيم ويقال فليأكل كل بالمعروف أي بالتقرب ثم إذا أيسر قضاءه وإن مات ولم يقدر على القضاء
فلا شيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد والشافعي والحنابلة في أصول الأموال أما نحو
أبنا الواسي واستخدام الميبلور كوكب الدواب فيجلب لنحو الوصي إذا كان غير مضر بالمال وهذا
قول أبي المالح وغيره (فإذا دفعتم إليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ والرشد (فأشهدوا)
نداً (عليهم) عند الدفع فإن الأشهاد أبعد من الخصومة ولوادعي الوصي بعد بلوغ اليتيم أنه قد
دفع للال إليه أو قال أنفقت عليه في ضره فقال مالك والشافعي لا يصدق وقال أبو حنيفة
يصدق المعين وقال الشافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وأما هو مؤتمن من جهة الشرع

(وكفى بالله حسبا) أي محاسبا ومجازا بالحسين والسنين (لرجال نصيب) الآية كانت العرب في الجاهلية لاتورث النساء ولا الصغار شيئا فأبطل الله ذلك وأعلم أن حق الميراث على ما ذكر في (١٤١)

حضر القسمة) يعني قسمة المال بين الورثة (أولوا القرني) يعني الذين يحرمون ولا يرثون (والتناسي) والتناسي ما كان غافرا عنهم منه وهذا على التنبه والاستحباب يستحب للورث أن يرزخ لهؤلاء إذا حضروا القسمة من التهنيد والورق (و) أن (يعطوا لهم قسما ورفا) إذا كان الميراث مما لا يمكن أن يرزخ منه كالأرضين والرفيق (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم أي وليخش من كان له أولاد صغار خلف عليهم من بعده القسمة أن يأمر الموصي بالامراف فيأبسطه التماسي والمساكين وأقر به الذين لا يرثون فيكون قد أمره بما لا يمكن فعله لو كان هو الموصي وهذا قبل أن تكون الوصية في الثلث وقوله (ذرية ضعافا) أي صغارا (خافوا عليهم) أي الفقير (فليتقوا الله) فيما يقولون لمن حضروا الموت (وليعلموا قولاسديدا) أي عدلا وهو أن يأمره أن يخلف ماله الولد وتصدق بما دون الثلث والثلث ثم

(وكفى بالله حسبا) أي شهيدا وروى أن ربيعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاهد عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن أخي يتيم في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع اليه ماله فأنزل الله قوله تعالى وإيتاوا التماسي الى هنا (لرجال نصيب) أي للأولاد والأقرباء المذكورين وأكبراء حظ (عمارة الوالدان والأقربون) للتوارثون منهم (ولنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي التوفون (عاقلمنه) أي عاتركوه (أو كثر) وأقرب هذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ما جمل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا مفرضا) أي أعني نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه إليهم فالورث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه بالأعراض وهذا إبطال الحكم الجاهلية فاتهم لا يرثون النساء والأطفال ويقولون عاتيرت من طاعن بالرمح وذاد عن الحوزة وحاز القنينة وذكر الله في هذه الآية أن الأثر أمر مشترك فيه بين الرجال والنساء ثم ذكر التفصيل في قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة (أولوا القرني) أي قرابة الميت التي ليس بوارث (والتناسي) أي تناسي المؤمنين (وللساكنين) أي مساكين المؤمنين من الأجانب (فأرزقوهم منه) أي أعطوهم من المال القسوم شيئا قبل القسمة (وقولوا لهم قسما ورفا) وهذا الاعطاء مندوب إذا كانت الورثة كبارا أما إذا كانوا صغارا فليس على الولي القول المعروف كان يقول في الأملاك هذا المال انما هو هؤلاء الضعفاء الذين لا يقبلون وإن يكبروا فيسرفون حقا أو يقول سؤل وأصعب لم يطعوك شيئا (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) أي وليخش الذين يحضرون المريض على أولاد المريض أن تركوا بدموتهم أولادا صغارا خافوا عليهم الضعاف وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون إن ذرتك لا ينشون عنك من الله شيئا فأوص بملك لفلان وفلان ولا يرثون يأمرونه بالصيغة إلى الأجانب أن لا يبيع من ماله للورثة شيء أصلا وحاصل الكلام أنك لا ترضى مثل هذا الفصل لنفسك فلا ترضى لأخيك المسلم عن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (فليتقوا الله) في أمر التماسي (وليقولوا قولاسديدا) أي عدلا إذا أرادوا بهت غيره على فصل بأن يقولوا للتماسي مثل ما يقولون لأولادهم بالنسفة والتأديب وخطابونهم بقوله يابني وأن يقولوا لهم يرض إذا أردت الوصية فلا تصرف في وصيتك ولا تتجحف بأولادك ويذكر هاتين بقولته الشهادة وأن يطفل الورثة القول للحاضرين الذين لا يرثون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال التماسي ظلما) أي على وجه التنبه (أعمايا) أي كون في بطونهم نارا) أي حراما يؤدي إلى النار أو يقال يجعل الله في بطونهم نار يوم القيامة بأن يخلق الله لهم نارا يأكلونها في بطونهم (ويسيلون سميرا) أي سيل خاؤون نارا وقودا لا يبرف غاية شدتها والله تعالى قرأ ابن عمر وأبو بكر عن عاصم وسيلون بضم الياء والباءون بالفتح وقرئ مشادة بضم الياء وتشديد اللام نزلت هذه الآية في شأن حنظلة بن شمر دل وقيل في شأن رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد يولى مال التميم وكان التميم ابن أخيه فأكله (يوصيكم الله في أولادكم) أي بين الله لكم في ميراث أولادكم بدموتكم وروى عطام قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامراة وأخا

ذكر الوعيد على كل مال التميم ظلما فقال (ان الذين يأكلون أموال التماسي ظلما) أي يأكلون في بطونهم نارا الآية لأنه تؤول عاقبته إلى النار (ويسيلون سميرا) أي نارا ذات لهب أي يقاسون حرها وشدتها (يوصيكم الله) أي يفرض عليكم لأن الوصية من الله فرض (في أولادكم) أي الله كور والأناث

فأخذنا الخ المال كله فأتت المرأة وقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعدا قتل وإن عهدهما أخذ
 ما هما فقال عليه السلام ار جعي فلعل الله سيقضي فيهم ثم اتهماعدت بعمدة وبكت فزلت هذه الآية
 فدعا رسول الله عليه السلام عهدهما وقال أعط ابنتي سعدا الثلثين وأمهما الثلث وما بقي فهو لك فهنا أول
 ميراث قسم في الإسلام (لأن كرم مثل حظ الأنثيين) أي فإذا خلف الميت ذكراً واحداً وأبناً واحداً
 فلذلك كرسهما وللأنثى سهم وإذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الإناث كان لكل
 ذكراً سهمان ولكل أنثى سهم وإذا كان مع الأولاد أبوان وأحداً وجين فالباقى بعد سهم الأبوين
 وأحداً وجين بين الأولاد فلذلك كرم مثل حظ الأنثيين (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك)
 أي فإن كانت بنتان السلب نساء خلتا بنتين أو أكثر فلهن الثلثا نساء ثلثا ما ترك التوفي (وان
 كانت) أي الوارثة بنتاً (واحدة فلها النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع فكان تأمة (ولأبويه)
 أي الميت (لكل واحدهما السدس مما ترك) أي الميت (إن كان له ولد) ذكر أو أنثى أي فإن
 كان مع الأبوين ولد ذكر فأكبر أو بنتان فأكبر فكل واحد من الأب والأم السدس وإن كان
 معها بنت فلها النصف وللأم السدس وللأب السدس يحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضاً يحكم
 التصيب (فإن لم يكن له) أي الميت (ولم يورثه أبواه فلهما الثلث) وذلك فرض لها والباقى للأب
 فيأخذ السدس بالفريضة والنصف بالتصيب وإذا انفرد أخذ كل لئال كما هو شأن العصبه وإذا ورثه
 أبواه مع أحداً وجين فللأم ثلث ما بقي بعد فرضه والباقى للأب بخلاف لابن عباس فإن للأم ثلث
 السكك عنده ووافق ابن سيرين في الزوجه وخالفه في الزوج لأن الثلث فيه يفتى إلى كون نصب
 الأنثى مثل نصب الذكرين (فإن كان له) أي الميت (اخوة) اثنتان فصاعداً من جهة الأبوين
 أو من جهة أحدهما ذكوراً وإناثاً وارثون أو محجوبون بالأب (فلهما السدس) والباقى للأب
 ولأنثى وللأخوة وأما السدس الذي حجبوا عنه فهو للأب عند وجوده ولم عند علمه (من بعد
 وصية) أي هذه الأنصبة للورثة من بعد إخراج وصية (يوصي بها أودين) وذلك لأن أول ما يخرج
 من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما إذا لم يكن دين أو
 كان إلا أنه قضى وفضل بعده شيء فإن وصى الميت بوصية أخرجه من الثلث ما فضل ثم قسم الباقي
 ميراثاً على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عمر وأبو بكر عن عاصم يوصي بفتح الصاد وقرأ نافع
 وأبو عمرو وحزرة والكسائي بكسر الصاد (أباًؤكم وأبناًؤكم لا لغيرهم وأبهم أقرب لكم نعماً) والمعنى
 إن قسمة الله لهذه الموارث وأولى من القسمة التي عمل بها طبعكم (فريضة من الله) أي فرض ذلك
 فريضة وهذا إشارة إلى وجوب الاتقياء لهذه القسمة التي قدرها الله تعالى وقضى بها (إن الله كان
 علماً) أي بالمصالح والرب (حكماً) في كل ما قضى وقدر قال ابن عباس إن الله يشفع المؤمنين
 بعضهم في بعض فأعطوكم الله تعالى من الأبناء والآباء أرفقكم درجة في الجنة وإن كان والد الأب
 درجة في الجنة من ولده ورفع الله إليه ولده بمثلته ليقرب بذلك عنه وإن كان الوالد أرفق درجة من
 والديه رفع الله إليه والديه ولذا قال تعالى لا تهر ون أبهم أقرب لكم نعماً لأن أحد المتولين لا يعرف أن
 انتفاعه في الجنة بهذا أكثر من ذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال (إن لم يكن لهن
 ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقى لورثتهن (فإن كان لهن ولد) وارث واحداً ومتعدد
 (فلكم إل ربع ما تركن) من المال والباقى لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الأنصبة إنما تدفع إلى
 هؤلاء إذا فضل عن وصية (يوصي بها أودين) أي أومن بعد قضاء دين عليهن (ولهن إل ربع ما تركن)

(لأن كرم مثل حظ الأنثيين)
 فإن كن) أي الأولاد
 (نساء فوق اثنتين) فوق
 هاهنا صلة لأن البنين
 يرثان الثلثين بإجماع القوم
 وهو قوله (فلهن ثلثا
 ما ترك) ويجوز تسمية
 الاثنين بالجمع (وان كانت)
 للمتروكة الخلفة (واحدة فلها
 النصف) وتم بيان ميراث
 الأولاد ثم قال (ولأبويه)
 أي ولأبوين الميت إلى قوله
 (فإن كان له) أي الميت
 (اخوة) أي أخوان لأن
 الأمه أجمعت على أن
 الأخوين يحجبان الأم من
 الثلث إلى السدس وقوله
 (من بعد وصية) أي هذه
 الأنصبة إنما تقسم بعد قضاء
 الدين وإفاد وصية الميت
 (أباًؤكم وأبناًؤكم لا لغيرهم)
 أبهم أقرب لكم نعماً في
 الدنيا تعطوهم من الميراث
 ما يستحقون ولكن الله قد
 فرض الفرائض على ما هو
 عنده حكمه ولو وكل ذلك
 إليكم لم تعلموا أبهم أنفع
 لكم فأفدتم وضيتم (إن
 الله كان علماً) بالاشياء
 قبل خلقها (حكماً) فيأدبر
 من الفرائض وقوله

كلالة والكلالة في هذه الآية لليت أي وان مات رجل ولا والده ولا ولده أخ أو أخت يريد من الأم باجاع من الأمة فليسكل واحدهما السلبس وهو فرض الواحد من ولدا الأم (فان كانوا أكثر من) واحد اشتركوا في الثلث الذكروا الأثني فيه سواء وقوله (غير منار) أي غير مدخل للضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة (واقه) عليم فبادر من هذه الفرائض (حليم) عمن عصاه تأخير عقوبته (واللاقي يائس الفاحشة) أي يضل الزنا (فاستشهدوا) عليهم أو يمتنعكم أي من المسلمين (فان شهدوا) عليهم بالزنا (فأسكوهن) أي فاحبسوهن (في البيوت) في السجون وهذا كان في أول الاسلام اذا كان الزانيان يبين جيسا ومنعا من مخالطة الناس ثم نسخ بالرحم وهو قوله تعالى (أو يجعل الله من سبيلهم) أي يجعل الله من سبيلهم الذي جعله الله من (واللذان يأتياها) يعني البكرين زيان ويأتياها الفاحشة فلا ذمها بالتعنيف

من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أثنى منهم أو من غيرهم والباقي لبقية ورثكم من أصحاب القروض والوصيات وأدوى الأرحام أوليت للمال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مائة ركنكم) من المال والباقي للباقي (من بعد وصية يوصون بها أو دين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وان كان رجل) أي ميت (يورث كلاله) أي لا والده ولا والد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة ثورث كلاله (وله) أي لليت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فليسكل واحدهما) أي الأخ والأخت (السلبس) من غير تفضيل للذكر على الأنثى لان الادلاله إلى الميت بمحض الأنوثة (فان كانوا) أي من يرث من الاخوة من الأم (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كقيما كانوا (شركاء في الثلث) فالذكر والأنثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب القروض والوصيات (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) للورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو ببضه لأجنبي أو يقر على نفسه بدين لاحقيقه أو يقر بأن الدين الذي على التبرق فوصل اليه أو يبيع شيئا شمن بخس أو يشتري شيئا شمن غال أو يوصى بالثلث لنرض تقيص حقوق الورثة (وصية من الله) أي فريضة من الله عليكم في قسمة اللواريث وقيل للعتى وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة يتكففون وجوه الناس بسبب الاسراف في الوصية ونصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية بالاضافة (واقه عليم) بمن جاز أو عدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يباحه بالمعقوبة فلا يشتر بالامهال (تلك) أي شؤون الاتام وأحكام الأنسكة وأحوال اللواريث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الأوامر والنواهي (يدخله جنت) نص على الظرفية عند الجمهور وعلى النفعولية عند الأغنص (يجري من تحته الأنهار خالدين فيها) حال من المصاء في يدخله وهي عائدة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلهذا صح الوجهان (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الحدود (النور العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الأوامر والنواهي (و لا يمتد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال السكبي أي ومن يكفر بقسمة الله للواريث ويتعد حدوده استمحللا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويشهد مقال الله تعالى (يدخله ناراً) أي عظيمة هائلة (خالدا فيها) عذاب مهين أي وله مع عذاب الحريق الجسائي عذاب شديد روحاني وقرآن في وابن عباس يدخله بنون العظمة في الموضعين والباقيون بالياء (واللاقي يائس الفاحشة من نسائك فاستشهدوا عليهم أو يمتنعكم) أي اللاقي يضل الزنا كانت من أزواجكم المحصنات فطلبوا أن يشهد عليهم بفسادهم بمقتضى رجال المؤمنين وأحرارهم وقرئ بالفاحشة (فان شهدوا) عليهم بذلك كما ينبغي (فأسكوهن في البيوت) أي غلظوهن محبوسات في بيوتكم (حتى تتوفاهن الموت) أي إلى أن يأخذن الموت ويستوفى أزواجهن (أو يجعل الله من سبيلهم) أي أولى أن يشرع من حكما خلاصهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم خنوا عني فجدل الله من سبيل التبرج والبر كتحمل وتنفي (واللذان يأتياها نسك) أي البكران اللذان يأتياها الفاحشة من أحراركم (فأذموا) بالتهديد والتعريض كأن يقال بس ماضيا وقد تعرضا لعقاب الله وسخطه وأخرجنا أنفسكما عن اسم العدة ويجوز قال رفع إلى الامامو بالخبر أن ابن كثير واللذان بشديد التوب (فان تابا) عما فعل من الفاحشة بعد زواج الاية (وأصلحا) أعملهما فيما بينهما وبين الله (فأعزوا عنهما) أي تركوا إيذاءهما (ان الله كان توابا) أي

والتيوب وهو أن يقال لهما تهكنا حرمت الله وعصينا واستوجبنا عقابه (فان تابا) من الفاحشة (وأصلحا) العمل فيما بعد فتركوا أذاها

وهذا كان في أول الاسلام نسخ قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الآية (أما التوبة على أي شيء أوجب على نفسه بقضه قبولها) الذين يعملون السوء بجهالة (١٤٤) يريدان ذنب اللؤم من جهل منه والمعاصي كلها جهالة ومن عصي به فهو جاهل (ثم

كثير القبول للتوبة عن تاب (رحميا) أي واسع الرحمة وقد نسخ الإيذاء باللسان للثقي والفتاة بجلد مائة وقال أبو مسلم الأصمغاني والمراد بقوله تعالى والذين يأتين الفاحشة السحاقات وحدثن الجلس إلى اللوت وأولى أن يسئل الله لمقاضة الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى والذين يأتينها منكم أهل القواط وحدهما الذي بالقول والفعل (أما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة أي إنما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لا وجوب الاستحقاق للذين يعملون للعصية مع عدم علمه بأنهم عصية لكن يمكنه تحصيل العلم بأنهم عصية (ثم يربون من قريب) أي من زمان قريب وهو ما قبل معانسة سبب اللوت وأهواله (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يتجاوز الله عنهم (وكان الله عليا) بأنه إنما أتى بتلك للعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيا) بأن العبد إذا كان من مقتضى ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فإنه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) أي وليس قبول التوبة للذين يعملون الذنوب إلى حضور موتهم أي علاماته قربه وقولهم حينئذ إني تبت الآن ولتلك المنفعة إيمان فرعون حين أدركه الفرق روى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ أي ما لم يتردد الروح في حلقه وقال عطاء ولوقبل موته بفوق الناقة وعن الحسن إن ابليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لأفارق ابن آدم إذا مدت روحه في جسده فقال الله وعزتي لأعاقب عليه باب التوبة ما لم يفرغ (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي وليس قبول التوبة للذين يموتون على الكفر إذا كانوا في الآخرة عند معانسة العذاب (أولئك) أي الكفار (أعدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم محتضين بسبب كفرهم بزيد العقوبة والأذلال نزلت هذه الآية في حق طعمة وأصحابه الذين ارتدوا قاله ابن عباس (بأنها الذين آمنوا لا يصلح لكم أن ترثوا النساء) أي عين النساء (كرها) أي لا يصلح لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث وهن كارهات لتلك أو مكرهات عليه نزلت هذه الآية في حق أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام إذا مات الرجل وكانت له زوجة جارية من غيرها أو بعض أمار يعاقبني أو بعض المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت أمه فصار أحق بهما من سائر الناس ومن نفسها فإن شاء تزوجها بغير صداق وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يطلها منه شيئا فأئذن الله تعالى هذه الآية قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الأحقاف وقرأ عاصم وابن ذكوان عن ابن عباس في الأحقاف بالضم والياقون بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في جميع ذلك قال الفراء الكره بالفتح الأكراه بالضم للشفقة فأكرمه عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل نفسه فهو كره بالضم (ولا تضلوهن) أي وكذلك لا يصلح لكم بعد الزوج بهن الجلس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتينكموهن) من مهر (الآن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح الباء والياقون بالكسر أي بينة القبح من التشويز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبداء والاساطعة يدل عليه قراءة ابن بكب الآن يفحش عليكم وللنبي لا يصلح لكم أن تضيقوا الأمر عليهن لطعن الملل الاتيان بهن بالنشوز فإن السبب حينئذ يكون من جهتهن فقد عذرت في طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) أي النصفة في الملبت والثفقة والاجمال في القول (فإن كرهتموهن

يثربون من قريب) يعني قبل الموت ولو بفوق ناقة (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يعود عليهم بالرحمة (وكان الله عليا حكيا) علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق فحكم لهم بالتوبة قبل الموت بقدر فوق ناقة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) يعني للشركيين والمنافقين (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني قلاتو بهلولا ما داموا على كفرهم لأن التوبة لا تقبل في الآخرة (أولئك أعدنا) أي هياتنا وأعدنا (بأنها الذين آمنوا لا يصلح لكم) كان الرجل إذا مات ورث قريبه من عصمته امرأته وكان أحق بهما من غيره فأقبل الله ذلك وأعلم أن الرجل لا يرث المرأة من الميت وقوله (أن ترثوا النساء كرها) يريد عين النساء وهن كارهات (ولا تضلوهن) لتذهبوا بعض ما آتينكموهن كان الرجل يمسك المرأة وليس له فيها حاجة اضرارها حتى تقتدى بغيرها فبها عن ذلك ثم استثنى فقال (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني الزنا فإذا رأى الرجل

من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها حتى يتخلل منه (وعاشروهن بالمعروف) أي بما يجب لهن من الحق وهذا قبل أن يأتين بالفاحشة (فإن كرهتموهن) الآية أي فيما كرهتم عامر قدر ضاخير كثير وثواب عظيم والخير الكثير في

الى قوله (وربائبكم) جمع ربيبة وهي بنت أمة أو رجل من غيره (اللاقي في حجوركم) أي في ضامكم ورتب يشكم (وحلائل أبنائكم) أي
وأزواج أبنائكم (الذين من أصلابكم) (١٤٦) لا من تبنيتهم (وأن تجمعوا) أي وأجمع (بين الأختين إلا ما قد

وسلفان الثوري وعبد الله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب) وأخوانكم من
الرضاعة) وهي من أرضتها أمك أو أَرْضَتْ بِلَبَنِ أَيْكَ أو وَلَدَتْهُمَا رَضْعُكَ أو وَلَدَهَا نَعْلُ (وأمهات
نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجه أم لا (وربائبكم اللاقي في حجوركم) أي وراثت نسائكم
اللاقي يتم في بيوتكم (من نسائكم اللاقي دخلتم بهن) أي جامعتموهن سواء كان ذلك بعد تصحيح
أو قسدا (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح الربائب بعد طلاق أمها أو موتها
(وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أي ونساء أبنائكم الذين من أولاد فراشكم دون نساء الأولاد
الادعياء قال الشافعي لا يجوز للأب أن يتزوج بجارية ابنة أخته طليعة أو قال أبو حنيفة يجوز وانفقوا
على أن حرمة الزوج بحليلة الابن تحصل بنفس المقدار أن حرمة الزوج بحليلة الأب تحصل بذلك
(وأن تجمعوا بين الأختين) بالنكاح وبالوطء في ملك الجنتين لاقى نفس ملك الجنتين قال الشافعي
نكاح الأخت في عدة البائت جائز لأنه لم يوجد جامع وقال أبو حنيفة لا يجوز (الإمام سلف)
أي قد مضى في الجاهلية فإنه مغفور لكم (إن الله كان غفورا) فيما كان منكم في الجاهلية
(رحيما) أي فيما يكون منكم في الإسلام إذا تبتم (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)
أي وحرم عليكم نكاح ذوات الأزواج كاتبات من جميع النساء إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا
فأنتن حلال لكم بعد ما استبرأتم أرحامهن بحصة وإن كان أزواجهن في دار الحرب واختلف
القراء في كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بالأم نكحة فقرا أو الجهور بفتح الصاد والكسائي بكسرهما
في جميع القرآن إلا التي في هذه الآية فأنهم أجمعوا فيها على القسح والعتق أحصنهن الأزواج بالزوج أي
أعفوهن عن الوقوع في الحرام والأولياء أعفوهن عن الفساد بالزوج وهن يحصن أزواجهن عن
الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بغافهن (كتاب الله عليكم) أي كتب عليكم تحريم
ما قسم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو لفظي الزوايا كتاب الله (وأحل لكم ما وراء ذلكم
أن يتنوبا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمز وقالكسائي وحفص عن عاصم وأحل لكم بالبناء
للفقول عطفًا على قوله حرمت عليكم والباقيون وأحل بالبناء للعطف على كتاب الله أي كتب الله
عليكم تحريم هذه الأشياء وأحل لكم ما وراءها ومحل أن يتنوبا فرغ على البذل من ماعلى القراءة الأولى
ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والعتق وأحل لكم ما سوى
المحرمات للمدونة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم للهوى أو الأمان على طريق النكاح إلى
الزبيح أو الترسى للإماء حال كونكم متعطفين عن الزنا وغير الزنا وهذا تكرير لثبات كيدوقيل للمضى
كونوا مع النساء متزوجين أو متسرين (لما استمتعتم بهن) فأنهن أجورهن) أي فأى فعل
استمتعتم به من جهة النكاح أو من جهة العطف أو من جهة المدونة أو من جهة البذل إن استمتعتم
بالدخول ولم توطئوا بالنصف إن استمتعتم بمقدار النكاح (فريضة) أي حال كون أجورهن مفروضة من
الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما رضىتم به) أي لا ثم عليكم في أن تهبالرأى أو تزوجهن مهرها أو يهب الزوج
للزوجة الطلقة قبل الدخول تمام للهوى أو فها راضيا به من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة) أي من بعد
ذكر المقار للمعنى (إن الله كان عليا) بمخالص العباد (حكيا) فلا يشرع الأحكام الأعلى وفق الحكمة
وذلك يوجب التسليم لأوامره والالتقاء لأحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الأحرار (طولا أن
ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحررات (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي من أمانكم

سلف) أي مضى منكم في
الجاهلية فلا تؤاخذون به
بعد الإسلام (والمحصنات)
أي وذوات الأزواج من
النساء وهن محرمات على
كل أحد غير أزواجهن
الإمامكموه بالسبي من
دار الحرب فأنها تحصل
للملكها بدلا لاستبراء
بحصة (كتاب الله
عليكم) أي كتب تحريم
ما ذكر من النساء عليكم
(وأحل لكم ما وراء) أي
ما سوى (ذلكم) من
النساء (أن يتنوبا) أي أن
تطلبوا (بأموالكم) أما
بنكاح وصدائق أو بملك
يمين (محصنين) فأكبر
(غير مسافحين) زانين (لما
استمتعتم) أي لما اتفقت
وتلذذتم (بهن) أي من
النساء بالنكاح الصحيح
(فأنهن أجورهن) أي
مهورهن (فريضة) فإن
استمتعتم بالدخول بها أي
بالمهر تاموا أن استمتعتم
النكاح أتي بنصف للمهر
(ولا جناح عليكم فيما
راضتم به من بعد
الفريضة) من حظ من
المهر وأراد من بعض
الصدائق أو ملك (إن الله كان
عليا) بما يصلح أمر العباد
(حكيا) فإياهم من لهم من

عقد النكاح (ومن لم يستطع منكم طولا) أي فقرة وغنى (أن ينكح المحصنات) أي الحررات
(للمؤمنات فما ملكت أيمانكم) أي فليزوج مما ملكت أيمانكم يعني جارية غيره (من فتياتكم المؤمنات) أي مملوكاتكم

(واقه أعلم بآمانكم) أى اعمال واعل الظاهر فى الأمان فأنكم متعبدون بظاهر واقه بتولى السرائر (بعضكم من بعض) أى دينكم واحدا فأنهم متساون من هذه الجهة ففى وقع لأحدكم ان ضرورة جازله تزوج (١٤٧) الأمة (فأنكم كجوهن باذن أهلبن)

أى انطوبهن الى ساداتهن
(وآتوهن أجورهن) أى
مهورهن (بالمعروف)
من غير مطل وضار
(محضات) عفاف (غير
مسافحات) زنا علانية
(ولامتخذات أخدان) أى
زوان سرا (فإذا أحسن)
أى تزوجن (فان آتين
بفاحشة) بزنا (فليهن
نصف ماعلى المحضات)
أى الأبكار الحرائر (من
العذاب) الحد (ذلك) أى
نكاح الأمة (لن خشى
الغنى منكم) أى لن خاف
أن تحمله شدة الغنى على
الزنا فليكن الغنى وهو الحد
فى الدنيا والعذاب فى الآخرة
أباح الله تعالى نكاح الأمة
بشرطين أحدهما عدم
الطول والثانى خوف
الغنى ثم قال (وأن تصبروا)
أى عن نكاح الاماء
(خير لكم) لتلاصقوا الولد
عبدا (يريد الله ليعين لكم)
شرائع دينكم ونصالح
أمركم (ويهدىكم سبل
الدين من قبلكم) دين
ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام دين الخليفة
ويتوب عليكم) أى يرجع
بكم من مضيئته التى كنتم
عليها الى طاعته (واقه

المؤمنات فقله تعالى أن ينكح امما مفعول طولوا وامبادل منه واما مفعول ليستطع وطولوا مصدر
مؤكد له لأنه بمعنى اذا استطاعة هي الطول أى الفضل والزيادة فى اللال أو تمييز أى ومن لم يستطع
منكم زيادة فى المال يبلغ بها نكاح الحرائر فلينكح الاماء أو للمنى ومن لم يستطع منكم استطاعة
نكاحهن أو للمنى ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لمن جهة الطبيعة نكاح الحررة فلينكح
الأمة لأنها فى المادة تخف مهورها ونفقها لاشتغالها بخدمة السيد بخلاف الحررة الفقيرة ويقال
لأولاد الحديثة السن فتاة والفلام فى الأمة تسمى فتاة سواء كانت عجزوا أم شابة لأنها كالشابة فى أنها
لا توفى توكير الكبير وقال مجاهد وسعيد الحسن ومالك والشافعى لا يجوز تزوج الأمة بالأمة الكتابية
سواء كان الزوج حرا أو عبدا وقال أبو حنيفة يجوز (واقه أعلم بآمانكم) أى انه تعالى أعلم منكم
بمراتبكم فى الإيمان فرب أمة يفوق إيمانها إيمان الحرائر فاصلوا على الظاهر فى الإيمان فأنكم مكفون
بظواهر الأمور واقه بتولى السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أى كلكم مشتركون فى الإيمان
وهو أعظم الفضائل فإذا حصل الاشتراك فى ذلك كان التفاوت فى ما وراءه غير معتبر وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من أمرها الجاهلية الطعن فى الأنساب والفخر بالأحساب والاستسقاء
بالأنواء (فأنكم كجوهن باذن أهلبن) أى سيدن (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أى
أعطوهن مهورهن على المادة الجلية عند الطالبات من غير مطل (محضات) أى عفاف عن الزنا
وهى حال من مفعول فأنكم كجوهن (غير مسافحات) أى غير مؤجرة نفسها مع أى رجل
أرادها (ولا متخذات أخدان) أى غير متخذات أخلاء معينين يزنون بهن سرا (فإذا أحسن) أى
زوجن وقرأه حزقو الكسائى وأبو بكر بالنخلاف قال أى أسلمن كما قال عمرو بن مسعود والشعبي
والنخعي والسدي (فان آتين بفاحشة) أى فأن فعلن زنا (فليهن نصف ماعلى المحضات) أى
فتات عليهن شرا نصف ماعلى الحرائر الأبكار (من العذاب) أى الخفيف جلدن خمسين وغيرهن
نصف سنة كما هو كذلك قبل الإحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت جلدهن بالإحصان كتفاوت
حد الحرائر فتخفيف الحد لرق (ذلك) أى نكاح الاماء حلال (لن خشى الغنى منكم) أى
الضرر الشديد فى الزوجة بالشئ الشديد فانه قد يحمل على الزنا وقد يؤدى بالإنسان الى الأمراض
الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما فى نكاحهن من قريض الولد لرق
(واقه غفور رحيم) باباحته لكم فى نكاح الاماء وان كان يؤدى الى ارقاق الولد مع أن هذا يقتضى
النعم منه لاحتياجكم اليه فكان ذلك من باب النعمة والرحمة (يريد الله ليعين لكم) ما هو خفى عنكم
من مصالحكم وأفضل أعمالكم (ويهدىكم سبل الدين من قبلكم) أى يرشدكم طرائق الأنبياء
والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله قهره وتحيله لنا من النساء كان الحكم كذلك فى جميع
الشرائع والمثل (ويتوب عليكم) اذا تبت اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير فى مراعاة الشرائع
(واقه عليم) بأحوالكم (حكيم) فى كل ما يضل بكم ويحكم عليكم (واقه يد أن يتوب عليكم) أى
أن يتجاوز عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الأخوات من الأب (ويريد الله ليعينكم الشهوات) فى
نكاح الأخوات من الأب وهم اليهود وفى الزنا وهم الفجرة (أن يعلموا ماعلينا) بما وافقهم على استحلال
الحرمة فى قول اليهود أن نكاح الأخوات من الأب حلال فى كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزانى

يرد أن يتوب عليكم) أى يخرجكم من كل ما يخطئ ويكره الى كل ما يحب ويرضى (ويريد الله ليعينكم الشهوات) وهم الزناة وأهل
الباطل فى دينهم (أن نميادوا) عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ملاعليا) فتكونوا مثلهم

يجب أن يشرك في الزنا غير ما يفرق اليوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) في جميع أحكام الشروع كإباحة نكاح الأمة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أى عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابله وتداعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستعمل قواه في مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى بما يخالف الشريعة كالغصب والسرقة والحياة والقمار وعقود الزور والحلف الكاذب وجهه ما خلق (الأن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ أصم وحمة والكسائي تجارة بالنصب أى لا يأكل بضمكم أموالا بغير طريق شرعى بل كوا بأن تكون الأموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقيون بالرفع أى لكن بأن توجد تجارة عن طيب نفس (ولاتأكلوا أنفسكم) أى لاتأكلوا ما تستحقون به القتل من قتل المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الإحصان (ان الله كان بكم رحما) حيث نهاكم عن كل ما تستوجبون بمشقة (ومن يفعل ذلك) أى ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدونا) أى أفراما في مجاوزة حد الحلال (وظلما) أى اتيانا بما لا يستحقه (فسوف نصيبه) أى ندخله (نارا) هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى أصلاؤه النار (على الله يسيرا) أى هينا (ان تجتنبوا كباثر ماتهمون عنه) في هذه السورة (تكفر عنكم سيئاتكم) أى صغارتكم من جماعة الى جماعة ومن جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وتدخلكم) في الآخرة (مدخلا رحما) قرأ نافع بفتح الهم والياقون بالضم أى موضعا حسنا وهو الجنة (ولاتتمنوا ما فضل الله بضمكم على بعض) قال ابن عباس لا يتمنى الرجل مال غيره ودائمه وأمراته ولا شيئا من الذى تبته كالجاه وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لأن ذلك التفضيل قسمته من الله تعالى صادرة عن حكمه وقدير لائق بأحوال العباد متفرع على العلم بمجالات شئونهم ودقائقها واسألوا الله من فضله وقولوا اللهم أرزقنا مثله أو خيرا منه منع التغرير ويقال زالت هذه الآية في حق أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي لبت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لى توجب كما يوجب الرجال فنهى الله عن ذلك وقال ولا تمنوا ما فضل الله بضمكم أى الرجال على بعض أى النساء من الجماعة والجمعة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم فقال (الرجال نصيب) أى ثواب (عما اكتسبوا) أى الجهد كالجهاد والثقة على النساء (والنساء نصيب) أى ثواب (عما اكتسبن) من الخير في بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وأزواجهن وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والغز وحفظ الثياب ومصالح العائش والاطلاق والارضاع (واسألوا الله) قرأ ابن كثير والكسائي وسألوا الله بغير همز (من فضله) أى واسألوا الله ما احتجتم اليه بضمكم من خزائنه التى لاتنفد قال الفخر الرازى قوله تعالى واسألوا الله من فضله نبيه على أن الانسان لا يجوز لأحد يعين شيئا في الطلب والماء ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا للصالحه في دينه ودنياه على سبيل الإطلاق اه وقد جاء في الحديث لا يتمين أحدكم مال أخيه ولكن ليقبل اللهم أرزقني اللهم أعطني مثله وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألو الله من فضله فانه يحب أن يسئل وأفضل العباد انتظار الفرج (ان الله كان بكل شى عليم) ولذلك جعل الناس على طبقات فرغم بعضهم على بعض درجات أى فانه تعالى هو العالم بما يكون صلاحا للساكنين فليقتصر

(ولكل) أى ولكل شخص من الرجال والنساء (جعلنا موالى) أى عصبتو ورثة (عما ترك الوالدان والأقربون) أى من تركه والده وأقربوه أى تشعبت العصبية والورثة عن الوالدين والأقربين ثم ابتدا وقال (والذين عاهدت أيمانكم) وهم الحلفاء أى عاهدت حلفهم أيمانكم وهى جمع بين من القسم وكان الرجل (١٤٩)

له دمي دمك وحر في
حررك وسلمى سلمك
فلما قام الاسلام جعل
للحليف السدس وهو
قوله (فا توهم نصيبهم)
ثم نسخ ذلك بقوله وأولو
الأرحام مضىهم أولى
بعض (ان الله كان على
كل شئ شهيدا) يريد أنه
لم يبق عنه علم ما خلق
(الرجال قوامون على
النساء) أى على تأديبهن
والأخذ فوق أيديهن
(بما فضل الله) الرجال
على النساء بالعقل والعلم
والقوة في التصرف والمجاهد
والشهادة والبراث (وما
أنفقوا) عليهم (من
أموالهم) ببنى المهر والاتفاق
عليهن (فالمالقات)
من النساء هن اللواتي
للطبعات لأزواجهن وهو
قوله (قاتلات حافظات
للغيب) يحفظن فرجهن
في غيبته أزواجهن (بما
حفظ الله) في إيجاب الهر
والنفقة لمن وإبائه أزواج
هن (واللاتي تخافون)
أى تعلمون (تسوزهن)
ببنى عسياتهن (فظوهن)
بكتاب الله وذكرهن الله

السائل على المجمل وليحترز في دعائه عن التحين فرما كان ذلك محض المفسدة والضرر (ولكل
جعلنا موالى عمارك الوالدان والأقربون) أى ولكل تركه جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلوها
ويحترزون منها أنصيبهم بحسب استحقاقهم وعمارك لبيان لكل (والذين عاهدت أيمانكم) أى
وعما ترك الزوج والزوجة فالنكاح يسبى عضدا وهذا قول في مسلم الأصناف ويصح أن تكون جملة
جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر وللخبي حيث قد وكل قوم
جعلناهم وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين عمارك للورثون (فا توهم نصيبهم) من
البراث قيل ان هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق لأنه حلف أن لا يتفق على ابنته عبد الرحمن
ولا يورثه شيئا من ماله فلما أسلم عبد الرحمن أمراهه أبا بكر أن يؤتیه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى
والذين عاهدت أيمانكم الحلفاء وبقوله فا توهم نصيبهم النصيحة والمصافة في الشرة
وحيث نقوله والذين مبتدأ متضمن لئى الشرط ولذلك صدر الخبر بالقاء ومنصوب بمضمر ضميره
قوله فا توهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عاهدت أيمانكم
على الحلفاء في الجاهلية وقوله فا توهم نصيبهم على البراث وهو السدس فهذه الآية حيث قد منسوخة
بقوله تعالى وأولو الأرحام مضىهم أولى ببعض في كتاب الله وبقوله تعالى يوصيكم الله وكذا لو حمل قوله
الذين عاهدت أيمانكم على الأبناء الأديعاء أو على من وأخاه النبي صلى الله عليه وسلم رجل آخر فانه
واخين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان على كل شئ) من أعمالكم (شهيدا)
أى معلما (الرجال قوامون على النساء) بما فضل الله بهن على بعضه من بعض وما أنفقوا من أموالهم) أى
الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن بكال العقل وحسن التدبير
ورزاة الرأى ومز يد القوة في الأعمال والطاعات ولتلك خصوصاً بالنبوة والامامة والولاية وإقامة
الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب المجاهد والجمعة وغير ذلك وبسبب اتفاقهم من أموالهم الهر
والنفقة (فالمالقات) أى المستنات لأزواجهن (قاتلات) أى مطيعات لأزواجهن (حافظات
للغيب) أى لا يجب عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والأموال (بما حفظ الله)
أى بالتي حفظ الله لهن أى فان حفظ حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن
حيث أمرهم بالعدل عليهن وأساكنهن بالمعروف واعتاطهن أجورهن وأولهنى بحفظ الله إياهن
بالأمر بحفظ النيب والتوفيق له وقرى بما حفظ الله بالنصب على حنف الضاف أى بسبب حفظهن
حدود الله وأوامره (واللاتي تخافون تسوزهن) أى والنساء اللاتي تظنون عسياتهن لبعين
(فظوهن) أى فاصحوهن بالترغيب والترهيب (واهجرهن في الضامع) أى حولوا عنهن
وجوهكم في الرأفة فلا تدخلوهن تحت الحلاف ان علمت النسوز ولم تنفعن النصيحة (واضر بوهن)
ان لم تنجع المجران ضرا بما غير مبرح ولا شائن والأولى ترك الضرب فان ضرب فالتواجب أن
يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا الى الهلاك بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون
في موضع واحد وأن لا يولاي به وأن يبقى الوجه وأن يكون بمندبل ملفوف (فان أطعكم) أى

وما أمرهن به (واهجرهن في الضامع) أى فرقوا بينكم وبينهن في الضامع (واضر بوهن) ضرا بما غير مبرح ولز وج أن
يتلاقى نسوزا مرأته بما أن الله لعنه عظمها بلسانه فلن تمتعه هجر مضجعا فان أيتضربها فان أبت أن تنظ بالضرب بحث الحكام
(فان أطعكم) فيا ياتمس منهم

(ينبئها) أي بين الزوجين
(فابشوا حكا) كما كانوا
للمناع من الظلم (من أهله)
أي من أقاربه (وحكام من
أهلها) حتى يجتهدوا بنظرا
من الظالم منها فيأمرانه
بالرجوع إلى أمر الله أو
يفرقان إن رأيا ذلك (ان
يريدا) أي الحكمان (أصلاحا
يؤفق الله بينهما) أي بين
الزوجين بالصالح (ان الله
كان عليهما خيرا) أي عافى
قلوب الزوجين والحكمين
وقوله (وبالوالدين احسانا)
أي أحسنوا بهما احسانا
وهو البر مع لين الجانب
(وبذي القربى) هو ذو
القرباة يصله ويتعطف
عليه (واليتامى) يرفق
بهم ويدبرهم (وللساكنين)
يبدل يسير أو رديميل
(والجار ذي القربى) وهو
الذي له مع حق الجوار
حق القرابة (والجار
الجنب) أي المجيدنك
في النسب (والجانب)
السفر (وابن السبيل) عامر
السبيل تؤويه وتعلمه
حتى يرجل (وما ملكك
أيمانكم) يعني الماليك
(ان الله لا يحب من كان
مختالا) أي غفيا في نفسه
لا يقوم بحقوق الله (فخورا)

رجعن عن الفسوز إلى الطاعة عندها التأديب (فلا تبغوا عليهم سبيلا) أي فلا تطلبوا عليهم
طريقا في الحب ولا في الأذى واكتفوا بظاهر حال المرأة ولا تفشوا عما في قلبها من الحب والبغض
(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان الله تعالى مع علوه وكبريائه لا يكلفكم مالا تطيقون فكذلك
لا تكلفوهن مالا طاقة لهن من المحبة وانه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعفو
عن أزواجكم عند اطاعتين لكم (وان خفتم شقاق بينهما فابشوا حكا من أهله وحكام من أهلها)
أي وان علمتم أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابشوا إلى الزوجين
لإصلاح الحال بينهما حكا أي رجلا وسطا صالحا لإصلاح من أهله أي الزوج وحكا آخر على صفة
الأول من أهلها لأن أقاربهما أعرف بحالهما من الأجانب وأشد طلبا للإصلاح فإن كانا
أجنبيين جاز فبستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكمان فيعلنان ماهو
الصواب من مجهما أو يقطعان طلاق أو خلع (ان يريدا أصلاحا يؤفق الله بينهما) فالضمير الأول إما
عائد على الحكمين أو أزواجهم والضمير الثاني كذلك فالوجوه أربعة والعنى ان كانت نية
الحكمين قطعا للخصومة أوقع الله للواقعة بين الزوجين (ان الله كان عليا) بموافقة الحكمين
ومخالفتهما (خيرا) بفعل المرأة والرجل قال ابن عباس زلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون
على النساء إلى ههنا في شأن بنت محمد بن سبعة بطمعة لطمعا زوجها سعد بن الربيع لخصيبتها في
المضاجع فطلبتمن التي صلى الله عليه وسلم قصاصا من زوجها فنهاها الله عن ذلك (واعبدوا
الله) بقاؤكم وجوارحكم (ولا تشركوا به شيئا) أي شركا جليا أو خفيا وهذا أمر بالاخلاص في
العبادة (وبالوالدين احسانا) أي أحسنوا بهما احسانا بالقائم بخدمتهما وبالسعى في تحصيل
مطالبهما والافتقار إليهما وبعدم رفع الصوت عليهما وعدم تخشين الكلام معهما وعدم شتم السلاح
عليهما وعدم قتلها ولو كانا كافرين لأن صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أيه أي عاصي الأرباب
وكان مشركا وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه
في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد يا يمن فقال أبواي فقال أباك أذنالك فقال لا فقال
فارجع فاستأذنها فان أذنالك فجاهد والإفبرها (وبذي القربى) أي صلاوا بصاحب القرابة من
أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى) أي أحسنوا إليهم بالرفق بهم وبمسح رأسهم وبترتيبهم
وحفظ أموالهم (وللساكنين) أي أحسنوا إليهم بالصدقة أو بالزاد الجليل (والجار ذي القربى)
أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بالنسب وقرى بالنسب على الاختصاص تعظيما
لحقه لأن له ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كقريء والصلاة الوسطى نصبا
على الاختصاص (والجار الجنب) أي الذي يحد جواره أو الذي لا قرابة له فله حقان حق الاسلام
وحق الجوار (والصاحب بالجنب) وهو اما رفيق في سفر أو جار ملاقى أو شريك في تعلم أو حرفة
أو قاعد يجنبك في مسجد أو مجلس وقيل هي المرأة فاتها تكون معك وتضطجع إلى جنبك (وابن
السبيل) أي للسافر النقطع عن بلده بالسفر أو الضيف أي أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق
وما فوق ذلك صدقة (وما ملكت أيمانكم) أي أحسنوا إلى الخدم من العبيد والأمانه (ان الله
لا يحب من كان مختالا) أي متكبرا عن أقارب بالفقراء وجيرانه بالضعفاء وأصحابه ولا يحسن عشرتهم
(فخورا) على الناس بما أعطاه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل

على عباد الله بما خوله الله من نعمته (الذين يبخلون) يعني اليهود يتجاوزوا بأموالهم أن يتفقوا في
طاعة الله تعالى (و يأمرون الناس بالبخل) أمروا الأنصار أن لا ينفقوا أموالهم على رسول الله ﷺ وقالوا اننا نخشى عليكم الفقر

وينكتمون

ويكتمون ما آتاهم الله من فضله من العلم بما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر أن للوصول منصوب على التمسك أو مرفوع على التمسك أي هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختلا وأن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره أحقاء بكل ملأمة أو كافرين نزلت هذه الآية في حق كدوم بن زيد وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وعزري بن عمرو وحسين أخبط ورفاعة بن زيد ابن الثابت حين أمروا رجالا من الأنصار بترك الثقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا للفرع عليهم أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وأعتدنا لكافرين) أي اليهود (عذابا مهينا) أي فمن كان شأنه كذلك فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمته فله عذاب مهين كما أن النعمة باليخل والاختفاء وفي الحديث الذي رواه أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والوصول امامحطوف على الوصول الأول وامحطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدي نزلت هذه الآية في شأن المنافقين وقيل نزلت في مشركي مكة المنافقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا) أي ومن يكن الشيطان معينا له في هذه الأفعال في الدنيا (فساء قرينا) أي فليس الصاحب له النار هو فان الله تعالى يقرن مع كل كافر شيطانا في سلسلة في النار ثم بين الله تعالى سوء احتياهم في ترك الإيمان فقال (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا بما رزقهم الله) أي وأى ضرر عليهم في الإيمان والانفاق ابتغاء وجه الله (وكان الله بهم) وبأسوأهم الخفية (عليه) فائدة تعالى عالم بواطن الأمور فان القصص الذي لا يراه إنما يكون باطنا غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي ان الله لا يظلم أحد وزن ثلثة حركات صغيرة أي لا يظلم قليلا ولا كثيرا (وان نكسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والفتح وان حدث حسنة والياقون بالنصب والفتح وان تكن زنة الزرة حسنة وقرأ ابن كثير وابن عمر يضعفها بالتشديد من غير ألف أي فيكون التضعيف الثوب الى مقدار لا يعلمه إلا الله تعالى روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يؤق بالعيد يوم القيامة وينادي مناد على رءوس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حتى فليات الى حقه ثم يقال له أعط هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله لا تكنه انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لبعده وأدخلها الجنة بفضل ورحمته وقال أبو عثمان النخعي عن أبي هريرة أنه قال ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقدر الله ان ذهب الى مكسبا أو ممترا فليقتنه فقلت بلفظي عنك أنك تقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة أم أقل ذلك ولكن قلت ان الحسنه تضاعف بألف ألف ضعف وتلقوه تعالى (ويؤت) أي يعطى الله صاحب الحسنه (من لذه) أي من عنده تعالى (أجر عظيما) فلا يقدر أحد فقده • روى أن عمر كان جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ مضى رسول الله ﷺ حتى بدت ثيابه فقال عمر يا رسول الله بأي أمت وأي مال أتتى أشمك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مظلمي من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق في من حسنتي شيء فقال الله تعالى للمالك كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسنتي شيء فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك اليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فنة وقصورا من ذهب مكاله بالؤلؤلأي في هذا أو لى صديق أو لى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى

(ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي ما في التوراة من أمر محمد ﷺ ونسبه (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) يعني للمنافقين (ومن يكن الشيطان له قرينا) أي يسول له ويوصل بما يأمره (فساء قرينا) أي بئس الصاحب الشيطان (وماذا عليهم) أي هل اليهود والمنافقين أي ما كان يضرهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا بما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) أي لا ينهيهم بما ينفقونه رياء الناس (ان الله لا يظلم) لا ينقص أحدا (مثقال) أي مقدار (ذرة) ان كان مؤمنا أتاه عليها الرزق في الدنيا والأجر في الآخرة وان كان كافرا أشعم بها في الدنيا (وان تلك حسنة) من مؤمن (يضاعفها) بعشرة أضعافها (ويؤت من لذه) أي من عنده (أجر عظيما) وهو الجنة

(فكيف) أى كيف يكون حال هؤلاء اليهود والنفاقين يوم القيامة وهذا استفهام معناه التوبيخ (إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعنى نبي كل أمة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) للنفاقين والمشركين (شهيدا) تشهد عليهم بما فعلوا (يومئذ) أى في ذلك اليوم (يود الذين كفروا وعصوا الرسول) وقد عصوه في الدنيا (لو سوى بهم الأرض) أى يكونون ترابا فيستونون مع الأرض حتى يصيروا وهي شيئا واحدا (ولا يكتسبون الله حديثا) لأن أعمالهم ظاهرة عند الله عز وجل

لا يقدر على كتابته (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ربوا الصلاة) أى مواضعها يصنى الساجد (وأتم مسكاري) نهوا عن الصلاة وعن الدخول إلى المسجد في حال السكر وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر فكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجنبون السكر والمسكرات والصلوات والسكران المختلط العقل الذى يهذى ولا يستمر كلامه ألا ترى أن الله تعالى قال (حتى تعلموا ما تقولون) فإذا علم ما يقول لم يكن سكرانا وتجوز له الصلاة ودخول المسجد (ولاجنب) أى ولا تقربوها وأنتم تجنب (الاعازى سبيل) أى إذا داعبتم بالمسجد ودخلتموه من غير إقامة فيه (حتى تقتسوا) من الجنبات (وإن كنتم مرضى) يعنى مرضا يضره اللد كالقروح والجسدي والجراحات (أو على سفر) أى مسافرين (أوجاء أحد منكم من

الغن قال يا رب من علك ذلك قال أنت ملكه قال فإذا بارب قال بفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن القبول صلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (إذا جئنا من كل أمة) أى قوم (بشهاد) أى نبي يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) يا أشرف الخلق (على هؤلاء) الشهداء وهم الرسل (شهيدا) فتشهد على صدقهم لعلكم بمقتادهم ويقال وجئنا بك لأمتك مذكيا معذرا لأن أمتصل الله عليه وسلم يشهدون الأنبياء على قومهم إذا جحدوا بالبلاغ (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو سوى بهم الأرض ولا يكتسبون الله حديثا) أى يوم يحى ذلك تمنى الذين كفروا بالله وعصوا أمر الرسول أن يدفعوا فسوى بهم الأرض كاسوى بالوفا ويقال يتمنون أن يصير أترابا مع البهائم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدر أن يكتبوا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين أى أنهم يريدون الكتمان أولا تعلموا أن الله لم يفرشركا فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ففران الله لهم لكنهم تشهد عليهم الأعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان فهناك يودون أنهم كانوا أترابا ولم يكتبوا الله حديثا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ربوا الصلاة) وأنتم مسكاري حتى تعلموا ما تقولون ولا جنب (الاعازى سبيل) أى لا تقبموا الصلاة حال كونكم كونه مسكاري من الشراب إلى أن تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولون ولا تقبموا حال كونكم جنبا إلا حال كونكم مسافرين وقيل إن الاعمى غير وهو وصفه لجنب والمضى لا تقبموا حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتى حكم للمسافرين (حتى تقتسوا) من الجنابة (وإن كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمضى وإن كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدثتم بخروج الخارج من أحد السبيلين أو تلاقف بشرنكم مع بشرة النساء فلم تجدوا ماء تطهروا به للصلاة بعد الطل فاقصدوا أرضا لاسخف فيها (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) إلى الرفقين بضررتين (إن الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كان عادته أنه يغفو عن للذين فيان برخص الحاجزين كان أولى (ألم تر) أى تنظر (إلى الذين أوتوا نصيبا) أى حظا يسيرا (من الكتاب) أى من علم التوراة (يشترون الصلاة) أى يؤثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشا على ذلك ويحصل لهم الرياسة كما قاله الزجاج (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى ويتوصلون إلى اضلال المؤمنين والتليس عليهم لكي يخرجوا عن الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أى هو سبحانه وتعالى أعلم بكنهه ما خلوهم من العداوة والبغضاء (وكفى بالله وليا) أى متصرفا في جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) أى أن ولاية نصيركم عن غير من اليهود ومن جرى مجراهم نزلت هذه الآية في شأن اليسع ورافع بن حرملة جبر من اليهود دعوا رئيسا للنفاقين عبد الله بن أبى

(من الذين هادوا بجرهون) أى قوم جرهون (الكلم عن مواضع) أى يبرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم وزمانه وبوته فى كتابهم
ويقولون سمعنا قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير سمع) كانوا (١٥٣) يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع

ويقولون فى أنفسهم
لا سمعت (وراعنا ليا
بألسنتهم) يعنى ويقولون فى
أنفسهم راعنا ويوجهونها
الى شتم محمد صلى الله عليه
وسلم بالرعوة وذكرنا ان
هذا مكان سب بالقتهم
(ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا)
مكان قولهم سمعنا وأصغنا
وقالوا (واسمع وانظرا)
أى انظر البنايدل قولهم
راعنا (لكان خيرا لهم)
عند الله عز وجل (ولكن
لعنهم الله بكفرهم) فلذلك
لا يقولون ما هو خير لهم
(فلا يؤمنون الا قليلا)
أى ايمانا قليلا وهو قولهم
الله ربنا والجنة حق والنار
حق وهذا القليل ليس
بشيء مع كفرهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وليس
بمنح لهم (يا أيها الذين
أوتوا الكتاب آمنوا
بمازنا مصدقا مما من
قبل أن نطمس وجوها)
أى نعو مافيهما من عين
وأصوفهم وحاجب فنجعلها
كضباب البحر وكحافر الياة
(فتردها على أدبارها) أى
نحولها قبل ظهورهم (أو
تلثمهم) أى نخطمهم فردة
وخنازير كما فعلنا بأولهم
(وكان أمر الله مفعولا)

وأحياه الى دينهما ثم أزل فى مالك بن الصنف وأحياه قوله تعالى (من الذين هادوا بجرهون الكلم عن
مواضع ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أى من
اليهود قوم يبرون الكلم التى أزل الله فى التوراة عن مواضع التى وضع الله تعالى فيها كبحر يفهم
فى نصت التى أسمر ربة فوضوا مكانه آدم طول التورح: يفهم الرجم فوضوا به الجلد ويقولون فى
الظاهر اذا أمرهم النبي عليه السلام سمعنا قولك وفى أنفسهم وعصينا أمرك ويقولون فى أثناء
مخالطة النبي عليه السلام كلاما ذوا وجهين وهو محتمل للخبر والشتر مظهرين للحدس ويضرون الشتم
وهو واسع من غير مسمع مكروها والرد واسمع من حال كونك غير مسمع كلاما أصلا لمسموع أمومت
وهو دعاء منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أو غير مسمع جوابا لوافقك فكذلك
ما سمعت شيئا يقولون لاني أسمع ويقولون فى أنفسهم لا سمعت قوله غير مسمع من غير مسمع
ويقولون فى أثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم راعنا وهى كلمة ذات وجهين محتملة للتعبير اذا حلت
على معنى أصرف سمعنا الى كلامنا وأصت حد بشوا نفهم ولشرا اذا حلت على السب بالرعوة أو على
أهم يريدون انك يا محمد كنت ترى أغنامنا فاقسم يقتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من الرعاة
فيجعلونه من الرعاة وكانوا يقولون لأصحابهم انما نشتبهوا ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأعلمه
الله تعالى على خبيث ضامرهم وعلى ما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء أى يقولون ذلك لصرف الكلام
عن نهجه والفتاح ودين الاسلام بالاستهزاء والسخرية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالحال عند سماع
شيء من أوامر الله تعالى ونواهيه (سمعنا وأطعنا واسمع وانظرا) بدل ذلك (لكان) قولهم
ذلك (خيرا لهم) عند الله (واقوم) أى أصوب (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى أبعدهم عن
الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا) أى الا ايمانا قليلا غير نافع وهو
الايمان بالله والتوراة وموسى وكفروا بسائر الأنبياء والأزمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم
الايمان وبضهم جعل قليلا مستثنى من الماء فى لعنهم أى الانقراض قليلا فلا يلزمهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك
بل كانوا مؤمنين كعباد الله بن سالم وأصحابه (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) أى
بالقرآن (مصدقاً لما معكم) أى موافقا للتوراة فى القصص والوعايد والهدوة الى التوحيد والعدل
بين الناس والنهى عن المامسى والفواحش (من قبل أن نطمس وجوها) أى نعو مخطوط
صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فتردها على أدبارها) أى فتجعلها على هيئة أفتائها
(أو تلثمهم كما لعننا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان وضمر القاتل تراجع الى الذين
أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبارة التبية (وكان أمر الله) بايقاع
شيء مما (مفعولا) أى نافذا وهذا اخبار عن جريان مادة الله فى الأنبياء المتقدمين أنه تعالى مهما
أخبرهم بأزال المذاب على الكفار فعل ذلك لامحالة (ان الله لا يفر أن يشرك) أى لا يفر
الكفر لمن اتصف (به) بالآتية وإيمان (ويغير مادون ذلك) أى الشرك فى التبع من المامسى
صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لا قتل وحشى
حزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه بالاحتاق ان هو فعل ذلك ثم اتهم ما قوله بذلك فعند ذلك ندم هو
وأصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا يمنهم عن الدخول الى الاسلام الا قوله تعالى

(٢٠) - (تفسير مراح لبيد) - (أول) .
لهذه مغفرة مادون الشرك فيمفر عن يشاء ويفرلن يشاء الا للبركة نكذبا لا للقدس فهو قوله (ويغير مادون ذلك لمن يشاء

اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وما علمناه بالتبارك كفرنا بالليل وما علمناه بالليل كفرنا بالنهار (بل الله يركب من يشاء) أى يجعل من يشاء من أكلها ناصيا فى الصلاح يعنى أهل التوحيد (ولا يظلمون قتيلا) أى لا يظلمون من الثواب قدر قليل النواة وهى القشرة الرقيقة التى حولها ثم عجب الله صلى الله عليه وسلم من كذبهم فقال تعالى (انظر كيف يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم تكفر عنا ذنوبنا (وكفى به) أى بافترائهم (أعالمينا) أى كفى ذلك فى التعظيم (ألم ترالى الذين أنصبا من الكتاب) يعنى علماء اليهود (يؤمنون بالجبت) يعنى الأصنام (والطافوت) أى سدتها وراجعتها وذلك بأنهم حالفوا قريشا على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسجدوا لأصنام قريش وقالوا لهم أتم أهدى سبيلا من محمد وأقوم طريقة وديننا وهو قوله (ويقولون للذين كفروا) يعنى قريشا (هؤلا أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وقوله (أم لهم نصيب من الملك) أى بل لهم نصيب

والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد أوتينا كل ما فى هذه الآية فنزل قوله تعالى الام نأب وآمن وعمل عمارا فقالوا هذا شرط شديد نخاف أن لا تقوم به فنزل قوله تعالى ان الله لا يغير أن يشرك به و يغير مدون ذلك لمن يشاء فقالوا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته تعالى فنزل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك فى الاسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) أى فقد فعل ذنبا غير مغفور (ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم) أى يدعونهما قال قتادة والضحاك والسدى هم اليهود أخرجه ابن جرير وذلك لما شهد الله تعالى اليهود بقوله تعالى ان الله لا يغير أن يشرك به فبغضنا قالوا لسا من للشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استفهام تعجيب وهو أمر مخاطب على التعجب أى انظر اليهم تعجب من ادعائهم أنهم أركيا عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم وفى هذه الآية تحذير من اعجاب المرء بنفسه ومهما (بل الله يركب من يشاء) عطف على مقدر أى هم لا يزكون أنفسهم فى الحقيقة لكنهم و بطلان اعتقادهم بل الله يركب من يشاء تركبته عن يستحقها من المؤمنين (ولا يظلمون قتيلا) أى ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التركة حتى جزائهم من غير ظلم أى فلا يظلمون فى ذلك العقاب قدر قليل وهو الحيط الذى فى شق النواة طولها والنفير النقطه التى فى ظهر النواة تنبت منها النخلة والطعمر القشرة الرقيقة على النواة (انظر) يأشرف الحق متعجبا (كيف يفترون على الله الكذب) لقولهم ناصم بالنهار من الذنوب يفرها فقلنا بالليل وما علمنا بالليل يفرها بالنهار فكذب مفعول به أو مفعول مطلق لأنه بلاقى السامع فى المعنى لان الافتراء والكذب متقاربان يعنى أو معناه واحد (وكفى به) أى بافترائهم هذا (أعالمينا) فى استحقاقهم لأشد العقوبات (ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطافوت) فكل معبود دون الله فهو جبت وطافوت وكل من دعا الى العاصى الكبار فهو طافوت وروى ابن عباس بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود بيقال أحد ليحالفوا قريشا على محاربه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أتم أهل كتاب وأتم أقرب الى محمدنمنا فلاننا من مكرهم فاسجدوا لأصنام حتى تطمئن قلوبنا فافعلوا ذلك فهذا إيمانهم بالجبت والطافوت لأنهم سجدوا للأصنام وأما عوا ابليس فقال أبو سفيان أئمن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد فقالوا بأمر عبادة الله وحده ونهى عن عبادة الأصنام قال وما دينكم قالوا نحن نسيق الحجاج ونقرى الضيف ونفك العاني فقال أتم أهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون للذين كفروا) أى فى حق كفار مكة (هؤلا أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أى كفار مكة أبو سفيان وأصحابه أصوب ديننا من محمد وأصحابه وكهم بلفظ الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعرفاهم بالوصف الجليل ونقطته لمن رجع عليهم التصديق بأفصح الصبغ (أولئك الذين) أى القائلون ان عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله تعالى (لنهم الله) أى أبلغهم عن رحمة (ومن يلعن الله فلعن يلعن) أى ومن يلعن الله فلعن الله تعالى فلعن محمد أيها المخاطب من يدفع عنه اللعنات دينيا كان أو آخويا (أم لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون الناس نفيرا) وأم منقطعة عما قبلها وهذا الاستفهام استفهام انكارى ابطال على اليهود فى قولهم نحن أولى بالملك والنبوة فكيف تتبع العرب وتكذب لهم فى زعمهم ان للملك يود اليهم فى آخر الزمان فيخرج من اليهود من يمددكمهم وودوتهم ويدعوا لدينهم واذن حرف جواب يعنى ليس لليهود ملك ولو كان هذا لما لم يؤتوا أحدنا شيئا وهو قوله (فاذا لا يؤتون الناس نفيرا) أى أضوا

بالقليل وصنعهم الله بالبحل فى هذه الآية والتعير يضرب مثلا لشيء القليل وهو نفرة فى ظهر النواة تنبت منها النخلة

(أهمحسون الناس) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (على ما آتاهم الله من فضله) حسبت اليهود محمد أصلي الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوة وما أبلغهم النساء وقالوا لو كان نبيا لشغله أمر النبوة (١٥٥) عن النساء فقال تعالى (فقد آتينا آل

إبراهيم الكتاب والحكمة) يعني النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ملك داود وسليمان وما آتونا من النساء فكان لداود عليه السلام تسع وتسعون وسليمان عليه السلام ألف من بين حرة وعملوكه ولحقه أتحمسون النبي صلى الله عليه وسلم على ما آتوا من النبوة وكثرة النساء وقد كان ذلك في آله لأنه من آل إبراهيم عليه السلام (فهم من آمن به) أي من أهل الكتاب من آمن به يعني محمد (ومهم من صد) أي أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكني بهم سميرا) أي عذابا لمن لا يؤمن وقوله (كلما نصحت جلودهم بدلناهم جلودهم غيرها) يعني أن جلودهم إذا نصحت واحترقت جعلت بأن نرد إلى الحال التي كانت عليها غير محترقة (ليذوقوا العذاب) أي ليقتبسوه (ويناؤه) أن الله كان عزيزا أي قويا لا يظليه شيء (حكيم) أي قادر (ويدخلهم غلاظيل) يعني ظلل هواء الجنة وهو

وجزاء لشرط مقدر ورفع الفعل بصها وان كان مرجوحا في النحول لأن القراءة سنة متبعة وقرئ شيذا على الأرجح بخلاف التون وللعني ليس لهم من الملك شيء البتة ولو كان لليهود نصيب منه فيجب عن ذلك أنهم لا يسطون واحدا من الناس قنر ما بال التفير وهو النقرة التي على ظهر النواة التي تنبت منها النخلة وهذا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو آتوا شيئا من ذلك لما أعطوا الناس من أقل قليل ومن حق من أوفى للكتاب أن يؤثر التفير بشئ منه (أهمحسون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أي بل يحسدون محمدا ومن معه على ما أعطاهم الله من النبوة والكتاب وازدياد الثمر والنصر يوما فيوما وكثرة النساء صلى الله عليه وسلم وكانت له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان محمد نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكد لهم الله تعالى وورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الكتاب والحكمة) أي النبوة والكتاب ظواهر الشريعة والحكمة أسرار الحقيقة (وآتيناهم) أي أعطينا بعضهم كداود وسليمان ويوسف (ملكا عظيما) لا يقدر فتره فكان لداود مائة امرأة مهرة وسليمان سبع مائة مصرية وثلاثة امرأة مهرة وهؤلاء الثلاثة كانوا في إسرائيل ولم يشغلهم أمر النبوة عن أمر الملك والنساء فكيف يستبعدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدونه على إتيانها (فهم من آمن به ومنهم من صد عنه) أي من جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوفى آل إبراهيم ومنهم من أعرض عن الإيمان به فأتى محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء القوم فإن أسوال جميع الأمم مع جميع الأنبياء هكذا كانت وذلك تسليما من الله لرسوله ليكون أشد صبرا على ما يناله من قبلهم (وكني بهم) في عذاب هؤلاء الكفار للتقديس والتأخير (سعيها) أي نارا وقودا (ان الذين كفروا بآياتنا) أي الباطلة على ذات الله وأفعاله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل (سوف نصليهم) أي ندخلهم (نارا) عظيمة هائلة (كلما نصحت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم جلودهم غيرها) بأن يجعل النصيح غير النصيح فإلانات واحدة وتبديل هو الصفة (ليذوقوا العذاب) أي لكي يجذوا في العذاب على الجوارح من غير انقطاع بهذه الحالة الجديدة وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال لقاري أعدها فأعدها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبديل الجلود في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله كان عزيزا) أي قادرا غالبا لا يتعثر عليه ما يريده (حكيم) أي لا يضل إلا الصواب فيعاقب من يعاقبه على وفق حكمته (والذين آمنوا وهموا بالصالحات سنجعلهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) فإن نعيم الجنة لا ينقطع كمناب النار (لهم فيها أزواج مطهرة) من الخبث والنفس وجميع أقدار الدنيا (وندخلهم غلاظيل) أي ظليلا في الراحة والثناءة بخلاف اللواضي في الدنيا فإنها إذا لم تصل نور الشمس فيها ليليا في اليوم يكون هوؤها عناقفا سدا مؤذيا (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) لما حكي الله عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق حيث قالوا الذين كفروا هؤلاء هدى من الذين آمنوا سبيلا أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب اللذهب والديانات أو من باب الدنيا والعالمات وان ورد الأمر على سبب خاص في

ظليل لا تنسخه الشمس (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) نزلت في دفع فتح الكعبة على عثمان بن طلحة المحجبي حين أحتمته قهرا يوم فتح مكة فأمر الله تعالى برده عليهم هذه الآية عامة في رد الأمانات إلى أصحابها كيفما كانوا

(ان الله نعمًا يعظكم به)
 أى نعم شيئًا يعظكم به وهو
 القرآن (ان الله كان
 سميعًا) لما يقولون في
 الأمانة والحكم (بصيرا)
 بما يعلمون فيها قال أبو
 روق قال النبی صلی الله
 علیه وسلم لعنان أعطی
 للفتاح فقال هالك بأمانة
 الله ودفعه اليه فأراد النبی
 صلی الله علیه وسلم أن
 يدفعه إلى العباس فأئزل
 الله هذه الآية فقال النبی
 صلی الله علیه وسلم لعنان
 هالك تالدة خالدة لا ينزعها
 منكم إلا ظالم ان عنان
 هاجر- ودفع للفتاح إلى
 أخيه شيبة فنهى ولده إلى
 اليوم (يأياها الذين آمنوا
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
 وأولى الأمر منكم) وهم
 العلماء والفقهاء وقيل
 الأمراء والسلاطين وتجب
 طاعتهم فيها وافق الحق
 (فان تنازعتم) أى اختلفتم
 وتجادلتم وقال كل فريق
 القول قولى فردوا الأمر
 في ذلك إلى كتاب الله
 وسنة رسول الله (ذلك
 خير) أى ردم ما اختلفتم
 فيه إلى الكتاب والسنة
 وترككم التجادل خير
 (وأحسن تأويلا) أى
 وأحسن عاقبة

شأن عنان بن طلحة بن عبدالمبار سادن السكبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
 مكة يوم الفتح أغلق عنان باب السكبة وصعد السطح وأبى أن يدفع للفتح إليه وقال لو علمت أنه
 رسول الله لم أمتعه فلوى على بن أبي طالب يده وأخذ منه مفتاح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه للفتح ويجمع له السكبية والسدانة فزلت هذه الآية
 فأمر عليا أن يرده إلى عنان ويمنه إليه فقال عنان لملي أكرهت وأذيتم جئت ترفق فقال لقد
 أنزل الله تعالى في شأنك قرأنا فوق رأسه الآية فقال عنان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فبسط
 جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عنان أبدا ثم ان عنان
 هاجر ودفع للفتح إلى أخيه شيبة فنهى ولده إلى اليوم (و) ان الله يأمركم (إذا حكمتم بين الناس
 أن تحكموا بالعدل) وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت
 صدقت وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت (ان الله نعمًا يعظكم به) أى ان الله نعم شيء يعظكم
 بذلك وهو للتأمر بهن أداء الأمانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعًا) لكل السموعات
 يسمع ذلك الحكم إذا حكمتم بالعدل (بصيرا) لكل البصيرات يبصركم إذا أدبتم الأمانة فيجازيكم
 على ما يصدر منكم (يأياها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه
 الآية مستعملة على أصول الثمرة الأربع الكتاب والسنة والاجماع والقياس فالكتاب يدل على أمر
 الله ثم نعم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعم منه أمر الله لا محالة فثبت أن
 قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب طاعة الكتاب والسنة والرد بأولى الأمر
 جميع العلماء من أهل القدواحل وأمرالحق وولادة العدل وأما أمر الجور فيمغزل من استحقاق
 وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبير زلت هذه الآية في حق عبد الله بن حذافة السهمي اذ بهته النبي
 صلى الله عليه وسلم أميرا على سريوة عن ابن عباس أنها نزلت في شأن خالد بن الوليد بهته النبي صلى
 الله عليه وسلم أميرا على سريوة وفيها عمار بن ياسر فجرى بينهما اختلاف في شيء فزلت هذه الآية وأمر
 بطاعة أولى الأمر فحينئذ فالرد بهم أمراء السرايا قال بعضهم طاعة الله ورسوله واجبة قطعاً وطاعة
 أهل الاجماع واجبة قطعاً وأما طاعة الأمراء والسلاطين فالأكثر أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون
 إلا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب الظن الضعيف فحينئذ يحمل أولوا الأمر على الاجماع وأيضاً ان
 أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة أمراء الأمراء فهو لا
 أولوا الأمر (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أى فان اختلفتم فيها المجتهدون في شئ
 حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع فردوه إلى الواقعة تنسبه في الصورة والصفة وهذا المعنى
 يؤيد كذا الجبر والأثر أما الجبر فهو أنهم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم فقال صلى
 الله عليه وسلم رأيت أو لمحت مضت ولغني أخبرني هل تبطل للضمضة الصوم لاى فكان أن للضمضة
 مقدمة فلا بكل فكذلك القبلة مقدمة للجماع فإذا كانت للضمضة لم تنفسد الصيام فكذلك القبلة ولما
 سألته صلى الله عليه وسلم المتعمية عن الحج عن أيها فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان على
 أيك دين قضيت هل يجزى فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الأثر فما
 روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال اعرف الأشياء والنظائر وقس الأمور برأيك فدل مجموع ما ذكر على
 أن قوله تعالى فردوه أمر برد الشئ إلى شبيهه وهذا هو الذي يسميه الشافعي رحمه الله تعالى قياس الأشياء
 ويسميه أكثر الفقهاء قياس الطرد (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فان
 الايمان بهما يوجب ذلك (ذلك) أى الذي أمرتكم به في هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلا) أى

(ألم نزالى الذين يزعمون) الآية وقع نزاع بين يهودى ومنافق فقال اليهودى يينا أبو القاسم وقال المنافق لابل تتحاكم الى كعب بن الأشرف فزلت هذه الآية وهو قوله (يريدون أن يتحاكموا الى (١٥٧) الطاغوت) ومعناه ذو الطغيان

(107)

(وقد أمروا أن يكفروا به) أى أمروا أن لا يربوا الوأ غير أهل دينهم (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلأا مبيناً) أى لا يرجعون عنه إلى دين الله تعالى أبداً وهذا تعجيب لثني صلى الله عليه وسلم من جهل من يعمل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله (وأذيل لهم) أى للنافقين (تسألوا إلى ما نزل الله) أى في القرآن من الحكم (والى الرسول) أى إلى حكم الرسول (رأيت النافقين يصلون عنك صدوا) أى يعرضون عنك اعراضاً إلى غيرك عداوة للدين (فكيف) أى فكيف يصنعون ويحتالون (إذا أصابتم مصيبة) أى مجازاة لهم على ما صنعوا وهو قوله (ما قممت أيديهم) ونم الكلام هنا ثم عطف على معنى ما سبق فقال (ثم جاءوك يحلفون بالله) أى تحاكموا إلى الطاغوت وصناعتكم شواؤك محلفون وذلك أن النافقين أمروا أن يكفروا وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدل عنه في الحاكمة الا نوقبان المحمود أى جما

عاقبة لكم (ألم ترأى الذين يزعمون) أى يدعون (أنهم آمنوا بما أزل اليك) وهو القرآن (وما أزل من قبلك) وهو التوراة (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) أى كثير الطغيان (وقد أمرنا أن يكفر وبه) أى والحال أنهم قد أمروا في القرآن أن يتروا من الطاغوت (ویر يد الشيطان) بالتحاكم إليه (أن يضلهم ضالا بعيدا) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصه رجل من المنافقين يقال له بشر رجلا من اليهود فقال اليهودى بينى وبينك أبو القاسم وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الأشرف وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ يقضى الحق ولا يلتفت إلى الرشوة اليهودى كان عضوانا كسبا شديدا رغبتا في الرشوة والمنافق كان مبطلا وأصر اليهودى على قوله بذلك فذهب إلى رسول الله ﷺ فحكم لليهودى على المنافق فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال لأرضى اطلق بنا إلى أى بكر فأتياه فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال بينى وبينك عمر فذهب إليه فأخبره اليهودى بأن الرسول ﷺ وأيا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما فقال المنافق أهكذا يقال نعم قال أصر ابنى إلى حاجة أدخل بينى فأقضيها وأخرج اليك فدخل وأخسيفه ثم خرج اليهما ف ضرب به عنق المنافق حتى ردى مات وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودى فجاه أهل المنافق فشقوا عمرا إلى النى صلى الله عليه وسلم فسأل ﷺ عمر عن قصته فقال انه ردحكك يا رسول الله فجاهد بل عليه السلام في الحال وتزنت هذه الآية وقيل جبر بل ان عمر هو القار وقرى فرق بين الحق والباطل فقال النبی ﷺ لعمر أن القار وق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب ابن الأشرف سمي بذلك لمشيبه الشيطان في غرط طغيانه (وإذا قيل لم تعالوا إلى ما أزل الله) أى أقبلا إلى القرآن الذى فيه الحكم (والى الرسول) الذى نجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت) المنافقين يمدون عنك صدودا) أى أبصرت للمنافقين يمدون عنك إلى غيرك أعراسا بالكيفية (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) أى كيف يكون حلم وفصاحة الصلبة إياهم يقتل عمر صاحبهم بطور نفاقهم (بما قسمت أيديهم) أى بسبب ما عملوا من التحاكم إلى الطاغوت والاعراض عن حكمك (ثم جاءوك) يحلفون بالله أن ردنا إلا احسانا فوافقتا) أى ثم جاءك أهل المنافق مطالبين عمر بدموعه أهدر الله تعالى ويحلفون بالله كذبا للاختلاف فقالوا ما أراد صاحبنا للقول بالتحاكم إلى عمر الآن يصلح ويجعل الاتفاق بينى وبين خصمه وأمر كل واحد من الحصين بتقرب مبراهم من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم الموافقة أو تبارس رسول الله ﷺ لا تحكم إلا بالحق للرد ولا يقدر أحد على رفع الصوت عندك (أو لك) أى للتافقون (الذين يراه ماقولوا بهم) من التناقض والبطش والعداوة (فأغرض عنهم) أى لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم أنك عالم بكنهه ما قى بواطنهم فان من هتك سرعده فر بما يجزى ذلك على أن لا يبالي باظهار العداوة فيردا للشر وإذا تركه على حاله بقى فوجيل فيقبل الشر (وعظم) أى أجزهم عن التناقض والكيد والحدس والكتب وخوفهم بظأب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم) أى خالبا بهم ليس معهم غيرهم لأن النصيحة على اللئلا تقر يدعوا في السر بسحب للثمنه (وقولا) بلينا) أى مؤثرا وهو التخوف ببقأب الدنيا بأن يقول لهم ان ما قى قلوبكم من التناقض والصكيد معاكم عنده ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وأما رفع الله السيف عنكم لانكم أظهرتم الإيمان فان واطنكم على هذه الأفعال القبيحة ظهر لكل الناس بقاءكم على الكفر وحبيبتكم فيكم السيف

ويطلب الحكم من غيره وقوله (بإذن الله) أي لأن الله قد أذن في ذلك وأمر بطاعته (ولو أنهم) أي المنافقين (أذغلسوا أنفسهم) بالتعاكم إلى الكفار (جاؤوك فاستغفروا الله) أي فزعوا وتابوا إلى الله (فلا) أي ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمكم (و) لا يؤمنون حقيقة الأيمان (حتى يحكموك بما شئتم) أي اختلفوا واختلط بينهم ثم لا يجدا في أنفسهم حرجا أي ضيقا وشكا (مما قضيت) حكمكم (ويسلموا) الأمر إلى الله وإلى رسوله من غير معارضة بشئ (ولو أنا كتبنا عليهم) أي على هؤلاء المنافقين من اليهود (أن اقتلوا أنفسهم) كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل (أو) اخرجوا من دياركم) كما كتبنا على الهجرين (مما فعلوا الا قليل منهم) أي الشقة فيهم مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) أي ما يؤمرون به من أحكام القرآن (لكن خيرا لهم) أي في معاشهم وفي نواحيهم (وأشد تنبيها) منهم لأنفسهم

(وما أرسلنا من رسول الا ليطاع بإذن الله) أي وما أرسلنا من رسول الا ليطاع الناس بطاعته بتوفيقنا واعتنا طاعتنا طاعة الله ومصيته محصية الله تعالى وهذه الآية دالة على أنه لا رسول الا وبعده شرية ليكون مطاعا في تلك الشرية ومتبوعا فيها ودالة على أن الأنبياء معصومون عن المعاصي والذنوب ودالة على أنه لا يوجد شيء من الخير والشر والكفر والإيمان والطاعة والعصيان الا بإرادة الله تعالى (ولو أنهم أذغلسوا أنفسهم) بترك طاعتك (جاموك) وابتغوا في الفزع اليك لينصوبك شيعيا لهم (فاستغفروا الله) أي أظهروا التمسك على ما فعلوه وتابوا عنه (واستغفر لهم الرسول) بأن يسأل الله أن يفر الذنوب عنهم عندئذ بهم (لوجدوا الله توابا) أي يقبلون بتوبتهم (رحما) أي يرحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم والقائمة في المدلول في قوله تعالى واستغفر لهم الرسول عن لفظ الخطاب إلى لفظ للغاية اجلال شأن رسول الله فإن شأنه أن يستغفر لمن عظم ذنبه واتهم اذا جاءوه ففقدناه وامن خصه الله تعالى برسائله وأكرمهم به وحبه وجهه سفيرا ينصو بين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلاور بك) لازم بدلتنا كي بمعنى القسم كاز بدلتنا كي لوجوب العلم أو مفيدة لنفي أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمكم فور بك (لا يؤمنون حتى يحكموك) أي حتى يحكموا كما (فيما شئتم) أي فيما اختلف بينهم من الأمور فنقضى بينهم (ثم لا يجدا في أنفسهم) أي صدورهم (حرجا) أي ضيقا (مما قضيت ويسلموا تسليلا) أي وينقادوا لك اعتيادا تاما بظواهرهم قال عطاء بن محمد والشعبي أن هذه الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال نزلت في آل زيد ابن العوام وحطبت بن أبي بلتعنة اختلفا في ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم لزيد (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) أي ولو أوجنا عليهم قتل أنفسهم أو اخرجوا عن أوطانهم في توبتهم كتوبة بني إسرائيل ما فعلوا أحد الأمرين بطبيعة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والنبي أنا لو شئنا التكليف على الناس لمافعل الا الأقالون وحديثنا يظهر كفرهم وعنادهم بل كتبناهم في توبتهم بالتسليم لحكمك فليقبلوه بالاخلاص حتى ينالوا خير المآلين وروى ابن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ناظر يهودي فقال اليهودي إن موسى أمرنا بقتل أنفسنا فقبلنا ذلك وإن محمدا يأمركم بالقتال فتكروهونه فقال يا أشتر لو أن محمدا أمرني بقتل نفسي لفعلت ذلك وروى أن ابن مسعود وعمار بن ياسر قالوا لعل ذلك فزلت هذه الآية تقع عمر بن الخطاب أنه قال والله لو أمرنا بنا بقتل أنفسنا لقتلنا والحمد لله الذي لم يأمرنا بذلك قال صلى الله عليه وسلم وأشار إلى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لكان هذا في أولئك القليل أخرجه ابن أبي حاتم (ولو أنهم) أي للمنافقين (فعلوا ما يوعظون به) أي ما يحكمون به (لكن) أي فعلهم ذلك (خيرا لهم) أي لحصل لهم خيرا الدنيا والآخرة (وأشد تنبيها) لهم على الإيمان وسميت أوامر الله مواظلا لأقربها بالوعود والترغيب (وإذا) لوفوا لما أمروا به (لأنهم من لدنا) أي لأعطيناهم من عندنا (أجر عظيما) أي ثوابا وافرا في الجنة وكيف لا يكون عظيمًا وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها مالا عثرنا ولا نذكر سمعت ولا نذكر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أي طريقا من عرصة القيامة إلى الجنة وحمل لفظ الصراط في هذا الموضع على هذا المعنى أولى لأنه تعالى ذكره بعد ذكر الأجر والدين الحق مقدم على الأجر والطريق من عرصة القيامة إلى الجنة إنما يحتاج إليه بعد استحقاق

الاعلى فحزن وحزنوا
فنزلت ومن يطلع الله في
الفراس (والرسول) في
السن (فأولئك مع الذين
أنتم الله عليهم من النبيين)
أى أنه يستمتع برؤيتهم
وزيارتهم فلا يشعرون أنه
لا يراهم (والصديقين) أى
أفاضل أصحاب الأنبياء
(والشهداء) أى القتلى في
سبيل الله (والصالحين)
ينبئ أهل الجنة من سائر
السلحين (وحسن أولئك)
أى الأنبياء وهؤلاء
(رفيقا) يبنى أصحاب رفقاء
أى ذلك الثواب وهو
الكون مع النبيين قواه
(ذلك الفضل من الله)
أى تفضل به على من أطاعه
(وكفى بالله علما) أى خلقه
يعنى أنه عالم لا يخفى عليه
شيء فلا يضيع عنده عمل
ثم حث عباده المؤمنين
على الجهاد فقال (يا أيها
الذين آمنوا اخذوا حزمكم)
أى سلاحكم عند لقاء العدو
(فانفروا) أى فانهضوا الى
لقاء العدو (ثبات) أى
جماعات متفرقين اذا لم يكن
معكم الرسول (أو انفروا)
جميعا اذا خرج الرسول
الى الجهاد (وان منكم من
ليبطئن) أى يتخلفون
ويتناقلون عن الجهاد وهم
للباقون وجنهم من

الأجر (ومن يطلع الله) بأن يعرف الله أنه يقر بحاله وعزته واستغناؤه عن سواه (والرسول)
أى بأن يتقاد اقتياداما لجميع الأوامر والتواهي (فأولئك) أى الطيعون (مع الذين أنعم الله
عليهم) أى فاتهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بسلك كان لان الحجاب
اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة (والصديقين) أى السابقين الى تصديق الرسل فصاروا في ذلك قدوة
لسائر الناس وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلوات والسلام (والشهداء) أى الذين يشهدون
بصدقين الله تعالى تارقيا لحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط
وأما كون الانسان مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن
لامنلة له عند الله والمؤمنون قديقون الله ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل
الكافرين لكانوا يطلبون الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب صدور ذلك القتل من الكافر
كفر فكيف يجوز ان يطلب من الله ما هو كفر (والصالحين) في الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد
في الاعتقاد والصحة فساد في العمل وهم الصارفون أعمارهم في طاعة الله وأموالهم في مرضاته وكل
من كان اعتقاده صوابا وعمله غير مصحح فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد له الله بأنه هو
الحق وان ماسوا هو الباطل وهذه الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف وقد يكون
الصالح غير موصوف بكونه قائما بهذه الشهادة ثبت أن كل من كان شهيدا كان صالحا ولا عكس
فالشهيد أشرف أنواع الصالح ثم الشهيد قد يكون مديقا وقد لا معنى الصديق هو الذى كان أسبق
إيماناً من غيره وكان أمانته قدوة لغيره ثبت أن كل من كان مديقا كان شهيدا ولا عكس ثبت أن
أفضل الخلق الأنبياء وبدهم الصديقون وبدهم من ليس له درجة الا بعض درجة الشهادة وبدهم
من ليس له الا بعض درجة الصلاح (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسن أولئك الذين يرون صاحباً
في الجنة وحسن لها حاكم نعم والمخصوص بالمدح عنوف تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق
المدحوسون (ذلك) أى صرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل من الله) وما سواه ليس بشيء
(وكفى بالله علما) يجزا من أطاعه بمقادير الفضل واستحقاق أهل يروى جمع من المفسرين أن
نوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديداً في الحرب رسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال
يا رسول الله ما بي وجمع غرائي اذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى أفنك قد كرت
الأخرة تغفث لأن أراك هناك لاني أدخلت الجنة فانت تكون في حرجك النبيين وأنا في حرجك
المنبيد فلا أراك وان تألم أدخل الجنة فحيث لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من الأنصار الى رسول الله ﷺ وهو بيك فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي
لا اله الا هو لانتأب الى من نفسى وأهلى ومالى وولسى وأنى لأذكرك وأنا في أهلى فيأخفنى مثل
الجنون حتى أراك وقد كرت موتى وأنت ترفع مع النبيين وانى أن أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى
من منزلك فلم يرد النبي ﷺ فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اخذوا حزمكم) أى اخذوا
سلاحكم واحترزوا من العدو ولا تمكثوه من أنفسكم (فانفروا جميعا) أى مجتمعين كوكبة
واحدة (وان منكم من ليبطئن) أى وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتناقل

للمؤمنين من حيث أنهم أظهروا كلمة الاسلام فدخلوا تحت حكمهم في الظاهر

(فان أصابتكم مصيبة) من العدو وجه من العيش (قال قد أنعم الله على) بالعمود حيث لم أحضر في مصيبي ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أي ففتح وغنيمة (١٦٠) (ليقولن) هذا لنا في قول نادم حاسد (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) لأسعد بمثل ما سعدوا به من الغنيمة وقوله (كان لم يكن بينكم وبينه مودة) متصلة في النبي بقوله قال قد أنعم الله على أئمة آلنا كن معهم شهيدا كأن لم يكن بينكم وبينه مودة أي كان لم يهاجمكم على الاسلام ويضادكم على قتال عدوك ولم يكن بينكم وبينه مودة في الظاهر ثم أمر المؤمنين بالقتال فقال (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة) يعني بالجنة أي يختارون الجنة على البقاء في الدنيا (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل) فيستشهد (أو يظلم) فيقتل فكلهما سواء وهو معنى قوله (فسوف تؤتيه أجرا عظيما) أي ثوابا لا يصفى له ثم حض المؤمنين على الجهاد في سبيله لاستفاد ضعة المؤمنين من أيدي الشركين فقال (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) وهم قوم بمكة استضعفوا فجهدوا وعذبوا (الذين يقولون ربنا أخرجنا) إلى دار

وليتخلفن عن القتال وهم ضعة للمؤمنين وللنافقون (فان أصابتكم) يا معشر المجاهدين (مصيبة) كقتل وهزيمة وجه من العيش (قال) أي من يبطل فخر شديدا بتخلفه وحامد لأبيه (قد أنعم الله على) بالعمود (ألا كن معهم شهيدا) أي حضرا في المعركة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل) كفتح وغنيمة (من أبا ليقولن) أي من يبطل ندامة على قموده (كان لم تكن بينكم وبينه مودة) وهذا الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التعجب بأنه تعالى يقول انظروا إلى ما يقول هذا لنا في قول نادم حاسد ليس بينكم أي المؤمنين وبين النافق ضعة في الدين ومعرفة في الصحة ولا مخالطة أصلا (يا ليتني كنت) غاريا (معهم) فأفوز فوزا عظيما أي فأصيب غنائم كثيرة وأخذ حظا وافرا وقيل الجملة التنبؤية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشبهًا بمن لا معرفة بينكم وبينه وقيل هي داخلية في القول أي ليقولن للثبط للثبط من النفاقين وضعة للمؤمنين كأن لم تكن بينكم وبينهم معرفة في الصحة حيث لم يتصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز به محمد يا ليتني كنت معهم وغرض للثبط القاء العداوة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء دين الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) وهم النافقون الذين تخلفوا عن أحد فأمرهم أن يغير وأما بهم من النفاق ويخلصوا الأيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فلم يدخل الباب الأعلى للتروك لأن النفاقين تاركون للآخرة آخذون للدنيا أي فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلا بد من حذف تقدير ما أتواهم قالوا أو المراد الذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون بمعنى يبيعون أي فليقاتل في طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أي يختارون الآخرة على الدنيا (ومن يقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله (فيقتل) أي يموت شهيدا (أو يظلم) أي يظفر على العدو (فسوف تؤتيه) أي تعطيه كالألوة جين (أجر عظيما) وهو النعمة الخالصة الباقية المقرونة بالنظيم وإذا كان الأجر حاصل على كلاً التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (ومالكم لا تقاتلون) أي أي شيء لكم يا معشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أي لا عنركم في ترك القتالة (في سبيل الله) أي لأجل طاعة الله (والمتضعفين) أي ولأجل للمستضعفين (من الرجال والنساء والولدان) أي الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والأبناء أي وهم قوم من المسلمين الذين بقوا بمكة وعجزوا عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأخي من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون) في مكة (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وهي مكة وكون أهلها موصوفين بالظلم لأنهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع السكاره (واجمل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أي أول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل عنتنا من الظالمين فأجلب الله دعاءهم واستقدهم من أيدي الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم الماتع مكمل عتاب بن أسيد أميرهم وكان الولي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن عاتق عشرة سنة فكان ينصر الظالمين على الظالمين ونصف الضعيف من القوى والدليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون

المهجرة (من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) أي جعلوا الله شركاء (واجمل لنا من لدنك وليا) أي في ول علينا رجلا من المؤمنين يوالينا (واجمل لنا من لدنك نصيرا) أي ينصرنا على عدوك فاستجاب الله دعاءهم وولى عليهم رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد وأمرهم الله بفتح كانوا بها أعز من الظلمة قبل ذلك (الذين آمنوا يقاتلون

في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين كفروا بقاتلون في سبيل الطاغوت) أي في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي عبدة الأصنام (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) يعني خذلانه (١٦١) إليهم يوم قتلوا بيدر (المرآة) أي الذين

قبل لهم كفوا أيديكم) أي
عن قتال المشركين وأدوا
ما فرض الله عليكم من
الصلاة والزكاة زلت في قوم
من المؤمنين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم بمكة في قتال
المشركين فلم يأذن لهم (فلما
كتب عليهم القتال) بالمدينة
(إذا فريق منهم يخشون
الناس) أي عذاب الناس
بالقتل (كخشية الله) كما
يخشى عذاب الله (أو أشد)
أي أكثر (خشية) وهذه
الحشية إنما كانت لهم من
حيث طبع البشرية لأجل
كرهه أمر الله بالقتال
(وقالوا) جزعنا من اللوت
وحرمنا على الحياة (ربنا
لم تكذب) أي لم فرضت
(علينا القتال لولا) أي
هلا (أخرتنا إلى أجل
قريب) وهو اللوت أي
هلا تركنا بمكاننا حتى
نموت بآجالنا عافيتنا من
القتال (قل) لهم يا محمد (متاع
الدنيا قليل) أي أجل الدنيا
قريب وهو اللوت وغيبها
قليل (والآخرة) والجنة
(خير لنا) ولم يشرك به
شيئا (ولا تظلمون قتيلًا)
أي ولا ينقصون من ثواب

في سبيل الله) أي لمرض نصرته دينه وإعلاء كلمته (والذين كفروا بقاتلون في سبيل الطاغوت) أي
في سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي جند الشيطان (ان كيد الشيطان) أي ان
صنع الشيطان في فساد الحال على جهة الحيلة (كان ضعيفا) لأن الله نصر أولياءه والشيطان نصر
أولياءه ولا شك أن نصرته الشيطان لأوليائه أضعف من نصرته الله لأوليائه ألا ترى أن أهل الحجر
والذين بقي ذكرهم الجليل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم في غاية الفقر وأما الملوك والجبابة
فاذا ما نوا انقراض أمرهم ولا يبق في الدنيا سيمهم (المرآة) أي الذين قبل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة) زلت هذه الآية في جملة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهري وسعد بن أبي
وقاص الزهري وقدامة بن مظعون والجمعي ومقداد بن الأسود الكندي وطلحة بن عبيد الله التيمي
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة بلقونهم للمشركين أذى شديدا
فشكروا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتلهم ويقول لهم رسول الله
كفوا أيديكم عن القتل والضرب فأن لم أمرهم بقتلهم واشتغلوا بإقامة دينكم من الصلوات الخمس وزكاة
أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمرهم بقتلهم في وقعة بدر كرهه
بعضهم لاشكافي الدين بل ثورا عن الاخطار بالأرواح وخوفهم من الموت بموجب الجلبة للبشر بقول ذلك
قوله تعالى (فلا تكتب) أي فرض (عليهم القتال) أي الجهاد في سبيل الله (إذا فريق منهم)
كليلة بن عبيد الله التيمي (يخشون الناس) أي أهل مكة (كخشية الله) أي يخوفهم من الله
(أو أشد خشية) أي بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من اجتناب الالاعقاد ثم تابوا وأهل
الامان يتفاضلون فيه (وقالوا) خروا من اللوت لأكراهتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على
جواب لما وهوا ذاتها فجائية مكانية (ربنا) لم كتب علينا القتال في هذا الوقت (ولا أخرتنا
إلى أجل قريب) أي هلا عافيتنا من بلاء القتال إلى موتنا بآجالنا وهذا القول استزادة في مدة
الكف ويجوز أن يكون هذا مما نقلت به أسنننا حلهم من غير أن يتفوهوا به صريحا (قل) جوابا
لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال عليهم من غير توخي لأنه لا اعتراض لحكمه تعالى وترغيبا
فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي (متاع الدنيا) أي منفعة الدنيا (تليل) لأنه سريع التقضي
ووشيك الانصرام وان أخرتم إلى ذلك الأجل (والآخرة) أي ثواب الآخرة لاسباب الشوط بالقتال
(خير لنا) أي الكفر والفواحش لأن نعم الآخرة كثيرة وموعدة وصافية من كدورات القلوب
وبقية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوكة عاقبتها في اليوم الثاني ومشوب بالمكاره (ولا تظلمون قتيلًا)
وقرأ ابن كثير وحجرة والسكافي بالنسبة إلى القاتل أي لا تنقصون من أجور أعمالكم قدر
خيطة في شق النواة أو اللعن لا ينقصون من ثواب حسناتهم أدنى شيء (أبنا نكفونوا) في الحضر
أو السفر في البر أو البحر (بدركم اللوت) الذي تكبرهون القتال لأجله زعمتمكم أنه من محاله
(ولو كنتم في روج مشيدة) أي حصون مرتفعة قوية بالحصن (وان نصيهم) أي اليهود والنصارى
(حسنة) أي خصب ورخص السعر وتابع المطار (يقولوا) هذه من عند الله قال للمفسرون كانت
للمدينة علاوة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عند اليهود والنصارى على

(٣١) - (تفسير مراجع لبيد) - أول (١) أعمالهم مثل قتيل النواة تم أعمالهم أن أجالهم لا تظلمهم ولو تحسبوا بأنعم
الحسن فقال (أبنا نكفونوا بدركم اللوت ولو كنتم في روج) أي حصون وقصور (مشيدة) أي مطولة مرفوعة (وان نصيهم)
يعني للنصارى واليهود (حسنة) أي خصب ورخص سعر (يقولوا) هذه من عند الله

وَكَفَرَتِ الْيَهُودُ أَمْسَكَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ مَا كَانَ قَدْ بَسَطَ
 عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مَا رَأَيْنَا أَكْثَمَ
 شَيْئًا مِنْ هَذَا نَقَصْتَ عَمَارَنَا
 وَغَلَّتْ أَسْعَارُنَا مِنْذُ قَسَمَ
 عَلَيْنَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (قُلْ
 كُلُّ أَى الْحَبِّ وَالْحَبِّبِ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) أَى مِنْ قَبْلِ
 اللَّهِ (فَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْمُ
 لَا يَكُونُونَ بِفَقْهٍ حَدِيثًا)
 أَى لَا يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ
 (مَا أَصَابَكَ) يَا ابْنَ آدَمَ
 (مِنْ حَسَنَةٍ) أَى مِنْ فَتْحِ
 وَغَنِيمَةٍ وَخَسْبٍ (فَمِنْ اللَّهِ)
 أَى مَنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ) أَى
 مِنْ جَسَبٍ وَهَزِيَةٍ وَأَمَرَ
 تَكْرَهُهُ (فَمِنْ نَفْسِكَ)
 أَى فَبِذْنِكَ يَا ابْنَ آدَمَ
 (وَأُرْسَلْنَا كَمَا يُرْسَلُ لِلنَّاسِ)
 رَسُولًا وَكُنِيَ بِأَلْفِهِ شَهْنَدًا)
 عَلَى رَسُولَاتِكَ (مَنْ يَطْعُ
 الرُّسُولَ فَقَدْ اطَاعَ اللَّهَ) يَعْنِي
 أَنْ طَاعَتَكُمْ مَحْذُومَةٌ لِلَّهِ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاعَةُ اللَّهِ (وَمَنْ
 تَوَلَّى) أَى أَعْرَضَ عَنْ
 طَاعَتِهِ (فَعَارِئًا لِرُسُلَاتِكَ عَلَيْهِمْ
 حِفْظًا) أَى حَافِظًا لَهُمْ مِنَ
 الْعَاصِي حَتَّى لَا تَقَعَ أَى
 فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَسْئَلَةٌ تَوَلَّيْتَهُ
 لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ حِفْظًا عَلَيْهِمْ
 مِنَ الْعَاصِي (وَيُشَوَّلُونَ)
 يَعْنِي لِلْمُتَاقِفِينَ (طَاعَةَ) أَى
 طَاعَةَ الْأَمْرِكِ (فَإِذَا زَبَرُوا)
 أَى خَرَجُوا (مِنْ عِنْدِكَ
 يَبْتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أَى قَدَرُوا
 لِئَلَّا خَلَّافَ مَا أُعْطُوا نَهَارًا

عائته اياهم الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الاسماك كما جرت عادته تعالى في جميع الأمم فنهضوا
والوا مارأينا أعظم شؤماً من هذا الرجل نقصت ثمارنا ومزارعنا وغلت أسعارنا منذ قدم (وان نصيبهم
سبئته) أى جلوبة وسدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من عندك) أى هذه من شؤم محمد وأصحابه أى
وان نصيبهم نعمة نسبوا الى الله تعالى وان نصيبهم بلية أضافوها اليك كالحكي الله عن قوم موسى بقوله
تعالى وان نصيبهم سبئته يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح بقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك
لهم ردا لزعيمهم الباطل وارشادا لهم الى الحق (كل من عند الله) أى كل واحدة من النعمة
والبلية من جهة الله تعالى خلقا واجباده من غير أن يكون لى مدخل فى وقوع شئ منهما بوجه من الوجوه
كأنهم يقولون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة
(قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا) أى وحيث كان الأمر كذلك فأى شئ حصل لهؤلاء
للتناقضين واليهود حال كونهم يجزل من أن يفقهوا حديثا من الاحاديث أصلا فقالوا ما قالوا ما ذلوفهموا
شيئاً من ذلك لفهموا أن الكل من عند الله تعالى فالتعمة منه تعالى بطريق التفضل والبلية منه تعالى
بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدل الله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله) أى ما أصابك أيها
الانسان من نعمة من النعم فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك
(وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى أى شئ أصابك من بلية من البلياء فهي منها بسبب اقترافها
للمعاصى المرجحة لها وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شمع ناله الا يذنب وما يخفوا عنه أكثر (وأرسلناك فلان رسولاً) أى ليس لك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شبيهاً) على جدك وعدم تقصيرك فى أداء
الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول المدياة فليس اليك بل الى الله (من طمع الرسول فقد أطمع الله)
وهذه الآية تدل على أنه لا طاعة الا لله البتة لأن طاعة الرسول لا تكون الا طاعة لله وقال الشافعى
رضى الله عنه وهذه الآية تدل على أن كل تكليف كلف الله به عباده فى باب الوضوء والصلاة والزكاة
والصوم والحج وسائر الأبواب فى القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبنيا فى القرآن فحينئذ لا سبيل لنا
الى اقليم تلك التكاليم الا ببيان الرسول واذا كان الأمر كذلك لمز القول بأن طاعة الرسول عين
طاعة الله قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب الله ومن أطمعني فقد
أطمع الله فقال المتأفقون لقد نأى بهذا الرجل الشرى وهو ينهى أن تعبد غير الله وقد يرد أن تتخذوا به
كما اتخذت النصرى عيسى فأزل الله هذه الآية (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفیظاً) وجواب
الشرط محذوف ولذا كور طليل له أى ومن أعرض بقلبه عن حكمك ما بعد فأعرض عنه وألغى
ومن أعرض عن طاعة الله فظاهرهم فلا ينبغي أن تتم بسبب ذلك الاعراض وأن تعجز فأرسلناك
لتحفظ الناس عن الماضى وألغى فأرسلناك لتشتغل برجرهم عن ذلك التولى ثم نسخ هذا بآية
الجهاد قائلاً تعالى ذكر هنا الكلام نسلياً له صلى الله عليه وسلم عن الحزن فانه صلى الله عليه وسلم
كان يشتد حزنه بسبب كفرهم واعراضهم (ويقولون طاعة) أى يقول المتأفقون عبد الله
ان أبقى وأصحابه اذا أمرتهم بشئ شأنا طاعة أو منطاعة أو أمرك يا محمد طاعة مر بمأثرت فعله
فاذا برزوا من عندك) أى خرجوا من مجلسك (بستاطفة منهم غير الذى تقول) أى تفكر
لئلا فريق من المتأفقين وهم رؤسائهم غير الذى تأمر وتكلموا فيها بينهم بصياحك ذنوا فقولوا به

(والله

(غير الذي تقول) لك من الطاعة أي أضمر وأخلف ما أظهر وأقرروا

ليلا خلاف ما أعطوك نهارا

(واقعه يكتب ما يبتون) أى يحفظ عليهم ليجاز وابه (فأعرض عنهم) أى فاصفح عنهم وذلك أنه انتهى عن قتل المنافقين في ابتداء الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقوله (أفلا تدبرون القرآن) أفلا تأملون ويتفكرون فيه يبنى المنافقين (ولو كان) القرآن (من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافاً كثيراً) أى بالتناقض والكذب والباطل وتفاوت الألفاظ (واذا جاءهم أمر من الأمن)

الآية نزلت في أصحاب

الأرجيف وهم قوم من

المنافقين كانوا يرجفون

بسرأيا رسول الله صلى

الله عليه وسلم ويخبرون

بما وقع بها قبل أن يخبر به

النبي صلى الله عليه وسلم

فيضفون قلوب المؤمنين

ويؤذون النبي صلى الله

عليه وسلم بسببهم إياه

بالأخبار وقوله أمر من

الأمن أى حديث فيه أمن

(أو الخوف) يبنى المزبة

(أذاعوا به) أى أفسوه

(ولوردوه إلى الرسول

والى أولى الأمر منهم) أى

ولوسكتوا عنمتى يكون

الرسول هو الذى يشبه

وأولو الأمر مثل أبى بكر

وعمر وعثمان وعلى رضى

الله عنهم ويقال أمراء

السرأيا (لملأ الذين

يستنبطونه) أى يتبعونه

ويطلبون علم ذلك (منهم)

أى من الرسول وأولى

الأمر (ولوا فضل الله

عليكم) يبنى الاسلام

(ورحمته) القرآن

(واقعه يكتب ما يبتون) أى ينزل اليك ما يدبرونه ليلا في جهل ما نوحى اليك فيطملك على أسرارهم أو ثبت ذلك في محقق أعمالهم ليجاز وابه (فأعرض عنهم) أى لاتهنك سترهم ولاتقصصهم إلى أن يستقيم أمر الاسلام (وتوكل على الله) في شأنهم فإن الله يكفيك شرهم وينقم منهم (وكفى بالله وكيلاً) أى مقوضا اليه لى توكل عليه (أفلا تدبرون القرآن) أى يرضون عن القرآن فلا تأملون فيه لعلوا كونهم عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التى من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولو كان) أى القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أى القرآن (اختلافاً كثيراً) بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمر الشبهة الماضية كانت أو مستقبله لئله تعالى وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تبين كونهم عند تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) أى وإذا جاء المنافقين خبر بأمر من الأمور سواء كان من باب الأمن أو أمن باب الخوف أفسوه وكان ذلك سبب الضرر لأن هذه الإرجاف لا تنفك عن الكذب الكثير ولأن المداواة الشديدة صارت قائمة بين المسلمين والكفار وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بدر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضفون قلوب المؤمنين فأزل الله هذه الآية (ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى ولو ردوا الخبر الذى تحدثوا به إلى الرسول وإلى ذوى العقل والرأى من المؤمنين وهم كبار الصحابة كآبى بكر وعمر وعثمان وعلى بأن لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهر لهم لم ذلك الخبر من يستخرجونه من جهة هؤلاء أى ولأن هؤلاء المنافقين الذين ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلمه هؤلاء المنافقون الذيعون من جانب الرسول ومن جانب أولى الأمر (ولوا فضل الله عليكم ورحمته) ببعة محمد صلى الله عليه وسلم وأزال القرآن (لاتبتم الشيطان) وكفرتم بالله (الأفليل) منك فإن ذلك القليل بتقدير عدم بعة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم أزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قبن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن قنيل وأضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أى في طاعة الله قبل وهذا متصل بقوله تعالى والمك لقاتلون في سبيل الله وقيل هذا مقطوف على قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان (لاتكف الانفسك) أى الأفضل نفسك فلا يضرك مخالفتهم فتقدم أنت إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فلان الله ناصرك واعلم أن الجهاد إلى حق غير الرسول من فروض الكفايات فإلى طلب على الظن أنه يفيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه على قعة من النصر والظفر (وحرض المؤمنين) أى على الخروج منك بذلك لتصيحة فاتهم أئمن بالتخلف لأن القتال كان مفروضاً عليهم إذ ذاك فان فرضه في السنة الثانية وهذه القضية في الراجعة كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أباسفيا بن بدر حرب أحدموسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ العاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزل

لاتبتم الشيطان (الأفليل) أى من عصمه الله كالذين اعتدوا بقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب نحو زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وللاب الذين وهنا ذكر كالمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلموا من التناقض وذهبوا عن سبيل الله لاتكف الانفسك) أى الأفضل نفسك على معنى أنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تنهت بتخلف من يتخلف عن الجهاد (وحرض المؤمنين) أى يحضهم على القتال

هذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى أن يمنع صولة كفار مكة وعسى وعدمى
 الله تعالى واجب الانحياز (والله أشد بأسا) أى قوة من قريش (وأشد تنكيلا) أى تعذيبا (من
 يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها ويندرج فيها الدعاء للسلم فانه شفاعة الى
 الله تعالى (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها مساو لمساو القنطار
 والترض من هذه الآية بيان أنه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك
 التحريض أجرة عظيمة ولولم يقبلوا أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليهم عصيانهم شئ من الوزر
 وذلك لا صلى الله عليه وسلم بذل الجهد فى ترغيبهم فى الطاعة ولم يرغهم فى العصية البتة فحقا يرجع
 اليهم طاعتهم أجر ولا يرجع اليهم معصيتهم وزر (وكان الله على كل شئ مقبلا) أى قادر على
 إيصال الجزاء الى الشافع مثل ما يوصله الى الشفع فيه وحافظا للاشياء شاهد اعلم ان ابو العباس الشافع
 يشفع حتى أوفى باطل فيجازى كلاما علم منه (واذا حجتهم بشعة فصبوا بأحسن منها أو ردوها) أى
 اذا سلم عليكم فردوا على السلم رد أحسن من ابتداء أو أجيبوا التحية بمثلها ومنتهى الأمر فى السلام
 أن يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بدليل أن هذا القنطري هو الوردى التشهد لأحسن هو
 أن السلم اذا قال السلام عليك زيدى جوابا للرحمة وان ذكر السلام والرحمة فى الابتداء زيدنى
 جوابا للبركة وان ذكر الثلاثة فى الابتداء أعيت فى الجواب ورد الجواب واجب على القور وهو
 فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي والأولى للسلك أن يذكر الجواب اظهارا
 للاكرام ومبالغة فيمتزك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام واذا استقبلت واحد فقل
 سلام عليكم واقتصد الرجل والمساكين فانك اذا سلمت عليهم اردا السلام عليك ومن سلم الملك عليه
 فقد سلم من عذاب الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا
 وعليكم روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يندب اليهودى بالسلام واذا بداك فقل وعليك وعن أبي
 حنيفة أنه قال لا يندب اليهودى بالسلام فى كتاب ولا فى غيره وعن أبي يوسف قال لا تسلم عليهم ولا
 تصافحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من تبع الهدى ورخص بعض العلماء ابتداء السلام
 عليهم اذا دعوا الى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء يبنى أن يقال وعليك ثم ههنا
 تفرع وهو أن اذا قلنا لهم وعليكم السلام فقل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز أن يقال للكافر
 وعليكم السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشئ أنه قال نصرتنى وعليكم السلام
 ورحمة الله فقبل له فى ذلك فقال ليس برحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون السلم
 مسلما ورد مثله عند كونه كافرا وللقصود من هذه الآية الوعيد فان الواحد من جنس الكفار قد يسلم
 على الرجل السلم ثم ان ذلك السلم يتفحص عن حاله بل ربما قبله طمعا منه فى سلبه فانه تعالى زجر عن
 ذلك فإياكم أن تشرعوا لمالقتل (ان الله كان على كل شئ حسيبا) أى محاسبا على كل أعمالكم
 وكفايا فى إيصال جزاء أعمالكم اليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة
 الاعتناء بحفظ الاماء (والله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم
 فاقبلوا سلامه وأكرموه بناء على الظاهر فان المواطنين انما يفرقوا الله تعالى لاله الا هو وانما ينكشف
 بواطن الحق بالحق فى يوم القيامة (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أى والله يحشرنكم من قبوركم الى
 حساب يوم القيامة (لاريب فيه) أى فى يوم القيامة (ومن أصدق من الله حديثا) وهذا استنباط على
 سبيل الإنكار وللقصود منه بيان أنه يجب كونه تعالى صادقا وأن الكتب والخلف فى قوله تعالى محال

(عسى الله) واجب من
 الله (أن يكف) يصرف
 ويمنع (بأس الذين كفروا)
 شدتهم وشوكتهم (والله
 أشد بأسا) أى عذابا
 (وأشد تنكيلا) أى
 عقوبة (من يشفع شفاعة
 حسنة) وهى كل شفاعة
 تجوز فى الدين (يكن له
 نصيب منها) أى كان له فيها
 أجر (ومن يشفع شفاعة
 سيئة) يعنى ما لا يجوز فى
 الدين أن يشفع فيه (يكن
 له كفل منها) أى نصيب
 من الوزر والاثم (وكان
 الله على كل شئ مقبلا) أى
 مقبلا (واذا حجتهم بشعة)
 يعنى اذا سلم عليكم بسلام
 (فصبوا بأحسن منها) أى
 أجيبوا بزيادة على التحية
 اذا كان السلم من أهل
 الاسلام (أو ردوها) اذا
 كان من أهل الكتاب
 (ان الله كان على كل شئ
 حسيبا) أى مجازيا (الله)
 لاله الا هو ليجمعنكم فى
 القبور (الى يوم القيامة
 لاريب فيه) أى لا شك
 فيه (ومن أصدق من الله
 حديثا) أى قولنا وخيرا
 يريد أنه لا خلف لوعده

(فما لكم في المنافقين فئتين) نزلت في قوم قسموا على رسول الله ﷺ للدينة فأقاموا ما شاء الله ثم قالوا انا اجتونا المدينة فأذن لهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فأختلف المؤمنون فيهم فقال بعضهم انهم كفار مرتدون وقال آخرون انهم مسلمون (١٦٥) حتى يعلم أنهم بدلوا فبين الله كفرهم في هذه الآية والى معنى ما لم

(فما لكم في المنافقين فئتين) أي ما لكم يا معشر المؤمنين صرتم في أمر المنافقين فرقين وهو استفهام على سبيل الإنكار أي لم تختلفوا في كفرهم مع أن دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جليلة فليس لكم أن تختلفوا في كفرهم بل يجب أن تقطعوا به نزلت هذه الآية في عشرة فقرات قسموا على النبي ﷺ مسلمين فأقاموا بالدينة ما شاء الله ثم قالوا يا رسول الله نريد أن نخرج إلى الصحراء فأذن لنا فيه فأذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم هم مسلمون وليس لنا أن ننسبهم إلى الكفر إلى أن يظهر أمرهم فينبغي أن نعالى نفاقهم في هذه الآية (وإنه أركسهم) أي ردهم إلى أحكام الكفار من الذل والسبي والقتل (عما كسبوا) من أظهار الكفر بعد ما كانوا على النفاق وذلك أن النفاق مدام يكون متمسكا في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل إلى قتله فإذا أظهر الكفر فحينئذ يجري الله تعالى عليه أحكام الكفار (أو يدون أن يهدوا من أضل الله) عن الإيمان (ومن يضلل الله) عن دينه (فلن نجده سبيلا) إلى إدخاله في الإيمان (ودوا لو تكفروا كما كفروا) أي عنتوا كفركم بمحمد والقرآن كفرًا مثل كفرهم (فتكونون) أتم وهم (سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) أي إذا كان حالهم ودادة كفركم فلا تولوهم حتى يتقسطوا من أعمال الكفار إلى أعمال المسلمين لأجل أمر الله تعالى اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالاتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان وأخرى تحصل بالاتقال عن أعمال الكفار إلى أعمال المسلمين قال ﷺ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقال الحقون الهجرة في سبيل الله عبارة عن ترك منييات الله وفعل ما أمره وذلك يشمل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وأما قيد الله تعالى الهجرة بكونها في سبيل الله لاخراج الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ومن شعار الكفر إلى شعار الإسلام لغرض من أغراض الدنيا فأما الغرض وقوع تلك الهجرة لأجل أمر الله تعالى (فان تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجا عن المدينة (فخذوهم) أي قأسروهم إذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي في الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم) في هذه الحالة (وليا) يتولى شئنا من مهادنتهم (ولا نصبر) نصبركم على أعدائكم (الذين يضلون) أي يتوبون (إلى قوم ينسبك) وينتمون (إلى قوم ينسبك) أي الأمن دخل في عملهم كان داخلًا في عملكم فهم أيضا داخلون في عملكم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في حق هلال بن عويمر الأسلمي وصراقة بن مالك اللبكي وبنو خزيمة بن عامر بن عبد مناف وفي هذه الآية بشارة عظيمة لأهل الإيمان لأنه تعالى لما رفع السيف عن التبع إلى من التبع إلى المسلمين فبان رفع العذاب في الآخرة ممن التبع إلى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الذين (جاءوكم حصرت) أي ضاقت (صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلوكم) لأنكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن

وجدتموهم الذين يضلون ويتبعون (إلى قوم ينسبك) وينتمون (إلى قوم ينسبك) فيدخلون فيهم بالخلف والجوار (أو جاءوكم حصرت صدورهم) يعني أو يضلون يقوم جاءوكم وقصفت صدورهم بقتالكم وهم يودونكم كانوا صلحا للنبي ﷺ وهذا بيان أن من انضم إلى قوم ذوى عهد مع رسول الله ﷺ فله مثل حكمهم في حقن الدم والبال ثم نسخ هذا كله بآية السيف ثم ذكر الله منه بكف بأس المعادين فقال

(ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقتاكم) يعني أن ضيق صدورهم عن قتالكم إنما هو لئلف الله الرعبي قلوبهم ولوقى الله قلوبهم على قتالكم لقتالكم (فإن اعزلكم) أي في الحرب (والقوا اليكم السلم) أي الصلح (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) في قتالهم وسفك دماهم ثم أمره بقتال من لم يكن على سبيل هؤلاء فقال (ستجدون آخرين) الآية هؤلاء قوم كانوا يظهرون للوافة لقومهم من الكفار ويظهرون للإسلام النبي ﷺ والمؤمنين يمدون بذلك الأمن في الفريقين فأطلع الله نبيه على تفاهم وهو قوله (يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) وقوله (كلادوا إلى الفتنة أركسوا فيها) أي كمدوا إلى الشر كرجوا فيقولوه (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة بينة في قتالهم لأنهم غشوة لا يفون لكم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا خطأ) مثل أن يقصد بالرمي غيره فأصابه

(بقتالوا قومهم) لأنهم أقار بهم فهم لا عليكم ولا لكم أي لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من المأمورين فريقين أحدهما من ترك الحارين ولحق بالمهاجرين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) يسط صدورهم وقوة قلوبهم وازالة الرعب عنها والحق أن ضيق صدورهم عن قتالكم إنما هو لئلف الله الرعبي قلوبهم ولوقى الله قلوبهم على قتال المسلمين لتسلطوا عليهم وللقصود من هذا الكلام أن الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المهاجرين (فلقتاكم) وهذا في الحقيقة جواب لو وما قبله توطئة له وأعيدت اللام توكيدا (فإن اعزلكم) أي ترككم (فلم يقاتلواكم) والقوا اليكم السلم أي الاتقياد للصلح والأمان (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا بالأسر أو بالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أي قوما من المنافقين غير من سبق وهم قوم من أسد وعظفان كانوا مقيمين حول المدينة فإذا أتوا المدينة أسلحوا وهاجروا وقالوا أصحاب رسول الله ﷺ إنا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين وإذا رجعوا إلى قومهم كفر وأونكروا عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلعت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقب والحفشاء كإلهي (يريدون أن يأمنوكم) أي يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام عندكم (ويأمنوا قومهم) أي من بأسهم باظهار الكفر إذا رجعوا إليهم (كلادوا إلى الفتنة) أي كما دعوا إلى قتال المسلمين (أركسوا فيها) أي قلوبها في الفتنة أقبح قلب وكانوا فيها شرا من كل عدو شر رأى كمدادهم قومهم إلى الكفر وقتال المسلمين رجعوا إلى هذا استمارة لشدة أصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لأن من وقع في شيء منكوسا يتضرر وجهه منه (فإن لم يتركواكم) وبقوا اليكم السلم وكفوا أيديهم فضوهم وقتلواهم حيث تقتضونهم) أي أن قاتل لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فضوهم أي وأسروهم وقتلواهم حيث تقتضونهم أي وجدتموهم في الحل والحرم (وأولئك) أي أهل هذه الصفقة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي جعلنا لكم على جواز قتل هؤلاء حجة واضحة وهي ظهور وعداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والشرك واضرارهم بأهل الاسلام وأجعلنا لكم عليهم سلطانا ظاهرا حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا خطأ) أي ليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الاعتدال خطأ وهو ما إذا رأى عليه شمل الكفار أو وجد في عسكرهم فظنه مشركا فنهبا بجوز قتله ولا شك أن هذا خطأ فإنه ظن أنه كافر مع أنه غير كافر وى أن عياش بن أبي ربيعة أسلم في مكة وهاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها وتحصن في أطم من أطامها خوفا من قومه فأقسمت أنه لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس تحت سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن زيد بن أبي أيسنة فأتياه فقال أبو جهل أليس ان محمدا يأمر بك يراهم فأصرف وأحسن إلى أمك وأنت على دينك فرجع إلى مكة فلما دنوا من مكة قيدا يديه ورجليه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فلما دخل على أمه حلفت لا يزول عنه القيد حتى يرجع إلى دينه الأول فتركوه موقوفًا مطر وحافى الشمس ماشاء الله ففعل بلسانه فأتاه الحريث ابن زيد فقال لعياش إن كان دينك الأول هدى فقد تركته وإن كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فضرب عياش من مقاتله وقال والله لا ألتصق خالبا أبدا الاقتلتك ثم هاجر بسد ذلك وأسلم الحريث بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله ﷺ فلقبه عياش في ظهر قبائه خالبا ولم يشرع بإسلامه فقتله فلما أخرجه الناس بأنه كان مسلما ندم على فعله وأتى رسول الله ﷺ وقال قتلتك ولم أشعر بإسلامه فزلت هذه الآية (ومن قتل مؤمنا خطأ) بأن يقصد رمي للشرك فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما

(فان كان) للقتول (من قوم) حرب لكم وكان مؤمنا (فتحرر رقبة مؤمنة) كفارة للقتل والدية لان عبته وأهله كفار ولا يرون ديتيه (وان كان من قوم ينسبكم وينسبكم) كآهل الذم فيه الدية والكفارة (فن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين متتابعين نوبة من الله) أى ليقبل الله نوبة القتال حيث لم يسحب عن القتل وحاله وحيث لم يجهد حتى لا يخطئ (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية غلظت تعالى وعيد قاتل المؤمن عمدا للبالغة في الردع والزجر (يأبى الذين آمنوا اذا ضربتم) أى ستم (في سبيل الله فتبينوا) أى تبشروا وتأنوا زلت في رجل كان قد انحاز بغيره الى جبل فلقى سرية من المسلمين عليهم أسامة بن زيد فأتاهم وقال السلام عليكم لاله الا الله محمد رسول الله وكان قد أسلم فقتله أسامة ابن زيد واستاقوا غنمه فزلت الأقبية عن سفك دم من كان على هذه الحالة وذلك أن أسامة قال انما قالها متعمدا فقال الله تعالى (ولا تقولوا لمن أتىكم بشيعة الاسلام أولئك هم شيعتنا) أى

أو يضرب السلم بضربة لا تقتل غالبا فموت منها فأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد والثالث خطأ في القتل وان كان عبدا في الضرب ولتلك سمي شبه العمد (فتحرر برقية مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) أى فضيلة اعتاق نسمة محكوم بإسلامها وان كانت صغيرة ودية مؤداة الى ورة للقتول يقتسمونها كسائر اللوارث (الأن يصدقوا) أى الأن يعفو أهل القتل عن الدية ويتركوها وسمى العفو عنها صدقة فتعاطى وتبشأ على فضله وفي الحديث كل معروف صدقة (فان كان) أى للقتول خطأ (من قوم عدو لكم) أى من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يصل القتال بكونه مؤمنا (فتحرر برقية مؤمنة) أى فالواجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ هو تحرير الرقبة وأما الدية فلا تجب الا لوراثة بين القتل وبين أهله لانهم عاربون كالحرب بن زيد فانه من قوم عاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فانها حق الله تعالى ليقوم المتوق بمقام القتل في الواظبة على العبادات (وان كان) أى للقتول خطأ (من قوم) كفرة (ينسبكم وينسبكم) أى عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أى فطلى قاتله (مسلمة الى أهله) أى للقتول وهي ثلث دية المؤمنين ان كان نصرانيا أو يهوديا تحمل من كفته وثلثا عشرها ان كان مجوسيا أو كنيايا لا تحمل من كفته (وتحرر برقية مؤمنة) على القاتل (فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أى فن كان فقيرا فعليه ذلك الصيام بدلا عن الرقبة وقال مسروق بدلا عن مجموع الكفارة والدية والتابع واجب حتى لو أفطر يوما وجب الاستئذان الا أن يكون الفطر بحضرة أو نفاس (نوبة من الله) أى شرع ذلك تجازا من الله على قصيره في ترك الاحتياط لأمور بالغ في الاحتياط لم يصبر عنه ذلك الفعل (وكان الله عليا) بأن القاتل لم يتعمد (حكيا) في أنه تعالى ما يؤاخذ به ذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) روى أن مقيس بن ضبابة الكنانى كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ وذكره القصة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه زير ابن عياض القهري وكان من أصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقصص منه ان عاموه وبأداء الدية ان لم يملوه فقتلوا سماعة فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق تففل مقيس الكنانى رسول سيدنا محمد ﷺ القهري فرماه بصخرة فشدخه ثمرك بغير امان الإبل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافر فزلت هذه الآية وهو الذى استثناه رسول الله ﷺ يوم الفتح بمن أسلمه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة (خالد فيها) حال مقتره من فاعل فعل مقدر يقتضيه اللقاع كأنه قيل جزاؤه أن يدخل جهنم خالد فيها (وغضب الله عليه) أى اتقم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستئناف حكم الله بأن جزاء ذلك وغضب عليه (ولعنه) أى ابدع من الرحمة يجعل جزاء ما ذكر (وأعده) في جهنم (عذابا عظيما) لا يقدر قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمنا رسول سيدنا رسول الله ﷺ متعمدا بقتله أى بأن يقصد بقتله بالسبب الذى يعلم اقضاءه الى الموت سواء كان ذلك جارا حال لم يكن جزاؤه جهنم بقتله عامدا لما يكونه مؤمنا خالد فيها بشر كما وردت داه وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذابا عظيما أى شديدا بجراثة على الله (يأبى الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله) أى سافروا في النزوة (فتبينوا) أى تحققوا حتى تبين لكم المؤمنين من الكفار قرأ حزنة والصكالى هتافا للمؤمنين وفي الحجرات فتبينوا أى اطلبوا الثبوت والبراد في الآية فتأولوا أو أركوا السجدة واحتاطوا (ولا تقولوا لمن أتىكم السلام) أى لا تقولوا بغير تأمل من حياكم بشيعة الاسلام أولئك هم شيعتنا لا اله الا الله محمد رسول الله

لمن ترك قتل من ألقى اليكم السلام (كذلك كنتم من قبل) كفارا خلا كما كان هذا القتل قبل اسلامه (فن الله عليكم) أي بالاسلام كما من على المقتول يعني أن كل من أسلم عن كان كافرا في منزلة هذا الذي تعوذ بالاسلام قبل منه ظهر الاسلام ثم أعاد الأمر بالتين فقال (فتبينوا) ان الله كان بآمناء خيرا) يعني علم أنكم قتلتموه على ما له ثم حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم دينه إلى أهله ورد عليهم غنمه واستغفر لاسامة وأمره بقتل رقية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) يعني الإجماع الذين لاعة بهم تضرمهم وتقطعهم عن الجهاد لا يستوي هؤلاء (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أي من أهل العترة لأن المجاهدين بأشروا الطاعة والقاعدين من أهل الضر وإن كانوا في الثانية والهمة على قصد الجهاد فيأثرة الطاعة فوق قصدتها بالية (وكلا) من المجاهدين

(الستؤمننا) فتقاتلوه (يتفوتون عرض الحياة الدنيا) أي حال كونكم طالبيين لله الذي هو سريع النقاد (فقد الله مقام كثيرة) أي ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل) أي مثل ذلك الذي ألقى اليكم السلام كنتم أمتم أيضا في أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك الرتبة وعصم بآدماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم (فتبينوا) أي إذا كان الأمر كذلك أي فقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على توابع الظاهر والباطن (إن الله كان بآمناء خيرا) من الأعمال الظاهرة والخفية (خيبرا) فيجازيكم بحسب ما أن خير ما خيرا وان شرافه فلا تهاونوا في القتل واحتاطوا فيه نزلت هذه الآية في شأن مرداس بن نبيك رجل من أهل فدك وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سر يقر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه مع أميرهم طالب بن فضالة فمر بواقي مرداس لثقتة بإسلامه فلما رأى الخيل ألتجأ غمته إلى عاقل من الجبل فلما لاحقوا وكبروا وكبر وقال لاله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبر وارسول الله ﷺ فوجدوا جثته شديدا وقال قتلتموه أرادة ما معه فقال أسامة انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفري فقال فكيف وقد تالاه الله قال أسامة فإزال صلى الله عليه وسلم بيدها حتى وجدت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفري ثلاث مرات وقال أعنت رقية لا يستوي القاعدون) الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولي الضرر) من مرض أو طعم من عي أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأبهة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائي والباقر والنصب على الحال من القاعدون والأعشى بالجر على الصفة للمؤمنين (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) قال ابن عباس أي لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) أولي الضرر (درجة) أي فضيلة في الآخرة لأن المجاهدين بأشروا الجهاد في سبيل الله (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم) أي الجنة بإيمانهم (وقد الله الحسن) أي الجنة (فضل الله المجاهدين) في سبيل الله (على القاعدين) الذين لا عندهم ولا ضرر (أجر أعظم درجاته) أي من الله تعالى (ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من المذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج إلى الجهاد (رحما) لمن مات على التوبة وقيل هذا التفضيل بين المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر فقط وذلك امتا للذين لا الاختلاف بين التفضيلين منزلة الاختلاف الثاني كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كتبها واما الاختلاف الثالث بين التفضيلين على أن الراد التفضيل الأول ما أعطاهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الفتيمة والظفر والذكر الجليل الحق بكونه درجة واحده والتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخر من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى أما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى ثم ردناهم إلى ما قبل سالفين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين في تفسير ذلك أن من صار همرا كتب الله له أجرا ما كان بعمله قبل هجره غير منقوص من ذلك شيئا

ان الذين توفاهم الملائكة أى قبضت أرواحهم زلت في قوم كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا حتى خرج المشركون الى بدر فخرجوا معهم فقتلوا يوم بدر فصربت الملائكة وجوههم وأبصارهم

(١٦٩)

وقوله (ظالمى أنفسهم) أى بالقام في

دار الشرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين (قالوا فيم كنتم) أى قالت الملائكة هؤلاء سؤال نوبيخ وتقرير أكنتم في المشركين أم في المسلمين فاعتصموا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك في دارهم (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) أى في مكة فحاجبتهم الملائكة بالمهجرة الى غير دارهم (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل النار ثم استثنى من صدق في أنهم مستضعفون فقال (الا المستضعفين) أى الذين يوجدون ضعفاء (لا يستطيعون حيلة) أى لا يقدرعون على حيلة ولا نفقة ولا قوة للخروج (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريقا الى المدينة (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) ومن يهاجر في طاعة الله الى بلد آخر أى مهاجرا أو متحولا (كثيرا وسعة) في الرزق (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله) أى الى موضع أمر الله ورسوله (ثم يتركه الموت) قبل أن يصل الى المقصد وإن كان خارج بابه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عنه الله بالاجابة على نفسه

وأما العقل فالمقصود من جميع الطاعات استئثار القلب بنور معرفة الله تعالى فإن حصل الاستواء فيه للجاهل والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر حظا من هذا الاستتراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم ولابد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع التكرار هو من كان مجاهدا في كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحصل هذا الجهاد صرف القلب من الالتفات الى غير الله الى الاستتراق في طاعة الله ولما كان هذا المقام أعلى جبل فضيلته درجات (ان الذين توفاهم الملائكة) أى ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يولون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يولون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) ترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة للرجعة للاخلال بأمر الدين فإن هذه الآية زلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فقتلوا يوم بدر مع الكفار منهم على بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وثقيس بن الوليد بن النخعة وأبو العاص بن منبه بن الحجاج وأبو قيس بن العافكة (قالوا) أى للملائكة لهم حين القبض (فيم كنتم) أى في أى شيء كنتم من أمريدكم أى أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم مشركين أو فيم كنتم في حرب محمد أو في حرب أعدائه (قالوا) مشركين اعتدوا غير صحيح (كنا مستضعفين في الأرض) أى كنا معقورين في أرض مكة في أيدي الكفار (قالوا) أى للملائكة لهم تو بيخاع ضرب وجوههم وأبصارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أى انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم فبقيت بين الكفار وقال ابن عباس أى ألم تكن المدينة آمنه فتهاجروا اليها (فأولئك مأواهم) في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر تركهم الفريضة فأولئك متبذوا وجنم خبره والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبران وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من للملائكة أو هو الخبر والعائد منه محذوف أى قالوا لهم (وساءت مصيرا) أى بس مصيرهم جهنم (الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أى الصبيان أو المالك (لا يستطيعون حيلة) أى لا يقدرعون على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان هم مرض أو كانوا محتضرا قاهر يمنعونهم من تلك المهاجرة (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يبلهم على الطريق كيلا يشربوا فيموتوا سعة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه اسمها هالة كما قال كنت أنا وأمي بمن عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يغفر عنهم) وذكر الغفر بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع لأن الانسان لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عن ما عسى أن يكون كذلك في الحقيقة فكانت الحاجة الى الغفر شديدة في هذا المقام (وكان الله غفورا لما كان منهم) (غفورا) لمن تاب منهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) في المعبشة أى ومن يهاجر في طاعة الله الى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنفقة ما يكون سببا لرفع أعضا أعدائه الذين كانوا معي في بلدته الأصلية وذلك لأن من ذهب الى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة فوصل ذلك الخير الى أهل بلدته خجلا من سوء معاملتهم معور غمت أوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله) أى الى موضع أمر الله ورسوله (ثم يتركه الموت) قبل أن يصل الى المقصد وإن كان خارج بابه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عنه الله بالاجابة على نفسه

(٢٢) - (تفسير مزاح لبيد) - (اول)

كثيرا خرج متوجها الى المدينة فعات في الطريق فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفي في المدينة لكان أتم أجرا فأزل الله فيه هذه الآية وأخبر أن من قصد طاعة ثم عجز بالعجز عن إتمامها كتب الله له

ومعنى وقع أجره على الله أى وجب ذلك بإيجابه (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية نزلت في إباحة قصر الصلاة في السفر وظاهر القرآن يدل على أن القصر يستباح بالسفر والخوف لقوله تعالى (إن خفتن أن يقتلكم الكفرة) أى أن يقتلكم والجمع منعقد على أن القصر يجوز في السفر من غير خوف وثبت السنة بهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر الخوف في الآية على غالب حال أسفارهم في ذلك الوقت ثم ذكر صلاة الخوف فقال (وإذا كنت فيهم) أى إذا كنت أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم (فأقم لهم الصلاة) أى ابتدئها أما لهم (فلتقم طائفة منهم معك) أى تصفهم يصلون معك (ولأيأخذوا أسلحتهم) أى وليأخذوا الباقون أسلحتهم (فإذا سجدوا) أى فإذا سجلت الطائفة التي قامت معك (فليسجدوا) أى وإذا أخذ السلاح (ولتأت طائفة أخرى) يعني الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم (ليصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني الذين صاوا أولا (والذين كفروا) لوتفلقوا عن

بحكم الوعد والفضل والكرم لا يحكم الاستحقاق الذي لو لم يفعل لخرج عن الأهمية (وكان الله غفورا) لما كان منه من التقود إلى وقت الخروج (رحما) بأجل أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على إتمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قوله تعالى إن الذين توفاهم لللائكة إلى آخر الآيات بحث بها إلى مكة فقلت على المسلمين الذين كانوا فيها إذا ذلك قسمهم رجل من بني ثعلبة شيخ مرض كبير يقال له جندب بن ضمرة فقال لبنيته أحماني فاني لست من المستضعفين وأني لا تهدي الطريق والله لأبليت الليلة بمكة فحملوا على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شالته ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيابك على ما يابك عليه رسولك فلت فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان آم أجرا وضحك المشركون وقالوا لأمرك بالمطلب فأزل الله تعالى قوله ومن يخرج من بينه الآية قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهي هجرة إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى إذا سافرت أي مسافرة كانت فليس عليكم ما تم في أن تردوا الصلاة من أي ركعات إلى ركعتين إذا كان السفر طويلا لغير مصيبة وهو عند الشافعي والمالك أربعة ردهي مرحلتان وعندنا حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمر أنه قال يقصر في يوم تام وبه قال الزهري والأوزاعي وقال أنس بن مالك العبر خمس فراسخ (إن خفتن أن يقتلكم الذين كفروا) أى إن خفتن أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتل وغيره وقال ابن عباس أى إن علمتم أن يقتلواكم في الصلاة وهذا الشرط بيان للواقع إذ ذلك وهو أن غالب أسفار نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو ولكرهه للشركيين وأهل الحرب إذ ذلك فحينئذ لا يشترط الخوف بل لسافر القصر من الأمن لما في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف إلا الله عز وجل فكان يصلي ركعتين قال علي بن أمة قلت لعمر أعمال الله تعالى إن خفتن قدام من الناس قال عمر قد عجبت بما عجبتم منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصليق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى إن المساواة الحاصلة بينكم وبين الكافرين قديمة والآن قد أظهرتم خلافهم في الدين وازدادت عداوتهم بسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم إن قنروا فإن طال صلاتكم فرما وجدوا الفرصة في قتلكم فلي هذا رخصتكم في قصر الصلاة (وإذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة) فلتقم طائفة منهم معك) أى إذا كنت يأشرف الحلق مع المؤمنين في خوفهم فأرشد أن تقم بهم الصلاة فأجلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصلحهم ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوك منهم (ولأيأخذوا) أى الطائفة الذين يصلون معك (أسلحتهم) من التي لاتصلحهم عن الصلاة كالسيوف والخنجر فإن ذلك أقرب إلى الاحتياط وأمن للعدو من الإقدام عليهم (فإذا سجدوا) أى القائمون معك وأعوأ صلاتهم ببدنية للفرقة (فليسجدوا من ورائكم) أى فليصبروا من ورائكم إلى مصاف أصحابهم بإزاء العدو لحراسة ثم يبقى الإمام قائما في الركعة الثانية (ولتأت طائفة أخرى ليصلوا فليصلوا معك) في الركعة الثانية ثم يجلس الإمام في التشهد إلى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الإمام بهم وهذا قول سهل بن أبي حنيفة ومذهب الشافعي (ولأيأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) من العدو (وأسلحتهم) معهم وأخذوا كرا الحذر هنا لأن العدو لم يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين لأجل الحارة فلا قاموا في الركعة الثانية ظهر لك الكفار كونهم في الصلاة فحينئذ يتبرزون الفرصة في الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (والذين كفروا) لوتفلقوا عن

أسلحتكم وأمتعتكم) في صلاتكم (فيميلون عليكم ميله واحدة) أي بالقتال (ولاجتماع عليكم إن كان بك من أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضيّعوا أسلحتكم) ترخيص لهم في ترك حمل السلاح في الصلاة وحملها فرض عند بعضهم وسنة مؤكدة عند بعضهم فرض على الله عليهم في تركه بعذر المرض والطر لأن السلاح يشغل على الرصاص ويفسد بالطر (١٧١) (وخذوا حذركم) أي كونوا على حذر

في الصلاة كيلا يتفكك
العدو (فإذا قضيت الصلاة)
أي فرغت من صلاة
الحوف (فأذكروا الله)
أي بتوحيده وشكره في
جميع أحوالك (فإذا
أطمانتم) أي رجعت إلى
أهلكم وأقمتم (فأقيموا
الصلاة) أي أتموها (إن
الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا مبرورا) أي مفروضا
مؤثرا فرضه (ولأنهوا) أي
لأصنعوا (في ابتعاد القوم)
يعني بأسفان ومن معه
حين انصرفوا من أحداهم
الله نبيه إن سبى في آثارهم
بعد الوقفة بأبام فاشتكى
أصحابها منهم من الجراحات
فقال الله تعالى (أن تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما
تألمون) أي إن ألتم من
جراحكم فهم يألمون مثل
حالتكم من ألم الجراح
(وترجون من) بصرة (الله)
يا كم وأظهر دينكم في الدنيا
وثوابكم في العقي (مالا
يرجون) هم (وكان الله
عليا) أي خلقه (حكيا) أي
فيها حكم (إننا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق) هذه الآية

وإبادهما زالت في قصة طمعة بن أبيرق سرق درعتم برى بهما يوديا فلما طلبت عنده السرع أجال على اليهودى ورماه بالسيف فاجتمع قوم لطمعة وقوم اليهودى وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل قوم طمعة النبی صلی اللہ علیہ وسلم أن یجادل عن صاحبهم وأن یرثه وقالوا انک ان لم تفعل اقتضض صاحبنا ویرى اليهودی فهم النبی صلی اللہ علیہ وسلم أن یفعل ففزل قوله انا أنزلنا الیک الکتاب بالحق فی الحکم لا بالتعدي فیہ (لتحکم بین الناس بما أراک الله) فما یعاملک الله

(ولا تكن للناثنين) يعني طعمة وقومه (خصيا) أي مخاصما عنهم (واستغفر الله) أي من جدالك عن طعمة وهمك بقطع اليهودي (ولا تجادل عن الذين يخافون) (١٧٣) أنفسهم) أي يخونونها بالمصيبة لأن وبال خيانتهم راجع عليهم يعني طعمة وقومه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعني طعمة لأنه خان في الدرع وأثم في رعيه اليهودي (يستخفون) أي يستترون بخيانتهم (من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) أي عالم بما يخفون (اذ يبيتون أي يبيتون ويقدرون ليل (مالا يرضى من القول) وهوان طعمة قال أرمي اليهودي بالدرع وأحلف أني لم أسرق فتقبل يعني لاني على دينهم (وكان الله بما يعملون محيطا) أي عالما ثم خاطب قوم طعمة فقال (ها أنتم هؤلاء جادلتم) أي خاصتم (عنهم) أي عن طعمة وذويه (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) أي لا أحد يفعل ذلك ولا يكون في ذلك اليوم عليهم وكل أي يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم ثم عرض التوبة على طعمة وقومه بقوله (ومن يعمل سويا) أي معصية كما عمل قوم طعمة (أو يظلم نفسه) بذنب كعمل طعمة (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا راحيا)

الرؤي في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقول أحدكم قضيت بما أراي الله تعالى فان الله تعالى يجعل ذلك للأنبياء والرأي منا يكون غنا لاعلمنا تله هذه الآية شأن رجل من الأنصار يقال له طعمة ابن أبيريق من بني غفر سرق درعاً من جارية قتادة بن النعمان وهي في جراب دقيق فصار الدقيق ينثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن مسكين اليهودي فالتفت الروع عند طعمة فلم توجد فتركه وذهبوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذهوا فقال دفعها إلي طعمة وشهده ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنالي رسول الله شهد أن اليهودي هو السارق لثلاث فتعجب بل عزموا على الحلف فذهبوا وشهدوا وراول يظهر له صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اليهودي أو يقطع يده لثبوت المال عنده فأعلمه الله الحال بالوحي فهم أن يقضي على طعمة فحرب إلى مكة وارتد وتوقف حائطاً للسارق متاع أهله فوقع عليه فقتله ومات مذبذباً في مكة (ولا تكن) يا أشرف الخلق (للخائنين) أي لأجل المنافقين والذين عنهم وهم طعمة وقومه بنو أريق بشر وبشر ومبشر كما أخرجه الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (خصيا) أي مخاصما لمن كان بريئاً عن الذنب وهو اليهودي (واستغفر الله) من همك بضرب اليهودي زيد بن مسكين فهو يلا على شهادتهم لأنهم كانوا في الظاهر مسلمين فاستغفروا صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك المم بالحكم الذي لو وقع لكان خطأ في نفسه وإن كان معذوراً عند الله فيه فأمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات القاريين (ان الله كان غفورا راحيا) أي مبالغا في الغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يخافون أنفسهم) طعمة ومن طعون طعون من علم كونه سارقاً (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) فان طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي إلى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع السرقة عنهم يلحقها باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول إبطاله ذلك وانظار كذبهم وكفر وقيل اذا عثرت من رجل على سيرة فاعلم أن لها اخوات وروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجماعت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبنا الله لا يؤخذ عيده في أول الأمر (يستخفون من الناس) أي يستترون منهم حياء وخوفاً من ضرر (ولا يستخفون من الله) أي ولا يستحيون منه تعالى ولا يخافون من عذابه تعالى (وهو معهم) يعلمون رؤيته وقدرته (اذ يبيتون) أي يقدرون في أذهانهم (مالا يرضى) أي الله (من القول) وهوان طعمة قال أرمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وأحلف أني لم أسرقه فيقبل الرسول يعني لاني على دينه لا يقبل بين اليهودي (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يزب عنه تعالى شيء ولا فوت (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم يا قوم طعمة (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هيوا أنكم خاصتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبادة بن مسعود وأبى بن كعب عنهما بالأفراد (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تدنيهم (أهم من يكون عليهم وكيلاً) أي أم من الذي يكون حافظاً لهم من عذاب الله (ومن يعمل سويا) أي قريباً من غيره كإفعل طعمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رعى اليهودي بالسرقة (أو يظلم نفسه) كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفورا راحيا) لأن توبته (ومن يكسب أثماً) أي ذنباً (فإنما يكسبه على نفسه) فلا تدعى ضرره إلى غيره فليست حرج من أفعال نفسه العقاب عاجلاً وآجلاً والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة ولذلك لم يحجز وصف الله

وكان الله عليا) بالسارق (حكيا) حكم بالقطع على طعمة (ومن يكسب خطيئة) أي ذنبا بينه وبين الله يسئ إليه السكاذبة انه ماسرق (أو ثامنا) أي ذنبا بينه وبين الناس يعني مقرته (مهرمه) أي يائمه (بريئا) كما فصل طعمة حين يرى اليهودي بالسرقه (فقد احتمل بهتاناً) يرى البريء (وآثاماً مبيتاً) أي بالعين (١٧٣) السكاذبة والسرقه (ولو لا فضل الله عليك ورحمته) بالنسبة والصمة

(لمت) أي لقد همت (طائفة منهم) من قوم طعمة (أن يضلوك) أي يحطونك في الحكم وذلك انهم سألوا النبي ﷺ أن يجادل عنه ويقطع اليهودي (وما يضلون الا أنفسهم) أي تعاونهم على الاتم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضررونك من شيء) لأن الضرر على من شهد بنبرحق ثم من عليه فقال (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) فلما بان أن السارق طعمة تنابى قومه في شأنه أنزل الله (لآخر في كثير من نجواهم) أي مسازتهم (الا من أمر بصدقة) أي الأني نجوى من أمر بصدقة وقال مجاهد هذه الآية عامة للناس يريد أنه لا خير فيها يتناجى فيه الناس وغرضون فيه من الحديث الا ما كان من أعمال الخير ثم بين أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال (ومن يشعل ذلك) الآية ثم حكم رسول الله ﷺ على

تعالى بذلك (وكان الله عليا) بما في قلبه عده عند اقامه على التوبة (حكيا) تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب وان لا يحمل نفاوا وزر ونفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أي صغيرة أو قاصرة على النافع أو ما لا يفيض فله بالمعدو والخطأ (أو لثاماً) أي كبيرة أو ما يتعدى إلى الغير كالظلم والقتل وما يحصل بالعد (مهرمه) أي يثقف بذلك الذنب (بريئا) فقد احتمل بهتاناً وآثاماً أي فقد أوجب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين قالبتان أن ترمى أخاك بأمر منكرو وهو يرى منه فصاحب البهتان مذموم في الدنيا أي أذنبتم ومعاقب في الآخرة أشد العقاب فقله تعالى بهتاناً إشارة إلى التلميع في الدنيا وقوله تعالى إنما مينا إشارة إلى العقاب العظيم في الآخرة (ولو لا فضل الله عليك) بأعلامك ما هم عليه بالوحى (ورحمته) بتبنيك على الحق وللمنى لولان الله خصك بالفضل وهو التوبة والرحمة وهي الصمة (لمت طائفة منهم أن يضلوك) أي لأرادت طائفة من قوم طعمة أن يلقوك في الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمة قد عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرميه عن السرقه ويسب تلك السرقه إلى اليهودي (وما يضلون الا أنفسهم) بسب تعاونهم على الاتم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضررونك من شيء) أي انهم وإن سمعوا في الفتاك في الباطل فأتت ما وقعت فيه لأنه تعالى حاصبك ولأنك نيت الأمر على ظاهر الحال وأتت ما شئت الايئاه الأحكام على الظواهر (وأنزل الله عليك الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي علم الشرائع (وعلمك ما لم تكن تعلم) من أمور الدين وأسرار الكتاب والحكمة وأخبار الأولين وحيل المنافقين (وكان فضل الله عليك عظيماً) وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف النساب والفضائل مع أن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم الا القليل (لآخر في كثير من نجواهم الا) في نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض وإعانة للبهوى (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع للمعادة بينهم غير جاوزة حدود الشرع في ذلك وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر بهم عرفاً ونهى عن منكر أو ذكراً (ومن فضل ذلك) أي هذا اللصكور من الصدقة وفنون الجليل والإصلاح أو ذلك الأمر بهذه الأقسام الثلاثة كأنه قيل ومن بأمر بذلك ويجوز أن يراد بالفضل الأمر بغير عن الأمر بالفعل لأن الأمر حصل من الفضل أي ومن بأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أي طلب مرضوان الله (فصوف يؤتوا أجر عظيم) أما إذا أتى بذلك للرياء والسعاسة صار من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطالبين بالأعمال الظاهرة رعاة أحوال القلب في إخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات إلى غرض سوى طلب مرضوان الله وقرأ أبو عمر وسمرة يؤتوا بالياء مناسبة للقب في قوله ومن فضل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقيون بشون العظمة مناسبة لقوله تعالى الآتي قوله ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) روى أن طعمة بن أريق لما رأى أن الله تعالى هتك سترو برأ اليهودي عن تهمة السرقة أراد أن يذهب إلى مكة فكتب جداراً لسان لأجل السرقة فهدم الجدار عليه ومات

طعمة بالقطع فخاف على نفسه القضيحة فهرب إلى مكة ولفق بالمشركون فأنزل قوله (ومن يشاقق الرسول) أي يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) أي الإيمان بالله ورسوله وذلك أنه ظهر له من الآية ما فيه بلاء بما أطلع الله على أمره ضاى النبي ﷺ بد ووضح الحجة وقيام الدليل (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير دين الواحدية (نوله ما تولى) أي ندعه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) أي أدخله

بالطعمة فكان يبعدنا
فاتزل الله تعالى فيه (إن الله
لا يفرق أن يشرك به ويفر
مادون ذلك لمن يشاء) الآية
ثم أنزل الله في أهل مكة (إن
يدعون من دونه) أى
ما يعبدون من دون الله (الا
اناثا) يعنى أصنامهم اللات
والعزى ومناة (وإن يدعون
الاشيطان امرئدا ما يعبدون
بعبادتهم لها الاشيطان
خارج عن طاعة الله يعنى
ابليس لأنهم أطاعوه فيما
سول لهم من عبادتها (لكنه
الله) دحره وأخرجهم من
الجنة (وقال) يعنى ابليس
(لأتخفن من عبادك) أى
بإغوائى واضلالى (نصيبا
مفروضا) أى معلوما يعنى
من اتبعوا وأضاعوا (ولأضلنهم)
أى من الحق (ولأمنينهم)
أى أنه لاجنة ولا نار وقيل
ركوب الأهواء (ولأمرنهم)
فليتسكن آذان الأنعام
يعنى البحار وأتى بيان
ذلك فى سورة المائدة
إن شاء الله (ولأمرنهم
فليغرن خلق الله) أى دينه
ويكفرون ويعرمون
الحلال ويحاون الحرام
(ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله) أى يطعها
يدعو اليه من الضلال (فقد
خسر خسرا مبينا) أى
خسر الجنة وفيها

فزلت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول فى الحكم من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام وينبع
دينا غير دين الموحدين ثم كره الى ما اختار لنفسه ونخله الى ما اعتمد عليه فى الدنيا وبخسله جهنم فى
الآخرة وبس مصيره جهنم وذلك أن طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من انه سارق مادله
ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ فعادى الرسول وأظهر الشقاق وزك دين الاسلام واتبع دين
عبادة الأصنام (إن الله لا يفرق أن يشرك به) اذامات على الشرك (ويفر مادون ذلك) أى الشرك (لكن
يشاء) سواء حصلت التوبة أو لم تحصل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن شيخان من العرب جاء
الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب الا أنى لم أشرك بالله شيئا منذ
عرفته وأمنت به ولم أتخمن دونه ولما ولم واقع للماضى جرأة على الله تعالى وما توهت طرفه عين
انى أعجز الله بهر باوانى لنادم تائب مستغفر فأترى حالى عند الله تعالى فزلت هذه الآية (ومن يشرك
بالله فقد ضل خلا بيدا) عن الحق فان الشرك أعظم انواع الضلالة أمان من لم يشرك بالله لم يكن ضلاله
بيدا فلا يصير محر وماعن الرحمة ثم بين الله تعالى كونه الشرك ضلالا بيدا فقال (إن يدعون من دونه
الاناثا) أى ما يعبدون للشرك من أهل مكة الا أنى اناثا بسمونها باسم الاناث كقولهم اللات والعزى
ومناة واللات تأتيت الله والعزى تأتيت العز ومناة تأتيت اللان وأنهم كانوا يزبون على هيات
النسوان وقرأت عائشة رضى الله عنها الا أنى ابن عباس الا اتناهم ومن مثل أسدوا أسدوا الهمة بدل
من الواو للضمومة (وإن يدعون الاشيطان امرئدا الله) أى وما يعبدون الاشيطان شديدا البعد
عن الطاعة طرده الله من كل خير لأن ابليس هو الذى أمرهم بعبادة الاوثان فكانت طاعته فى ذلك
عبادة له (وقال) أى الشيطان عند ذلك (لأتخفن من عبادك نصيبا مفروضا) أى لأجل أن لى من
عبادك حظا مقدرا ميعنا وهم الذين يتبعون خطوات ابليس ويقبلون وسوسه وروى عن النبي ﷺ
أنه قال من كل ألف واحدته وسائر الناس ولا بليس (ولأضلنهم) عن الهدى (ولأمنينهم) أى
ألقين فى قلوبهم الامانى وهى تورث شينين الحرص والامل وهما يستلزمان أكثر الأخلاق الذميمة
ويلازمان للانسان قال ﷺ يهرم ابن آدم ويشبهه اثنتان الحرص والامل اه فالحرص
يستلزم ركوب الأهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله الا بمصيبة الله واذا
التحقى واذا طال أمهله نسي الآخرة وصار غرقا فى الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ
فيصير قلبه كالبحارة أو أشد قسوة (ولأمرنهم) بالتبتيك أى شئ آذان الناقة (فليتسكن آذان
الأنعام) فان العرب كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خسة أبطن وجاء الخامس ذكر كراو حرموا
على أنفسهم الاتناح بها (ولأمرنهم) بالتغير (فليغرن خلق الله) صورة أو شقة كاختفاء العبيد
وفقر العيون وقطع الآذان والوشم والوشى ووصل الشعر فان المرأة تتوصل بهذه الأفعال الى الزنا
وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم لناعور وراعين ففعلها ويدخل فى هذه الآية التخلف والسحافات
لأن التخلف عبارة عن ذكر شبه الأثى والسحق عبارة عن أنى تشبهه كروموم اللفظ يمنع النخاء
مطلقا لكن الفقهاء رضوا فى البهايم للحاجة فيعوز فى المأكول الصغير ويحرم فى غيره (ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله) بأن فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به (قد خسر خسرا مبينا)
أى بتضييع أصل ماله وهو الدين الفطرى كما قال ﷺ كل مولود يولد على الفطرة أى دين الاسلام
ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وذلك لان طاعة الله تفيد النافع العظيمة الدائمة وطاعة
الشيطان تفيد النافع القليلة للنقطة ويعقبها العذاب الالم (يعلمهم ويعتبرهم) بأن يبقى الشيطان فى قلوبهم انه

سقطوا أعمارهم ويثالون من الدنيا آمالهم ومقاصدهم ويقع في قلوبهم ان الله يبادل فرجاتهم بغير حساب
 كما تبين تغيرهم وأيضا ان الشيطان يدهم بأنه لا إقامة ولا جزاء فاجتهدوا في استيفاء اللذات الدنيوية
 (وما يدهم الشيطان الا غرورا) وهو أن يظن الانسان بالشئ انه نافع ولا يذم بغيره اشتبه على
 أعظم الآلام والضرر وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أي أولياء الشيطان وهم الكفار
 (وأولاهم جهنم ولا يجدون عنها) أي جهنم (عجبا) أي معذلا ومهرا (والذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيات
 (وعملوا الصالحات) أي الطاعات تصديقاً لآرائهم (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
 فيها) أي ما كثر في الجنة من كفاها ولا يخرجون منها (أبدا) وعد الله حقا أي وعدهم الله بذلك
 الادخال وعدا لا خلف فيه وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق
 من الله قولا) أي لأحد أصدق من الله وعدا وهذا تأكيد ثالث وقائدة هذه التوكيدات معارضة لما عيّد
 الشيطان الكاذبة وترغيب العباد في تحصيل ما وعده الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب) أي
 ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله تعالى سندخلهم جنات بأمانيتكم يا مشركي المؤمنين أن يفسر
 لكم وان ارتكبتم الكبار أي فأنكم تنتم أن لا تؤاخذوا بسوء بعد الإيمان ولا أمانى اليهود
 والنصارى فانهم قالوا لن يدخل الجنة الا بامام معدودة وليس الأمر كذلك فانه تعالى يخص بالمعفو أو الرحمة فلا
 يديننا وقالوا لن نمنال النار الا بامام معدودة وليس الأمر كذلك فانه تعالى يخص بالمعفو أو الرحمة من
 يشاء أي ليس يستحق ذلك الثواب بالاماني وان يستحق بالإيمان والعمل الصالح (من يعمل سوا
 بجزء) فلو من يجزى عند عدم التوبة امانيا الدنيا بالمصيبة أو بدلت قبل دخول الجنة أو باصطاح
 ثواب طاعته بمقدار عقاب تلك المصيبة والكافر يجزى في الدنيا بالهوان والبلاء وفي الآخرة دائما
 روى أنما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال غفر الله
 لك يا أبا بكر أنت تخرج من الدنيا بغيرك الذي أي من البلاء والجزن قال بل يارسول الله قال فهو
 ما تجزون وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل ما نعمل لقد علمنا
 فبلغ كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يجزى للؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وما يؤذيه وعن
 أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية بكينا وخرنا وقلنا يارسول الله ما بقى هذه الآية لنا شيئا فقال
 أبشروا فانه لا يصيب أحدكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكه التي تقع في قلبه
 (ولا يجعله من دون الله) أي يجوز ان يحفظ الله ونصرته (وليا) أي حافظا يحفظه (ولا نصيرا)
 فشفاعة الأنبياء ولللائكة في حق الصلاة ان تكون بآذن الله تعالى وإذا كان الأمر كذلك فلاولى
 لاحد ولا نصير لاحد الا الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أي من يعمل بعض الصالحات كالنماز (من
 ذكر أو أثنى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي ولا ينقصون قدر منبت الثواب
 من ثواب أعمالهم فاذن ينقص الله الثواب غير أن لا يزيد في العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة
 عن عاصم يدخلون الجنة بالبناء للعقول وكذلك في سورة مريم وفي حم للؤمن قال مسروق لما نزل
 قوله تعالى من يعمل سوا بجزء ما قال أهل الكتاب للمسلمين نحن وأنتم سواء فزلت هذه الآية (ومن
 أحسن ديننا من أسلم وجهه لله) أي لأحد أحسن ديننا من عرف به بقلبه وأقر بربوبيته وبعبودية
 نفسه (وهو محسن) أي والخال أنه أتباع الحسنات ترك السيئات (واتبع ملأ إبراهيم حنيفا) حال
 للتبوع أو للتابع وأعادنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق إلى دين إبراهيم لانه لا يشتر عندك
 الخلق أن إبراهيم ما كان يدعو إلى الله تعالى وشرعه مقبول عند الكل لان العرب لا يقتضون بشئ

(وما يدهم الشيطان
 الا غرورا) (وما يدهم من
 ابهام النفع فيافيه الضرر
 أولئك) يعنى الذين
 يتخذون الشيطان وليا
 (وأولاهم) أي مرجعهم
 ومصيرهم (جهنم ولا يجدون
 عنها عجبا) أي معذلا
 (والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات) الآية (ليس
 بأمانيتكم ولا أمانى أهل
 الكتاب) نزلت في كفار
 قريش واليهود قالت
 قريش لا نبعت ولا نحاسب
 وقالت اليهود لن نمنال النار
 الا بأيمان معدودة فزلت
 ليس بأمانيتكم ولا أمانى
 أهل الكتاب أي ليس
 الأمر بأمانى الكفار
 ولا بأمانى اليهود (من يعمل
 سوا) أي كفرا وشركا
 (يجزى به ولا يجعله من دون
 الله وليا) عنده (ولا نصيرا)
 ينصره ثم بين فضيلة
 للؤمنين على غيرهم بقوله
 (ومن يعمل من الصالحات)
 وبقوله (ومن أحسن ديننا
 من أسلم وجهه لله) أي توجه
 بعبادته إلى الله خاضعا له
 (وهو محسن) أي موحد
 (واتبع ملأ إبراهيم حنيفا)
 وملة إبراهيم داخلية في ملة
 محمد ﷺ في آخر ملة محمد
 فقد اتبع ملأ إبراهيم

كافتحارهم بالانساب إلى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمة فاجتمعوا في باب حفصروا إلى باب به يطلبون الطعام وكانت للبردة كل سنة من صديق له بمصر فيمت غلامانه بالابل إلى الخليل الذي بمصر فقال خليه لعلمانه لو كان ابراهيم يطلب البردة لنفسه لقلت ولكن يردها للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلاماه فمروا ببطحاء أي بأرض ذات حصي فلا آمنوا الترائ حياه من الناس حيث كانت أبهام فارغو وجابوا إلى منزل ابراهيم وألقوا هافيه وتفرقوا وأخبره أحدهم بالقصة فأغتم لذلك غما شديدا فطلبته عيناؤه ومحمدت حسارة إلى الترائ ففتحت بها فاذا فيها أجود حواري بضم الحاء اللهملة وتشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الذي نخل مرة بعد أخرى فأمرت الحجاز بن غفروا فأطعمت الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد تحت الحيز فقال من أين هذا لكم فقالت تسار من خيلك للمصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فبما الله تعالى خليلاً وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة قريول ذكر كرام الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم عليه السلام اذكر مرة أخرى فقال لا أذكر مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت أشجى من الأول فقال اذكر مرة ثالثة ولك أولادى فقال الملك أبشر فأني ملكك لا أحتاج إلى مالك نولك وإنما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والأولاد على سماع ذكر الله فخفا اتخذ الله خليلاً (وقد ما في السموات وما في الأرض) يختار منها ما يشاء (وكان الله بكل شيء) من أهل السموات والأرض (محيطاً) بالقدره والعلم (ويستفتونك في النساء) أي يسألك يا أشرف الخلق جماعة من الصحابة عن أسوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء قالني بين الله حكمه فيما سبق في أول هذه السورة أحال بيان الحكم في ذلك والذي لم يبين حكمه بين هذا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتكم فيهن وما يتلى عليكم) أي قل يا أشرف الخلق لهم الله تعالى قدين لكم أحوال النساء والنكاح (في الكتاب) في أول هذه السورة قدين لكم (في نكاح النساء) أي في نكاحهن فما معطوف على البتداء وهذا متعلق ببتلى وذلك لتلاو في الكتاب هو قوله تعالى وإن خفتم أن لا تنطقوا في البتاني (اللائي لا تؤتونهن ما كتب لهن) أي اللاتي لا تطونهن ما وجب لهن من الليرات أو الصداق وذلك لانهم يؤتون الرجال دون النساء والكبار دون الصغار (وترغبون أن تنكحوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فان حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون عن أن تنكحوهن والمعنى وجالمن بأقل من صداقهن وإن حمل على النفرة كان المعنى وترغبون في أن تنكحوهن لعدم متهمن ونكحوهن رغبة في المعنى وهذا الجملة معطوف على الصلة عطف المثبتة على النفي ويجوز أن تكون حالاً من فاعل تؤتونهن والتأويل وأتم ترغبون وهذا إذا أراد بقوله تعالى ما كتب لهن صداقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه البينة تكون في خجرونها فيرغب في خجلها وما هو يريد أن ينكحها وينقص صداقها عن عادة نساها فتبوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في كمال الصداق وأمرها بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتي الناس رسول الله ﷺ فأئز الله تعالى ويستفتونك في النساء إلى قوله تعالى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم أن البينة إذا كانت ذات جمال ومال رغبو في نكاحها ولم يلحقوها بابتدائها في كمال الصداق وإذا كانت مرغوبة عنها في قليل المال والجبال تركوها والنسوة غيرها قال الله تعالى فكيف تتركونها حين ترغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغوا فيها إلا أن يعطوها حقها الأولي من الصداق ويقسطوا لها (ولستعفين من الولدان) معطوف على نكاح النساء وقد كانوا في الجاهلية لا يؤتون الأطفال ولا النساء الذين تلى في حقهم قوله تعالى

(واتخذ الله ابراهيم خليلاً) أي صقياً بالرسلالة والنبوة محبته خالص الحب (ويستفتونك) أي يطلبون منك الفتوى (في النساء) أي في توريثهن وكانت العرب لا توريث النساء والصبيان شيئا من الليرات (قل الله يفتكم فيهن وما يتلى عليكم) أي القرآن يفتكم أي يبين آية الليرات في أول هذه السورة التازلة (في ميراث نكاح النساء) لانهما نزلت في قصة أم كعبه وكانت لها بنت (اللائي لا تؤتونهن ما كتب لهن) أي ما فرض لهن من الليرات (وترغبون) عن (أن تنكحوهن) لعدم متهمن قالت عائشة رضي الله عنها نزلت في البينة يرغب ولها عن نكاحها ولا ينكحها فيضها لعلما في ميراثها فهي ممن ذلك (ولستعفين من الولدان) أي ويفتكم في الصغار من النسلان والجوارى أن تعطوهم حقوقهم

(وَأَنْ تَقُومُوا) أَي وَفِي أَنْ تَقُومُوا (الْبَيْتَ الْقَسَمُ) أَي بِالْعَلَلِ فِي مَهْوَرِهِنَّ وَمَوَارِثُهُنَّ (وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ) أَي مِنْ حَسَنٍ فَعَلٍ أَمْرَتِكُمْ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعَمَلِكُمْ عَلِيمًا) أَي يُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ أَنْ يَبْذُلَ عَلَيْهَا مَالَهُمْ أَوْ أَمْرًا) أَوْ رُفْعًا عَلَيْهَا لِبُغْضِهَا وَهُوَ أَنْ يَتْرَكَ بِجَامِعَتِهَا (أَوْ أَمْرًا) بِوَجْهِهِ (١٧٧)

بَيْنَهُمَا صَلَاحًا) أَي فِي الْقِسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَهُوَ أَنْ تَرْضَى هِيَ بِدُونِ حَقِّهَا أَوْ تَتْرَكَ مِنْ مَهْرِهَا شَيْئًا لِلْبُيُوتِ الزَّوْجِ بَيْنَهُمَا يَنْصَرِفُ فِي الْقِسْمِ هُنَا إِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ لِكِرَامَةِ فِرَاقِ زَوْجِهَا وَلَا تَخِيرُ عَلَى هَذَا لِأَنَّهَا لَمْ تَرْضَ بِدُونِ حَقِّهَا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُوْفِيَها حَقَّهَا مِنَ النَّفَقَةِ وَالْبَيْتِ (وَالصَّلَاحُ خَيْرٌ) أَي مِنَ التَّنْشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ يَتَنَبَّهُ أَنْ يَصَالِحَ عَلَى شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَبْقَى عَلَى التَّنْشُوزِ وَالْكَرَاهَةِ بَيْنَهُمَا (وَأَحْضَرَتِ الْإِنْفُسَ الشَّحَّ) أَي شَحَّتِ الْمَرْأَةُ بِنَفْسِهَا مِنْ زَوْجِهَا وَشَحَّ الرَّجُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ نَفْسَهُ إِذَا كَانَ غَيْرَهَا أَحِبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا (وَأَنْ تَحْصُنُوا) الْمَشْرُوعَ وَالصَّعْبَةَ (وَتَقْرُوا) الْجُورَ وَاللَّيْلَ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أَي لَا يَضِيعُ عَنْهُ شَيْءٌ (وَلَنْ تُضْلِمُوا) أَنْ تَصْلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرِصْتُمْ أَي لَنْ تَقْدُرُوا عَلَى التَّسْوَةِ بَيْنَهُنَّ فِي الْحُبِّ وَاللَّيْلِ إِلَى الَّتِي تُحِبُّونَ فِي

يَوْمِكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ وَرَوَى أَنَّ عَيْنَةَ بِنَ حَسَنِ الْفَزَارِي جَاءَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَخْبِرْنَا بِأَنْتِ تَعْمَلِينَ الْإِبْنَةَ النَّصْفَ وَالْأَخْتَ النَّصْفَ مَا كُنَّا نَرِثُ مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ لَا وَبِحُجُورِ التَّنِيمَةِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْ تَقُومُوا الْبَيْتَ بِالْقَسَمِ) عَطَفَ عَلَى السَّامِعِينَ وَتَقْدِيرُ آيَةٍ وَمَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ يَقْتَضِي فِي بَيْنِ النِّسَاءِ وَفِي السَّامِعِينَ فِي أَنْ تَقُومُوا الْبَيْتَ بِالْقَسَمِ وَالَّذِي تَقِي فِي حَقِّهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَبْدُلُوا الْحَيْثُ بِالطَّبِيعِ وَلَا تَكُونُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ (وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) أَي يُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَضِيعُ عَنْهُ شَيْءٌ (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَيْتِهَا نَشُوزًا) أَي أَظْهَرَ الْخَشْيَةَ فِي الْقَوْلِ أَوَّلُ الْقِسْمِ أَوْ فِيهَا (أَوْ أَمْرًا) أَي سَكُوتًا عَنْ الْحَبْرِ وَالشَّرِّ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا) حِينَئِذٍ (أَنْ يَصَالِحَ بَيْنَهُمَا صَلَاحًا) بَأَنْ يَذِلَّ الْمَرْأَةُ كُلَّ الصَّدَاقِ أَوْ بِضَعِّ زَوْجٍ أَوْ أَسْقَطَتْ عَنْهُ مَوْتَةَ النَّفَقَةِ أَوَّلَ الْقِسْمِ وَكَانَ غَرَضُهَا مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يَطْلُقَ زَوْجُهَا وَهَذَا مِنْ جَمَلَةِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقْتَضِيهِمْ فِي النِّسَاءِ مَا لَمْ يَنْتَفِمْ ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ آيَةَ زَلَّتْ فِي ابْنِ أَبِي السَّائِبِ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَهُ مِنْهَا أَوْلَادٌ وَكَانَتْ شَيْخَةً فَهُمْ يَطْلُقُونَهَا قَالَتْ لَا تَطْلُقْنِي وَدَعْنِي أَشْتَغَلُ بِمَصَالِحِ أَوْلَادِي وَأَقْسَمَ فِي كُلِّ شَهْرٍ لِي إِلَى قَلِيلٍ فَقَالَ الزَّوْجُ أَنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَهِيَ أَصْلَحَ لِي فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُزِلَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فَأَمْسَمَ وَحَمَزُوا السَّكَاةَ بِصَلَاةٍ بَضْمَ الْبَاءِ وَسَكُونِ الصَّادِ وَالْبِقُورِ يَصَالِحُ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالصَّادِ لِلشَّدَّةِ الْمَمْدُودَةِ قَالُوا مِمَّا تَوَافَقُوا وَهُوَ أَلْيَقُ بِهِمَا لِلْوَضْعِ (وَالصَّلَاحُ خَيْرٌ) أَي وَالصَّلَاحُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سُوءِ الْمَشْرُوعِ وَأَمِنْ الْفِرْقَةِ أَوْ مِنَ الْخُصُومَةِ أَوْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْخُبُورِ (وَأَحْضَرَتِ الْإِنْفُسَ الشَّحَّ) أَي جَلَّ الشَّحَّ حَاضِرًا لِأَنَّ النَّفْسَ لَا يَضِيبُ عَنْهَا وَلَا يَنْفَكُ عَنْهَا أَبَدًا فَالْمَرْأَةُ تَبْخُلُ بِبَيْنِ حَقِّهَا وَجِهَا وَطَمَعِهَا بِجِزَائِهَا أَنْ تَرْضَى وَالرَّجُلُ يَبْخُلُ بِأَنْ يَقْضِيَ حَمْرَ مَعَا مَعَ دَمَامَةِ وَجْهِهَا وَكِبَرِ سِنِهَا وَعِلْمَ حُصُولِ الْإِنْفَةِ بِمَعَارِثِهَا (وَأَنْ تَحْصُنُوا) بِالْإِقَامَةِ عَلَى الْأَذَى وَالْخُصُومَةِ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ) مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِقْوَى (خَيْرًا) وَهُوَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ وَرَوَى أَنَّ هَذِهِ آيَةُ زَلَّتْ فِي عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ مَسْلُومَةٍ وَزَوْجُهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُهَا وَهِيَ شَابَةٌ فَلَمَّا عَلَاهَا الْكِبَرُ زَوَّجَ شَابَةً وَأَتَرَهَا عَلَيْهَا وَجَفَّاهَا فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَكَتَ إِلَيْهِ ذَلِكَ (وَلَنْ تُضْلِمُوا) أَنْ تَصْلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ أَي لَنْ تَقْدُرُوا عَلَى التَّسْوَةِ بَيْنَهُنَّ فِي حُبِّ الطَّبِيعِ وَإِذَا لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِ لَمْ تَكُونُوا مُكْتَئِبِينَ (وَلَوْ حَرِصْتُمْ) أَي جَهَدْتُمْ عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْحُبِّ (فَلَا تَحْبِلُوا كُلَّ لَيْلٍ) إِلَى الَّتِي تُحِبُّونَهَا فِي الْقِسْمِ وَالنَّفَقَةِ أَي أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مَبْنِيينَ عَنْ حُصُولِ التَّفَاوُتِ فِي اللَّيْلِ الْقَلْبِيِّ لِأَنَّ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ وَسْطِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ مَبْنِيُونَ عَنْ أَظْهَارِ ذَلِكَ التَّفَاوُتِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ (فَتَنْزِرُوهَا كَالْمَلَقَةِ) أَي تَقْبَلُ الْآخَرَى لِأَيِّمْ وَلَا ذَاتَ بَلٍ كَأَنَّ الشَّيْءَ الْمَلَقَ لَا يَكُونُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا عَلَى السَّمَاءِ وَفِي قِرَاءَةِ أَيْ فَتَنْزِرُوهَا كَالْمَسْجُونَةِ (وَأَنْ تَصْلُوا) مَلَفَضٌ مِنْ مِيلَكُمْ وَتَتَدَارَكُوهُ بِالْتَّوْبَةِ (وَتَتَّقُوا) فِي السَّتْقِيلِ عَنْ مِثْلِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) فَيَغْفِرُ مَا حَصَلَ فِي الْقَلْبِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى بَضْعِهِ دُونَ الْبَضْعِ وَيَتَفَقَّلُ عَلَيْكُمْ بِرَحْمَتِهِ

(٢٣) - (تفسير مزاج لبيد - أول)

النَّفَقَةِ وَالْقِسْمِ (فَتَنْزِرُوهَا كَالْمَلَقَةِ) أَي فَتَسْخَرُوا الْآخَرَى كَأَنَّهَا مَلَقَةٌ لَا يَأْمَلُ وَلَا ذَاتَ بَلٍ (وَأَنْ تَصْلُوا) أَي بِالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ (وَتَتَّقُوا) الْجُورَ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) لِمَالَتْ إِلَى الَّتِي تُحِبُّهَا قَلْبُكَ وَلِمَا ذَكَرَ جَوَازَ الصَّلَاحِ بَيْنَهُمَا إِنْ أَحْبَبَا أَنْ يَجْتَمِعَا ذَكَرَ بَعْدَ الْإِفْرَاقِ فَقَالَ

الله لهما أن ينشئ كل واحد
عن صاحبه بصد الطلاق من
فضله الواسع بقوله (ينشئ
الله كلا من سمعته وكان الله
واسعا) لجميع خلقه
في الرزق والفضل (حكيا)
فيا حكم ووعظ (ان يشأ
يذهبكم أيها الناس) ينشئ
للتشريكين وللنافقين
(ويأت باخرين) يامل
وأطوع لله منكم (من)
كان يريد ثواب الدنيا
ينشئ متاعها (ف عند الله
ثواب الدنيا والآخرة) أى
خير الدنيا والآخرة عنده
فليطلب ذلك منه وهذا
تعريض بالكفار الذين
كانوا لا يؤمنون بالبث
وكانوا يقولون أننا في
الدنيا وما لهم في الآخرة
من خلاق (يا أيها الذين
آمنوا) كونوا قوامين
بالقسط أى قائمين بالعدل
(شهادة الله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين)
أى اشهدوا له بالحق وان
كان الحق على نفس
الشاهد أو على والده أو
أقربه (ان يكن) أى
للسهود عليه (غنيا أو
فقيرا) فلا تحابوا غنيا لفقره
ولا تحيفوا على الفقير لفقره
(فأله أولى بهما) أى أعلم
بهما منكم لانه يتولى علم

(وان يتفرقا) أى وان كلام من سمعته
منها عن صاحبه يزوج خير من زوجه الأول يعيش أهنأ من عيشه الأول من غناه تعالى وقدرته (وكان
الله واسعا) أى في العلم والقدرة والرحمة والفضل والجلود (حكيا) أى متقنا في أفعاله وأحكامه (ولله ماني
السموات وما في الأرض) من الموجودات من الخلاق والخزائن فيهما (ولقد وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله) أى ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم
وأمرناكم يا أممة محمد في كتابكم بطاعة الله وهي وصية الله في الأولين والآخرين فهي شريعة عامة لجميع
الأمم لم يطلعها نسخ (وان تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان غنيا غنيا حميدا) أى قلنا
لهم ولكم وان تكفروا فأعلموا أن الله ما في سمواته وما في أرضه من أصناف الخلق ما من يبدوهم كان
مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقا لأن يحمدوا بكثرة نعمه وان لم يحمدوا أحدهم فهو
تعالى في ذاته محمود سواء حمدوا أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كالا يتفجع بشكرهم وتقواهم
وأعواصاهم بالثبوتى رحمة لالحاجته فهو مغف عن طاعات المؤمنين وعن ذنوب اللذين فلا يزداد
جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات (وقد ما في السموات وما في الأرض) من الخلق قاطبة
مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم للفرعة عليه لا يستغنون عن فضيه طرفة عين فحقه أن يطاع
ولا يصح وينتق عفاه ويرجع ثوابه (وكفى بالله وكلا) في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من أن
يتوكل عليه لاهل أحد سواء (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) ويأت باخرين (أى ان يشأ أفناءكم بالكلية
وإيجاد قوم آخرين يشغلون بسبب دونه وتطعيمه يضكم بالمره ويوجدكم كماكم قوم غيركم) وأطوع
الله (وكان الله على ذلك) أى اهلاكم كماكم وتخليف غيركم (قدبر) أى ان افناءكم على ما أتم عليهم الصبان
انما هو لكامل غناه عن طاعتكم ولعلم خلق ارادته باستئصالكم لا ليعزه تعالى عن ذلك (من كان
يريد ثواب الدنيا فند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى من كان يريد بهله منعمة الدنيا فلا يقصر عليه
وليطالب الثوابين فند الله ثواب الثارين وقال الفخر الرازى يقرر الكلام فند الله ثواب الدنيا
والآخرة له ان أراد الله تعالى وعلى هذا التقدير يتلقى الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان يريد
منعمة الدنيا بسببه الله التي افترضه الله عليه فليعمل لله فان ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أى فان العاقل
يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التسليم (وكان الله سمعا بصيرا)
أى علما بجميع السموعات والبصرات (يا أيها الذين آمنوا) كونوا قوامين بالقسط شهادة الله أى كونوا
مباينين في اختيار العدل وفي الاحتراز عن الجور تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم باقائنها (ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أى لو كانت الشهادة بالأعلى أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم (ان يكن
غنيا أو فقيرا فأله أولى بهما) أى ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تكسبوا الشهادة ما لا يطلب رضا
التي وألترم على الفقير فأله أولى بأمرهما ومصالحهما وفي قراءة أخرى فأله أولى بهم وهو اراجع الى
قوله أو الوالدين والأقربين أو اراجع الى جنس النبي وجنس الفقير وقرأ عبدالله ان يكن غنى أو فقير
على كان التامة (ولا تتبعوا الهوى أن تعبدوا) أى لأجل أن تعبدوا لله وتركوكم متابعة الهوى حتى
تصيروا موصوفين بصفة العدل (وان تلووا) بواوين على قراءة الجمهور أى وان تحرفوا أو ألتستم
عن شهادة الحق وقرأ ابن عمرو حمزة وان تلووا بضم اللام وحذف الواو الأولى أى ان تسموا الشهادة
وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فان الله كان بما تعملون خبيرا)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أَيِ امْنُوا عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) أَيِ الْقُرْآنِ (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلِ) يَعْنِي كُلَّ كِتَابٍ نَزَّلَ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَ الْقُرْآنِ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) (١٧٩) أَيِ الْيَهُودِ آمَنُوا بِالتَّوْرَةِ (مَ كَفَرُوا) أَيِ بِمُخَالَفَتِهَا (ثُمَّ آمَنُوا) بِالْإِنْجِيلِ (مَ كَفَرُوا) بِمُخَالَفَتِهِ (ثُمَّ زَادُوا) كَفْرًا) بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ) أَيِ مَا قَامُوا عَلَيْهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ (وَلَا لِيُعَذِّبَهُمْ سَبِيلًا) أَيِ طَرِيقٍ هَدَى ثُمَّ أَخْبَى النَّافِقِينَ بِهِمْ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يُنَوِّلُونَهُمْ فَقَالَ (بَشِّرِ النَّافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) هَذِهِ الْآيَةُ صِفَةُ النَّافِقِينَ وَكَانُوا يُوَالُونَ الْيَهُودَ مُخَالَفَةً لِلْمُسْلِمِينَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَاللَّعْنَةَ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَتَيْتُونَهُمْ عِنْدَهُمُ الزَّمَاةَ الْقُوَّةَ بِالظُّهُورِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَإِنَّ الْعِزَّةَ) أَيِ الْقُوَّةَ وَالْقُوَّةَ (لَهُ جَمِيعًا) وَقَدْ زَلَّ عَلَيْهِمْ) أَهْلُ الْمُؤْمِنُونَ (فِي الْكِتَابِ) أَيِ فِي الْقُرْآنِ (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا) أَيِ أَنَّهُ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ مَكُورًا بِهَا وَمُسْتَهْزِئًا بِهَا (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أَيِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ الْآيَةَ وَهَذَا زَلَّ بِكُمْ لِأَنَّ الشَّرِكَانَ كَانُوا يَخُوضُونَ فِي الْقُرْآنِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ ثُمَّ أَنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يَضِلُّونَ مِثْلَ ضَلَالِ الشَّرِكِينَ وَالْقَائِدُونَ مَعَهُمُ وَالْوَأَقِفُونَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ النَّافِقُونَ فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا لِلنَّافِقِينَ وَقَدْ زَلَّ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا) أَيِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أَيِ غَيْرِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ يَعْنِي قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَإِذَا

فِي جَزَاءِ الْحَسَنِ لِلْقَبُولِ وَالسُّبْحِ الْعَرْضِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَقْبُوسٌ مِنْ حِجَابٍ كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ عَلَى أَبِيهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ (آمِنُوا) فِي الْمُسْتَقْبَلِ (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) وَهُوَ الْقُرْآنُ (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلِ) أَيِ قَبْلِ الْقُرْآنِ أَوِ السُّبْحِ سَبِيلَ التَّقْلِيدِ آمِنُوا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِدْلَالِ أَوْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِحَسَبِ الْإِسْتِدْلالاتِ الْجَلِيَّةِ آمِنُوا بِغُسْبِ الدَّلَالِ الْتَفْصِيلِيَّةِ وَهَذَا مُخَاطَبٌ لِكُلِّ فِرْقَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَقِيلَ هُوَ مُخَاطَبٌ لِمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لِأَنَّ عِبَادَهُمْ مِنْ سَلَامٍ وَإِنْ أَخْتَلَفُوا تَوَابُنَ أَخِيهِمْ لِقَوْلِهِمْ أَسَاسًا وَأُسُودًا ابْنِي كُتُبَ وَطَلْعَةٍ مِنْ قَبَسٍ وَبِأَمِينٍ أَنْوَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْمَنُ بِكَ وَبِكَتَابِكَ وَبِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَفَوْقَ بَرٍّ وَنَكْفُرُ بِمَا سِوَاهُمَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عِدُّوْهُ بِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ قَبْلَهُ فَقَالُوا لَا تَفْعَلْ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ آمَنُوا كُلُّهُمْ (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ) أَيِ مَنْ يَكْفُرُ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ لِلذِّكْرِ (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) يَحِثُّ يَصِرُ الْعُودُ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى سُوءِ الطَّرِيقِ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا) أَيِ أَنَّ الَّذِينَ يَتَكَرَّرُ مِنْهُمْ الْكُفْرُ بِعَدَالَتِ الْإِيمَانِ مَرَاتٍ ثُمَّ مَرَاتٍ عَلَى الْكُفْرِ وَاللَّغْوِ أَنَّ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ ثُمَّ كَفَرُوا بِكَوْنِهِمْ بِأَهْلِهِمْ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِمْ ثُمَّ آمَنُوا بِأَسْتِهِمْ فَكَلِمَاتُ جَمَاعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ قَالُوا إِنَّا مُؤْمِنُونَ وَإِنَّمَا أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ لِتَجَرَّى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ كَفَرُوا فَادْخُلُوا فِي شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَهْزِئُونَ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا بِاجْتِهَادِهِمْ فِي اسْتِخْرَاجِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَبِجَوْتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ (لَيْكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُعَذِّبَهُمْ سَبِيلًا) فَإِنْ كُلٌّ مِنْ كَانَتْ كَثِيرَ الْإِتِّفَاقِ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ لَيْكُنَ لِلْإِسْلَامِ قَلْبُهُ عَظِيمٌ فَلَا يَنْبَغُ عَنِ الْكُفْرِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَيْهِ (بَشِّرِ النَّافِقِينَ) أَيِ أَنْذِرْهُمْ (بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) أَيِ فَإِنَّ النَّافِقِينَ يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَيَقُولُ بَعْضُ النَّافِقِينَ لِبَعْضٍ لَا يَمُوتُ أَمْرٌ مَحْدُوثٌ الْيَهُودَ فَيَقُولُونَ إِنَّ الْعِزَّةَ لَهُمْ (أَيُتَفَنُونَ) أَيِ أَتُطْلَبُ لِلنَّافِقُونَ (عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ) أَيِ عِنْدَ الْيَهُودِ الْقُوَّةُ (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهُ جَمِيعًا) أَيِ أَنَّ الْقُوَّةَ الْكَامِلَةَ هُوَ كُلٌّ مِنْ سُوءٍ فَبِإِقْدَارِهِ مَارَقَدَارًا وَبِإِعْزَازِهِ مَارْعَزْرًا فَالْعِزَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ لِيُحْصَلَ الْأَمْنُ اللَّهُ تَعَالَى فَكَانَ الْأَمْرُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ أَنَّ الْعِزَّةَ جَمِيعًا لَهُ (وَقَدْ زَلَّ عَلَيْهِمْ) بِأَكْثَرِ النَّافِقِينَ (فِي الْكِتَابِ) أَيِ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ قَبْلَ هَذِهِ بِمَكَّةَ (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا) أَيِ أَنَّهُ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ مَكُورًا بِهَا وَمُسْتَهْزِئًا بِهَا (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أَيِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ الْآيَةَ وَهَذَا زَلَّ بِكُمْ لِأَنَّ الشَّرِكَانَ كَانُوا يَخُوضُونَ فِي الْقُرْآنِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ ثُمَّ أَنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يَضِلُّونَ مِثْلَ ضَلَالِ الشَّرِكِينَ وَالْقَائِدُونَ مَعَهُمُ وَالْوَأَقِفُونَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ النَّافِقُونَ فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا لِلنَّافِقِينَ وَقَدْ زَلَّ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا) أَيِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أَيِ غَيْرِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ يَعْنِي قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَإِذَا

رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا الْآيَةَ هَذِهِ كَانَتْ مَازَلْ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ وَقَوْلُهُ (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا) أَيِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أَيِ غَيْرِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ يَعْنِي قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَإِذَا

في جهنم على القاب
 (الذين يتر بصون بكم)
 يعني الننافقين ينتظرون
 بكم للدوائر (فان كان
 لكم فتح من الله) أى
 ظهور على اليهود (قالوا)
 ألم نكن معكم) فاعطونا
 من النعمة (وان كان
 للكافرين نصيب) من
 الظفر على المسلمين (قالوا)
 لهم (ألم نستحوذ عليكم)
 أى ألم نطلب عليكم بتمك
 عن الدخول في حجة
 المؤمنين (ونمنعكم من
 المؤمنين) بتخذيلهم
 عنكم وراسلنا اياكم
 بأخبارهم (قاله يحكم
 ينسكم) أى بين للمؤمنين
 وللنافقين (يوم القيامة)
 يعنى أنه أخر عليهم الى
 ذلك اليوم ورفع عنهم
 السيف في الدنيا (ولن
 يجعل الله للكافرين على
 المؤمنين سبيلا) أى حجة
 يوم القيامة لأنه يفردهم
 بالنعيم وبالإشارة كونه فيه
 من الكرامات بخلاف
 الدنيا (ان الننافقين
 يخادعون الله) أى يملون
 عمل الخادع بما يظهره
 ويبطنون خلافه (وهو
 خادعهم) أى يحازهم
 جزاء خداعهم وذلك أنهم
 يسطون نورا كما يعطى

الانم غزلة للباشرة أما اذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التوبة والخوف فالأمر ليس كذلك
 فالنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود كانوا يطعنون في الرسول والقرآن هم كافرون مثل أولئك
 اليهودأما للمسلمون الذين كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فانهم كانوا
 باقين على الايمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف الننافقين فانهم كانوا يجالسون
 اليهود مع الاحتيار (ان الله جامع للنافقين) أى منافق أهل المدينة عبدالله بن أبى وصاحبه (والكافرين)
 أى كفار أهل مكة أبى جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعا) أى
 كأنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا فكنلك يحنمون في عذاب جهنم يوم القيامة
 (الذين يتر بصون بكم) أى ان الننافقين ينتظرون أمرهم وما يحدث لكم من خيرا أو شر (فان كان
 لكم فتح من الله) أى ظهور على اليهود (قالوا) أى للنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) أى
 مظاهرين لكم فاعطونا قسما من النعمة (وان كان للكافرين) أى اليهود (نصيب) أى غفر
 على المسلمين (قالوا) أى للنافقون لليهود (ألم نستحوذ عليكم) أى ألم نطلبكم وتمكن من قتلكم
 وأسركم ثم نضل شيئا من ذلك (ونمنعكم من المؤمنين) بأن نبطناهم عنكم والابكنتم نهبه للنواب
 فهاولنا نصيبا ما أمين وقيل ان أولئك الكفار كانوا قد هوى بالدخول في الاسلام والنافقون
 حنروهم عن ذلك وأطمعهم أن يسيضف أمر محمد وسيقوى أمركم فإذا اتفق لهم صولة على
 المسلمين قال الننافقون للكفار السناغلناكم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم منه وقتلنا
 لكم سيضف أمر محمد ويقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا البنا نصيبا مما وجدتم (قاله
 يحكم ينسكم) أى بين للمؤمنين وللنافقين (يوم القيامة) أى ان الله تعالى ملووض السيف في الدنيا بين
 الننافقين والآله أخر عقابهم الى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام في الدنيا (ولن يجعل الله للكافرين
 على المؤمنين سبيلا) أى بالشرع فان شرعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وتفرع على ذلك مسائل
 من أحكام الفقهاء ان الكافر لا يرث من المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم وأحرزه
 فدار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذي
 بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لأحد من الكافرين أن يثلب للمسلمين بالحجة وأن يمحود دولة المؤمنين
 بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود على المؤمنين دولة دائما (ان الننافقين يخادعون الله وهو
 خادعهم) أى يفتلون ما يفعل الخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليخدعوا عنهم أحكامه تعالى
 الدينونة واقه فاعل بهم ما يفعل الخادع حيث تركهم في الدنيا وأعلمهم في الآخرة الترك
 الأسفل من النار قال جرير زلت هذا الآية في حق عبدالله بن أبى وأبي طمر بن النعمان وقال الزجاج
 أى يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفر ويظهرون له الايمان واقه يحازهم بالعقاب على خداعهم
 وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم في الآخرة عند الصراط وذلك أنه تعالى يعطيهم نورا كما يعطى المؤمنين
 فأذا صالوا الى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة وبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا
 نقبض من نوركم ويقول المؤمنين أرجعوا وراءكم فانفسوا نورهم وراودوا ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل
 الذي استوفى نارا فلما أضاعت محلوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا ينصرون (وأذا قاموا الى
 الصلاة) أى أتوا الى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أى متهاقلين متباطئين لأنهم لا يرجون بها
 نوابولا يخافون من تركها عقابا (راوون الناس) ليحبسهم مؤمنين فانهم لا يقومون اليها الا لأجل

المؤمنون فإذا مضوا قليلا ألقى نورهم وبقوا في الظلمة (وأذا قاموا الى الصلاة) أى مع المؤمنين
 (قاموا كسالى) أى متهاقلين (راوون الناس) أى ليرى ذلك الناس لا اتباع أمر الله ليراهم الناس مصلين لا يريدون وجه الله

(ولا يذكرون الله الأقباليه) لأنهم يعملون به وسمعة ولوأرادوا بوجه الله لكان كثيرا (مذبذبين بين ذلك) مترددين بين الكفر والايمان يعني ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك (الالى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أى لامن الأنصار ولامن اليهود (ومن يضل الله فلن تجده سبيلا) أى من أضله الله فلن تجده ديننا (يأها) (١٨١) الذين آمنوا استخفوا الكافرين أولياءه

من دون المؤمنين) يعني الانصار يقولون لأنواوا اليهود من قرظة والتضير (أر يدون أن نجعلوا لله عليكم سلطانا مينا) أى حجة بالغة بينة في عقابكم بمواالاتكم اليهود أى انكم اذا قطعتم ذلك صارت الحجة عليكم في العقاب (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) أى في أسفل درج النار (ولن تجعلهم نصيرا) أى مانا يمتنعهم من عذاب الله (الا الذين تابوا) أى من التفائق (وأصلحو) أى العمل (واعصوا بالله) أى اتبعوا (وأخلصوا اليه) أى من شائب دينهم لله (أى من شائب الراء) فأولئك مع المؤمنين) أى هم أدنى منهم بصلهنا كله ثم أوقع أجر المؤمنين في التسوية لأنصافهم اليهم فقال (وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما يافضل الله بنبائكم) أى بنبأ الله بنبأكم خلقه (ان شكرتم) أى اعترفتم بحسانه (وأنتم) بنبئه (وكان الله شاكرا) أى القليل من أعمالكم

الراء والسمعة لأجل الدين (ولا يذكرون الله الأقباليه) أى لا يصلون الاجراى من الناس واذا لم يكن معهم أحد لم يصلوا ولا يذكرون الله الابالسان فقط (مذبذبين بين ذلك) أى مترددين بين كفر السر وإيمان المالنية (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أى ليسوا مع المؤمنين في السر فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا مع اليهود في المالنية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضل الله فلن تجده سبيلا) موصلا الى الصواب (يأها الذين آمنوا) بالسر والمالنية (لاستخفوا الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أر يدون) يامعشر المؤمنين النخلص (أن نجعلوا لله عليكم سلطانا مينا) أى أر يدون بذلك أن نجعلوا لأهل دين الله وهم الرسول وأمنه حجة بينة على كونكم منافقين فان مواالاتهم أوضحة أدلة التفائق وقيل للنبى يأها الذين آمنوا بالمالنية عبد الله بن أبى وأصحابه لاستخفوا اليهود أولياءه في التصبر من دون المخلصين أر يدون يامعشر المنافقين أن نجعلوا لرسول الله عليكم عفراينا بالقتل وألغى أر يدون أن نجعلوا لله عليكم في عقابكم حجة بسبب مواالاتكم لليهود (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وهو الطبقة التى في قعر جهنم لأنهم أحببوا الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله وخداعهم ولأنهم لم يظهروا الاسلام يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت الحجة تتضاعف من هؤلاء المنافقين لهذا الأسباب جعل الله عليهم أن يعذب من عذاب الكفار النخلص (ولن تجعلهم) أى المنافقين (نصيرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من النصير المجرور وأمن النصير المستكن في خبان بقوله (الا الذين تابوا) عن التفائق والتبصير (وأصلحو) أى أقدموا على الحسن (واعصوا بالله) بأن يكون غرضهم من التوبة وإصلاح الأعمال طلب مرضاة الله تعالى لأطلب مصلحة الوقت (وأخلصوا دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالص لا يمزج به غرض آخر (فأولئك) للتصقون بهذه الشروط الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أى المخلصين الذين لم يصدر عنهم تفائق أصلا منذ آمنوا أى معهم في الدرجة العالية من الجنة (وسوف يؤتى الله المؤمنين) أى يعطى الله النخلص (أجرا عظيما) أى توبلا وإفرا في الجنة (ما يضل الله بنبائكم ان شكرتم وأنتم) فما استفهامية مفيدة قلنى أى يذكركم الله لأجل التثني من الغيظ أم لطلب النفع أم لدفع الضرر كما هو شأن اللوك وكل ذلك محال في حقه تعالى وأما التطهير أمر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالإيمان والشكر اتبى التطهير وتقديم الشكر على الإيمان لأن الانسان اذا نظر في نفسه رأى النعمة العظيمة حليلة في تخليقها وترتيبها فيشكر شكرها محلا ثم اذا تم النظر في معرفة النعم آمن به ثم شكر شكرها مفصلا فكان ذلك الشكر الجميل مقدما على الإيمان (وكان الله شاكرا) أى مثيبا على الشكر (عليه) أى بجميع الجزئيات فلا يقع القلله تعالى البتة فيوصل التواب الى الشاكر والمقاب الى المرص (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) أى لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كاتمام القول الاجهر من ظلم فهو غير مسخوط عنده تعالى وذلك بأن يقول سرى

(عليه) بنبائكم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) نزلت ترخيما للظالم أن يجهر بشكوى الظالم وذلك أن ضيفوا ليقوم فأسا وأقراء فاشتكرهم فنزلت هذه الآية رحمة في أن يشكو وقوله (الامن ظلم) أى لكن من ظلم أى أنه ان يجهر بالسوء من القول فله ذلك

(وكان الله سميعا) لقول
للاظلم (عليا) بما يضره
أى فليقبل الحق ولا يتمد
مأذنه له فيه (ان تبوا
خيرا) أى من أعمال البر
(أو تخفوه أو تفواعن سوءه)
أى سوء ما يتكلم من أخيك
للسلم (فان الله كان عفوا)
أى لمن عفا (قديرا) على
ثوابه (ان الذين يكفرون
بآله ورسوله) وهم اليهود
كفروا بيسى والانجيل
ومحمد والقرآن (ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسوله)
أى بأن يؤمنوا بالله
ويكفروا بالرسول (ويقولون
نؤمن بيسى) الرسل
(ونكفر بيسى ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك
سيلا) أى بين الايمان
بالبعض والكفر بالبعض
دينا يشنون به (أولئك هم
الكافرون حقا) أى ان
ايمانهم بيسى الرسل
لايزيل عنهم اسم الكفر
ثم نزل في المؤمنين (والذين
آمنوا بالله ورسوله) الآية
(يسألك أهل الكتاب ان
تنزل عليهم كتابا من
السماء) سألت اليهود رسول
الله ﷺ أن يأتيهم
كتاب جملة من السماء كما
أتى به موسى فأقر الله
هذه الآية وقوله (فقد
سألو موسى

فلان مالى أو غصنى أو سبني أو فذنى ويدعوا عليه دعاء جائرا بأن يكون بقدر ظلمه فلا يدعوا عليه
بخراب دياره لأجل أن ظلمه منه ولا يسبوا والده وان كان هو فعل كذلك ولا يدعوا عليه لأجل ذلك الملاك
بل يقول اللهم خلص حقى منه أو اللهم جزه أو كافته ولا يجوز أن يدعوا عليه بسوء الحاشية أو الفتنة فى
الدين فالدعاء بغير قدر مآظله حرام كالدعاء بمستحيل عادة أو عقلا ومثل المظالم ما إذا رجا اجتماع على
شخص فيجب على من علم عيوبه بذل النصيحة له وان لم يستشره لأن الدين النصيحة فيذكر كره ما يندفع
به فان زاد حرم الزنا فله الله تعالى لا يجب اظهار القبايح الا فى حق من عظم ضرره وكثر مكره فعند ذلك
يجوز اظهار فضائحهم لئلا يخاللوا ﷺ اذكر والافساد بما فيه كى تحذره الناس وقرأ الضحاك وزيد
ابن أسلم وسعيد بن جبير الامن ظلم البناء للفاعل والننى لكن من ظلم فآركوه وقال الفراء والزجاج
لكن من ظلم نفسه فانه يجهز بالسوء من القول ويقبل ما لا يجب الله تعالى هذا ان جعل الاستثناء كلاما
منقطعا عما قبله أما ان جعل متصلا فيكون التقدير الامن ظلم فانه يجوز لغيره بالسوء من القول معه
(وكان الله سميعا) لقول الظالم والظالم وتعلمهما (عليا) لفعل الظالم والظالم وتعلمهما فليتنق الله ولا
يقبل الا الحق ولا يقف بسوء مستور فانه يصير عاصيا لله بذلك وهو تعالى سميع لما يقوله علم بما
يضره (ان تبوا خيرا أو تخفوه) فى اصال النفع الى الخلق (أو تفواعن سوءه) كأن تدفعوا الضرر
عنهم (فان الله كان عفوا) عن اللذين مع قسرتهم على الانتقام فليعلم ان تقتلوا بسنة الله تعالى كما قاله
الحسن (قدرا) أى فهو أقدر على عقودن بك منك على عقودن بغير ظلمك كما قاله الكلبى وقيل
المنى ان الله كان عفوا لمن عفاوه للظالم قدرا على اصال الثواب اليه وعقوبة الظالم وقوله تعالى فان
الله الآية تحليل لجواب الشرط والمقرر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لأن الله الخ اعلم ان مواضع
الخيرات على كثرتها محصورة فى أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالتى تتعلق بالخلق محصورة
فى قسمين اصال نفع اليهم وهو للشار اليه بقوله تعالى ان تبوا خيرا أو تخفوه ودفع ضرر عنهم وهو للشار
اليه بقوله تعالى أو تفواعن سوء فدخل فى هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (ان الذين
يكفرون بالله ورسوله) كاليهود فاتهم آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفر وابيسى والانجيل ومحمد
والقرآن وكالنصارى فاتهم آمنوا بيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين
الله ورسوله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بآله ورسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى نؤمن
ببعض الأنبياء ونكفر ببعض (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أى بين الايمان
بالكل أو الكفر بالكل (سيلا) أى ديناً وسطاً وهو الايمان ببعض دون البعض (أولئك الموصوفون
بالصفت القبيحة) هم الكافرون حقا أى كفرا كاملاً ثابتاً يقيناً لأنه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما من نبي من الأنبياء الا وقد أخبرهم بحقيقة دين نبينا محمد ﷺ
فن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى (وأعدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذاباً
مهيئاً) أى شديداً يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسوله ويرقوا بين ائمتهم) فى الايمان به
(أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) وقرأ عاصم فى رواية حفص بالياء الضمير راجع الى اسم الله والياقون
بالتون (وكان الله عفواً) لما فرط منهم (رحمياً) أى مبالغاً فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم
(يسألك) يا أشرف الخلق (أهل الكتاب) أى أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) روى
أن كعباً وأصحابه وفد خاص قالوا الرسول الله ﷺ ان كنت رسولاً من عندنا فأتنا بكتاب من السماء
جملة كما جاء موسى بالآلواح أى فلا تبالي يا أشرف الخلق بسؤالهم فانه عادتهم (فقد سألو) أى اليهود (موسى

أكبر من ذلك) أى أعظم مما سألوكم (فقالوا أرنائهم جهرة) أى أرناءه زعمانية (فأخذتهم الصاعقة) أى فأحرقتهم النار التي جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستجلب وقوعه في ذلك الوقت (ثم اتخذوا العجل) أى عبدوه (من بملعجاتهم البينات) أى الصاعقة واحياؤهم بدموتهم ومعجزات موسى التي أظهرها لفرعون من الصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها (فصفوا عن ذلك) أى تركوا عبادة العجل ولم ينسأصلهم (وأتينا موسى سلطانا مينا) أى فظهرنا ظاهر اعلمهم فإنه أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا إلى الامتنال فقتل منهم سبعون ألفا في يوم واحد (ورفضنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى بسبب ميثاقهم على أن لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه فاتهم هوا بنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أى باب بيت المقدس وأرجعوا (سجدا) أى مطأطين الرؤوس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تدوا) أى لا تظلموا باسطيد الحيتان (في السبت وأخذنا منهم) على الامتنال بما كفوه (ميثاقا غليظا) أى مؤكدا وقال ابن عباس وهو ميثاق وثيق في عهد صلى الله عليه وسلم (فباقتضهم) فمما قصمه والباء للسببية متعلقة بمحذوف أى فلناهم بسبب تقضهم (ميثاقهم وكفرهم) بآيات الله) أى بالمعجزات فمن أنكر معجزة رسول واحد فقد أنكر جميع معجزات الرسل (وقلناهم الأنبياء بغير حق) أى بل جرم قاتهم مضمومون من كل قبضة لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غلفت) أى أوعية لهم فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا فكذبوا الأنبياء بهذا القول والى قلوبنا غلظية جبلية فهي لا تفقه ماقولون (بل طبع الله عليها بكفرهم) أى بل أحدث الله عليها صور قمانته عن وصول الحق إليها أو بل حتم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أى اليهود (الأقليات) أى الأفرى قمانتهم كمبداهة بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أى اللطوع على قلوبهم الإيمانا قليلا وهو الإيمان بموسى والتوراة بحسب زعمهم فان من يكفر برسول واحد وبمعجزة واحدة لا يمكنه الإيمان بأحمن الرسل البتة (وبكفرهم) لانكارهم قدرة الله تعالى عن خلق الولدين دون الأب (وقولهم على مريم بهتنا غليظا) أى نسبتهن مريم إلى الزنا بهما ظهر منها من الكرامات البالية على براءتها من كل عيب قاتها ملازمة لعبادة بأواع الطافات وعيسى نكاح حال كون طفلا منفصلا عن أمه (وقولهم انما قلنا للسمع عيسى بن مريم) وصلبناه (رسول الله) أى في زعم عيسى نفسه فان وصفه له بوصف الرسالة استهزاء به أو ان الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم قاتهم قاتوا هو ساحر ابن ساحرة أو ان رسول الله وصفه من عند الله تعالى لمصاحبه ونزله به عن مقاتلتهم التي لا تليق به قال الله تعالى اجللا لا تتخارهم بقتل النبي والاستزاده (وما قلناه وما صلوه ولكن شبههم) قال كثير من للتكلمين ان اليهود لما صدقوا قبلهم فهداه الله تعالى إلى السبيل فظفروا رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم بها أنهم اجتماعوا على قتله لان الله منسوخ من سيوه وسبوا أمقرده وخنازير بدهاه عليهم فأخذوا انسانا يقال له طيانيوس اليهودي وقتلوه وصلبوه بلسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفونه الا بالاسم لان كان قليل الخاطلة للناس ثم ان توارى النصارى يقتضى إلى أقوال قليلين لا يعلما فتاتهم على الكذب وقال الضحاك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرة قهوه اتنا عشر رجلا فدخل عليهم للسمع من مشكاة الثرفة فأخبر ابليس جميع اليهود فكتب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الثرفة فقال المسيح للحواريين انيكم يخرج ويقتل ويكون في الجنة فقال رجل قال له رجس أنا اناني الله فأتى اليه من عت من صوف وهما متهم من صوف وتاوله كحاز موافق الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه

أكبر من ذلك) أى أعظم مما سألوكم (فقالوا أرنائهم جهرة) أى أرناءه زعمانية (فأخذتهم الصاعقة) أى فأحرقتهم النار التي جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستجلب وقوعه في ذلك الوقت (ثم اتخذوا العجل) أى عبدوه (من بملعجاتهم البينات) أى الصاعقة واحياؤهم بدموتهم ومعجزات موسى التي أظهرها لفرعون من الصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها (فصفوا عن ذلك) أى تركوا عبادة العجل ولم ينسأصلهم (وأتينا موسى سلطانا مينا) أى فظهرنا ظاهر اعلمهم فإنه أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا إلى الامتنال فقتل منهم سبعون ألفا في يوم واحد (ورفضنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى بسبب ميثاقهم على أن لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه فاتهم هوا بنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أى باب بيت المقدس وأرجعوا (سجدا) أى مطأطين الرؤوس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تدوا) أى لا تظلموا باسطيد الحيتان (في السبت وأخذنا منهم) على الامتنال بما كفوه (ميثاقا غليظا) أى مؤكدا وقال ابن عباس وهو ميثاق وثيق في عهد صلى الله عليه وسلم (فباقتضهم) فمما قصمه والباء للسببية متعلقة بمحذوف أى فلناهم بسبب تقضهم (ميثاقهم وكفرهم) بآيات الله) أى بالمعجزات فمن أنكر معجزة رسول واحد فقد أنكر جميع معجزات الرسل (وقلناهم الأنبياء بغير حق) أى بل جرم قاتهم مضمومون من كل قبضة لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غلفت) أى أوعية لهم فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا فكذبوا الأنبياء بهذا القول والى قلوبنا غلظية جبلية فهي لا تفقه ماقولون (بل طبع الله عليها بكفرهم) أى بل أحدث الله عليها صور قمانته عن وصول الحق إليها أو بل حتم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أى اليهود (الأقليات) أى الأفرى قمانتهم كمبداهة بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أى اللطوع على قلوبهم الإيمانا قليلا وهو الإيمان بموسى والتوراة بحسب زعمهم فان من يكفر برسول واحد وبمعجزة واحدة لا يمكنه الإيمان بأحمن الرسل البتة (وبكفرهم) لانكارهم قدرة الله تعالى عن خلق الولدين دون الأب (وقولهم على مريم بهتنا غليظا) أى نسبتهن مريم إلى الزنا بهما ظهر منها من الكرامات البالية على براءتها من كل عيب قاتها ملازمة لعبادة بأواع الطافات وعيسى نكاح حال كون طفلا منفصلا عن أمه (وقولهم انما قلنا للسمع عيسى بن مريم) وصلبناه (رسول الله) أى في زعم عيسى نفسه فان وصفه له بوصف الرسالة استهزاء به أو ان الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم قاتهم قاتوا هو ساحر ابن ساحرة أو ان رسول الله وصفه من عند الله تعالى لمصاحبه ونزله به عن مقاتلتهم التي لا تليق به قال الله تعالى اجللا لا تتخارهم بقتل النبي والاستزاده (وما قلناه وما صلوه ولكن شبههم) قال كثير من للتكلمين ان اليهود لما صدقوا قبلهم فهداه الله تعالى إلى السبيل فظفروا رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم بها أنهم اجتماعوا على قتله لان الله منسوخ من سيوه وسبوا أمقرده وخنازير بدهاه عليهم فأخذوا انسانا يقال له طيانيوس اليهودي وقتلوه وصلبوه بلسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفونه الا بالاسم لان كان قليل الخاطلة للناس ثم ان توارى النصارى يقتضى إلى أقوال قليلين لا يعلما فتاتهم على الكذب وقال الضحاك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرة قهوه اتنا عشر رجلا فدخل عليهم للسمع من مشكاة الثرفة فأخبر ابليس جميع اليهود فكتب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الثرفة فقال المسيح للحواريين انيكم يخرج ويقتل ويكون في الجنة فقال رجل قال له رجس أنا اناني الله فأتى اليه من عت من صوف وهما متهم من صوف وتاوله كحاز موافق الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه

على غيره حتى نلتوا لما رأوا أنه المسيح

(وان الذين اختلفوا فيه) أى فى قتله وذلك أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به كان الشبه ألقى على وجهه ولم يبق على جسده شبه جسد عيسى
فما قتلوه فظنوا إليه فقالوا (١٨٤) الوجه وجه عيسى والجسد جسده غيره فأختلفوا فقال بعضهم هذا

عيسى وقال بعضهم ليس
بعيسى وهذا معنى قوله
(لن يشك منه) أى من
قتله (ما لم به) أى بعيسى
(من علم) أقتل أم يقتل
(الاتباع الظن) وما قتلوه
يقيناً) أى ما قتلوا المسيح
على يقين من أنه المسيح
(بل رُفِعَ الله إليه) أى إلى
الوضع الذى لا يجرى لأحد
سوى الله فيه حكم فكان
رُفِعَ إلى ذلك الوضع رفعا
إليه لانه رفع عن أن يجرى
عليه حكم أحد من المباد
(وكان الله عز وجل) أى فى
اقتداره على نجاته من شاء
من عباده (حكياً) فى
تدبيره فى النجاة (وان
من أهل الكتاب الا
ليؤمن به) أى ما من أهل
الكتاب أحد الا ليؤمن
بعيسى (قبل موته) أى
اذا عاين الملك ولا ينفعه
حينئذ إيمانه ولا يوت
يهودى حتى يؤمن بعيسى
(ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا) أى على أن قد بلغ
الرسالة وأقر بالبوذية
على نفسه (فبظلم من الذين
هادوا) الآية عاقب الله
اليهود على ظلمهم وبنيهم
بتحريم أشياء عليهم وهى
ما ذكر فى قوله وعلى الذين

وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الریش وألبسه الثور وقطع عنه لذة الطعم والمشرى فصار مع
للائكة (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى شأن عيسى (لن يشك منه) أى من قتلته (ما لم به) أى بقتله
(من علم الا اتباع الظن) أى لكهم يتبعون الظن فان فسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد
الذى تسكن اليه النفس فلا استثناء متصل أى لما وقت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهودانه
كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى
وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى
(وما قتلوه يقيناً) أى قتلنا يقيناً كما قالوا انا قتلنا المسيح (بل رُفِعَ الله إليه) أى إلى موضع
لا يجرى فيه حكم غير الله تعالى ولا يصل إليه حكم آدمى وذلك الوضع هو الساء الثالثة (وكان الله
عز وجل) أى كامل القدرة (حكياً) أى كامل العلم فرفع عيسى من الارض إلى السماء لانه رفيع
بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته (وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته) أى وما من
اليهود والنصارى أحد الا ليؤمن بعيسى قبل أن ترحق روحه بأنه عبده الله ورسوله فلا ينفعه إيمان
لا تقطاع وقت التكليف كما قل عن محمد بن علي بن أبي طالب من الحنفية أن اليهودى اذا حضره للوث
ضربت اللاتكة وجهه ودره وقالوا يا عدو الله أنك عيسى نيافاً كذبت به فيقول أمنت بأنه عبده الله
ورسوله يقال للنصارى أنك عيسى نيافاً زعمت أنه هو الله وابن الله فيقول أمنت أنه عبده الله وابنه
فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن لا ينقسم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أى عيسى عليه
السلام (عليهم) أى أهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى
النصارى أنهم أشركوا به وكل نبي شاهد على أمته (فبظلم من الذين هادوا) أى فيسبب ظلم عظيم
من الذين تابوا من عبادة العجل (حرمانا عليهم طيبات أحلت لهم) فان اليهود كانوا كما قالوا
محصنة من المعاصى يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت حلالاً لهم وقبلهم عقوبتهم (وهدمهم
عن سبيل الله كثيراً) أى وجمعهم عن دين الله فاساً كثيراً (وأخذهم بالواقعة نهوا عنه) فان الربا
كان محرماً عليهم كما هو محرم علينا (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أى بطريق الرشوة (وأعتدنا
للكافرين منهم) أى هيأنا للصالحين على الكفر من اليهود (عذاباً ألماً) سيدوقونه فى الآخرة
كأذا قوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) أى لكن المتمكنون فى علم
التوراة من أهل الكتاب كعبادته بن سلام وأصحابه (وللؤمنون) منهم ومن المهاجرين والأنصار
(يؤمنون بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الأنبياء من الكتب
(وللقيمين الصلاة والؤتون الزكاة) أى وأعطى اللقيمين الصلاة وهم للؤتون الزكاة فالقيمين نصب
على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء فى مصحف عبيد الله بن مسعود وللقيمين الصلاة بالواو وهى قراءة
مالك بن دينار والجحرى وعيسى التقي وابن خبير وعاصم عن الأعشى وعمر بن عبيد (وللؤمنون
باقى اليوم الآخر) قال أبو السعود والبراد بالكل مؤمنو أهل الكتاب (أولئك) أى المتصفون
بتلك الصفات الجلية من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجراً عظيماً) وجملة هذه خير اسم الإشارة
والجملة من البنينا والخير خير قوله تعالى والراسخون وما عطف عليه والسابق لنا كيد الوعد (انا أوحينا

هادوا حرمانا كل ذى ظفر الآية ثم استثنى مؤمنهم فقال

(لكن الراسخون) يعنى البالغين فى علم الكتاب (منهم) كعبادته بن سلام وأصحابه المؤمنين من أصحاب محمد عليه السلام (يؤمنون بما أنزل اليك) إلى آخر الآية ظاهر إلى قوله

إليك كأوحينا إلى نوح والذين من بعده) أى بعد نوح (و) كما (أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق) ابني إبراهيم (ويعقوب) ابن إسحق (والأسباط) أى أولاد يعقوب الاثني عشر فثم يوسف بنى رسول بائناً وفى البقية خلاف (وعيسى وأيوب و يونس وهرون وسليمان وأتينا) أى وكما أعطينا أباه (داود زبوراً) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وأما على حكم ومواعظ وتبصيح وتقديس وتحميد وتمجيد وتناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الأبواب التي في الجبال فيقمن بين يديهم وترق الطيور على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الخليفة زال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلاً قد قصصناهم عليك) أى سميناهم لك في القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أى من قبل هذه السورة أو هذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلناهم قصصهم عليك) أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم والتي أنا أوحينا إليك بأحكام مثل ما أوحينا إلى نوح وبمثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وأتيناك القرآن إتماماً مثل ما أتينا داود زبوراً وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا آخرين لم قصصهم عليك من غير تفاوت بينهم في حقيقة الإيماء وأصل الأرسال فالللكفرة يسألونك شيئاً لمسطحاً ضمن هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكم الله موسى تسكباً) أى على التدرج شيئاً فشيئاً بحسب البالغ بنبره واسطة تلك أى أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى سمع للنبي القائم بذاته تعالى لأنه تعالى أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبداً والتي أنه تعالى يثب هؤلاء الأنبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بالتكلم معه ولم يرقم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام فيكذلك لم يرقم من تخصيص موسى بأزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتب متفرقة وأوقفه فضل الله تعالى علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم بإعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ إبراهيم وعيسى بن وثوبوكم الله بالتب (رسلاً) منصوب على اللحن أو بأخبار أرسلنا أو على الحال للوطئة لا بغيرها وعلى البلية من رسلاً الأول (بمشرين) لأهل الطاعة بالجنة (ومنكرين) للعصاة بالثر (ثلاثاً يكون للناس على الله حجة) أى بمنزلة معتبرون بها (بعد الرسل) أى بمدار رسال الرسل وإنزال الكتب والتي ثلاثاً يحتج الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بدم الرسل فيقولوا ألم لم ترسل إلينا رسلاً ولم لم تنزل علينا كتاباً قال الله لا يعذب الخلق قبل بثنة الرسل وإن قبول للضرر عنده تعالى بمقتضى كرمه رحمة لمحمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة الحجة التي لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عز وجل) لا يثالب في أمر من أموره (حكماً) في أفعاله فاختلاف الكتب في كيفية النزول وتناوبها في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكلمهم الله بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما نازل اليك) بتخفيف التوراة ورفع الجلالة وبإلبناء للفاعل أى لكن الله يشهدك بحقيقة ما نزل اليك من القرآن التام في قبولك روى أنه لما نزل قوله تعالى أنا وأوحينا إليك قال اليهود نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد بالذي أن اليهود وإن شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله بما عرفت بسبب أنه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ في التفصاح في اللفظ والشرف في المعنى إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزاً واثباتاً المعجز شهادة يكون للذي بالرسالة صادقاً ولا كانت شهادته تعالى عرفت بواسطة أنزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أى يشهدك بالنبوة

(رسلاً بمشرين) أى
بالثواب على الطاعة
(ومنكرين) بالعقاب
على العصية (ثلاثاً يكون
لناس على الله حجة بعد
الرسل) فيقولوا ما أرسلت
إلينا رسلاً ما نزلناك
فبيننا الرسل قطعا لم نرقم
(لكن الله يشهد) الآية
نزلت حين قالت اليهود لا
نسألها عن نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ما نشهدك
بذلك فقال الله تعالى لكن
الله يشهد أى يبين نبوتك
(بما أنزل اليك) من
القرآن ودلائله

ان وجدت اليهود وشهادة
للائكة انما تعرف بقيام
المعجزة فمن ظهرت
معجزته شهت اللائكة
بصدقه (وكفى بالله شهيدا)
أى كفى الله شهيدا (ان
الذين كفروا) يعنى اليهود
(وظلموا) عمدا بكنان
نفسه (لم يكن الله ليفكر
لهم) هذا فيمن علم أنه
يموت على الكفر (ولا
ليهدمهم طريقا) أى ولا
يرشدهم الى دين الاسلام
(الاطريق جهنم) يعنى
طريق اليهودية وهو
الطريق الذى يقودهم
الى جهنم (خالد فيها أبدا
وكان ذلك) أى خلودهم
(على الله يسرا) لأنه
لا يتعسر عليه شئ (بأيها
الناس) يعنى المشركين
(قد جاءكم الرسول بالحق)
أى بالمهدي والمدق (من
ربكم) فآمنوا خير لكم
أى اتوا ما هو خير لكم
من الكفر بالإيمان به
(وان تكفروا) أى
تكذبوا عمدا وتكفروا
نعمة الله عليكم به (فان الله
مافى السموات والأرض)
أى لا تضررون الا انفسكم
لأن الله غنى عنكم (وكان
الله عليا) أى بما تصرون
اليه من إيمان أو كفر
(حكيا) فى تكليفه مع علمه

بواسطة هذا القرآن الذى أزله اليك (أزله بصله) بأنه فى غاية الحسن ونهاية الكمال وهما مثل ما قال
فى الرجل للشهور بكمال الفضل والتم اذا صنف كتابا واستقصى فى تحريره انما تصنفهنا بكمال
علمه وفضله أى انما أخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف
ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن فكذا ههنا (وللائكة يشهدون) بصدقه وانما تصرف
شهادة اللائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لأن ظهور المعجز على يد مصلى الله عليه وسلم يدل على انه
تعالى شهيد النبوة واذا شهد الله به ذلك فقد شهدت اللائكة بذلك بلا شك لأنه ثبت فى القرآن انهم
لا يسبقونه تعالى بالقول وللعنى يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلابال بهم فان الله تعالى وهو اله المالمين
يصدقك فى ذلك وللائكة السموات السبع والعرش والكبرى يصدقونك فى ذلك ومن صدقه الله
وللائكة أجمعون لم تنتف الى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك وان لم
يشهد غيره (ان الذين كفروا) بما أزله الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أى دين الاسلام من
أراد سلكه وهم اليهود حيث قالوا انصرف صفة محمدى كتنا وقالوا لو كان رسولا لآتى بكتابه دفعة
واحدة من السماء وقالوا ان الله ذكر فى التوراة أن شريعة موسى لاتنسخ الى يوم القيامة وقالوا ان
الأنبياء لا يكونون الامن ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لأن أشد
الناس ضلالا من كان ضالا يعتقد فى نفسه أنه حق ثم توسل بذلك الضلال الى اكتساب المال واجابه
ثم يبدل غايته فى طاعة فى لقاء غيره فى مثل ذلك الضلال (ان الذين كفروا وظلموا) عمدا بكنان
ذكر صفتهم وعوامهم بالقاء الشهادة فى قلوبهم ومناوئهم الى الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم وللبهيم
طريقا) الى الجنة يوم القيامة (الاطريق جهنم خالد فيها أبدا) وكان ذلك) أى جلهم خالد فى جهنم
(على الله يسرا) أى لا يتعسر عليه شئ فكان إصبال الأليم شيئا ثابدى على غير النهاية يسيرا عليه
وان كان متعسرا على غيره (بأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى بأهل مكة قد جاءكم
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن أو متكلما بالصفة الى عبادته الله والأعراض عن غيرهم عند
ربكم (فآمنوا خير لكم) أى فآمنوا بالرسول يكتن ذلك الايمان خير لكم بما آتم فيه أى يكتن
أحمد عاقبة من الكفر (وان تكفروا) فان الله مافى السموات والأرض) أى وان تكفروا بالرسول
فان الله غنى عن ايمانكم لا يتضرر بكفركم ولا يتفزع بايمانكم لأفعالك السموات والأرض وخالقهما
ومن كان كذلك كان قادرا على ازال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم وأفن كان كذلك فله عبيد
يسبونه ويتقادون لأمره وحكمه وأفن كان كذلك لم يكن محتجا الى شئ (وكان الله عليا) لا يخفى عليه
من أعمال عبيده المؤمنين والكافرين شئ (حكيا) لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوى بين المؤمنين
والكافرين والحسن والمسى (بأهل الكتاب) أى الانجيل من النصارى (لا تقاتلوا فى دينكم) أى
لا تقاتلوا فى تعظيم عيسى فانه ليس بحق كما أن اليهود بالحقى طعن حيث قالوا ان ابن زانية وكلا طرفى
قصدهم ذميم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أى لا تصفوه بما يستحيل اصفاه تعالى بهمن الاتحاد
والحلولى فى بدن الانسان أروحه واتخاذ الزوجة والولد بل زهوه عن هذه الاحوال فان نصارى أهل
نجران أربعة أنواع ملكانية قوم الذين قالوا لعيسى والربشركان ومرتقوسية وهم الذين قالوا ان الله
ثلاثة ومارتقوسية وهم الذين قالوا لعيسى هو الله ونسطور قوم الذين قالوا لعيسى بن الله فآفل
الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فالنسيح مبتدا وعيسى يدل
منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبر المبتدا (وكنه) أى مكشون بأمره

بما يكون منكم (بأهل الكتاب) يريد النصارى (لا تقاتلوا) أى لا تباؤوا

من
الحلولوا تشدوا (فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) فليس له ولد ولا زوجة ولا شرك وفوله (وكنه) يعنى انه قال له كن فيكون

من غير واسطة آب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أى أوصل الكلمة إليها بنفخ جبريل (وروح منه) أى
روح صادر من أمر الله فصار ولما بلأب وفجرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئا بناية الطهارة
والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نقطة الأب وإنما تكون من نفخة جبريل
وصف بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بحظوف وقع صفة لروح أى كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى
وان كانت بنفخ جبريل لتكون النفخ بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كإز عمت النصارى من أنها تبعية
حكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء له الرشيد فناظر على بن الحسين للروى ذات يوم فقال له ان فى كتابهم
ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلاه هذه الآية فقرأ للروى وسخر لى مافى السموات وما فى
الارض جميعاً منه فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه تعالى فاقطع النصرانى فأسلم
وفرح الرشيد فرحاً شديداً وأعطى للروى عطاء عظيماً (فأمنوا بالله) واعتقدوا ألوهيته وحده
(ورسله) أجمعين وصفوه بالرسالة والصفوا واحداً منهم بالأكوهية (ولا تقولوا ثلاثة) أى الألوهة ثلاثة
الله والمسيح ومريم ولا تقولوا ان الله واحد بالجوهرة ثلاثة بالأقانيم (اتنوها خيراً لكم) أى اتنوها عن
مقاتلتكم بالتثليث بكن ذلك الانتهاء خيراً لكم (الحمد لله الواحد) أى منفرد فى ألوهيته (سبحانه
أن يكون له ولد) أى أسبغته تسبيحاً من أن يكون له ولداً وأسبغوه تسبيحاً من ذلك وقرأ الحسن ان
يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أى سبغناه ما يكون له ولد (لما فى السموات وما فى الارض) فمن
كان مالكلهما وما بينهما كان مالكا للعيسى ومريم وإذا كانا مالوكين له فكيف يتوهم كونهما له ولداً
وزوجة (وكفى بالله وكيلاً) أى ير بالخلق فإنه كافى تدبير الخلق وفى حفظ المحدثات فلا حاجة معه
الى اثبات الله الآخر (ان يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) أى لن يرفع عن أن يكون عبداً لله تعالى أى
مقرباً لعبودية الله مستمراً على عبادته وطاعته روى أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا
فتقول انه عبداً لله فقال النبي ﷺ انه ليس به على عيسى أن يكون عبداً فقالوا بلى فزلت لن
يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله وقرأ ابن أبى طالب رضى الله عنه عبداً لله بصفة التخصير
(ولا اللائكة القربون) أى ولا يستنكف اللائكة للقربون كحمله العرش أن يقرأوا بالعبودية لله أى
لن يستنكف المسيح عن عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الاحياء والاراء
وعالم بالمغيبات مخبر عنها ويمتاز عن سائر افراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع الى السماء فان اللائكة
للقربين أعلى حالاً منه فى العلم بالمغيبات لانهم مطلعون على الالح المحفوظ وأعلى حالاً منه فى القدرة لان
أربعة منهم حملوا العرش على عظمتهم وأمرهم مخلوقون من غير أب وأم ومقلدهم السموات والارض ولا خلاف
لأحد فى عاود رجعتهم من هذه الحالات وإنما الخلاف فى علوهم من حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم ان
اللائكة مع كمال حلمهم فى العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن
عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذى كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادة الله ويستكبر
فسيحشرهم إليه جميعاً) أى ومن يرفع عن طاعته تعالى ويبدن نفسه كبيراً أى يتقدها كذلك فإن الله
يجمع للترفيع والمعتقدين أنفسهم كبيرة ومقابلهم وهم غيرهم إليه تعالى يوم القيامة حيث لا يملكون
لأنفسهم شيئاً فيجازيهم (فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم) من غير أن ينقص منها
شيئاً أصلاً (ورب يدهم من فضله) تضعيفاً إضافاً كثيراً باعطاء الاعيان رأيت ولا أن سمعت ولا خطر
على قلب بشر أى على وجه التفصيل وإنما يحظر نعم الجنان على قلوبنا وسمعنا السنة على وجه الاجمال
(وأما الذين استنكفوا) عن عبادة تعالى (واستكبروا) أى عدوا أنفسهم كبيرة (فيعذبهم عذاباً أليماً)

(وروح منه) أى روح مخلوق
من عندم (ولا تقولوا ثلاثة)
أى لا تقولوا آلهتنا ثلاثة
يعنى قولهم الله وصاحبه
وابنه تعالى الله عن ذلك
(اتنوها خيراً لكم) أى
اتنوها بالانتهاء عن هذا
خير لكم مما أنتم عليه
(لن يستنكف المسيح أن
يكون عبداً لله) أى لن
يأتى الله الذى تزعوم ان الله
أن يكون عبداً لله (ولا
للائكة القربون) من
كرامة الله وهم أكبر من
البشر

وهو القرآن (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ) أي امتنعوا بطاعته من زَعَمَ الشَّيْطَانُ (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يعني الجنة (وَفَضَّلَ) أي تفضل عليهم بما لم يخطر على قلوبهم (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ديناً مستقيماً (يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) أي فيمن مات ولولاه ولولاه (إِنْ أَرَادُوا هَٰذَا فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) أَرَادُوا هَٰذَا كَتَبْتُ بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا أَنَّهُ الْكَلَالَةُ (وَلَهُ أَخْتٌ) يعني من أب وأم أب. أب لأن ذكر ولد الأم قد مضى في أول السورة (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) (وَهُوَ) أي الأخ (يَرِثُهَا) أي يورث (أَخْتُ جَمِيعُ الْمَالِ) (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنَّ كَاتِبَ اثْنَيْنِ) أي الأخن وقوله (بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُوا) أي أَنْ لَا تَضِلُّوا أَوْ كَرَاهَةً أَنْ تَضِلُّوا

﴿تفسير سورة المائدة﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا

بِالْعُقُودِ) يعني بالعهود

اللوكة التي عاهدتموها مع

الله والناس ثم ابتدأ كلاماً

آخر فقال (أَحْلَتْ لَكُمْ

بِهَيْمَةَ الْأَنْثَامِ) قيل هي

الأنعام نفسها وهي البقر

والإبل والغنم وقيل بهيمة الأنعام وحشها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش

بما وجدوا من لذة الترفع والتكبر (وَلَا يَحْسِبُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا) يلي مصالحهم (وَلَا نَصِيرًا) ينجيهم من عذاب الله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) (من ربكم) وهو محمد صلي الله عليه وسلم وأما ما بهانا لأن حرفته إقامة البرهان على تحقيق الحق وإبطال الباطل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) أي نيراً بنفسه منور البصيرة وهو القرآن وذلك بواسطة أنزاله على الرسول وسماه نوراً لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب أي فقههم من آمن ومنهم من كفر (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ) في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (وَاعْتَصَمُوا بِهِ) أي بالله في أن يشتهم على الإيمان ويصومهم عن زَعَمِ الشَّيْطَانِ (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنْهُ) وهي الجنة ومنفعتها (وَفَضَّلَ) أي أحسان زائد كأنظر إلى وجهه الكريم والعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهو الإسلام والطاعة والسعادة الروحية والجارية والمجبرورية محل نصب حال من صراطاً والضيق المجبور عائد على الله بتقدير مضاف أي إلى ثوابه (يَسْتَفْتُونَكَ) أي يسألونك يا محمد عن الكلاله روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبو بكر يهوداني ماشين فأخفى علي قوساً النبي صلي الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فإذا النبي صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية اليراث يستفتونك الآيات وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلاله فسألوا عنها النبي صلي الله عليه وسلم فأقر الله هذه الآيات (قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) وهو اسم يقع على الوارث وعلى اللوروث فإن وقع على الوارث فهو من سوى الوالد والولد وإن وقع على اللوروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد (إِنْ أَرَادُوا هَٰذَا فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) أي أن مات امرؤ غير ذي ولد ولولاه لأخت شقيقة أو من الأب فلا لأخت نصف مارك بالقرض والباقي ثلثه أولها بالردان لم يكن له عصبه (وهو) أي للره الكلاله (يَرِثُهَا) أي يرث أخته جميع مارك أن فرض موتها مع بقائه (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) ذكر أو أخت فإن كان لها أوله ولد ذكر فلا شيء له أولها أو ولد أختي أولها الباقي من نصيبها (فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) أي فإن كان من يرث بالآخوة اثنتين شقيقتين أو من أب فصاعداً فلها ولا أكثر الثلثان مما ترك اليت من المال (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى) أي وإن كان من يرث بطريق الآخوة أخوة مختلطة رجالاً وأشقداً أو من أب أو نساء شقيقات أو لأب فلا ذكر منهن مثل نصيب الأنثيين يقسمون التركة على طريقة التصيب (بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ) قسمة اليراث (أَنْ تَضِلُّوا) أي لكيلا تضلوا في قسمة اليراث وقيل التي بين الله ضلالاً لكم لتعلموا أن غير هذا البيان ضلال فتجنبوه (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) من الأشياء المتعلقة بجميعكم وعامكم (عليهم) أي مبالغ في العلم فيبين لكم ما في صلحكم ومنفعتكم

﴿سورة المائدة مائة وعشرون آية﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) وهي جميع ما أقره الله تعالى عباده من التكالييف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً (أَحْلَتْ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْثَامِ) أي أحل لكم أكل البهيمه من الأنعام وهي الإزواج الثمانية المعنودة في سورة الأنعام وقيل المعنى أحلت لكم ما جازل الأنعام وبيدائهم من جنس البهائم في الاجترار وعلم الأنبياء وذلك كالظباء وبقر الوحش ونحوها من صيد البرية كحمر الوحش

(الا مايتلى عليكم) يعني قوله حرمت عليكم اللينة الآية (غير محلى الصيد) يعني الا أن تحاولوا الصيد في حال الاحرام فانه لا يحل لكم (ان الله يحكم ما يريد) أي يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء (بأيها الذين آمنوا لا تحاولوا شتم الله) يعني الهدايا المعلقة للذبح بمكة نزلت هذه الآية في الحظم أغار على مسرح المدينة فذهب بها الى اليمامة فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج العمامة فقال النبي ﷺ هذا الحظم فدونكم وكان قد قلده مناهيهم (١٨٩) مسرح المدينة وأهداه الى مكة فقلدا

توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحاولوا شتم الله يريد ما أشعره أي أعلم (ولا الشجر الحرام) أي بالقتال فيه (ولا الهدى) وهو كل ما أهدى الى بيت الله من ناقة وبقرة وشاة (ولا الثقلان) يعني الهدايا الثقلان من لحاء شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) أي قاصديه من المشركين قال للفسرون كانت الحرب في الجاهلية قائمة بين العرب الا في الأشهر الحرم فمن وجدني غيرها أصيب منه الا أن يكون مشعرا بدنة أو ساقا هديا أو مقلدا نفسه أو بعيره من لحاء شجر الحرم أو محرما فلا يتعرض لهؤلاء فأمر الله المسلمين بقرار هذه الامنة على ما كانت لضرب من النسخة الى أن نسخها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله (يتبنون فضلا من ربهم) أي بنحابة التجارة (ورضوانا) بالصح على زعمهم (وإذا)

فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أي أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنحة الأنعام وهذا القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضا عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعي أن الجنين مذكي بذكاة الأم (الا مايتلى عليكم) في هذه السورة (غير محلى الصيد وأتم حرم) أي الا أن كانت الأنعام ميتة وموقوفة أو متروكة أو نطيحة أو أفرستها السبع أو ذبحت على غير اسم الله فهي محرمة والا أن تحاولوا الصيد في حال احرامكم أو في حال كونكم في الحرم فانه لا يحل لكم ذلك (ان الله يحكم ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فوجب التكليف والحكم هو ارادته لا مراعاة للمصالح (بأيها الذين آمنوا لا تحاولوا شتم الله ولا التسهر الحرام ولا الهدى ولا الثقلان ولا آمين البيت الحرام يتبنون فضلا من ربهم ورضوانا) أي يا أيها الذين آمنوا أقروا بالايمان لا تحاولوا معالدين الله أي لا تهانوا شيئا من فرائضه تعالى ولا تحاولوا الشهر الحرام ذا القعدة وذا الحجة والحرم ورجب بالقتال فيه أو الفارة قال أبو السعود والراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذو القعدة واختار ابن جرير أنه رجب لأنه أكل الأشهر الأربعة ولا تحاولوا الهدى بالنصب أو بالمتع عن بلوغ محله وهو ما أهدى الى بيت الله من ابل أو بقرة أو شاة ولا تحاولوا ذات الثقلان من الهدى وهي البدن ولا تحاولوا قاصدين زيارته للسجدة الحرام بسدهم من ذلك بأي وجه كان وقربا لله ولا آمين البيت الحرام بالإضافة حال كونهم يتبنون فضلا من ربهم بالتجارة المباحة أو المعنى طالبن ثوابا من ربهم ورضوانا وقرأ حميد بن قيس الأعرج يتبنون بالناء على خطاب المؤمنين فالتجوز حيثن حال من الضمير في لا تحاولوا وإضافة الرب الى ضمير المؤمنين للإشارة الى اقتصار التشریف عليهم (وإذا حللتم فاصطادوا) والأمر بالإباحة أي وإذا خرجتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم في اصطاد حيوان البرية (ولا يجرمكم شتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) أي ولا يحل لكم بضعكم بضعكم لقوم من أهل مكة بمنعهم إياكم عن المسجد الحرام أي عن العمرة عام الحديبية على ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للنشقى من البغض وقرأ أبو عمرو وابن كثيران صدوكم بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمكم والمعنى ان وقع صدوكم ذلك الصد الذي وقع عام الحديبية وهي سنتت على أن نزل هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (ونماونوا على البر والتقوى) أي على منابذة الأمر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم) أي للصبي القشتي (والعدوان) أي التمدي في حدود الله لا لتتقام (واقوا الله) في جميع الأمور ولا تستحلوا شيئا من محارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لا يتقى فلا يطبق أحد عقابه (حرمت عليكم اللينة) أي حرم عليكم أكل ما فرقته الروح من غير ذبح شرعي وكان أهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله واعلم أن تحريم اللينة موافق لما في العقول لأن المجهول لطيف جدا فإذ مات

حللتم أي من الاحرام (فاصطادوا) أمباحة (ولا يجرمكم شتان قوم) أي ولا يحل لكم بضع قوم يعني أهل مكة (أن صدوكم عن المسجد الحرام) يعني عام الحديبية (أن تعتدوا) أي على خجل العجلة قستحلوا منهم محرما (ونماونوا) أي لعين بضعكم بضا (على البر) وهو أمر بربته (والتقوى) أي ترك ما نهى عنه (ولا تعاونوا على الاثم) يعني معاصي الله (والعدوان) أي التمدي في حدوده ثم حذرهم فقال (واقوا الله) أي ولا تستحلوا محرما (ان الله شديد العقاب) أي اذا عاقب (حرمت عليكم اللينة)

الحيوان حشف أنفه احتبس الدم في عروقه وتغنن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة (والدم)
 أي السائل منه يخرج الكبد والطحال وكان أهل الجاهلية يملأون الامعاء من الدم يصيبها ويوشوه
 ويطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال أهل العلم التناء يصير جزءا من جوهر للتغذى فلا بد ان
 يحصل للتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم
 ورغبة شديدة في اللشنيات فحرم أكله على الانسان لثلاث تكيفات تلك الكيفية ولذلك ان القرع
 لما واطبوا على أكل لحم الخنزير رأوا رنهم الحرس العظيم والرغبة الشديدة في اللشنيات وأورثهم
 علم القبرة فان الخنزير يرى الله كرم الخنازير يزوي الأثني التي هي له ولا يتعرض له لعلم القبرة
 وأما الشاة فاتها حيوان في غاية السلامة فكانها ذات عار فمن جميع الأخلاق فلذلك لا يحصل للانسان
 بسبب أكل لحمها كيفية اجنبية عن أحوال الانسان (ومأهل القبرة) أي وما رفع الصوت لغير الله عند
 ذبحهم كانوا يقولون عند الذبح باسم الآلات والعزى (والتخنة) أي التي ماتت بانصار الحلق فالتخنة
 على وجوه منها ان أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فاذا ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل الصائد ومنها
 ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتخنق فتموت (والموقودة) أي المقروءة بقالي أن ماتت ويدخل
 في الموقودة مرمى بالنسق فلت وهي في معنى الميتة في معنى التخنة لأنها ماتت ولم يسلم دمه (والمتردية)
 أي الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ويدخل فيها ما إذا أصابهم وهو في الجبل فيسقط على الأرض
 فانه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ولو رمى صيدا في الهواء بسهم فأصابه فان سقط
 على الأرض ومات حل لأن الوقوع على الأرض من ضره ووعان سقط على شجرة أو جبل ثم تردى منه
 فمات لم يحل لأنه من المتردية لأن يكون السهم ذبح في الهواء فيحل كيهما وقع لأن الذبح قد حصل قبل
 التردي (والتطحية) أي التي ماتت بنطح شاة أخرى وبأعما دخلت الهاء في التطحية لأنها صفة مؤنث
 غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت فتية بني فلان بالهاء لأنك انما تدخل الهاء لم يعرف المقتول
 أرجل هو امرأة بخلاف ما إذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حينئذ كقولهم كف غضيب ولحية
 دهين وعين كعجل وخصت الشاة لأنهما من أعم ما يأكله الناس والكلام يمشي على الأغلب ويكون
 المراد الكل (ومأكل السبع) منه فلت وهي فرسة السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح
 السبع شيئا فقتله وأكل كل بعضه أكلوا ما بقي فحرمه الله تعالى (الاما ذكيتكم) أي الاما أدركم
 ذكاته وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والافلا
 يحل بذكية لأن موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على الذكبة من الخنق وأكل السبع
 وغيرهما (وما ذبح على النصب) أي على اعتقاد تنظيم النصب وقال ابن جرير النصب ليس بأسمان فان
 الأسمان أحجار مصورة منقوشة وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون
 عندها للأسمان وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضربون اللحوم عليها ويدون ذلك الذبح فربة فقال
 المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهلية يظفون البيت بالدم فنحن أحق أن نطعموهم وكان النبي ﷺ
 لم ينكره فأقر الله تعالى لنزال الله لحومها ولأدمائها (وأن تستقسموا بالازلام) أي وحرم عليكم
 طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح وذلك أنهم اذا قصدوا سقرا أو غزا
 أو تجارة أو نكاحا أو أمرا آخر من معاملات الأمور ضربوا ثلاثة أقلام مكتوب على أحدها أمر في
 وعلى الثاني نهى في والثالث خال عن الكتابة فان خرج الأمر أقسم على الفعل وان خرج النهى أمسك
 وان خرج القفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أي الاستقسام بالازلام (فسق) أي خروجه عن الطاعة

سبق تفسير هذه الآية في
 سورة البقرة إلى قوله
 (والتخنة) وهي التي
 تخنق فتموت بأى وجه
 كان (والموقودة) المقتولة
 ضربا (والمتردية) التي تقع
 من أعلى إلى أسفل فتموت
 (والتطحية) التي قتلت
 نطحا (وما أكل) منه
 (السبع) فالباقي حرام ثم
 استثنى ما ذكره ذكاته
 من جميع هذه الحرمات
 فقال (الاما ذكيتكم) أي
 الاما ذبحتم (وما ذبح على
 النصب) أي على اسم الضم
 فهو حرام (وان تستقسموا)
 أي تطلبوا علم ما قسم لكم
 من الخير والشر (بالازلام)
 أي القداح التي كان أهل
 الجاهلية يجيئون بها اذا
 أرادوا أمرا (ذلكم) أي
 الاستقسام بالازلام (فسق)
 أي خروج عن الحلال
 إلى الحرام

(اليوم) يعني يوم عرفة عام حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح (يش الذين كفروا) أن زندوار اجعين الى دينهم (فلا تخشوهم) (واخشون) في عبادة الاوثان في مظاهرة محمد صلى الله عليه وسلم واتباع دينه

(١٩١)

(اليوم) يعني يوم عرفة
(أُكملت لكم) أحكام
(دينكم) فلم ينزل بعد
هذه الآية حلال ولا حرام
(وأجمت عليكم نعمتي)
بدخول مكة آمنين كما
وعدتكم (فمن اضطر)
الى ما حرم بمأذرك في هذه
الآية (في خمسة) أي جماعة
(غير محتاجين لأنهم) أي
غير معرضين لمصيبة وهو
أن يأكل كل فوق الشبع أو
يكون عاصيا بفسره (فان)
الله غفور) لهما كل مما
حرم عليه (رحيم) أي
بأوليائه حيث رخص لهم
(يسألونك ماذا أحل لهم)
سأل عدي بن حاتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا نصيد بالكلاب
والبراة وقدرهم الله للينة
فإذا جعل لنا منها فزلت
هذه الآية (قل أحل لكم)
الطيئات أي ما تشيئتم
العرب وهذا هو الأصل
في التحليل فكل حيوان
استطاعته العرب كالضباب
والارانب والبرابيع فهو
حلال وما استخشبته
العرب فهو حرام (وما)
علمتم يعني وصيد
ما علمتم (من الجوارح)

لأنه طلب عرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال من تكهن أو استقسم أو طير طيرة تردع عن سفره لم ينظر الى الرجال الطي من الجنة يوم القيامة وذلك ضلال باعتماد منظر الى الدخول في علم الغيب واقتراء على الله تعالى ان كان مرادهم في قوله تعالى وقال قوم آخرون انهم كانوا يحملون تلك الأوزلام عند الأنعام ويعتقدون أن ما يخرج من الأمر والنهي على تلك الأوزلام فيأرشدوا الأنعام واعاتهم لهذا السبب كان ذلك فسقا أي شر كما وجعلنا وهذا القول أولى وأقرب كما قاله الفخر (اليوم) يعني الذين كفروا من دينكم أي هذا الزمان انقطع رجاء كفاركم من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوا المشركين في خلافكم إياهم في الشرائع والأديان فاقب أنعمت عليكم بالوالة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم دليلاً عندكم (واخشون) أي ومحضوا الخشية في وحدي ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم) أكلت لكم دينكم بالنصر والظهار على الأديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأجمت عليكم نعمتي) بفتح مكه ودخولها آمنين وانفراد المسلمين بالبلاد الحرام واجلال المشركين عن حجة المسلمين لاختطهم للمشركون (ورضيت لكم الاسلام ديناً) أي اخفرت لكم من بين الأديان وهو الدين المرص عند الله تعالى لا غير (فمن اضطر) الى تناول شيء من هذه المحرمات (في خمسة) أي جماعة يخاف مما ألوت (غير محتاجين لأنهم) أي غير معتمدين بأن يأكلوا فوق الشبع تلذذاً كما قاله أهل العراق أو بأن يكون عاصيا بفسره كما قاله أهل الحجاز (فان الله غفور) لمن أكل المحرم عند ما اضطر إلى كنه (رحيم) ببداه حيث أحل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى كنه (يسألونك ماذا أحل لهم) من الصيد والسائلون ما صم من عدي وسعد بن خيثمة وعمر بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما أخرجه ابن جرير وقال ابن عباس والسائل بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا نصيدين وكذا قال سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو كل ما يشتهي عند أهل الرودة والاخلاق الجلية ما لم تستخبه الطباع السليمة ولم تنفر عنه مما لم يردنص بتحريمه من كتاب أوسنة أو إجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم صيد ما علمتموه من الكواكب من سباع البهائم والطيور كالكلب والبار (مكبين) أي معلمين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم وللقصود من التكرار للبالغة في اشتراط التعليم وأن يكون من يعلم الجوارح تحريراً في علمه موصوفاً بالتأديب (معلمكم الله) من طرق التعليم ومن الحيل في الاصطيد (فكلوا مما أمسكن عليكم) أي كلوا بعض ما أمسكنكم وهو الذي لم يكن منه * روى ابن أبي شيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك فاذا كراسم الله فأن أدركته ولم يقتل فاذا مضى واذا كراسم الله عليه وأن أدركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك وإن وجدته قتل كل فلا تعلم من شيتاً فاما أمسك على نفسه (واذكروا اسم الله عليه) أي سمواعلى ما علمتم من الجوارح عند إرساله على الصيد كما قال ﷺ لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك للعلم وذكرت اسم الله فكل أو سمواعلى ما أمسكن عند ذبحه وقيل المعنى سمواعلى أكل الصيد * روى أنه ﷺ قال لعمر بن أبي سلمة سم الله وكل مما يليك

وهي الكواكب من الطيور والكلاب والسباع (مكبين) أي معلمين إياها الصيد (تعلمونهن) أي تؤدبونهن لطلب الصيد (معلمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم) أي هذه الجوارح وإن قتلن أي اذلهن. كنه منه فإن كنه الظاهر أنه حرام (واذكروا اسم الله عليه) أي عند إرسال الجوارح

(واقفوا لله) أى واحضروا مخالفة أمر الله فى تحليل مآلحه وتحريم ماحرمه (إن الله سريع الحساب) فانه تعالى يؤخذ كل سريرا فى كل ما جل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات) أى المستلذات للشهيات لأهل الرومة والاخلاق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا كل ذبايح من تمسكوا بالتوراة والانجيل اذ احلت لنا كحة يمتناو بينهم فعل الذبيحة تابع لحل لنا كحة ولوديع يهودى وأنصرانى على اسم غير الله تعالى كالتصرانى بذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته بخلاف من تمسكوا بغير التوراة والانجيل كصعب ابراهيم فلا تحل ذبايحهم وانفق العلماء على أن الجيوس ففسن بهم سنة أهل الكتاب فى أخلاجية منهم دون كل ذبايحهم ونكاح نساهم وروى عن ابن السيب أنه قال اذا كان السلم مرضيا فأمر الجيوسى أن يذكر الله وذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك فى الصحة فلا بأس (وطعامكم حل لكم) فيحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وتبيعوهم منهم (والحصنات) أى الحرائر العفاف (من الوثمنات) أى حل لكم وذكرهن للعمل على ما هو الأولى لالتقى ما عداهن فان نكاح الاماء للسلمت صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفاف وأما الاماء الكنائيات فهن كالمسلمات عندنا فى حنيفة خلافا للشافعى (والحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى من حل لكم أيضا وإن كن حريات قال الكثير من الفقهاء انما يحل نكاح الكناية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فمن دأن بذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا من مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأما أهل للذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل كل ذبايح أهل الكتاب وحل الزوج من نسائهم ولودخلوا فى دين أهل الكتاب بعد نسخه (اذا آتيتهم من أجورهن) وتقييد التحليل بأعطاء المهور بدل على تأكد وجوبها وعلى أن الأكمل بيانها لا هو شرط لصحة العقد اذ لا توقف على دفع اللهر ولا على التزامه ومن تزوج امرأة وعزم على أن لا يطبها صدقها كان فى صورة الزناى وتسمية للهر بالأجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كإن أقل الأجر لا يتقدر فى الاجارات (محصنين) أى متزوجين (غير مسافحين) أى غير معلنين بالزنا (ولا متخفى أخذان) أى ولا مسرين بالزنا بمن لم يحلله (ومن يكفر بالايان) أى بالقة الذى يجب الايمان به (فقد حبط عمله) أى اذا مات على ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) أى من خسر الثواب (بأياها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أى اذا أردتم القيام بها (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب للاماء الى الكف فلا يجوز لانه تعالى جعل المرافى غاية الفصل لجهل مبدأ الفصل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان ذلك لا يحل بصحة الوضوء إلا أنه يكون ترك السنة (وامسحوا برؤوسكم) قيل الباء فارقة بين حل المسح بالكل والبعض كإفى قولك مسحت للتبديل ومسحت يدي بالتبديل فقوله مسحت للتبديل لا يصدق الا عند مسحه بالكلية وقوله مسحت بالتبديل يكتفى فى صدقه مسح البدن بجزء من أجزاء ذلك التبديل وتحقيق هذه الباء أنها تدل على تضمين الفعل معنى الاصاق فكأنه قيل وألصقوا بالسر رؤوسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحزموه وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر عنه بالجر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم فى رواية حفص عنه بالنصب أما القرءاء بالجر فهى مطوقة على الرؤس فكما يجب للمسح فى الرؤس كذلك فى الأرجل وما لماعطفت الأرجل على المسحوس للتنبيه على

(اليوم أحل لكم الطيبات) أى التى سألتهم عنها (وطعام الذين أوتوا الكتاب) وهو اسم لجميع ما يؤكل (حل لكم وطعامكم حل لكم) أى حل لكم أن تطعموهم (والحصنات) أى العفاف (من الوثمنات) أى الحرائر (والحصنات) أى من الذين أوتوا الكتاب (اذا آتيتهم من أجورهن) أى من مهورهن (محصنين) أى متزوجين (غير مسافحين) أى معالنين بالزنا (ولا متخفى أخذان) أى مسرين بالزنا بمن (ومن يكفر بالايان) أى بالقة الذى يجب الايمان به (فقد حبط عمله) أى اذا مات على ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) أى من خسر الثواب (بأياها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أى اذا أردتم القيام بها (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) أى مع المرافق (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) وهما الظمان النافذان من جاني القدم

الاسراف في استعمال الماء فيها لأنها موضع صلب الماء كثيرا والرد غسلها أو مجزرة بحرف جر عن خوف متعلق بفعل مخوف تقديره وافعلوا بأرجلكم غسلوا وحرف الجر وإبقاء الجواز ولا يجوز هذا الكسر على الجواز على أنه منصوب في المني عطف على النصول لأنه مملود في الحسن الذي قد يحمل لأجل الضرورة في الشعر ويجب نفيه كلام الله عنه ولا يرجع إليه عند حصول الأمن من الاتيسار كافي قول الشاعر * كبير الناس في إيجاد زميل * وفي هذه الآية لا يحصل الأمن من الاتيسار ولأنه إنما يكون بدون حرف العطف وأما القراءة بالنصب فهي امام مطوقة على الرموس لأنه في محل النصب والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنسابة وامام مطوقة على وجوهكم فظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا وقوله تعالى فاغسلوا فإذا اجتمع العاملان على معمول واحد كان الأولى أعمال الأقرب حتى إن بعضهم لا يجوز أن يكون العامل فاعضوا لما يلام عليه من الفصل بين المتعلقين بجملته مدينة حكما جديلا ليس فيها تأكيلا ولا وليست هي اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب في قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على وجوب مسح الأرجل لكن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الفسل وهو مشتمل على السح ولا ينعكس فكان الفسل أقرب إلى الاحتياط فوجب الرجوع إليه ويجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها وأيضا إن فرض الرجلين عمود إلى الكمين والتحديد انما جاء في الفصل لافي المسح وهذا جواب لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الرجل بالأخبار لأنها لم يشرها من باب الآحاد ونسخ القرآن خبر الواحد لا يجوز (وان كنتم جنبافطهروا) أي فاغسلوا وطهروا الجنابتين بزيادة زول للتي والتقاء الحثانين فختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وشعر الرأفة محيطان بثلاثة أشياء ثقبه في أسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والودو ثقبه أخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير وموضع ختانه وهو فوق ثقبه البول وهناك جلدة تسمى تمثمل عرف الديك وقطع هذه الجلدة فإذا غابت الحشفة حلت ختانه ختانه (وان كنتم مرضى) مرضا يضربه الماء كجراحة أو جبرى (أو على سفر) أي مستقرين عليه (أو جاء أحدكم من الغائط) أي الموضع الذي يقضى فيه حاجة الانسان التي لا بد منها (أو لامستم النساء) بدكروا وغيره (فلم تجدوا) يا معشر المسافرين والمحدثين حدثا أصغر أو أكبر (ماء) يهد طلبة (فتيمموا صعيدا طيبا) أي فاغسلوا ترابا نظيفا (فامسحوا بوجوهكم) بالضمة الأولى (وأبدنكم) بالضمة الثانية (منه) أي التراب (ما ير يد الله ليحصل عليكم من حرج) أي ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن ير يد ليظهركم) أي ليظهر قلوبكم عن صفة التردد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصي نجاسات لا ترواح وذلك لأنه تعالى لا أمر بالمدياصال للماء إلى هذه الأعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يرف العبد في هذا التكليف فائدة متعقولة فلما اتقاه لهذا التكليف كان ذلك الاتقياء لحض اظهار العبودية فأزال هذا الاتقياء عن قلبه آثار التردد فكان ذلك

(وان كنتم جنبافطهروا)
أي فاغسلوا (وان كنتم مرضى) مفسر في سورة النساء إلى قوله (ما ير يد الله ليحصل عليكم من حرج) أي من ضيق في الدين ولكن جعله واسعا بالرخسة في التيمم أي (ولكن ير يد ليظهركم) أي من الاعسادات والجنابات والذنوب لأن الوضوء يكفر الذنوب (وليتم نعمته عليكم) ببيان الشرائع (لعلكم تشكرون) لنعتي قطعيعوا أمرى (يا أيها الذين آمنوا) اذكروا نعمته الله عليكم أي بالاسلام

(وميثاقه الذي واظمكم به) أي حين يا أيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما أمر ونهى وهو قوله (اذ قلم سمعنا وأطعنا) وهو الواو التي جرت بين رسول الله والسلمين في أن يكونوا على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه مثل مبايعة صلى الله عليه وسلم مع الانصار في أول الأمر ليلة العقبة ومبايعة صلى الله عليه وسلم مع عامة المؤمنين ببيعة الرضوان تحت الشجرة في المدينة وغيرها وقال السدي المراد بالميثاق الدلائل العقلية والشريعة التي نصها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر السالكين (واقوا الله) في نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله علم بذات الصدور) فلا تمزوا بقولكم على نقض تلك المهود فانه ان خطر ببالكم فاقه يعلم ذلك وكفى بالله مجازيا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) بأن تقوموا لله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) فلا تشهدوا بأمر يخالف للواقع بل اشهدوا بما في نفس الأمر والتكاليف محصورة في نوعين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين اشارة الى النوع الأول وهو حقوق الله وقوله تعالى شهداء بالقسط اشارة الى الثاني وهو حقوق الخلق (ولا يخرج منكم شأن قوم) على أن لا تدخلوا أي لا يحملكم بنقض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل ادعوا فيهم وان اسأوا عليكم وللمن ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا الا على سبيل الانصاف والاعتساف (اعدلوا) في عدوكم ووليكم (هو) أي العدل (أقرب للتقوى) أي إلى الاتقاء من معاصي الله تعالى أو إلى الاتقاء من عذاب الله (واقوا الله) فيأمركم وما كمل (ان الله خير بما تعملون) فلا تخفى عليه شيء من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل والتقوى (لهم مغفرة) أي اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو إصلا الثواب وجملة قوله لهم مغفرة بيان للوعد لا محل لها فكأنه تعجيل وإي شيء وعده فقال الحبيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا) وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازموها وهذه الجنة مستأفة أي بها حما بين الترغيب والترهيب إبقاء لحق البعوت بالبشير والانذار (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يستولوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واقوا الله) أي كونوا مواظبين على طاعة الله تعالى ولا تخافوا أحدا في إقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله قبضتكم للؤمنون) وسب نزول هذه الآية وجهان الأول أنها نزلت في واقعة عامة وذلك أن المشركين في أول الأمر وهو في ضعف للسلمين يريدون إيقاع البلاء والقتل والنهب بالسلمين والله تعالى كان ينهم عن مطالعهم إلى أن قوى الاسلام وعظمت شوكة السلمين الثاني أنها نزلت في واقعة خاصة وفي هذا الاشارة أوجه في الأول أنها نزلت في شأن يهود من بني قريظة أو بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليه دخلوا عليهم وقد كانوا عاهدوا النبي على ترك القتال وعلى أن يمينوني النيات فطلب منهم الا قرضا لدية رجلين مسلمين أو معهدين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبها مشركين أو حريين فقالوا اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما يدوم هو بالفتك برسول الله وأصحابه فجاء عمرو بن جعاش رحي عظيمه ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم بمواقفتهم فأسلك الله تعالى يده فزل سجدا على عليه صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقام في الحال مع أصحابه مخرجوا إلى المدينة في الثاني عن قتادة أنها نزلت في قوم من العرب وهم بنو ثعلبة وبنو محارب أرادوا الفتك به صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة فأسأله أعرابيا ليقته ليطن نخل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه عنه يستظلون في شجر العضاء وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابي وسيل سيعر رسول الله ثم أقبل عليه وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم

(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) على أن يسموا ببقايا التوراة (وبشأن) أي وأقنابذلك (منهم) اثني عشر نبيًا (أي كفيلا) وأمينًا ضمنا عن قويمهم الوفاء بالعهد (وقال الله) لهم (أني معكم) بالعون والنصرة (لأن أقيم الصلاة) وأقيم الزكاة وأتمم برسلي وعز زمومهم) أي وقرتموهم (وأقرضتم الله قرضًا حسنًا) يريد الصدقات (لأن) لكفرًا ولسالكين (لأن) كفر بصدك) أي بصد هذا اليهودي لئلا يفتقد (ضل سواء السبيل) أي أعطًا قصد الطريق (فبا) تضمنهم) أي فبضمهم (ميتهم) وهو أنهم كذبوا الرسل بنبوءيهم وقتلوا الأنبياء وضيقوا كتب الله (لناهم) أي أخرجنهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي ياقسة عن الإيمان (يعرفون الكلام) أي يعرفون كلام الله عن مواضع من صفة محمد ﷺ في كتابهم وآية الرجم (ونسوا حظًا مما ذكرنا به) أي وتركوا نصيبنا من آياتنا في كتابهم من اتباع محمد ﷺ (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خاتمة) أي خاتمة (منهم) أي عرض عن صفاتهم (لأنهم) يعني مثل ما خاترك حين هو ابتلاك (الإقلام) يعني من أسلم (فأعف عنهم) وأصفح مشغوخ بآية السيف

الله قالها ثلاثًا فأسقطه جبريل من يده فأخذته النبي ﷺ وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفروا به أن الأعرابي قال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم تذكر نعمة الله عليهم بدفع الشرع عنهم فانه لو حصل ذلك لكان من أعظم المن * والثالث انها زلت في شأن الشركين انهم رأوا رسول الله وأصحابه بسفان في غزوة ذي آمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابقة من مغازيه ﷺ وذلك ان المسلمين قاموا الى صلاة الظهر بالجماعة فلما صلوا انهم للشركون في عدم اكبابهم عليهم وقالوا ليقنا أوقفنا بهم في أثناء صلاتهم فقتل لهم ان المسلمين بهذه الصلاة صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبنائهم فهموا بأن يوقفوا بهم اذا قاموا الى صلاة العصر فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أي أقرهم أن لا يبدوا الا الله ولا يشركوا بشيئا (وبشأن منهم اثني عشر نبيًا) وهو للسند اليه أمور القوم وتدير مصالحهم * روى ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بدمه لاهل فرعون أمرهم الله تعالى بالسيرة الى أرميا أرض الشام وقدمه لاهل الجبارة السكتانيون وقال لهم اني كتبنا لكم دارا فاخرجوا اليها وجهادوا من فيها واني ناصركم وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله تعالى من كل سبط رجلا يكون قريبا لهم وحاكما فيهم والنقباء الاثنا عشر كما قال ابن اسحاق هم شمعون وشوفا وكالب وبورك وريش وييل وكرايل وكدي وهمايل وسور ويحيى وآل ثم ان هؤلاء النقباء بشوا الى مدينة الجليل بن الذين أمرهم موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقتلوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك الى بينهم موسى عليه السلام فلما ذهبوا اليهم رأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم ورجعوا فحدثوا قومهم وقتلهم موسى عليه السلام أن يحدوهم فنصحتوا لئلا يقاتلوا الاكابر ويوشع وهما اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يتخافون الآية (وقال الله) لهؤلاء النقباء (أني معكم) بالعين والقدرة فأسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمركم وأقرر على ابطال الجزاء اليكم (لأن أقيم الصلاة) أي التي فرضت عليكم (وأقيم الزكاة) أي زكاة أموالكم (وأتمم برسلي) أي بجمعهم (وعز زمومهم) أي نصرتهم بالسيف على الأعداء (وأقرضتم الله قرضًا حسنًا) أي صادقا من قلوبكم وللرأى هذا الاقراض الصدقات للتدبير بخصها بالذكور تنبها على شرفها وعلو مرتبتها (لا تفرحوا عنكم سينتكم) وهذا إشارة الى ازالة العقاب (ولا دخلتكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وهذا إشارة الى ابطال التواب (لأن كفر بذلك) أي بعد أخذ لئلا يفتقد (منكم) ففضل سواء السبيل) أي أعطًا الطريق في السقيم التي هو الدين الذي شرعه الله تعالى لهم (فما تضمنهم ميثاقهم لناهم) أي بسبب تضمنهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتابتهم صفة محمد ﷺ لناهم أخرجنهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي منصرفة عن الانقياد للذلائل وقرأ حمزة والكسائي قسية بغير ألف بصدائقهم وتشديد الباء أي رديئة ياقسة بلانور (يعرفون الكلام عن مواضع) يعرفون صفة محمد ﷺ وحكم الرجم بعدياته في التوراة (ونسوا حظًا مما ذكرنا به) أي تركوا نصيبنا مما أمرنا به في كتابهم وهو الإيمان بمحمد ﷺ (ولا تزال) يا أثر في الحق (تطلع على خاتمة) أي تظهر على خاتمة صدرهم من بني قريظة (الا قلامهم) وهم الذين آمنوا كميل الله بن سلام وأصحابه والذين قوا على الكفر لكنهم بقوا على العهد ولم يخونوا فيه (فأعف عنهم) أي لا تعاقبهم (وأصفح) أي عرض عن صفاتهم ولا تنهم

يعني مثل ما خاترك حين هو ابتلاك (الإقلام) يعني من أسلم (فأعف عنهم) وأصفح مشغوخ بآية السيف

(ان الله يحب المحسنين) أى للتجاوزين (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا منكم) أى كما أخذنا من اهل اليهود (ففسوا حظا مما ذكروا به) أى فتركوا ما امرؤا به من الايمان (١٩٦) محمد ﷺ (فأغرينا بينهم) أى فأتقينا بينهم بمعنى بين اليهود والنصارى

(العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون (وعيد لهم ثم دعاهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد ﷺ (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تكتمون ما فى التوراة والانجيل كآية الرجم وصفة محمد ﷺ (ويعفون عن كثير) أى ويتجاوز عن كثير فلا يخبركم بكماته (قد جاءكم من الله نور) يعنى النبي ﷺ (وكتاب مبين) يعنى القرآن فيه بيان لكل ما يختلفون فيه (يهدى به) أى يعنى بالكتاب للبين (من اتبع رضوانه) أى اتبع ما رضى به الله من تصديق محمد ﷺ (سبل السلام) أى طرق السلامة التى من سلكها سلم دينه (ويخرجهم من الظلمات الى النور) أى

ماداموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) الى الناس قال ابن عباس اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا منكم) فى الانجيل باتباع محمد وبيان صفته وأن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا كما أخذنا لليثاق على بنى اسرائيل اليهود (ففسوا حظا مما ذكروا به) أى تركوا نصيبا عظيما مما امرؤا به فى الانجيل من الايمان وتقضوا لليثاق (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) أى الصفتان نصارى اهل نجران العداوة بالقتل والبغضاء فى القلب ببدن جملتهم فرقا أربعة نسطورية وللكنانية واليعقوبية والرقوسية فان بعضهم بكفر بضأ الى يوم القيامة (وسوف ينبتهم الله) أى يخبرهم فى الآخرة (عما كانوا يصنعون) من المخالفة والحياة والسكبان فيجازيهم عليه (يا اهل الكتاب) أى يا معشر اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد أفضل الخلق (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تكتمون من التوراة والانجيل كنتم محدواة الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بأحد فى الانجيل (ويعفون عن كثير) أى لا يظهر كثيرا مما تكتمونه اذ لم تدع حاجة دينية الى اعطائه (فقد جاءكم من الله نور) أى رسول وهو محمد ﷺ (وكتاب مبين) (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه من اياتها على الناس من الحق (يهدى به) أى بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطاوعه من طلب الدين اتباع الدين الذى رضى به الله تعالى (سبل السلام) أى الى طرق السلامة من المذاب هو دين الاسلام وهذا منصوب بنزع الخافض لأن يهدى يتعدى الى الثانى بالى أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أى ظلمات خفون الكفر (الى النور) أى نور الايمان (بآية) أى بتوفيقه والباء تعلق باتبع ولا يجوز أن تعلق يهدى ولا يعرج اذ لامضى لها حيثئذ فملت الآية على أنه لا يتبع رضوان الله الا من اراد الله منه ذلك (ويهدىهم الى صراط مستقيم) أى يثبتهم على ذلك الدين بعد اجابة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا) وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد جعل فى بدن انسان معين أفر وحه وقيل يصريح به أحد منهم ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا انصاف عيسى صفاته الخاصة أى بأنه تخلق ويحيى ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (فمن علمك من الله شيئا) أى فن الذى يقدر على دفع شئ من أفعال الله تعالى ومنع شئ من مراده (ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا) أى ان عيسى عائل لمن فى الأرض فى الصورة والخلق والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والأحوال فلا مسلم كونه تعالى خالقا لكل مدبر لكل الشكل وجبان يكون أيضا خالقا لعيسى (وقه ملك السموات والأرض وما بينهما تخلق ما يشاء) فتارة تخلق من غير أصل كخلق السموات والأرض وتارة أخرى تخلق من أصل كخلق ما بينهما فيئنى من أصل ليس من جسده كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن أصل من جسده ما من ذكر وحده كخلق حواء أو من أتى وحدها كخلق عيسى عليه السلام وأنها كخلق سائر الناس وتخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد تخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكحاجه اللوقى وابراء الأكموا الأرض على يده أيضا فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لآلى من أجرى ذلك على يده (وانه على كل شئ قدير) (واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوة لاستقلال الجلالة (وقالت اليهود) أى يهود أهل المدينة (والنصارى) أى نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله

قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) يعنى الذين اتخذوه لها (قل فمن يملك من الله شيئا) أى فمن يقدر وأصحابه أن يدفع من عذاب الله شيئا (ان أراد ان يهلك المسيح) أى يذبه ولو كان إنما لقد رعى دفع ذلك (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله

وأحباؤه) أماليهود فاتهم
 قالوا ان الله من حديه
 وعطفه علينا كالأب الشفيق
 وأماالنصاري فاتهم تأولوا
 قول عيسى اذا صليتم
 فتقولوا ياأناالذي في السماء
 ليقدس اسمك وأرادأنه
 في بره ورحمته بعباده
 الصالحين كالأب الرحيم
 وقيل أرادوا نحن أبناء
 رسله وأما قالواهادحين
 حشرهم النسي **عليه**
 عقوبة الله فقالالله تعالى
 (قل فم يذبكم يذنبوكم)
 أي فم يذب من قبلكم
 يذنبوكم بهم كأصحاب السبت
 وغيرهم (بل أنتم بشرعن
 خلق) أي كسائر بني آدم
 (يفغرلن يشاء) أي لمن تاب
 من اليهودية (و يذب من
 يشاء) أي من مات عليها
 وقوله (على فترة من الرسل)
 أي على انقطاع من الأنبياء
 (أن تقولوا) أي لثلاثقولوا
 (مجاها نامن بشرو لاذنبر)
 وقوله (وجعلكم ملوكا)
 أي وجعل لكم الخصم
 والحشم وهم أول من ملك
 الخصم من بني آدم (وأتاكم
 ما روت أحدمان المألين)
 أي من فلق البحر واغراق
 عدوك وللن والسواي وغير
 ذلك (يا قوم ادخلوا الأرض
 للقدسة) يعني الشام وذلك
 أنها طهرت من الشرك
 وجعلت مسكنالأنبياء

وأحباؤه) أي أن اليهود لما زعموا أن عزرا ابن الله والنصاري زعموا أن المسيح ابن الله فزعموا
 أن عزرا والمسيح كانهم صارد ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله كما يقول أقارب الملوك عندللفخرة
 نحن الملوك فالرد بأننا أبناء الله خاصة وقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى
 دين الاسلام وخوفهم بعبادته تعالى فقالوا كيف نخوفنا بعبادته ونحن أبناء الله وأحباؤه الذي
 قال تلك الكلمة من اليهود زمانو يحرق وشاس (قل) لهم يا كرم الخلق الزاما وتبكيئا (فم
 يذبكم يذنبوكم) أي ان صنع ما زعمتم فلا شيء يذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والسلب وقدا عترتم
 بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة أياما بعد أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم
 ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لأن الأبناء لا يذبونهم والحبيب لا يذب حبيبه (بل أنتم
 بشر من خلق) أي لستم كذلك بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غيرهم فلكم عليهم
 (يفغرلن يشاء) أن يغفر له من أولئك المخالفين وهم الذين آمنوا به تعالى ورسله ولو آمنوا من اليهودية
 والنصرانية (ويذب من يشاء) أن يذبهم منهم وهم الذين كفروا به تعالى ورسله ومناو على
 اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملكه هكذا وقدرته هكذا
 فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقا واجبا (والله الصبر) في الآخرة فيجزى الحسن
 بأحسانه والسيء بإساءته (يا أهل الكتاب) أي أهل التوراة والإنجيل (قد جاءكم رسولنا)
 عهد **عليه** (بين لكم) أي مينا لكم الشرائع (على فترة من الرسل) أي على حين انقطاع من
 الأنبياء فروى عن سلمان أنه قال فترة ما بين عيسى ومحمد سائة سنة أخرجه البخاري وكان بينهما
 أربعة من الأنبياء ثلاثة من بني اسرائيل كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
 واحد من العرب وهو خالد بن سنان وقال في حقه نبينا **عليه** نبي ضيع قومه (أن تقولوا لمجاها نامن
 بشرو لاذنبر) أي أنما بشنا اليكم الرسول في وقت فترة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذا
 سلتم عن أعمالكم يوم القيامة مجاهنا بشرو لاذنبر بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة
 وانقطعت أخبارها فلا تفتقروا بذلك (قد جاءكم بشرو) كامل البشارة (وذنبر) كامل التذكرة
 (والله على كل شيء قدير) فكان قادر على ارسال نبي كما أرسل الرسل ين موسى وعيسى وكان
 بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
 أنبياء) لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الأنبياء فتم السبعون الذين اختارهم موسى من
 قومه فانطلقوا معه الى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فاتهم كانوا على قول الأكثر بن أنبياء (وجعلكم
 ملوكا) فقد تكاثر فيهم الملوك ثم أقارب الملوك يقولون عندللفخرة نحن الملوك قال السدي أي
 وجعلكم أحرارا فملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلا
 بأمر نفسه ومعيشته ولم يكن محتجا في مصالحه الى أحد فهو ملك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة
 وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال كثيرة فمن كان كذلك كان ملكا وعن أبي سعيد الخدري عن النبي
عليه أنه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لأحدهم خدام وأمرأة وداية يكتب ملكا وقال قتادة سموامالوكا
 لأنهم كانوا أول من ملك الخصم ولم يكن قبلهم خدم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة بأوى
 الهوا ومسكن يسكنه فهو غني ثم ان كان له خدام كذلك فهو من الملوك (وأتاكم ما روت أحدمان المألين)
 من فلق البحر واغراق السوا وإيراث أموال الهوا وازل اللن والسواي واخراج الياها للذمة من الحجر
 وتقليد النعام فان ذلك لم يوجد في غير بني اسرائيل (يا قوم ادخلوا الأرض للقدسة) أي للمباركة

(التي كتب الله لكم) أي وهب الله لكم ميراثا من أيكم إبراهيم عليه السلام روى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما وجد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لتركته وكان بنو إسرائيل يسمون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والأرض هي الطور وما حوله ولا ترتدوا على أدباركم أي لا ترجعوا إلى خلقكم أي إلى مصر خوف العدو (تقتلوا واخسر بن) في الدين والدنيا لأنهم صاروا أشاكين في صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالإلهية والنسبة فان موسى قد أخبرنا الله تعالى جعل تلك الأرض لهم فكان ذلك وعدا بأن الله تعالى ينصرهم على العدو ولأن الله تعالى منعم عن المن والسوى ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن أحوال تلك الأراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتفوا ما شاهدوه فلم يبقوا قوله إلا رجلا منهم وهما يوشع وكالب فأتيا سبيلا إلى أمروفا وهي بلاد طبية كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضعيفة وإن كانت أجسامهم عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أقروا الجبن في قلوب الناس حتى أظهروا الامتناع من غز وهم ورفوا أصواتهم بالبكاء (قالوا يا موسى إن فيها) أي في الطور رأوا رجلا محمدا دمشق وفلسطين كما روى كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوما جبارين) أي طواغيطا أقوياء فلا تصل أيدي قوم موسى إليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منافاته لاطاقة لنا باخراجهم منها (فإن يخرجوا منها) بسبب ليس منا (فإنادنا خالونا) قالوا هذا على سبيل الاستبعاد (قال رجلا من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى في مخالفة أمره ونهيهِ (أنهم الله عليهم) بالهداية والثقة بمولاهم والاعتقاد على نصرته وهم يوشع بن نون وهو الذي نبى بهدموسى وهو ابن أختهم موسى وكالب بن يوفنا خن موسى وهو يفتح اللام وكسرهما وقيل هما رجلا من الجبابرة أسماهما اجتماع مع موسى وللوصول عبارة عن الجبابرة وإليهم يعود العائد المذخور والتقدير قال رجلا من الجبابرة الذين يخافون بنو إسرائيل بنو إسرائيل منهم أنهم الله عليهم بالإيمان فآمنوا ويشهد لهذا الوجه قراءة من قرأ يخافون على صيغة للبنى للفعول (ادخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم أي باقتنصهم وضغطهم في المضيق وامنعهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجندوا للحرب مجالا (فإذا دخلتموه) أي باب بلدهم (فأنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فأنشأ حديثا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسامهم عظيمة وأنما جزم هذان الرجلان بالغلبة لأنهما كانا جازمين بنصرة موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول في تلك الأرض قطعاً بأن النصرة لهم والغلبة حاصلة في جبهتهم (وعلى الله فتوكلوا) في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فاتها غير مؤثرة (إن كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الإله القادر مصدق لنوعه (قالوا يا موسى إننا لن ندخلها) أي أرض الجبارين (أبدا ماداموا فيها) أي أرضهم (فأذهب أنت ورك) أي ما قالوا هذه المقالة على وجه التردد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقتلهم) هم (أنما هم قاعدون) عن القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عنادا على طريق الحزن والشكوى إلى الله تعالى (رب أنى لأملك إلا نفسي وأخي) هرون أي لأملك التصرف ولا ينقذ امرئ إلا في نفسه وأخيه وإنما قال ذلك تقليلا لبلان بواقفه ويجوز أن يكون للبنى النفس ومن يوافقني في الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي الحكم لنا بما نستحقه وأحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم (قال) الله يا موسى (فاتها) أي الأرض المقدسة (محزنة عليهم) أي ممنوع عليهم الدخول فيها

(التي كتب الله لكم) أي أمركم بدخولها ولا ترتدوا على أدباركم أي لا ترجعوا إلى دينكم الشرك بالله (قالوا يا موسى إن فيها قوموا جبارين) أي طواغيطا ذوي قوة وكانوا من بقايا عاد يقال لهم العمالقة (قال رجلا من الذين يخافون) الله أي في مخالفة أمره (أنهم الله عليهم) أي بالفضل واليقين (ادخلوا عليهم الباب) الآية وإنما قال ذلك تقينا بنصر الله وأنما جزم هذان الرجلان بالغلبة لأنهما كانا جازمين بنصرة موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول في تلك الأرض قطعاً بأن النصرة لهم والغلبة حاصلة في جبهتهم (وعلى الله فتوكلوا) في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فاتها غير مؤثرة (إن كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الإله القادر مصدق لنوعه (قالوا يا موسى إننا لن ندخلها) أي أرض الجبارين (أبدا ماداموا فيها) أي أرضهم (فأذهب أنت ورك) أي ما قالوا هذه المقالة على وجه التردد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقتلهم) هم (أنما هم قاعدون) عن القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عنادا على طريق الحزن والشكوى إلى الله تعالى (رب أنى لأملك إلا نفسي وأخي) هرون أي لأملك التصرف ولا ينقذ امرئ إلا في نفسه وأخيه وإنما قال ذلك تقليلا لبلان بواقفه ويجوز أن يكون للبنى النفس ومن يوافقني في الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي الحكم لنا بما نستحقه وأحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم (قال) الله يا موسى (فاتها) أي الأرض المقدسة (محزنة عليهم) أي ممنوع عليهم الدخول فيها

(أربعين سنة يتيهون في الأرض) أي يتجرون في البر يتوكلون طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في تسعة فراسخ عرضا في ثلاثين فرسخا طولاً وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبيد يروش وكالب ولا يتيهون في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تجسسوا سنة أي كانت مدغية الثقباء لتجسس أربعين يوماً ولأربعين جيفهم في هذه القفار أي وفات أولئك النصابة فيها وأهلك الثقباء العشرة فيها بقرباب غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوا تلك الأرض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم سبأ تألف مقاتل وكانوا

يسرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الوضع الذي ارتحلوا عنه وكان الثعلب يظلمهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم اللبن والسوى وماؤهم من الحجر الذي يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الألفاظ عليهم مع أنهم معاقبون لأن عقابهم كان بطريق التأديب وروى أن موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهم لراحة وسلامة كالنار لا يراهم ولا تشك العذاب عليهم السلام وزيادة في درجتهم وعقوبتهم ومشاهدتهم لهما حال العقوبة أي بلغ (فلأنس) أي لا تخزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل أن موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيه ثم إن موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له دعوت علينا ونسب موسى على ما فعل فأوحى الله إليه لأنس

على القوم الفاسقين فأنهم أحقاء بذلك لعصيتهم (واتل عليهم نبأ آدم بالحق) أي ذكر يا أكرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر أبي آدم قايلاً وهابيل ملتبساً بالصدق ليعتبروا به وهذه القصة دالة على أن كل ذي نعمة محسود فلما كانت لهم القصة سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع الكفر في حقهم عليه السلام حسداً منهم فكان ذكر هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن

اسحق إن آدم كان ينشئ حواء في الجنة قبل أن يصب الخيطية فحملت قاييل وأستغفر محمد عليهما وحواء ولا صبا ولا طلقاً ولم تدرك الولادة فلما هبط إلى الأرض تشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوكلت عليهما الوسم والوصب والطلاق والم قال بعضهم غشى آدم حواء بسمهم بطعماً إلى الأرض بما تشتهى فولدت له قاييل وأقبا في بطن ثم هابيل ولبودا في بطن فان حواء كانت تلد لأدم في كل بطن غلاماً وجارية الأشيافاً منها وضعت مفرداً عوضاً عن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلاثون في عشرين بطناً وأولهم قاييل وتوأمته أقبا وآخرهم عبد القيث وتوأمته أم القيث ويتزوج كل من القيث وغير توأمته وأمر الله آدم أن يزوجه قاييل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقبا أخت قاييل وهي أسخن من لبودا فذكر ذلك آدم فرضى هابيل وسخط قاييل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال له آدم أنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال إن أقبلت بأمرك بهذا وأنا منهم وإنك فقال لها آدم قرباً بقدر ما فأكبها فقبل قرباً فهو أختي فأقبل وكانت القريتين إذا كانت مقبولة زلت من السماء نار بيضاء فأكبها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكته الطير والسماع فخرجان عند آدم ليقربا بالنار بان وكان قاييل قريب صبره من قبح ردى وهابيل قريب كبراً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضعا قرباً لهما على جبل ثم دعا آدم فزالت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع إلى الجنة فبرزل برحى فيها إلى أن فدى به إسماعيل عليه السلام (أقرباً) أي كل منهما (قرباناً) وهو اسم بالمتقرب إلى الله تعالى من ذبيحة وصلة (فقبل من إسماعيل) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قاييل فأضمر لأخيه إسماعيل أن أتى آدم مكثراً ياراً ليت غاب فأبى قاييل لهابيل وهو في غنمه (قال) لهابيل (لأقتلك) فقال هابيل ولم تقتلني قال قاييل لأن الله تقبل قربانك

أربعين سنة يتيهون في الأرض) أي يتجرون في البر يتوكلون طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في تسعة فراسخ عرضا في ثلاثين فرسخا طولاً وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبيد يروش وكالب ولا يتيهون في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تجسسوا سنة أي كانت مدغية الثقباء لتجسس أربعين يوماً ولأربعين جيفهم في هذه القفار أي وفات أولئك النصابة فيها بأقرباب غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوا تلك الأرض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم سبأ تألف مقاتل وكانوا يسرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الوضع الذي ارتحلوا عنه وكان الثعلب يظلمهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم اللبن والسوى وماؤهم من الحجر الذي يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الألفاظ عليهم مع أنهم معاقبون لأن عقابهم كان بطريق التأديب وروى أن موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهم لراحة وسلامة كالنار لا يراهم ولا تشك العذاب عليهم السلام وزيادة في درجتهم وعقوبتهم ومشاهدتهم لهما حال العقوبة أي بلغ (فلأنس) أي لا تخزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل أن موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيه ثم إن موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له دعوت علينا ونسب موسى على ما فعل فأوحى الله إليه لأنس على القوم الفاسقين فأنهم أحقاء بذلك لعصيتهم (واتل عليهم نبأ آدم بالحق) أي ذكر يا أكرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر أبي آدم قايلاً وهابيل ملتبساً بالصدق ليعتبروا به وهذه القصة دالة على أن كل ذي نعمة محسود فلما كانت لهم القصة سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع الكفر في حقهم عليه السلام حسداً منهم فكان ذكر هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق إن آدم كان ينشئ حواء في الجنة قبل أن يصب الخيطية فحملت قاييل وأستغفر محمد عليهما وحواء ولا صبا ولا طلقاً ولم تدرك الولادة فلما هبط إلى الأرض تشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوكلت عليهما الوسم والوصب والطلاق والم قال بعضهم غشى آدم حواء بسمهم بطعماً إلى الأرض بما تشتهى فولدت له قاييل وأقبا في بطن ثم هابيل ولبودا في بطن فان حواء كانت تلد لأدم في كل بطن غلاماً وجارية الأشيافاً منها وضعت مفرداً عوضاً عن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلاثون في عشرين بطناً وأولهم قاييل وتوأمته أقبا وآخرهم عبد القيث وتوأمته أم القيث ويتزوج كل من القيث وغير توأمته وأمر الله آدم أن يزوجه قاييل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقبا أخت قاييل وهي أسخن من لبودا فذكر ذلك آدم فرضى هابيل وسخط قاييل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال له آدم أنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال إن أقبلت بأمرك بهذا وأنا منهم وإنك فقال لها آدم قرباً بقدر ما فأكبها فقبل قرباً فهو أختي فأقبل وكانت القريتين إذا كانت مقبولة زلت من السماء نار بيضاء فأكبها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكته الطير والسماع فخرجان عند آدم ليقربا بالنار بان وكان قاييل قريب صبره من قبح ردى وهابيل قريب كبراً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضعا قرباً لهما على جبل ثم دعا آدم فزالت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع إلى الجنة فبرزل برحى فيها إلى أن فدى به إسماعيل عليه السلام (أقرباً) أي كل منهما (قرباناً) وهو اسم بالمتقرب إلى الله تعالى من ذبيحة وصلة (فقبل من إسماعيل) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قاييل فأضمر لأخيه إسماعيل أن أتى آدم مكثراً ياراً ليت غاب فأبى قاييل لهابيل وهو في غنمه (قال) لهابيل (لأقتلك) فقال هابيل ولم تقتلني قال قاييل لأن الله تقبل قربانك فقال هابيل

(أما يتقبل الله من التقيين)
 للعاصي (لأن بسطت إلى
 يدك) أي لأن يد أي بالقتل
 فأتانا بالذي أبداك بالقتل
 (إني أخاف الله) أي في قتلك
 (إني أريد أن تبوء بأخي
 وأهلك) أي تختمل أم قتلي
 وأهلك الذي كان منك قبل
 قتلي (فظلوت له نفسه
 قتل أخيه) أي سهلت
 وزيفت له ذلك (فقتله
 فأصبح من الظالمين)
 أي خسرونياه باستخاط
 والديه وآخرته بسخط الله
 عليه فلما قتلهم بهر ما يصنع
 به لأنه كان أول ميت على
 وجه الأرض من بني آدم
 فحمل في جراب على ظهره
 (فبعث الله غرابا يبعث في
 الأرض) أي يثير التراب
 من الأرض على غراب
 ميت (ليريه كيف بواري)
 أي كيف يستر (سواء
 أخيه) أي جيفة أخيه فلما
 رأى ذلك (قال يا بني
 أعجزت أن أكون مثل
 هذا الغراب فأواري سواء
 أخني فأصبح من الظالمين)
 أي على حمله والظواف به

ورد قرياني وتريد أن تنكح أخني الحسناء وأنكح أختك الدميعة فينتحدث الناس بأنك خير مني
 ويفتخر وادك على ولدي (فقال) هابيل وما ذنبني (أما يتقبل الله من التقيين) أي إن حصول
 التقوى شرط في قبول القربان (لأن بسطت إلى يدك لتقتلي ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك) أي والله لئن
 باشرت قتلي حسب ما وعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات (إني
 أخاف القرب العالين) في قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسleme ألقك على
 وجهك ولكن عبد الله القتل ولا تكن عبد الله القاتل (إني أريد أن تبوء بأخي وأهلك) أي أن تختمل
 أم قتلي وأهلك الذي كان منك قبل قتلي كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضي الله عنهم
 (تكون من أصحاب النار) أي فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روى أن الظالم إذا لم يجد
 يوم القيامة ما يرزى خصمه أدخل من سيئات للظالم وحمل على الظالم (فطوعته) أي سهلت له (نفسه قتل
 أخيه فقتله) قال ابن جرير (لما فصل قاتل هابيل ليرد كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طرا
 فوضع رأسه على حجر ثم رصه بحجر آخر وقايل بنظر إليه فعلم منه القتل فوضع قاتل رأس هابيل
 بين حجرين وهو مسلم صابر روى عن عمرو بن خير الشيباني قال كنت مع كعب الاحبار على
 جبل دبر مهران فأراني لمة حمراء ساقطة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دمه جله الله
 آية للعالين (فأصبح) أي صار (من الظالمين) بقتله دينا ودنيا لأنه أسخط والديه وبقي مذموما
 إلى يوم القيامة ولأنه عاقبا عظيما في الآخرة ولما قتل قاتل هابيل تركه بالمرأه لم ير ما يصنع به لأنه أول
 ميت من بني آدم على وجه الأرض فقصده السباع لتأكله فحمله قاتل على ظهره في جراب أر بعين
 يوما وقيل سنة (فبعث الله غرابا يبعث في الأرض) أي يحفر الحفيرة بمقارعه ورجليه بمذقتل صاحبه
 ثم لقاه فيها وأثار التراب عليه فتم قاتل ذلك من التراب (ليريه كيف بواري سواء أخيه) واللام
 إمامطة يبعثها والضمير للسكن عائدا إلى الله تعالى أو متعلقة ببعث أو بيت والضمير راجع
 للتراب وكيف حال من ضمير بواري العائد إلى قاتل كالضمير من البارز وهو معمول لبواري
 وجعله معلقة للآية بالبصرة أو بالعراقية المتعدي لمفعول قبل تعديتها بهزمة النقل وبعده لاثنين
 وجبته فكيف في محل للمفعول الثاني سادة مسده والراد بالسوء الجسد ليقبحه بمذمومه (قال)
 أي قاتل (يا ولينا) أي يا هلاكي تعالى وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظها لفظ
 النداء كأن الوليل غير حاضر له فناداه ليحضره أي أيها الوليل احضر فهذا أو ان حضورك (أعجزت
 أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواء أخني) أي فأغطي جسدي بأخي بالتراب أي لما قتل قاتل أخاه
 تركه بالمرأه استخفافا به ولما رأى التراب يدفن غرابا يمارق قلبه وقال إن هذا الغراب لما قتل ذلك
 الآخر أخفاه تحت الأرض أفأكون أقل شقة من هذا الغراب (فأصبح من الظالمين) على حمله
 لهابيل على ظهره سنة لأنه لم يعلم الدفن الآمن للتراب وعلى قتله لأنه لم يتقعه بقتله لأنه أسخط عليه
 بسببه بوأه وأخوته فكان ندمه لأجل هذه الأسباب لا لكونه معصية وعلى استخفافه بهابيل بعد
 قتله لتركه في المرأه فلما رأى أن التراب دفن غرابا يتألم على سقاة قلبه وقال هذا أخني لجه محتلط
 بلحمي ودمي محتلط بدمي فاذا ظهرت الشقة من التراب على غراب ولم تظهر مني على أخني كنت دون
 التراب في الرحمة والأخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الأسباب لأجل الخوف من الله تعالى فلا ينغمه
 ذلك التلم قيل المقتل قاتل هابيل هرب إلى عدن من أرض الجن فأتاه ابليس وقال اغا كملت النار قربان
 هابيل لأنه كان يختم النار ويبسها فان عبتها أيضا حصل مقصودك فبني بيت نار فعبدها وهو أول من

سبب ذلك الذى فعل قاييل
(كبتنا) أى فرضنا (على
بنى اسرائيل أنه من قتل
نفسا بغير نفس أو فساد فى
الأرض) أى شرك (فكنا
قتل الناس جميعا) يقتل
كما لو قتلهم جميعا ويصلى
النار كما يصلاها لو قتلهم
(ومن أحيها) أى حرمها
وتورع عن قتلها (فكنا
أحياء الناس جميعا) لسلامتهم
منه لأنه لا تستحل دماؤهم
(ولقد جاءهم) يبنى بنى
اسرائيل (رسلنا بالينات)
أى بأن لهم صدق ما جاءهم
به (ثم إن كثيرا منهم بعد
ذلك فى الأرض لسرفون)
أى مجاوزون حد الحق
(أعاجزاء الذين يحاربون
الله ورسوله) أى يصونها
ولا يطيعونها يبنى الخارجين
على الامام وعلى الامة
بالسيف نزلت هذه الآية
فى قصة الرنين وهى
معروفة لتلما رسول الله
صلى الله عليه وسلم عقوبة
من فعل مثل فعلهم وقوله
(ويسعون فى الأرض
فسادا) أى بالقتل وأخذ
الأموال (أن يقتلوا أو
يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو
ينفوا من الأرض) معنى
أوهنا الإباحة فلا دماء أن
يفعل ما أراد من هذه الأشياء

عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه
وكيلا قال بل قتله ولذلك اسود جسدي ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك قط (من أجل ذلك)
أى المذكور من أنواع المفساد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهى حصول خسارة الدين والدنيا وحصول
الندم والحسرة والحزن فى القلب والجوار والحجور متعلق بكبتنا وهو ابتداء كلام فلا يروق على اسم
الإشارة فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور القسرين وأصحاب المعاني ويروى
عن نافع أنه كان يقف على اسم الإشارة فيجعله من تمام الكلام الأول فيصير الجوار والحجور متعلق
بما قبله واسم الإشارة عائد على القتل أى من أجل أن قاييل قتل هابيل ولم يوراه بالتراب (كبتنا)
أى أوجبنا فى التوراة (على بنى اسرائيل أنه) أى الشأن (من قتل نفسا) واحدة من بنى آدم (غير
نفس) أى بغير قتل نفس بوجوب الاقتصاد (أو فساد فى الأرض) أى أو بغير فساد بوجوب اهدار
الدم من كفر أو زنا أو قطع طريق وقر الحسن بنصب فساد بغير فعل أى أو عمل فسادا (فكنا
قتل الناس جميعا) فى تنظيم أمر القتل الممد العلوان كأن قتل كل الخلق أمر مستظم عند كل أحد
فالمقصود مشاركة الأمرين فى الاستعظام وكيف لا يكون مستعظما وقلنا تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا جفراؤه جهنم خالفا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعلمه عنا عظيم (ومن أحيها) أى أحيها
فكنا (أحياء الناس) أى ومن خلص نفسا واحدة من الهلكات كالخرق والتفرق والجمع للفرق والبرد
والحر للفرقين قال ابن عباس أى وجبت الجنة بقوعن نفس كالأوعاف عن الناس (جميعا) ولقد جاءهم
أى بنى اسرائيل (رسلنا بالينات) أى للسجرات (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض) أى بعد
مجيئ الرسل وبعد ما كبتنا عليهم تحريم القتل (لسرفون) فى القتل لايبالون بظنهم فانهم كانوا
أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا يقتلون الأنبياء (أعاجزاء الذين يحاربون الله ورسوله)
أى أعاجزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله أو أعاجزاء الذين يحاربون أولياء الله
وأولياء رسوله وهم للسفون (ويسعون فى الأرض فسادا) أى يعملون فى الأرض مفسدين بالمعاصى
وهو القتل وأخذ المال ظاهرا (أن يقتلوا) واحدا بعد واحد أو يقتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد
القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون أحياء ثم يبرج بطنهم برص حتى يموتوا إن جموا بين أخذ المال
والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى تقطع مختلفة بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى
أن اقتصر على أخذ المال من مسأله وذى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كل منهم نصاب
السرقه (أو ينفوا من الأرض) أن أخافوا السبل قال أبو حنيفة الثنى من الأرض هو الحبس
وهو اختيار أكثر أهل الامة قالوا أو المحبوس قد يسمى منفيا من الأرض لأنه لا يتقرب بشئ من طبيات
الدنيا وإنشائها ولا يرى أحدا من أحبائه فصار منفيا عن جميع اللذات والشهوات والطيبات فكان
كلنى فى الحقيقة وقال الشافعى هذا الثنى محمول على وجهين الأول أن هؤلاء الخارجين إذا قتلوا أو أخذوا
المال فلا دماء أن أخذهم أقام عليهم الحدون لم يأخذهم طلبهم أبدا فكونهم خائفين من الامام لهم بين
من بلد الى بلده والراى من الثنى والثانى القوم الذين يحضرون الواقعة ويكثرون جمع هؤلاء الخارجين
ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قاتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم ويمزحهم ويحبسهم فلما راد
بنفهم من الأرض هو هذا الحبس لا غير قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى قوم هلال بن عويمر لانهم
قاتلوا قوما من بنى كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليعلموا فقتلهم وأخذوا ما كان معهم من
السب وقيل نزلت فى قوم من عرينة وكانوا ثمانية نزلوا المدينة مظهرين للإسلام فرضت أبدانهم
واصفرت أوتانهم فبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من آبوالها وألبانها

(ذلك لم يخزي في الدنيا)
هو ان وفضيحة (ولهم
في الآخرة عذاب عظيم)
وهذا الكفار الذين نزلت
فيهم الآية لأن المرتين
ارتدوا عن الدين، وللم
اذا عوقب في الدنيا بجنايته
صارت مكفرة عنه (الا
الذين تابوا من قبل أن
تقدروا عليهم) أي آمنوا
من قبل أن نقابوهم
(فاعلموا أن الله غفور
رحيم) لهم هذا في الشرك
الحارب اذا آمن قبل القدرة
عليه يسقط عنه جميع
الحدود فاما للسلم الحارب
اذا تاب واستأمن قبل
القدرة عليه سقط عنه حق
الله تعالى، ولا تسقط عنه
حقوقي بني آدم (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله)
أي عذاب الله بالطاعة
(وابتغوا إليه الوسيلة) أي
تقربوا إليه بطاعته
(وجاهدوا) العدو (في
سبيله) أي في طاعته
(لحكم تفلحون) كي
تسعدوا وتبقوا في الجنة
(ان الذين كفروا) الآية
ظاهرة (يريدون) أي
يتمنون بقاؤهم (أن يخرجوا
من النار وأنهم يخارجون
منها وهم

فصيحوا فلما شرىوا وجحوا اقتلوا الراعي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه يسار التوفي وساقوا
الابل وكانت خمسة عشر فبعت التي صلى الله عليه وسلم عشرين فارساً منهم كرز بن جابر القهري في
طلبهم حتى بهم وأمرهم ففطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم بأن أحمى مسامير الحديد وكل بها
أعينهم حتى ذهب ضومها وتركوا في الحرة حتى ماتوا (ذلك) أي الحد (لهم خزي) أي هو ان
وفضيحة (في الدنيا) اذا لم تحصل التوبة أمامند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة
الاستخفاف بل يكون على جهة الامتحان (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي أشد مما يكون في
الدنيا لمن لم يقب (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أي ان
ما يتعلق من تلك الاحكام بحقوق الله تعالى يسقط بعد هذه التوبة وما يتعلق منها بحقوق الآدميين
لا يسقط فهو لا يخرجون ان قتلا انساناً ثم تابوا قبل القدرة عليهم كان ولي الدم على حقه في
التصاص والنفوس الا ان يزول وجوب التصاص بسبب هذه التوبة فلا يجوز قصاصاً وان أخذوا مالا
وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا بين القتل وأخذ المال فسقط وجوب
القتل ويجوز استيفاءه ويجب ضمان المال وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه ثانياً بعد
ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب القاطع بعد القدرة فالتوبة
لا تنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعي رحمه الله ويحتمل أن يسقط كل حنبله بالتوبة لأن ما عزا
لما رجم أظهر توبته فلما عمو رجمه كروا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل أترككموه
وذلك يدل على أن التوبة تسقط عن للكف كل ما يتعلق بحق الله تعالى وهذا التفصيل انما يكون
للسلم أما ان كان القاطع كافراً سقطت عنه الحدود مطلقاً لأن توبته تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة
وبعدا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك للنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) بفعل للأمورات (وجاهدوا
في سبيله) أي في سبيل عبوديته وطريق الاخلاص في معرفته ولخدمته (لحكم تفلحون) بفعل
مرضاته وبالفوز بكراماته اعلم أن مجامع التكليف محصورة في نوعين أحدهما ترك النهيات وهو
للمشار إليه بقوله تعالى اتقوا الله واتقوا ما فيكم من الأمور وهو المشار إليه بقوله تعالى واتقوا إليه الوسيلة
والمراد بطلب الوسيلة إليه تعالى هو تحصيل مرضاته وذلك بالسعادات والطاعات ولما أمر الله تعالى بترك
ما لا ينبغي وبفعل ما ينبغي وكان الاضيق لتلك من أشق الأشياء على النفس وأشدّها فتلا على الطبع
لأن النفس لا تدعو الا إلى الشهوات والذات المحسوسة أرذف ذلك التكليف بقوله وجاهدوا في سبيله
أي بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة ثم ان من يبعد الله تعالى فريقتان منهم من يبعد الله لافترض
سوى الله وهو المشار إليه بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله ومنهم من يبعد الله للثواب وهو المشار إليه
بقوله لحكم تفلحون أي تفوزون بالهيب وبمخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا لو ان لهم) أي
لو ثبت ان لكل واحد منهم (مافي الأرض جميعاً) أي من أصناف أنموها وأساير منافعها فاقبلة (ومثله
معه ليقربوا به) أي ليحصلوا كلامها فادية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة) أي من العذاب الواقع
يومئذ (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصرع مسلم بقول القداوصور لزوم العذاب فلا سبيل لهم
إلى الخلاص منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرايت لو كان لك مل الأرض
ذهبا أكنت تقبدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أسير من ذلك فأبى (يريدون أن يخرجوا
من النار) بتحويل حال إلى حال وقيل يتمنون الخروج إذا رقبهم لعب النار إلى فوق يقصدونه
وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار ويدفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقاؤهم كافرين بعضهم
ان يخرجوا بالبناء للفضول (وما هم بخارجين منها ولم) أي الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين

عذاب عقيم والسارق قطعوا أيديهما) يريد بين هذو بين هذو مفع (جزاء ما كسا) أي جزاء فعلهما (نكالا) أي عقوبة (من الله والله عز) في اتقاه (حكيم) فيأوبى حسب من القطع (فان تاب (٢٠٣) من يظلمه الناس (وأصلح)

العمل بعد السقرة (فان)
 الله متوب عليه) أى يوه
 عليه بالرحمة (التم أن
 الله له ملك السموات
 والارض ينبغي من يشاء)
 على الذنب العجز (وفضر
 من يشاء) الذنب العظيم
 (يا أيها الرسول لا يحزنك
 الذين يسارعون في الكفر)
 اذ كنت موعود النصر
 عليهم وهم المنافقون
 وأبأن ذلك بقوله (من الذين
 قالوا آتينا بأفواههم ولم
 تؤمن قلوبهم ومن الذين
 هادوا سماعون) أى فريق
 سمعون منك ليكتبوا
 عليك فيقولون سمعنا من
 كذا وكذا لما لم سمعوا
 (سماعون لقوم آخرين لم
 يأتوك) أى هم عيون
 لأتلك التيب يقولون اليهم
 (يعرفون الحكم من بعد
 مواضعه) أى من بعد أن
 وضاع مواضعه يبنى آية
 الرجم (يقولون أن أوتيت
 هذا فضوه) يعنى يهود
 خبير وهم الذين ذكروا
 في قوله لقوم آخرين لم
 يأتوك وذلك أنهم بشوا
 إلى قرية ليستفتوا
 محمدا صلى الله عليه وسلم
 في الزنا بين المحصنين وقالوا
 (وان لم تؤتوه فاجنروا)

(عذاب مقبم) أى دائم لا ينقطع تارة بالرد وتارة بالحوارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) أى إيمانتهما من الكفر كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا أيما نهم لا تنصلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمر بقطع يميني الرسخ (جزا عما كسبا) أى أجزاء فعلهما (نكالا) أى لئلا هانوا ولم (من الله) جزاء مفصول من أجله وعمله فاقطعوا نكالا مفصول من أجله وعمله جزءا على طريقة الأحوال للتداعية كما تقول ضربت ابني تأديباً له أحساناً لله فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (واقطعوا) فى انتقامه (حكيم) فى شرعائه وتكليفه (فمن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أى سرقته (وأصلح) بأن يشوب نيته صالحه صادقة وعزيمة صحيحه مخالفة عن سابق الأغراض (فإن الله يتوب عليه) أى يقبل توبته فضلا منه وأحسانا لا وجوباً عليه (إن الله غفور رحيم) فلا يذبه فى الآخرة ولا يسقط عنه القطع بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهور وقيل يسقط بالحمد وقال الشافعي ان عقاب المستحق عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله ملك السموات والارض) والملك له أن يتصرف فى ملكه كيف شاء (يلعب من يشاء ويفعل من يشاء والله على كل شئ قدير) فيقدر على التصرف الكلي فيها وفيها فيها بحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نقصد ان للشفرة تابعة للشيئة فى حق غير التائب (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم يؤمن بقلوبهم) أى لا تبال بسراعة المنافقين فى الكفر وذلك بسبب احتياهم فى استحراج وجوه النكر فى حق المسلمين وفى معاقبتهم فى موالاته المشركين فأتى ناصرهم عليهم وكافيك شرهم وقرأ نافع يحزنك بضم الباء وكسر الزاى وقرئ يسرعون من أسرع والباء متعلقة بقالوا لا بآ فقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق عبدالله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت عبدالله بن سوريا (ومن الذين هادوا مابعون للكتب مباعون قوم آخرين لما تركوا) أى ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان مباح للكتب فى دين الله وفى وطن محمد صلى الله عليه وسلم من أحبارهم ونقله الى عوامهم ومباح الحق منك ونقله لأحبارهم ليحرفوه أى فيكفونوا وسائط بينك وبين قوم آخرين والوسائط هم يهودى بنى قريظة كعب وأصحابه والقوم الآخرون هم يهود خيرفهم لا يقرّبون مجلسه ^{عليه السلام} لبعضهم إياه وتكبرهم (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يضع قولاً الأخبار الجلد مكان الرجم والطنن فى محسبكم للده فى التوراة (يقولون) أى المحرفون وهم القوم الآخرون للسماعين لهم عند قائلهم اليهم أقوالهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (إن أنؤمن) من جهة محمد (هنا) المحرف من جلد الحصن (فخذوه) أى فاقبلوا منه (وان لم تؤثرو فاحذروا) ولا تقبلوا منه قال المفسرون ان رجالاً وامرأة من أشرف أهل خير زينا وهما عصمان وكان حدانزا فى التوراة الرجم فكرهت اليهود رجسهما لشرهما فأرسلوهما مع قوم منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكمه فى الزانين وقالوا ان أمركم بالجلد يتوسد الوجه فاقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا فلما سألو رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن سوريا فقال الرسول هل تعرفون شاباً أمرداً أبيض أعور يسكن فذكّ قاله لهم ان أفعى بالجلد فاقبلوا وإن أفعى بالرجم فلا تقبلوا فذكّ قوله ان أنؤمن هنابني الجلد فخذوه أى فاقبلوا

(ومن يرد الله فتنته) أى ضلّاه وكفره (فلن نملك له من الله شيئا) أى لن نمدد عنه عذاب الله (أولئك الذين) أى من أراد الله فتنته فهم الذين (لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أى أن يخلص نياتهم (لهم في الدنيا خزي) جهنك ستورهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو النار (سماعون للكتبى كالون للسهت) وهو الرشوة في الحكم يعنى حكم اليهود يسمعون الكذب عن يائيم مبطلا ويأخذون الرشوة منه فياً كلونها (فان جابوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) خير الله نبيه في الحكم بين أهل الكتاب اذا نحا كوا اليه ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله الآية (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) عجب الله نبيه من تحكيم اليهود اياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم الزانى وحده وقوله (فيها حكم الله) يعنى بالرجم (ثم يقولون من بعد ذلك) التحكيم فلا يقاؤون حكمك بالرجم (وما أولئك) الذين يعرضون عن الرجيم (بالؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى

ابن صوريا قالوا نعم فقال هوأى رجل فيكم فقالوا هوأى يهودى على وجه الأرض على التوراة فقال فأرساوا اليه فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى خلق البحر لموسى ورفع قوسك في الطور وأجباكم وأغرق آل فرعون والنبي أنزل عليكم كتابه وحلّاه وحرّاه هل تجدون فيه الرجيم على من أحسن قال ابن صوريا نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن يكذب أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن أشياء كان يعرفها من علاماته فأجابه عنها فقال ابن صوريا بأشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله النبي الأمي العربي الذى بشر به للرسولون ثم أمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) أى ضلّاه وكفره (فلن نملك) أى تستطيع (له من الله شيئا) على دفنهما (أولئك) أى اليهود وللنافقون (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهما كهم فيها (لهم في الدنيا خزي) أى ذل بالقضيحة للنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين اياهم والجزية والافتخار لليهود بظهور كذبهم في كتاب التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود في النار (سماعون للكذب) الذى كانوا ينسبونه الى التوراة (أكالون للسهت) أى الحرام الذى يصل اليهم من الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب القمل وكسب المحجام وعن الكلب وعن الخروغن المينة وحلوان الكاهن والاستنجار في اللصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي هريرة ومجاهد (فان جابوك) متحاذين اليك فبا شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم) أو أعرض عنهم) ومنهب النافى أنه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل التهمة اذا نحا كوا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم ذلّام فأما للماهدين الذين لم هم المسلمين عهدا لمدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يخير في ذلك وهذا التحخير الذى في هذه الآية مخصوص بالماهدين ولو ترفع البنا ذميان في شرب خمر لم نعدهما وانرضيا بحكمنا لأنهما لا يستقدان تحريما ولو ترفع البنا مسلم وذمى وجب الحكم بينهما اجماعا وكذا النجى مع الماهدين (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاكون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضهم وصاروا أعداء له فلا تضر عدائهم له فان الله يصمه من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمرت به (ان الله يحب القسطين) أى يثيب العادلين في الحكم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) ثم يقولون من بعد ذلك) استفهام تعجب من الله لنبيه من تحكيمهم اياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذى يدعون الايمان بموتنيبه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هوأون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم والوافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يقولون معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا يك ولا يعمتقدين في محبة حكمك وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشئ وأن مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف

(نور) أي بيان للتوحيد والنسبة للمعاد (يحكم بها) أي التوراة (التيون الذين أسلموا) أي اتقادوا لحكم التوراة فإن من الأنبياء من لم تكن شريعته شرعية التوراة والذين كانوا متقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبشع موسى إلى مبشع عيسى عليهما السلام بينهما آتيتني ولكم بشوا بقائمة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بأمرها ويحاولوا حلها ويحرموا حرماها وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقادة والسدي يحتمل أن يكون الرادب النبيين الذين أسلموا هو سيدنا محمد عليه السلام لأنه حكم على اليهوديين بالرجم وكان هذا حكم التوراة وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيها ولأنه لا يحتاج جمع فيه من خصال الجحيم كان حاصله أكثر الأنبياء وقال ابن الأنباري هذا رد على اليهود والنصارى لأن بعضهم كانوا يقولون الأنبياء كلهم يهودا ونصارى فرداه عليهم بذلك أي فإن الأنبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أي متقادين لتكاليف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود للتأخيرين فإن فرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أنها خالصة واستنباط العوام وتقريرهم بأنهم يهودا عن الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام (الذين هادوا) متعلق بيحكم أي يحكمون بها فإياهم يهود (والرانيون والأخبار) أي ويحكم بها العلماء المجتهدون الذين استدلوا عن الدنيا وسائر العلماء من أئمة هرون الذين التزموا طريقة النبيين (بما استفظوا) أي بسبب الذي استفظوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فإن الأنبياء سألوا الرانيين والأخبار أن يحفظوا التوراة من التغير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلافهم في إجراء أحكامهم من غير اختلال بشيء منها (وكانوا عليه) أي ذلك الكتاب (شهداء) أي كان هؤلاء النبيون والرانيون والأخبار شهداء على أن كل ما في التوراة حتى وصق وأنه من عند الله حقيقة كانوا يضمنون أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلتخشوا الناس) أيها اليهود (واخشوني) أي إياكم وأن تحرفوا كتابي الخوف من الناس والملك والأشراف فتسقطوا عنهم الجود والواجبة عليهم وتستخرجوا الخيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا خائفين من الناس بل كونوا خائفين مني ومن عقابي في كتاب الأحكام ونصوت محمد عليه السلام (ولا تشدوا بأيديكم قليلا) أي ولا تستبدلوا بأيدي في التوراة عرضا قليلا من الدنيا أي كما تريدكم من تغيير أحكامي لأجل الخوف فكذلك أنا كما عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الشاة فإن كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يبين ما بين الله في التوراة من نص محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم يحكم بما أنزل الله منكراه بقلبه وبجسده لسانه فقد كفر ما لم يعرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه ذلك إلا أنه حكم بضده فهو ظالم فاسق تركه حكم الله تعالى (وصكبتنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني إسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفقودة (بالعين والأف) مجذوع (بالأنف والأذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقموعة (بالسن والجروح خصاص) أي ذات خصاص إذا كانت بحيث تعرف للساوة كالشفتين والذكر والأنثيين والقدمين واليدين فأما ما لا يمكن التخصيص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف ففيه أرض وحكومة قرأ السكائي العين والأف والأذن والسن والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن عامر أبو عمرو بنصب غير الجروح فأنه بالرفع وقرأ نافع وعلمهم وحمة بنصب الكل وخبر الجميع فخصاص (فمن صدق به) أي بالخصاص من المستحقين (فهو) أي التصديق (كفارة) أي للتصدق بكفر الله تعالى بها

بيان الحكم التي جاء ذلك
يستفتونك فيه (ونور)
أي بيان أن أمر الله حق
(يحكم بها النبيون)
من لدن موسى إلى عيسى
وهم (الذين أسلموا) أي
اتقادوا لحكم التوراة
(الذين هادوا) أي تابوا من
الكفر وهم بنو إسرائيل
إلى زمن عيسى (والرانيون)
العلماء والأخبار (الفقهاء
بما استفظوا) استرعوا
(من كتاب الله) وكانوا
عليه شهداء أنه من عند
الله ثم خاطب اليهود فقال
(فلتخشوا الناس) في
أظهار صفة محمد عليه السلام
والرجم (واخشوني) في
كتاب ذلك (ولا تشدوا
بأيديكم) أي بأحكامي
وفرأضي (مننا قليلا)
يريد متاع الدنيا

(ومن لم يحكم بما أنزل الله
الاسلام منها ومن الآتين
الذين بعدهم) (وكتبنا
عليهم فيها) وقرضنا عليهم
في التوراة (أن النفس)
تقتل (بالنفس والعين
بالعين) الآية كل شخص
جرى القصاص بينهما في
النفس جرى القصاص
بينهما في جميع الأعضاء
والأطراف إذا تماثل في
السلامة وقوله (والجروح
قصاص) في كل ما يمكن
أن يقتص فيه مثل الشفتين
والفكر والأنبين
والأيتيين والقدمين واليدين
وهذا تمام بعد التفصيل
بقوله والعين بالعين والأنف
بالأنف (فمن صدق بفحوه
كفارة) أي من عفا وترك
القصاص فهو مغفرة له عند
الله وثواب عظيم (وقفينا
على آثرهم) أي جعلناه
يقفوا آثار التبيين يعني
بشأن بلهم على أثرهم
(مصنفا لما بين يديه
من التوراة) يصدق
أحكامها ويدعو إليها
(وآتيناه الانجيل) إلى
قوله (وهدي وموعظة)
معناه وهاديا وواعظا
(وليحكم أهل الانجيل) أي
قلنا لهم لتحكموا بهذا
الكتاب في ذلك الوقت
(وآزلنا إليك الكتاب
بالحق مصنفا لما بين يديه
من الكتاب ومبيناعليه)

ذنبه أي إذا عفا المجرم أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعاني كما قال ﷺ أي عجز أحكم
أن يكون كأي مضمم كان إذا خرج من بينه تصدق بعرضه على الناس وروى عبادة بن الصامت
أن رسول الله ﷺ قال من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنبه
وقيل إن المجني عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما زعمه فلا يؤخذ منه
تعالى بذلك العفو وأما المجني عليه الذي عفا فأجره على الله تعالى ثم القاتل يتصدق بثلاثة حقوق حق لله
تعالى وحق للمقتول وحق للولي فإذا سلم القاتل نفسه طوعا واختيارا إلى الولي ندما على ما فعل خوفا من الله
تعالى وتوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح والعفو وبقي حق
للمقتول يمضيه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب ويصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختيارا
من غير ندم وتوبة أولم يمكن من نفسه بل قتل كره فيسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لأنه
لا يسقطه إلا بالتوبة ويبقى حق للمقتول أيضا ويطلبه في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تابا ولم يصل
منه للمقتول شيء (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالتقصير في حق النفس لبقاء
النفس في العقاب الشديد والذين يترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لانكار نعمة الله تعالى وجعلها
(وقفينا على آثرهم) أي أبقينا على آثار التبيين الذين يحكمون بالتوراة (يعني ابن مريم مصدقا
لما بين يديه) أي لما قبل عيسى عما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقا للتوراة
أنه أقر بأنه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقر بأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود النسخ
(وآتيناه الانجيل فيه هدى) لاشتراكه على الدلائل الباطنة على التوحيد والتزكية وبرادة الله تعالى
عن الزوجة والولد وللثل والثمن وعلى التوبة وعلى العمد (ونور) لأنه بيان للأحكام الشرعية
وتفصيل التكليف (ومصنفا لما بين يديه) أي لما قبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنصب
مطوف على محل فيه هدى وهو المنصب على الحال أي موافقا لما في التوراة من أصول الدين ومن بعض
الشرائع ومن كون الانجيل مبشرا بمحمد ﷺ (وهدي) لاشتراكه على البشارة بمحمد
صلى الله عليه وسلم فهو سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد ﷺ فهذه للسئلة أشد المسائل احتياجا
إلى البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها لكثرة اللتازعة بين المسلمين واليهود والنصارى في ذلك
(وموعظة للتقنين) لاشتراكه على النصاب والواجب وانما خص للموعظة بالمؤمنين لأنهم الذين يتفنون
بها (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الباطنة على نبوة محمد ﷺ ومن الأحكام
التي لم تنسخ بأقرآن فإن الحكم بالأحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له اذ هو
شاهد بنسخها لأن شهادته صالحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرآن حجة وليحكم بكسر
اللام ونصب الفعل بأن مضرة بسلامته وهو متعلق بمقدري وآتيناه الانجيل ليحكموا به وقرأ
الباقون وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بلام الأسم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)
أي الخارجون عن الإيمان إن كان مستهينا به وعن طاعة الله إن كان لا اتباع الشهوات (وآزلنا إليك
الكتاب) أي القرآن (الحق) أي ملتبسا بالصدق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من
الكتاب أو من فاعل آزلنا أو من الكافي إليك (مصنفا لما بين يديه) أي لما تقدمه (من الكتاب)
أي من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومبيناعليه) أي شاهدا على الكتب كلها لأن
القرآن هو الذي لا ينسخ ولا يتبدل ولا يتغير والتحرير واذ كان كذلك كانت شهادة القرآن
على سائر الكتب بالصلح باقية وقرأ ابن عيسى ومجاهد ميمنا مفتتح للام الثانية فإن القرآن يسان عن

(ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) يقول لاتبهم عما عندك من الحق فتذكره وتبهم (لكل جنتنا منكم) من أمة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام (شرعة ومنهاجا) أي سبيلا وسنة فالتوراة شرعة والانجيل شرعة والقرآن شرعة (ولو شاء الله لحطكم أمة واحدة) على أمر واحد أي أمة الاسلام (ولكن ليلكم) أي ليخبركم (فما آتاكم) أي أعطاكم من الكتاب والسنة (فاستبقوا الحيات) أي سارعوا إلى الأعمال الصالحة (إلى الله مرجعكم جميعا) أي أتم وأهل الكتاب (فيتنكب من الذين والفراسخ والسفن يعني أن الأمر سيؤول إلى ما زول معه الشكوك بما يحصل من اليقين (واحرهم أن يقتنك) أي يستلوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أي يستلوك عن الحق إلى أهوائهم زلت حين قال رؤساء اليهود بعضهم لبعض اطلقوا بنا إلى محمد لعلنا نقبضه ونرده عما هو عليه فأنوه وقالوا له قد علمت أننا ابن ابتعناك ابتعك الناس ولنا خصومة فافض لنا على خصومنا

التحريف والتبديل والحافظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أي بين جميع أهل الكتاب إذا تراضوا إليك (بما أنزل الله) فان ما أنزل الله إليك وهو القرآن مشتمل على جميع الأحكام الشرعية (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متعلقة بالاتباع على تضمنين معنى تزجرح ونحوه أي لا تتحرف عما جاءك من الحق متبها أهواءهم (لكل جنتنا منكم شرعة ومنهاجا) أي لكل واحد من الأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جنتنا منكم أي أمة الإسلام شرعة وهي العبادة التي أمر الله بها عباده ومنهاجا أي طر يقا واضعا يذري إلى الشرعة فالتوراة شرعة لامة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى والانجيل شرعة من مبعث عيسى إلى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شرعة للوجودين من سائر الخلوقات فزمنه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ليس الا والدين واحد وهو التوحيد (ولو شاء الله لحطكم أمة واحدة) أي جماعة متفقة على شرعة واحدة في جميع الأعصار من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل واللفي لحطكم ذوى أمة واحدة أي دين واحد (ولكن ليلكم) أي آتاكم أي ولكن لم يشأ الله أن يحطكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيها أعطاكم من الشرائع المختلفة للناسبة للازمة والجامعة هل تعملون بها متقدين أم لا معتقدين أن اختلافها مبنى على الحكم اللطيفة وللصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتقصرون في العمل (فاستبقوا الحيات) أي إذا كان الأمر كذا كفسارعوا بأمة محمد إلى ما هو خير لكم في الدارين وابتدروا ابتهازا للفرصة وحيازة للفضل سبق (إلى الله مرجعكم جميعا) فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون (في الدنيا من أمر الدين أي فيخبركم بما كنتم فيه من الجزاء الفاصل بين الحق والميلط واللوفي والقصير في العمل فان الأمر سوف يرجع إلى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن بإحسانه والسيء بإساءته (وأن احكم بينهم) أي بين أهل الكتاب إذا تراضوا إليك (بما أنزل الله) وهذه الجملة مطبوعة على الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم بينهم وذ كرنا زال الحكم لنا كيوجب امتثال الأمر أو على قوله بالحق أي أنزلنا إليك الكتاب بالحق وبالحكم وذ كرنا زال الأمر بالحكم بعد الأمر الصريح به تأكيد لا مبر وتقر يش لما بعده ولأن الآيتين حكان أمر الله بهما جميعا لانهم احكموا اليصل الله عليه وسلم في زنا المحسن ثم احكموا في قتلين كان فيهم (ولا تتبع أهواءهم) في عدم قتل الشريف وعدم قتل الرجل بالراء (واحرهم أن يقتنك) أي يميلوك (عن بعض ما أنزل الله إليك) ويردوك إلى أهوائهم وكان بنوا النضير إذا قتلوا من قريظة أدوا إليهم نصف البية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم البية كاملة يقولون النفس بالنفس ويقاؤون العيين بالعين فغير واحكم الله الذي أنزل في التوراة عا فلهم يخالفون قال ابن عباس ان كتب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاش بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نقبضه أي نصر فمعن دينه فأتوا صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد عرفت أننا احبنا اليهود وأنا ان ابتعناك ابتعنا اليهود ذكهم وأن يبنناو بين قومنا خصومة فنتنحك بك اليك فاقض لنا عليهم تؤمن بك فأتى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى أن يقتنك بدل اشغال من للفعول أي وأحضرهم فنتنهم أوضاع اليعملون من أجله أي أحضرهم خفاة أن يقتنك أي يصرفوك عن الحق ويلقوك في الباطل (فان تولوا) أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أعمار يدا الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي أن يتلهم بجزء بعض

إذا تحاكتا اليك ونحن تؤمن بك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية (فان تولوا فاعلم أعمار يدا الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فان أعرضوا عن الإيمان أو الحكم بالقرآن فاعلم أن ذلك من أجل أن اقدر يدا الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم

ذلك (فسي الله أن يأتي بالفتح) رسول الله على أعدائه وللمسلمين على أعدائهم باظهار الدين (أو أمر من عنده) يقطع أصل اليهود أو باخراجهم من بلادهم وعسى بمنزلة الوعدوه من الله تعالى واجب (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادين) أي يصير هؤلاء المنافقون ناديين على ما حدثوا به أنفسهم من أن الدولة أي القبلية لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم كانوا يشكون في أمر الرسول ويقولون لا نظن أنه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأتهم مع حمزة وقال الكسائي بالرفع مع اثبات الواو كافي مصاحف أهل العراق على الاستئناف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالرفع مع حذف الواو كافي مصاحف أهل الحجاز والشام على أن الجملة مستأنفة استئنافاً بياني في جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فسي الله أن يأتي بالفتح كأن القاتل يقول فإذا يقول المؤمنون حينئذ فيقول يقول الذين آمنوا الخ وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفاً على يصبحوا الأعلى يأتي لأن ذلك القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور دامة للمنافقين لا عند إتيان الفتح فقط والفقير يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانكسار رجائهم ثم يثابوا بالمخاطبين (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية أيمانهم (أثم لم يحكم) بالمعونة فإن المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة كما حكي الله تعالى عنهم بقوله وإن قولكم لننصرنكم أو لمشي يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين إلى المنافقين متعجبين من حالهم متعجبين بآمن الله عليهم من إخلاص الأيمان عند مشاهدتهم لاظهارهم الليل إلى مولادة اليهود والنصارى إيمانهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم معنى في ديتنا في السر ومن أنصارنا فالآن كينصاروا موالين لأعدائنا عجبين للاختلاط بهم والاعتقاد بهم وهذا أنسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستئناف أما للمشي الأول فهو أنسب لقراءة النصب وقرأ الرفع مع حذف الواو وقرأ الرفع مع الواو يحمل عطف جملة على جملة والله أعلم (حبطت أعمالهم) أي بطل ما ظهروه من الإيمان وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا مولادة اليهود والنصارى (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا من وند منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر ونافع يرتد بدالين من غير ادغام وهذا من الكسائيات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى أنهارند عن الإسلام إحدى عشرة مرة ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدلج وريثهم ذو الحارث ولقب بالأسود كان له حمار يقول له فقف فقف وسر فيسر وكانت نساء أصحابه ينظرون برون حمار موكان كاهنا ادعى النبوة فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات المؤمنين وأمرهم بالنهوض إلى حراب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه والثانية بنو حنيفة بالجملة وريثهم مسيلة الكذاب ادعى النبوة في حياض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نوى بعض أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد وحشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه والثالثة بنو أسد وريثهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فقتل أبو بكر خالد بن فزيهزم وأقلت طليحة فهرب نحو الشام ثم أسلم أيام عمرو وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر الأولى فرارة قوم عينة بن حصن والثانية غطفان قوم مرة بن سلمة القشيري والثالثة بنو سليم قوم الفجدة بن عبد ياليل والرابعة بنو ربيعة قوم مالك بن نويرة والخامسة بعض عجم قوم جليح بقتل النروهي ادعى النبوة وزوجت نفسها لمسيلمة الكذاب السادسة كندة قوم الاشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد فكفني الله أمرهم على بدائي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد حمزة روى غسان قوم جبلة بن الهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمرو كان يطوف فوطي

(فسي الله أن يأتي بالفتح)
أي يفتح لحمد على جميع
من خلفه (أو أمر من
عنده) أي بقتل المنافقين
وهناك سترهم فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم)
يعني أهل النفاق على
ما أسمروا من ولاية
اليهود ودس الأخبار اليهم
(نادين) ويقول الذين
آمنوا) للمؤمنون إذا هتك
الله ستر المنافقين (أهؤلاء)
يعنون للمنافقين (الذين
أقسموا بالله جهد أيمانهم)
أي حلفوا بأغلظ الإيمان
(أثم لم يحكم) أي إيمانهم مؤمنون
وأعوانكم على من خلفكم
(حبطت أعمالهم) أي
بطل كل خير عملوه بكفرهم
(فأصبحوا خاسرين)
أي صاروا إلى النار وورث
المؤمنون منازلهم في الجنة
(يا أيها الذين آمنوا من
يرتد منكم عن دينه) علم
الله تعالى أن قوماً يرجعون
عن الإسلام بعد موت
نبيهم صلى الله عليه وسلم
فاخبر أنه سيأتي قوم
يحبهم ويحبونهم أبو بكر
رضي الله عنه وأصحابه
الذين قاتلوا أهل الردة

فريسته (بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) كل المنافقين الذين كانوا يوافقون الكافرين ويخافون لومهم في نصرته الدين (ذلك فضل الله) أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدهم على الكافرين تفضل من الله عليهم (أنا وليكم الله برسوله) نزلنا هجر اليهود من أسلم منهم فقال عبد الله بن سالم يارسول الله ان قومنا هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وقوله (وهما ككون) يعني صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله) أي يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله وللمؤمنين (فان حزب الله) أي جند الله وأنصار دينه (هم الغالبون) أي غلبوا اليهود فأجلوهم من ديارهم وبقي هيد الله بن سالم وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الآية نزلت فرجال كانوا يوادون منافقي اليهود ومعنى قوله (الذين اتخذوا دينكم هزا ولعبا) أي اظهارهم ذلك باللسان واستبطلتهم الكفر تلاعبا واستهزاء (والكفار) يعني مشركي العرب وكفار مكة

رجل طرف رداءه فغضب فلطمه فاشتكى الرجل الى عمر ف قضى له بالقصاص عليه الآن يفوقه فقال أنا أشترها بالنصف فأبى الرجل فلم يزل يزد في القداء الى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل الا القصاص فاستنظر عمر فأظفر ففرب جبله الى الروم وتوالت الراد بقوم يحبه ويحبه كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لآتهم الذين قالوا أهل الردة ومعنى يحبه أي يلمهم الطاعة ويثيبهم عليها ومعنى يحبه أي يلعنهم لأوامره تعالى ونواهي (أذلة على للمؤمنين) أي طافين عليهم (أعزة على الكافرين) أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم أرحم أمي فأمني أبو بكر وكان أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلزمه ويغذمه ولا يبالي بأحد من جابرة الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافة كان يبعث العسكر الى الردين والى ما بني الزكاة حتى انهمزوا وجعل الله ذلك مبدءا لدولة الاسلام (بجاهدون في سبيل الله) أي لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة لائم) قالوا للحال أي بخلاف المنافقين فانهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فمن كان قويا في الدين فلا يخاف في نصرته دين الله بيده لسانه لومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلى الأنحط أي بكر في الجهاد ثم لأن مجاهد أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الاسلام في غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان مجاهد الكفار ويذب عن رسول الله غاية وسعه وأما على فإنه كان جهاد في بدر وأحدي في ذلك الوقت كان الاسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي وحين تلقى على على جهاد علي في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام (ذلك) أي وصف القوم بالحبوة والشفقة والقوة والمجاهدة واتقاء خوف اللومة الواحدة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) أي كامل القدرة فلا يعجز عن هذا للوعود (عليه) أي كامل العلم فيمتنع دخوله خلق في أخباره ومواعيده (أما وليكم الله) أي أما ناصركم ومؤنسكم الله (ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهما ككون) أي منقادون لجميع أوامره ونواهي قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة ابن الصامت حين تراءى من موالاة اليهود وقال أنا براءى الى الله من حلف قرظة والتضير وأتولى الله ورسوله وللمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا قرظة والتضير فجهجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا ولا نستطيع بحالنا أصحابك لبعد النازل فنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء والراد بالمؤمنين للذكورين عامة للمؤمنين وللراد يذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين وقيل للراد أبو بكر وقيل علي لما روى أن عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الآية قلت يارسول الله أنا رأيت عليا تصدق بخاتم علي محتاج وهو راجع فخنن تولاه (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) أي ومن يتخذه أولياء في النصرته فانهم جند الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانها مستمرة أبدا أما بالصلوة والبيعة فقد ينفلون (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزا) أي سخرقه (ولعبا) أي ضحكة (من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود والنصارى (والكفار) أي المشركين كعبدة الأوثان (أولياء) أي في اللون وللغنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزا وسخره فلا تتخذوهم أحمبا وأنصارا فان ذلك كالأمر الخارج عن العقل وللرومة * روى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اطهرا الإيمان ثم نافقوا وكان رجال من المسلمين يوادونهم فأقر الله تعالى فيهم هذه الآية فقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجر ويضده

(واقوا الله) فلا تغفلوا منهم أولياء (ان كنتم مؤمنين) يوعدهم وعيده (واذا ناديتهم الى الصلاة) أي دعوتهم الناس اليها بالأذان (اتخذوها هزوا ولعبا) أي تضحكوا فيما بينهم وتمازوا على (٣١١) طريق السخف والمجون تجهلا لأهلها (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)

قراءة تأتي ومن الكفار وقراءة عبدالله ومن الذين أشركوا فهم من جملة المستهزين أيضا بخلاف قراءة الباقيين بالنصب فلا يفيد أنهم منهم وإنما يستفاد ذلك من آية أخرى (واقوا الله) في موالاهم (ان كنتم مؤمنين) أي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء بلا شك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا هم الذين (إذا ناديتهم الى الصلاة) بالأذان والأقامة (اتخذوها) أي الصلاة والتناداة (هزوا ولعبا) أي إنما اعتدوا أنه ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا أنها لمبر وى الطيراني أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع للؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال أحرق الله الكتاب فدخل خداه ذات ليلة بنار وأهله نيام فظاير شر رمق البيت فأحرقه وأهله وقيل كان للنافقون من اليهود يتضحكون عند القيام الى الصلاة بتغيير الناس عنها وقيل ان الكفار والنافقين كانوا اذا سمعوا الأذان دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع مثله فيما مضى فان كنت تبني فقد خالفت الأنبياء قبلك فن أن لك صليح كصليح العبر فأصبح هذا الصوت وهذا الأمل فأنزل الله ومن أحسن قولاً من دعائهم الله الآية وأنزل واذا ناديتهم الى الصلاة الآتية دلته هذه الآية على ثبوت الأذان بنص الكتاب العزيز لا يتم الصحة وحده وجملة واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب صلة ثانية للوصول المجرور من البيان في الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أتوا وان قوله اذا ناديتهم ظرفه كأنه قيل ومن الذين اتخذوها هزوا ولعبا وقت أذانكم والله أعلم (ذلك) أي الاستهزاء المذكور (بأنهم قوم لا يفقهون) أي لو كان لهم عقل كامل لمعروا أن خدمة الخلق للتم نبأه لا تعظيم لا تكون معزوا بها فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأرفع السمكات الصيام (قل) يا أشرف الخلق اليهود (يا أهل الكتاب هل تقومون منالاً أن آمننا بالله) أي ما تذكرون من أحوالنا الا لايمان بالله (وما أنزل النيا) أي بالقرآن (وما أنزل من قبل) أي بما أنزل من قبل أنزل القرآن من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وأن) أكثركم فاسقون وقرأ الجمهور ان يفتح الهمزة أي وما تذكرون من أوصافنا الا لايماننا بما ذكر واعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدق به بلا شك وقرأ نعيم بن ميسرة ان بالكسر على الاستتاف (قل هل أنبئكم بشئ من ذلك) أي بما قلتم لحمد وأصحابه وروى أنه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم يؤمن بالله وما أنزل النيا إلى قوله ونحن لهم مسلمون فحين سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا الانتم شر من دينكم فزلت هذه الآية أي هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شر (مثوبة) أي عقوبة (عند الله) فتوبة تميل لشر بمعنى عقوبة لظهوركم (من لعنه الله) فمن موصولة يدل من شر أي من أبهده الله من رحمته (وغضب عليه) أي سخط عليهم بأنهم لم يستنوح البيئات (وجعل منهم القردة) فز من داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (واختار) فز من عيسى عليه السلام بعد كلهم من المائدة فكفروا وروى أيضاً أن السبعين كانا في أصحاب السبت لأن شباتهم مسخو القردة ومشايخهم مسخو الخنازير (وعبد الطاغوت) أي من أطلع أحدا في معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كفرادة

من المسلمين الذين طعنهم عليهم (مثوبة) أي جزاء موتوا (عند الله من لعنه الله) أي هو من لعنه الله أي يهده عن رحمته (وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) يعني أصحاب السبت (وعبد الطاغوت) نسق على من لعنه الله وللحنى من لعنه الله وعبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيا سؤل له من لأمره

زلت هذه الآية عير
للسلمون اليهود وقالوا
يا اخوان القردة والخنازير
فسكنوا واقتضخوا (واذا
جاؤكم) يعنى منافق اليهود
(قالوا) آمنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا
(به) أى دخلوا وخرجوا
كافرين والكفر معهم
كفى حالتيهم (وترى كثيرا
منهم يسارعون في الائم
والمدون) يجترون على
الحط والظلم ويبدرون
اليه (وأكلهم السحت)
يعنى ما كانوا يأخذونه
من الرشى على كيان الحق
ثم ذم فعلهم بقوله (لبس
ما كانوا يعملون لولا)
(ينهاهم) أى عن قبيح
فعلهم (الزبانيون والأخبار)
أى علمائهم وفقهائهم
(لبس ما كانوا يصنعون)
أى حين تركوا التكبر
عليهم (وقالت اليهود يبدأ
مناولة) أى مقبوضة عن
العطاء واسباغ التعمية
علينا قالوا هذا حين كف
الله عنهم بكفرهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم ما كانوا
يجدونه من الحسب والتعمية
فقالوا لعنهم الله على جهة
الوصف بالبخيل يد الله
مناولة وقوله (غلت أيديهم)
أى جعلوا بخلاء وألزموا
البخيل فهم أبخل قوم
(ولمنا بما قالوا) أى عذبوا في الدنيا بالجزع وفي الآخرة بالنار وقوله

أى وعبدوا الطاغوت كما أفصح عن ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكفراء الأعش
والنخعي وعبدمينا للفعل وكذا على قراءة عبد بفتح العين وضم الباء على وزن كرم أى صار
الطاغوت معبودا من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين فالراجع الى الوصول
مخوف فيها أى عبد الطاغوت فيهم أو بينهم قرأ حمزة وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب
البال وجر الطاغوت وهو مفرد يراد بالكثرة أى بالغ النافق طاعة الشيطان وهو مطوف على
القردة كقراءة عابد الطاغوت وعابدى وعبادة وعبيد وعبد بضمين وعبد بوزن كفرة وعبد
بفتحين جمع عابد كمنهم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد مطلقا على من بناء على أنه مجرور
على أنه بدل من شر والسبعة اثنتان أولا هما عبد الطاغوت على أن عبد فعل ماض مبني للفاعل وفيه
ضمير عائذ على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما قراءه وغيرها قرأت شاذة (أولئك) للعوالمون
للمسوخون (شركنا) من المؤمنين لأن مكاتهم سقر ولما كان أشد نفرا منا والنفى أولئك للعوالمون
المنسوب عليهم الجحولا منهم القردة والخنازير العابدون الطاغوت شركنا من غيرهم من الكفرة
الذين لم يجمعوا بين هذه الحاصل التسمية (وأضل عن سواء السبيل) أى أكثرهم ضلالا عن
الطريق للستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية عير للسلمون أهل الكتاب وقالوا يا اخوان
القردة والخنازير فينكسون رءوسهم (واذا جاؤكم) قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
زلت هذه الآية في نفس من اليهود كانوا يبدلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون له
الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك ملتبيين بالكفر كما دخلوا ملتقي
بقلوبهم شيء ما سمعوا منك من نصائحك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من
هذا التناق للباطنة فنفى في قلوبهم من الجد في السكر بالمسلمين والداوتلم (وترى كثيرا منهم) أى
اليهود (يسارعون في الائم) أى الكتب وكثرة الشرك (والمدون) أى الظلم على الناس (وأكلهم
السحت) أى الحرام كالرشا (لبس ما كانوا يعملون) أى لبس شيئا كانوا يعملونه علمهم هذا
(لولا) أى هلا (ينهاهم) الزبانيون (أى العباد والأخبار) أى العلماء (عن قولهم الاثموا) كلهم السحت
مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبس ما كانوا يصنعون) أى لبس شيئا كانوا
يصنعونه تركهم للنهي عن ذلك والصنع أقوى من العمل لأن العمل إنما يسبى صناعة أذا صار راسخا
فجعل جرم العاملين ذنباً غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنباً راسخا ولذلك ذم هذا
خواصهم ولأن ترك الانكار على العصية أقبح من موافقة العصية لأن النفس تلتذ بها لأنها مرض
الرفح وهو صعب شديد لا يكاد يزول ولا كذلك ترك الانكار عليها فيدخل في هذا التمكك من كان
قادر اعلى النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه
الآية أشد آية في القرآن وقال الضحاك الثماني القرآن يأخذ خوف عدى منها والله أعلم (وقالت اليهود) قال
ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قيد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما بئ
الله محمدنا وكذبوا به ضيق الله عليهم لعنة فند ذلك قال فتخاص بن عازروا وأخرج الطبراني
عن ابن عباس أنه قال النبأ بن قيس (يد الله مناولة) أى مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة
بالبخيل (غلت أيديهم ولمنا بما قالوا) وهذه الكلمات دعاء عليهم والمعنى أنه تعالى يعلم أن
ندعو عليهم بهذا البداء كما علمنا الاستثناء في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام من شاء الله آمين
وكأعلمنا البداء على المنافقين في قوله تعالى فزادهم الله مرضا على أى لبس في قوله تعالى تبدا أبى

كقولهم لبيك وسعديك
وقيل نعمته أي نعمة الدنيا
ونعمة الآخرة مبسوطتان
(ينفق كيف يشاء) أي
يرزق كما يريد ان شاء قدر
وان شاء وسع (وليز بدن
كثيرانهم ما أزل اليك
من بك طغيانا وكفرا)
أي كلما أزل عليك شيء
من القرآن كفروا به
فيزيد كفرهم (وألقينا
بينهم العداوة والبغضاء)
أي بين طوائف اليهود
جعلهم الله تخلفين متباغضين
كما قال تخصمهم جميعا
وقلوبهم شتى (كلما
أودنا نار الحرب أطفالها
الله) أي كلما أرادوا عاربتك
ردهم الله وأزيمهم الحوق
(ويسعون في الأرض
فسادا) أي يجتهدون في
دفع الاسلام ومحو ذكر
النبي ﷺ من كتبهم
(ولأن أهل الكتاب
آمنوا) أي بمحمد ﷺ
(وآمنوا) اليهودية
والنصرانية (لكن كفروا
عنهم سيئاتهم) أي كل ما
صنعوا قبل أن تأتيهم (ولو
أنهم أقاموا التوراة
والإنجيل) أي عملوا بما
فيهما من الصديق بك
(وما أزل اليهم) من كتب
أنبيائهم (لأكلوا من
فوقهم ومن تحت أرجلهم)

لحب فحينئذ يكون العنى دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله تعالى وبخل الأيدي
حقيقة بأن ينالوا في الدنيا أسارى وتشد أيديهم إلى أعناقهم في نار جهنم ويسحبوا إلى النار بأغلالها
وقوله ولعنوا بما قالوا أي عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار بسبب قولهم ذلك (بل يدها
مبسوطتان) عطف على مقدر أي ليس الأمر على ما وصفتهم تعالى به من البخل بل هو تعالى جواد
كرم على سبيل السكال فإن من أعطى يسديه من الإنسان فقد أعطى على أكل الوجوه فتعني اليد
مبالغة في الوصف بالجود أيضا ان المراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة فالنبي ان نعمة الله متناهية ليست
كما ادعى من أنها مقبوضة متعنة وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على
اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدرجا فقبل نعمته تعالى نعمة الدين ونعمة الدنيا أو نعمة الباطن
ونعمة الظاهر أو نعمة الشفع ونعمة الدفع أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (ينفق كيف يشاء) أي يرزق
خلقه كائنا على أي حال يشاء ان شاء قدر وان شاء وسع (وليز بدن كثيرانهم ما أزل اليك من ريك
طغيانا وكفرا) أي والله ليز بدن القرآن علماء اليهود غلوا في الانكار وشدة الكفر فزالوا
زالت آية كفروا بها كما ان الطعام الصالح للأصحاء يز يد المرضي مرضا (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء
اليوم القيامة) فكل فرقة من اليهود تخالف الأخرى فلا يكاد توافق قلوبهم ولا تطابق أقوالهم فان
اليهود فرق فان بعضهم جبرية وبعضهم قنرية وبعضهم مرجئة وبعضهم شبيهة وكذا النصرى
فرق كاللكنانية والنسطورية واليعقوبية والمرادانية (كلما أودنا نار الحرب أطفالها الله)
أي كلما هو بمحاربة أحد رجوا خاتين متهورين وقد أنهم الاسلام وهم في ملك الجوس فاتهم
لما خالفوا حكم التوراة فسلط الله عليهم فخنصروا فأسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أسدوا
فسلط الله عليهم الجوس ثم أسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وكلما أرادوا محاربه التي ﷺ
ورتبوا أسبابها وركبوا في ذلك مغن كل صب ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم اتساقهم
(ويسعون في الأرض فسادا) أي ويجتهدون في الكيد للاسلام وأهله وأئمة الفتنة بينهم وفي
توقي الناس عن محمد ﷺ (واحق لا يجب للفسدين) أي والله يعاقب للفسدين في الأرض
كاليهود وضيرهم (ولأن أهل الكتاب) أي أن اليهود والنصرى (آمنوا) بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبما جاء به (وأنفقوا) مخالفة كتبهم (لكن كفروا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنت
النعم) فالكتابي لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسل والاسلام يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامها وحدودها (وما أزل اليهم من ريم) من الكتب
ككتاب شعيا وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب ارميا وزبور داود لأنهم مكفرون بالإيمان
بجميعها فكلما أزلت اليهم وأيضا في هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد
بقائمة هذه الكتب الإيمان بمحمد ﷺ وقيل المراد بما أزل اليهم من ريم القرآن لأنهم
مأمورون بالإيمان به فكانت نزل اليهم من ريم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وهذه مبالغة
في السعة والتخشب لأن هناك فوقا وتحتا والى لأكلوا كلاما متصلا كثيرا وقيل من نزول القطر ومن
حصول الثبات وقيل من الأشجار للتمر ومن الرزوع للغة وقيل المراد أن يرزقهم الله الجنان البانعة
النار فيجتنون ما تهدل من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم هذا
في القائلين بداهة منالوة الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أي من أهل الكتاب (أمة)
مقتصدة أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كتب الله بن سلام وأصحابه وبجرا الراهب وأصحابه
أي ألزمت عليهم اللط وأخرجتهم من نبت الأرض كل ما أرادوا (منهم أمة مقتصدة) أي مؤمنة

والتجاشي وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكتب منهم ساء ما يملون) من العناد وتحريف
الحق والافراط في العداوة وكنان حقة محمد كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وماك بن الصيف
وسعيد بن عمرو وأبي ياسر وجدي بن أخطب (بأيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ما أنزل إليك من ربك)
من غير مبالاة باليهود والنصارى ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبدا (وان لم تفعل) ما أمرت
به من تبليغ جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها (فما بلغت رسالته) أي رسالتك ربك
وقرأ ابن عمر ونافع وشعبة رسالته بجميع تأييد سالم وقرى فابقت رسالتي وهذا تنبيه على غاية
التهديد (والله يصمك من الناس) أي الصم كقوله أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم
وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يحمره سعد بن خديجة حتى زلت هذه الآية فأخرج
رأسه من قبة آدم وقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصي الله من الناس (ان الله لا يهدي القوم
الكافرين) أي انه تعالى لا يمكنهم مما يريدون بل كمن القتل وروى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت
شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأناه أعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى
انتثر دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) من الدين ولا في أيديكم من الصواب (حتى تقيموا
التوراة والإنجيل) أي تحافظوا على ما فيها من دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فان اقامتهما
انما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما للنسوخة فليست من اقامتهما في شيء (وما أنزل إليكم من
ربكم) أي حتى تراو على ما في القرآن بالإيمان به فان اقامة الجميع لا تحصل بغير ذلك (وليزيدن
كثيرا منهم ما أنزل إليكم من ربك) وهو القرآن (طغيانا) أي عاديان الجحود (وكفرا) أي بتناهي
الكفر (فلا تأس على القوم الكافرين) أي لا تأسف عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولا بسبب
زول الأمن والظلم عليهم (ان الذين آمنوا) أي ما ناسقا بموسى وبجملة الأنبياء والكسب وماتوا
على ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (والذين هادوا) أي دخلوا في اليهودية (والصائبون) هم قوم
من النصارى وهم الذين قولوا من النصارى (والنصارى من آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالحق واليوم الآخر
وعمل صالحا) أي خالصا قياضته وبين ربه وتاب اليهودي من اليهودية والصافي من الصائبة
والنصارى من النصرانية (فلا خوف عليهم) اذا ذبح اللوث (ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار
فقوله والذين هادوا مبتدأ قالوا ولطفت الجمل وألا تستأنف وقوله والصائبون عطف على هذا المبتدأ
كقوله والنصارى وقوله فلا خوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة وقوله من آمن بدل بعض
من هذه الثلاثة فهو مخصص فلا يخبر عن اليهود ومن بينهم بما ذكر بشرط الإيمان بما ذكر
وقوله ان الذين خبران محذوف دل عليه للذين كور من خبر هذه الثلاثة وقرى والصائبين وقرى
بأيها الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون وهم من صوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم لقد
أخذنا ميثاق بني اسرائيل) أي بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الأحكام المكتوبة عليهم في
التوراة (وأرسلنا إليهم رسلا) ذوي عند كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق (كلما
جاءهم رسول بما اتهموا أنفسهم) أي كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبب أنفسهم
التمسكة في التي من الشرائع ومشاقي التكليف عصوه وطهروه (فريقا كذبوا) أي فريقان الرسل
كذبوهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى عليهما
السلام وقصدا أيضا نقل عيسى وان كان الله منهم عن مرادهم وهم يزعمون أنهم قتلوه فذكر التأكيد

(بأيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك) أي لا ترفق
أحد ولا تترك شيئا مما
أنزل إليك تخوف من أن
ينالك مكروه بلغ الجميع
بجهازه (وان لم تفعل فما
يلحق رسالته) ان كنت
آية بما أنزل إليك لم تبلغ
رسالتي يعني ان من ترك
إبلاغ البعض كان كمن ترك
إبلاغ الجميع فلم يبلغ (واقه
يصمك من الناس) أي
أن يبالوك بسوء قال
الفسرون كان رسول الله
ﷺ يشفق على نفسه
فأنه اليهود والكفار وكان
لا يجاهرهم بسبب دينهم
وسبب آلهتهم فأنزل الله تعالى
بأيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك فقال يارب
كيف أصنع أنا واحد أخاف
أن يجتمعوا على قاتل الله
تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يصمك من
الناس (ان الله لا يهدي
القوم الكافرين) أي لا يرشد
من كذبك (قل يا أهل
الكتاب لستم على شيء)
من الدين حتى تعاموا على
الكتابين من الإيمان بمحمد
ﷺ وبين نفيه وبأن
الآية مضي تفسيره إلى قوله
(فلا تأس على القوم
الكافرين) يقول لا تحزن
على أهل الكتاب ان
كذبوك (ان الذين آمنوا والذين آمنوا

بلفظ الماضي إشارة إلى معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه في كل مقام وتعدوا على أوامره
 لانه قد افضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة إلى معاملتهم مع زكريا
 ويحيى وعيسى عليهم السلام ليكون ذلك الزمان قريبا فكان كالحاضر وحفاظة لفنفاضة (وحسبوا أن
 لا تكون فتنة) أي ظن بنوا اسرائيل أن لا يوجد بلا موعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم لانهم كانوا
 يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقوله لانهم اعتقدوا أن
 النسخ مجتمع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة أسلافهم تدفع عنهم العقاب الذي يستحقونه
 بسبب ذلك القتل والتكذيب (فصموا) عن الهدى (وصموا) عن الحق خالفوا أحكام التوراة فقتلوا
 شعيا وجسوا أرمياء عليهما السلام فسلط الله تعالى عليهم مختصر عامل لماسب على بابل فاستولى
 على بيت المقدس وقتل من اهلها ر بين ألفا من قرأ التوراة وذهب البقية إلى أرضه فبقوا هناك دهرا
 طويلا على أقصى الدل إلى أن أحدنوا نوبة منجيحة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله تعالى
 ملكا عظيما من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليحرره ونجي بقايا بني اسرائيل من أسر مختصر وردهم
 إلى وطنهم وترجع من تفرق منهم في الأكناف فصره ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا
 عليه وقيل لما ورث بهم من الملك من جسد أبي الله تعالى في قلبه شفقة عليهم فردهم إلى الشام وملك
 عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع مختصر فقامت منهم الأنبياء فرجعوا إلى
 أخصن ما كانوا عليه من الحال (ثم عصوا وصموا كثير منهم) فعدوا إلى الفساد واجترأوا على قتل
 زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى فبكت الله تعالى عليهم ففارس فزاهم ملك بابل من ملوك الملوك
 اسمه خيرود ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب جيش مدح قرايينهم فوجد فيه دماغا فسلّم
 فقالوا دمران لم يقبل منا فقال ماصدقوني فقتل عليه أوقافا منهم ثم قال إن لم تصدقوني مارت منكم
 أحدا فقالوا انهم يصي عليه السلام فقال مثل هذا يتقم الله تعالى منكم ثم قال ليحيى قد علم ربى
 وربك ما أصاب قومك من أجلك فأهدأ بأن الله تعالى قبل أن لا يني أحدا منهم فهذا (والله بصير
 بما يعملون) أي وان دق فيجازيهم به وفق أهلهم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن
 مريم) قيل هم للمكانية وللاربعونية منهم اتاتلون بالانعاد وقيل هم اليعقوبية خلصة لانهم يقولون
 ان مريم ولدت المخلص ومعنى هذا اللخب أنهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى وانحد بذات
 عيسى (وقال المسيح) أي والحال فقال للمسيح عظيما لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم)
 أي وحدوا الله في العبادة خالق وبخالقكم (انه) أي الشأن (من يشرك بالله) شيئا في عبادة أو فوبا
 يختص به من صفات الألوهية (فقد كفر الله عليه الجنة) أي فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار)
 فانها هي الصلة للمشركين (ومالطالين من أنصار) أي يوا لهم من أحد ينصرهم باقتناع من النار
 اما بطريق الباطنة أو بطريق الشفاعة فقول تعالى امنن يشرك إلى آخر الآية وورد من جهته تعالى
 لنا كيتم الله عيسى عليه السلام ولتقرر مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم
 السطور يقولون قوسية وفي تفسير قولهم طريقان الأولى قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله
 ومريم وعيسى آلهة ثلاثة بمعنى ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء آلهة لانهم يقولون ان
 الآلهة مشتركة بين هؤلاء الثلاثة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة إذ البردية ثالث ثلاثة
 آلهة فثلاثة ثمانية اثنين الواحدة ثلثها العالم اه كما قال النبي ﷺ لأبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والثاني
 حتى التسامون عن النصارى أنهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح

(وحسبوا أن لا تكون فتنة) أي ظنوا وقروا أن لا يقع بهم عقوبة وعذاب في الاصرار على الكفر بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل فصموا وصموا أي عن الهدى فلم يعقلوه (ثم تاب الله عليهم) بارساله محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الصراط المستقيم (ثم عصوا وصموا كثير منهم) بعد تبين الحق لهم بمحمد ﷺ (والله بصير بما يعملون) من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) من الآلهة وللنصارى أنهم قالوا ان الله ثالث ثلاثة هؤلاء الثلاثة فكفروا

الارسل قدخلت من قبله
 (الرسول) أي انه رسول ليس
 باله كما كان من قبله كانوا رسلا
 (وأمة صديقة) أي صدقت
 بكلمات ربها وكشبه وقوله
 (كانا يا كلان الطعام)
 يريد أنهما لحم ودم كانا
 يأكلان ويشربان
 ويبولان ويتغوطان وهذه
 ليست من أوصاف الالهية
 (انظر كيف نبين لهم
 الآيات) أي نفسهم أمر
 ربوي يتنى (ثم انظر آتى
 يؤفكون) أي يصرفون
 عن الحق الذى يؤدى اليه
 تدبر الآيات (قل) للنصارى
 (أنتم تدعون من دون الله مالا
 يملك لكم ضرا ولا نفعا)
 يعنى المسيح لانه لا يملك
 ذلك الا الله تعالى (واقه هو
 المسيح) لكفرتم (العلم)
 بضيركم (قل يا أهل
 الكتاب) يعنى اليهود
 والنصارى (لاتصلوا فى
 دينكم) أى لاتخرجوا عن
 الحدى عيسى وغلو اليهود
 فيه تكذيبهم اياه ونسبه
 اليه لغير رشدة وغلو
 النصارى ادعائهم الالهية
 وقوله (غير الحق) أى
 مخالفين للحق (ولاتنبهوا
 أهواء قوم قد ضلوا من
 قبل) يعنى رؤسائهم الذين
 مضوا من الترفيقين أى
 لا تتبعوا أسلافكم فيما

قدس فهذه الثلاثة الواحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والنشاع والحرارة وعنوان الأب الذات
 والابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بمجسدى اختلاط
 للمالبين واختلاط للمساخر وزعموا أن الآبالة والابن اله والروح اله والكل الواحد (ومامن اله
 الا اله واحد) أى وفى الوجود من هذه الحقيقة الا فرد واحد والمعنى ومامن اله الا اله السموات والارض
 الا اله لا اوله ولا ثمره له فهو اله واحد بالثبات منزعه عن شائبة التمدد بوجه من الوجوه (وان لم
 يتبها اعماقولون) أى من هاتين المقاتلتين ومقاربتهما (لحسن الذين كفروا منهم) أى ليصين الذين
 أقاموا على هذا الدين (عذاب أليم) أى شديد الالم (أفلاتوبون الى الله ويستغفرونه) أى الايتنهون
 عن تلك العقائد الزائفة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك اللقاة والعقيدة ويستغفرونه
 بالتوحيد والتزيه عن الاتحاد والحلول أولسنى أيسمون هذه الشهادات للكررة والتشديدات
 للقررة فلا يتوبون عقب جماع تلك القوارع المسماة (والله غفور) لمن توبوا ومن (رحيم) لمن مات
 على التوبة (مالمسيح ابن مريم) الارسل قدخلت من قبله (الرسول) أى ماهو الارسل من جنس
 الرسل الذين مضوا من قبله جامعا مات من الله كما أن آبائهم فليس باله كالرسل الخالية قبله فاهم
 لم يكونوا آلهة فان كان الله أبرأ الأئمة والأبرص وأحيا اللوق على يد عيسى عليه السلام فقد خلق
 البحر وأحيا الصا وجعلها حية تسمى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقه
 من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب عنه (وأمة صديقة) أى ومأمة الصديقة أى
 تنازمت الصديق وصدق الأنبياء وتباعدت في بعضا عن المعاصي وفى إقامة م اسم السودية كسائر النساء
 اللاتي يلازم من الاضاف بذلك لشاربة عيسى الاربية نبي وارثية أمه الاربية صحت فى ابن لكم أن
 تصفوها بما لا توصف بها الأنبياء وخواص الناس فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة أو كمال
 صفات أمه الصديقة وذلك لا يستلزم لهما الألوهية (كانا يا كلان الطعام) كسائر أفراد البشر
 (انظر) يا أشرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أى الفلاجات بأن عيسى ومريم لم يكونا الهين
 وبطلان ما تقولوا عليهما (ثم انظر أى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الآيات وعن
 التأمل فيها فاقدهم بين لهم الآيات ببيان عجبا وأعرض عنها أعجب منها (قل أنتم تدعون من دون الله)
 أى غيره (مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وهو عيسى عليه السلام فان مذهب النصارى أن اليهود صلبوه
 ومزقوا أضلاعهم ولما غطش وطلب للاء منهم صبوا الخراف منخرجه ومن كان فى الضعف هكذا كيف
 يعقل أن يكون الهما فلو كان كذلك لامتنع كونه مغشوا لاسبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه
 فى تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على إيصال المنافع الى العباد ودفع المضار عنهم
 واذا كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (واقه هو المسيح العلم) والرا من هذا الجملة التهديد بأذى سميع
 بكفرهم ولما قاتلهم فى عيسى وأمهم عليم بضائرهم وبعقوبتهم (قل يا أهل الكتاب) أى يا معشر اليهود
 والنصارى (لاتوافقوا دينكم غيرا الحق) أى لاتجاوزوا الحدى دينكم تجاوزا إبلا فان الغلو فى الدين
 نوعان غلو حق وهو أن يجتهد فى تحصيل حجيجه وتقررها كما يفعله المتكلمون وغلو باطل وهو أن
 يتكفى فى تقرر الرأى ويتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصارى لعيسى فقالوا انه
 اله وخفض اليهود له فقالوا امان زنا وانه كذاب (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى لاتتبعوا
 مذاهب قوم قد ضلوا من قبلكم عن التوراة والانبيا (وأضلوا كثيرا) من الناس بآدابهم فى الباطل
 (وضلوا عن سواء السبيل) أى عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم فى ذلك الاضلال انه ارشاد الى

ابتدعوا بأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) أى عن قصد الطريق فى باتلافهم الكثير

(لن الذين كفروا من بني إسرائيل) يعني أصحاب السبت وأصحاب المائدة (على لسان داود) لأنهم لما اعتدوا قال داود اللهم انهم واجعلهم فسحوا قردة (وعيسى ابن مريم) لأنهم من لم يؤمن من أصحاب المائدة فقال اللهم انهم واجعلهم فسحوا خنازير (كانوا يفتنهم عن منكر فعلوه) أي لا يتوبون (رى كثير منهم) أي من اليهود (يتولون الذين كفروا) أي كفار مكة (لبس ما قبلهم) أي كفار الذين كفروا (أي كفار مكة) لبس ما قبلهم أنفسهم ان سخط الله عليهم أي بس ما قبلهم من العمل لعادهم في الآخرة سخط الله عليهم (لتجدن) يا محمد أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) وذلك اتهم ظاهروا للشركين على المؤمنين حسدا للذي صلى الله عليه وسلم (وتجدن آثرهم مودة الذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى) يعني النجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع النصارى

الحق (لن الذين كفروا من بني إسرائيل) أي لن الله تعالى اليهود في الزبور والنصارى في الانجيل (على لسان داود وعيسى بن مريم) قال يهود لنوا على لسان داود والنصارى لنوا على لسان عيسى والفرقان من بني إسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائدة أما أصحاب السبت فهم قوم داود وذلك أن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت بأخذ الحيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم انهم واجعلهم آية فسخطهم الله قردة وأما أصحاب المائدة فانهم لما كانوا من المائدة وادخلوا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما كل من المائدة عذابا لم تعذب أحدا من الملائين والنهم كما لعنت أصحاب السبت فسخطوا قردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك لأنهم الفطع بسب عصيانهم ومباغتهم في الصبيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي كانوا لا يمنعون عن معاودة منكر فعلوه ولا يتكفون ولا يصرون بعضهم نهى بعض عن منكر أرادوا فله روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كفر سواد قوم فهو منهم (لبس ما كانوا يفعلون) أي أقسم لبس ما كانوا يفعلونه فلهم هذا وهو ترك الأصرار على منكر فعلوه وترك النهي عنه (رى كثير منهم) أي تبصر كثير من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أي يصادقون كفار أهل مكة أبيسفيان وأصحابه فضار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولؤمئذ أي فان كبا وأضرابه خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم (لبس ما قبلهم) أي أنفسهم أن سخط الله عليهم) أي لبس شيئا فقاموا من موالاتهم لبيدة الأوثان زاد معادهم موجب سخطه تعالى عليهم (وفى العذاب هم خالدين) أي وخالفهم أبد الأبد في عذاب جهنم وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فهي من جملة الخصوص بالتم (ولو كانوا) أي أهل الكتاب الذين يرالون للشركين (يؤمنون بالله والني) أي نبيهم وهو موسى (وما أنزل إليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوهم) أي ما اتخذ اليهود للشركين (أولياء) لأن تحريم ذلك متأكد في التوراة في شريع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهر أنه ليس مرادهم تقرير دين موسى بل مرادهم الرئاسة فيسبون في تحصيله بأي طريق قدروا عليه فلما وصفهم الله تعالى بالفسق فقال (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم أما البعض منهم فقد آمن وفي هذه الآية وجه آخر ذكره الفقهاء وهو أن يكون للنبي ولو كان هؤلاء للتولون من الشركين المؤمنين بالله ويحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس في الكلام ما يذهب (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود الذين أشرركم) من أهل مكة لشدة شكيتهم وتضاعف كفرهم وانهم كما هم في اتباع الهوى وفرهم إلى التخليد ويسعون عن التحقيق ومن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما خلا يهوديان مسلم إلا ما بقتله وقد قال بعضهم من ذهب اليهود أنه يجب عليهم إبطال الشر الذي من خلفهم في الدين بأي طريق كان فان قنروا على القتل فلذلك لا يفتصب المال أو بالسرقة أو بوبع من الحيلة وأما النصارى فليس منهم ذلك بل الإبقاء حرام في دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى أن النصارى آيين عريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين منهم (ولتجدن) يا أشراف الخلق (أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى) إنما استندت سميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود للاشمار يقرب عدوتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأما أهل الحق وإن لم يظروا اعتقاد حقية الاسلام قسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهودا فانها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد يهود بن هقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة العجل

أول تحركهم في دراساتهم (ذلك) أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب أن منهم (قسيسين) أي علماء (ورهباناً) أي عباداً أصحاب الصوامع (وأنهم لا يستكبرون) عن قبول الحق إذا فهموه كما استكبر اليهود والشركون من أهل مكة (وأنهم) إذا سمعوا أي القسيسون والرهبان الذين آمنوا منهم (مأزلاً إلى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعينهم قفيض من اللمع) أي تتلألأ من اللمع حتى قفيض أي تسيل (عما عرفوا من الحق) أي من نعمته يحصل الله عليهم في كتبهم أو ما عرفوا بعض الحق الذي هو القرآن روى أن قريشاً تشاورت أن يفتنوا للمؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فأذهبوه وعذبوه ومنع الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بهمة أي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال إنهم أهل كمال لا يظلم ولا يظلم عندهم أحد فخرجوا إلى الحبشة يجعل الله للسلمين فرجاً فخرج إليها سرا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وأمهاتهن سودة ومصب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد زوجة أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وأمهاتهن ليل وحطاب بن عمرو وسهيل بن أبي صالح فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار وذلك فرجاً في السنة الخامسة من مبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها ستيناً من الكفار قال كفار قريش إن ثاركم بأرض الحبشة فأذهبوا إلى التجاني واسمه أصحمة وأبشوا اليرجلين من ذوي رأيكم لئلا يطعكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم بغير فبغت كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا إلى التجاني وطارقه ليردهم إليهم فدخلوا ليعقلوا أي الملك أن يخرج فينا رجل زعم أنه نبي وهو قد بث اليك رهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمرهم فأحضروا فأملا أنواب التجاني قالوا يستأذن أولياء الله فقال أئذنا لهم فرجاً بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أي الملك ألا ترى أنهم لم يحركوا بخيتك التي تحبها فقال لهم الملك ما منكم أن تخينوني بتجاني قالوا أنا حينئذ نبتح أهل الجنة ونحية لللائكة فقال لهم التجاني ما يقول صاحبكم أي عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله يروج من أفهامها إلى مريم العذراء ويقول في مريم أنها العذراء التي ولد لها المسيح فخرجوا من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذه العود فكرهه للشركون قوله وتبررت وجوههم فقال هل تعرفون شيئاً ما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة قمرهم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأوا فاعتدلت دموعهم وما زلوا ليكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال التجاني لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه خائنين وأقام المسلمون عند التجاني بخير دار وغير جوار إلى أن علا أمر رسول الله وقهر أعداءه في سنة ثمان من الهجرة فكتب رسول الله إلى التجاني على يد عمرو بن أمية الضمري ليرزقه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها وملت عنهما فأرسل التجاني إليها جارية سبها ليرثه تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالن سعيد أن يرزقها فأنفذ التجاني إليها رزقاً بمائة دينار صدقها على يد أرملة وقالت أرملة قد صدقت بمحمد وأمنت به وحاجتي إليك أن تقر بي مني السلام قالت نعم

(ذلك) بأن منهم قسيسين ورهباناً أي علماء بوصاية عيسى بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأنهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود وعبداء الأوثان (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) يعني التجاني وأصحابه قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة كهمس لما زالوا ليكون وهو قوله (ترى أعينهم قفيض من اللمع) ما عرفوا من الحق يريد الله تعالى على محمد وهو الحق (يقولون) ربهنا آمننا صدقنا

وقالت فرجنا الى المدينة ورسول الله ﷺ بخير وأقتبل المدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فقرأت عليه السلام من أروع بطرية لذلك فرد الرسول عليه السلام ووافى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ومع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وغمانية نفر من رهبان الشام بحيرا الراهب وأصحابه أربعة وأشرف وادريس وتيم وتعام ودريد وأمين وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وأمنوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون بنا أمنا) بما سمعنا أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق (فاكتنماع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا نحقق الايمانهم (وبالنا لا تؤمن بالله وملكاته من الحق ونقطع أن يدخلنا من نلعم القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحجة قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير فينا وحجة لا نلعم حال ثانية منه بتقدير مبتدأ أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله وملكاته من القرآن والرسول ونحن نلعم في صحة الصالحين ويجوز أن يكون قوله ونقطع حال من الضمير في لا تؤمن على معنى انهم أنكروا على أنفسهم علم ايمانهم مع أنهم يطعمون في صحة للتؤمنين (فأناهم الله بما قالوا) أي جعل الله ثوابهم على قولهم بنا أمتاعنا اخلاص الثانية وسرفة الحق أو بسبب ما سألوا بقولهم فاكتنما مع الشاهدين كباروا وعطاء عن ابن عباس يقرى: فأتاكم الله (جنلت تجري من تحتها الأنهار) في الجنة (جزاء الحسنين) أي الجنات (جزاء الحسنين) بالايان واللى جزء الذين اعتادوا الاجسان في الأمور روى أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازمون لها لا ينفكون عنها دون غيرهم من عصابة المؤمنين وإن كثرت كبارهم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم) أي لا تعتقدوا تحريم ما أحل الله لكم ولا تظهروا بالاسان تحريمه ولا تتجنبوا الطيبات اجتنابا شبيه الاجتناب من المحرمات ولا تلزموا تحريم الطيبات بنسب أو بين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله بقطع لذاتكم (ان الله يحب المتدينين) من الحلال الى الحرام كالثلثة فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أمارة ثلاث الدنيا والفرغ لعبادة الله تعالى من غير اضرار بالنفس ولا نفوت حتى التبر ففضيلة ما مومر به نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق وعمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون والجمعي ومقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي حذيفة وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري وعمر بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله ﷺ يوم القيامة لأصحابه بما فبال الكلام في الانذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان ابن مظعون وتشاوروا واتفقوا على عزمهم أن يرضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم الطعام الطيبة والشارب اللذيذة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا ينموا على الفرس ويخصوا أنفسهم ويلبسوا السوح ويسبحوا في الارض فيبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم أي أم أوصي بخلقكم قال ﷺ ان لا تنسك عليكم حقا فصوموا وأطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأطعم وآكل اللحم والدم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني • وروى ان عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منام من خصي ولا من اختصني ان خصاء أمي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمي الجهاد في سبيل الله

(فاكتنماع الشاهدين) أي مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا تؤمن بالله) أي أي شيء لنا اذ تركنا الايمان بالله (وما جاءنا من الحق) أي القرآن (و) نحن (نقطع أن يدخلنا من) الجنة (مع) أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينون أنهم لا شيء لهم اذ لم يؤمنوا بالقرآن ولا يثبت حق طمعهم في دخول الجنة (فأناهم الله بما قالوا) يعني ما سألوا ائتمن قولهم فاكتنما مع الشاهدين وقوله ونقطع أن يدخلنا الآية (جنات تجري) الآية (ودلك جزاء الحسنين) أي للوحدين ثم ذكر الوعيد لمن كفر من أهل الكتاب وغيرهم فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم هم قوم من أصحاب النبي ﷺ عزموا على أن يحرموا على أنفسهم الطعام الطيبة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن يخصوا أنفسهم فأقر الله هذه الآية وسعى الحساد اعتدوا فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله انا كنا قد حلفنا على ذلك فزل

(لا يؤخذكم الله بالنوف أي بآذانكم) وفسرنا هذا في سورة القمرة (ولكن يؤخذكم بمعقدكم الأيمان) وهو أن يقصد الأمر في حلف بالله ويصدق عليه اليمين بالغلب معتمداً (٢٢٠) (فكفارة) أي إذا حنتم (اطعام عشرة مساكين) لكل مسكين منهوه

قال يا رسول الله أنذني في الترهيب قال إن ترهب أمي الجلوس في الساجدة لا تظلم الصلاة (وكما أمر زكيم الله حالاً لطيباً) أي كلما بعض رزقكم من الله الذي يكون حالاً مستلماً وأصرفوا البقية إلى الصدقات والخيرات (واتقوا الله الذي أتم بهمؤمنون) في تحريم ما حل الله لكم وفي التلثة (لا يؤخذكم الله بالنوف أي بآذانكم) قد تقدم أن قوام من الصحابة حرموا على أنفسهم الطعام ولللابس واختاروا الرهبانية وحلقوا على ذلك على طن انقرة فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بإعتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤخذكم بمعقدكم الأيمان) أي بتقيدكم الأيمان بالتصدق إذا حنتم قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عتدتم بتشديد القاف وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم عتدتم بتشفيف القاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن مابر عتدتم بالألف والتخفيف (فكفارة) أي فكفارة نكت الأيمان التي ليست بطهو (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) في قدر الطعام وهو ثلثا من لكل مسكين فإن الإنسان قد يكون قليل الأكل جداً يكتفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثيراً كل فلا يكتفيه للثوان وللوسط الغالب يكتفيه من الخبز ما يقرب من اللبن ثلثان من الخلطة إذا جعل دقيقاً أو خبزاً فإنه يصير قري بآمن من ذلك كاف في قوت اليوم الواحد (أو كسوتهم) بأقل ما يطلق عليه اسم الكسوة كازار أو رداء وقميص أو سرويل أو عمامة لكل مسكين نوب واحد (أو نحو رربة) وتقدم الإطعام على العتق لأن المقصود فيه على أن هذا لكفارة توجب على التخير بين هذا الثلاثة ولأن الإطعام أسهل لكون الطعام أعم وجوداً ولأن الإطعام أفضل لأن الحر الفقير قد لا يجد الطعام أما المبدف فإنه يجب على مولاه إطعامه وكسوته (فإن لم يجد) واحداً من هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولوم تفرقة لما روي أن رجلاً قال للنبى ﷺ على أيام من رمضان فأقضيها بغير فراق فقال ﷺ أرأيت لو كان عليك دين فقضيت البرهم فالبرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فأقضى حتى أن يغفرو ويصفح والمبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب (ذلك) للذكور (كفارة أي بآذانكم إذا حنتم) وحنتم (واحفظوا أي بآذانكم) أي قللوا الأيمان وضنوا بها (كذلك) أي مثل ذلك التبين لحكم الأيمان (بين الله لكم آياته) أي أعلم شريته (لكم) تشكرون) نعمته فيما يملككم (بأيها الذين آمنوا إنما الحمر) أي للسكر (والليسر) أي القمار (والأضباب) أي الأضنام التي نصها للشركون ويعدونها (والأزلام) سهام مكتوب عليها خروشر (رجس) أي قنرة تافقه العقول (من عمل الشيطان) أي من الأمور التي ينهاها النفس (فاجتنبوه) أي الرجس (لكم فقلحون) أي لكي تنجوا من الغلاب (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم) السداوة والبغضاء في الحمر (إنما شرنا شواى كإفصل الأضاري الذي شج رأس مسددين أي وقاص يلجى الحمر) (والليسر) إذا ذهب حالكم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن شرب الحمر يورث اللذة الجسدية والنفس إذا استغرق فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولأن الشخص إذا كان غالباً في القمار صار استغرقاً في لذة اللعبة ما نام أن يخطر بباله شيء سواه (فهل أتم متنبهون) أي قد ينبت لكم معاسدا الحمر واليسر قبل تنبهون عنها أم أتم مقيمون عليها كأنكم لم تعطوا هذه الواعظ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في أمرهما بالاجتناب عن الحمر واليسر (واحذروا) عن مخالفةهما في التكليف

ثلاثاً من وهو قوله (من أوسط ما تطعمون أهليكم) لأن هذا القدر وسط في الشبع وقيل من خير ما تطعمون أهليكم أي كالخطة والتمر (أو كسوتهم) وهو أقل ما يقع عليه اسم الكسوة من أزار ورواء وقميص (أو نحو رربة) أي مؤمنة والكفر في اليمين مخير بين هذه الثلاثة (فإن لم يجد) يعني لم يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليته ما يطعم عشرة مساكين (فأطعمه) (صيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أي بآذانكم إذا حنتم واحفظوا أي بآذانكم) فلا تحفلوا واحفظوها عن الحنث (بأيها الذين آمنوا إنما الحمر) يعني الأضربة التي تحصر حتى تشدد وتسكر (والليسر) أي القمار بجميع أنواعه (والأضباب) أي الأضنام (والأزلام) وهي فدايح الاستقسام التي ذكرت في أول السورة (رجس) أي قنرة فيج (من عمل الشيطان) أي مما يسو له الشيطان لبني آدم (فاجتنبوه) أي كونوا جانباً منه (إنما يريد

الشيطان أن يوقع بينكم السداوة والبغضاء في الحمر واليسر) وذلك لما يحصل بين أهلها من السداوة والمقايح والأفدام على ما يمنع منه العقل (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن من اشتغل بهما منعاً عن ذكر الله وعن الصلاة (فهل أتم متنبهون) قالوا أتهيناهم أمر بالطاعة فقال (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) المحارم وللتناهي

(فان توليتم) أى عن الطاعة (فاعلموا أفعال رسولنا البليغ) أى ليس عليه الإلزام فان أطمعتم والا استحققتهم العذاب فلما نزل نحرهم الحجر قالوا يا رسول الله ما تقول في أخواتنا الذين مضوا (٢٢١) وهم يشر بونهما وبأ تكون للسرقتل

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أى من الخمر والبسر قبل التحريم (إذا ما اتقوا) العاصي والشرك (ثم اتقوا وآمنوا)

أى ودأبوا على تقواهم (ثم اتقوا وأحسنوا) أى اتقوا ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه (بأيها الذين آمنوا ليلوكنكم الله بشئ من الصيد) كان هذا علم الحديبية وكانت الوحش والطير تشاهم في رحلم كثيرة وهم يحرمون ابتلاء من الله وهو قوله عز وجل (تناه أيدكم) أى الفرج والصغار (ورماحكم) أى الكبار (ليعلم الله) أى ليرى الله (من يخاف بالنيب)

أى من يخاف الله ولم يره (فمن اعتدى) أى ظلم بأخذ الصيد (بذلك) أى بعد النهي (فله عذاب أليم) أى الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) حرم الله قتل الصيد على الحرم فليس له أن يقتصر للصيد بوجبة من الوجوه مادام محرماً (ومن قتل منكم متعمداً) فجزاء مثل ما قتل من النعم) أى فليطيه جزاء مماثل

(فان توليتم) أى أعرستم عن طاعتها وعن الاحتراز عن مخالفتها (فاعلموا أفعال رسولنا البليغ البين) أى فالحجة قامت عليكم والعلل انقطعت لأن الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج وما يقى بذلك إلا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أى أثم (فيما طعموا) من الحرم ومن مال الصبي بالملأى (إذا ما اتقوا) أن يصكون في ذلك شئ من الحرمات أى إذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعملوا الصالحات) أى واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بذلك (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) أى استمروا على اتقاء العاصي (وأحسنوا) أى اتجروا بالأعمال الحسنة واغتفلوا بها (والله يحب المحسنين) روى أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة إن أخواتنا كنوا قد شربوا الخمر يوم أحدثتم قتلوا كيف حالهم فنزلت هذه الآية وروى أبو بكر الأصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف أخواتنا الذين آمنوا وقد شربوا الخمر وضلوا القرار وكيف البائتين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرم الخمر وهم يطعمونها فنزل الله هذه الآية (بأيها الذين آمنوا ليلوكنكم الله) أى ليعتبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشئ من الصيد) أى من صيد البر (تناه أيدكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاه الله بصيد البر وهم يحرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تشاهم في رحلم فيقترون على أخذ الطير بالأيدى والوحش بالرمح وأما مثل ذلك فطفاهم الله عنها ابتلاء (ليعلم الله من يخاف بالنيب) أى ليعلمكم معاملة من طلب أن يعلم من يخاف حال كون الله تعالى غير مرئي له فغاب عن رؤيته أو يخافه بخلص القلب فيترك الصيد (فمن اعتدى) بالتمرض للصيد (بذلك) أى بعد بيان أن ما وقع من الصيد ابتلاء من عند الله تعالى لتغيير الطبع من العاصي (فله عذاب أليم) وهو العذاب في الآخرة والتمريض في الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه ويظهره ضرباً بوجعاً ويترج ثيابه ويلتقل أبو اليسر بن عمرو صيداً متعمداً بقتله ناسباً لإحرامه أنزل الله تعالى قوله (بأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أى محرمون أو داخلون في الحرم (ومن قتله) أى الصيد (منكم متعمداً) أى بقتله مع نسيان الإحرام كقوله مجاهد والحسن (فجزاء مثل ما قتل من النعم) أى شبهه في الخلقة والتقييد بالتمتع لأن الآية نزلت في التمتع حيث قتل أبو اليسر حماراً ووحشاً وهو محرم عمداً ولأن الأصل قبل التمتع والخطأ ملحق بالتمتع فيستوى في محظورات الإحرام العمد والخطأ في جزاء الاتلافات (يحكم به) أى بمنزلة ما قتل (ذوا عدل منكم) أى رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء بالقتول من النعم فيحكان به قال ميمون بن مهران جاء أعرابي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إني أصبت من الصيد كذا وكذا فقال أبو بكر رضي الله عنه أرى ابن كعب فقال الأعرابي أيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر رضي الله عنه لو أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاو رت صاحبي فإذا اتفقنا على شئ أمرناك به وعن قبيصة ابن جابر أن محب كان محرماً ضرب ظبياً فأت فقال عمر بن الخطاب وكان يحب عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وأرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقتله إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأله عمره فقال ففاجأني عمر وعلاي بالمرور فقال أقتل في الحرم وتوسع الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فأنامر وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم

للقول من النعم في الخلقة في النعمة بدنة وفي حمار الوحش بقره وفي الضبع كبش وعلى هذا التقدير (يحكم به ذوا عدل) أى يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان (منكم) أى من أهل ملتكم فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكان به

(هديا بالغ الكعبة) أى إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به (أو كفرة طعام مسكين أو عدل ذلك) أى مثل ذلك (صياما) والحرم إذا قتل صيدا كان نجسا إن شاء جزاء بمثله من النعم وإن شاء قوم للمثل دراهم ثم يشتري بالبراهم طعاما ثم يتصدق به وإن شاء صام عن كل مند يوما (الذوق وبال أمره) أى جزاء ما صنع (عقائه حماسا) أى قبل التحريم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من طأ إلى قتل الصيد محرما حكم عليه تائبا وهو بصد الوعيد (واقه عزز) أى من متبع (ذواتنقام) أى من أهل النسبة (أحل لكم صيد البحر) أى ما أصيب من داخله وهذا الإحلال عام لكل أحد محرما كان أو محلا (وطعامه) وهو ما نصب عنه الماء ولم يصد (متاغا لكم ولا يسيرة) أى منقعة للقيم والسافر يبيعون ويثربون منه ثم أعاد تحريم الصيد في حال الإحرام فقال (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون) أى خافوا الله الذى إليه تبغون (جعل الله الكعبة البيت الحرام) يعنى البيت الذى حرم أن يصاد ما عنده ويحتلى

ابن عباس وعمر وغيرهما بشاة في اللحم وهو كل ما عذب وهو من الطير كالقمرى والدبى (هديا بالغ الكعبة) فهذا منصوب على التخيير وللعنى يحكى بالمثل هديا يساق إلى الكعبة أى إلى أرض الحرم فينحر هناك (أو كفرة طعام مسكين) فقولوه كفرة عطف على قوله فجزاء أى فليجزأه أو كفرة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام مسكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفرة (أو عدل ذلك) أى أو مثل ذلك الطعام (صياما) فقولوه أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فليجزأه بمثل للقتول هو من النعم أو طعام مسكين أو صيام أيام بعدهم فحينئذ تكون المائة وصفا لما لجزاء بقدر به الهدى والطعام والصيام أمالا أو لآلان قبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثالث فيختار الجاني كل من هذه الثلاثة (ليذوق وبال أمره) أى جزاء ذنبه ولو بال في اللغة النقل وإنما سمي الله ذلك وبال لأن أحد هذه الثلاثة تقيل على الطبع لأن في الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص للمال وفي الصوم انتهاك البدن وللعنى أنه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء التي كل واحد منها تقيل على الطبع حتى يحتز زعن قتل الصيد الحرم وفي حال الإحرام (عقائه حماسا) أى لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم لأن قوله أذا ذك مباح (ومن عاد) إلى قتل الصيد بالنهي عنه (فينتقم الله منه) أى يقبض الله منه في الآخرة مع زعم الكفرة (واقه عزز) أى غالب بالظالم (ذواتنقام) أى ذوقه شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أى أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة وللحكمة بحرا كان أو نهرا أو غديرا أى اصطيد صيد اللاء والاتفاغ به بأسه ولأجل عظمه وأسانته وأحل لكم طعام البحر أى أسكه فالصيد كقوله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماصيد لحيلة حال حياته والطعام ما يوجد ما لفظ البحر أو نصب عنه لاء من غير عطف في أخذه قال الشافعي رحمه الله السمكة الطافية في البحر محلة والسمك عنده مالا يعيش إلا لواء ولو كان على صورة غير لاء كولد من حيوان البر كالآدمي والكب والخنزير فهذا كله حلال عنده بخلاف ما يبيح في لواء والبر كالسرطان والنفدع والتمساح والسحفا وطير الماء وحجة الشافعي القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه لما يمكن أسكه يكون طعاما فيحل وأما الخبر فقولوه عنه في حق البحر هو الطيور وماؤه الحل ميتته نزلت هذه الآية في قوم من بني مدج كانوا أهل صيد البحر سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام البحر وعما حسر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أى ما حسر عنه البحر وألقاه (متاغا لكم ولا يسيرة) أى أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم والسفر ينمكم جز وذنوه قديدا فالطير للقيم والبالغ للسافر (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أى محررين أو في الحرم فذهب إلى حقيقة جعل الحرم كل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله أذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه لأن الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما دمتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومنعائكم والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده فإن لحم الصيد منهم مباح للمحرم بشرط أن لا يصطده الحرم ولا يصطدهه والمحقق في ما روى أبو داود في سننه من جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوا أو يصطد لكم (واقوا الله الذى إليه تحشرون) لآلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إلى غيره فأخشوه تعالى في جميع العصى (جعل الله الكعبة البيت الحرام) أى صير الله الكعبة سبيلا لحصول الخيرات في الدنيا والآخرة وخلق النواهي في قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا يأتون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك لاسباغ النعم على أهل مكة وكان العرب يتقاتلون ويغيرون إلا في الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله في

(والشهر الحرام) يعني

الأشهر الحرم فذكره بلفظ الجنس (والهدى والقلايد) ذكرنا في أول السورة وهذا الجملة ذكرت بعد ذكر البيت لانهما من أسباب حج البيت فذكرت معه (ذلك) أي ذلك الذي أنبأتكم به في هذه السورة من أخبار الأنبياء وأحوال النافقين واليهود وغير ذلك (تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) الآية أي يدلكم ذلك على أنه لا يخفى عليه شيء (قل لا يستوي الخيـث والطيب) أي الحرام والحلال (ولو أعجبك كثرة الخيـث) وذلك أن أهل الدنيا يهجمون كثرة المال وزينة الدنيا (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أنزل الله عليكم تسؤمكم) ان تبد لكم تسؤمكم (نزلت حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالسئلة فقام مضطربا خطيبا وقال ما تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلا أخبركموه فقام رجل من بني سهم يطن في نفسه فقال من أي فقال أبوك حذافة وقام آخر فقال ابن أبي قال في الذار فأزل الله هذه الآية ونهاهم أن يسألوه عما يحزنهم جوابه وابدأه كسؤال من سأل عن موضع أبيه فقال في النار

الكعبة الطاعات الشريفة والناسك العظيمة وهي سبب لحط الخبثيات ورفع الدرجات وكثرة الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم (والشهر الحرام) أي وجعل الله الأشهر الحرم سببا لقوام معيشتهم فإن العرب كان يقتل بعضهم بعضا في سائر الأشهر ويزير بعضهم على بعض فإذا دخل الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب زال الخوف وقدر واعي الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى) أي وجعل الهدى سببا لقيام الناس وهو ما يهدي إلى البيت ويذبح هناك ويفرق منه على الفقراء فيكون ذلك نسكا للهدى وقواما لمعيشة الفقراء (والقلايد) أي وجعل الله الأشخاص الذين يتقلدون بلباء شهر الحرم سببا لأنهم من العدو فانهم كانوا أذارا وأشخاصا جعل في عنقه تلك القلايد عرفوا أنهم راجعون من الحرم فلا تعرضون له (ذلك تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي ذلك التدبير اللطيف من الجمل المذكور لأجل أن تتفكروا فيه أنه يدبر لطيف فعملوا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض فإن جعل ذلك لأجل جلب الصالح لكم ودفع الضر عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه تعالى صفة قديمة واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا بجميع المعلومات فذلك قال تعالى (وأن الله بكل شيء عليم) فلا يخرج شيء من علمه المحيط (اعلموا أن الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعده شدة عقابه تعالى لأن الإيمان لا يتم إلا بالرجاء والخوف كقَالَ صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ثم ذكر عقبه ما يدل على الرحمة دلالة على أنها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دققة وهي أن إبداء الإيجاد كان لأجل الرحمة والظاهر أن الحتم لا يكون إلا بعد الرحمة (ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي أن الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهده التكليف وبقي الأمر من جانبكم وقد قامت عليكم الحجة فلا عذر لكم من بعد التفریط وأنامل بمتبدون وما تكتمون فإن خالفتم فاعلموا أن الله شديد العقاب فيؤاخذكم بذلك قهرا وقطيما وإن أطمع فاعلموا أن الله غفور رحيم (قل لا يستوي الخيـث والطيب ولو أعجبك كثرة الخيـث) فإن المجهود القليل من الأعمال والأموال خير من للثوم الكثير منها والخطيب لكل مضرب قيل نزلت هذه الآية في رجل قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحر كانت تجارتي وإن اعنتقت من يبيعها مال فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال ﷺ إن أنتفتت في حج أو جهاد أو صدقة لم يبدل جناح بموضة إن الله لا يقبل إلا الطيب (فاتقوا الله) بأن تتحروا ترك الخيـث من الأعمال والأموال ظاهرا وبطنا ولا تحتلوا في تركها بالتأويل (يا أيها الذين آمنوا) أي أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفحشون) أي لعلكم تصيرون قاترين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء تبدلكن تسؤمكم) أي أن تظهر لكم تلك الأشياء تحزنكم ولعن أنركوا الأمور على ظواهرها ولا تسألوا عن أحوال خفية إن تبدلكن تسؤمكم وما بلغه الرسول اليكم فكأنوا متقادين له وما يبلغه اليكم فلا تسألوا عنه فإن خضتم فلما يكلف عليكم فربما لمعكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى أنس أنهم سألوا النبي ﷺ فأكثروا السئلة فقام على النبر فقال سألوني فوالله لا تسألوني عن شيء مما دس في مقامي هذا إلا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطن في نفسه فقال يا بني الله من أي فقال أبوك حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار وقال سراقة بن مالك أوعكاشة بن محسن يا رسول الله الحجة علينا في كل عام فأعرض

أونهي وحكم ومست الحاجة الى بيانه فاذا سألتكم عنها حيث تبدلكم (عفا الله عنها) أي عن مسألتكم عما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم ولا حاجة بكم الى بيانه بهاهم أن يعودوا الى مثل ذلك وأخبر أنه عفا عما فعلوه (والله غفور حلیم) أي لا يعجل بالمقوبة ثم أخبرهم عن حال من تكلف سؤال ما لم يكفوا فقال (قد سألتها) أي الآيات (قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) يعني قوم عيسى سألو المائدة ثم كفروا بها وقوم صالح سألو الناقة ثم عقروها (ما جعل الله من بحيرة) أي ما وجبها ولا أمر بها والبحيرة الناقة اذا تتجت خسة أبطن شقوا أدنوها واستمنوا من ركوبها وذبحها (ولاسأبة) وهي ما كانوا يسيرونه لأنهم في نذر يلزمهم ان شق مريض أو قضيت لهم حاجة (ولا وصيلة) كانت الشاة اذا ولدت أثني فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوا لأنهم وان ولدت ذكرا أو أثني قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الله كرها لأنهم (ولاحم) اذا تتجت من صلب الفحل عشر أبطن قالوا قد حسي ظهره وسب لأصنامهم فلم

عثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أولاده فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول قم والله لو قلت نعم لوجبت ولوجبت ما استطعتم ولوتركتكم لكفرتم فاركوني ما تركتكم فأما هلك من كان قبلكم بكرة سؤلهم فاذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاتجنبوه ولا اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قلم عمر وقال رضي الله عنه يا عيسى بن الإسلام ديننا ومحمد نبينا فمؤذنا اللهم الفان احاديث عهد بحاجتي فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم فأزل الله تعالى هذه الآية (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) أي وان تسألوا عن أشياء مستحبتكم الى التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهر ما يستند بالسؤال على قسمين سؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤلكم وسؤال عن شيء مزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهذه السؤال واجب وهو للراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم فالضمر في عنها يرجع الى الأشياء ما عثر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاطة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالراد بالانسان آدم عليه السلام والمراد بالضمر ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين (عفا الله عنها) أي أمسك الله عن أشياء أي عن ذكرها ولم يكلف فيها بشي وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقبي أي خففت عنكم باسقاطها وألغيت عفا الله عما سلف من مسألتكم التي تقضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعودوا مثلها (والله غفور) لمن تاب (حلیم) عن جهلكم (قد سألتها) قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين أي قد سألت أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان قوم صالح سألو الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا أرنا الله جعرة فصار ذلك وبالاعليهم وبني اسرائيل قالوا لنبي لهم ابش لنا ملكا فاهل في سبيل الله ثم كفروا وقوم عيسى سألو المائدة ثم كفروا بها والنبي أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم في السؤال عن أحوال الأشياء مشاهون أولئك المتقدمين في سؤال الذوات تلك الأشياء في كون كل واحد من السؤلين فضولا وخوصا فيا لا فائدة فيه فان المتقدمين أعاسألو من أقدح أخرج الناقة من الصخرة وأزال المائدة من السماء فهم سألو انفس الشي * وأما أصحاب محمد فهم سألو عن صفات الأشياء فلما اختلف السؤالان في النوع اختلفت العبارة لكن يشتركان في وصف واحد وهو خوص في الفضول وشروع في الحاجة اليه في ذلك خطر اللسدة (ما جعل الله من بحيرة ولا سأبة ولا وصيلة ولا لحم) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تتج خسة أبطن في آخرها ذكرا فتشق أدنها ولا تذبح ولا تتركب ولا تحلب ولا تخرط من ماء مومي ولا يجز لها وري ولا يحمل على ظهرها بل تنسب لأنهم والسأبة هي البعير السببية وكان الرجل اذا شق من مرض أو قدم من سفر أو نذر نذرا أو شكر كرمه سبب بغيرا وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة هي الشاة النوصلة وذلك أن الشاة اذا ولدت سببة أبطن عمدوا الى البطن السابح فلذا كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال والنساء جميعا وان كان أثني لم يتنفع النعام منها بشي حتى يموت فاذا ماتت كان الرجال والنساء يأكلونها جميعا وان كان ذكرا أو أثني قبل وصلت أخاها في تكان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى يموت فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب وولد له قيل حسي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء مومي الى أن يموت فحيث ذكرا أكله الرجال والنساء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان رؤسائهم عمرو بن لحي وأصحابه يخلقون على الله الكذب

الانعام وهم جعلوا محرمة لله حرما (وأكثرهم لا يعتقدون) يعني أتباع رؤسائهم الذين سنوا لهم تحريم هذه الأنعام أي لا يعتقدون أن ذلك كذب وإفترار على الله من الرؤساء (وإذا قيل هل تناولوا ما نزل الله) أي في القرآن من تحليل ما حرمتم (قالوا حسبتنا ما وجدنا نأكله أبائنا) من الذين (أولو كان آباؤهم) الآية مفسرة في سورة البقرة (يأبها) (٢٢٥)

احفظوها من ملابس المعاصي والاصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل) من أهل الكتاب (إذا اهتديتم) أنتم (إلى الله مرجعكم جميعا) أي مصيركم ومصير من خالفكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي يجازيكم بأعمالكم (يأبها) الذين آمنوا شهادة بينكم) نزلت هذه الآية في قصة تيم وعدي وبديل خرجوا تجارا إلى الشام فرض بديل ودفع إليهما متاعا وأوصى إليهما أن يدفعاه إلى أهلها إذا رجعا فأخذنا من متاعه أنانهم فضتوروا الباقي إلى أهلهم ففعلوا بخيائتهما ورفضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية ليسهركم (إذا حضر أحدكم الموت) وأردم الوصية (إثنا ذولا عدل منكم) من أهل ملتكم تشهدونهما على الوصية (أو آخران من غيركم) أي من غير دينكم (إن أنتم ضربتم في الأرض) إذا سافرتم في الأرض (فأصابكم مصيبة

ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أي الأتباع (لا يعتقدون) أن ذلك افتراء باطل قال المفسرون إن عمرو بن لحي الخزاعي كان قدامك مكة وكان أول من غير دين اسمعيل فأتخذا الأنعام ونصب الأوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحلم قال النبي صلى الله عليه وسلم قلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار يرجع قصبه أي معاه (وإذا قيل لهم) أي للأكثر الذين هم الأتباع (تأولو إلى ما نزل الله) من الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذي أنزل الكتاب عليه لتقزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبتنا ما وجدنا عليه أبائنا) من الذين (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والواو واو الحال دخلت عليها حمزة الانكار والتفديرا كآبائهم وقد كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولسنة النبي فكيف يقتدون بهم (يأبها) الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوا أنفسكم من ملابس المعاصي والاصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) أي لا يضركم ضلالة من ضل إذا اهتديتم إلى الإيمان وبينتم ضلالتهم كقوله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والنبي عليه السلام أهل دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فآقتلوا أنفسكم أي أهل دينكم فقله تعالى عليكم أنفسكم أي أقبلوا على أهل دينكم وكذلك بأن يضل بعضهم بعضا ويرغب بعضهم بعضا في الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات وهذا آيات وكداية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله لا يضركم اما يجوز على أنه جواب للأمر وهو عليكم أنوهي مؤكده له وأما ضمت الراء اتباعا لضم الصاد للثقله فان الراء لا أصل لا يضركم ويؤيده قراءة يضركم بفتح الراء وهو محذوم وأما قمت الراء لاجل الحذف وقراءة قرأ لا يضركم بسكون الراء مع كسر الصاد وضمها من ضار يضير ويضروا ما مرفوع على أن كلامه مستأنف في موضع التحليل لما قبله وبضمه قراءه من قرأ لا يضركم بالرفع وبالياء بدل الصاد أي ليس يضركم ضلال من ضل إذا كنتم ثابتين في دينكم (إلى الله مرجعكم جميعا) أي رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من الخير والشر فيجزيكم عليه (يأبها) الذين آمنوا شهادة بينكم) أي شهادة ما بينكم من التنازع (إذا حضر أحدكم الموت) أي إذا ظهر لأحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله إذا حضر لأن زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فصرف ذلك الزمان بهذين الأمرين الواقفين في أي الشهادة المحتاج إليها عند مشاركة الموت (إثنا ذوا عدل منكم) أي من أهل دينكم بأعشر المؤمنين (أو آخران من غيركم) أي غير عدلين من غير أهل دينكم (إن أنتم ضربتم) أي سافرتم (في الأرض) فأصلدان للسامان صالحان للشهادة في الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لا تجوز إلا في السفر (فأصابكم مصيبة الموت) أي فحضرتم عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز الاستشهاد بغير المسلمين (محسبونها من بعد الصلاة) أي تقفونهما للتحليف من بعد صلاة العصر كما استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما وجع أهل الأديان يظنون هذا الوقت ويدكرون الله فيه ويحذرون عن الخلف الكاذب (فيحسمان) أي يحلفان (بأنه إن ارتبتم) أي إن أنتم شككم

(٢٢٩) - (تفسير مراح ليد) - (أول) (للموت) علم الله تعالى أن من الناس من يسافر فيصحبني سفره أهل الكتاب دون المسلمين فيحضره الموت فلا يجد من يشهده على وصيته من المسلمين فقال أو آخران من غيركم فالذين في السفر خاصة إذ لم يوجد غيرهما وقوله (محسبونها من بعد الصلاة فيحسمان) بأنهم ان ارتبتم

لأنشئ به) أي ان اربتم في شهادتهما وشككم وخشيتم أن يكونا قسنا حبيصموهما على اليمين بدسلة العصر (فيقسان بالله) ويقولان في يمينها (٢٢٦) الاتبع الله يمرض من الدنيا ولا تحابي أحدا في شهادتنا (ولو كان

في شأن آخر بن بقولهما والله (لأنشئ به) أي بالقسم بالله (ننا) أي عوضا يسيرا من الدنيا أي لاتأخذ لأفسان بدلان من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذاقرني) أي ولو كان ذلك العوض اليسير حياة ذقني قربنا أي لاختلف بالله كاذبين لأجل المال (ولأنكم شهادة الله) أي لأنكم الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها وإظهارها (أنا اذللن الآتين) أي أنا ان كنتمنا حينئذ كنا من المعاصين (فان عثر على أنهما استحقا) أي فان حصل الاطلاع بعد ما حلف الصبيان عن أنهما استحقا حنثا في اليمين بكنب في قول وخيانة في مال (فأخرا ن يقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين الذين هما من غير ملتصقين (من الذين استحق عليهم الأوليان) أي باليمين وبالمال أو الأقربان إلى البيت الوارثان له والأوليان ما بعد من آخران أو من الضمير الذي يقومون وأوصفوا لآخران عند الاخش لأن النكرة اذا تقدم ذكرها ما أعيد عليها الذكر صارت معرفة وأخبر لمبتدا محذوف وهذا على القراءة للشهرة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للمجهول وأما وصف الورثة بكونهم استحق عليهم لأنه لا إخما لهم فقد استحق عليهم ما لهم وألصق بهم حتى عليهم أما على قراءة حفص وحدهم هي استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل قوله الأوليان فاعله والمعنى ان الوصيين الذين ظهرت خيانتهم هما أولى من غيرهما بسبب أن البيت عنيتهم للوصاية ولما خاناه في مال الورثة صرح أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم الأوليان أي خان في مالهم الأوليان بالوصية (فيقسان) أي هذان الآخران (بالله) بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصح وأحق بالقبول من يمين النصرانيين (وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيها ادعينا وطلب المال وفي نسبتها إلى الخيانة (أناذا لمن الظالمين) أي أنا ان اعتدينا في ذلك كنا من الظالمين أنفسهم بإقبالهم لسلط الله تعالى وعذابه واتفق للفسور على أن سبب نزول هذه الآيات أن نعيم بن أوس الداري وعدى بن بدهاء كانا نصرانيين ومعهما بديل بن أبي ماري يعمولن عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا به نسخة جميع ماله وألقاه فباين الاقشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا ماله إلى أهلهم ومات بديل فأخذا من ماله أتا من فضة فيه ثلثة مثقال منقوشا بالذهب والمارج فباعا في التلغ إلى أهلهم ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الاناء فقالوا ليم وعدى أن الاناء فقالا لا ندري والذي دفع لنا دفنناه اليكم فرفضوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ودعا جميعا وعدى فاستحلفهما عند التبر ولما حلفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما طالت اللدة أظهر الاناء فبلغ ذلك بني سهم فطالبوهما فقالا كنا قد اشترينا منه ثم قالوا انقل لكم هل باع صاحبنا شيئا فقلنا لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم فكتبنا لذلك فرفضوا القصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الالة فقام عمرو بن العاص والطلب أبو ربيعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما وإلى أولياء البيت وكان نعيم الداري يقول بدسلا معصوق الله ورسوله أنا أخلت الاناء فأوبى الله تعالى

ذا قرني) أي ولو كان المشهود له ذا قرني (ولأنكم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله تعالى بإقامتها (أنا اذللن الآتين) أي أن كنتمنا حينئذ كنا من المعاصين (فان عثر على أنهما استحقا حنثا في اليمين بكنب في قول وخيانة في مال (فأخرا ن يقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين الذين هما من غير ملتصقين (من الذين استحق عليهم الأوليان) أي باليمين وبالمال أو الأقربان إلى البيت الوارثان له والأوليان ما بعد من آخران أو من الضمير الذي يقومون وأوصفوا لآخران عند الاخش لأن النكرة اذا تقدم ذكرها ما أعيد عليها الذكر صارت معرفة وأخبر لمبتدا محذوف وهذا على القراءة للشهرة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للمجهول وأما وصف الورثة بكونهم استحق عليهم لأنه لا إخما لهم فقد استحق عليهم ما لهم وألصق بهم حتى عليهم أما على قراءة حفص وحدهم هي استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل قوله الأوليان فاعله والمعنى ان الوصيين الذين ظهرت خيانتهم هما أولى من غيرهما بسبب أن البيت عنيتهم للوصاية ولما خاناه في مال الورثة صرح أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم الأوليان أي خان في مالهم الأوليان بالوصية (فيقسان) أي هذان الآخران (بالله) بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصح وأحق بالقبول من يمين النصرانيين (وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيها ادعينا وطلب المال وفي نسبتها إلى الخيانة (أناذا لمن الظالمين) أي أنا ان اعتدينا في ذلك كنا من الظالمين أنفسهم بإقبالهم لسلط الله تعالى وعذابه واتفق للفسور على أن سبب نزول هذه الآيات أن نعيم بن أوس الداري وعدى بن بدهاء كانا نصرانيين ومعهما بديل بن أبي ماري يعمولن عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا به نسخة جميع ماله وألقاه فباين الاقشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا ماله إلى أهلهم ومات بديل فأخذا من ماله أتا من فضة فيه ثلثة مثقال منقوشا بالذهب والمارج فباعا في التلغ إلى أهلهم ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الاناء فقالوا ليم وعدى أن الاناء فقالا لا ندري والذي دفع لنا دفنناه اليكم فرفضوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ودعا جميعا وعدى فاستحلفهما عند التبر ولما حلفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما طالت اللدة أظهر الاناء فبلغ ذلك بني سهم فطالبوهما فقالا كنا قد اشترينا منه ثم قالوا انقل لكم هل باع صاحبنا شيئا فقلنا لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم فكتبنا لذلك فرفضوا القصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الالة فقام عمرو بن العاص والطلب أبو ربيعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما وإلى أولياء البيت وكان نعيم الداري يقول بدسلا معصوق الله ورسوله أنا أخلت الاناء فأوبى الله تعالى رجلا ن من قرابة الميت فيحلفان بالله لقد ظهرنا على خيانة النعمين وكذبهما ونيدلها وهو قوله (فيقسان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي يميننا أحق من يمينهما (وما اعتدينا) أي أخطأنا فاما نزل الآية فقام اتان من ورثة الميت فحلفا بالله هما خاؤا كذبهم فافهم الاناء إلى أولياء الميت

(ذلك)

فيحلفان بالله لقد ظهرنا على خيانة النعمين وكذبهما ونيدلها وهو قوله (فيقسان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي يميننا أحق من يمينهما (وما اعتدينا) أي أخطأنا فاما نزل الآية فقام اتان من ورثة الميت فحلفا بالله هما خاؤا كذبهم فافهم الاناء إلى أولياء الميت

(ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أى ذلك الطريق الذى يئاء أقرب إلى أن يؤدى الشهود
 الشهادة على طريقها الذى تحملوا عليهم غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخرى (أو
 يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المؤمنين
 لانقلاب الدعوى بأن صار للدعى عليه مدعى الملك وصار المدعى مدعى عليه فلذلك زمتا المؤمنين والمعنى
 أو يخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة بل يأتوا بالشهادة على غير وجهها ولو لم يكن يخافون
 الاقتضاح على رموس الأشهاد باطل أيمانهم والعمل بأيمان الورقة فيجزوا عن الحياة المؤبدة إليه
 فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) فى أن تخونوا فى
 الأمانات (واسمعوا) مواضع الله أى أعمالوا بها وأطيعوا الله فيها (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى
 الخارجين عن الطاعة إلى ما يشقون فى الآخرة يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيقوم بدل اشبال
 من مفعول اتقوا وأظرف ليهدى والمعنى لا يهدىهم إلى الجنة (فيقول) لهم بشيرا إلى خروجهم عن عهدة
 الرسالة (ماذا أجبتكم) أى أى اجابة أجاكم بها ثم حين دعوتهم فى دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتى
 أى اجابة قبول أو اجابة رد (قالوا) تفوقنا لا لمر إلى العدل الحكيم العالم وعلمناهم أن الأدبى
 السكوت والتفويض وإن قولهم لا يشيد خبرا ولا يذم شرأ (لا علم لنا) أى لا نعلم ما أظهر وأوما
 أضمرنا ونحن لانعلم الا ما أظهرنا لنا فملكت فيهم أنفذ من علمنا ولا نالحاصل عندنا من أحوالهم هو
 الظن وهو معتبر فى الدين لأن الأحكام فى الدين مبينة على الظن وأما الأحكام فى الآخرة فهى مبينة على
 حقائق الأشياء وبواطن الأمور ولا مبرة بالظن فى القيامة فلذلك السبب قالوا لا علم لنا (انك أنت علام
 الغيوب) أى فانك تعلم ما جابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمره فى قلوبهم وقرى شادا علام
 الغيوب بالتصبا مع اعلى الاختصاص وأعلى النداء وأعلى أنه يدل من اسم ان والكلام قد تم بقوله تعالى
 انك أنت أى أنت متصف بصفاتك السنية (قال الله) يدل من يوم يجمع الله ويحجز أن يكون موضع
 اذ رقعا بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ
 أبدتك بروح القدس) أى اذكر انعمى عليك كما اذ ظهرت أمك وصطفيت بها على نساء العالمين
 وفوتك بجبريل تثبت الحجة (تكلم الناس فى المهد) أى طفلا بقولك انى عبد الله الآية (وكلا) أى
 اذا أنزله الله تعالى إلى الأرض أنزله وهو فى صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم انى
 عبد الله كما قال فى المهد (واذ علمت الكتاب) أى الكتابة وهى الخط (والحكمة) أى العلوم النظرية
 والعلوم العملية (والثورة والإنجيل) وذكر الكنائس إشارة إلى الأسرار التى لا طالع عليها أحد
 الا أكابر الأنبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتاب الالهية لا يحصل الا لمن صار بانيق
 أصناف العلوم الشرعية والعقلية الفاضلة التى يحببها العلماء (واذ خلق من الطين كهيئة الطير)
 أى تصور منه هيئة عائلة لهيئة الطير (بأذى) أى بأمرى (فتنفخ فيها) أى فى الهيئة للصورة فالصمير
 رابع لكاف وهى دالة على الهيئة التى هى مثل هيئة الطير (فتكون طيرا بأذى) أى فتصير تلك
 الصورة خفشا ظير بين السماء والأرض بارادى (وتبرى الأكمه) أى الأعمى المطموس البصر
 (والأرض بأذى) أى بأمرى وارادنى وقد رنى (واذ تخرج الموقى) من قبورها بميام (بأذى) أى
 بفعل ذلك عند عاتك وعند قولك الحب اخرج باذن الله من قبرك (واذ كفت بنى اسرائيل عنك)
 أى منعت اليهود الذين أراذوا قتلك عن مطالوبهم بك (اذ خبتهم بالبينات) بما ذكر وما لا يذكر كالآخبار
 بما يأكلون وما يدخرون فى ميوتهم ونحو ذلك فإلى الجنس (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر
 سبين) قرأ حجة والنسبائى هنا وفى هود والصف ويونس ساحر بالآلى أى ما هنا الرجل وهو

(ذلك) أى ما حكم به فى
 هذا القصة وبينه من رد
 اليمين (أذى) إلى الاتيان
 بالشهادة كما كانت (أو
 يخافوا) أى أقرب إلى أن
 يخافوا (أن ترد أيمان
 على أولياء الميت) بعد
 أيمانهم (أى بعد أيمان
 الاوصياء فيحلفوا على
 خيانتهم وكذبهم فيقتضوا
 (واتقوا الله) أن تحلفوا
 أيماناً كاذبة أو تخونوا
 أمانة (واسمعوا) للموعظة
 (والله لا يهدى القوم
 الفاسقين) أى لا يرشد
 من كان على مصيبة يوم
 يجمع الله الرسل) أى ذكروا
 ذلك اليوم (فيقول) لهم
 (ماذا أجبتكم) أى ماذا
 أجاكم قومكم فى التوحيد
 (قالوا لا علم لنا) من هول
 ذلك اليوم يذهلون عن
 الجواب ثم يحبون بعد
 ما تنوب اليهم عقولهم
 فيشهدون لمن صدقهم
 وعلى من كذبهم (أذقال
 الله يا عيسى ابن مريم)
 مضى تفسير هذه الآية فيما
 سبق إلى قوله (واذ كفت
 بنى اسرائيل عنك) أى
 عن قتلك

عيسى الاساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم في يونس فقط بالآلف والباقون سحر بكسر السين
وسكون الحاء أى ما هنا الذى جاء به عيسى من الخوارق أو ما هنا أى عيسى الاسحريين وهذا
على سبيل المبالغة أو على حنف مضاف روى أن عيسى عليه السلام لما ظهر هذه المعجزات
العجيبة قصد اليهود قتله فخطبه الله تعالى منهم حشيرة إلى السماء (وإذا أوحيت إلى الحواريين)
أى الأنصار أى ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلاً قلوبهم وأمرتهم في الإنجيل على لسانك
(أن آمنوا بي ورسولي) واللعنى أى آمنوا بوحدايتي في الألوهية ورسالة رسولي عيسى
(قالوا آمنا) بوحدايته تعالى ورسالة رسوله (واشهد) أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) أى
مخلصون في أيماننا (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) قرأ الجمهور الباء على
التنية أى هل يفعل ربك والمقصود من هذا السؤال تقرير أن ذلك المطلوب في غاية الظهور كمن يأخذ
بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على إشباع هذا ويكون غرضه من أن ذلك أرجل لا يجوز
لحال أن يشك فيه فكلنا هنا وقرأ الكسائي تستطيع بناء الخطاب ليسى وركب بالصب على
التعظيم وبإظام اللام في التاء وهذه القراءة مروية عن علي وابن عباس وعن عائشة أى هل تستطيع
أن تسأل ربك (أن يزل علينا ما نؤمن من السماء قال) عيسى لشعوب قل لهم (اتقوا الله) في اقتراح
معجزة لم يسبق لها مثال بعد تقديم معجزات كثيرة (أن كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادراً على أنزال
المائدة فليكن تركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شعوب (قالوا إيداناً كل منها) أكل
تركاً وأكل حاجة وتجمع (وطمئن قلوبنا) بكال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال
(ونظم أن قصدنا) أى ونظم علماء يميننا أنه قصدنا دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وفي
قوله (أنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نأكل إلا ما نأكل) (ونكون عليهم من الشاهدين) الله بكال
القدرة ولك بالنبوة وهذه المعجزة ما يوهي أعظم وأعجب فأذا شاهدناها كنعانها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم به شهادتنا ثقة ويقينا
وؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى ابن مريم) أى لما رأى أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك فقاموا وغسل
وليس المسحوصلى ركعتين فطأ طأ رأسه وغض بصره وقال (اللهم بنا أنزل علينا ما نأكل) أى طعاماً
(من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) أى تتخذ اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيداً نطمع نحن
ومن يأتى بعدنا ونزلت يوم الأحد فاتخذته النصرى عيداً وأما استدلاله بالمائدة لأن شرف اليوم
يستمر من شرفه والذى يكون يوم زولها عيداً لأهل زماننا ولبن معهم لكى نعيد فيه (وآية
منك) أى دلالة على وحدانيتك وكال قدرتك وهمة نبوتك رسولك (وارزقنا) أى أعطنا ما سألناك
(وأنت خير الرازقين قال الله أنى منزلها) أى المائدة (عليكم) وقرأ ابن عامر وعاصم ونافع منزلها
بالتشديد والباقون بالتخفيف (فن يكفر بعد) أى بعد زولها (منكم) فأتى أعذبه علماء الأعدبه
أى أنى أعذب من يكفر تمديداً لأعذب مثل ذلك التعذيب (أحدا من الملائين) روى أن عيسى
عليه السلام لما أراد البدء ليس صوفاً ثم قال اللهم أنزل علينا الخ فزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها وأخرى تحتهما وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثله وعقوبة وقال لهم ليقيم أحسنكم
عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شعوب رأس الحواريين أنت أولى
بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف التبديل وقال باسم الله خير الرازقين فأذا سمعتم مشوية
بلاشوك ولا فليس سليل دماً وعند رأسها ملح وعبدتها خل وحولها من الألوان ما خلا السكرات

(وإذا أوحيت إلى الحواريين) أى ألهمتهم (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) لم يشكوا في قدرته ولكن معناه هل يقبل ربك دعاءك وهل يسهل لك أنزال ما نأكل من السماء عندك ودلالة على صدقك فقال عيسى (اتقوا الله) أن تسألوه شيئاً لم تسألوه إلا من قبلكم (قالوا نريد أن تأكل معنا) أى نريد السؤال من أجل ذلك (وطمئن قلوبنا) ونزداد يقيناً بصدقك (ونكون عليها من الشاهدين) أى لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقوله (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) أى تتخذ اليوم الذى تنزل فيه عيداً نطمع نحن ومن يأتى بعدنا (وآية منك) أى دلالة على توحيدك وصدق نبيك (وارزقنا) عليها طعاماً نأكله وقوله (فن يكفر بعد منكم) أى بعد أنزال المائدة (فأتى أعذبه علماء الأعدبه أحدا من الملائين) أراد جنساً من العذاب لانتب به غيرهم من عالمي زمانهم

مريم) وإذا ذكر يا محمد حين يقول الله يوم القيامة لعيسى (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) هذا استفهام معناه ماتوا بيخ لمن ادعى ذلك على المسيح ليكذبهم المسيح فقوم عليهم المحجة (قال سبطانك) أي برأتك من السوء (تعلم ما في نفسي) أي ما في سرى وما أضمره (ولأعلم ما في نفسك) أي ما شفيها مات وما عندك علمه ولم تطعنا عليه وقوله (وكنتم عليهم شهيدين) أي كنتم أشهد على ما يفعلون (فلما توفيتني) أي قبضتني ورفعتني إليك أي إلى السماء (كنت أنت الرقيب) أي الحفيظ (عليهم) وأنت على كل شيء شهيد (أي شهدت مقاتلي فهمو بعد ما رفعتني شهدت ما يفعلون من بدى (إن تذبذبهم) أي من كفر بك (فانهم عبادك) وأنت العادل فيهم (وإن تغفلهم) أي من أقلع منهم وآمن (فأنك أنت العزيز) لا يمنع عليك ما يد (الحكيم) في ذلك (قال الله هذا يوم) يعني يوم القيامة (بشفع الصادقين) في الدنيا (بشفعهم) لأنهم يوم الجزاء (رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بشوابه (ذلك القور العظيم) أي لا تهم قاز وبالجنة (فهو ملك السموات والأرض) عظم نفسه عما قالت النصارى إن ممة لها

وإذا خمسة أرغفة على واحد منها ز يتون وعلى الثاني غسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون بار وح الله من طعام الدنيا هذا أدم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقرفة العالية كلوا مأسأتم واشكروا بمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون لو أنزلنا من هذه الآية آية أخرى فقال يأسمة أحي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت ضاعفت مشوية ثم طارت للسائمة ثم عصوا وقالوا جددنا ولولا كل هذا سحر ميين ففسخ الله منهم ثلاثة وثلاثين رجلا بانوا إليهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير يسمنون في الطرفات والكناسات و يأكلون المنفرة والحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطفيه وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيكونون ويشرون برؤوسهم ولا يقرون على الكلام فمأشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (وإذ قال الله) يوم القيامة (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس في الدنيا (اتخذوني وأمي الهين من دون الله) أي غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه و يظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى أن عيسى لم يقل ذلك أعا تو بيخ قومه (قال) أي عيسى وهو رعد (سبحانك) أي أزهك تنزها بها لا تقابك من أن أقول ذلك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي) يعني أي ما كان ينبغي أن أقول ما ليس بجائز لي (إن كنت قلته) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة في الأدب في اظهار القليل في حضرة ذي الجلال وتقويض الأمور بالكلية إلى الكبير للتعالي (تعلم ما في نفسي) ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم ما عندى ومعلومى ولا أعلم ما عندك ومعلومك (أنك أنت عالم الغيوب) عن العباد (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله بغير ربكم) وأن مقصرة للهاء الرابع للقول للمأمور به واللفظ ما قلت لهم في الدنيا الأقول أمرتني به وذلك القول هو أن أقول لهم أعبدوا الله بغير ربكم (وكنتم عليهم شهيدين) على ما يفعلون (مادم تفهم) أي مددقواي فيما بينهم (فلما توفيتني) أي رفعتني من بينهم إلى السماء (كنت أنت الرقيب عليهم) أي الحافظ لأعمالهم الرقيب لأحوالهم (وأنت على كل شيء شهيد) وعالم بصير (إن تذبذبهم فانهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وإن تغفلهم فإنك أنت العزيز) أي القادر على ما تريد (الحكيم) في كل ما تفضل لا اعتراض لأحد عليك فإن عذبت فمدل وإن عفرت ففضل وعدم غفران الشريك أمهوا بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ومقصود عيسى عليه السلام من هذا الكلام تقويض الأمور كلها إلى الله وترك الاعتراض عليه بالكلية لأنه يجوز في مذهبه أن الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وأن يدخل العباد النار لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه (قال الله هذا) أي يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) في الدنيا في أمور الدين قرأ الجمهور يوم بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أي هذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) أي عن الصادقين بطاعتهم (ورضوا عنه) بالتواب والكرامة (ذلك) الرضوان (القور العظيم) فأنجبه بما فيها بالنسبة إلى رضوان الله كالعلم بالنسبة إلى الوجود وكيف لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأي مناسبة بينهما (فهو ملك السموات والأرض وما فيها وهو على كل شيء قدير) أي أن كل ما سوى الله تعالى من الكائنات والأجساد والأرواح يمكن لذاته موجودا بعباده وإذا كان الله موجودا كان ماله كاله وإذا كان ماله كاله كان له تعالى أن يتصرف في الكل بالأمور وأنهى التواب والعقاب كيف أراد فصح التكليف على أي وجه أراد ما به تعالى ولما كان الله مالك الملك فله يحكم للملكية أن يسخن شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فقبل قول

اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم ان عيسى وجرم داخلان فها سوى الله فهو كائن يتكلم الله تعالى
فثبت كونهما عبيد لله مخلوقين له فظهر بهذا التقرير ان هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم
التي اشتملت هذه السورة عليها

﴿سورة الانعام مكية الاست آياتها مدينيات وهي قوله قل تعالوا الى آخر الآيات الثلاث وهو
لعلكم تتقون وقوله تعالى وما قدرنا الله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون
وهي مائة وخمس وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة
وعدد حروفها اثناعشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ وللح
أعم من الحد لأن للخلق للعقل ولغير العقل فكما يمدح العقل على أنواع فضائله كذلك يمدح الخلق
لحسن شكله واليقوت على نهاية صفاته وصفاته والحمد لا يحصل إلا للفاعل المتخار على ما يصدر منه من
الاحسان. والحمد أعظم من الشكر لأن الحمد تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الانعام واصلا ليك أو إلى
غيرك والشكر تنظيمه لأجل انعام وصل اليك وحصل عندك وللقصود من هذه الآية ذكر الدلالة
على وجود الصانع والفرق بين الجبل والخلق ان كلاهما هو الانشاء والابداع لأن الخلق يخص
بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجبل علمه كافي هذه الآية الكريمة وللشريعة
أيضا كافي قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها ما من جرم
الأول ظل والظل هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار وهذا اذا حمل على الكيمايتين
المحبوستين بحس البصر وان حمل النور على نور الاسلام والايمان واليقين والنبوة والظلمات على
ظلمة الشرك والكفر والتناقض فنقول لأن الحق واحد لا يابل كثير وتقديم الظلمات على النور
لأن الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم الحمد ما تقدمت عليه وجودها (ثم الذين كفروا
بربهم يعملون) أي يشركون به غيره وهذا جملة الامم مملوكة على قوله الحمد والبالا متعلقة بكفروا
فيكون يعملون من الدول ولا مفصوله وللغنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه لا تعالى
ما خلقه الانعمة ثم الذين كفروا بربهم يعملون عنه فيكفرون نعمته أو متعلقة بعملون وهو من
الدول ويوضع الرب موضع الضمير الماتداليه تعالى والمغنى انه يخص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار
ذاته و باعتبار شئونه العظيمة الخصة به ثم هؤلاء الكفرة يسون به غيره في العبادة التي هي أقصى
غايات الشكر الذي رآه الحمد او ما عطفوا على قوله خلق السموات والبالا متعلقة بعملون وقدمت
لأجل الفاصلة وهي اما يغنى عن يعملون من الدول وللغنى ان الله تعالى خلق ما لا يشتر عليه أحد سواء
ثم الذين كفروا يعملون عن ربهم الى غيره أو لتعدي و يعملون من الدول وهو التسوية وللغنى انه
تعالى خلق هذه الأشياء العظيمة التي لا يشتر عليها أحد سواء ثم انهم يعملون به جادا لا بقدر على
شئ أو لا فيكون المقول محنوقا وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بدو صوح آيات قدرته تعالى (هو الذي
خلقكم من طين) أي ان الله خلق جميع الانسان من آدم وآدم كان مخلوقا من طين فلهذا السبب
قال هو الذي خلقكم من طين أي من جميع أنواعه فلذلك اختلف ألوان بني آدم وعجنت طينتهم
بالماء العذب وللح والرف فلذلك اختلفت أخلاقهم وأيضا ان الانسان مخلوق من التراب والطين انما يتولد
من الأغذية وهي اما حيوانية أو نباتية فحال الحيوانية كالخيل في كيفية تولد الانسان فيق أن تكون
الأغذية نباتية فثبت أن الانسان مخلوق من الأغذية النباتية ولا شك انها متولدة من الطين فثبت أن
كل انسان متولد من الطين وقال المهدوي ان الانسان مخلوق ابتداء من طين فخر بما من مولود يولد

﴿تفسير سورة الانعام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي خلق

السموات والأرض وجعل

الظلمات والنور) أي

وخلق الليل والنهار، (ثم

الذين كفروا) بعد

قيام الدليل على وحدانيته

بما ذكر من خلقه (ر. ٢٣٣)

يعملون) الجبار عوا الأنعام

في عبدونها معه (هو الذي

خلقكم من طين) يعني آدم

أبا البشر

(تم قضي أجلا)

الحياة إلى الموت (وأجل
مسمى عنده) أي من المرات
إلى البعث (ثم أنتم) أيها
الشركون بهذا البيان
(تقرن) أي تشكون
وتكذبون بالبعث يردن
الذي ابتدأ الخلق قادر على
إعادته (وهو الله) أي العبود
العظم المنفرد بالتدبير (في
السماوات وفي الأرض يعلم
سرهم وجهرهم ويعلم
ما تكسبون وما تأتيسم
من آية من آيات ربه) سم
الدالة على وحدانيته كما
ذكر من خلق آدم وخلق
الليل والنهار (الا كانوا
عندهم مرضين) أي تاركين
للتفكير فيها (فقد كذبوا)
يعني مشركي مكة (بالحق لما
جاههم) يعني القرآن
(فسوف يأتيهم آباءه
ما كانوا يستهزئون) أي
اشبهوا استهزائهم وجراؤهم
(ألم يروا) يعني هؤلاء
الكفار (كم أهلكتنا من
قبلهم من قرن) أي من
جيل وأمة (مكتاهم في
الأرض ما لم تكن لكم)
أي أعطيتهم من المال
والعبد والآنما لم تعطكم
(وأرسلنا السماء) أي المطر
عليهم مدررا) أي كثير
الدر وهو أقباله وزوله
بكثرة (فأهلكناهم
بذنوبهم) أي بكفرهم

الاولى على النطق من تراب حقرته وأيا ما كان الإنسان فيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته
تعالى على البعث لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قاربته مادة
أظهر قدرة (تم قضي أجلا) أي خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص تعلق
مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى) أي حدد معين لبعثكم جميعا من
البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من
مولده إلى موته وأجلا من موته إلى مبضعه فإن كان راتبيا ووصلا للرحمة ببله من أجل البعث في أجل
العمر وإن كان عاجزا قاطعا للرحمة نقص من أجل العمر وبت في أجل البعث وقال حكاء الإسلام إن
لكل إنسان أجلين أحدهما أجل الطبيعة والثاني الأجل الاخترامية فالأجل الطبيعية هي التي
لوقوع ذلك المزاج مصونا من الأعراض الخارجية لا تستمد مدة بقائه إلى الوقت الفلاني والأجل
الاخرامية هي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالغرق والحرق ولذغ الحشرات وغيرها من
الأمر العضة (ثم أنتم تقرن) أي تم يستظهر مثل هذه الحجة الباهرة أتم أيها الكفار تنكرون
صحة التوحيد للصانع أو تم يستشهدكم في أنفسكم من الشواهد ما قطع الشك بالكلية أتم أيها
الكفار تستبعدون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على إعادة أقدر فالآية الأولى دليل
التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله في السماوات وفي الأرض) أي وهو الذي انصف بالخلق
هو للعبود في السماوات والأرض وللصرف فيما (يعلم سرهم) في القلوب من الدواهي والصورف
(وجهرهم) في الجوارح من الأعمال (ويعلم ما تكسبون) أي ما تكسبونكم أي ما تستحقون على فعلكم
من الثواب والعقاب (وما تأتيسم من آية من آياته) بهم الا كانوا عنها معرضين أي ما يظهر للكفار
من آياته من الآيات التكوينية التي يحب فيها النظر التي من جملة جلائل شؤونه الدالة على وحدانيته تعالى
الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين النظر للوؤى إلى الإيمان بمكونها وهذه الآية تدل
على أن التقليد باطل والتأمل في الدلائل واجب ولولا ذلك لما ذم الله للمرضين عن التفكير في الدلائل
أولئك ما يزل إلى أهل مكة أيمن الآيات القرآنية الا كانوا مكندين بذلك الآية ومن الأولى مزيدة
لاستغراق المجلس الذي يقع في النبي والثانية لتبعض وهي مع مجرورها صفة لآية (فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم) أي فقد كذب أهل مكة بالمعجزات كانت حق القوم مكة وانفلقه فلقتين فتهبت
فلقته وشيت فلقة أو بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم آباءه ما كانوا به
يستهزئون) أي سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم يهدو يوم أجلو يوم الأحزاب
(ألم يروا) كم أهلكتنا من قبلهم من قرن) أي لم يعرف أهل مكة بمحنة الأنار في أسفارهم للتجارة إلى
السام في الصيف وإلى اليمن في الشتاء وبيعوا الأخباركم أمه أهلكتنا من قبل زمان أهل مكة كنوم
نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكتاهم في الأرض ما لم تكن لكم)
أي أعطيتنا أولئك الجماعة من البسطة في الأحساد والامتداد في الأعمار والسعة في الأموال والاستظهار
بأسباب الدنيا ما لم تعطكم بأهل مكة (وأرسلنا السماء) أي المطر (عليهم مدررا) أي مشابها كما
استجابوا إليه (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) أي من تحت بساطتهم وزرعهم وشجرهم
(فأهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الأنبياء وكونهم باعوا الدين بالدنيا (وأنا أنما من بعهم قرنا
آخرين) أي أحد ثمانين مدهلاك كل قرن قرنا آخرين يدلان المالكين وهذا تنبيه على أن أهلاك
الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا ولا يعظم على الله هلاكهم وخلو بلادهم منه فانه تعالى قادر

(وأنا أنما) أي وأبعدنا (من بعهم قرنا آخرين) وهذا احتجاج على منكري البعث.

(عليك كتابا) أى مكتوبا
(في قراطس) يعنى الصحيفة
(فلمسوه بأيديهم) أى
فما ينزلوا ذلك معاينة ومسوه
بأيديهم (فقال الذين كفروا
ان هذا الاسحر مبين)
أخبر الله تعالى أنهم يدفون
الدليل حتى لو رأوا الكتاب
ينزل من السماء لقالوا اسحر
مبين (وقالوا لولا أنزل
عليك ملكا) طلبوا ملكا
يروونه يشهد له بالرسالة فقال
الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى
الأمس) أى لأهلكوا بعذاب
الاستئصال كسنة من قبلهم
من طلبوا الآيات فلم يؤمنوا
(ثم لا ينظرون) أى
لا يبهلون لتوبة ولا تنبر
ذلك (ولو جعلناه ملكا)
أى لو جعلنا الرسول الذى
ينزل عليه ليشهد له بالرسالة
ملكاً كما يطلبون (لجعلناه
رجلاً) لانهم لا يستطيعون
أن يروا الملك فى صورته
لان عين الخلق تعال عن
رؤية الملك وتلك كان
جبريل عليه السلام يأتى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى صورة دحية
الكلى (وليسنا عليهم
مابليسون) أى ولخططنا
عليهم ما يخططون على
أنفسهم حتى يشكروا فلا
يمروا ملك هو أم آدمى

فما يطلبوا حال ليس لآجال بيان ثم نرى نبى الله عليه وسلم بقوله (ولقد استهزى برسل

من قبلك) وكذبوهم ونسبوا إلى السحر

على أن يبعثى مكاتهم قوما آخرين يعمر بهم بلاده (ولوزنا عليك كتابا فى قراطس) فلمسوه بأيديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) أى ولوزنا لك الكتاب من السماء دفعة واحدة عليك
يا شرف الخلق كما سأك عبد الله بن أبى أمية الخزرجى وأصحابه فى صحيفة واحدة فرأوه عيانا ولمسوه
لطوائفه وحملوه على أن تعرفه وقالوا انه سحر وقال ابن اسحق والقائلون بالأقوال الآتية زعموا
الأسود والضرب الحارث بن كلدة وعبد بن عبد بن عديوث وابن بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه
ابن أبى حاتم (وقالوا لولا أنزل عليك ملك) أى هلا أنزل على محمد ملك يخبرنا بصدق فى دعوى النبوة
ويشهد له بما يقول والذى ان منكرى النبوات يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب أن يكون
ذلك الرسول واحدا من اللاتكة لان علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن
الخلق أكل ووقع الشبهات فى نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الأول قوله
تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) أى لفرغ من هلاكهم أى لو أنزل الملك على هؤلاء الكفار
فرما لم يؤمنوا واذن يؤمنوا بواجب هلاكهم بذاب الاستئصال فحينئذ أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا
يستحقوا هذا العذاب وأيضا أنهم اذا شاهدوا الملك زهق سرورهم من هول ما يشاهدون وذلك أن
الآدمى اذا رأى أنك فأن رأى على صورته الأصلية أو على صورة البشر فأن رآه على صورة الأصلية لم
يبق الأدبى حيا قال رسول الله ﷺ لما رأى جبريل على صورته الأصلية غشى عليه وأن جميع
الرسل عابوا للاتكة فى صورة البشر كآصيف ابراهيم وآصيف لوط وخصم داود وغير ذلك
وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فماتلك بمن عداهم من العوام وأيضا اذا
رأه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب هلاكهم وذلك نخل بصحة التكليف وان رآه
على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو فى نفسه ملكا أو بشرا وأيضا ان أزال الملك القوى
الشبهات لان كل معجزة ظهرت عليه روحها وقالوا هذا فلك فعلته باختيارك وقدرتك ولحصل لنا
مثل ما حصل لك من القوة والعلم لفتنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أى لا يبهلون بعد نزول الملك
طرفة عين وكلة ثم تلتبى على أن علم الانظار أشد من قضاء الأمر لان مغاظة الشدة أشد من نفس
الشدة وأشق والثانى قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً) أى لو جعلنا الرسول ملكا لجعلنا
الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى اللاتكة فى صورهم التى خلقوا عليها
ولو نظر الى الملك ناظر من الآدميين لصق عند رؤيته (وليسنا عليهم مابليسون) أى ولو صورنا الملك
رجلا لصرقنا نظيرا لعلهم فى التلبس وانما كان ذلك تلبسا لان الناس يظنون أنه بشر مع أنه ليس
بشرا وانما كان ظاهرا تلبسا لانهم يقولون لعلهم انهم بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا من عند الله
تعالى واذا كان الأمر كذلك فلم يفرحهم طلب نزول الملك لانهم لم يزلوا يقولون انهم بشر
استطاعوا ما يتحكيه كولا نال الجنس الى الجنس أميل فيقولون لعلنا اننا بشر مثلنا ويقولون اننا لارضى
برسالته هذا الشخص فيعود سؤالهم ويستمررون يطلبون الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزل الملك لا يفيدهم
شيئا بل يزدادون فى الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات اللاتكة قوية فيستحقرون طاعة البشر و بما
لا يبرونهم فى الإقدام على المعاصى (ولقد استهزى برسل من قبلك) أى والله لقد استهزى برسل أولى
شأن خطير وذوى عدد كثير كاتين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسليل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى تخفيف لطيف قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله سبحانه ان يكون ملكا من الملائكة ووعيد أيضا لأهل مكة (فحق بالذين سخطوا منهم ما كانوا يستهزئون) أى فساد وأحاط بالذين سخطوا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذى يستهزئون به وينكرونها فان الكفار كانوا يستهزئون بالعذاب الذى كان يخوفهم الرسول بنزوله والذى فاحط به واستهزأ به بالشرائع من الرسل عقوبة استهزأهم بالرسول للتسخرى جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لأهل مكة (سبوا فى الأرض) أى قل لهم لا تقفوا باجسادكم من الدنيا وطبيعتها ووصلتم اليه من لسانها وشهواتها بل سبوا فى الأرض لتعرفوا ههنا خبركم الرسول عن من زول العذاب على الذين كذبوا الرسل فى الأزمنة السالفة (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى ثم تفكروا فى أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستمطار فانكم عند ذلك فى الأرض والسفر فى البلاد لا بد وأن تشاهدوا تلك الآثار فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار (قل) بأشرف الخلق لأهل مكة (لن ماقى السموات والأرض) أى لن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا فان أجابوك فذاك والا (قل) لانه لا جواب غيرى (كتب على نفسه الرحمة) أى أوجب على نفسه اجاب القليل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (ليجتمعنكم الى يوم القيامة) أى والله ليجتمعنكم فى القبور محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم أولي جتمعنكم الى المحشر فى يوم القيامة فان الجميع يصكون الى المكان لالى الزمان (لاريب فيه) أى فى الجميع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أى ان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وأن سبق قضاء الله بالحشران هو الذى حلهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن فى الليل والنهار) أى له تعالى كل ما حصل فى الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع نداء المتحاجين ويعلم حاجات المضطرب (قل) غير الله اتخذ وليا) أى قل بأشرف الخلق أغير الله أجهل معبود (فاطر السموات والأرض) وعن ابن عباس قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتاني أعربان يختصمان فى بئر فقال أحدهما انى فطرتهما أى ابتدأتهما وقرى فاطر السموات بالجرصة قد أو بدل منه بدل اللطابق وبالرفع على اضماره والنصب على المدح وقرأ الزهري فطر السموات (وهو علم ولا يعلم) أى وهو الرزق لغيره ولا يرزقه أحد ويقال ولا يمان على التزييق (قل) يا أكرم الخلق لكفاركم (انى أمرت) أى من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فانه صلى الله عليه وسلم سابق آمننى الاسلام وقيل لى يا محمد (ولا تكون من المشركين) أى فى أمرين أمور الدين (قل انى أخاف ان عصيت ربي) بمخالفة أمره ونهيه أى عيبان كان (عذاب يوم عظيم) أى عذاب عظيم وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فقد حرمه) قرأ أبو بكر بن عاصم وحزرة والكسائي يصرف بفتح اليا ويكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرف ربي عنه يومئذ العذاب فقد آمن عليه والياقون يصرف بالبناء للمفعول والى أى شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الجنة (وذلك الفوز للبين) أى وذلك الرحمة هو الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطالب (وان بمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) أى وان يسكب الله ببلية أيها الانسان كرض وقفر ونحو ذلك فلا راض له الا هو وحده (وان بمسك بخير) أى وان ينزل الله بك خيرا من محبة وغنى ونحو ذلك فلا راض له غيره (فهو على كل شئ قدير) روى عن ابن عباس أنه قال أهدى النبی صلى الله عليه وسلم بطلا أهداه الله كسرى فركبها بعجل من مشر ثم أرفى خلفه عيارى فى ملاحم التفت الى فقال يا غلام قفلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك

(قل أي شيء أكبر شهادة)
قال أهل مكة للتي صلى الله
عليه وسلم اتنا بمن يشهدك
بالتبوة فإن أهل الكتاب
يسنكرون فغزت هذه
الاية أمر الله محمدا أن
يسألهم ثم أمر أن يجهرهم
فيقول (الله شهيد بيني
وبينكم) أي الله الذي
اعترفتم بأنمنا في السموات
والارض والظلمات والنور
يشهد بالنبوة بأقامة
البراهين وإزالة القرآن
على (وأوحى الى هذا
القرآن) المعجز بلفظه
ونظمه وإخباره عما كان
ويكون (الأنكر) أي
لاخوفكم به عقاب الله
على الكفر (ومن بلغ)
يعني ومن بلغه القرآن من
بديكم فكل من بلغه
القرآن فكأنما رأى محمدا
صلى الله عليه وسلم قل
(أنتكم تشهدون أن مع
الله آلهة أخرى) استفهام
معناه الجحد والانكار (قل)
لا أشهد قل أنا هو الله واحد
واتي برى مما تنكرون
الذين آتيناهم الكتاب)
مفسر في سورة البقرة
(ومن أظلم ممن افترى على
الله كذبا) أي لا أحد
أكفر من اختلق على
الله كذبا يعني الذين ذكروهم

احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وذات أسألت فاسأل الله وإذا استعنت
فاستعن بالله فقدم صلى الله عليه وسلم ما هو كائن فلو جهد الحلاق أن ينفعوك بما يقضه الله لك لم يقدر وأعليه
ولو جهدوا أن يضروك بما يكتب الله عليك ما قدر وأعليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين
فأفعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع
الكرب فرجا وأن مع العسر يسرا (وهو القاهر فوق عباده) بالقهرة والقوة وهذا إشارة الى كمال
القدرة (وهو الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وأنه تعالى عالم
بما يصح أن يخبر به وهذا إشارة الى كمال العلم اه روى ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد
ما وجد الله غيرك رسولاً واتى أحداً يصدقك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعوا أنه لا ذكرك
عندهم بالنبوة فأرنا من يشهدك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) يا أشرف الخلق لهم (أي شيء
أكبر شهادة) من الله كي يقرأوا بالنبوة وأن أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك
فذلك والا (قل الله شهيد بيني وبينكم) بأن رسوله وهذا القرآن كلامه وهو معجز لانكم فصحاء
بطاء وقد عجزتم عن معارضته فإذا كان معجزاً كان اظهار الله إياه على وفق دعواى شهادة من الله
على كوفى صادقاً في دعواى (وأوحى الى هذا القرآن لانكم بؤمن ببلغ) أي أنزل الله الى جبريل هذا
القرآن لاخوفكم بأهل مكة بالقرآن ولاخوفهم من ببلغ الله القرآن من الشك من يأتي بعدى الى
يوم القيامة (أنتكم) يا أهل مكة (تشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهي الأصنام التي كنتم
تعبدها وتقولون أنها بنات الله فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لا أشهد) أي بما تذكرونه من
اثبات الشركاء (قل أنا هو الله واحد) أي بل أنا أشهد أن الله لا اله الا هو (واتي برى مما تنكرون)
أي من اشراركم بالله تعالى في العبادة الأصنام قال العلماء للمستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي
بالتشهادين ويتبأ من كل دين سوى دين الاسلام ونص الشافعي على استحباب ضم التبرؤ الى
الشهادة لأن الله تعالى الماصح بالتوحيد قال واتي برى مما تنكرون (الذين آتيناهم الكتاب)
وهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أي يعرفون محمدا
من جهة الكتابين بصفته المذكورة فيهما (كما يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فأنهم كذبوا في قولهم
اننا نعرف محمدا لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر
ان الله أنزل على نبيه بمكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين
رأيتك كما عرف ابنى ولانا أشد معرفة بمحمد بنى فقال عمر كيف ذلك فقال أشهد ان رسول الله حقا
ولا أدري ما صنعت النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ومعنى هذا الخسران أن كآله جمهور
المفسرين أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله
للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار (ومن أظلم ممن افترى
على الله كذبا) أي لا أحد أجراً عن اختلق على الله كذبا كقول كفار مكة هذه الأصنام
شركاء قدوة الله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم ان اللاتكة بنات الله ثم قولهم أمرنا الله بتحريم البحار
والسواحب وكقول اليهود والنصارى حصل في التوراة والإنجيل أن هاتين الشريعتين لا تطرق اليهما
النسخ ولا ينجى بعدها نبى (أو كذب بآياته) أي قدس في معجزات محمد صلى الله عليه وسلم
وأنكر كون القرآن معجزة قاهرة بينة (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يظفرون عطايلهم في الدنيا

في قوله وإذا قلوا فاستعجلوا وجدنا عاها آياتنا والله أمرنا بها الآية (أو كذب بآياته)
أي بالقرآن ومحمد (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يمد من جحد رويته وكذبوا رسوله وهم الذين ظلموا أنفسهم بإهلاكها للعباد

والآخرة

(ويوم) أي واذكر يوم (نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا) (٢٣٥) أين شركاؤكم أي أصنامكم وآلهتكم

(الذين كنتم تزعمون)

إنها تشفع لكم وهذا

سؤال توحيه (ثم لم تكن

عاقبتهم) أي لم تكن عاقبة

افتنانهم بالأوثان وجههم لها

(الآن) تبرأ منها فها قالوا

والله ربنا ما كنا مشركين

(انظر) يا محمد (كيف

كذبوا على أنفسهم)

بمحمد شركهم في الآخرة

(و) كيف (ضل) زال

وبطل (عنهم) ما كانوا

يفترون أي عبادته من

الأصنام (ومنهم) أي ومن

الكفار (من يسمع اليك)

أي إذا قرأت القرآن

(وجعلنا على قلوبهم

أكنة) أي أغشية (أن

يفقهوه) يعني كلاً لا يفهموه

ولا يعرفوا الحق (وفي

آذانهم وقرا) أي قفلا

وصما فلا يسمعون منه شيئا

ولا يتفهمونه (وإن ير وا

كل آية) أي علامة يدل

على صدقك (لا يؤمنوا

بها) هذا حالهم في البعد

عن الإيمان (حتى إذا

جادوك بمجادولك يقول

الذين كفروا) أي من

كفرهم (إن هذا) أي

ما هذا (الأساطير الأولين)

أي أحاديث الأمم القديمة

التي كانوا يسطرونها في

كتبهم (وهم ينهون عنه)

أي ينهاونهم (وإن) أي وما

(يهلكون) أي يهلكون

والآخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان (ويوم نحشرهم جميعا)

القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤوس الأشهاد لتوبيخ (أين شركاؤكم)

أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونها شركاء وإنها

شفعاء لكم عند الله قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي افتنانهم

بالأوثان (الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة افتنانهم بشركهم الإبراهيم منه

فحلفهم أنهم ما كانوا مشركين ومثاله أن ترى إنسانا يحب صاحباً مذموم الطريقة فذا وقع في محنة

بسببه تراء منه قرأ ابن عمرو ابن كثير وحسن عن عاصم ثم لم تكن بالثناء التوفيق وقتنتهم بالرفع

وقرأ حمزة والكسائي لم يكن بالياء التثنية وقتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي ربنا نصبه على

النداء أو اللحن والباقيون بالكسر (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشتراك

عنهم في الدنيا (وضل عنهم) ما كانوا يفتررون أي وكيف زال عنهم افتراؤهم عبادة الأصنام فترن

عنهم شيئا وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتهم لهم (ومنهم من يستمع اليك) أي بعض من

أهل مكة من يستمع إلى كلامك حين تلو القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي

آذانهم وقرا) أي وقد ألقينا على قلوبهم أغشية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن

وفي آذانهم صما وقفلا تامنا من سماعه لعل أن يفقهوه مفصول منه بحذف المضاف أو مفصول لعل مقدر

أي منعناهم أن يفقهوه مجموع القدرة على الإيمان مع الداعي إليه بوجوب الفعل فالكفر من الله تعالى

وتكون تلك الداعية الجارة إلى الكفر كتناقل القلب عن الإيمان وقرا للسمع عن استماع دلائل

الإيمان (وإن ير وا كل آية لا يؤمنوا بها) أي وإن يشاهدوا كل آية من الآيات القرآنية يسامها

كفر وا بكل واحدة منها لأجل أن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة (حتى إذا جادوك بمجادولك

يقول الذين كفروا) أي بلغوا بتكذيبهم الآيات التي أتتهم إذا جادوا اليك بمجادولك (إن هذا إلا

أساطير الأولين) أي ما هذا الذي يقول عهد الأخراف الأولين وكذبهم أي إن هذا الكلام من جنس

سائر الحكايات المكتوبة فلاولين وإذا كان هذا كذلك فلا يكون معجزا خلقا للعبادة وجملة

قوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير لقوله بمجادولك أي بناكر ونك قال ابن عباس رضى الله عنهما

حضر عند رسول الله ﷺ أبو سفيان بن حرب والوليد بن الوليد والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة

ابن أريقطة وأمية وأبى بن خلف والحارث بن عمرو أبو جهل واستمعوا إلى القرآن فقالوا لننصر وكان

كثير الأخبار للقرن والساعة بأبا قتبية ماقول محمد قال ما أدري ما يقول لكني أراه يجر كشتيه

ويتكلم بأساطير الأولين كالتي كنت أحدثكم بعض أخبار القرن الأول فقال أبو سفيان أني أرى

بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلاً لا تقر بشيء من هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية (وهم

ينهون عنه) وأولئك الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن لتلايقها على حقيقته فيؤمنوا به

(ويناؤون عنه) أي ويتابعون عنه بأنفسهم تأكيداً لتنهيمهم (وإن يهلكون إلا أنفسهم) أي

وما يهلكون بما فاضوا من النهي والثأب لأنفسهم باقيلها لأشد العذاب (وما يشررون) أي يهلكون

أنفسهم ويذهبونها إلى النار بما يشغلون من الكفر والعصية (ولو ترى أن ذووقوا على النار) أي لو تبصر

حلم حين يوقفون على النار وهم يائسونها رأيت سوء ما لهم والنهي ولو تبصرهم حين يحسبون فوق

النار غلب الصراط وهي تحمهم رأيت سوء ما لهم أولئك ولو صرف فكرك الصحيح لأن تدبر حلمهم

أي ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ (ويناؤون عنه) أي ويتابعون عنه فلا يؤمنون به (وإن) أي وما

(يهلكون) أي يهلكون (ولو ترى) يا محمد (أن ذووقوا على النار) أي حبسوا على الصراط

أنفسهم) بتأديبهم في مصيبة الله (وما يشررون) أي وما يهلكون ذلك (ولو ترى) يا محمد (أن ذووقوا على النار) أي حبسوا على الصراط

فوق النار (فقالوا) يا ليتنا ردوا لئلا نكذب يا ربنا) فتمنوا ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا وهو قوله ولا نكذب أى ونحن لا نكذب
 يا ربنا يا ربنا بعد المعاناة (ونكون) (٢٣٦) من المؤمنين) ضمنوا أن لا يكذبوا أو يؤمنوا فقال الله تعالى (بل) ليس الأمر

حين يدخلونها لاردت بقينا وقرى اذ وقفوا بالبناء للفاعل أى ولو تراه حين يكونون في جوف
 النار وتكون النار حية بهم ويكونون عاصين فيها لعرفوا مقدار عذابها وأصعب على هذا التقدير
 أن يقال وقفوا على النار لأنها دار كرات وطبقات بعضها فوق بعض فيصعب هناك معنى الاستسلام (فقالوا)
 يا ليتنا نرد) الى الدنيا لنؤمن (ولا نكذب يا ربنا) أى بآياته الناطقة بأحوال النار وأحوالها
 الآخرة باتقاعها (ونكون من المؤمنين) بها أى لآرى هذا الموقف قرأ ابن عمرو أبو بكر برفع
 نكذب ونصب نكون أى ولا يصكون من الكذب مع كونهم من المؤمنين وقرأ حمزة وخفص عن
 عاصم بنصبهما والتقدير يا ليتنا لنرد وانتفاء تكذيب يا ربنا بنكون من المؤمنين فهذه الأشياء
 الثلاثة متممة بقيد الاجتماع وقرأ نافع وأبو عمر وابن كثير والكسائي برفعها وانتفوا على
 الرفع في قوله نرد للمضى أنهم غنوا الردى دار الدنيا وعدم تكذيبهم يا ربنا بهم وكونهم من المؤمنين أو
 للمضى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيكون تنبى الردى مقيدا بهاتين الحالتين (بل بدالهم
 ما كانوا يخفون من قبل) أى ليس التنبى الواقع منهم لأجل كونهم راغبين في الايمان بل لأنه ظهر لهم في
 موقفهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من تكذيبهم بالنار فان التكذيب بالشئ اخفاء له بلا شك أى
 فاحشوفهم منها ومن العقاب الذى عاينوه قالوا ما قالوا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) أى ولو ردهم الله
 تعالى من موقفهم ذلك الى الدنيا كاسألوا وغاب عنهم ما شاهدوه من الأحوال لم يحصل منهم فعل الايمان
 وترك التكذيب بل كانوا يستمر ون على الكفر والتكذيب (واتهم لكاذبون) في تمنيههم
 ووعدهم بفعل الايمان وترك التكذيب فان دينهم الكذب لأنه فجرى عليهم قضاء الله تعالى في
 الأزل بالشرك (وقالوا) أى كفاركم (أى الهي الاحيائنا الدنيا) أى محاييننا الا حياتنا الدنيا التى
 نحن فيها (وما نحن بمبعوثين) بعد ان فارقتنا هذه الحياة وليس لنا بعد هذه الحياة ثواب وعقاب
 (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أى حبسوا عن ربهم لأجل السؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدي
 سيده للعقاب رأيت أمرا عظيما ألقى وقفوا على جزام ربهم أى على ما وعدهم ربهم من عذاب
 الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة (قال ليس هذا) أى البعث بعد
 الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق وذلك اقراء مؤكدا باليمين لانجلاء
 الأمر غاية الانجلاء وهم مطمعون في نفع ذلك الأقرار وينكرون الاشراك فيقولون والله ربنا
 ما كنا مشركين (قال فتدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وجحدكم في الدنيا
 بالبعث بعد الموت (ففسخس الذين كذبوا بقاء الله) أى أنكروا الله والبعث والقيامة (حتى اذا جاءتهم
 الساعة بغتة) أى أنهم كذبوا ذلك الى أن ظهرت القيامة باغتة فلا سلام أحمدى يكون مجيئها وفى أى
 وقت يكون حصولها (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى بآيادنا متاعنا تفرطنا في تحصيل الزاد للساعة
 في الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أى والحال أنهم يعملون قتل ذنوبهم عليهم أى أنهم
 يقاسون عذاب ذنوبهم بمقاساة قتل ذلك عليهم فلانفارهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى ان المؤمن
 اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحا ويقول أنا مملوك الصالح
 طالم لكيتك في الدنيا فإر كيتي فللك قوله تعالى يوم نخسر النقيض الى الرحمن وفداى ركبانا وان الكفار اذا
 خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحا فيقول أنا مملوك الفاسد طالم لكيتي في

على ما تنوأم من الرد بدالهم
 ما كانوا يخفون من قبل
 وهو أنهم أنكروا شركهم
 فألقى الله جوارحهم حتى
 شهت عليهم الكفر
 والمعنى ظهرت فضيحتهم في
 الآخرة وتشتت أشتارهم
 (ولو ردوا لعادوا لما نهوا
 عنه) أى الى ما نهوا عنه من
 الشرك لقضاء السابق
 فيهم بذلك وأتهم خلقوا
 الشقاوة (واتهم لكاذبون)
 في قولهم ولا نكذب يا ربنا
 (وقالوا) يعنى الكفار
 (أى الهي الاحيائنا الدنيا)
 نحن بمبعوثين) أنكروا
 البعث (ولو ترى اذ وقفوا على
 ربهم) عرفوا ربهم ضرورة
 وقيل وقفوا على مسئلة
 ربهم وتو يبخه ايهم
 ويؤكد هذا قوله (قال
 ليس هذا بالحق) أى هذا
 البعث فيفكرون حيث
 لا ينعمهم ذلك ويقولون
 (بلى وربنا) فيقول الله
 تعالى (فتدوقوا العذاب
 بما كنتم تكفرون) أى
 بكفركم (قد خسر الذين
 كذبوا بقاء الله) أى بالبعث
 والمصير الى الله (حتى اذا
 جاءتهم الساعة) أى القيامة
 (بغتة) يعنى فجأة (قالوا)
 يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)

أى قسروا وضيعنا عمل الآخرة في الدنيا (وهم يحملون أوزارهم) أى أفعالهم (على ظهورهم) وذلك أن
 الكافر اذا خرج من قبره استقبله عمله على أقبح شئ صور قواخيه يحافى يقول أنا مملوك السي طالم لكيتي في الدنيا وأنا أربك اليوم

(ألا سامايز ر ون) أي يس الجمل حملوا (وما الحياة لدنيا الالب وهو) أي لأمها نفى وتنقض كالعب والهو يكون لتدقافية عن
قرب (ولدار الآخرة) يعني الجنة (خير للذين يتقون) الشرك (أفلا تعقلون) أي أنها كذلك فلا يفترون في العمل لها ثم عزى نبيه
عليه السلام على تكذيب قريش إياه فقال تعالى (قد علمنا أنه ليحزنك الذي

(٢٣٧)

الدنيا فأن أركبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الاسماء مايز ر ون)
أي يس شيئا يحمله آتاهم (وما الحياة الدنيا الالب وهو) أي وما الذات والمستحسنات
الحاصلة في هذه الدنيا إلا فرح يسغل النفس عما تنفع به وبالطرف صرف النفس عن الجد في الأمور
إلى المزل (ولدار الآخرة) أي الجنة أو اتجمل عمل الآخرة أو نعم الآخرة (خير للذين يتقون) من
للعاصي والكبائر وقرأ ابن عامر ودار الآخرة بإضافة دار إلى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن
عامر وحفص بالياء على الخطاب أي قل لهم ألا تفكرون أيها المخاطبون فلا تقولون أن الدار الدنيا فانية
والآخرة باقية وقرأ الباقون بالياء على التثنية أي يغفل الذين يتقون فلا يقولون أن الدار الآخرة خير لهم
من هذه الدار فيعملون لما ينالون بالدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون في طلب ما يوصل إلى
ذلك (قد علمنا أنه ليحزنك الذين يقولون) أنهم لا يؤمنون بك ولا يقبلون دينك وشريعتك أو
يقولون أنك سائر وشاعر وكاهن ومجنون قرأ نافع ليحزنك ضم الياء وكسر الزاي والباقيون بفتح
الياء وضم الزاي (فانهم لا يكذبونك) قرأ نافع والكسائي يسكون الكاف والباقيون بفتحها وتشديد
القال أي لا يجدونك كاذبا لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ولا يسبونك إلى الكذب بالاعتقاد
والإيمان (ولكن الظالمين بآيات الله يمحذون) أي ولكن جعلوا همه نبوتك ورسالتك أو
التي أنهم يقولون في كل معجزة فاتها سحر ويشكرون دلالة المعجزة على الصدق على الإطلاق والتي
أن القوم ما كذبوك وإنما كذبوني لأنك رسولك يقول السيد لمبده وقد أهاته بعض الناس أيها
العبد أنه ما أهانك وإنما أهاتني للمقصود تنظيم الشأن لأنني الإهانة عن العبد نظيره قوله تعالى أن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله • وروى أن الحارث بن عامر من قريش قال يا محمد والله ما كذبنا قط
ولكننا أن أتيناك نتخطف من أرضنا فنعين لأؤمن بك لعلنا السبب • وروى أن الأخنس بن
سريق قال لأبي جهل بأبا الحكم أخبرني عن محمد أصدق هو أم كاذب فأنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال
له والله أن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء والسقاية والحجاجة والنبوة
فإذا لست قريش فزلت هذه الآية وعن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال فني صلى الله عليه وسلم
أنا لا نكذبك فانك عندنا لصادق ولكننا نكذب ما شئناه فزلت هذه الآية (ولقد كذبتم رسول
من قبلك فصبوا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) أي ولقد كذب الرسل قومهم كما كذبك
قومك فصبوا على تكذيبهم وأيداهم لهم حتى أتاهم النصر بهلاك قومهم فصبوا يأتشرف الخلق كما
صبوا وتظفر كما ظفروا بل أنت أولى بالزائم المبر لأنك مبعوث إلى جميع العالمين (ولامبيل لكلمات
الله) بالنصرة فإن وعدناك ياك بالنصر حتى وصدق ولا يمكن طرق الخلف والتبديل إليه (ولقد
جاءك من نبي المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أعينهم ودمرنا قومهم
(وإن كان كبر عليك أعراسهم فإن استطعت أن تبقي نفقا في الأرض أو سلفا في السماء فتأتهم بآية) أي
وإن كان شق عليك أعراسهم من الإيمان بما جئت به من القرآن وأحييت أن تبينهم إلى ما سألوه فإن
قوت أن نتخذ من نفقنا تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو مصعدا ترتقي فيه إلى السماء فتأتهم بآية مما اقترحوه

ومعتر (فانهم لا يكذبونك)
في السر قد علموا صدقك
(ولكن الظالمين بآيات
الله يمحذون) أي بالقرآن
بصد للفرقة زلت في
المعادين الذين تركوا
الانقياد إلى الحق كما قال
الله عز وجل وجعلوا بها
واسيقفتها أنفسهم الآية
(ولقد كذبتم رسول من
قبلك فصبوا على
ما كذبوا) رجاء توالي
(وأوذوا) حتى نشروا
بالمناشير وحرقوا بالنار
(حتى أتاهم نصرنا) أي
موقوفنا إياهم بهلاك من
صكبتهم (ولا مبديل
لكلمات الله) أي لا نافع
لحكمه وقد حكم بنصر
الأنبياء في قوله كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي (ولقد
جاءك من نبي المرسلين)
أي خبرهم في القرآن
كيف أعينهم ودمرنا
قومهم (وإن كان كبر
عليك أعراسهم) أي
عظم وثقل عليك يعني
أعراسهم عن الإيمان
بك والقرآن وذلك أن
النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحرص على إيمان

قومه وكانوا إذا سألوا آية أحب أن يرهم الله فقال الله تعالى (فإن استطعت أن تبقي نفقا) أي طلب (نفقا)
أي سربا (في الأرض أو سلفا) يعني مصعدا (في السماء فتأتهم بآية) فافعل ذلك والمعنى أنك بشر لا تقدر على الاتيان بالآيات فلا
سبيل لك إلا المبر حتى يحكم الله

عليك من تحت الأرض وأمن فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحارث بن عاصم بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا أحمدا اتنباية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فأناب صدق بك فأتى الله أن يأتيهم بآية بما اقترحوه فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لشدة حرصه على إيمان قومه فزلزل هذه الآية والمقصود من هذا الكلام أن يقطع الرسول طمعه عن إيمانهم وأن لا يتأذى بسبب أعراسهم عن الايمان واقتلهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه عليه السلام على اسلام قومه الى حيث لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لما يسميهم (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولوشاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمسكهم بالتأمين في مشاهدتهم للآيات الساعية اليه (فلا تكون من الجاهلين) أى فلا تكونون بالليل الى اتیان اقتراسهم من الجاهلين بعدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم لعدم توجههم اليه لخروج الايمان عن الحكمة للؤسة على الاختيار ولللعنى ولا يخرج على أعراسهم عنك ولا يشتد تخذلك على تكذيبهم بك فان قلت ذلك فتقارب حالك من حال الجاهلين الذين لا صبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما ينطق بالهمس مبالغتهم وانما يطبلع من يقولون للوعظة دون اللوى الذين هؤلاء منهم (وللوى يمشيهم الله ثم اليه يرجعون) أى وللوى يمشيهم الله بعد الموت ثم يوفقون بين يده للحساب والجزاء فاقه تعالى هو القادر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لا تقدر عليه (وقالوا) أى كفار مكة الحارث بن عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبى ابنا خلف والنضر بن الحارث (ولا نزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه معجزة دالة على نبوته مثل خلق البحر واظلال الجبل وحياء اللوى وإزالة اللاتكة واسقاط السماء كفا (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله قادر على أن ينزل آية) أى أن يوجد خوارق العادة كالمطبو (ولكن أكثرهم لا يسمعون) أى لا يبدون أن في تنزيلها قلما لأساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار وان الله تعالى لو أعطاهم ما يطلبوه من المعجزات القاهرة فإن لم يؤمنوا عند طهروهم ولا استحقوا عذاب الاستئصال ولم يبق لهم غير ولاعة كاهوسة الله فاقتضت رحمة الله صونهم عن هذا البلاء فما أعطاهم هذا للظهور رحمته تعالى عليهم وان كانوا لا يسمعون كيفية هذه الرحمة (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امثالكم) أى وما من دابة تمشي في الأرض أو تسبح في الماء ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجواطواف امثالكم في ابتناء الرزق ووقى الهلاك وفي أنها تعرف ربها وتوحده وفي أنها يفهم بعضها عن بعض وفي أنها تبث بدلولت للحساب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة يسج الى الله يقول يارب ان هذا قتلتى عبثا لم يتنفع في ولم يدعى أكل من خشاش الأرض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتضى للجاء من القرناء والمقصود من هذه الآية الدلالة على كمال قدرته تعالى وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالليل على أنه تعالى قادر على أن ينزل آية (ما قرطنا في الكتاب من شيء) أى ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة أى أن القرآن واف يبين جميع الأحكام فليس الله على الخلق بذلك تكليف آخر وأن القرآن دل على أن الاجماع وخبر

(فلا تكون من الجاهلين) بأن يؤمن بك بسنهم دون بعض وانهم لا يستمعون على الهدى وظلف الخطاب زجرا له عن هذه الحال (انما يستجيب) أى يجيبك الى الايمان (الذين يسمعون) وهم المؤمنون الذين يسمعون التذكير فيقبولونه ويستمعون به والكافر الذي ختم الله على سمعه كيف يصنى الى الحق (واللوى) يعنى كفار مكة (بهمهم الله ثم اليه يرجعون) فيجزيهم بأعمالهم (وقالوا) يعنى رؤساء قريش (ولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) يعنون نزل ملك يشهد له بالنبوة (قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يسمعون) أى ما عليهم في ذلك من البلاء وهو ما ذكرنا في قوله ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه) يعنى جميع الحيوانات لانها لا تخلو من هاتين الحالتين (الا امثالكم) أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها فكل جنس من البهائم أمة كالطير والظباء والثئاب والاسود وكل صنف من الحيوانات أمة مثل بني آدم يعرفون بالاسد للعباد اليه حاجة الاوقدين اما نسا واما دلالة واما مجلا واما مقصلا كقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ويحتاج اليه في أمر الدين

عن القرآن لا يسمعون
سماع استفهام (وبكم) أي عن
القرآن لا ينطقون به ثم
أخبر أنهم عيشته صاروا
كذلك فقال (من يشأ الله
يضله ومن يشأ يهديه على
صراط مستقيم قل يا محمد
لهؤلاء المشركين بالله
(أرأيتم) أخبروني
(أن آتاكم عذاب الله)
يريد الموت (أو أتاكم
الساعة) يعني يوم القيامة
(أغير الله تدعون) يعني
أدعون هذه الأصنام
والاحجار التي عبدتموها
من دون الله (إن كنتم
صادقين) جواب قوله
أرأيتم لانه يعني أخبروا
كأنهم ادعوا من دون الله
أخبروا من تدعون عند
زول البلاء بكم (بل) أي
لا تدعون غيره بل (إياه)
تدعون فيكشف
مادعون إليه) أي
يكشف الضر الذي من
أجله تدعونه (إن شاء
وتسبون) أي وتكون
(ماتشركون) بهمن
الأصنام فلا تدعونه
(ولقد أرسلنا إلى أم من
قبلك) أي رسلا فكفروا
بهم (فأخذناهم بالأسنان)
وهو شدة الفقر (والضراء)
وهو الأمراض والأوجاع
(لهم يتضرعون) لكي
يتذللوا ويتخضعوا (فلولا)

لواحد والقياس حجة في الشرية فكل مدلل عليه أحد هذه الأصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة
موجودا في القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالي لأل من لعن الله في كتابه فقرأت امرأة
جميع القرآن فأنته فقالت يا أم عبد تلوث بالرحمة ما بين الدين فلم أجده في لعن الله
ولستوشمة فقال لولا تلويت لوجدته قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وإن ما آتانا به رسول الله
أنه قال لعن الله الواشمة ولستوشمة وذكر أن الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لآسألوني
عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول في المحرم إذا قتل الزنور فقال لا شيء
عليه فقال أين هذا من كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقال عمر رضي الله عنه المحرم قتل الزنور وروى أن
أبا السيف قال لشيء صلى الله عليه وسلم أقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالجلد والتعريب على السيف وبالرجم على المرأة وهذا يدل
على أن كل ما حكم به النبي ﷺ هو عين كتاب الله لانه ليس في نص الكتاب ذكر الجلد
والتعريب (ثم إلى ربهم يحشرون) فإن الله تعالى يحشر القلوب والطيور يوم القيامة بمجرد
الارادة ومقتضى الالهية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق إلى أهلها
يوم القيامة حتى يقاد لشاة الجاهل من القرءاء قال للمفسرون انه تعالى يبدو في العوض عليها يجعلها ربا
وعندها يقول الكافر بالني كذرت ربا (والذين كذبوا بآياتنا) التي هي من القرآن (صم)
لا يسمعونها سمع تدبر ففهم فذلك يسونها أساطير الاولين (وبكم) لا يقدر على أن ينطقوا
بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة الرسول بها (في الظلمات) أي في ضلالت الكفر والجهل والعناد
فلا يجدون سبيلا (من يشأ الله يضله) أي من يشأ الله اضلاله يخلق الله الضلال فيه ويمتد على
الكفر فيضل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن يشأ يهديه على صراط
مستقيم) أي ومن يشأ أن يهديه على طريق يرزاه وهو الاسلام يجعله عليه ويهديه اليه ويمتد عليه فلا
يضل من شيء اليه ولا يزل من تب تقدمه عليه (قل أرأيتم أن آتاكم عذاب الله أو أتاكم الساعة أغير
الله تدعون ان كنتم صادقين) أي قل يا كرم الرسل لكفار مكة بأهل مكة أخبروني أن آتاكم عذاب
الله في الدنيا كالقرى أو الحشف أو اللسخ أو نحو ذلك أو آتاكم العذاب عند قيام الساعة أترجعون إلى
غير الله في دفع ذلك البلاء أو ترجعون فيه إلى الله تعالى ان كنتم صادقين في ان أصنامكم آلهة فأجيبوا
سؤالى وألغى ان كنتم قوما صادقين فأخبروني بالمخايع الله تدعون الخ (بل إياه تدعون فيكشف
مادعون إليه ان شاء) أي انكم لا ترجعون في طلب دفع البلية إلا إلى الله تعالى فيكشف الضر الذي
من أجله دعوتهم بمحض شيشة (وتسبون ماتشركون) أي وتكون الأصنام لا تدعونهم لمعكم
انها لا تضر ولا تنفع (ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء) أي بالله لقد
أرسلنا إلى أم كثيرة كاتبة من زمان قبل زمانك رسلا غالفوهم فضايقناهم بشدة الفقر والحوف
من بعضهم والأمراض والأوجاع (لهم يتضرعون) أي لكي يدعو الله تعالى في كشفها
بالتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) أي فعلا (إذا جاءهم بأسنا تضرعوا
ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يسمعون) من الكفر واللماضي أي فلم يؤمنوا
حين جاءهم عذابنا ولكن ظهر منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان ان جال الدنيا هكذا تكون
شدة نعم الله فلم يحطروا بها لهم ان ما أنابهم من الشدائد ما أنابهم إلا لأجل علمهم القاسد
فلولا (إذا جاءهم بأسنا تضرعوا) تذللوا وألغى لهم يتضرعوا (ولكن يستقلوهم) فأنابوا على كفرهم (وزين لهم الشيطان) الضلالة التي

هم عليها فأصروا (فلما نسوا ما ذكروا (٢٤٠) به) أي تركوا ما وعظوا به (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) من النعمة والسرور بعد

فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم أبواب كل شيء) أي قلما انهمكوا في المصالح وتركوا ما وعظوا به من الشدائد فتحننا عليهم فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بئنة) أي حتى إذا اطمأنوا واعتصموا بهم وبطروا بأن ظنوا أن الذي نزل بهم من الشدائد ليس على سبيل الانتقام من الله وأن تلك الخيرات باستحقاقهم نزل بهم عذبا نالها ليكون عليهم أشد وقفا (فأذا هم مبسوثون) أي متحزونون غاية الحزن منقطع رجائهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي قطع دابر للشركين أي استؤصلوا بالهلاك بسبب ظلمهم بأقامة المصالح مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على استصالحهم بالكمال فإن اهلاك الكفار والصالحين من حيث أنه تخليص لأهل الأرض من شوم عقابهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحققة للحمد (قل أرأيتم أن أخذناهم سميعا وبصيرا كرم وبصرهم وختم على قلوبهم من الله غير الله يأتينكم به) أي قل يا أكرم الخلق لأهل مكة يا أهل مكة أخبروني أن زال الله سمعكم وبصركم وعقولكم أي فرد من الألهة الثلاثة بزعمكم غير الله يأتينكم بذلك الذي أنزل (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أي كيف نكررها متغيرة من نوع إلى نوع آخر فتارة بترتيب اللقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأسواق التقديميين فكل واحد يقوى ما قبله في الإيصال إلى المطلوب (ثم هم يصدفون) أي يمرضون عن تلك الآيات ثم لا يستبعد اعراضهم عنها بعد ذكرها على الوجوه المختلفة (قل أرأيتم) أي أخبروني يا أهل مكة (إن أنا نكذب الله) أي عذابا لخاص بكم (بئنة) أي بآية بأن يجيئهم من غير سبق علامة نعلم على عجي ذلك العذاب (أو جهره) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب وقع بهم وقدر فوهو على أمتهم الاحتراز عنه لتحذروا منه (هل يهلك الا القوم الظالمون) أي هل يهلك بذلك العذاب غيركم من لا يستحقه (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) بالثواب على الطاعات (ومنذرين) بالعقاب على المصالح ولا قدرتكم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي لمن قبل قول المرسلين وآتى أمروهم دينيا كان أو أخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما يشروا به من الثواب العاجل والأجل (والذين كذبوا بايانا) وهي ما ينطق به الرسل عند التبشير والاندثارو يبلغونه الى الأمم (عسى العذاب) أي يصيبهم العذاب الذي أنذروهم (عما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أنى ملك ان أنبع الا ما يوحى الى) واعلم أن الكفار طلبوا من رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع في المستقبل من المصالح والضار وطعنوا فيه في كل الطعام والمشي في السوق وفي تزوجه لفساد فأمر الله تعالى أن ينفى عن نفسه أمور ثلاثة نواضع الله تعالى واعتراضا له بالسعوية وأن يقول لهم انما بشت مبشرا ومنفرا ولا أدعى كوني موصوفا بالقدرة والاتقان بالله تعالى وان خزائن الله مفوضة الى أنصرف فيها كيفما أشاء وأعطيتكم منها ما تريدون ولا أدعى كوني موصوفا بعلم الله تعالى فأخبركم بما يريدون ولا أدعى انى ملك حتى تكلفوني من الحوارق للعادات ما لا يطبق به البشر وحتى تبدو واعلم انصافى بصفات اللاتسكة قادحانى امرى فنسكرون قولى وتجدون امرى وما أخبركم من غيب الابوحى من الله أنزله على (قل) لهم (هل يستوى الأعمى والبصير) أي هل يكونان سواء من غير تمزية فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا لا قيل فمن تبغ هذه الآيات الجليات هو البصير ومن أعرض فهو الأعمى

الضرر الذى كانوا فيه (حتى إذا فرسوا بما أوتوا أخذناهم) أي فى حال فرحهم ليكون أشد تحسرهم (بئنة) فاذاهم مبسوثون) أي أيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي غايرهم الذى يتخلف فى آخر القوم والذى استؤصلوا بالهلاك فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) أي على نصر الرسل واهلاك الظالمين (قل أرأيتم أن أخذناهم سميعا وبصيرا كرم وبصرهم وختم على قلوبهم من الله غير الله يأتينكم به) حتى لا تعرفوا شيئا يعنى أنذهب هذه الأعضاء عنكم أصلا (من الله غير الله يأتينكم به) أي بما أخذناكم (انظر) كيف نصرف) أي نبين لهم فى القرآن (الآيات ثم هم يصدفون) أي يمرضون عما ظهروا (قل أرأيتم) أن أنا نكذب الله بئنة أو جهره) أي ليلا ونهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الذين جعلوا الله شريكا (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) التى منهارى و يعطى (ولا أعلم الغيب) أى فأخبركم بما فى مصيرون اليه (ولا أقول لكم انى ملك) أى شاهد من أمر

أى الكفار والمؤمن
(أفلا تفكرون) أنهم

لا يستويان (وأبذر به)
أى خوف بالقرآن (الذين
يخافون أن يحشروا إلى
ربهم) يريد المؤمنين
يخافون يوم القيامة وما فيها
من الأحوال (ليس لهم من
دونهوى ولا شفيع) يعنى
أن الشفاعة إنما تكون
بإذنه ولا شفيع ولا ناصر
لاحد في القيامة إلا بإذن
الله (لهم يتقون) كى
يخافوا في الدنيا ويتقوا
عما نهيتهم (ولا تبرد
الذين يدعون ربهم) الآية
نزلت في فقراء المهاجرين
لما قال رؤساء الكفار للنبى
صلى الله عليه وسلم نخ
هؤلاء عنك لنجاسك
وثمن بك ومعنى يدعون
ربهم (بالنداء والعشى)
أى يمدون الله بالصلاة
للصكوبة (يريدون
وجهه) أى يطلبون ثواب
الله (ما عليك من حسابهم)
أى من حساب رزقهم
(من شئ) فتملهم وطردهم
(وما من حسابك عليهم
من شئ) أى ليس رزقك
عليهم ولا رزقهم عليك
فإنما يرزقهم وإياك الله
الرزاق فدعهم يدنوا منك
ولا تطردهم (فككون
من الظالمين) لهم طردهم
(وكذلك قتنا بضمهم
بعض) أى ابتلينا النبی
بالتقير والشريف بالوضيع

(أفلا تفكرون) أى الاتسمعون هذا الكلام الحق فلا تفكرون فيه نزلت هذه الآية من
قوله قل لا أقول لكم فى جهل وأصحاب الحرف وعينة (وأبذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى
ربهم ليس لهم من دونهوى ولا شفيع لهم يتقون) أى وأبذر بالشرى الرسل بألوحى اليك
من يحوزون الحشر ويرجى منهم التآثر بالتخويف غير منصورين بشرى ولا مشفوع عليهم من جهة
أضمارهم على زعمهم من غير الله تعالى سواء كانوا جازمين بأصل الحشر كالؤمنين الماصين وأهل
الكتاب المترددين فى شفاعات آبائهم الأتباء وبض المشركين المترفين بالبت المترددين فى شفاعات
الأضنام أو مترددين فى أصل الحشر وفى شفاعات الآباء والأضنام معا كبعض الكفرة الذين يعلم من
حالمهم إذا سمعوا يحدث البعث يخافون أن يكون حقا فيلجأوا إلى يتقوا من الكفر والمصاى
وأما للمشركون للحشر بالكلية والقاتلون بالقاتلون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأضنام فهم
خارجون عن أمر بأذنه (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقناعة والعشى) أى الذين يعبدون
ربهم بالصلوات الخمس أو يذكرهم ربهم طرق النهار (يريدون وجهه) أى يريدون بذلك محبة
الله تعالى ورضاه أى خالصين فى ذلك روى أنه جاء الأقرع بن حابس التميمي وعينه بن حصن
الفرارى وعيس بن مرداس وهم من اللؤلئة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس
من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسي
ومجمع وعامر بن فيرة فلما رأوهم حوله حرقوهم وقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس
وأبست عنك هؤلاء وراحت محبة بهم بالناسك وأخذنا عنك فقال النبي ما لنا بطرد المؤمنين قالوا فانا
نحب أن نجعل لنا منك مجلسا نعرف به العرب فنلتنا فإن وفود العرب تأتيك فستحشى أن ترانمع
هؤلاء الأعداء فإذا نحن جئناك فأنهم عنا فإذا نحن فرغنا قاعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فكتب
لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بهذه الآية فأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصحيفة وقال مجاهد قال غريش لولا بلال وابن أم عبد لم يكن هذا أنزل الله
تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الأشراف
له صلى الله عليه وسلم إذا صلينا فأخرج هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية (ما عليك من حسابهم
من شئ) وما من حسابك عليهم من شئ فطردهم فكفكون من الظالمين) أى ما عليك من حسابهم
هؤلاء الذين يدعون ربهم بالنداء والعشى أى فتملهم وتبعلهم ولا من حساب رزقك عليهم شئ وإنما
الرازق لهم ولك هو الله تعالى فدعهم يكونوا عنك ولا تطردهم فكفكون من الظالمين لنفسك بهذا
الطرد ولم لانهم استحقوا من يد التقريب وقيل إن الكفار طعنوا فى إيمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمد
أنهم إنما اجتمعوا عنك وقلوا دينك لاتهم يحجون بهذا السبب ما كولا وملبوسا عنك والافهم
فارغون عن دينك فقال الله تعالى إن كان الأمر كما يقولون فإياك الاعتراف بالظهور إن كان لهم
باطن غير مرضى عند الله فصاحبهم عليه لازم لهم لا يمتدنى اليك كما أن حسابك عليك لا يمتدنى إليهم
(وكذلك قتنا بضمهم بعض) أى ومثل ذلك القنوت للتعظيم قتنا بعض هذه الأمة ببعض وكل أحد
مبتلى بفسده فأولئك الكفار الرؤساء الأغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين فى
الاسلام مسارعين إلى قبوله فقالوا لودعنا فى الاسلام لوجب علينا أن نتقاهم هؤلاء الفقراء المساكين
وأن نعترف لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول فى الاسلام لذلك واعتزوا على الله فى جعل أولئك
الفقراء رؤساء فى الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار فى الراحة والسرور
والسلطان والحسب والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الأحوال هؤلاء الكفار وبالجملة فضففت

(ليقولوا) يعني الرؤساء (أهؤلاء الفقراء الضعفاء (من الله عليهم من بيننا) أن نكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصوا بنعمة فقال الله تعالى (أليس الله بأعلم المؤمنين بآياتنا) يعني الصحابة وهؤلاء الفقراء (فقل سلام عليكم) سلم عليهم بتحية المسلمين (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب الله لكم الرحمة إيجاباً مؤكداً (أنه من عمل منكم سواً بجهالة) يريد أن ذو نوركيم جيل ليس بكفر ولا جحود لأن العاصي جاهل بمقدار العذاب في مصيئته (ثم تلب من بعده) أي رجع عن ذنبه (وأصلح) عمله (فانه غفور رحيم وكذلك) أي وكما بيناك في هذه السورة دلالتنا على للشركين (فصل) أي تبين لك حجتنا وأدلتنا ليطهر الحق (ولتستبين) أي ولتعرف يا محمد (سبيل المجرمين) في شركهم بالله في الدنيا وما يصيرون اليه من الخزي يوم القيامة يا خبير أيك (قل اني) نهيتم أن أعبد الذين تدعون من دون الله أي أهواؤكم أي أنا عبدوها على طريق الهوى لأعلى طريق البرهان فلا أتبعكم على هواكم (قد ضللت أذا) ان أنا ضلت ذلك (وما

(٢٤٢)

بالشاكركن) أي اعابدي لدينهم يعلم أنه يشكر (وإذا جاءك الذين

الكمال مختلفة متفاوتة محبوبة لقائها موزعة على الخلق فلا تجتمع في إنسان واحد البتة فكل أحد يحصل صاحب على ما آتاه الله من صفات الكمال (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالإيمان بالله ومتابعة الرسول وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسوا هذه اللام لكي والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا يقولوا هذه المقالة امتحاناً منا وقيل انها لام الصيرورة والمعنى وكذلك فتنا بعضهم بعضاً يصبروا أولئك شركوا فكان عقوبة أمرهم أن قالوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى رداعليم (أليس الله بأعلم بالشاكركن) نعمه حتى تستبدوا انصم عليهم وفي هذا الاستفهام التثنية إشارة إلى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تزيل القرآن وفي التوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعرض بأن القائلين بذلك المقالة بمنزل من ذلك كله (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قيل زلت هذه الآية في أهل الصفقة الذين سأل للمشركون رسول الله عليه السلام طردهم فأكرمهم الله تعالى بهذا الأكرام فان الله تعالى نهي رسوله أولاً عن إعادتهم ثم أمره بتبشيرهم بالسلمة عن كل مكروه وفي الدنيا والآخر (كثير بكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته القدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيراً لهم بمحترمتهم تعالى وببيل للطلاب (أنهم من عمل منكم سواً) أي ذنباً (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة وكان جاهلاً بمقدار ما يستحقه من العذاب وما يفوته من الثواب (ثم تلب من بعده) أي نظم من بعد عمل المصيبة (وأصلح) عملها بالتوبعنه تداركاً وعزماً على أن لا يعود اليه أبداً (فانه) أي الله (غفور) بسبب إزالة العقاب (رحيم) بسبب إصالة الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك فصل الآيات) أي كفضلك في هذه السورة دلالتنا على حجة التوحيد والنبوة والقضاء والتقدير كذلك فصل لك حجتنا في تضرر كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأنا في لتستبين بالباء خطاباً للتي وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أفتيا محمد سبيل للمشركين فتعلمهم بما يليق بهم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم لبستين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالياء وسبيل بالرفع وقوله ولتستبين عطف على المعنى كأنه قيل ليطهر الحق ويتضح سبيلهم فعمل ما نفل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للصبرين على الشرك (انني نهيتم أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي انني نهيتم عن عبادة ما تعبدون من دون الله وهو الأصنام (قل لأتبع أهواؤكم) في عبادة الاحجار وهي أخص مرتبة من الانسان بكثير فانهم كانوا يحبون تلك الأصنام وأما يعبدونها بناء على محض الهوى لا على سبيل المحبة فان اشتغال الاشرف بعبادة الاخس أمر يدهم مصرح العقل (فضللت أذا) أي ان اتبع أهواؤكم (وما أنا من المهتدين) أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عبادهم (قل اني على بينة) أي حجة واضحة تفصل بين الحق والباطل وهي الوحي (من ربي) في أنه لا معبود سواه (وكذبتم به) أي في حيث أشركتم به غيره (ماعندي ما تستعجلون به) أي من العذاب أي ليس أمره مخفوض الى لما الأولى نافعة وما الثانية موصولة وسبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم بسبب هذا الشرك وكان التضرير الحارث وأصحابه يستعجلونه بقوله متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه من العذاب للعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكى وقبرق حتى أجيء به

أؤمن للمهتدين) أي الذين سلكوا سبيل الهدى (قل اني على بينة) أي يقين وأمرين (من ربي) لا متبع لهوى (وكذبتم به) أي ربي (ماعندي ما تستعجلون به) يعني العذاب والآيات التي اقترحوها ثم أعلم أن ذلك عنده فقال وأظهر

الفاسلين) أى الذين
يصلون بين الحق والباطل
(قل لو أن غنمك
ماستعجلون به) من
العذاب لعجلت لكم
ولا تفصل ما بيني وبينكم
بتمجيل العقوبه وهو معنى
قوله (لقضى الأمر بيني
وبينكم والله أعلم بالظالمين)
أى هو أعلم بوقت عقوبتهم
فبوقته يؤخره الى وقته وأنا
لأعلم ذلك وقوله (وعنده
مفاتيح التيب) أى خزائن
ما غلب عن بنى آدم من
الرزق والطر والرزق والعذاب
والثواب والعقاب (لا يعلمها
الا هو ويعلم ما فى البر) أى
القفار (والبحر) أى كل
قرية فيها ماء لا يحدث فيها
شئ الا يعلمه الله (وما تسقط
من ورقة الا يعلمها) ساقطة
وقبل أن تسقط (ولاحية
فى ظلمات الارض) أى فى
الترى تحت الارض (ولا
رطب) وهو ما ينبت (ولا
يابس) وهو ما لا ينبت (الا
فى كتاب مبين) أى أثبت
الله ذلك كله فى كتاب قبل
أن يخلق الخلق (وهو الذى
يتوفاكم بالليل) أى يقص
أرواحكم فى منامكم (ويعلم
ماجرحكم) أى ما كسبتم
من العمل (فانهارتم فيمبشكم
فيه) أى يرد اليكم أرواحكم

وأظهر لكم صدقه (إن الحكم الله) أى الحكم فى نزول العذاب تمجيلا وتأخيرا (الله يقص
الحق) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص بالصاد للشددة وضم القاف أى ينفى الحق ويقول الحق لان كل
ما أخبر الله به فهو حق وقرأ الباقون يقص بسكون القاف وكسر الصاد بغير ياء لقسوفا فى اللفظ أى
يقضى القضاء الحق أى يصنع الحق لان كل شئ من عند الله فهو حق (وهو خير الفاسلين) أى أفضل
القاضين (قل لو أن عندى ما استعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم) أى قلى يا أكرم الرسل لو أن
فى قدر فى ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذى يورده الوعيد بأن يكون أمره مفوضا الى من الله
تعالى لفصل ما بيني وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقب استعجالكم بقولكم حتى هذا العدو استرح
(والله أعلم بالظالمين) أى أعلم بحال الشركين وبأنهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج فوقع
بالنصر بن الحرف العذاب الذى سأل فقتل صبرا يوم بدر (وعنده مفاتيح التيب) أى علم التيب لان
للمفاتيح هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزائن فمن علم كيف يفتحها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم
أولئى وعنده تعالى خزائن الغيب أى قدرة كاملة على كل الممكنات من الطر والنبات والثمار
ونزول العذاب (لا يعلمها الا هو) أى لا يعلم مفاتيح الغيب نزول العذاب الذى تستعجلون به
الا هو فالعذاب ليس مقدورا الى حتى أعجله لكم ولا معلوما لى حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو ما يختص
به تعالى قدرة وعلم (ويعلم ما فى البر والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها
وأواعها وتكثر أفرادها وأعانهم ذكر البر لان الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من اللين
والقرى والملاويز والجبال والتلال والحيوان والنبات والمعادن وأما البحر فاعاخر ذكره لان احاطة
القل بأحواله أقل لكن الحس يدل على أن عجائب البحر أكثر وأجناس المخالقات أعجب وأن طول
البحر وعرضه أعظم (وما تسقط من ورقة) من الشجر والنجم (الا يعلمها ولا حية فى ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) أى وما حبة ملقاة فى ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس من كل شئ الا فى علم الله تعالى فذا سمع الانسان أن احبة الصغيرة للغة فى مواضع متسعة
يبقى أكبر الأجسام مخفيا فيها وأن الماء اثبات ما لى وخلافها لا يخرج عن علم الله تعالى صارت هذه
الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتيح التيب لا يعلمها الا هو وقيل للراد بالكتاب المبين هو
اللوح المحفوظ إنما كتب هذا الأحوال فى اللوح المحفوظ لتقف لللائكة على فذا علم الله تعالى فى
للمعلومات فيكون فى ذلك غيرة تامة لللائكة لو كان باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث فى صحيفة
هذا العالم فيجدونه موافقا (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يمشكم فى الليل وما يصحح المطلق لفظ الوفاة
على النوم لأن ظاهر الجسد ضار معطلا عن بعض الاعمال عند النوم كما أن جملة البدن صارت معطلة
عن كل الاعمال عند الموت فحصل بين النوم والموت تشابهة فمن هذا الاعتبار (ويعلم ما جرحت النهار)
أى يعلم ما كسبتم من أعمال الجوارح فى النهار (تمبشكم فيه) أى يوقظكم فى النهار (ليقضى
أجل مسمى) أى لى يتم أجل معين عند الله لكل فرد دى حيث لا يكاد يتجاوز أجسام عينه
طرفة عين (تم البصر بكم) أى يرجوكم بالموت (تمبشكم كما كنتم تعملون) أى يخبركم بمعجزة
أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عباده) أى هو الغالب
للمصرف فى أمور عباده يفعل بهم ما يشاء إيجادا واهدا واهبا ومائة وأثابة وتضييا الى غير ذلك
فالممكنات كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة)

فى النهار (ليقضى أجل مسمى) يعنى أجل الحياة الى الماتى لتستوفوا أعماركم المكتوبة (وهو القاهر فوق عباده) مفسى هذا (ويرسل
عليكم حفظة) من اللاتكة يحصون أعمالكم

أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها في صخائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رموس الأشهاد
(حتى اذا جاء أحدمك الموت توخته رسلنا) أى حتى اذا انتهت مدة أحدمك واتتهى حفظ الحفظه وجاءه
أسباب الموت قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لا يقرطون) أى لا يؤخرون
للبتطرقعين وقرى يسكون الفاء أى لا يجاوزون ما حدسهم بزىادة أو نقصان (ثم ردوا إلى الله)
أى ثم جميع البشر بعد البت بالحق إلى حكم الله ويزاؤه في موقف الحساب وقيل للمنى ثم مرد
أولئك للملائكة فانهم عوتون كما يموت بنو آدم (مولا هم الحق) أى مالكم الذى لا يقضى إلا بالعدل
(الاله الحكم) يوم تنصرونه ومعنى (وهو أسرع الحاسنين) بحاسب جميع الخلائق في أقصر زمان
لا يشك كلامه عن كلام ولا حساب عن حساب وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار
حلب شاة أى وذلك لانه تعالى لا يحتاج إلى فكر وعد (قل) يا أكرم الخلق لكفار مكة (من نجيك
من ظلمات البر والبحر) أى من شادها الملائكة التى تبطل الحواس وتذهب العقول (تدعون) (تدعون)
والضبر عاتلين وهذه الجملة في محل نصب على الحال امان منقول بنجيك أى من نجيك منها
داعين إياه وامان فاعله أى من نجيك منها مدعوا من جهنم (تضرعا وخفية) أى تدعونه
دعاء علان واخفاء وتدعونه متضرعين ومخلصين بقولكم قائلين (لئن أعطينا من هذه) أى
الأحوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين للداومين على الشكر لأجل
هذه النعمة وقرأ عاصم في رواية أبى بكر خفية بكسر الخاء والباقون انضم وعلى هذا الاختلاف
في سورة الاعراف وقرأ الأعشى وخيفة بكسر الخاء فبعد الياء الساكنة من الخوف أى مستكتنا
أودعنا خوف والآية تدل على أن الانسان يأتي عند حصول الشدائد بأمر أحدها البقاء وثانيها
التضرع وثالثها الاخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخيفة ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو
الراهم قوله لئن أعطينا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ عاصم وحزوه الكسائي لئن أعطانا
على الغاية وننجيك بالتشديد في الوضمين والباقون لئن أعطينا على الخطاب وننجيك بالتشديد
والتحفيف وصحة من قرأ على الغاية أن ما قبل لفظ أعطانا وهو تدعونه وما بعده وهو قول الله بنجيك
منها مذكور بلفظ الغاية ولا يحتاج في هذه القراءة إلى اخبار نحو قولون فالأخبار خلاف الأصل
وصحة من قرأ على المخاطبة قوله تعالى في آية أخرى لئن أعطينا من هذه لنكونن من الشاكرين (قل)
الله بنجيك منها) أى الله وحده بنجيك من شدة الدابر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك
(ثم أنتم) يا أهل مكة بسلام شاهدون هذه النعم الجليلة (تشكرون) بباده تعالى غيره الذى عرقم
أنه لا يضر ولا ينفع ولا تفون بهكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كالطمر
كافل يقوم نوح والحجارة كإرميا أصحاب القيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل إلى صرخها
على نوح وقوم صالح والريح كافي قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالرجفة وغرق فرعون وخسف
قارون (أو يلبسكم شيعا ويذيق بضعكم بأس بضع) أى يخلط أزمكم خلط اضطراب فيجعلكم
فرقا تختفين على أهواء حتى كل فرقة متاحة لآلام فإذا كنتم مختلفين قاتل بضعكم بضا (انظر كيف
نصرف الآيات) أى نكسرهما متفرقة من حال إلى حال (لعلهم يفقهون) أى كي يفقهوا على جليلة
الأمم فيرجوا عمامهم عليه من العناد (وكتب به قومك) وهو الحق) أى وكذبوا بالعذاب والحال
انه لواقع لا بد وأن يزل بهم أولئى وكذب فريش بالقرآن وهو الكتاب الصادق في كل ما نطق

(ثم ردوا) يعنى المباد
يردون بالموت (إلى الله
مولا هم الحق) إله الحكم
أى القضاء فيهم (وهو
أسرع الحاسنين) أى أقدر
المجازين (قل من نجيك)
سؤال تويسع وتقر رأى
الله يفعل ذلك (من ظلمات
البر والبحر) أى من
أهوالهما وشدائدهما
(تدعون نضرعا وخفية)
أى علانية وسرا (لئن
أعطينا من هذه) أى من
هذه الشدائد (لنكونن
من الشاكرين) أى من
المؤمنين الطامنين وكانت
فريش تشارف البر والبحر
فأذا ضلوا الطريق وخافوا
الهلاك دعوا إلى غلظين
فأنجاهم وهو قول (قل الله
ينجيك منها ومن كل كرب
ثم أنتم تشكرون) أعلم الله
تعالى أن الله الذى دعوه
هو بنجيك ثم هم يشكرون
معه الأنعام التى قد فعلوا
أنها من صنعتهم وأنما
لا تضر ولا تنفع والكرب
أشدائهم ثم أخبر أنه قادر
على تذهيبهم فقال (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم)
كالصيحة والحجارة ولله
(أو من تحت أرجلكم)
كالخسف والزلازل (أو يلبسكم
شيعا) أى يخلطكم فرقا
بأن يثفكم الأهواء المختلفة فتخالفون وتقاتلون وهو معنى قوله (و يذيق بضعكم بأس
بضع انظر كيف نصرف) أى نين لهم (الآيات) في القرآن (لعلهم يفقهون) أى لكي يصلوا (وكتب به قومك) أى بالقرآن (وهو الحق

(قل لست عليكم بوكيل) أي إنما أدعوك إلى الله ولم أومر بحكم ولا أخذكم بالإيمان وهذا منسوخ بآية القتال (لكل نيا مسطر)
 أي لكل خير يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف (وسوف تعلمون) أي ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في
 الآخرة فسوف يبديosكم يعني العذاب الذي كان بعدهم في الدنيا والآخرة (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) أي بالكذب
 والاستنزاه (فأعرض عنهم) أمر الله رسوله فقال إذا رأيت (٢٤٥) للشركين يكذبون بالقرآن وبك

ويستنزئون فارك بحالستهم
 (حق يخوضون في حديث
 غيره) أي حتى يكون
 خوضهم في غير القرآن
 (وأما فينبك الشيطان)
 أي أن نيت قصصت
 أي فتم إذا ذكرت فقال
 للسلون لن كنا كما
 استنزأ للشركون بالقرآن
 وخاضوا فيه فثنا عنهم
 نستطع أن نجلس بالمسجد
 الحرام وأن نطوف بالبيت
 فرخص الله للؤمنين في
 القعود معهم يذكرونهم
 فقال (وما على الذين
 يتقون الشرك والكبائر
 من حاسبهم) أي أنهم
 (من شيء ولكن ذكرى)
 يقول ذكروهم بالقرآن
 ويحمد فرخص لهم في
 القعود بشرط التذكير
 والوعظة (لهم يتقون)
 أي تربي منهم التقوى
 (وذرا الذين اتخذا دينهم
 لعبا ولها) يعني الكفار
 الذين إذا سمعوا آيات
 عند ذكرها (وذكره)

به وفي كونه منزلا من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا أكرم الرسل هؤلاء الكاذبين لست
 عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعرضكم عن قبول الدلائل إنما أنمروا والله هو المجازي
 لكم بأعمالكم (لكل نيا مسطر) أي لكل خير يخبره الله تعالى وقت يحصل فيه من غير تأخير والمعنى
 لكل قول من الله من الوعد والوعيد استقرار حقيقة منهما يكون في الدنيا وما يكون في الآخرة
 (وسوف تعلمون) أي ولا بد أن يعلموا أن الأمر كما أخبر الله تعالى عنه عند ظهوره (وإذا رأيت الذين
 يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي وإذا رأيت بها السامع الذين
 يستنزئون يا ينافرك بحالستهم يشرعوا في حديثهم في غير آياتنا أي في غير الاستنزاه بالقرآن وهزل
 الواحدى أن للشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقصوا في رسول الله ﷺ والقرآن فشنموا واستنزأوا
 فأمرهم الله بترك مجالسة للشركين (وأما فينبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) أي
 وان يشمك الشيطان فتنبى انتهى فجالسهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى انتهى (وما على الذين يتقون من
 حاسبهم من شيء) ولكن ذكرى لهم يتقون قال ابن عباس قال للسلون لن كنا كما استنزأ للشركون
 بالقرآن فثنا عنهم لا قدرنا على أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فترلت هذه الآية على ما على
 الذين يتقون في جميع أعمال الخاضعين مما يحاسبون عليه من آثامهم شيء ولكن تذكر لهم معامهم عليه
 من القبايح بما يمكن من التذكير لهم يخشون الخوض حياء ونحوه وقوله تعالى ذكرى مطوف على
 عمل شيء وهو رفع على أنه مبتدأ مؤخر وأسم ما ومن مزية للاستفراق ومن حاسبهم حال من شيء (وذكر
 الذين اتخذا دينهم لعبا ولها) أي عرض عن الذين نصر والذين ليتسوا بها إلى
 أخذ للناس وبالرياسة وغلبة الخصم وجمع الأموال ولاتبال بتكذيبهم واستنزأهم ولا قسم لهم في نظرك
 وزنا وأما نصر والذين للدنيا لأجل أنهم فرغهم الحياة الدنيا أي الهماؤا بها فلا جلا استيلاء صاحب
 الدنيا على قلوبهم أي عرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الطواهر ليتسوا بها إلى حطام الدنيا وإذا
 تأملت في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة ودخلين تحت هذه الحالة وأقد أعلم والمتقون في
 الدين هو الذي ينصر الدين لأجل أنه قائم الدليل على أنه صواب (وذكر به أن يسئل نفس عما كسبت)
 أي ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتسابهم في نار جهنم بسبب جنائهم لهم يخافون (ليس لهم من دون
 الله ولي ولا شفيع) أي ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل
 لا يؤخذ منها) أي وان تعدل تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى يوجب الدنيا بأسرها فيمن عذاب
 الله لمتفع (أولئك الذين أسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي
 أولئك المتخذون دينهم لعبا ولها للفرق بين الحياة الدنيا بهم الذين جسدوا في جهنم بما كسبوا في الدنيا
 لهم شراب من ماء على شجر جرم في بطونهم وتقطع به أمعاظم وعذاب أليم بنار تشتعل بألوانهم بسبب
 كفرهم المستمر في الدنيا (قل ادعوا من دون الله مالا يغنيوا ولا يضرنا وادعوا إلى أعقابنا بهذا دعاءنا عذبا)

أي وعظ بالقرآن (أن يسئل نفس عما كسبت) أي تسلم للهلكة ونجس في جهنم فلا تقدر على التخلص ومعنى الآية وذكروهم بالقرآن
 اسلام الجانين بخيائهم لهم يخافون فينتقون (وان تعدل كل عدل) يعني النفس للسلبة تفقد فداء يعني فداء الدنيا وما فيها (لا يؤخذ
 منها أولئك الذين أسلوا بما كسبوا) أي أسلوا للهلاك (لهم شراب من حميم) وهو الماء الحار (ادعوا من دون الله مالا يتقنا
 ولا يضرنا) أي أنسب دعائنا وضرا لأنهم جاد (وذكرنا إلى أعقابنا بهذا دعاءنا عذبا) تدعوننا إلى الشرك فيكون حالنا

أى قل يا أكرم الرسل هؤلاء شركين الذين دعوك إلى دين أبائهم كميناً وأصحابه أن عبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية ما لا يقدر على تفننا في الدنيا والآخرة أن عبدناه ولا على ضررنا فيهما إذا تركناه وتردنا إلى الشرك بهذا هذا الله إلى الإسلام وأتقنا من الشرك وإنما يقال لكل من أعرض عن الحق إلى الباطل: نرجع إلى خلف ورجع على عقبه لأن الأصل في الإنسان هو الجهل ثم إذا تكامل حصل له العلم فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى فكأن نرجع إلى أول مرة (كأنى استهوت الشياطين في الأرض حيران به أصحاب يدعوهم إلى الهدى اتقنا) أى فيكون مثلاً كأنى استنزته الشياطين من الوضع العالي إلى الوهدة السافلة العميقة في قعر الأرض تنامع الجادة لا يدرى ما يصنع وللانزال إلى الوهدة المظلمة عينية وأصحابه رفقته وهم أصحاب النبي ﷺ يدعوهم إلى الطريق المستقيم يقولون اتقنا إلى الجادة والنيلان يزلون به إلى السافلة المظلمة فيق متحيراً أين يذهب وهذا للثقل في غاية الحسن وذلك لأن الذى يهوى من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوى اليأس الاستدارة على نفسه كأن الحبر حال زوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتجرف فندرز وله لا يعرف أنه يسقط على موضع يكثر بلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فإذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال علمت أنك لا تجد مثلاً للتجبر للتردد الخافق أحسن ولا أكمل من هذا المثال (قل إن هدى الله) الذى هدانا إليه هو الإسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشريف وباعده ضلال محض وخفى محض (وأمرنا لنسلم رب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوا الله) أى قل وأمرنا بأن نخلص العبادة (رب العالمين) لأنه للتحقق للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى في مخالفة أمره وللقصود من ذكر هذين التوعين من الخطاب تنبيه على الفرق بين حالى الكفر والايمن فإن الكافر صيد غائب والؤمن فريسة حاضرة فيخاطب الكافر بخطاب الغائبين لأنه لا كائن الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم رب العالمين وإذا أسلم وآمن صار كالفرى الحاضرة فيخاطب بخطاب الحاضرين و يقال له وأقيموا الصلاة واتقوا (وهو الذى إليه تحشرون) أى تقيمون يوم القيامة فيجوز يكمل بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والأرض) وما فيها (بالحق) أى قائماً بالحق لا عابثاً (و يوم يقول كن فيكون قوله الحق) أى وأمره المتعلق بكل شئ يريد خلقه حين تعلق به هو المروف بالحقية والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيئته في تكوين الكائنات وهذا بيان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس بما يتوقص على مادة ولادة بل يتم بمحض الأمر التكويني من غير توقف على شئ آخر أصلاً وللإيراد بالقول كلمة كن تمثيل لأن سرعة قدرته تعالى أقل زماناً من زمن النطق (كن) وله لذلك يوم تنفخ في الصور) إنما أخبر الله عن ملكه يومئذ لأنه لا زمان له يومئذ فإن الملوك اعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار والصور قرن تنفخ فيه أسرار قبل تنفخت نفخة الصعق أى الموت ونفخة البعث للحساب (عالم النسيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وقوله تعالى والملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم النسيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو المصيب في أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) وهو في التوراة تارح فلا ني إبراهيم إسمان آزر وتارح بن ناحور وأعلم أن جميع نسب رسول الله ﷺ مطهر من عبادة الأصنام مادام التوراء الهدى في أصلاهم أما بعد انتقاله منهم فتجوز عليهم عبادة الأصنام وغيرهما من سائر أنواع الكفر (أنتخذوا أصناماً آلهة) أى اتجهل لنفسك أصناماً آلهة فتعبد أصناماً شتى صغيراً كبيراً كراوش (أنى أراك وقومك في صلال مين) أى أنى أراك يا أبا وقومك في ضلال عن الحق بين في الاتفاق على عبادة

(ك) حال (الذى استهوت الشياطين في الأرض) استغوته واستغته الغيلان في الماهة (حبران) مترددا لا يهتدى إلى الحق (له) أصحاب يدعوهم إلى الهدى اتقنا هذا مثل من ضل بعد الهدى بجيب الشيطان الذى يستهويه في المغارة فيصبح في مضلة من الأرض يهلك فيها ويصعب من يدعوهم إلى الحق كذلك من ضل بعد الهدى (قل إن هدى الله هو الهدى) رد على من دعاه إلى عبادة الأصنام أى لا فضل ذلك لأن هدى الله هو الهدى (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق) أى بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنيعه وكل ذلك حق (ويوم يقول) واذكر يا محمد يوم يقول للشيء (كن فيكون) يعنى يوم القيامة يقول للخلق انقشروا فينتشرون

(وكذلك ترى) أي وكأثر نار ابراهيم استقياح ما كان عليه أبوه من عبادة الأصنام تزيه (ملكوت السموات والارض) يعني
ملكهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار (٢٤٧)

فطر اليها مقبرا مستدلا
بها على خالقها وقوله
(وليكون من الوقيين)
عطف على البني لان البني
ليستد لها وليكون من
للوقين (فلما جن) أي ستر
وأظلم (عليه الليل رأى
كوكبا قال هذاري في) أي في
زعمكم أيها القائلون بحكم
النجم وذلك أنهم كانوا
أصحاب النجوم يرون
التدبير في الخليقة لها (فلما
أفل) أي غاب (قال لأحب
الأقليات) عرفهم جهلهم
وخطأهم في تعظيم شأن
النجوم ودل على أن من
غلب بعد الظهور كان حادثا
مستغرا وليس رب (فلما
رأى القمر بازغا) أي
طالما قاتح عليهم في
القمر والشمس بمثل
ما احتجب به عليهم في النجم
وقوله (لئن لم يهتدري في)
أي إن لم يهتد على الهدى
وقوله للشمس هذا ربي
ولم يقل هذه لان لفظ
الشمس مذكر ولان
الشمس بمعنى الضياء
والنور فحمل الكلام
على البني فقال (هذا
أكبر) من الكوكب
والقمر فلما توجهت الحجة
بلى قومه (قال اني ربي

الأصنام) وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الوقيين) أي كأثر نار ابراهيم
البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام تزيه ملكوت السموات
والارض من وقت طفوليته ابراهيم في توسل به الى معرفة جلال الله تعالى وقدمه وعظمته ولبصير
زمان بلوغه من الباطن درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى لان مخلوقات الله وان كانت متناهية في
الذوات والصفات فهي غير متناهية من جهات دلالتها على التواتر والصفات كاقول عن امام الحرمين
أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضا
وذلك لان الجوهر القدر يمكن وقوعه في أحياز لانها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانها لها
على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته وإذا كان الجوهر القدر وهو الجزء
الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى على سيات
عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لانها لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال فحينئذ
لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بأن يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر
الى الله نهاية وأما السفر في الله فانه لانها له والقباعلم (فلما جن) أي أظلم (عليه الليل) في السرب
(رأى كوكبا) وهي الزهرة وهي في السماء الثالثة (قال هذاري في) مجرأة مع أبيه وقومه الذين كانوا
يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أي غرب (قال لأحب الأقليات) أي لأحب الأرباب
للتعظيم من مكان الى مكان للتغير بين من حال الى حال المحتجبين بالأسرار (فلما رأى القمر بازغا) أي
مبتدئا في الطلوع أو غروب الكوكب (قال هذاري في) هذا أكبر من الاول حكاية لقول الحاصم الذين
يعبدون الكواكب (فلما أفل قال لئن لم يهتدري في) الى حضرة الحق (لأكون من القوم الضالين)
فان شبهة ما رأى يتلوه بالربوبية (فلما رأى الشمس بازغا) أي مبتدئا في الطلوع (قال هذاري في) هذا
أكبر من الاول والثاني (فلما أفلت) أي هي (قال مخاطبا لكل صادم بالحق بينهم) (يا قوم اني ربي
عائش كرون) بالله من الاجرام المهدمة المحتاجة الى محدث اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك
الزمان وهو نمرود بن كنعان رأى رؤيا كأن كوكبا قطن فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما
ضوء غيرها المبرون بأنه يوم لا غلام ينزعه في ملكه فأمر ذلك الملك بذهج كل غلام يولد في هذه السنة
فحبست أم ابراهيم وما أظهرت حيلة الناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف ووضعت ابراهيم
وسدت الباب بمجمر فخاد جبريل عليه السلام ووضع أسيبه في فيه فمعه نخرج منه رزقه وكان يشهده
جبريل عليه السلام فكانت الأم تأتيه أحيانا وتوضع يقي على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف أنه
رب فأبى الأم فقال لها من ربي فقالت أنا فقال يوم ربي قالت أبوك فلما تأما يوما رز فقال يا بنة من
ربي قال أمك قال فلن ربي أي قال أنا قال فلن ربي قال ملك البلد ثم رزق فرف ابراهيم جهلها برهما
فلما جن عليه الليل دان من باب السرب فظن من باب ذلك النار ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب تعالى
فراى النجم الذي هو أضواء النجوم في السماء فقال هذاري في آخر القصة ولما تبار ابراهيم من اللشركين
توجه الى مثنى هذه الصنوعات فقال (انني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي اني
وجهت طاعتي وصرفت وجهي للذي أخرج السموات والارض الى الوجود (حنيفا) أي مقلنا من
كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من اللشركين) في شيء من الأفعال والأقوال (وحاجه قومه) أي

عائش كرون اني وجهت وجهي) أي جعلت قصدي لعبادتي وتوحيدتي (له) وباقي الآية مفسر فيامضي (وحاجه قومه) أي جادلوه
وخاصموه في ترك آلهتهم وفي عبادة الله وخوفهم أن تصيب آلهتهم بسوء

خاصموه في آهتهم وخوفهم بها روى أنه لما شب إبراهيم جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادي من يشتري ما يضر ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فذابت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤسها وقال لها شري في استهزاء بقومهم حتى فشا فيهم استهزائه بها فقالوا له احفر الأصنام فانا نخاف أن تمسك بخيل أو جنون بعبك ياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أي إبراهيم لهم (أحماجوني في الله) أي أنا تخافموني في وحدانية الله (وقدهان) ليدنه فكيف ألتفتل إلى حاجتكم العلية وكلتكم الباطلة (ولأخاف ما تشركون به) من الأصنام لان الخوف أن يحصل عن يقدر على النفع والضرر والأصنام مجادات لا تقدر لها على النفع والضرر فكيف يحصل الخوف منها (الآن يشاء ربي شيئا) أي لأخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا أن يشاء ربي شيئا من الكبرياء يصيني من جهتها كأن يحببها ويحكمها من إبطال النفع والمضرة إلى أومن زرع المعرفة من قلبه فأخاف عاتقافون (وسمى ربي كل شيء علما) فانه علم الغيوب فلا يفعل الاصلاح والحكمة فيقدر أن يحدث من بكاره الدنيا فذلك لانه تعالى عرف وجه الصالح والخير فيه لا لأجل أنه عقوبة على الطعن في الملية الأصنام (أفلاتنكرون) أن نفي الشكر كعن الله تعالى لا يوجب نزول العذاب وانبات التوحيد لله تعالى لا يوجب استحقاق العقاب أولم نرى أنكم تاتمل في أني ألهتكم مجادات لا تضر ولا تنفع فلاتنكرون أنها غير قادرة ولا تعظون فيما أقول لكم من النهي (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطانا) أي وكيف أخاف الأصنام التي لا قدرة لها على النفع والضرر وأتم لا تخافون من الله أشرككم بالله ما تمنع حصول الحجة فيه أو ما يرد الأمر به أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حين الخوف أصلا أو أتم لا تخافون فآلهما أو أعظم الخوفات وهو أشرككم بالله الذي لا يماثل ذاته وصفاته شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته (فأي الفريقين أحق بالأمن) أي ما لكم تنكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف (فأي الفريقين من اللوحدين وللشركين أحق بالأمن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من أحق بذلك فأخبروني فلم يجيبوا فأجاب الله ما سأله عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) أي الفريقين الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك فإيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن من العذاب (وهم مهتدون) إلى الصواب ومن عداهم في ضلال ظاهر وآله تعالى شرط في الإيمان اللجوء للأمن علم الظلم أي عدم النفاق بالإيمان وأما النفاق فهو مؤمن فوعيد النفاق من أهل الصلاة محتج أن يذهب الله وأن يعوقه فلا آمن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم الأمن القطع بحصول العذاب والله أعلم (وتلك) أي ما احتج به إبراهيم على قومه (حجبتنا آتيناها) أي ألهمناها (إبراهيم على قومه) متعلق بحجبتنا (رفع درجات من نشاء) قرأهم وحجرة والكسائي بغير إضافة أي رفع من نشاءهم في رتب عظيمة عالية من العلم والحكمة والملازمة وقرأ الباقون بالإضافة (الزرك) يا أكرم الرسل (حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليهم) بحال من رضه أي أن الله يرفع درجات من يشاء بعقضى حكمته وعلمه فان آفاله تعالى منزعة عن العيب (وهيئنا له) أي لإبراهيم لصلبه (اسحق ويعقوب) من اسحق (كلا هذين) أي كل واحد من إبراهيم واسحق ويعقوب أرشدنا إلى النبوة والرسالة (ونوحا هدينا من قبل) أي من قبل إبراهيم (ومن ذريته) أي وهدينا من ذرية نوح (داود وسليمان وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين) أي ونجزي المحسنين للذكور بن جزاء كما تامل ذلك الجراء

أي في عبادته وتوحيده (وقد هدان) أي بين لي ما به اهتديت (ولأخاف ما تشركون به) أي من الأصنام أن يصيني بسوء (الآن يشاء ربي شيئا) أي لأخاف الامشيئة الله أن يمدني (وسمى ربي كل شيء علما) أي علمه علما تاما (أفلاتنكرون) أي تتعظون فتشركون عادة الأصنام (وكيف أخاف ما أشركتم) يعني الأصنام أنكر أن يخافها (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطانا) أي ما ليس لكم في أشراكه بالله حجج أو برهان (فأي الفريقين أحق بالأمن) أي أحق بأن يأمن من العذاب اللوحدين أم الشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك (أولئك لهم الأمن) أي من العذاب (وهم مهتدون) أي إلى دين الله (وتلك حجبتنا) يعني ما احتج به عليهم (آتيناها إبراهيم) ألهمناها إبراهيم وأرشدناه إليها (رفع درجات من نشاء) أي ما تبتهم العلم والهمم ثم ذكر نوحا ومن هدى الانبياء من أولادهم قوله وكلا أي من المذكورين

على احسانهم وهو الاتيان بالاعمال الحسنة على حسب الوصي للقارن لحسنه الثاني وقديسه النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (وزكريا)
ابن أذن (ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فتاح
ابن عزيار بن هرون بن عمران (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى
من الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسماعيل) بن ابراهيم
(واليسع) بن أخوط بن المعجوز قرأ حزمة والكسائي واليسع يشدد باللام وسكون الياء والياقون
واليسع بالهمزة واحدة سأكنة وفتح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخى ابراهيم
(وإسحاق) من هؤلاء الأنبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على اللاتكة والأولياء واعلم أن الله
تعالى خص كل طائفة من الأنبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الأنبياء واليه يرجع حسبهم
جميعا وهم نوح و ابراهيم واسحق ويعقوب ثم للراب للعترة عند جمهور الخلق بعد النبوة الملك
والسلطان والقدرة وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما للربة الثالثة البلاد
الشديد والحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الخاصية للربة الرابعة من كان مستجما لها من
الحالين وهو يوسف فإنه نال البلاد الكثير في أول الأمر ثم أعطاه الله النبوة مع ملك مصر والربة
الخامسة من فضائل الأنبياء قوة المعجزات وكثرة البراهين وللهاية العظيمة والفضولة الشديدة وذلك
في حق موسى وهرون والربة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة الخلق
وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله
بعد هؤلاء من لم يبق له في الدنيا من الخلق اتباع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم (ومن)
آبائهم وذرياتهم وأخوانهم) وهذا ما عطف على كلا فالعامل فيه فضلنا ومن تبصيرة أو على نوحا
فالعامل فيه هدينا ومن ابتدائية وللعقول مخوف أى وهدينا بالنبوة والاسلام من آبائهم جماعات
كثيرة آدم وشيث وأدريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة أولاد يعقوب ومن اخوانهم
جماعات أخوة يوسف (واجتمعناهم) أى اصطفيناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط
مستقيم) أى الى معرفة التوحيد ونزهة الله تعالى عن الشرك (ذلك) أى مع: الله بوحدايته
(هدى الله) أى دين الله فإن الايمان لا يحصل إلا بحصول الجخلق الله تعالى (يهدى بمن يشاء من عباده) وهم
الستدون للهداية في الارشاد (ولو أشركوكم لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أى ولو أشركو هؤلاء
الأنبياء لحبط عنهم مع فضلكم وعلا درجاتهم أعمالهم للرزية وعبادتهم الصالحة فكيف بمن عداهم
والقصود من هذا الكلام تقرير التوحيد وإبطال طريقة الشرك (أولئك) أى الأنبياء الثمانية
عشر (الذين آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم فيما تاما ما في الكتاب وعلمناهم جميعا بأسرار
(والحكم) فإن الله تعالى جعلهم حكما على الناس نافذين الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة)
فيقرون بها على التصرف في ظواهر الخلق كالسلاطين وفي باطنهم وأرواحهم كالسماة (فان
يكفر بها) أى بهذه الثلاثة (هؤلاء) أى كفار قريش (فقد وكنا بها) أى وفقنا للإيمان بها
والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) أى بجاحدين في وقت من الاوقات وهم الأنصار وأهل
لادينة (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) أى أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم
الله بالإخلاص الحسن فباخلاقهم الشريفة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على أن محمدا
صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وذلك لأن جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم
فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم بأمرهم في جميع صفات الكمال

(فضلنا على العالمين) أى
على رعايتهم (ومن آبائهم)
أى وهدينا بعض آبائهم
(وذرياتهم وأخوانهم)
فن هدى للتبصير (ذلك)
هدى الله) أى دين الله
الذى هم عليه (يهدى به
من يشاء) أى يرشد اليه
من يشاء (من عباده ولو
أشركوكم) أى عبدوا غيرى
(لحبط) أى بطل عملهم
(أولئك الذين آتيناهم
الكتاب) يعنى الكتب
التي أنزلنا عليهم (والحكم)
يعنى العلم والفقه (فان
يكفر بها) أى بآياتها
(هؤلاء) أى أهل مكة
(فقد وكنا بها) أى
أرصدنا لها (قوما) أى
وفقتناهم لها وهم المهاجرون
والانصار (أولئك الذين
هدى الله) يعنى النبيين
الذين تقدم ذكرهم
(فبهداهم اقتده) أى اصبر
كما صبروا فان قومهم
كذبوا فصبوا

(قل لا أسألكم عليه) أي على القرآن وتبليغ الرسالة (أجرا) أي المالا طوبى (ان هو) يعنى القرآن (الأذكرى للعالمين) أي موعظة للخلق أجمعين (وما قدروا الله حق قدره) أي اعظموه حتى تعظيمه وما وصفوه حتى صفته (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وذلك أن اليهود أنكروا أنزال الله من السماء كتابا أنكروا للقرآن فقال الله (قل) لهم يا محمد (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) يعنى التوراة (فجاءوا به قراطين) أي تكبوه وتودعوه أيها (تبدونها) يعنى القراطين أي تبدون ما يحبون وتكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا آباءكم) فى التوراة فضيعتموه ولم تنتهوا (قل) الله أي الله أنزل (م) خبرهم فى خوضهم أي فى افكهم وحديثهم الباطل (يلبسون) أي يملون مالا يجدى عليهم (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه مبارك) أي كثير خيره دائم منفته يشتر بالتواب ويخرج عن التقيح الى المالا يحصى من برركاته (مصدق الذى بين يديه) أي موافق لما قبله من

التي كانت متفرقة فيهم فيزم أنه صلى الله عليه وسلم حملها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال انه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكليتهم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة فى الله تعالى وكان اسحق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء والحزن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامعا بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لا أسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) من جهنكم (ان هو الا ذكرى للعالمين) أي الم القرآن الاعطة للجن والانس من جهته تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم اعوا حقوقه تعالى فى ذلك (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) روى أن مالك بن الصيف وهو من أخبار اليهود رؤسهم جاء فى مكة يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلا سمينا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تدعى الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يفيض الخبر للسمين فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه فقال له أنت حبر سمين وقد سمعت من الأشياء التى تعلمك اليهود فضحك البقوم فضرب مالك بن الصيف ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه يحك ولا على موسى فقال واقه ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمع قومه تلك المقالة قالوا وبك ما هذا الذى بلغنا عنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فقلت هذا قال أغضبني محمد فقلت فقالوا وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فزله من الخبر يوقعه رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي حال كون الكتاب ظاهرا جليا فى نفسه وهاديا للناس من الضلالة (فجاءوا به قراطين تبدلونها وتخفون كثيرا) أي تضمنون الكتاب فى ورفات مفرقة فجاءوه أجزاء متخويف وممان جزاء فقالوا ذلك لئتمكنوا من اخفاء ما أرادوا اخفاءه فيجملون ما يريدون اخفاءه على (م) مكتوبا من اخفائه. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء النبية فى الافعال الثلاثة وبالباقون بناء الخطاب (وعلمتم) أيها اليهود من الاحكام وغيرها (ما لم تعلموا أتم ولا آباءكم) من قبل زول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا آباءكم ان التوراة كانت مشتملة على البشارة بمحمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يقرأون تلك الآيات وما كانوا يهزمون معانيها فلما بعث الله محمدا ظهر المراد من تلك الآيات هو مبشروا صلى الله عليه وسلم (قل) الله أي قليا كرم الرسل للزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (م) خبرها فى خوضهم يلبسون) أي ثم اتركهم فى باطلهم الذى يخوضون فيه يسخرون فانك اذا أقت الحجة لم يبق عليك من أمرهم شيء البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أي وهذا القرآن كتاب أنزلنا بالوحي على لسان جبريل (مبارك) أي كثير خيره دائم منفته يشتر بالمعزة يزجر عن اللصية (مصدق الذى بين يديه) أي موافق للكتب التى قبله فى التوحيد وتوحيده الله والدلالة على البشارة والنفارة (ولتنذر أم القرى) قرأ شامة لينذر على النبوة أي لينذر الكتب والبقون وتنذر بالخطاب أي وتنذريا كرم الرسل أهل مكة سميت أم القرى لانهما قبله أهل الدنيا ولاهما موضع الحج وهى من أصول عبادات أهل الدنيا فيجتمع الخلق اليها كما يجمع الأولاد الى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم ان يحصل فيها أنواع التجارات وهى من أصول المعيشة فلها السبب سميت مكة أم القرى (ومن حولها) أي من أهل جميع بلاد العالم

(والذين يؤمنون بالآخرة) أى إيماناً حقيقياً (يؤمنون به) أى بالقرآن (ومن أظلم عن افتراءى على الله كذباً) نزلت في مسيلة والأسود
للنبي ادعى النبوة وأن الله قد أوحى إليهما وهذا معنى قوله (٢٥١) (أوقال أوحى إلى ولم يوح إليهمى ومن

قال سأل مثل ما نزل
الله) يعنى المستزين
الذين قالوا لئن لم نزل
هذا (ولو ترى) يا محمد
(اذ الظالمون) يعنى الذين
ذكرهم الله (في غمرات
اللوث) أى شدائده
وأهواله (وللائكة
باسطوا أيديهم) أى اليهم
بالضرب والتعذيب
(أخرجوا أنفسكم) أى
يقولون ذلك ونفس الكافر
تخرج بمشقة وكره لأنها
تسير إلى أشد العذاب
وللائكة يكرهونهم على
نزع الروح ويقولون
أخرجوا أنفسكم كرها
(اليوم تجزون عذاب
المؤمن) أى المذاب الذى
يقع به المؤمن الشديد
(بما كنتم تقولون على
الله غير الحق) من أنه
أوحى إليكم ولم يوح (وكنتم
عن آياته تستكبرون)
أى عن الإيمان بها
تعتدون (ولقد جئتمونا
فراذى) يقال للكافر
الآخرة جئتمونا فراذى
بلا أهل ولا مال ولا نفع
قدتموه (كما خلقناكم
أول مرة) أى كما خبرتم
من بطون أمهاتكم
(وتركتم ما خولناكم) أى

(والذين يؤمنون بالآخرة) أى بالوعد والوعيد والثواب والعقاب (يؤمنون به) أى بالكتاب
(وهم على صلاتهم محافظون) فإن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وتخصيصها بالذكر لأنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله فلم يقع
اسم الإيمان على شيء من العبادات الظاهرة الأعلى الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أى
صلاتكم ولم يقع اسم الكفر على شيء من المعاصي الأعلى ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر (ومن أظلم عن افتراءى على الله كذباً) نزل هنا في مسيلة للكذاب
صاحب الجامة وفي الأسود القمشي صاحب صنمها فانها كانا يعبدان النبوة والرسل من عند الله
تعالى على سبيل الكذب (أوقال أوحى إلى ولم يوح إليهمى) روى ابن عبد الله بن سعد بن أبي سرح
كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من صلالة من
طين أملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر جبر عبد الله من
تفصيل خلق الإنسان فقال قتيباً كذا الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت
الآية كتبها كذلك فشك عبد الله وقال إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فأرعدن
الاسلام وحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك إلى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة حين نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بر الظهران (ومن قال سأل مثل ما نزل الله) كما ادعى الضرب بن الحارث معارضة
القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الأولين وكل أحد يمكنه الاتيان بمثله وقال لئن لم نزلنا
هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افتراءى على الله كذباً في ذلك الزمان ويصده لان
خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات اللوث وللائكة باسطوا أيديهم
أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب المؤمن بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آية
تستكبرون) أى ولو ترى يا أشرف الخلق الظالمين وقت كونهم في شدائدهم للوث في الدنيا وللائكة
باسطوا أيديهم لتعذب أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام
هذا الوقت تجزون العذاب الذى يقع به المؤمن الشديد بسبب الافتراء على الله والتكبر على آيات الله
لرأيت أمراً عظيماً أو لعمري ترى الظالمين اذا صاروا إلى أنواع الشدائد والتعذيبات في الآخرة فادخلوا
جهم وللائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب يمكنهم قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب
الشديد هذا الوقت تجزون العذاب الذى يقع به المؤمن الشديد بسبب الافتراء على الله والتكبر على آيات الله
مستكبرين عن الإيمان بآيات الله لرأيت أمراً عظيماً (ولقد جئتمونا) للحساب (فراذى)
عن الأهل والمال والجاه (كما خلقناكم أول مرة) أى مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلاً بها
أى ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ما خولناكم) أى أعطيناكم من الأموال
(وراء ظهوركم) في الدنيا اما اذا صرف الأموال إلى الجهات للوجبة تعظيم أمر الله ولشفقة على
خلق الله فما تركها وراء ظهره بل قدمها لقاء وجهه (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم
شركاء) أى وما ترى معكم أصنامكم التى زعمتم انها شركاء الله في استحقاق عبادتكم (لقد قطع
بينكم) قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي بالصبا أى لقد قطعت الشراكة بينكم والباقيون
بالرفع أى لقد قطع وصلكم فالذين آمنى يستعمل للوصل والفرق فهو مشترك بينهما كالجبون

ملكناكم وأعطيناكم من المال والعبادة والواشى (وراء ظهوركم وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) وذلك أن المشركين
كانوا يسهلون الأصنام على أنهم شركاءهم وشفعائهم عندهم (لقد قطع بينكم) أى وصلكم ومودتكم

(وضل) أى ذهب (عنكم) ما كنتم تزعمون) أى
 تكذبون فى الدنيا (ان) الله فائق الحب) أى شاقه
 بالنبات (والنوى) بالنخلة (يخرج الحى من الليث)
 أى يخرج من النطقة بشرا حيا (ويخرج الليث من الحى)
 وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذلكم الله الذى
 فعل هذه الأشياء كلها التى تشاهدونها) (ربكم فأتى
 تؤفكون) أى فمن أين تصرفون عن الحق بعد
 هذا البيان (فأتى الاصباح) أى شاق محمود الصباح عن
 ظلمة الليل وسواد على معنى أنه خالفه ومبدئه
 (وجعل الليل سكنا) أى للعقل يسكنون فيه يسكنون
 الراحة (والشمس والقمر حسابا) أى وجعل الشمس
 والقمر بحساب لا يجاوزانه فهما يدوران فى حساب
 (ذلك تقدير الزمر) أى فى ملكه يصنع ما أراد
 (العلم) بما قدر من خلقهما (وهو الذى أنشأكم
 من نفس واحدة) معنى
 أدم (فستقر) أى
 فلکم مستقر فى الارحام
 (ومستودع) أى فى
 الاصلا

للأسود والأبيض (وضل) أى ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الاصنام شفعاءكم (ان
 الله فائق الحب) أى شاق جميع الحبوب من الحنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل النخار
 أى فاذ وقعت الحبة أو النواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها مدة أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة
 من أعلاها شقا ومن أسفلها شقا آخر فيخرج من الحبة ورق أخضر ومن النواة شجرة صاعدة فى
 الهواء ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الليث ويخرج الليث من الحى) أى
 يخرج من النطقة بشرا حيا ومن الحب اليابس نباتا غضا ومن الكافر مؤمنا
 ومن المعاصى مطيعا وبالعكس (ذلكم الله فأتى تؤفكون) أى ذلكم الله الدبر الخالق النافع
 الضار المحيى للميت فمن أين تكذبون فى انثبات القول بعبادة الأصنام وقيل الراد الانكار على
 تكذيبهم بالحشر والنشر فالله أنكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الليث ويخرج الليث من الحى
 ثم شاهدتم أنه تعالى أخرج البدن الحى من النطقة التى مرة واحدة فكيف تستبدون أن يخرج
 البدن الحى من ميت التراب المزمع مرة أخرى (فأتى الاصباح) أى فأتى ظلمة الاصباح
 بنور الاصباح وذلك لان الأفق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى مملوء من الظلمة وأما ظهر
 النور فى الجانب الشرقى فكان الأفق كان بحرا مملوءا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر
 للظلم بأن أجرى جدولا من النور فيه (وجعل الليل سكنا) أى يستريح فيه الخلق من التعب
 الحاصل فى النهار قرأ عاصم وحزرة والكساوى على صيغة للناضى والباقيون على صيغة اسم الفاعل
 (والشمس والقمر حسابا) أى قدر الله تعالى حركة بمقدار معين من السرعة والبطء بحيث تتم
 الدورة فى سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة فى شهر وبهذه التقادير تنظم مصالح العالم فى
 القصور الأربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الثبات (ذلك تقدير الزمر
 العظيم) أى حصول هذه الاحوال لا يمكن الا بقدره كاملة متعلقة بجميع الممكنات وبلم نافذ فى
 جميع المعلومات من الكليات والجزئيات فليس حصول حركات اجرام الافلاك بصفات المخصوصة
 بالطبع وأعمالها بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات
 البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاهتدائكم بها فى مشبهات الطرق اذا سافرت فى
 بر أو بحر ولاستدللكم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة (قد فصلنا الآيات لقوم
 يعقلون) أى قد بينا العلامات البالة على قدرتنا وحدانيتها لقوم يتأملون فيستدلون بالمحسوس على
 العقول ويتقنون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على الطرقات فى ظلمات
 البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكما قلنا قدرته وعلمه (وهو الذى أنشأكم
 من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فستقر ومستودع)
 قرأ ابن كثير وأبو عمرو فستقر بكسر القاف والباقيون بفتحها وأما مستودع فهو بفتح الدال لا غير
 فالله على الأول فتكم مستقر ومنكم شئ مودع فى الصلب وهو النطقة وعلى الثانى فلکم مكان
 استقرار وهو الارحام ومكان استبعاد وهو نفس الاصلا والفرق بين الستقر والمستودع ان الستقر
 ما لم يكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطقة تبقى فى صلب الأب زمانا قديرا
 والجنين يبقى فى رحم الأم زمانا طويلا ولما كان للكبش فى بطن الأم أكثر من المكث فى صلب الأب
 حمل الستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان الستقر صلب الأب والمستودع رحم الأم
 لان النطقة حصلت فى صلب الأب قبل حصولها فى رحم الأم فحصل النطقة فى الرحم من قبل الرجل
 مشبه بالودية وحصولها فى الصلب لامن جهة الغير وقال أبو مسلم الاصهاني ان تقدير الآية هو الذى

(وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني اللطيف (فأخرجنا به نبات كل شيء) نبات (فأخرجنا منه) أي من ذلك النبات (خضرا) أخضر كالقمح والشعير والذرة وما كان رطباً أخضر مما ينبت من الحبوب (فخرج منه) أي من الخضرة (سبا) منزلاً (كأى) أى بفضه على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أى أول ما يطلع منها (فنون) أى العراجين التي قد تلت من الطلع (دانية) ممن يجتنبها يعني فصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض (وجنات) أى وأخر جنات السماء جنات (من أعناب والزيتون والرمان) يعني وشجر الرمان وشجر الزيتون (مشبهها وغير مشبهها) أى مشبهه وقومها مختلف ثمرها (انظر وإلى ثمره) أى نظري الاستدلال والمرة أول ما يمتد (وإنه) أى ونضجه (ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) أى يصدقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيى الموتى (وجعلوا قهراً كالبجن) أى أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان فجعلواهم شركاء لله (وخرقوا له بنين) وخرقوا له بنين (وأتوا ذلك

أنشأكم من نفس واحدة فنكم ذكر ومنكم أنثى وأما عبر عن الذكر المستقر لأن النطفة أعمتاً في صلبه وتستقر فيه وأما عبر عن الأنثى المستودع لأن رحمها شبيه المستودع لتلك النطفة (قد فعلنا الآيات) أى قدينا العلامات الدالة على قدرتنا من تفاصيل خلق البشر (لقوم يفقهون) أى يفقهون النظر فإن إنشاء الإنسان من نفس واحدة وقصر فهم بين أحوال مختلفة ألطف صنعة وإن الاستدلال بالنفس أدق من الاستدلال بالجوف في الآفاق لظهورها (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أى وهو الله الذي خلق هذه الأجسام في السماء ثم ينزلها إلى السحاب ثم من السحاب إلى الأرض (فأخرجنا) أى بسبب الماء (نبات كل شيء) من الأشياء التي تنمو من أنواع النجم والشجر (فأخرجنا منه) أى النبات (خضرا) أى زرعاً ولرادم هذا الخضرة العود الأخضر الذي يخرج أولاً في القمح والشعير والذرة والأرز ويكون السنبيل في أعلاه (فخرج منه) أى من ذلك الخضرة (جسماً كذا) بضمه على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أى كبراً ما قبل أن يشق عن الأغريض (فنون) أى عراجين تلت من الطلع (دانية) أى قريبة من القاطف يناله القام والقاعد (وجنات من أعناب) قرأنا صم بالرفع وهي قراءة على أى ومن الكرم جنات من أعناب والباقيون بالنصب والتقدير وأخرجنا بالما بساكنين من أعناب (والزيتون والرمان) أى شجرهما والأحسن أن ينصب على الاختصاص لعمهذين الصنفين عندهم (مشبهها وغير مشبهها) أى إن هذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم والأذوق وقد تكون مختلفة في اللون والنسك مع أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة وأيضاً بعض حببات النعقد ومن السنب متشابهة وبعضها غير متشابهة فإنك إذا أخذت النعقد وترى جميع حبباته فضيحة حلوة طيبة الإحبات مخصوصة منها بقيت على أول حالها من الخضرة والجوطة والغفوسة (انظروا) أيها المخاطبون نظروا اعتباراً (إلى ثمره) أى تمر كل واحد ما ذكر قرأ حمزة الكسائي بضم التاء والموقر أبو عمر وبضم التاء وسكون اللام والباقيون بفتح التاء واليم (إذا أثمر) أى إذا خرج ثمره فتحلوه ضئيلاً لا يكاد يتفقه به (وإنه) أى وانظر إلى حال نضجه وكاله فتجدوه قد صار قوياً جامعاً لمنافع جمّة (ان في ذلكم) أى في اختلاف الألوان وهو ما أمر النظر إليه (آيات) أى عظمة دالة على وجود القادر الحكيم ووجدته (لقوم يؤمنون) أي لمن سبق في حقه قضاء الله بالإيمان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم يتفقه بهذه الدلالة البتة أصلاً (وجعلوا لله شركاء الجن) أي قال الجحوس إن الله تعالى وإليس أخوان شرى كان الله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام وإليس خالق السباع والحيات والقارب وقالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشر وفرو من أمرهم وهو اللسمى بإبليس في شرعنا (وخلقهم) أى وقد علموا أن الله خلقهم فإن أكثر الجحوس معترفون بأن إبليس ليس بشيء بل هو حادث وإنما كان إبليس أصلاً لجميع الشرور والآفات والفاسدات والتباج وقد سألوا أن إليه العالم هو الخالق لما هو أصل الشرور والتباج والفاسد ثم إن في الجحوس من يقول إن الله تعالى تفكر في ملكة نفسه واستعظمه فحصل نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول شك في قدرة نفسه فنشأ من شك الشيطان فيؤلاه معترفون بأن أمرهم محدث وأن محدثه هو الله تعالى فقول الله تعالى وخلقهم إشارة إلى هذا المعنى والضمير عائد إلى الجن (وخرقوا له بنين وبنات بنيرعل) قرأ نافع خرقوا بتشديد الراء والجحور بتخفيفها وقرأه ابن عباس بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء وابن عمر كذلك إلا أنه شد الراء أي كذبوا في الله حيث وصفوه تعالى بقوت البنين والبنات معصحين لجهل حقيقة ما وصفوه فالتدين أثبتوا البنين المتصاري

كذبوا وكفروا يعني الذين قالوا لللائكة بنات الله واليهود والتصاري (بنيرعل) أي لم يدركوه عن علم أنما ذكره تكديبا وقوله

وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله والذين أثبتوا البنات العرب
الذين يقولون لللائكة بنات الله فلو عرفوا أن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لاستنموا أن
يشيئوا له تعالى البنين والبنات فإن الولد دال على كونه منفصلا من جزءه من أجزاءه والولد ذلك إما يكون
في مركب يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك في حق الفرد الواجب لذاته حال فمن عرف حقيقة الإله
استحال أن يقول له تعالى ولد (مسيحاه) زاده الله ذاته بنفسه عملا يليق به (وتعالى) أى قدس (عما
يصفون) بأن له تعالى شركا وولدا قالت مسيح برجع إلى ذات المسح والتعالى رجع إلى صفته الذاتية
التي حصلت له تعالى سواء أصبح له تعالى مسيح أم لا (بديع السموات والأرض) وللخى أن الله تعالى أخرج
عيسى إلى الوجود من غير سبق الأب والنطفة كما أنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سبق مادة
ومادة فالوزم من مجرد كونه تعالى مبدعا لأحداث عيسى كونه تعالى والدا له عليه السلام لزمن كونه تعالى
مبدعا للسموات والأرض كونه تعالى والدا لها وذلك باطل بالاتفاق ثبت أن مجرد كونه تعالى مبدعا
لعيسى لا يقتضى كونه والدا له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد
والحال ليس له زوجة أى لأن الولد لا يصح الأمن كانه له زوجة وشهوة ويفصل عنه جزءه ويحبس
ذلك الجزء في باطن تلك الزوجة وهذه الأحوال انما تثبت في حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون والشهوة واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شيء) أى من أين يكون
له ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الأشياء فإن تحصيل الولد بطريق الولادة إما يصح في حق من لا يقدر
على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادرا على تكوين كل المحدثات فإذا أراد أحداث شيء قال له كن
فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع أحداث شخص منه بطريق الولادة (وهو بكل شيء عليم) أى
فإن علمه أن في تحصيل الولد فعلا له تعالى وكلا لا يجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يجب كون ذلك
الولد أزليا وهو محال وإن علم أنه ليس له تعالى في تحصيل الولد ازدياد مرتبة في الألفية ولا حال فيها
وجب أن لا يحدثه البتة في وقت من الأوقات وأيضا الولد للعتاد انما يحدث بقضاء الشهوة وهو
يوجب اللذة وهى مطلوبة لتمامها فوجب أن يعلم الله أن تحصيل تلك اللذة يدعوه إلى تحصيلها قبل ذلك
الوقت فوجب أن تحصل تلك اللذة في الأزل فإزم كون الولد أزليا وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه
تعالى (ذلكم أقهر بكم لاله الأهو خالق كل شيء) فاعبدوه واسم الأشار فراجع إلى الإله الموصوف بما
تقدم من الصفات واسم الجلالة خبر أول و بكم خبر ثان ولاله الأهو خبر ثالث و خالق كل شيء خبر رابع والفاء
في قوله فاعبدوه لغير الدسيسة من غير عطف أى بفتان إله العالم فرد صمد منزّه عن الشر بلك والظفر
والشد والأولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم لا شريك له في
ذلك خالق كل ما كن وما يكون فاعبدوه ولا تشبوا أحدا غيره وللعلماء في إثبات التوحيد طرق كثيرة ومن
جملتها هذه الطريقة فتقرر هامن وجوه الأول أن يقال الصانع الواحد كاف في كونه إله العالم ومديره لا
وما زاد على الواحد قال قول فيه متكافى: لأنه لم يدل الدليل على ثبوته لأنه يتم اما اثبات آله لا نهاية
لها وهو محال أو اثبات عدم معين مع أنه ليس ذلك العدد أولى من سائر الأعداد وهو محال أيضا وإذا
كان القسمان باطلين لم يبق الا القول بالتوحيد والثاني أن يقال إن الإله القادر على كل الممكنات
العالم بكل الماومات كاف في تدير العالم فالقدرة على ما تانيا فاما أن يكون فاعلا أولا فإن كان فاعلا
صار مانعا للأشعر عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب حصول كل واحد منهم مسبب المعجز الآخر وهو
محال وإن لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للألفية والثالث أن يقال إن الإله الواحد لا بد وأن

(أنى يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة) أى من أين
يكون له ولد ولا يكون
الولد الأمن صاحبة ولا
صاحبة له (وخلق كل شيء)
أى هو خالق كل شيء

على القيد وقيل لا تحيط
بكنهه وحقيقته الأبرار
وهي تراه فالأبرار ترى
البارى ولا تحيط به (وهو
بدره الأبرار) أي أراها
ويحيط بها علما لا تخافين
الذين لا يدركون حقيقة
البصر والشيء الذي صار
به الإنسان يصبر من عبثه
دون أن يصبر من غيرهما
(وهو اللطيف) أي الرقيق
بأوليائه (الخبر) بهم (قد
جاءكم صائر من ربكم)
يعني ينزل القرآن (فمن
أبصر) أي اهتدى
(فلننسه) حمل (ومن عصى
فعلينا) أي فعلى نفسى
العذاب (وما أنا عليكم
بمحظ) أي برقيب على
أعمالكم حتى أجازيكم بها
(وكذلك نصرف الآيات)
أي وكما كنا في هذه السورة
نصرف تبين الآيات في
القرآن لنمعوهم بها
ونخوفهم (وليقولوا درست)
هذا عطف على مضمر في
الصنى والتقدير نصرف
الآيات لتأمرهم بالحجة
وليقولوا درست أي

يكون كاملا في صفات الألوهية فلو فرضنا لها ثانيا فاما أن يكون مشاركا للاول في جميع صفات الكمال
أولا فان كان مشاركا في ذلك فاما أن يكون متميزا عن الاول أولا فان لم يكن متميزا عنه بأمرين الأمور
لم تحصل الاتينية وإن امتاز بصفات الكمال لم تكن جميع صفاته مشتركة بينهما وإن امتاز بغير
صفات الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن الاله الواحد كلف في تدبير العالم وإيجاده
وأن الزائد يجب نفيه (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ فيجب أن يعلم كل مكلف أنه لا يحافظ الا الله
ولا يصلح للهجات الا الله فعينه لا ينقطع طعمه عن كل ما سواه ولا يرجع في مهم من المهمات الا اليه
ويقال أي كفى بل بأرزاق خلقه (لا تترك الأبرار) أي لا تراه الأبرار في الدنيا وهو تعالى يراد المومنون
في الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاقصامون في رؤيته
فالتشبيه واقع في تشبيه الرؤى بالآخرة في الوضوح لافي تشبيه للرؤى بالرؤى واتفق الجمهور أنه صلى الله
عليه وسلم قرأ قوله تعالى فلذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزائدة النظر إلى
وجهه وروى أن الصحابة اختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة العراج
أولا لم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب وما نسبته إلى الفضالة وهذا يدل على أنهم كانوا مجمعين على أنه
لا امتناع عقلا في رؤيته الله تعالى وقيل للصنى لا تحيط به تعالى الأبرار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم
انحصاره (وهو يدرك الأبرار) أي والله تعالى مدرك لحقيقة الأبرار (وهو اللطيف) فيلطف
عن أن تدركه الأبرار (الخبر) أي العالم بكل لطيف فلا يطلع شيء من ادراكه وقيل انه تعالى
لطيف بعباده حيث يفتي عليهم عند الطاعين وأمرهم بالتوبة عند المنصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمته
سواء كانوا مطيعين أو عصاة وقيل انه تعالى لطيف بهم بحيث لا يأمرهم فوق طاقتهم ويمنع عنهم
بما هو فوق استحقاقهم (فجاءكم صائر من ربكم) أي جاءكم آيات القرآن كأنتم من ربكم وسميت
تلك الآيات بصائر لانها أسباب لحصول الآتوار للقلوب وقوله تعالى فجاءكم الآية استئناف وارد على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فنفسه) أي من اهتدى بآيات القرآن فآمن فنفع
أهداه لنفسه (ومن عصى فعلينا) أي ومن ضل عنها بأن كفر بها فضره ضلالتة وكفره على نفسه
(وما أنا عليكم بمحظ) أي لأعمالكم وإنما أنا منذر والله تعالى هو الذي يحفظ أعمالكم ويجازيكم
عليها (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك الايمان البديع تأتي بالآيات متواترة حلا بعد حال
لتأمرهم بالحجة (وليقولوا درست) قرأه ابن كثير وأبو عمرو بالألف وفتح التاء أي ليقول بعضهم
ذا كررت يا محمد أهل الاخبار لماضية فيزداد كفر اهل كفر وتبيننا لبعضهم فيزداد ايمانا على ايمان
وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن تحميا ونجيا والكفار كانوا يقولون ان محمدا
يضم هذه الآيات بعضها إلى بعض فيشكرونها أو يسلحها آية فآية ثم يظهرها لو كان هذا يوحى نازل اليه
من السماء فلم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما أن موسى عليه السلام أتى بالآيات دفعة واحدة أي فان
تكرر هذه الآيات حالا بعد حال هي التي أوقعت اليك للقيام في أن محمدا صلى الله عليه وسلم إنما أتى
بهذا القرآن على سبيل للمارسة مع التفكر ولذا كرر مع أقوال آخرين وقرأ ابن عمر درست بفتح
السين وسكون التاء أي هذه الأخبار التي تلونا علينا قد عينا قدما نحت وتكررت على الامم كقولهم
أساطير الأولين وقرأ الباقون درست بدون الألف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتقنت
بالدرس أخبار الأولين كقولهم أساطير الأولين كتبها فهي على عليه بكره وأوصلا (ولتبينه) أي
الآيات (لقوم يملكون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ما أوحى اليك من ربك)

تذكيرك للشقاوة التي لحقتهم (ولتبينه لقوم يملكون) يعني أولياءه الذين هداهم الله والذين سجدوا بتبين الحق

أى الزم العمل بما أنزل إليك من ربك ولا يصردك القول سبيل القتور ك تبليغ الرسالة والدعوة (لأله
 الا هو) يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكليفه (وأعرض عن المشركين) أى أترك في الحال
 مقابلتهم فيما أتونه من سفو واعدل الى الطريق الذى يكون أقرب الى القبول وأدع عن التغليب والتنفير
 (ولوشاء الله) عدم إشرأ بهم (ما أشركوا) أى لا تلتفت يا أشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار
 الذين قالوا لك انما جئت هذا القرآن من مذكرا للناس ولا يقتلن عليك كفرهم فانالوا أردنا نزاله
 الكفر عنهم لنقررنا ولكنا تركناهم مع كفرهم فلا نبخى أن نشغل قلبك بكلماتهم (وما جعلناك عليهم
 حفيظا) أى رقيباً من جهتنا نحفظ أعمالهم عليهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى واثق يا كرم الرسل
 حافظ عليهم من جهتهم فتدبر مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أركانهم (ولانسوا الذين يدعون من
 دون الله فسيقسوا الله عدواً بغير علم) أى ولا نسوا أبها المؤمنين من يعبدون الأصنام من حيث عبادتهم
 لأنهم كان يقولوا تبا لكم ولا تعبدون من الأصنام مثلاً فسيقسوا رسول الله ﷺ نجوا عن الحن الى
 الباطل بجهالة منهم بما يحب عليهم فان الصحابة شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاقه تعالى أجرى شتم الرسول بحرى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون
 انما حسنت عبادة الأصنام لتصور شفاعة لهم عند الله تعالى أو المعنى ولا نسوا الأصنام الذين كان المشركون
 يعبدونهم فسيقسوا الله الظالم بغير علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قاتلاً بالدهر وثنى الصانع قال
 قتادة كان المؤمنون يسبون وأن الكفار فبدون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم
 قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل اه وانما هو اعرب سب الأصنام وان كان مباحاً ليشأ عن ذلك من الفاسد
 وهو سب الله وسب رسوله فظاهر الآية كان نهيها عن سب الأصنام وحقيقته انتهى عن سب الله تعالى
 لانه سب تلك وفي ذلك دلالة على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة تجوز تركها فان ما يؤدى الى
 الشر شر (كذلك) أى مثل زين عبادة الأصنام للمشركين (زين السكل أمة) أى لأمة الكفرة
 (عملهم) أى شرهم وفسادهم باحداث ما يحلمهم عليه فان العاصى سبوم قاتلة قديرت في الدنيا
 بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات فانها مع كونها أحسن الأحسن قد ظهرت عندهم
 بصورة مكروهة وتلك قال صلى الله عليه وسلم خفت الجنة بالمكاره وخفت النار بالشهوات وفي
 هذه الآية دلالة على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفر وزيينه
 (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فينبئهم بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من
 السببات التي نفعهم فأعمال الكفرة قديرت لهم في هذه النساء بصورة مزينة يستحسنها الفتوة
 ويستحبها الطغاة وستظهر في النساء الآخرة بصورتها الحقيقية للنسكرة المائلة عند ذلك يعرفون أن
 أعمالهم ماذا فصرعوا اظهارها بصورة الحقيقية بالاخبار بها لما أن كلامها سبب للعلم بحقيقته كما هي
 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى أقسم كفار مكة بالله غاية إيمانهم (لئن جاءهم آية) أى معجزة كاطلبوا
 (ليؤمنن بها) أى قالوا لسيدينا رسول الله أن هذا القرآن كيفاً كان أمره فليس من جنس المعجزات
 البتة ولأنك يا محمد جئتنا بمعجزة قاهرة لأنابك وحلوة واعى ذلك وقال محمد بن كعب القرظي قالت
 قريش يا محمد انك تعبرنا أن موسى ضرب الحجر بالصفا فنفجر الماء وأن عيسى أحيى الميت وأن صالحاً
 أخرج الناقة من الجبل فأنتاباًية لتصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى يحبون فقالوا أن
 نجعل لنا الصفا ذهباً وحلقوا لئن فعل ليتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعو جاءه جبريل فقال
 ان شئت كان ذلك ولئن كان فلم يصدقك ليعذبهم الله وان تركتهم تاب الله على بعضهم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأقر الله تعالى هذه الآية (قل انما الآيات عند الله)

(ولوشاء الله ما أشركوا) أى
 ولوشاء جعلهم مؤمنين
 (وما جعلناك عليهم حفيظاً)
 أى لم تبعث
 للمشركين من العذاب انما
 بعثت مبطلات لانهم بشرهم
 فان ذلك بمشية الله (ولا
 نسوا الذين يدعون من
 دون الله) يعنى أصنامهم
 ومعبودهم وذلك أن
 للسليين كانوا يسبون
 أصنام الكفار فنهاهم الله
 عن ذلك لئلا يسبوا الله
 (عدواً بغير علم) أى ظلموا
 بالجهل (كذلك) أى كما
 زيناهم لادعابادة الأوثان
 وطاعة الشيطان بالحرمان
 والخللان (زين السكل أمة
 عملهم) من الخير والشر
 (وأقسموا بالله جهد
 أيمانهم) أى اجتهدوا في
 البالبة في الإيمين (لئن
 جاءهم آية ليؤمنن بها)
 وذلك انهم نزل ان نشأ
 نزل عليهم الآية أقسم
 للمشركون بالله لئن جاءتهم
 آية ليؤمنن بها وسأل
 للسالمون ذلك أعلم الله
 أنهم لا يؤمنون فأقر الله هذه
 الآية (قل انما الآيات عند الله)
 هو القادر على الاتيان بها

(وما يشرككم) أى وما يدبركم إيمانهم أى هم لا يؤمنون مع محمى الآلة إياهم ثم ابتدأ فقال (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) ومن قرأ أنها فتفتح
الآلف كانت بمعنى لها وبجوز أن تجل لأزادة مع فتح أن (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى تحول بينهم وبين الإيمان لوجانتهم تلك الآفة
تقلب قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذى يجب أن تكون عليه فلا يؤمنون (كالمؤمنين) أى بالقرآن

(٢٥٧)

أو بمحمد (أول مرة) أنهم
الآيات مثل انشقاق القمر
وغیره (ونذرهم فى
طغيانهم بمعمود) أى
أخذهم وأدعهم فى ضلالهم
يتجادون (ولو أنزلنا اليهم
اللائكة) فأرؤهم عيانا
(وكلهم الموتى) فشهدوا لك
بالصدق والنسبة (وحشرنا
عليهم) أى وجمعنا عليهم
(كل شئ) فى الدنيا (قبلا)
وقبلا أى معانية ومواجهة
(ما كانوا ليؤمنوا) لما
سبق لهم من الشقاء (الا
أن يشاء الله) أن يجديهم
(ولكن أكفرهم
بجهلون) أنهم لو أتوا
بكل آية آمنوا (وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا)
أى كما ابتليناك بهؤلاء
القوم كذلك جعلنا لكل
نبي قبلك أعداء ليظلم
نوابه والعدو هنا يراد به
الجمع ثم يبين من هم فقال
(شياطين الانس) يعنى
مردة الانس والشياطين
كل متمردين عن الانس
(والجن يوحى) يستهم إلى
بعض زخرفه القول
غرورا) يعنى أن شياطين

أى انه تعالى هو المختص بالقدره على أمثال هذه الآيات دون غيره (وما يشرككم) أى شئ يعلىكم أى
للمؤمنون بإيمانهم أى لا تعلمون ذلك (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمر وأنها بكسر
الهمزة على الاستثنا وباليقون بالفتح فمضى معنى لعل ويؤى هذا الجفر اءة فى علمها إذا جاءت
لا يؤمنون (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى وما يشرككم أنقلب أفئدتهم عن ادراك الحق فلا يفهمونه
وتقلب أبصارهم عن اجتلاء الحق فلا يبرصونه (كالمؤمنين) أى بعاجاه صلى الله عليه وسلم من
الآيات (أول مرة) أى فلا يؤمنون عند نزول مقرهم لوزل كالمؤمنين عند نزول الآيات السابقة على
اقتراحهم كانشقاق القمر (ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) أى تركهم فى ضلالهم متحدين لا يهديهم
هداية المؤمنين (ولو أنزلنا اليهم اللائكة) كطليبو افشدهوا على ما أنكروا (وكلهم الموتى) من القبور كما
طلبوا بأن يحمد رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) فأرأهم حمزة والسكاني
بضمين أى وجمعنا على الستمين زيادة على ما اقترحوه كل شئ من أصناف المخالقات كالسباع
والطيور كغلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وألغى وحشرنا عليهم كل شئ من أنواع سائر المخالقات
وقرأ نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أى حال كون الكفار معادين للأستف (ما كانوا
ليؤمنوا) بمحمد والقرآن (الأن يشاء الله) إيمانهم أى ولو أظهر الله جميع تلك الأشياء العجيبة التى ربه
لهؤلاء الكفار فانهم لا يؤمنون فى حال من الاحوال الناعية الى الإيمان الا فى حال مشيئة تعالى
لايمانهم (ولكن أكفرهم بجهلون) أى أن الكفار لو أتوا بكل آية يؤمنوا ولكن أكثر المسلمين
بجهلون عدم إيمانهم عند محمى الآيات لجهلهم بعدم مشيئة تعالى لايمانهم فيؤمنون بجهلهم بما
لا يكون قال ابن عباس الستمون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن الفيرة الخزرجى والمصم بن وائل
السهمي والأسود بن عبد غوث الزهري والأسود بن المطلب والحرف بن حنظلة أنهم أتوا الرسول
صلى الله عليه وسلم فرفضوا من أهل مكة وقالوا هذا ناللائكة يشهدوا بأنك رسول الله وأبش لنا بعض
موتانا حتى نسألك أحق ما تقول أم باطل أو اتنا بالله ولللائكة قبلا أى كقبلا على محبة ما يدعيه فقلت
هذه الآية (وكذلك) أى كاجعلنا الستمين عدوا لك (جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن)
أى جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا صرده من الانس والجن فيشيطون الانس أشد تمر دامن شياطين الجن
لأن شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه وضافة
شياطين يعنى من البيان وهى بدل من عدوا وهو مفعول أول قسم على التاني مسرعا على بيان العداوة
(يوحى) بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أى يلقى شياطين الجن الى شياطين الانس ترين القول
بالباطل لك يرضوا به الانس (ولو شاور بك) عدم ترين القوم لاجل التروير (ما فعلا) أى ترين
القول للتلقي بأمرك خاصة (فأنهم وما يفترون) أى ترك الكفرة المستتمين واقتراحهم
بأنواع المكابذ فان لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عقوبات حميدة (وتلقى اليه أفئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة) أى ولكى تميل الى هذا الزخرف قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت

(٣٣ - تفسير مراح لبيد - أول)

الجن الذين هم من جند إبليس يوحون الى كفار

الانس ومردتهم فيروهم بالثمين وزخرف القول بالجنة البى من يوحى بالسكبر الذى أهم تر يشون لهم الاعمال القبيحة غرورا
(ولو شاور بك ما فعلا) أى لئيم الشياطين من الوسوسة للانس (وتلقى اليه) أى لتلجلى الى ذلك الزخرف والتروير (أفئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة) أى قلوب الذين لا يصدقون بالبعث

(أبنتي حكا) أي قاضيا
 بيتي وبينكم (وهو الذي
 أنزل اليكم الكتاب) أي
 القرآن (مفصلا) أي مينا
 فيه أمره ونهيه (والذين
 آتيناكم الكتاب) أي من
 اليهود والنصارى (يعلمون
 أنه) أي أن القرآن (منزل
 من ربك بالحق فلا يكون
 من المترين) أي الناكين
 أنهم يعلمون ذلك (وتمت
 كلمات ربك) أي أقبحته
 وعداته وأوليائه وعذابه
 لأعدائه (صدقا) في وعد
 (وعدا) في أحكامه والسنن
 صادقة (عذلة) (لا تبدل
 لكلماته) أي لا تغير
 لحكمه ولا خلاف وعده
 (وهو السميع) لتضرع
 أوليائه ولتقول أصدائه
 (العليم) بما في قلوب
 الفريقين (وان طلع أكثر
 من في الأرض) يعني
 للشركين (يضلوك) عن
 سبيل الله) أي عن دين الله
 الذي رضي له ذلك أنهم
 جادلوا في كل ليلة وقالوا
 إنما يكون باقتحام ولا
 تأكلون ما قبله بكم (ان
 يشبهون الأظن) في تحليل
 الميتة (وان هم الا
 يخترصون) أي يكذبون في
 تحليل ما حرمة الله (فكلاوا
 ما ذكر اسم الله عليه)

(وليرضوه) أي هذا الزخرف لأنفسهم (وليفترقوا ما هم مقترون) أي وليكتسبوا بسبب ارتضاهم
 ما هم مكتسبون من الآثام فيعاقبوا عليها (أفتر الله) أي حكا وهو الذي أنزل اليكم الكتاب (مفصلا)
 أي قل لهم أميل إلى زخارف الشياطين فأطلب حكا غير الله يحكم بيننا والحال أنه تعالى هو الذي أنزل
 اليكم القرآن وأنتم أمية لا تدرون ما تأتون وما تنفرون مينا في الحق والباطل فلم يبق في أمور
 الدين شيء من الإبهام فأى حاجة بذلك إلى الحكم وهو الحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل
 التأويل قال الحكم أكل من الحاكم لأن الحكم لا يحكم إلا بالحق والحاكم قد يجوز ولأن الحكم من
 تصكرو منه الحكم والحاكم يصدق بمرءة (والذين آتيناكم الكتاب) أي التوراة والإنجيل والزابور
 (يعلمون أنه) أي القرآن (منزل من ربك) مكتسبا (بالحق) قرأ ابن عمر وحفص منزل بقتيد الزاي
 والباقون يسكون التون (فلا تكون من للمترين) أي من الناكين في أن علماء أهل الكتاب
 يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) أي كفى
 القرآن من جهة صدقه في أخباره ومن جهة عدله في أحكامه وكفى في بيان محتاج المكفون إليه إلى
 قيام القيامة علما وعملوا في كونه مسجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ عاصم وحزرة
 والكسائي كلت على التوحيد دون ألف والباقون يأنف على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من
 قراءة الجمع وقراءة الأفراد وكذا كل موضع اختلف فيه القراء جمعا وأفرادا (لا تبدل لكلماته)
 أي لأحد يبدل شيئا من القرآن بما هو أصح وأعدل ولا بما هو منه (وهو السميع العليم) بالفعال
 والأعمال (وان طلع أكثر من في الأرض) أي وان قطع يا أشرف الخلق كفار الناس فما يعتقدونه
 من أحقاق الباطل وإبطال الحق (يضلوك عن سبيل الله) أي عن الطريق للموصل إلى الله (ان)
 يتبعون الا الظن) أي ما يتبعون في أثبات مذهبيهم المرجوع إلى تقليد أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم
 كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وان هم الا يخترصون) أي يكذبون فان رؤساء أهل مكة
 منهم أبو الاحوص ملك بن عوف الجشمي وبيد بن ورقاء الخزاعي وجلس بن ورقاء الخزاعي قالوا
 للؤمنين ان ما ذبح اقد خبرنا مذبحون انتم بسا كينكم وروى أن المشركين قالوا النبي أخبرنا عن الشاة اذا
 ماتت من قبلها فقال الله قتلها قالوا أنت زعمنا ما قتلنا أنت وأصحابك حلال وما قتلها الكلب والصقر
 حلال وما قتلها الله حرام (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي فان هؤلاء
 الكفار كاذبون في إعاداء البين والله عالم بكونهم متحيرين في سبيل الضلال فاشبههم في أودعة الجهل أي
 فانك اذا عرفت ذلك ففوض أمرهم إلى خالقهم لأنه عالم بالمهتدي والضلال فيجازي كل واحد بما
 يليق بعمله (فكلاوا ما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) وهذا أمر متفرع من النهي
 عن اتباع الضالين وذلك لانهم كانوا يقولون للسلعين انكم كبريهمون انكم تصيدون الله فافتر الله الحق
 أن تأكلوه عما قتلتموه أنتم فقال الله للبعين ان كنتم متحققين بالإيمان فكلاوا ما ذكر اسم الله
 عليه وهو الذي يسم الله خاصة لا عما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو ما تشبه أنه
 (وما لكم أن لا تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) أي وأي سبب حاصل لكم في
 أن لا تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه وأن تأكلوا من غير ما أحل الله أنه قد دين لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى
 قل لا أجد فيها أوحى إلى محرمل طلع يطعمه فيها وان كان متأخرا في التلاوة فلا يمنع أن يكون هو
 للرب لأن التأخر في هذا قبل وأيضا التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول أو بقوله تعالى في أول

أي عما ذكر على اسم الله (ان كنتم بآياته مؤمنين) تأكيده لاستحلال ما أباحه الشرع ثم أبلغ في الإنابة ما ذبح
 على اسم الله بقوله (وما لكم أن لا تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه) أي عبد البع (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) في قوله حرمت عليكم الآية

(الإمام طبرستان) أي دعيتكم الضرورة إلى أكله لما يحل عند الاختيار (٢٥٩) (وان كثيرا ليضلون بأهوائهم) أي الذين يحلون

للشبهة وينظرون وتكلم في
احلالكم ضلوا باتباع أهوائهم
(يقترعون) انما يتبعون فيه
الهوى ولا بصيرة عندهم
ولا علم (ان ربك هو أعلم
بالمقترعين) أي المجاوزين
الحلال إلى الحرام (وذروا
ظاهر الآثم وباطنه) أي
صره وعلايته ثم أورد
بالجزء فقال (ان الذين
يكسبون الآثم سيجزون
بما كانوا يقتربون ولا
تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه) أي مما لم يذكر
(وانه) وان أكله (الفسق)
أي لخروج عن الحق
(وان الشياطين) يعني
الجنس وجنوده (ليوحون
إلى أوليائهم ليجادلوكم)
أي وسوسوا إلى أوليائهم
من المشركين ليخاصموا
محمدنا صلى الله عليه وسلم
وأصحابه في أكل للثمة
(وان أطمعوههم) في
استحلال للثمة (انكم
لمشركون) لأن من أحل
شيئا محرم الله فهو مشرك
(أومن كان ميتا فأحييناه)
أي ضلّا كافرا فهديناه
(وجعلناه نورا) أي ديننا
وإيماننا (بمشيء في الناس)
مع المسلمين مستضيئا بما
قذف الله في قلبه من نور
الحكمة والایمان (كن

سورة المائدة حرمت عليكم اللبنة الآية لأن الله تعالى علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة
الأنعام في الترتيب لا في النزول (الإمام طبرستان) أي الامادعكم الضرورة إلى أكله بسبب
شدة الحاجة محارم عليكم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عامر بناء فصل وحرم
للفعل ونافع وحفص عن عاصم بينهما للفاعل وحزمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بناء الفعل
الأول للفاعل وبناء الثاني للفعل (وان كثيرا) من الذين ينظرون وتكلم في احلال اللبنة ويقولون
لما حل ما يذهبونه أثم فبان يحل ما يذهب الله أوى وهم أبو الأحوص وأصحابه وأومن اتخذ البحائر
والسواحب وهو عمر بن لحي فمن دونه من أنصاره فانه أول من غردين اسمعيل (ليضلون) قرأ
عاصم وحزمة والكسائي بضم الياء والياقوت فتحها (بأهوائهم) أي بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير
علم) أي ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشرية (ان ربك هو أعلم بالمقترعين) أي الذين تجاوزوا
الحق إلى الباطل (وذروا ظاهر الآثم وباطنه) أي تركوا الاعلان بازنا والاستمرار بمواهل الجاهلية
يستفدون حل السمومة وقال ابن الأنباري أي وذروا الآثم من جميع جهاته (ان الذين يكسبون
الآثم) في الدنيا (سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يقتربون) أي يكسبون ان يقرّبوا وأراد الله
عقابهم إما اذا تاب الله عنهم الذنوب بوجهة لم يحاسب واذا لم يقب فهو في مشيئة الله ان شاء عقابه
وان شاء عفاه بفضله (ولأنما) تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وهو اللبنة وما ذبح على ذكر
الأصنام (وانه) أي الأكل مما لم يذكر اسم الله بغير ضرورة أو ان ما ذكر عليه عام غير الله (الفسق)
أي خروج عما يحل وأجمع العلماء على أن أكل ذبيحة السلم التي ترك التسمية عليها لفسق وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذكر الله مع السلم سواء قال أولم يقل ويعمل هذا الذر على ذكر
القلب (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) أي ان الجنس وجنوده وسوسوا إلى المشركين أو
الجنس ان مرددة الجوس من أهل فارس كتبوا إلى مشركي قريش وذلك لما نزل تحريم الميتة سمعه
الجوس فكتبوا إلى قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يبيعون أمر الله ثم يزعمون ان ما يذهبونه
حلال وما يذهب الله حرام فوقع في نفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأمر الله تعالى هذه الآية
(ليجادلوكم) في أكل الميتة (وان أطمعوههم) في استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وهذا
دليل على أن كل من أحل شيئا محرم الله تعالى أو حرم شيئا مما أحل الله تعالى فهو مشرك وانعاسى
مشركا لأنه أثبت حاكما سوى الله تعالى وهذا هو الشرك (أومن كان ميتا فأحييناه) أي أومن كان
كافرا فهديناه إلى الإيمان (وجعلناه نورا) عطفا وهو نورا للوحي الإلهي (بمشيء) أي بسبب في
الناس) أي في أي بين الناس أمانهم جهتهم (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي ظلمات الكفر
والظلمات ومعنى البصيرة (ليس خارج منها) أي من تلك الظلمات فإذا دام الكافر في ظلمات الجهل
والاخلاق النجسة صارت تلك الظلمات كالصفة النائية يصير أثر الظلمة وانما جعل الكفر موتا
لانه جهل والجهل روجب الحيرة فهو كالنور الذي روجب السكون والكافر ميتا لا يتأهل بهندي إلى شيء
كالجاهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي مثل زين المؤمنين بالإيمان والنور زين
من جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة للكافرين بما استمروا على عمله قال زيد
ابن أسلم والشحاح نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة نزلت في عمار بن ياسر وأبي
جهل وقال ابن عباس ان أبلغ رجل رمي النبي ﷺ بقرت فأخبر بذلك حزة عند قدمه من صيد القوس

مثل في الظلمات) أي كن هو في ظلمات الكفر والضلال ليس بخارج منها أي ليس بمؤمن أبدا نزلت في أبي جهل وحزمة من عبد المطلب
(كذلك) أي كآذين المؤمنين بالإيمان (زين للكافرين ما كانوا يعملون) من عبادة الأصنام

(وكنك جملنا في كل
 قرية أكابر مجرميها) يعني
 كأن فساق مكة أكابرها
 كذلك جملنا فساق كل
 قرية أكابرها يعني رؤسها
 ومتفرقها (ليكر وا) أي
 ليصدوا الناس عن الإيمان
 (وما يكررون إلا بأنفسهم)
 لأنو بال مكرهم يهود
 عليهم (وما يشرون) أي
 أنهم يبيعون بها (واذا
 جاءتهم آية) أي عما أطلع
 الله عليه نبيه عما يخبرهم به
 (قالوا لن تؤمن حتى تأتي
 مثل ما أتى رسول الله) أي
 حتى يوحى إلينا ويأتينا
 جبريل إليه فنصدق به وذلك
 أن كل واحد من القوم سأل
 أن يخص بالوحي كما قال الله
 تعالى بل يريد كل امرئ
 منهم أن يوتي مصفا مشفرة
 فقال (الله أعلم حيث يجعل
 رسالته) يعني أنهم ليسوا
 بأهل لها أو أعلم بمن يختص
 بالرسالة (سيصيب الذين
 هموا صغار) أي مذلة
 هوان (عند الله) أي ثابت
 لم عند الله ذلك (فمن رد
 لأن يهديه يشتره صدرة
 للإسلام) أي يوسع قلبه
 ويفتحه لقبول الإسلام
 (ومن رد أن يهديه يجعل
 صدرة ضيقا حرجا) أي
 شديد الضيق (كأنما
 يصعد في السلم) إذا كاف
 الإيمان لشدة وقته عليه

بيده وهو يؤمن يومئذ فعند إلى أبي جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد نضرع
 إليه يا أبا بلي أمأري ما جاء به سفسه عقولنا وسبأ لهننا وخالف آباءه أن فقال حمزة أتسم أسفه الناس تعبدون
 الحجارة من دون الله أشهدن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة
 يومئذ فنزلت هذه الآية (وكنك) أي وكما جعلنا في مكة صناديدها رؤسا ليكر وا فيها (جملنا في كل
 قرية) من سائر القرى (أكابر مجرميها) وأكابر مغفولان وبجر مهملة مغفول أول والظرف لغو وهو
 متعلق بنفس الفعل قبله أي جعلنا في كل بلدة فساقا عظاما (ليكر واها) أي ليفعلوا للكر فيها وهذا
 دليل على أن الخير والشر بإرادة الله وأما جعل المجرمين أكابر لأنهم أقر على القدر والسكر وزوج
 الباطل على الناس من غيرهم وأما حصل ذلك لأجل رباستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع
 الرسل ضعفاءهم ويجعل فساقهم أكابرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر
 يصرفون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ويقولون لكل من يقدم هو كذاب ساحر كاهن فكان
 هذا مكرهم (وما يكررون إلا بأنفسهم) أي وما يحقق شركهم إلا بهم (وما يشرون) بذلك أصلا بل
 يزعمون أنهم يبيعون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى تأتي مثل ما أتى رسول الله) أي وإذا
 جاءت مشركي العرب الولدين المنيرة وعبد البيل وأما سعد بن الثقفي آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد
 صلى الله عليه وسلم وتخبرهم بهنيمهم قالوا لن نصدقك حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل بغيرنا أنك
 رسول الله وأنك صادق قال تعالى رد عليهم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق بأرسال
 جبريل إليه لأمر من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف وهذا المعنى قول الحسن
 ومغفول عن ابن عباس وقيل معنى الآية وإذا جاءتهم آية على صلح النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن
 تؤمن رسالته أصلا حتى تأتي نحن من الوحي والنبوة مثل آياتنا رسول الله قال تعالى انه تعالى يعلم من يستحق
 الرسالة فيشر فيها أو يعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهل لها ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا
 لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقيون على الجمع
 ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلاتين وهذا دعاء عظيم يدعى به بينهم وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه
 ومن الذي استجارك فلم تجبر ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تنع ومن الذي توكل
 عليك فلم تكفه يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه بك أستغيث أغثني يا غوثاه هادي من عندك واقتض
 حوائجنا واشف مرضانا واقتضدو تناوا غفر لنا ولا آثنا وألهمنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم
 برحمتك يا أرحم الراحمين (سيصيب الذين أجرموا) أي أشركوا ولما أوجعهم بقولهم لن يؤمن
 حتى تأتي مثل ما أتى رسول الله (صغار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلاحا كم فيها بنفذه حكمه
 سواء (وعند الله) أي كما كانوا يبيعون أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وسددهم للذي ونكسبهم به
 (فمن رد الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشتره صدرة) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن
 رد أن يهديه) أي يتركه كافرا (يجعل صدرة) أي قلبه (ضيقا) كضيق الزج في المرحم قرأ ابن كثير
 ساكنة الباء والباقيون متعددة الباء مكسورة (حرجا) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء أي
 شديد الضيق والباقيون بفتحها أي مثل المواضع الكثيرة الأشجار المشبكة التي لا طريق فيها فلا يصل
 إليها راعية ولا وحشية (كأنما يصعد في السماء) أي كأنه يكلف الصعود إلى السماء قرأ ابن كثير
 ساكنة الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالألف والباقيون بتشديد الصاد والعين
 بشير ألف ومعنى الآية فمن رد الله أن يهديه قوى في قلبه ما يبعوه إلى الإيمان بأن اعتقد أن نفسنا نند

(كذلك) أى مثل ما قصصنا عليك (بحمل الله الرجز) أى العذاب (على) الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك)

أى هذا الذى أنت عليه يا محمد بن ربك (مستقيا) قد فصلنا الآيات لقوم يذكر (ون) وهم المؤمنون (لهم دار السلام) أى الجنة (عند ربهم) مضمونهم حتى يدخلوها (وهو) ولهم) أى يتولى إصاها (الكرامات إليهم) بما كانوا يعملون) من الطاعات (ويوم نحشرهم جميعا) الجن والانس فيقال لهم (يا مشر الجن قد استكرهتم من الانس) أى من اغواهم (وإضلالهم) (وقال أولياؤهم) الذين أضلهم الجن (من الانس) ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى طاعة الانس للجن وقبولهم منهم ما كانوا يفرقونهم به من الضلالة وتبين الجن للانسان ما كانوا يهونونها حتى يسول عليهم فعلها (و) بلنا أجلنا الذى أجلنا) يعنى الموت والظاهر أنه البعث والحشر (قال التارمذنيون) أى فيها مقامكم (خالدين فيها الامشاء) أى من شاء الله وهم من سبق في علم الله أنهم يسلمون (ان ربك حكيم) حكم للذين اختلجوا بيني وبين الله وفى (عليهم) بماى قال بهم من البر (وكذلك نولى بعض الظالمين) يعنى كما أضلنا

وخيره راجع وريحه ظاهر فال طبعه باليه وقوى ترغيبته فى حصوله فى القلب استعداد شديد لتحصيله ومن بردان يظهله ألقى فى قلبه ما يصرفه عن الايمان ويدعوه الى الكفر بأن اعتقد أن شر الايمان زادك ضرره وراجح فخطمت التفرقة عنه فان الكافر اذا دعى الى الاسلام شق عليه جدا كأنه قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك واللعننى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء تكبرا عن قبول الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدمهم ضيقا (بحمل الله الرجز) أى يسلط الله الشيطان (على الذين لا يؤمنون) أى فى قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الباعى الحاصل من الله تعالى (صراط ربك) أى لأن العلم بذلك يؤدى الى العلم بتوحيد الله (مستقيا) فكل فعل العباد بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحدهما بالآخر (تقوم يذكرن) فيعلمون أن كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى لأنه لا يرجح أحططر فى الممكن على الآخر الأرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للتذكرين دار الله النزهة عن النقائص وهى الجنة (عند ربهم) أى أنها معدة عنده تعالى موصوفة بالشرف الى حيث لا يعرف كنهها غيره تعالى (وهو ولهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم فى الدين والدنيا (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم نحشرهم جميعا) قلنا (يا مشر الجن) وقرأ حفص بالياء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول يا جماعة الشياطين (قد استكرهتم من الانس) أى قد كثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين هم الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) فاستمتع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يملكون الانس على أنواع الشهوات واللذات والطيبات ويسهلون تلك الأنور عليهم واستمتع الشياطين بالانس هو أن الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما أمرتهم به وينقادون لحكمهم (و) بلنا أجلنا الذى أجلنا) أى أدركنا وقت موتنا الذى حيث لنا (قال) تعالى (التارمذنيون) أى من أكلتم يا جماعة الجن والانس (خالدين فيها) أى فى النار منذ تبشرون (الامشاء) من مقدار حشرهم من قبورهم ومن مقدار عاصبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (نولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا) آخرتهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا بالظلم قال على رضى الله عنه لا يصلح قتل الناس الأبرار عدلا وأجائر فانكروا قوله أوجائر فقال نعم يؤمن السبيل ويمكن من إقامة الصالحات وحج البيت وروى عن ابن عباس أنه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا نولى أمرهم خيرا هم واذا أراد بقوم شرا نولى أمرهم شرا هم وروى أن أبانرسا الرسول صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له انك ضعيف وانها لأداة وهى فى القيامة خنزى وغداة الامن أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (يا مشر الجن والانس أهبناكم رسل منكم) والصحيح أن الرسل انما كانت من الانس خلقة وقد قام الاجماع على أن النبى ﷺ مرسل للان والجن والمراد برسل الجن هم الذين سمعوا القرآن من النبى ﷺ ثم دلوا الى قومهم منذرين فالمراد برسل ما يهرسل الرسل قاله تعالى انما بعثت الكفار بهذه الآية لأنه تعالى أزال الضر وأزاح الله بسبب أنه تعالى أرسل الرسل الى الكمل مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والتذكرة الى الكمل بهذا الطريق فقد حصل ما هو للقعود من

عصاة الجن والانس نسكل بعض الظالمين الى بعض حتى يصل بعضهم بعضا (يا مشر الجن والانس أهبناكم رسل منكم) الرسل كانت من الانس والذين يلقوا الجن من الرسل كانوا من الجن وهم التفر كالذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم من الجن فيقولون قورهم

(ذلك) أى الذى قصصنا عليك من أمر الرسل لأنه (ليكن ر بك مهلك القرى بظلم) أى بذنو بهم ومعاصيهم من قبل أن يأتيهم الرسول فينهاهم وهو معنى قوله (وأهلها غافلون) (٢٦٢) أى قبل بعث الرسول (ولكل درجات) أى ولكل عامل بطاعته

درجات من الثواب ثم أورد للشركون فقال (ومار بك بنافل عما يعملون وربك النفى) أى عن عبادة خلقه (ذوالرحمة) أى بخلقه فلا يجعل عليهم العقوبة (إن يشأ يذهبكم) يعنى أهل مكة (ويستخلف من بعدهم) أى وينشئ من بعدهم خلفا آخر (كأنشأكم) أى خلقكم ابتداء (من ذرية قوم آخرين) يعنى أبائهم السابقين (قل يا قوم أعمالوا على مكاتكم) أى على خالاتكم التى أتم عليها (أتى عامل) أى على مكاتى وهذا أمر تهديد يقول أعمالوا ما أتم عاملون أى عامل ما تأعمال (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى أينما تكون له الجنة (أن لا يفلح الظالمون) أى لا يسعد من كفر بالله وأشرك به (وجعلوا له ما عذر من الحرث والأنعام نصيبا) الآية كان المشركون يعملون لله من حرثهم وأنعامهم وعلمهم نصيبا وللاوثان نصيبا لما كان للمسلم أنفق عليهم وما كان لله أنفق عليهم والشركان

الفسق سقط عما جعلوه لله نصيبا الاوثان تركوه وقالوا ان الله خفى عن هذا وان سقط عما جعلوه للاوثان نصيبا الله انتقمه وردوه الى نصيب المسلمين وقالوا انه فقير فذلك قوله (ها كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان له نصيب) ثم ذم فعلهم فقال

وسائر أموالهم نصيبا يصرفونه الى الشيطان والساكنين ونصيبا من ذلك لأهلتهم ويصرفونه على سدتها
ويذبحون ذبائح عندها فقالوا هذا لله بكلتهم في جهة أنه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لا في وجه
التقرب اليه وهذا لأهلتهن ان رأوا ما عينوه لله أن يذبحوا بمالهتهم فأعطوا نصيب الله لسدنة
الأصنام وان رأوا مالاً لأهلتهم أن يذبحوا لمالهتهم فلم يصرفوه لساكن بل يصرفونه لسدنة وكان اذا أصابهم
فحط استعانوا بما جعلوا لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوا لأهلتهم ولما كانوا متفاداهم ما جعلوا لها
أخذوا به مما جعلوا لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوا لها وان سقط مما جعلوا لله في نصيب الأوثان
تركوه وقالوا ان الله تعالى عن هذا وان سقط مما جعلوا لله لا أوثان في نصيب الله أخذوه ووردوه الى نصيب
الصنم وقالوا ان الله تعالى عن هذا وان سقط مما جعلوا لله لا أوثان في نصيب الله أخذوه ووردوه الى نصيب
على جانب الله ومن أنهم جعلوا شيئا لغير الله تعالى مع أن الله تعالى الخالق للجميع ومن أنهم أخذوا
الحكم من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحة عقل ولا شرع (وكذلك) أي مثل ذلك الذين وهو زرين
الشرك في قسمة الأموال بين الله والآلهة (زين لكثيرين للشركين قتل أولادهم) بوأدائهم ونحر
ذكورهم (شركاؤهم) أي أولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامين بين مبيعا للفاعل وقتل
نصابع للفعولية وأولادهم خفصا لاضافة وشركاؤهم رضا على الفاعل أي وهكذا زين لهم شياطينهم
قتل أولادهم فأمرؤا بان يتوابعوا بناتهم خشية الفقر والسبي وبأن ينحروا ذكورهم لأهلتهم فكان
الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف بالله أن يذبحه كذا من الذكور لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب
لينحرن عبد الله وقرأ ابن عباس وحسن بن مبيعا للفعول وقتل رفعا للفعولية وأولادهم نصبا على
الفعولية وشركاؤهم خفصا على اضافة المصدر الى فاعله أي زين لكثير من الشركين قتل شركائهم
أولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عباس على أبي الرداء وواثة بن الأسقع وفضالة
ابن عبيد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزومي وقرأ أيضا على عثمان وولده في حياته رسول الله صلى
الله عليه وسلم (ليردوهم) أي يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم) أي وليخطلوهم عليهم
ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أي ليخلوا عليهم الشرك في دينهم لأنهم كانوا على دين
اسمعيل فهذا الذي أناهم بهذه الأوضاع الفاسدة أراد أن يزيل عنهم ذلك الدين الحق واللام لتعليل
ان كان الذين من الشياطين ولعاقبة ان كان من السدنة (ولوا شاء الله ماضوا) أي ماضل كثير من
الشركين قتل الأولاد بدفن البنات في حياتها ونحر الأولاد الذكور لأنهم (فقرهم وما يفترون)
أي فارقهم وكذبهم في قولهم ان الله يأمرهم بقتل أولادهم فان في مآشاء الله تعالى حكما بالغة وذلك دليل
على أن كل ما فعله للشركين فهو مبني على الله تعالى (وقالوا) أي للشركون الذين قسموا نصيب أهلتهم
أقسام ثلاثة (هذه) أي التي جعلناها للآلهة (أنام ونحرت) أي ذروع (حجر) أي عمرة (لا يلبسها
الامن نشاء) أي لا يلبس هذا الأنام والحارث لاخمة الأوثان والرجال دون النساء (يزمهم) أي
قالوا ما ذكر ملتصين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنام حرمت ظهورها) وهي البحائر
والسوابغ والحواشي والوصائل (و) هذه (أنام لا يذبحون اسم الله عليها) اذراكبت واذا حملت
واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (افتراء عليه) وهذا المعلوم له وعلمه قالوا
أوحال من ضميره أو معصية مؤكله لان قولهم ذلك هو الافتراء (سيحرمهم بما كانوا يفترون)
أي ان الله سيحرمهم بسبب تقولهم عليه (وقالوا ما يلبس هذه الأنام خالصة لذكورنا وعمر
هل أزواجنا وان يصحكن ميتة فهم فيه شركاء) أي ما ولد من البحائر والسوابغ خياصلا

(وكذلك) أي ومثل ذلك الفعل القبيح (زين لكثيرين للشركين قتل أولادهم شركاؤهم) يعني الشياطين أمرهم بأن يتوابعوا أولادهم خشية العيلة (ليردوهم) أي يهلكوهم في النار (وليلبسوا عليهم دينهم) أي ليخطلوهم ويدخلوا عليهم الشرك في دينهم ثم أخبر أن جميع ما فعلوه كان مبني على قتال (ولوا شاء الله ماضوا ففقرهم وما يفترون) من أن الله شركا (وقالوا هذه أنام وحرث حجر) حرموها أنفلا وحرثا وجعلوا لأصنامهم فقالوا (لا يلبسها الامن نشاء يزعمهم) أعلم الله أن هذا التحريم كذب من جهتهم (وأنام حرمت ظهورها) كالسابقة والبعيرة والحاشي (وأنام لا يذبحون اسم الله عليها) يقتلونهم لأهلتهم خفا أو وقتا (افتراء عليه) أي يفعلون ذلك لا اقتداء على الله وهو أنهم زعموا أن الله أمرهم بذلك (وقالوا ما يلبس هذه الأنام) يعني أجنحة ما حرموا من البحائر والسوابغ (خالصة لذكورنا) أي محصورة للرجال خاصة دون النساء هذا ان خرجت الأجنة أحياء وان كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء

لأنه كور خاصة وعمر على جنس أزواجنا وهي الإناث ومالوك منها ميتا أكله الرجال والنساء جميعا (سبعين وهم وصفهم) أي سيوصل الله لهم جزاء ذنوبهم وهو وصفهم بالتحليل والتحرير فالواصف بذلك عمرو بن لحي وقرآه النبي صلى الله عليه وسلم في جهنم يمر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الأنعام (انه حكيم) في التحليل والتحرير (عليه) في وصفهم بذلك (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) بالواظنين والتحرير لأن كور (سفها بغير علم) وهم بيعة ومضر وأمثالهم من العرب وبو كنانة لا يفعلون ذلك وسبب هذا الحشران لأن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فإذا سعى في باطله استحق النعم العظيم في الدنيا لأن الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعاما والعقاب العظيم في الآخرة وسببه خفة العقل لأن قتل الولد إنما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة أغانت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الهمزة (وحرموا ما رزقهم الله أفترافه على الله قضاوا وما كانوا مهتدين) فإن تحريم الحلال من أعظم أنواع الحماقة لأنه يمنع نفسه تلك المنافع ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب وأأن الجراءة على الله أعظم الذنوب وهم قضاوا عن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصل لهم الانتهاء قط (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أي وهو الذي خلق بساتين مرفوعة على ما جعلها من العروش والساق وملقيات على وجه الأرض ويقال معروشات أي وهو ما فرسه الناس في البساتين وغير معروشات وهو ما أنبت الله في الجبال والبراري (و) أنشأ (التخل والزروع) أي جميع الحبوب التي رقت بها (تختلفا أكله) أي تختلف للأكل من كل منهما في الحقيقة والعلم (والزيتون والرمان) أي أنشأ شجرهما (مقشاهما وغير مقشاه) في اللون والطعم (كلوا من ثمرة) أي ثمرة واحدة من ذلك (إذا أثمر) ولوقيل النضج وقرأ حمزة والكسائي برفع الثاء والهم من ثمرة (وأتوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الحاء أي أعزموا على إتيانه أكله لسلك من الزروع وأشجار يوم الحصاد ولأخبروه عن أول وقت يمكن فيه الإتيان وأما بجباية أكله أكله ببدل الصنيفة والجفاف والأمري بآتيها يوم الحصاد ثلاثون خمر عن وقت إمكان الأداء ويلم أن وجوبها بالآثار ولو في البيض لا بالصنيفة والتمني أوافق كل ماوجب يوم الحصاد ببدل الصنيفة وقاعدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وإدراكه وأما يجب يوم حصاده وحصوله في بدلكه لا في تأتلف من الزرع قبل حصوله في بدلكه وهذا يقتضي وجوب الزكاة في التمر كإقاله أو حنيفة ويقتضي ثبوت حق في القليل والكثير فالعشر واجب في القليل والكثير كإقاله أو حنيفة (ولانسرفوا) أي لتجاوزوا الحد في الإعطاء والتبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة ونسوا كل ما رزقوا أن ثابت بن قيس بن شماس عمداي خمسة نخلة فجعلهم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها إلى منزله شيئا فأقرن الله هذه الآية لانسرفوا وقد جاء في الخبر إبدأ بنفسك ثم إن تقول (انه لا يجب للسرفين) فكل مكلف لا يجب له تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الأنعام حمولة) أي ما يصعد الأثقال (وفرشا) أي ما يفرش الله وما ينسج من وبره وصفوه وشعره وفرش (كلوا ما رزقكم الله) أي كلوا بعض ما رزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحارث والأنعام (ولاتبعدوا عن الشيطان) أي ولا تسلكوا الطريق الذي يسوقه لكم الشيطان بتحريم الحارث والأنعام (اله) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي ظاهر الصداوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لأحتسبن ذريته من الأقبلياء

بمن التحليل والتحرير التي كلف كذب (انه حكيم) أي هو أحكم وأعلم من أن يفعل ما يقولون (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) أي بالواد (سفها) يعني للسفها (وحرموا ما رزقهم الله) أي من الأنعام يعني البهيمة وما ذكربها (وهو الذي أنشأ) أي أيسع وخلق (جنات معروشات) يعني الكرم (وغير معروشات) أي مقام على ساق ولم يمش له كالنخل والشجر (والنخل والزروع) مختلفا أكله) أي أكل كل واحد منهما فكل نوع من الثمر له طعم غير طعم الآخر (كلوا من ثمرة إذا أثمر) أمراباحة (وأتوا حقه يوم حصاده) يعني المشر ونسب المشر (ولانسرفوا) أي فتنوا كل ما لا يبقى لصلبكم شيء (انه لا يجب للسرفين) أي المجاوزين أمر الله (ومن الأنعام) أي وأنشأ من الأنعام (حمولة) وهي كل ما يصعد عليها مما أطلق الصمل والجلل (وفرشا) وهي المشاير التي لا تصعد كالبقرة

والثمن والأبل الغنار (كلوا ما رزقكم الله) أي أصل لكم ذنبه (ولاتبعدوا عن الشيطان)

(ثمانيه)

في تحرير شيء مما أجليه الله (لأنكم عدو مبين) بين العداوة أخرج آياكم من الجنة وقال لأحتسبن ذريته ثم فسر حمولة والفرش فقال

(ثمانية أزواج) المذكور زوج والأثني زوج وهي الضأن والعزوق قد ذكر في هذه الآية والابل والبقر ذكر فيها بعدها وجعلها ثمانية لانه أراد الذكر والأثني من كل صنف وهو قوله (من الضأن اثنين ومن العز

(٣٦٥)

(ثمانية أزواج) أى أصناف أربعة ذكر من كل من الابل والبقر والتم وأربعة أناث كذلك وهذا بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين) بدل من ثمانية أزواج أى أنشأ من الضأن زوجين الكبش والتمجة (ومن العز اثنين) أى وأنشأ من العز زوجين الكبش والتم (قل) لهم اظهار الانهطاع عنهم عن الجواب (آل ذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتم (حرم) أى الله تعالى كآزعمون أنه هو المحرم (أم الاثنيين) وهما التمجة والعز (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) أى أمها حملت به اناث النوعين حرم الله تعالى ذكرها كان أو أنثى (نبئوني بعلم) أى أخبروني بعلم نأتى عن طريق الاخبار من الله بأنه حرم ما ذكر (إن كنتم صادقين) فدعواكم أن الله حرم بغيره أو وسائيه أو وصيلة أو حاملا (ومن الابل اثنين) أى وأنشأ من الابل اثنين الجمل والثاقفة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل) آل ذكرين حرم أم الاثنيين أمها اشتملت عليه أرحام الاثنيين (من ذينك النوعين) (أم كنتم شهداء) إذ وصاكم الله بهذا أى بل أن كنتم حاضرين حين أمركم الله بهذا التحريم والرايد هل شاهدتم الله حرم هذا إن كنتم لا تؤمنون برسول فانكم لا تقرون بنبوة أحسن الأنبياء فكيف تشبهون هذه الأحكام وتنبسونها إلى الله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى لا أحد أظلم ممن تصدى على الله كذبا بنسبة التحريم إليه. قال المحققون إذا ثبت أن من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فمن افترى على الله الكذب في مسائل التوحيد ومعرفة النيات والصفات والتبوات وللانكسرة ومباحات المعاد كان وعيده أشد وأشق (ليضل الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أى ملتبس بغير علم بما يؤدى بهم إليه أو حال من فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى أى فمن افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالم لما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يهدي أولئك الشركين أى لا ينقلهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان (قل لا أجفأ أوصى إلى محرما على طاعم مطعمه) أى قل يا أشرف المخلوق هؤلاء الجهة الذين يحكمون بالحلل والحرام من عند أنفسهم لأجد في القرآن طعاما محرما من الطعام الذى حرمتوه على أكل بأكلهم من ذكر أو أنثى (الآن يكون ميتة) قرأ ابن كثير وحزمة تكون بالتأنيث ميتة بالنسبة على تقدير الآن تكون المهرم ميتة وقرأ ابن عامر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الآن توجد ميتة أو الآن تكون هناك ميتة وقرأ الباقون يكون بالتذكير ميتة بالنسبة أى الآن يكون ذلك المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعد هنا مقطوعا عن أن يكون الواقعة مستتاة أى لا حدث ميتة (وأما مسفوحا) أى جاريا بأكلها الذى فى الفروق لا كالأطعم والكدب (أولم خزي فانه) أى الخزي (رجس) أى نجس فكل نجس محرم أكله (أوفسقا) أى ذبيحة خسر عن الحلال (أهل نهر الله به) أى ذبح على اسم الأضنام (فمن اضطر) أى فمن أسابه الضرورة الماعية إلى كل الميتة (ذابغ) أى ذبح على منظر ميتة (ولاعاد) أى متجاوز تقدير الضرورة وهو الذى يبد الرمي (فإن بك مغفور رحيم) أى فلا يؤاخذ به بكنه الأكل من ذلك لأنه مباح فى المفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى وخمرنا على اليهود كل ذى ظفر وبرن (ومن البقر والتم حرمنا عليهم شحومهما) وهو

التم وللز ذوات الشعر (قل) يا بعد للشركين الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من التم (آل ذكرين) من الضأن والعز (حرم) الله عليكم (أم الاثنيين) فإن كان حرم من التم ذكرها فكل ذكرها حرام وإن كان حرم الاثنيين فكل الاثنا حرام (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين (وإن كان حرم الاثنيين من الضأن والعز فقد حرم الأولاد كلها وأولاد فكلها حرام) (نبئوني بعلم) أى فسروا ما حرمتم بطلان كان لكم علم فى تحريمه وهو قوله (إن كنتم صادقين) وقوله (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أى هل شاهدتم الله قد حرم هذا إن كنتم لا تؤمنون برسوله فلما أزمتم الحجة بين الله انهم ضلوا ذلك كذبا على الله فقال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس) بغير علم أن الله لا يهدي القوم الظالمين. بنى عمرو بن لحي وهو

(٣٦٥ - تفسير مراح لبيد) - (أول)

المهرات بأمرة الله فقال (قل لا أجفأ أوصى إلى محرما على طاعم مطعمه الآن يكون ميتة (أوما مسفوحا) أى سائلا (أوفسقا) أهل نهر الله به) بنى ماذبح على النصب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) بنى الابل والتماعة (ومن البقر والتم حرمنا عليهم شحومهما

الاماحلت ظهورها أو الحوايا) وهي اللباعر (أو ما اختلط بظلم) فأنى لأحرمة يبنى مطلق من الشحم بهذه الأشياء (ذلك) التحريم جزئيا منهم بيقينهم أى عاقبتهم بذنوبهم (وأن الصادقون) في الاخبار عن التحريم وعن بنينهم فلماذا كرمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود قالوا له ما أصبت فكذبوا فقال الله تعالى (فإن كذبوك فقل رب زدني رحمة واسعة) كذلك لا يسجل عليكم العقوبة (ولا يرد بأسه) (٢٦٦) أى عذابه إذا جاء الوقت (عن القوم الجرمين) يعنى الذين كذبوا

شحم الكرش والكلى (الاماحلت ظهورها) أى الالاشحم الذى حملته ظهورها (أو الحوايا) أى أو الالاشحم الذى حملته للباعر (أو ما اختلط بظلم) أى أو الاشحم اعطى بظلم مثل شحم الألية فإنه متصل بالصحص فتلخص أن الذى حرم عليهم من الشحم هو شحم الكرش والكلى وأن ما عدا ذلك حلال لهم (ذلك جزئيا منهم بيقينهم) أى ذلك التحريم عاقبتهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل (وأن الصادقون) في الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بنينهم وهم كاذبون في قولهم حرم ذلك إسرائيل على نفسه بلا ذنب منافق من مقتدبه (فإن كذبوك) أى فإن كذبك اليهود في الحكم للذكور أو كذبك الشركون في ادعاء النبوة والرسل في تبليغ هذه الأحكام (فقل) لهم (ربكم ذور رحمة واسعة) فلذلك لا يجعل عليكم بالقو يعنى تكذيبكم فلا تتقروا بذلك فإنه امحال لا امحال (ولا يرد بأسه) أى عقابه إذا جاء وقته (عن القوم الجرمين) الذين كذبوك فيما تقول وقيل للمنى ذورحة واسعة للطغيين وذو بأس شديد للجرمين (سيقول الذين أشركوا) عناد لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله) عدم إشرأ كنا وعدم تحررنا (ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمانا من شئ) فطعننا حتى مرضى عند الله تعالى ولولا أنه تعالى رضى ما نحن فيه لحال بيننا وبينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذب هؤلاء في أن الله منع من الشرك ولم يحرّم ما حرموه كذب كفار الأمم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبياً قال الكل بمشئته الله تعالى فهذا الذى أنافى من الكفر بما حصل بمشئته الله تعالى فلم يعنى متبوعى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم في قولهم أن ما فعلوه حتى مرضى عند الله تعالى كذب من قبلهم في ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عنا بنا الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم الرسل وبكذبهم في قولهم أن الله أمرنا بالشرك (قل) هؤلاء للشركين (هل عندكم من علم) أى بيان على ما يقولون من تحريم ما حرمتم ومن أن الله راض بشرككم (فتخبروه) أى فتظهروه (لنا) كايينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (إن تتبعون إلا الظن) أى ما يتبعون فيها أتم عليه إلا الظن الباطل الذى لا يبنى من الحق شيئا (وإن أتم الاغرسون) أى وما أتم في ذلك الا تكذبون على الله تعالى (قل فله الحجة البالغة) أى قل لهم إن لم تكن لكم حجة فقد الحجة الواضحة التى تقطع عن الحجة وتخبر بالثبوت عن نظر فيها وهي أنزال الكتب وأرسال الرسل (فلو شاء) هدايتكم جميعا إلى الحجة البالغة (لهداكم أجمعين) ولكن لم يهداكم هداية الكل بل هداية البعض (قل) يا أكرم الرسل لهم (هل شهداكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى أحضروا قلوبكم الذين ينصرون قولكم إن الله حرم الذى حرمتموه (فإن شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل يبين لهم فساده لأن السكوت قد يشترى الرضا (ولا تتبع أهوال الذين كذبوا) أياتوا الذين لا يؤمنون بالآخرتهم وهم بهم يسئلون) أى إن وقع منهم شهادة فإما هي باتباع الهوى فلا تتبع أئمتنا أو ما فهم كذبوا القرآن

بما تقول (سيقول الذين أشركوا) أى إذا أنزمتهم المحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمانا من شئ) كذلك كذب (أى جعلوا قلوبهم لو شاء الله ما أشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا إن الله رضى منا ما نحن عليه وأراد منا وإمرنا به ولولم ير ضلحال بيننا وبينه ولا حجة لم يفي هذا أنهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشئته وأمر الله بمزول عن إرادته لأنه يريد جميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد فعل العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه وليس أن يتعلق بالمشئته بعد ورود الأمر فقال الله (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كما كذب هؤلاء كذب كفار الأمم الحالية أنبياءهم ولم يتعرض لقولهم لو شاء الله بشئ (قل) لهم (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) أى من كتابنا في تحريم ما حرمتم (إن

تتبعون إلا الظن) أى ما يتبعون فيها أتم عليه إلا الظن لا العلم واليقين (وإن أتم الاغرسون) أى فما أتم الا كاذبون (قل فله الحجة البالغة) بالكتاب والرسول والبيان (فلو شاء لهداكم أجمعين) اخبار عن تلقى مشئته الله بكفرهم وإن ذلك حصل بمشئته اذ لو شاء لهداهم (قل هل شهداكم) أى هاتوا شهداءكم وقربوه بواقى الآية ظاهر

(قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم) أى أقرأ عليكم الذى حرمه الله ثم ذكر فقال (الأتشركوا به شيئا وبالوالدين أحسانا) أى وأوصيكم بالوالدين أحسانا (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أى من مخافة الفقر (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) أى سر الزنا ونوعا عينته (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بدالتصاص (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالى هى أحسن) وهو أن يصلح ماله و يقوم فيه بما يشمره ثم بأكل بالسرور ان احتاج اليه (حتى يبلغ أشده) أى احفظوه عليه حتى يحتمل (وأوفوا الكيل) أى آمنوه من غير نقص (وللوزن) أى وزن للوزن (بالقسط) أى بالعدل لا بغش ولا شطط (لا تكف نفسا الا وسعها) أى الا ما يسعها ولا تضيق عليها وهو أن تكف البطى الزيادة تضائق نفسه عنه وكذلك لو كف الأخذ أن يأخذ بالتقصان (واذا قلمت غاعلوا) أى اذا شهدتم أو تمسكتم فقولوا الحق (ولو كان للشهود له أو عليه (ذاقروا) أى بمهذاته أوفوا ذلكم وما كرمه لكم ثم ذكر (ولو كان منكم

ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويحلون قه تعالى عدلا (قل) يا أكرم الرسل من سألك أى شئ حرم الله وهم مالك بن عوف وأصحابه (تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على (أن) مفسرة لفعل الثلاثة (لا تشركوا به) أى بربكم (شيئا) من الاشرار (وبالوالدين) أى وأحسنوا بهما (أحسانا) وبإهل الله ولا تسبوا الوالدين لأن مجرد عدم تلك الاسماء لهما غير كاف فى قضاء حقوقهما (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أى من خوف الفقر وكانوا يذبحون البنات أحياء فيعضن للفترة وبعضهم خوف الفقر وهذا هو السبب فى التلبى تعالى فساد هذه العلة بقوله (نحن نرزقكم وإياهم) أى أولادكمم (ولا تقربوا الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى ما يفصل منها علانية فى الحوائث كاهودأبائهم وما يفصل سرا باخذ الاخلاق كاهو عداة اشرافهم ومع الفواحش التى هى عن آوارعها وإتلاف كراما بدل عنها بدل اشغال وتوسط انتهى عن الزنا بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن القتل مطلقا لان نفى حكم قتل الأولاد فان أولاد الزنا نفى حكم الأموات وقفال صلى الله عليه وسلم فى حق الغزل ذاك وأدخنى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها معصومة بالاسلام أو بالهدى (الابالحق) أى الاقتلا ملتبسا بالحق وهو أن يكون القتل للتقصان أو لردة أو لثنا بشرطه (ذلكم) أى التكليف المحض (وصا كرمه) أى أمر كرمه بربكم أمرا مؤكدا (لعلكم تتقون) أى لئلا تقصوا فوائدهم التكليف فى الدين والدنيا (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالى هى أحسن) أى الاباحصة التى هى أحسن لليتيم كحفظه وتحصيل الرخى به (حتى يبلغ أشده) أى قوته مع الرشد وميلؤه من البلوغ وانتهاؤه الى الثلاثة والثلاثين (وأوفوا الكيل والوزن بالقسط) أى أعوا الكيل بالمكيال والوزن بالميزان بالعدل من غير نقصان من اللطى ومن غير طلب الزيادة من صاحب الحق (لا تكف نفسا) عند الكيل والوزن (الا وسعها) أى الاطاعتها فى الايفاء والعدل فان الواجب فى ايفاء الكيل والوزن هو القدر الممكن فى ايفائها أمال التحقيق فنيروا جب (ولذا قلمت فاعملوا ولو كان ذا قنرى) أى ولو كان القول على ذى قرابة منكم فاذا دعا شخص الى الدين وأقام الدليل عليه ذكر الدليل ملتبسا عن الزيادة بالفاظ معادقوا ذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلا ينقص عن القدر الواجب ولا يزيد فى الايذاء والايحاشى وإذا حكى الحكايات فلا يزيد فيها ولا ينقص عنها وإذا بلغ الرسالات عن الناس فيجب أن يؤدبها من غير زيادة ولا نقصان وإذا حكم فيجب أن يحكم بالعدل وأن يسوى فى القول بين القرب والبعيد وذلك لطلب رضا الله تعالى (وبعد الله أقفوا) أى أتموا ما هدته الله عليه من الايمان والنور وغيرها (ذلكم) أى التكليف الأربعة (وصا كرمه) أى أمر كرمه أمرا مؤكدا (لعلكم تذكرون) ولما كانت التكليف الخمسة فى الآية الأولى أمورا ظاهرة عجائب تفهمها ختمت بقوله تعالى لعلكم تتقون ولما كانت هذه التكليف الأربعة غامضة لا يدفها من الاجتهاد فى الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون وحاصل ما ذكر فى هاتين الآيتين من المهرات تسعة أشياء خمسة يضيغ النهى وأربعة يضيغ الأمر وتؤول الأوامر بالنهى لأجل التناسب وهذه الاحكام لا تختلف باختلاف الأمم والأصهار (وأن هذا) أى الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام (صراطى) أى دنى (مستقيما) أى لا اعوجاج فيه قرأ ابن عمر وأن هذا يفتح المعزة وسكون التون فأصلها وأصلها فى المصير الشأن والحديث وهو اسم ان والجلالة الى بنه بنه وقرأ حمزة والكسائي وان بكسر المعزة وتشد يد التون فالتقدير أنل ما حرم وأل

أى ولان هذا (صراطى مستقيما) أى بدنى دين الخليفة أقوم الأدب

الكبرى وهي الدجال والذابة وخسف بالشرق وخسف بالغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان
وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وأجوج وزول عيسى وثار نوح من عدن نسوق الناس إلى
الحشر (يوم يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لا ينفع نفسا) كافرة (إيمانها لم
تكن آمنت من قبل) أي قبل آيات بعض الآيات (أو) تضامونة طعية أو بها لم تكن (كسبت
في إيمانها خبرا) فحكم الإيمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من الغرب حكم من آمن أو عمل
عند الفرقة وذلك لا يفيد شيئا أمانا كان يومئذ مؤمنا مذنباً قلباً ومغنياً أو مولوداً بهذا فإنه
ينفع توهمها وإيمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال: لا تزال الشمس تجري من
مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فستأذن الشمس من أين تطلع
وستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لها في حساب مقدار ثلاث ليال للشمس ولتلتين للقمر فلا يعرف
مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحمل القرآن فينادي بعضهم بضائعهم ممنوعون في
مساجدهم بالضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فينادي الناس كذلك أذادي مناد الآن
باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قفلتا من مغربهما وتباع أهل الدنيا وقفلت الأمهات عن
أولادها وتضع كل ذات حمل حملها وأما الصالحون والأبرار فأنهم ينفعهم بكل ما هم يومئذ يكتب لهم عبادة
وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكل ما هم يومئذ يكتب عليهم حسرة. قال عمر بن الخطاب
لنبي ﷺ: وما باب التوبة يارسول الله فقال يا عمر خلق الله بابا للتوبة جهة للغرب فهو من أبواب
الجنة لمصرعاً من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما ينزل للصراع إلى الصراع مسيرة أربعين عاماً
لراكب للسرع فذلك الباب مفتوح من خلفه الله تعالى إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس
والقمر من مغربهما ولم يبق عبادة توبة توجبها من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا وجبت تلك
التوبة في ذلك الباب. قال أبي بكر يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بهذا وكيف بالناس
والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسيان بهذا الضوء النار ثم يطلمان على الناس ويغربان كما
كانا قبل ذلك وأما الناس بهذا فليحسون على الدنيا ويعصرونها ويجربون فيها الأهوال ويغرسون
فيها الأشجار وينون فيها البنيان ثم تمسك الدنيا بطلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة
السنة منها بقدر شهر والشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بهذا ذلك
أربعين سنة لا تتسبون شيئاً إلا أعطوه حتى تملأ جوف سنة بعد الأوبة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى
مؤمن ويبقى الكفار يتهاون جوف في الطرق كالبهائم حتى ينكس الرجل للراءة في وسط الطريق فيقوم
واحد عنوا ينزل واحد أو أفضلهم من يقول أو تعجبت من الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه
قال قال رسول الله ﷺ: صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصر في هذه الأمة قرد وخنازير وتطوى
الدواب وتغيب الأفلاك لا راد في حسنة ولا ينقص من حسنة ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت في إيمانها خيراً (قل انتظروا) ما تنتظرون ومن آيات أحداً الأور الثلاثة (انما تنتظرون) لذلك
لنشاهد ما عمل بهم من سوء العاقبة والراد هذا ان المشتري انما يملكون قدر مدة الدنيا فإذا ما رأوا ظهرت
الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة إلا لزماً (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أي أعزأ باقي
الضلالة (لست منهم في شيء) أي لست من البحث في نفرهم فأنتمهم يرى موهم منك برأول لست من
قتالهم في هذا الوقت في شيء (انما أمرهم إلى الله) أي يدره كيف يشاء يؤخذهم في الدنيا يمتي شامو بأمرهم
بقتلهم إذا أراد (هم ينبتهم بما كانوا يعملون) أي ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤس الاشهاد يعلمهم

(لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيراً) أي قلمت
طاعة وهي مؤمنة (قل
انتظروا) أحد هذه
الاشياء (انما تنتظرون)
بكم أحدها (ان الذين
فرقوا دينهم) يعني اليهود
والنصارى أخذوا ببعض
ما أمروا به وتركوا بعضه
كقوله اخبار عنهم يؤمن
ببعض الكتاب ونكفر
ببعض (وكانوا شيعا) أي
أحزاباً مختلفة بعضهم يكفر
بعضاً (لست منهم في شيء)
يقول لم يؤمر بقتالهم فلما
أمر بقتالهم نسخ هذا

أى شئ شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء والمراد به هؤلاء للفرقة الجوارح
كما أخرجه ابن ابي حاتم من حديث أنى إمامة أوهم أصحاب البدع والأهواء كما أخرجه الطبرانى من حديث
عائشة. وقال قتادة هم اليهود والنصارى كما أخرجه عبد الله زاذى وكما أخرجه ابن ابي حاتم عن السدى وقال
الذى عليه السلام : افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم فى المساواة الواحدة وافترقت النصارى
اثنين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الواحدة واستثناء الواحدة من فرق أهل الكنايين انما هو باعتبار
ما قبل النسخ وأما بعد ما لكل فى الهاوية واختلفت أساليب دخولهم وسفرهم فأتى على ثلاث وسبعين
فرقة كلهم فى الهاوية الواحدة رواه أبو داود والترمذى والحاكم. وفرق حمزة والكسائى فارقوا بالآلاف
أى يأتوا بأن تركوا بعض دين آبائهم والباقيون فرقوا بالتشديد أى اختلفوا فى دينهم كما اختلف المشركون
بعضهم يعبدون للآلاتكة ويزعمون أنهم بنت الله وبعضهم يعبدون الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وبعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من
الؤمنين (فله عشر أمثالها) أى له جزء عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد من الأضعاف فالمراد بالمشرة
الأضعاف مطلقا لا التحديد وقد جاء الوعد بسبعين وبسبع مائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر
المشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص (ومن جاء بالسئنة) أى بالأعمال السيئة (فلا يجزى الا
مثلا) أى الاجزاء السئنة الواحدة ان جوزى (وهم لا يظلمون) أى لا يتقصون من ثواب طاعتهم
ولا يزادون فى عقاب سيئاتهم (قل) يا أشرف المخلوق للشرىكين الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم من
أهل مكة واليهود والنصارى (أتى هذا فى فى الصراط مستقيم) أى أرشدنى ربى بالحق وبما
نصبت الآيات التكوينية فى الأنفس وفى السموات والأرض على طريق حق (دينا قىما) أى
لا عوج فيه وقرا نافع وابن كثير وأبو عمر وفتح القاف وكسر اليا مشددة والباقيون بكسر
القاف وفتح اليا مخففة وهو مصدر كالمصر والكبر والحلول والشعب أى دينا ذاقهم أى صدق (ملة
ابراهيم حنيفا) أى ما تلاحق من الصلاة الى الاستقامة (وما كان من للشرىكين) وقوله تعالى دينا بدل من
عمل صراط لأن عمله النصب على أنه مفعول ثان ومفعول لفعل مقدر والتقدير الزموا دينا وقوله تعالى
ملة ابراهيم عطف بيان لدينا وحنيفا حال من ابراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل
ان صلاتى أى الصلوات الخمس (ونسكى) أى ذبيحتى وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله تعالى فصل
لربك وانحر وألقى وكل ماتقربته الى الله تعالى فان معنى الناسك من صفا نفسه من دنس الآثام
(وعجى وعماى) أى وما تأعله فى حياته وما يكون عليه عند موته من الإيمان والطاعة (فه
رب العالمين) أى ان صلاتى وسائر عباداتى وحياتى وعماى كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه
وحكمه (لا شريك له) فى المخلوق والتقدير (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمريت وأنا أول المسلمين)
أى للمسلمين قضاء الله وقدره فانه عليه السلام أول من أجاب بلى يوم العهد لسؤال الله تعالى الست
ربكم أواللضى وأنا أول المتقدين لله من أهل ملتى وهذا بيان لسارحته عليه السلام الى الامتنال بأمر الله
(قل) يا أشرف الرسل فكفرا الذين قالوا لك ارجع الى ديننا (أغير الله أبخرى يا) أى أعبدا ربنا
غير الله (وهو رب كل شئ) أى والحال ان اقرب كل شئ مع أن الذين اتخذوا ربغير الله أقروا بأن الله
خالق الأشياء كما قال تعالى قل أغير الله تأمرونى أعبد بها الجاهلون. وأصناف للشرىكين أن بسة عبدة
الأصنام فهم معتقون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض والأصنام بأسرها وعبدة الكواكب فهم
معتقون بأن الله خالقها والقاتلون يزدان وأهم من فهم معتقون بأن الشيطان محدث وأن محدثه هو

(من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها) أى من عمل من
الؤمنين حسنة فله عشر
أمثالها أى كتبت له عشر
حسنات (ومن جاء بالسئنة)
أى الخبيثة (فلا يجزى
الا مثلا) أى جزء مثلا
لا يكون أكثر منها (وهم
لا يظلمون) أى لا ينقص
ثواب أعمالهم (قل انى
عبدانى ربى الى صراط
مستقيم دينا) أى عرفى
دينا (قىما) مستقيما (قل ان
صلاتى ونسكى) أى عبادتى
من حجبى وقربانى (وعجى
وعماى) أى هو الذى
يحيينى ويميتنى وأنا أوجه
صلاتى وسائر الناسك الى
الله لآلى غيبه وقوله
(وبذلك أمريت) أى بذلك
أوحى الى (وأنا أول المسلمين)
أى من هذه الأمة (قل أغير
الله أبخرى يا) أى سيدي
والها (وهو رب كل شئ)
أى مالكه وسيد

كان يقول اتبعوا سبيل
 اعمل اوزاركم فانزل الله
 ولا تزر وازرة وزر اخرى
 اى لا يحمل أحد جناية
 غيره حتى لا يؤخذ بها
 الحاقى (وهو الذى جعلكم)
 يا محمد (خلائف الارض)
 اى خلائف الأمم الماضية
 فى الارض اى بأن اهلكهم
 واورثكم الارض بسببهم
 (ورفع بكم فوق بعض
 درجات) بالقي والزرق
 (ليلوكم فيها آناكم) اى
 ليخبركم فبالزرقكم (ان
 ربكم سريع العقاب)
 لأعدائه (وانه لغفور
 لاوليائه (رحيم) بهم والله
 أعلم

(تفسير سورة الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لص) انا الله أعلم وأفضل

(كتاب) اى هذا

كتاب (انزل اليك) اى

من ربك (فلا يكن فى

صبرك حرج منه) اى فلا

يضيق صبرك بابلغ

ما أرسلت به (لتنبيه)

اى انزل لتنبيه الناس

(ودكرى للمؤمنين) اى

ومواعظ المؤمنين (اتبعوا

ما أنزل اليكم من ربكم)

يعنى القرآن (ولا تتبعوا من

دونه اولياءه) اى لا تتبعوا

اولياءه غير الله (قليل

ما تذكرون) اى قليل

افقوا قالون بأن المسيح ابن الله وللانيسة بناته معه متفرون بأن الله خالق الكل واذا ثبت هذا
 فنقول العقل الخالص يشهد بأنه لا يجوز جعل الربوب شريكاً للرب وجعل الخلق شريكاً للخالق
 (ولا تكسب كل نفس) ذنباً (الا غلبها) اى الاحالة كونه مستغنياً عليها بالضرورة اوحالة كونه
 مكتوباً عليها لاعلى غيرها (ولا تزر وازرة وزر اخرى) اى ولا تحمل نفس آفة ولا غير آفة اتم نفس
 اخرى فلا تحمل نفس طائفة او عاصيات غيرهما ولا عقيدتى الايات بالوازرة موافقة لسبب الزول وهو
 ان الوليدين للعبارة كان يقول المؤمنين اتبعوا سبيل اعمل عنكم اوزاركم (ثم الهدى بكم) اى الى
 ما لك اموركم (مرجعكم) اى رجوعكم يوم القيامة (فبينكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون)
 من الآدين فى الدنيا (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) اى جعلكم خلف بكم بضم فى
 الارض (ورفع بكم) فى الشرف والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة فجعل الله
 منهم الحسن والقيس والفقي والعزير والشرى والوضع والعالم والجاهل والقوى والضعيف واطهر
 هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والخل فانه تعالى مزع من ذلك واعلموا لاجل الامتثال وهو
 المراد من قوله (اليلوكم فيها آناكم) اى ليعاملكم معاملة المختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقير
 ايككم يشكر وايككم يضرب وهو أعلم بأحوال عباده منهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم ان
 التكلف اما ان يكون مقصراً فيما كتبه او موفراً فيه فان كان مقصراً كان نصيبه من التخوف
 قوله تعالى (ان ربكم سريع العقاب) لمن كفر به ولا يشكره ووصف العقاب بالسرعة لان ما هوأت
 قريب وان كان للتكلف موفراً فى الطاعات كان نصيبه من الترفيع قوله تعالى (وانه لغفور
 رحيم) لمن راعى حقوق ما أعطاه الله تعالى كما ينبغي * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال انزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يقبها سبعون ألف ملك لسم زجل بالتسبيح
 والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك يمد كل آية من
 سورة الأنعام يوماً وليلة

(سورة الاعراف مكية وآياتها ثمان وست آيات) وكلها ثلاثون آية وثلاثون

وخمس وعشرون كلمة وحروفها اربع وعشرون ألفاً وستة وأربعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم) قيل هى حروف مقطعة استأثر الله بجمعها وهى سبعة تعالى فى كتابه
 العزيز (كتاب) اى هذا القرآن (انزل اليك) اى ان الملك اتقل به من العلو الى أسفل (فلا يكن فى
 صبرك حرج منه) اى فلا يكن فىك شك من هذا الكتاب فى كونه كتاباً منزالاً اليك من عنده تعالى
 أولمضى لا يكن فىك شق من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر فى القيام بحقه ومخافة أن يكذبوك
 (تلتزم به) اى بهذا الكتاب الذى فى (ودكرى للمؤمنين) فان النفوس البشرية على قسمين نفوس
 جاهلة بخرقة فى طلب اللذات والشهوات ونفوس غير جاهلة بخرقة الانوار الالهية فيسمة الرسل فى حق
 القسم الاول تخوفت وفى حق القسم الثانى تنبيه (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) اى من كتابه وسنة
 رسوله (ولا تتبعوا من دونه) اى من غير بكم (اولياءه) من الشياطين والكهنة فيحصلواكم على
 البدع والاهواء وقيل القسم الثانى موصول مع خلف الصافى فى اولياءه اى ولا تتبعوا من دون ما أنزل
 أولياءه (وقرأ ما لك من دينار ولا تنصوا) قليلاً ما تذكرون (اى تذكروا قليلاً اوزارنا قليلاً تذكرون
 وما بعد الترتيب كذا قرأ ابن عاصم بندي كرون بالياء والياء وقرأ آخره وقال السكاكى وخفف عن عاصم بالياء
 وتخفيف الدال والياقون بالياء وتشديد النون (وكم من قرية اهلكناها) اى كثير من أهل قرى تذكرونا
 يا معشر البشر كن اعطاكم (وكم من قرية اهلكناها) يعنى أهلها

(بئنا) أى بئنا (أوه هم قاتلون) أى تأتون نهارا بئنا جاءهم بأسنا وهم متوقفين له (فما كان دعواهم) أى دعواهم ونصرهم (أجابه بأسنا الآن) أقروا على أنفسهم بالشرك (وقالوا) أنا كنا ظالمين فلنسأل الذين أرسل اليهم) أى نسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل (ولنسأل الرسلين) أى ونسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به (فلنقسن عليهم بئنا) أى لنخبرنهم بما عملوا بئنا (وما كنا فاعلين أى عن الرسل والأمم ماذا بلغت ومارد عليهم قومهم (والوزن يومئذ) بئنا وزن الأعمال يوم السؤال الذى ذكر فى قوله فلنسأل (الحق) العدل وذلك أن أعمال المؤمنين تصور فى صورة حسنة وأعمال الكافر فى صورة قبيحة فتوزن تلك الصور فذلك قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) أى التاجون الفائزون وهم المؤمنون (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى صاروا إلى العسائب (بما كانوا ياتنا بظنون) أى يجهلون بمآله به محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد مكناكم فى الأرض) أى مكناكم كفى ما كنتم تكبرون

أهلا كما (جاءها) أى جاء أهلها (بأسنا) أى عذابنا (بئنا) أى تأتون فى الليل كفى قوم لوط (أوه هم قاتلون) أى تأتون فى نصف النهار أوستريحون فيه من غير نوم كفى قوم شيب والمضى جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمارة تلهمهم على زول ذلك العذاب فكان يعقل للكفار لا تفتروا بأسباب الأمن والراحة والفرار فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعهم غير عسر أمارة فلا تفتروا بأحوالكم (فما كان دعواهم) أى استغاثتهم بهم واعترفهم بالجناية (أجابه بأسنا) أى عذابنا فى الدنيا (الآن قالوا) أنا كنا ظالمين فآفروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حينئذ ينفخون الأجرال بهم من ربهم وذلك حينئذ ينفعهم الاعتراف والتندمة والمختار عند التحريين أن يكون محل أن قالوا رفا بكان ودعواهم نصا بدليل مذ كبر كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا وقوله تعالى فكان عاقبتهم ما هم فيها وفى النار وقوله تعالى وما كان حجتهم إلا أن قالوا (فلنسأل الذين أرسل اليهم) أى فلنسأل فى موقف الحساب الأمم قاطبة فأتين ماذا أجبتم الرسلين (ولنسأل الرسلين) قائلين ماذا أجبتم وذلك للرد على الكفار اذا أنكروا التبليغ بقولهم ما جاءنا من بشر ولا نذير فاذا أثبت الرسل أنهم لم يصدر منهم تقصير بالبرية فيتضاعف كرامة الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير وتتضاعف أسباب الجزى والاهانة فى حق الكفار لما ثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقسن عليهم) أى للرسلين والأمم لما سكتوا عن الجواب (بئنا) أى فلنخبرنهم بما فعلوا اخبارا فاشاعن علمنا (وما كنا فاعلين) عنهم فى حال من الأحوال فيخبر عينا شئ من أحوالهم (والوزن) أى وزن الأعمال (يومئذ) أى كان يوم أذسل الله الأمم والرسل (الحق) أى العدل وألغى الوزن يوم اذ يكون السؤال والنقص هو الحق فالحق ماضى ماضى وأخبره ويومئذ ما ظرف له وأخبره (فمن ثقلت موازينه) بسبب ثقل الحسنات فى الميزان (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالنجاح والتواب (ومن خفت موازينه) بسبب خفة الحسنات فى الميزان أو بسبب الأعمال التى لا اعتداد بها فى الوزن (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بما كانوا ياتنا بظنونهم) أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والقائه فى وضع ذلك الميزان أن يظهر ذلك الرجحان لأهل القيامة فان كان ظهور الرجحان فى طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله كمال درجته لأهل القيامة وان كان بالضعف ازداد حزنا وخوفا فى موقف القيامة ثم اختلفوا فى كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وطاعة فى رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان فى الكفة قال العلماء الناس فى الآخرة ثلاث طبقات متقنون لا كبار لهم وكفار ومغلطون وهم الذين يأتون الكبار فاما للثقون فان حسناتهم توضع فى الكفة الثيرة وصغارهم لا يصلح الله لهاوزن بل تكفر صغارهم باجتناهم الكبار وثقل الكفة الثيرة ويؤثر بهم الى الجنة ويثقل كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكفار فانه يوضع كفره فى الكفة الظلمة ولا توجله حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة فيأمر الله تعالى بهم الى النار ويجب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين دخلوا فحسناتهم توضع فى الكفة الثيرة وسيئاتهم فى الكفة الظلمة فيكون لكبارهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بسوابة دخل الجنة وان كانت السيئات أثقل ولو بسوابة دخل النار الآن يقول الله وان تساوى ما كان من أصحاب الأعراف هذا ان كانت الكبار فيها يتنمون بالله وأما ان كان عليه تبعات وكانت حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من حسناته فيرد على المظالم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظالم فيجعل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يجب على الجميع (ولقد مكناكم فى الأرض) أى جعلناكم كفى ما كنتم تكبرون

شاكرين لما أنعمت عليكم
(ولقد خلقناكم) يعني آدم
(ثم صورناكم) في ظهره
(ثم قلنا للأنكة اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا ابليس
لم يكن من الساجدين قال
مامنعك أن لا تسجد)
لا زائدة معناه مامنعك أن
تسجد هو سؤال توبخ
وتصنيف (قال) أخير منه
خلقته من نار وخلقته من
طين) معناه منعي من
السجود له أي خير منه
اذ كنت ناراً وكان طينياً
فترك الأمر وأمس فمضى
من الجنة وقيل من السماء
(فما يكون لك أن تسكبر
فيها) عن أمري وتصنيي
(فاخرجك منك من الصاغرين)
أي الاذلاء بترك الطاعة
(قال أنظرنى الى يوم
يبعثون) يريد النفخة الثانية
(قال انك من النظرين قال
فيا أغويتى) يريد فيا
أضللتى أي بأغوائك إياي
(الأقصدن لهم صراطك
للسقيم) أي الصراط
للسقيم الذى يسلكونه
الى الجنة بأن أزين لهم
الباطل (ثم لا تبين من بين
أيديهم) يعني آخرتهم التى
يردون عليها فأشككهم
فيها (ومن خلفهم) أي
دينهم التى تخلفونها
فأرغسهم فيها (وعن

على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) أي وجوه النافع وهى على قسمين ما يحصل بخلق الله تعالى ابتداء مثل خلق الخمر وغيرها وما يحصل بالاكتساب وكلاهما بفضل الله وتمكينه فيكون الكل انعاماً من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليل ما تشكرون) تلك النعمة وتم الله على الانسان كثيرة فلا انسان الاوى يشكر الله تعالى في بعض الأوقات على نعمه وانما التفاوت في أن بعضهم يكون كثير الشكر وبعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورنا ما حسن تصويره وحسن هذه الكتابة لأن آدم أصل البشر (ثم قلنا للأنكة اسجدوا لآدم) سجدوا تعظيم (فسجدوا) أي للأنكة بعد الأمر (الإبليس) فانه أبو الجن كان مفرداً مستوراً بألوف من اللانكة متصفاً بصفاتهم فقلبوا عليه في قوله تعالى للأنكة الخ (لم يكن من الساجدين) لآدم (قال) تعالى لابليس (مامنعك أن لا تسجد) أي ماصرفك إلى أن لا تسجد كما قال القاضي ذكره الله تعالى وأراد الداعي فسكته تعالى قال مراكه إلى أن لا تسجد لآدم لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يستعجب منها ويسأل عن الداعي إليها (اذ أمرتك) وللشهور أن كلاً لتأكيد معنى التثنية في منعك والاستغناء لتوبيخ ولاظهار كبر إبليس واذن منسوب بسجد أبي مامنعك من السجود في وقت أمرى إياك به (قال) إبليس (أنا خير منه) أي أعظم أسجد لآدم لأني خير منه (خلقته من نار) فهي أغلب أجزائي (وخلقته من طين) أي وهو أغلب أجزائه قالت أفضل من الطين لأن النار مشرقة علوية لطيفة بإساسة مجاورة لجواهر السموات والطين مظلم سفلى كثيف بعيد عن مجاورة السموات والحقائق من الأفضل أفضل وقد أخطأ إبليس طريق الصواب لأن النار فيها الحفة والارتفاع والاضطراب والما للطين فشانه الرزاة والحلم والتثبت وأيضاً فالطين سبب للحياة من انبات النبات والنار سبب هلاك الأشياء والطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها (قال) تعالى (فاهبط منها) أي من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وأخرج من زمرة اللانكة المززين (فما يكون لك) أي لما ينبغي لك (أن تسكبر فيها) أي في الجنة أوفى زمرة اللانكة (فاخرجك منك من الصاغرين) أي من الاذلاء (قال أنظرنى) أي لا تمننى (الى يوم يبعثون) أي آدم وذريته وهو وقت النفخة الثانية وأراد إبليس أن يأخذ نازلاً منهم باغوائهم وأن ينجو من الموت لاستحالة بعد البعث ولأنه قد تم عند النفخة الأولى (قال) تعالى (انك من النظرين) أي من اللؤلئين الى النفخة الأولى فيموت كثيره (قال) إبليس (فيا أغويتى لأقصدن لهم صراطك المستقيم) أي فبسبب اغوائك إياي لاجلهم أقسم بتركك لأقصدن لآدم وذريته بذلك للوصول الى الجنة وهودين الاسلام (ثم لا تبين من بين أيديهم ومن خلفهم) أي فأشككهم في صحة البعث والقيامة والحساب وألقى اليهم أن الدنيا قديمة لا تقضى (وعن أيمانهم وعن شاكلهم) أي أفترهم عن الحسنات وأقوى دواعيهم في السيئات ونقل عن شقيق أنه قال ما من صاحب الدنيا يأتيني الشيطان من الجهات الأربع فيقول من قد أبى لا تخف فان الله غفور رحيم فأقرأ وأنى لنظر لمن ناب وآمن وعمل صالحاً ومن خلقى يخوفني من وقوع أولادى في الفقر فأقرأ وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها وأتأني بالنساء من قبل يميني فأقرأ والمأقية للقيمين وأتأني بالترغب في الشهوات من قبل شمالي فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون والحاصل أن الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة الا ويلقيها في القلب ويروي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت غلوب اللانكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستولياً عليه من هذه الجهات الأربع فأوحى الله تعالى اليهم انه بقى للانسان جهتان الفوق والتحت فأذرفع يديه الى فوق وفى

العداء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنوب سبعين سنة
 (ولا نجد أكثرهم شاكرين) أى مطيعين وانما قال هذا لأنه رأى منهم أن مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير
 واحد وذلك أنه حصل للنفس قوة واحدة تدعو النفس الى عبادة الله تعالى وطلب السعادات والروحية
 وهي العقل وتسع عشرة قوة تدعوها الى الذات الجسدية والطبيات الشهوانية فضمة منها هي
 الحواس الظاهرة وخمسة أخرى هي الحواس الباطنة واثنان الشهوة والغضب وسبعة هي القوى الكامنة
 وهي الجاذبة والمسلكة والماضية والدافعة والغاظة والثامية والمولدة ولا شك أن استيلاء تسع عشرة
 قوة كل من استيلاء القوة الواحدة فيزيم القطع بأن أكثر الخلق يكونون طالعين لهذه الذات البدنية
 معرضين عن معرفة الحق ومحبة (قال اخرج منها) أى من الجنة ومن صور اللاتسكة (مذمومة) أى
 محقورا (مذمورا) أى مبعدا من كل خير (لمن تبكك منهم) أى ولد آدم (الأملا ن جهنم منكم) أى
 منكم ومنهم (أجيين) في الآلام ومن في قوله تعالى لمن تبكك وجهان فالظاهر أن الآلام لا تمسح بالقسم
 محذوف ومن شرطية في محل رفع مبتدأ والأملا ن جواب القسم للقول عليه بلام التوطئة وجواب
 الشرط محذوف لسد جواب القسم مسدود والوجه الثاني أن الآلام لا تمسح بالقسم لكونها موصولة وتبكك
 صلتها وهي في محل رفع مبتدأ والأملا ن جواب قسم محذوف وذلك القسم وجوابه في محل رفع خبر
 للبنا والتقدير للذي تبكك منهم والله الأملا ن جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية الواقعة خبرا عن
 للبنا متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضمير غيب وخطاب غلب الخطاب وروى عصمة عن طاصم
 بن تبكك بكسر الهمزة على أنه جبر للأملا ن والمعنى لمن تبكك هذا الوعيد وهذه الآية تبدل على أن جميع
 أصحاب البدن والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لبلبل وأما علم (ويا آدم اسكن)
 هذه القصة معطوفة على قوله تعالى للآلثة اسجدوا أى وقلنا لآدم يا آدم اسكن أو معطوفة على اخرج
 أى وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط الملبس وأخرجهم من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن اسحق
 خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أى ادخل فيها وقال ابن عباس وغيره خلقت في الجنة
 بعد دخول آدم فيها لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصري من
 شقه الأيسر ليأنس بها والمعنى ازل في الجنة (فكلام من حيث شئت) أى فكلام من غار الجنة في أى
 مكان شئت الأكل فيه وفى أى وقت شئت (ولا تقر يا هذه الشجرة فكوانا من الظالمين) أى قصيرا
 من الضارين لأنفسكما (فوسوس لها الشيطان) أى ففعل إبليس الوسوسة لاجلها (ليبدى
 لهما ما ورى عنهما من سواتهما) أى ليظهر لهما ما ستر عنهما بلباس الثور أو بلباس الجنة من
 عورتها فالآدم اما للعاقبة لان إبليس لم يقصد الوسوسة لظهور عورتها وإنما كان قصده أن يجعلها
 على العصية فقط أو لئلا يظهر العورة كناية عن زول الجاه فان غرضه من القاء تلك الوسوسة
 الى آدم ذهب منصبه وروى أن إبليس بعد ما صار ملعونا مطرودا من الجنة رأى آدم وحواء
 في طيب عيس ونعمة ورأى نفسه في منلة وثقة فقصدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل
 الجنة ليوسوس لهما فتحه الخزنة فجلس على باب الجنة فلأعماة تسعة من سنى الدنيا وهي بقدر ثلاث
 ساعات من ساعات الآخرة فلقي آدم مرارا كثيرة وروغبه في كل الشجرة بطرق كثيرة فاجل
 للداومة على هذا القوم أثر كلامه في آدم عليه السلام (وقال) (أى إبليس لآدم وحواء
 (ماتها كإبراهيم عن هذه الشجرة) أى عن الأكل منها (الا أن تكونا ملكين) أى الا
 كراهة أن تكونا ملكين في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وفي قراءة شاذة ملكين
 بكسر الهمزة (أو تكونا من الخالدين) أى الذين لا يموتون ولا يمحرون من الجنة أصلا (وقاسمهما)

(قال اخرج منها مزمومة)
 مزمومة أى بلغ ذم (مذمورا)
 مطرودا ملعونا (لمن تبكك
 منهم) أى من أولاد آدم
 (الأملا ن جهنم منكم)
 أى من الكافرين وقرنائهم
 من الشياطين (ويا آدم
 اسكن) سبق تفسيره في
 سورة البقرة (فوسوس
 لهما الشيطان) أى حدث
 لهما في أنفسهما (ليبدى
 لهما) هذه لام العاقبة
 وذلك أن عاقبة تلك
 الوسوسة أدت الى أن
 بدت لهما سواتهما ينش
 يتهافت اللباس عنهما وهو
 قوله (ما ورى عنهما) أى
 ما ستر عنهما (من سواتهما
 وقال ما نهيكما ربكما عن
 هذه الشجرة) أى عن
 أكلها (الا أن تكونا)
 لا نهامضمة أى الا أن لا
 تكونا (ملكين) تبقين
 ولا تموتان كما لا تموت للآلثة
 يدل على هذا قوله (أو)
 تكونا من الخالدين
 وقاسمهما) أى حلف لهما

غرهما بمن يمينه (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما) أي تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه فاستحيا (وظفقا بخصفان) أي أقبلا وجعلا يرقان الورق كثيثة السوب ليستتر به (وناداهما ربهما ألم تهكأ عن نلكا الشجرة وأقل لكأ ان الشيطان لكأ علومين قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعصم بعضكم بعضا وعدو لكم في الأرض مستقر) أي موضع قرارهم فسر ذلك بقوله (فيها نخبون وفيها نموتون ومنها نخرجون) ولما ذكر عرى آدم وحواء من عليهما باخلق لنا من اللباس فقال (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أي خلقنا لكم لباسا (وارى العري ولباسا يزيناكم فان الزينة محرمة لجميع وروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال في النهار والنساء في الليل ويقولون لا تطوف بتياب عصينا الله تعالى فيها فزلت هذه الآية تكبرا ببعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالخمر من قبول وسوسة الشيطان في قوله تعالى لا يفتنكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الأنبياء حصول المبرقن ليعلموا (ولباس التقوى ذاك خير) وقرأ نافع وابن عامر والسكاكي بتصليب عطف على لباسا أي وأنزلنا عليكم لباسا التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والبيدوي وابن جرير والعمل الصالح كما قاله ابن عباس وألصقت الحسن كما قاله عثمان بن عفان وأخشيته الله كما قاله ابن الزبير وألحياه كما قاله معبد والحسن ذلك أي اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الأولين لانه يستمر من فضائل الآخرة. وقرأ الباقون ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو اللباس الأول أو هو اللبوسات للعدة لأجل اقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه ليس بالتواضع (ذلك) أي ازال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظيم فضله وعظيم رحمته على عباده (لعلهم يذكررون) أي

أي حلف لهما (إني لكأمن الناصحين) في حلفي لكأ (فدلأهما شرور) أي فخدعهما بزخرف من القول الباطل حتى أكلأ قليلا قصدا الى معرفة طعم ذلك الثمر لطلب الشهوة لالكونهما صدقا قول ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما) أي فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة بديرا لمعرفة طعمه ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه وديره وزال عنهما ثوبهما وزال الثور عنهما (وظفقا بخصفان عليهما من ورق الجنة) أي وجعلا يارقان على عورتها من ورق التين للاستحياء (وناداهما ربهما) يا آدم ويا حواء (ألم تهكأ عن نلكا الشجرة) أي عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكأ ان الشيطان لكأ علومين) أي ظاهر المداوة حيث في السجود كما حكى الله تعالى هذا القول في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك الآية. روى أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحك من شجر الجنة عندو حة من هذه الشجرة فقال بل وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يخلف بك كاذبا قاله فيعزني لأهبطك الى الأرض ثم اتال العيش الاكنا فاططوع لم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز (قال ربنا ظلمنا أنفسنا) أي ضررناهما بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها وأما اعترف آدم بكونه ظالما لانه ترك الأولى فان هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة طريق النسيان ولان القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على الوجه الأكل (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أي من للتوطين بالقوة (قال) تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس الى الأرض فهبط آدم بسرديد جبل في الهند وحواء بمجدة وابليس بالالة بضم الهمزة وللوحدة وبشديد الادم جبل قرب البصرة (بعضكم بعضا وعدو) فالدوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكم في الارض مستقر) أي مكان عيش وقبر (ومتاع أي استمتاع (الى حين) أي الى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أي الارض (نخبون) أي نعيشون مدة حياتكم (وفيها نموتون) وتدفنون (ومنها نخرجون) الى البعث فيجزأ قرأ حمزة والسكاكي تخرجون بفتح التاء موضع الراء وكذلك في الروم والزخرف والجاتية وقرأ ابن عامر هنا وفي الزخرف كذلك وفي الروم والجاتية بضم التاء وفتح الراء والياقون بضم التاء في الجميع (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا وارى سواكم وريثا) أي قد خلقنا لكم بأسباب نازل من السماء لباسين من قطن وغيره لباسا يغطي عورتكم من العري ولباسا يزيناكم فان الزينة محرمة لجميع وروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال في النهار والنساء في الليل ويقولون لا تطوف بتياب عصينا الله تعالى فيها فزلت هذه الآية تكبرا ببعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالخمر من قبول وسوسة الشيطان في قوله تعالى لا يفتنكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الأنبياء حصول المبرقن ليعلموا (ولباس التقوى ذاك خير) وقرأ نافع وابن عامر والسكاكي بتصليب عطف على لباسا أي وأنزلنا عليكم لباسا التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والبيدوي وابن جرير والعمل الصالح كما قاله ابن عباس وألصقت الحسن كما قاله عثمان بن عفان وأخشيته الله كما قاله ابن الزبير وألحياه كما قاله معبد والحسن ذلك أي اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الأولين لانه يستمر من فضائل الآخرة. وقرأ الباقون ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو اللباس الأول أو هو اللبوسات للعدة لأجل اقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه ليس بالتواضع (ذلك) أي ازال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظيم فضله وعظيم رحمته على عباده (لعلهم يذكررون) أي

بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت (ذلك من آيات الله) أي من فرائضه التي أوجبها يا بني ستر العورة (لعلهم يذكررون) أي يذكروا

(يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) أي لا يخدعكم ولا يضلنكم (كما أخرج أبوكم من الجنة بزعنهما لباسهما) أضاف الزع البهيماء
 يقول ذلك لانه كان بسبب منه (انه يراكم هو وقبيله) يعني ومن كان من نسله (اناجلنا الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون) أي سلطانهم
 عليهم ليزيدوا في غيهم كما قال انارسلنا الشياطين (٢٧٦) على الكافرين الآية (واذا فعلوا فاحشاً قالوا وجدنا عليها آباءنا

واقدماء مرنا بها) يعني طوافهم
 بالبيت عارين (قل أمر ربى
 بالقسط) رد لقولهم والله
 أمرنا بها والقسط العدل
 (وأقيموا وجوهكم عند
 كل مسجد) أي وجوها
 وجوهكم حيث ما كنتم
 في الصلاة الى الكعبة
 (وادعوه مخضين له الدين)
 أي وحدهم ولا تنسروا به
 شيئاً (كما بدأكم في الخلقة
 شقياً وسعيداً فكذلك
 تصودون) سعداء
 وأشقياء يدل على صحة هذا
 معنى قوله (فريقاهدى)
 أي أرشد الى دينه وهم
 أولياؤه (وفريقا حق
 عليهم الضلالة) أي أضلهم
 وهم أولياء الشياطين
 (انهم اتخذوا الشياطين
 أولياء من دون الله
 ويحسبون انهم مهتدون)
 ثم أمرهم أن يلبسوا ثيابهم
 ولا يتبرأوا فقال (يا بني آدم
 خذوا زينتكم) يعني
 ما يورى الثوب (عندكل
 مسجد) لصلاة أو طواف
 (وكلوا واشربوا) كان
 أهل الجاهلية لا يأكلون
 أيام حجهم الا قوتا

فيعرفون عظيم النعمة في ذلك اللباس (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة)
 أي لا يخرجكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتعتمدون دخول الجنة اخراجاً مثل اخراجه أبوكم من
 الجنة بفتنته بأمره لها بمخالفة أمرى فنمنا من سكنى الجنة (يزع عنهما لباسهما) بفروقه وكان
 اللباس من ثياب الجنة وأومن نور (ليريهما سوءهما) أي ليرى آدم سوء حواء ويرى هي سوء آدم
 (انه) أي الشيطان (يراكم هو وقبيله) أي أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لا يرونهم)
 اذا كانوا على صورهم الاصلية لكن قد يكونون مرتين في بعض الاحيان لبعض الناس دون
 بعض. وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا راع: زرى ولا ترى ونخرج من تحت الثرى ويودع شياطيني
 (انا جلنا الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون) أي اناصبرنا للشياطين فراء الذين لا يؤمنون بمحمد
 والقرآن مسلمين عليهم (واذا فعلوا) أي العرب (فاحشة) كعبادة الأصنام وكشف العورة
 في الطواف (قالوا) جواباً لانهى عنها معلنين فعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أي على
 هذه الأشياء (آباءنا) فاعتقدنا أنها طاعات واقتدينا بهم فيها (والله أمرنا بها) فان أجدادنا إنما
 كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها (قل لهم يا كرم الرسل (ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان عادته
 تعالى جارية على الأمر بحسب الأعمال والحث على تفاسد الحاصل (أقولون على الله ما تعلمون)
 أي انكم ماسمعون كلام الله مشافهين ولا أخذتموه عن الأنبياء لانكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف
 تقولون على الله ما تعلمون (قل أمر ربى بالقسط) أي بالتوحيد بلالة الله (وأقيموا وجوهكم
 عند كل مسجد) أي واستقبلوا بوجوهكم القبلة عند كل صلاة (وادعوه) أي اعبدوا الله بآيات
 أعمال الصلاة (مخلصين له الدين) أي الطاعة (كما بدأكم تعودون) أي كما أوجدكم الله بعد العدم
 بعبادته بعده أحياء يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم (فريقاهدى وفريقا حق عليهم الضلالة)
 أي ثبت الضلالة عليهم في الأزل والجلتان الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم وفريقا
 الثاني منصوب بفعل مقدر موافق في المعنى للذكور للفسر أي بدأكم حال كونه تعالى هادياً فريقا
 للإيمان ومضلاً فريقاً ويجوز أن تكون الجلتان الفعليتان في محل نصب على التثنية لفريقا وفريقا
 وهن على الحال من فاعل تعودون والمائد على التثنية بخلاف أي فريقاهدى الله وفريقا حق
 عليهم الضلالة (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا ماديهم اليه ولم يتأملوا في التمييز
 بين الحق والباطل (ويحسبون) أي يظن أهل الضلالة (انهم مهتدون) بدى الله ودلت هذه
 الآية على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للدم سواء حسب كونه هدى أو لم يحسب ذلك
 (يا بني آدم خذوا زينتكم) أي البسوا ثيابكم التي تستر عورتكم (عند كل مسجد) أي عند كل
 وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدم (واشربوا) من اللبن (ولا تسرفوا) بالتعدى
 الى الحرام أو بتحريم الحلال أو بالافراط في الطعام (انه لا يحب للسرفين) أي انه تعالى لا يرضى

فصلهم

ولاً يكون دسماً يعظمون حجهم فقال للمسلمون نحن أحق أن نعمل ذلك فأقر الله (وكلوا)

يعنى اللحم والدم (واشربوا) اللبن والماء وما أحل لكم (ولا تسرفوا) يحظركم على أن تفكس ما قد أحلت لكم من اللحم والدم (انه
 لا يحب السرفين) أي لا يحب من فعل ذلك أي لا يبيعه عليه ولا مدحه الجنة

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) أي من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم (والطيبات من الرزق) يعني ما حرموه على أنفسهم أيام حجهم (قل هي) أي الطيبات من الرزق (الذين آمنوا في الحياة الدنيا)

(٢٧٧)

مباحة لهم مع اشتراك الكافرين معهم فيها في الدنيا هي ثم تخلص للأومنين يوم القيامة وليس للكافرين فيها شيء وهو معنى قوله (خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات) أي تفسير ما أحلت وما حرمت (لقوم يعلمون) أي أنا لله لا شريك لي (قل) أنا حرم في الفواحش أي الكبائر والقبائح (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلايتها (والأثم) يعني العصية التي توجب الأثم (والبغى) ظلم الناس وهو أن يطلب ما ليس له (وأن تتركوا بالله) أي تصدقوا به في العبادة (ما لم ينزل به سلطانا) أي لم ينزل كتنا فيه حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من أنه حرم الحرب والأنعام والملائكة بنات الله (ولكل أمة أجل) أي وقت مضروب لعنابهم وهلاكهم (فإذا جاء أجلهم) للعذاب لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يهذبوا (يا بني آدم) أما يا بنيكم رسل منكم (ما يأتينكم رسل منكم) يهضون عليكم آياتي

فلم يقل ابن عباس أن أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنهار والنساء بالليل وكانوا إذا وصلوا إلى المسجد منى طرحو ثيابهم وأتوا للسجدة عراة وقالوا لا تطوف في ثياب أعبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول فصل ذلك نقول لا حتى تشرى عن الذنوب كما تشرى لنا عن الثياب وكانت المرأة منهم تتخذ سترا تعلقه على حقونها لتستر به عن قريش فانهم كانوا لا يفلحون ذلك وكانت بنو عارم لا يكون في أيام حجهم من الطعام الاقوت ولا يابا ولا يكون لحما ولا دسما يظنون بذلك حجهم فقال للساكنين يارسول الله فنعن أحق أن نعمل ذلك فأذن الله تعالى هذا الآية (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدم من الحيوان كالحرير والصوف ومن للمعادن كالدرع (و) من حرم (الطيبات من الرزق) أي السلتات من اللآكل والشراب (قل هي) أي الزينة والطيبات ثابتة (الذين آمنوا) بطريق الاصلة (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لأنه يشركهم فيها المشركون (خالصة لهم يوم القيامة) أي لا يشركهم فيها غيرهم قرأ نافع خالصة بالرفع على أنه خبر بصدخر أو خبر مبتدأ محذوف أي وهي خالصة والباقيون بالنصب حال من الضمير للسكن في الخبر (كذلك تفصل الآيات) أي مثل هذا التبيين تبين سائر الأحكام (لقوم يعلمون) أن الله واحد لا شريك له فأحوا حاله وحرمو أحراره (قل) للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف والذين يحرمون أكل الطيبات (انما حرم في الفواحش) أي الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها (والأثم) أي شرب الخمر (والبغى) أي الظلم على الناس (بغير الحق) بالقتل والقرح بالحق ليس بشيا (وأن تتركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أي وأن تسووا بالله في العبادة معبودا ليس على عبوته حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالألحاد في صفاته والافتراء عليه من التحريم والتحليل فالجنائيات محصورة في خمسة أنواع أعدها الجنائيات على الأنساب وهي المردة بالفواحش وبناتها الجنائيات على العقول وهي الشارب الهالك وبناتها الجنائيات على النفوس والأموال والأعراض والباية الإشارة بالبغى ورايها الجنائيات على الأديان وهي من وجهين أما الظلم في توحيد الله تعالى واليه الإشارة بقوله تعالى وأن تتركوا بالله وأما القول في دين الله من غير معرفة واليه الإشارة بقوله تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذه الأشياء الخمسة أصول الجنائيات وأما غيرها فهي كالنروع (ولكل أمة) كذب رسولها (أجل) أي وقت معين بهلاكها (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي فإذ جاء وقت هلاكهم لا يتأخرون بعد أجل وطريق معين ولا يهلكون قبل أجل طريقة عين فالجزاء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته ولما في الوقت المحدود لا يتغير (يا بني آدم) أما يا بنيكم رسل منكم يصومون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يا بني آدم إن يأتكم رسول من جسدكم بني آدم بين لكم أحكامي وشرائي فمن اتقى كل منهي واتقى تكذيبه وأصلح عمله بأن يأتى بكل أمره فلا يخاف في الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فاتته في الدنيا أما حزمته على عقاب الآخرة فيرتفع بما حصله من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التي يجيء بها رسلنا (واستكبروا عنها) أي امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون أما الفاسق

أي فرائضي وأحكامي (فمن اتقى) أي اتقاني وخافني (وأصلح) ما بيني وبينه (فلا خوف عليهم) إذا خاف الخلق في القيامة (ولا هم يحزنون) إذا حزنوا

(فن أظلم من أقرى على الله كذبا) فجعله ولدا وشريكا (أولئك بنالهم نصيبهم من الكتاب) أى ما كتب لهم من العذاب وهو سواد الوجوه وزرقة العيون (حتى إذا جاءتهم رسلنا توفونهم) يراد للأنكة أى يقضون أرواحهم (قالوا أينا كنتم تدعون من دون الله) سؤال تكيت وتقرع (قالوا ضلوا عنا) (٢٧٨) أى بطاوا وذهبوا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

اعترفوا عند معاناة الموت وأقروا على أنفسهم بالكفر (قبل ادخالها) أى قال الله تعالى لهم ادخلوا النار مع (ألم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لنستأخذنها) بمعنى الأمة التى سبقتها إلى النار لأنهم ضلوا باتباعهم (حتى إذا اداركوا) أى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا (جميعا) فى النار (قلت أخرجهم أى أخرجهم دخولا النار (لأولاهم) دخولا يعنى قالت الانبياء للقيادة (ربنا هؤلاء أضلونا) لأنهم شرعوا لأن اتخذ من دونك إله (فأتهم عذابا مضفا) أى أضف عليهم العذاب بأشد ما تستدبنا به (قال) الله تعالى (لكل ضعف) أى للتابع وللتبوع عذاب مضاعف (ولكن لا تعلمون) يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك وقوله (فا) كان لكم علينا من فضل) لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم فى الكفر سواء (ان الذين كذبوا

من أهل الصلاة فلا يلقى غلدا فى النار لأنه ليس موصوفاً بذلك التكذيب والاستكبار (فن أظلم) أى أعظم ظلماً (من أقرى على الله كذبا) أى كاثبات الشريك والوالد إليه تعالى وإضافة الأحكام الباطلة إليه تعالى (أو كذباً ياتنه) كأنكار كون القرآن كتابا نازلا من عند الله تعالى وإنكار نبوة محمد ﷺ (أولئك ينالهم) فى الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الأرزاق والأعمال (حتى إذا جاءتهم رسلنا) أى ملكا للوئ وأعوانه (توفونهم) أى حال كونهم قاضين أرواحهم (قالوا) لهم (أينا كنتم تدعون من دون الله) أى أين الألهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا ادعوا لتدفع عنكم ما نزل بكم (قالوا ضلوا) أى غابوا (عنا) أى لاندرى مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أى أقروا وعند الموت بأنهم كانوا فى الدنيا عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لأنهم طواقب مختلفة أو فى أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا فى أمة قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) أى ادخلوا فى النار فيما بين الأمم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين النوعين (كلما دخلت أمة) أى أهل دين فى النار (لفت أختها) فى الدين وهى التى تلبست بذلك الدين قبلها فيلحق للشركون للشرىك واليهود لليهود والنصارى للنصارى والصابئون للصابئين والجوس الجوس (حتى إذا اداركوا) أى اجتمعوا (فيها) أى النار (جميعا) وأدرك بعضهم بعضا واستقرمه (قلت أخرجهم لأولاهم) أى قال آخر كل أمة لأولها (ربنا هؤلاء) أى الأولون (أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل (فأتهم عذابا مضفا من النار) أى عذبهم مثل عذابا مرتين (قال) تعالى لهم (لكل منهم ومنكم) ضعف) فكل ألم يحصل له يقبه ألم آخرى غير نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية أما القادة فلصغرهم واضلالهم وأما التابعون فلصغرهم وتقليدهم (ولكن لا تعلمون) قرأه أبو بكر عن عاصم بالنبيه أى ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر والباقيون بالناء على الخطاب ولكن لا تعلمون أيها السائلون بالكل فريق منكم من العذاب والعنى ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا من فضل) فى الدنيا أى أنا وأياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب لأنكم كفرتم اختيارا إلانا حملناكم على الكفر اجبرا فلا يكون عذابنا مضفا (فدروا العذاب بما كنتم تكسبون) أى تقولون وتعملون فى الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة للتابع وأن يكون من قول الله تعالى للجميع (ان الذين كذبوا بآياتنا) أى بالدلائل الدالة على أصول الدين (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا تفتح لأعمالهم وللأسماء ولاشئ مما يدعون به طاعة الله ولا لأرواحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يابح الرجل فى سم الخياط) أى كاستحصال دخول الذكر من الابل فى خرق الابرة يستحيل دخول الكفار الجنة ويقال حتى يدخل القلس الفيلظ وهو الحبل الذى تشده السفينة فى خرق الابرة وكل قبضيق فهو سم (وكذلك نجزي الجرمين) أى

بآياتنا) أى بحججنا التى تدل على توحيد الله ونبوة الانبياء (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن الإيمان بها والاعتقاد لا مكانها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم ولاشئ مما يدعون به الله أى السماء (ولا يدخلون الجنة حتى يابح الرجل فى سم الخياط) أى تقب الابرة يعنى أبدا (وكذلك) أى كما وصفتنا (نجزي الجرمين) أى السكدين بآيات الله ثم أخبر عن

ووطاء وفراش ولحاف

(وكذلك تجزى الظالمين)

يعنى الذين أشركوا بالله

(والذين آمنوا وعملوا

الصلوات لانكف نفسا

الاسمها) أى الاماظيقه

ولا تعجز عنه والعنى لانكف

نفسهم الاسمها ثم أخبر

بباقى الآية معلّمهم فقال

(وزعنا مني قدورهم من

غل) أى أذهبنا الأخقاد

التي كانت لبعضهم على

بعض في دار الدنيا (تجزي

من تحتهم) أى من تحت

منازلكم وقصورهم (الأنهار)

فإذا استقروا في منازلهم

(قالوا الحمد لله الذي هدانا

لهذا) أى هدانا لما صيرنا

إلى هذا الثواب من العمل

الذي أدى إليه وأقروا أن

لهتدي من هداة الله

بقوله (وما كنا لنبتدى

لولا أن هدانا الله) وحين

رأوا ما وعدهم الرسل عيانا

قالوا (لقد جاءت رسلنا

بالحق ونودوا أن

تلك الجنة) أى قيل

لهم هذه تلك الجنة التي

وعدتم (أورثوها) أى

أورثتم منازل أهل النار

فيها لوعملوا طاعة الله

(بما كنتم تعملون) أى

توسّدون الله وتطيعونه

(ونادى أصحاب الجنة لأصحاب

النار أن قد وجدنا ما وعدنا

فأجاب أهل النار أرى (قالوا

ونجزي للشركين جزاء مثل جزاء السكّدين السكّيرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم الجنة وأما عبادنا من جهنم هذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أى للذين كذبوا واستكبروا ومن جهنم فرّاش من تحتهم ومن فوقهم غطاء وهذه الآية إخبار عن حلقة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفرّاش ولحاف (تنبيه) تنوين غواش عوض من الباء المحذوفة على الصحيح فإن الاللال بالحذف مقم على منع الصرف فأصله غواشي بتنوين الصرف فاستقلت الضمة على الباء فحذفت جات مع سكتان الباء والتنوين فحذفت الياء ثم لو حظ كونه على صيغة مفاع في الأصل فحذفت تنوين الصرف خفيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضا عنها فاضواش للنون ممنوع من الصرف لان تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حُذف وأما كان الراجع تقديم الاللال لان سببه ظاهر وهو الثقل وسبب منع الصرف خفي وهو مشابهة الفعل (وكذلك تجزي الظالمين) أى كجزاء للسكّدين السكّيرين تجزي الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا الاسمها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالسون) أى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم بمن شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنّبوا ما نهاهم عنه لانكف نفسا الا ما يسهل عليها من الأعمال وما يدخل في قدرتها ولا ضيق فيه عليها وقوله تعالى لانكف نفسا الاسمها اعتراض وقع بين البتدوا والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالسون وأما حسن وقوع هذا الكلام بين البتدوا والخبر لان من جنس مقابلة فانه يبان أن ذلك العمل غير خارج عن قدرتهم وتنبيه على أن الجنة مع عظم قدرتها تتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصب (وزعنا مني قدورهم من غل) أى صيفنا طبايعهم من الأخقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فآله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الثالثة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجزي من تحتهم الأنهار) أى تجزي في الآخرة من تحت سدورهم أنهار الجحيم والماء العسل واللبان زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) اذا طغوا الى منازلهم أو الى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أى للعمل الذي توبه هذا المنزل وهذه العين التي تجزي من تحتنا (وما كنا لنبتدى لولا أن هدانا الله) أى لولا هداة الله لنا موجود ما هتدينا الى الإيمان والعمل الصالح قرأ ابن عمر ما كنا نبتدوا وكفى مصحفاً أهل الشام وذلك لانه جار مجرى التفسير لقوله هدانا لهذا فلما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف اللطيف (لقد جاءت رسلنا بالحق) هذا اقسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا تبجها بما نالوه أى والله لقد جاءت رسل ربنا في الدنيا بالحق أى ما أخبرونا به في الدين انما هو الصدق فقد حصل لتابعينا (ونودوا) أى نادتهم للائحة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلك الجنة) أى تلك الجنة التي وعدتكم الرسل بها في الدنيا فان مفسر تبارك في النداء وكذا في سائر المواضع الحقة (أورثوها بما كنتم تعملون) أى أعطيتوها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا فالجنة ومنزلها الانتال البرحة الله تعالى فإذا دخلوها بأعمالهم فقد وروثوها برحمته ودخلوها برحمته اذا عاينهم رحمة من رحمته ولم تفضل من تعليمهم (ونادى أصحاب الجنة لأصحاب النار) تبجها بأعمالهم وتندما لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم في محلهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على ألسنة رسله من الثواب على الإيمان به وبرسوله وعلى طاعته (حقا فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعدكم) من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى

ربنا في دار الدنيا من الثواب (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العذاب (حقا) وهذا سؤال تسيروا فاجاب أهل النار أرى (قالوا

الظالمين الذين يصلون)
 أى ينعون (عن سبيل الله)
 دين الله وطاعته (ويبغونها
 عوجاً) أى ويطلبونها
 بالصلاة لغير الله وتظيم مالم
 يعظمه (وينهما) أى وبين
 أهل الجنة وأهل النار
 (حجاب) أى حاجز وهو
 سور الأعراف (وعلى
 الأعراف) ير يد سور
 الجنة (رجال) وهم الذين
 استوت حسنتهم وسيئاتهم
 (يعرفون كلا بسيماهم)
 أى يعرفون أهل الجنة
 ببياض الوجوه وأهل
 النار بسوادها وذلك أن
 موضعهم عال مرتفع فهم
 يرون الفريقين (ونادوا)
 أصحاب الجنة أن سلام عليكم
 أى إذا نظروا إلى الجنة
 سلوا على أهلها (ليدخلوها)
 يعنى أصحاب الأعراف
 (وهم يطمعون) أى فى
 دخولها (وإذا صرفت
 أبصارهم تلقا أصحاب النار)
 أى جهة لقاءهم (ونادى
 أصحاب الأعراب رجالاً)
 من أهل النار (يعرفونهم
 بسيماهم) من رؤساء
 للشركين فيقولون لهم
 (ما أغنى عنكم جمعكم)
 للال واستكثاركم منه
 (وما كنتم تستكبرون)
 عن عبادة الله ثم ينقسم
 أصحاب النار أن أصحاب
 الأعراف داخلون معهم
 النار فيقول الملائكة الذين

أهل النار محبين لأهل الجنة (نم) قرأ الكسائى نعم بكسر العين فى كل القرآن (فأذن مؤذن)
 قيل هو اسرافيل وقيل جبريل (بينهم) أى نادى مناد أسمع الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين)
 الذين يصلون عن سبيل الله) أى ينعون الناس من قبول الدين الحق نارة بالزجر والقهر وأخرى
 بسائر الحيل قرأتافع وأبو عمرو وطاسم أن لعنة تتخفيفان ورفع لعنة والباقون بالتشديد وبالنصب
 (وبغونها عوجاً) أى يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك فى دلائل الدين الحق (وهم
 بالآخره) أى باليتم بعد اللوت (كافرون) أى جاحدون (وينهما) أى بين الجنة والنار
 أو بين أهلها (حجاب) أى سور (وعلى الأعراف) أى على ذلك السور للضروب بين الجنة
 والنار (رجال) قيل هم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلا فى سبيل الله وهم عصابة
 الأعراف أقوام يكونون فى الدرجة النازلة من أهل الثواب وقيل انهم الاشراف من أهل الثواب وقيل
 انهم الأنبياء وأما جلسهم الله على ذلك المكان العالى تميز لهم على سائر أهل القيامة وقيل انهم الشهداء
 وهم شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب
 وصالوا إلى الدرجات وأهل المقاب وصالوا إلى الدرجات كقائل تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة
 وأهل النار زيادة على معرفتهم بكونهم فى الجنة وكونهم فى النار (بسيماهم) أى علامتهم التى أعلمهم
 الله تعالى بها كبياض الوجوه وسواده وقيل ان أصحاب الأعراف كانوا يعرفون للمؤمنين فى الدنيا
 بظهور علامات الإيمان والطاعات عليهم ويعرفون الكافرين فى الدنيا أيضاً بظهور علامات الكفر
 والنقص عليهم فإذا شاهدوا أولئك الأقوال فى محفل القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات
 التى شاهدوها عليهم فى الدنيا (ونادوا) أى رجال الأعراف (أصحاب الجنة) أى حين رأوهم
 (أن سلام عليكم) بأهل الجنة وهذا طريق التحية والدعاء وطريق الأخبار بنجاتهم من
 للكاره (ليدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون) حال من فاعل يدخلوها أى ليدخل
 رجال الأعراف الجنة وهم فى وقت علم الدخول لطمعون وقيل قوله ليدخلوها مستأفلاً لانه جواب
 سؤال سائل عن رجال الأعراف فقال ما صنع بهم فقيل لم يدخلوها ولكنهم يطمعون فى دخولها وقال
 مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء ففى هذا القول انما يكون لبهم على الأعراف على
 سبيل الزهدة ويرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أى هم يعلمون أنهم
 سيدخلون الجنة (وإذا صرفت أبصارهم) أى رجال الأعراف بغرض قصد (تلقاء أصحاب النار) أى
 إلى جهتهم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى كذا وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل
 النار فترضعوا إلى الله تعالى فى أن لا يجعلهم من زميرهم وللمقصود من جميع هذه الآيات التخويف عن
 التقليد بالردى (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) كانوا أعظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم
 بسيماهم قالوا) أى أصحاب الأعراف لهم وهم فى النار ياولدين للغيرة وبأيا جهل بن هشام وبأمية بن
 خلف وبأبن خلف الجمحي وبأوسود بن عبد الطلب وبأسائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أى أى
 شئ دفع عنكم جمعكم فى الدنيا من اللال والحشم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق
 وعلى الناس الحقيقين وقرئ تستكبرون أى من الأموال والخدم ثم زادوا على هذا التكبىك بقولهم
 (أهولاه) الضعفاء الذين عذبتموهم فى الدنيا كهميب وبلال وسلمان وخباب وعمار وأشباههم
 (الذين أقسمتم) أى حلفت فى الدنيا يا معشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلهم الله الجنة وقد

ثم يقولون لأصحاب
الاعراف (ادخلوا الجنة)
لا خوف عليكم ولا أنتم
تحزنون) وتنادى أصحاب
النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء
أو مما رزقكم الله (يعنى
الطعام وهذا يدل على
جوعهم وعطشهم) قالوا
إن الله حرهما على
الكافرين) تحرم منع
(الذين أخذوا دينهم)
الذى شرع لهم (ولو لمبا)
يعنى للسفرين المقتسمين
(فالذي نساها) تركهم في
جهنم (كأنوا لقاء يومهم)
أى كما تركوا العمل لهذا
اليوم (وما كانوا يأتينا
بمحسودين) أى وكما جحدوا
بأياتنا ولصدقوا بها (ولقد
جنتهم) يعنى الشركين
(بكتاب) هو القرآن
(فصلناه) أى بيناه (على
علم) يعنى ما أودع من
العلوم وبيان الأحكام
(هدى) أى هاديا (ورحمة)
أى ودار رحمة (لقوم يؤمنون
أى لقوم أرادهم هدايتهم
وإيمانهم (هل ينظرون)
أى ينظرون يعنى كأنهم
ينظرون ذلك لأنه يأتينهم
لا محالة (الا تأويله) أى
عاقبة ما وعد الله في الكتاب
من البعث والنشور (يوم
يأتى تأويله) وهو يوم
القيامة (يقول الذين نسوه

دخلوا الجنة على رغم أنوفكم) وقيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل
الله فهذا من بقية كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أى هؤلاء فقيل لهم ادخلوا
الجنة فظهر كذبكم في أقسامكم ويدل على ذلك قراءة ثان شاذان ادخلوا البناء للفعول ودخلوا على
هاتين القراءتين تقع هذه الجملة خبرا والتقدير دخلوا الجنة مقولا في حقهم (لا خوف عليكم) من
العذاب (ولأنتم تحزنون) وقيل إن أصحاب الاعراف لما قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار
إن دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوا الجنة فلما عبروهم بذلك قيل لأهل الاعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال
لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى
هذا فالمراد بأصحاب الاعراف للقصور في العمل (وتنادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى
أنفخوا (علينا) من الماء أو مما رزقكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش
الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبي البرداء إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد
عذابهم فيستغيثون فيغاثون بضريع لا يسمن ولا يئى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى
غصة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع إليهم الحميم والصدى فيقطع ما فى بطونهم ويستغيثون
إلى أهل الجنة كما فى هذه الآية ويقولون مالك ليقتض علينا بك فيجيبهم بذلك علم ويقولون ربنا
أخرجنا منها فيجيبهم بقوله تعالى أخسأوفيا ولا تكلمون فقد ذلك يأسون من كل خير ويأخذون
في الزفير والشهيق (قالوا) أى أهل الجنة (إن الله حرهما على الكافرين) أى منهم من طعام الجنة
وشرابها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف إلى الجنة طمع أهل النار بالفرج
بعد اليأس فقالوا يا ربنا لنا قرابت من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون
إلى قرابتهم في الجنة ومما فيه من النعم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قرابتهم من أهل النار
فم يعرفهم لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة باسمهم فينادى الرجل بأبواؤه فيقول
يا أبى وبأخى قد احترقت بشدة حر جهنم أقض على من الماء فيقال لم أجيبوهم فيقولون إن الله
حرهما على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم هوا) أى باطلا (ولمبا) أى فرحا قالوا صرف لهم إلى
مالا يحسن أن يصرف إليه والقلب طلب الفرج بما لا يحسن أن يطلب به (وغرهم الحياة الدنيا) أى
شغلهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فالذي) أى يوم
القيامة (نفساهم) كأنسوا لقاء يومهم (هذا) أى تركهم في عذابهم تركا مثل تركهم العمل لقاء
يومهم هذا أو المعنى تعاملهم معاملة من نسي فتتركهم في النار لأنهم أعرضوا بآياتنا وللرأى من
هذا النسيان أنه تعالى لا يجيب دعاءهم ولا رحمهم (وما كانوا يأتينا بمحسودين) أى وليكونهم
منكرين بآياتنا أنها من عندنا وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدا كل آفة وقد يؤدى إلى الضلال
والكفر (ولقد جنتهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى بقرآن أنزلناه عليك يا أكرم
الرسل (فصلناه على علم) أى ميزناه مشتتلا على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم
الأنواع التسعة في قوله

حلال حرام حكم متشابه • بشير نذير قصة عظيم

وقرأ الجحدرى وابن عيصن بالنادى للجمعة أى فصلناه على غيرهم من الكتب الساجدة لعالمين فضله
(هدى ورحمة) أى هاديا من الضلالة إلى الرشود ورحمة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) إلا تأويله (أى
ما ينظر أهل مكة ألا يؤمنون إلا عاقبة ما وعدوا به في القرآن من حلول المذاب بهم يوم القيامة (يوم
أويله) أى يوم يأتى عاقبة ما وعد لهم في القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه

عنه (من قبل) أى من قبل إتيان ما يؤول إليه أمره وهو صدقه بما أخبر به والذى ان هؤلاء الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسلنا بالحق) وكذبناهم أى أنهم أقروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من نبوت البعث والنشر والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أورد) إلى الدنيا (فنفعل غير الذى كنا نعمل) أى لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع فلاجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب وأوان يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نوحداقه تعالى بدلائع الكفر ونطيعه بدلائع المعصية وقرى شاذنا نصب رد اما علقا على يشفعوا فالمسؤول أن يكون لهم شفعاء لأحد الأمرين اما بدفع العذاب أو إلهاد إلى الدنيا وإماتناه على أن أو يمتنى إلى أى فاللطوب أن يكون لهم شفعاء الرد إلى الدنيا فقط وقرى شاذنا برفع نفعل أى فنحن نعمل في الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون أن الأصنام التي كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعائهم عنده يوم القيامة (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام) وللقصود من هذا الكلام أنه تعالى وإن كان قادرا على إيجاد جميع الأشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شئ محددا محدودا وقتا مقدرا فلا يدخله في الوجود الا على ذلك الوجه فهو تعالى وإن كان قادرا على إيصال الثواب إلى الطيبين في الحال وعلى إيصال العقاب إلى اللذين في الحال الا أنه يؤخرهما إلى أجل معلوم مقدر فهذا التأخير ليس لأجل أنه تعالى أهل العباد بل لانه تعالى خص كل شئ بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من أنه تعالى انما خلق العالم في ستة أيام ليعلم عباده الرق في الامور والمبر فيها ولاجل أن لا يحمل المكلف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أى حصل له تعالى تدبير الخلق وقت على ما أراد أى بعد ان خلق السموات والارض استوى على عرش الملك والجلال وصح أن يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض بمعنى أنه انما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتديره لها بعد خلق السموات والارض وذلك لان العرش في كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه للملك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال فلان عرش السلطان أى انتقض ملكه وفسد وادنا استقام له ملكه والطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا مقاله القفال ونظير هذا قولهم لرجل الطويل فلان طويل التجادول للرجل الذى يكثر الضيافة فلان كثير الرمد والرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيئا وليس المراد في شئ من هذه الالفاظ اجراءها على ظواهرها وأما الراد منها فمرىف للقصود على سبيل الكناية فكذلك انما فلان يذكر الاستواء على العرش هو نفاذ القدر فوجريان الشئ. والواجب علينا أن نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى (يفشى الليل النهار) أى يأتي بالليل على النهار فيضطيه واللفظ يحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وابن عمر وعاصم في رواية حفص يفشى بتخفيف الشئ وهكذا في الرد وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية أبى بكر بالتشديد وكذا في الزعد وقرأ حميد بن قيس يفشى الليل النهار بفتح ياء يفشى ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك الليل النهار (طلبه حثيثا) أى يطلب كل من الليل والنهار الآخر طلبا سريعا فأخبر الله تعالى بما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والقوائد الجليلة فان بتعاقبهما يتم أمر الحياة وتكمل للنفحة وللصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى مثلثات

من قبل) أى تركوا الإيمان به والعمل به من قبل إتيانه (قد جاءت رسلنا بالحق) أى بالصدق والبيان (فهل لنا من شفعاء) أى هل يشفع لنا شافع (أو) هل (ترد) إلى الدنيا (فنفعل غير الذى كنا نعمل) أى نعمل (قد خسروا أنفسهم) حين صاروا إلى الهلاك (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى سقط عنهم ما كانوا يقولون ان مع الله الها آخر (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام) من الاحد إلى السبت واجتمع الحلق في الجمعة (ثم استوى على العرش) أى أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك بعد خلق السموات والارض (يفشى الليل النهار) أى يلبسه ويدخله عليه (طلبه حثيثا) أى يطلب ليليل النهار دائما لا غفلة له (والشمس) أى وخلق الشمس (والقمر والنجوم مسخرات) أى مثلثات لنا يراد منها من طالع وأقول وسيرور جوع

لطاوع وغروب ومسير ورجوع باذنه وقرأ ابن عامر رفع الأربعة على الابتداء والخبر والياقون
 بنصب الثلاثة عطفا على السموات ونصب مستخرات على الحال من هذه الثلاثة (الاله الخلق) أى
 الخلقات (والأمر) أى التصرف في الكائنات وفي هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان
 للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم (تبارك اقرب العالمين) أى كثرة خير الله مالك
 العالمين وتعالى بالوحدانية في الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى متذللين ومسرئين والتضرع
 اظهار ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحكم الترمذي ان كان خائفا فعلى نفسه من الياقوت الأولى
 اخفاء العمل صونا لعمله ان البطلان وان كان قذيق في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنان
 شائبة الياقوت الأولى في حقه الاظهار لتحصن فائدة الاقتداء به (انه لا يحب للعتدين) أى المجاوزين
 بترك هذين الأمرين التضرع والاختفاء أى انه تعالى لا يشبه البتة ولا يحسن اليهودي التي على الله
 سيكون قوم يمتدون في الدماء وحسب الله أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قربها اليها من قول
 وعمل وأعوذ بك من النار وما قربها اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب للعتدين (ولا تسعدوا في
 الأرض) أى كإفساد النفوس بالقتل وقطع الأعضاء وفساد الأموال نحو القصب وفساد الأديان
 بالكفر والبدعة وفساد الأنساب بسبب الاقدام على غوازلها وبسبب القذف وفساد العقول بنحو
 تناول المسكرات (بمداصلاحها) بسبب ارسال الانبياء وازال الكذب وقيل بمداصلاح الله تعالى
 ايها بالمطر والحسب فان الله تعالى بمسبك المطر ويهلك الحرث بمصاصكم (وادعوه خوفا وطمعا) أى
 ذوى خوف نظرا الى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم بمطالوكم وذوى طمع نظرا الى سعة رحمته
 وفوق فضله واحسانه وهذه الآية بيان فائدة الدعاء ومنفعة فائدة الدعاء أحد هذين الأمرين
 أما الآية الأولى فهي بيان شرط صحة الدعاء وهي لا بد ان يكون الدعاء مقرونا بالتضرع وبالاخفاء
 والداعي لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع التقصير في بعض الشرائط للعتبة في قول ذلك
 الدعاء وطمعا في حصول تلك الشرائط بأسرها ومعنى قوله تعالى خوفا وطمعا أى حال كونكم جامعين
 في نفوسكم بين الخوف والرجاء في كل أعمالكم فلا تقطعوا انكم أدبتم حقيركم وان اجتهدتم (ان رحمته الله
 قريب من الحسنين) بالقول والفعل ومن الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالخوف والطمع وكل من
 حصل له الاقرار والتمعرفة كان من الحسنين كالمسي اذا بلغ وقت الضحوة وأمن بالله ورسوله واليوم الآخر
 ومن قبل الوصول الى الظهر وكصاحب الكبرية من أهل الصلاة (وهو الذى يرسل الرياح بنشرا بين يدي
 رحمته) أى قدام المطر قرأ ابن كثير وحزرة والكسائي الى مع على لفظ الواحد بالياقوت الرياح على الجمع
 قرأ عاصم بنشرا بضم الباء الموحدة وسكون اللين جمع بشرا أى مبشرات وقرئ بفتح الباء بمعنى باشرات
 وقرأ حمزة والكسائي نشرا بالنون المفتوحة وسكون الشين بمعنى ناشرة للسهل أو بمعنى منشورة
 فكانت الرياح كانت مطوية فأرسلها الله منشورة بمدا نظوا لها وهي كناية عن اتساعها وقرأ ابن عامر
 بضم النون واسكان الشين وقرأ الياقوت بضم النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أى مفرقة من
 كل جانب وأطبية لينة تنشر السحاب والريح صواعم متحرك بمنقوسه وهي أربعة الصواعب الشرقية
 فتحرك السحاب واليدور وهي الغربية تقرقها الشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي تجمعها الجنوب
 وهي التي تكثر راسا للمطر وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالهبا وأهلك عباد البدو والجنوب من
 ريح الجنة (حتى اذا أقلت سحابا ثقالا) أى حتى اذا رقت هذه الرياح سحابا ثقالا بالماء (سقناه) أى
 السحاب (بلد ميت) أى الى مكان لا نبات فيه لعلم الماء (فأزنته) أى في ذلك البلد (الماء فأخرجناه) أى
 بذلك الماء

(الاله الخلق) يعني ان جميع
 ما في العالم مخلوق له (والأمر)
 أى وله الأمر فيهم بأمر
 بتأييده (تبارك الله) تعجب
 وتظم وأرتفع وتعالى
 (ادعوا ربكم تضرعا) أى
 تملقا (وخفية) أى سرا
 (انه لا يحب للعتدين) أى
 المجاوزين ما سواه (ولا
 تسعدوا في الأرض) أى
 بالشرك والمعاصي وسلك
 الدماء (بمداصلاحها) أى
 بمداصلاح الله ايها يبعث
 الرسول (وادعوه خوفا)
 من عقابه (وطمعا) في ثوابه
 (ان رحمته الله) أى ثواب
 الله (قريب من الحسنين)
 وهم الذين يطيعون الله فيما
 أمر (وهو الذى يرسل
 الرياح نشرا) أى طيبة لينة
 من النشر وهو الرائحة
 الطيبة وقيل متفرقة من كل
 جانب بمعنى المنتشرة (بين
 يدي رحمته) أى قدام مطره
 (حتى اذا أقلت) أى حملت
 هذه الرياح (سحابا ثقالا)
 أى بما فيها من الماء (سقناه)
 يعني السحاب (بلد ميت)
 أى مكان ليس فيه نبات
 (فأزنته) أى بذلك البلد
 (الماء فأخرجناه) أى
 بذلك الماء

(من كل الثمرات كذلك تخرج اللوق) أى نجي اللوق مثل ذلك الاحياء الذى وصفناه في البلد الميت (للمكذب تذكرون) أى لمكذب بما فينا تعطلون فستبدلون على توحيد الله وقدرته على البعث ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال (والبلد الطيب) يعنى العنب والتراب (يخرج نباته باذن ربى) وهذا مثل للمؤمن يسمع القرآن فيستفهمه ويحسن أثره عليه (والذى خبت) تراه وأصله (لا يخرج الا نكدا) عسرا مبغضا وهو مثل للكافر يسمع القرآن ولا يؤثر فيه أثرا محمدا كالبلد الخبيث لا يؤثر فيه للحر (كذلك نصرف الآيات) أى نبينها (لقوم يشكرون) أى نعم الله ويطيعونه (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) ظاهر الى قوله (وأصبح لكم) أى ادعوك الى ماعادى الله اليه (وأعلم من الله الماتعون) من انه غفور رحيم عن معاصيه وان عذابه أليم لمن أصر عليها (وأعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أى موعظة من الله (على رجل) أى على لسان رجل (تقرءون نبيه) وقوله

بذلك الماء أو في ذلك البلد (من كل الثمرات) قاله تعالى انما يخلق الثمرات بواسطة الماء وقال أكثر التكمين ان الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى أجرى عاده بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب (كذلك تخرج اللوق) أى كما يخلق الله النبات بواسطة الأمطار فكذلك يحيى الله اللوق بواسطة مطر يزرعه على تلك الأجسام الرمية وروى انه تعالى يطر على أجساد اللوق فيما بين النفختين مطرا كالنير أربعين يوما وأهم بصير ون عند ذلك أحياء وقيل المعنى انه تعالى كما أحيى هذا البلد بعد خرابه فأنبث فيه الشجر وجعل فيه الترف فكذلك يحيى اللوق ويخرجهم من الأجداث بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا الكلام إقامة الدلالة على أن البعث والقيامة حق (للمكذب تذكرون) أى لى نكير وأما النكير ون البعث وتذكروا أن القادر على احياء هذه الأرض بالأشجار النيرة بالأزهار والآثار بدمومتها قادر على أن يحيى الأجساد بدمومتها (والبلد الطيب) أى المكان الذى ليس بسبخة (يخرج نباته باذن ربى) أى بإرادة ربى وتيسيره كذلك المؤمن يؤدى مآثره مأمرا لله طوعا بطبيعة النفس (والذى خبت) أى المكان السبخة (لا يخرج) أى نباته (الانكدا) أى يتعب وكذلك المنافق لا يؤدى مآثره الا كراهه بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الأرض السبخة يقل ثمرها ومع ذلك ان صاحبها لا يتركها بل يربط نفسه في اصلاحها طبعامته في تحصيل ما يليق بهامن النفعة فأطلب النفع العظيم في الدار الآخرة بالمشقة في أداء الطاعات وأولى من طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة (كذلك) أى مثل ذلك التصرف (نصرف الآيات) أى نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى فيفتكرون فيها (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) وامم نوح عبد الغفار وهو ابن لمكا بن متوشلخ بن أخنوخ وسعى نوحا بما لبعونه على قومه بهلاك أولي أبعته و به فى شأن ولده كنعان أولاده من بكب مجنوم فقال له اخى يا قبيح فأوحى الله اليه أعطني أم عبت الكلب فكثير نوحه على نفسه لذلك (فقال يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوا موجدكم (مالك من الله) أى من مستحق العبادة (فخبره) قرأ الكسائي بالجرج على أنه نص لاله باعتبار لفظه باليقون بالرفع صفة له باعتبار محله الذى هو الرفع على الاستداء أو القاطعية وقرئ بالنصب على الاستثناء بمعنى مالك من إله الاياه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى انى أعلم ان العذاب ينزل بكم امانى الله نياؤ فى الآخرة ان لم يقولوا ذلك الدين (قال للآمن قومه) أى قال الكبراء الذين جلاوا أنفسهم أصداد الأنبياء (اننا نراك) يانوح (في ضلال مبين) في المسائل الأربع وبهى التكليف والتوحيد والنسب والمعاد (قال يا قوم ليس في ضلالة) أى ليس في نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكني رسول) اليكم (من رب العالمين) بأنفسكم رسالاتى (قرأ أبو عمرو بسكون الباء) (وأصبح لكم) فتبليغ الرسالة هو أن يعرفهم أنواع تكليف الله وأقسام وأمره ونواهيهِ والنصيحة هي أن يرضيهم في الطاعات ويحذرهم عن المعاصي بأبلغ الجوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أنكم ان عصيت أمره عاقبكم في الدنيا بالظوظ وان في الآخرة بعقاب شديد خارج عما تصوره عقولهم (وأعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) أى استبعدتم وعجبتم من أن جاءكم وحى من مالك أموركم على لسان رجل من جنسكم أى فاتهم كانوا متعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شامر بنا لأزل ملائكة (لننكركم) أى لأجل أن يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتقوا) عبادة خيرا لله (وللمكذب ترحمون) أى ولكي ترحموا فلا تدبوا وهذا الترتيب في غاية الحسن فان المقصود من البتة الانذار والمقصود من الانذار التقوى من كل ما لا يبيح والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة في دار الآخرة (فكذبوه) أى نوحا في ادعاء النبوة وتبليغ التكليف من الله وأمر وأعلى ذلك أنكذب

تلك المدة للتطاوله (فأجيبنا هو الذين بمعنى الفلك) من الشرق والعذاب وكان من محبوبه في الفلك
 أربعين رجلا وأربعين امرأة روى ان نوح عليه السلام صنع السفينة بنفسه في طين وكان طولها ثمانمائة
 ذراع وعرضها خمسين وسكنها ثلاثين رجلا وثلاث طيور جعل ثلاث بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحوش وفي
 وسطها الناس وفي أعلاها الطيور وكبها في عاشر رجب ونزل منها في عاشر المحرم (وأعرقنا الذين كذبوا
 بآياتنا) أي برسولنا نوح بالطوفان (انهم كانوا قوما من) عن معرفة التوحيد والنبوة والحداد (والى
 عاد اخاهم) أي وأرسلنا إلى عاد الأولى واحدا منهم في النسب لافي الدين (هوذا) أماعاد الثانية وهم حمود
 فقوم صالحو بينهم ما تيسر (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالك من الغيرة أفلا تتقون) أي
 أتفتلون أفلا تتقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما ارتقوا الله ولم يعلموه نزل بهم ذلك
 العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا (قال الملا) أي الرؤساء (الذين كفر وامن قومه) واعاقل هنا الذين
 كفروا من قومه لأن الملا من قوم هوذا كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مرتدين أسس أسلم
 وكان يكتسب إيمانه بخلاف الملا من قوم نوح فكلمهم اجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن احد منهم مؤثما في
 أول دعائهم إلى الايمان (اننا نراك في سفاهة) أي انا نثبنتك يا هوذا متمكنا في خفة عقل حيث فارقت
 دين آياتك فان هوذا نهام عن عبادة الأنعام ونسب من عبدا إلى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك
 من الكاذبين) في ادعاء الرسالة (قال يا قوم ليس في سفاهة) أي ليس في شيء مما نسبوني اليه (ولكني
 رسول من رب العالمين) أي فانه في غاية من الرشد والصلق (أبليسك رسالاتي) بالأمر والنهي (وأنا
 لكم ناصح) أي أحذركم من عذاب الله وأدعوكم إلى الايمان والتوبة (أمين) أي ماثق على رسالة
 ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فكان هوذا قال لهم كنت قبل هذه الدعوى آمينا فيكم
 ما وجدتمني غدا ولا مبكرا ولا كذبا واعتزمتكم لي بكوني آمينا فكيف نسبتموني الآن إلى الكذب
 (أو عجبت ان جاء كذا ذكر) أي ا كذتم وعجبت من أن جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أي
 على لسان آدمي منكم (لننكركم) أي لنحذركم عاقبة ما أتم عليه من الكفر والناهي (واذكروا اذ
 جعلكم خلفاء من بعلمهم نوح) بأن أوردكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع
 والمصالح أو جعلكم ما وكافي الأرض فان ههنا دين عاد من ملك معمورة الأرض من رمل عال إلى شجر
 عمان (وزادكم في الخلق) أي في الناس (بسطة) وهي مقدار ما تبنيه يد الانسان ففتواوا على أهل زمانهم
 بهذا التقدير والوارد انهم منتشر كون في القوة والشدة ولأن بعضهم يكون ناصرا للبعض الآخر وأزال
 المناوئة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصح ان يقال انهم زادوا في الخلق بسطة
 قرأ نافع والبرزى وشعبو الكسائي والصادق أبو عمر وهشام وقتيل وحفص وخلف السمين وابن
 ذكوان وخلاهما (فأذكروا آلاء الله) أي نهاء الله عليكم واعملوا على طيقتك تلك الانعامات (لعلكم
 تفلحون) أي لكي تنجوا من الكفر وبوقوز وبالطوب (قالوا) يحجبون عن تلك المنافع العظيمة
 (أجئنا) يهود (لنعبد الله وحده) أي لنعصه بالعبادة (ونكر) أي نترك (ما كان عبدا باؤنا) من
 الأصنام (فأنا بما تمانا) أي بما تهذنا من العذاب بقولك أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) في
 اخبارك بزول العذاب وعرضهم بذلك القول اذ قالوا انهم هوذا بذلك العذاب ظهر ليقوم كونه كذا (قال)
 أي هوذا (فدفعوهم على عجبكم من ربكم رجس) أي رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان
 لانكم الكفر (وغضب) أي عذاب (أتجادلونني في أسماءه) عار يقص للسمي (سميتموها) أي سميتم
 بها (أتم وأبأؤكم) أصناما فانهم سمو الأصنام بالألوهة مع ان معنى الألوهية فيها معلوم (مازل الله بها)

(انهم كانوا قوما من) أي
 عحيث قالو بهم عن معرفة
 الله وقدرته (والى عاد) أي
 وأرسلنا إلى عاد (أخاهم)
 أي ابن أيمهم (هوذا قال
 يا قوم اعبدوا الله) أي
 وحده (مالك من الغيرة
 أفلا تتقون) أفلا تتقون
 نعمته (قال الملا) أي
 الرؤساء والجماعة (الذين
 كفروا من قومه اننا نراك
 في سفاهة) أي حق وجعل
 (وانا لنظنك من الكاذبين)
 أي فجاخت به من ادعاء
 النبوة وقوله (ناصح أمين)
 أي على الرسالة لا أكذب
 فيها (واذكروا اذ جعلكم
 خلفاء من بعلمهم نوح) أي
 استخلفكم في الأرض بعد
 هلاكهم (وزادكم في الخلق
 بسطة) أي فضيلة في الطول
 (فأذكروا آلاء الله) أي
 نعم الله عليكم (لعلكم
 تفلحون) أي كي تسعدوا
 وتبقوا في الجنة وقوله (فأنا
 بما تمانا) أي من العذاب
 (ان كنت من الصادقين)
 أي أن العذاب نازل بنا قال
 فدفعوهم (عجبكم من
 ربكم رجس وغضب) أي
 عذاب وسخط (أتجادلونني
 في أسماء سميتموها) كانت
 لهم أصنام سموها أسماء
 مختلفة فلما داهم الرسول
 إلى التوحيد استنكروا
 عبادة الله وحده (مازل الله بها

أى عبادتها (من سلطان) أى برهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الوجود لكل وإن الأصنام لو استحققت العبادة كان استحقاقها يجعله تعالى إما بزال آية أو نصب دليل وقوله تعالى منازل الله بهامن سلطان عبارة عن خلو مذاهبهم عن الحجة والبيئة (فاتظنوا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام وهو ما تطلبونه بقولكم فأنا بما تعبدنا (أنى معكم من المنتظرين) لما نخل بكم (فأجيبناه) أى هودا (والذين معه) فى الدين (برحة) عظيمة (منا) أى من جهننا (وقطعان دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استاصلنا الذين كذبوا برسلنا هود (وما كانوا مؤمنين) أى ما يقيننا أحدا من الذين لا يؤمنون فلو علم الله أنهم سيؤمنون لأغاثهم وقصتهم أن عادا قوم كانوا باليمن بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموها أحدها صمودا والآخر صندا والآخر هباء فبعث الله تعالى إليهم هودا وكان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة إذ ذاك المأبى أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فلما توجهوا إلى البيت الحرام هم سبعون رجلا من أماتهم منهم قبل بن غز ومرتد بن سمدرزوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خراجا عن الحرم فأبزل لهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشر بون الحرم وتغنمهم فقتل معاوية اسم أحدها مودة والأخرى جرادة فلما رأى معاوية ذهولهم باللهو عما قدموا له أحرز ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى واستحى أن يكلمهم خشي أن يفتنوا به ثقل مقامهم عليه فذرك ذلك للقبتين فقالا قل شرا لنفسهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا يا قيس وبحك قم فهيم • لعل الله يسقينا غمما

فيسق أرض عاد إن عاد • قد امسوا لا يبينون الكلاما

من الطش الشديد فليس رجو • بالشيوخ الكبير ولا تملما

ومعى فهيم أى أخف الدعاء والتمام هنا الطر فلما غننا به أزجهم ذلك وقالوا إن قومكم يتشوقون من البلاء الذى نزل بهم وقد أباطم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرتد بن سمدر والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطمع نبيكم وتبتم إلى الله تعالى سقاكم وأظهر اسلامه فقالوا معاوية احبس عنا مرتدا لا يقبل من منامكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيس اللهم اسق عاد ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابت ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيس اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم سمي وادى للثيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض بمطرنا فحاجتهم منهم نار عقيم وهى باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان ابتداء مجيئها فى صبيحة الأرباع فى الحادى والعشرين من شوال فى آخر الشتاء وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجا هودا المؤمنون معه فأثوا مكة فعبدا الله فيها إلى أن ماتوا وروى عن على بن رضى الله عنه أن قريه هود بمحضرموت فى كتيب أحر (والى هود أخاهم) أى وأرسلنا إلى هود أخاهم فى النسب لافى الدين (صالحا) وهود قبيلة أخرى من العرب سموها باسم أبيهم الأكبر وهود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى واد القرى (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالك من الغيرة قد جاءكم بينة) أى شاهدة بنوق وهى الناقة (من ركم) خلفها بالواسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على رسالة الله وإضافة الناقة إلى الله لتعظيمها وتخصيصها كما يقال بيت الله أولنا لأملاك لها غير الله أولنا حاجة الله على القوم. ووجه كونها آية لغير وجهان

من سلطان) أى من حجة
ورهان لكم فى عبادتها
(فاتظنوا) العذاب (أنى)
معكم من المنتظرين
ذلك فى تكذيبكم إياى
وقوله

الجليل لمن ذكروا تولى ولكل خلقتها من غير ترجيح وناقة الله عطف بيان لهذه أومبتانان ولكم خبر عامل في آية في نصها على الحال ويجوز أن يكون عامل الحال معنى التنبيه أومضى الإشارة وجملة قوله هذه ناقة الله لكم آية في محل رفع بدل من قوله بينة لئلا يهملوا مفسرته وجاز إبدال جملة من مفرد لئلا في معناه (فذكروها) أى فذكروها (تأكل في أرض الله) في الحجر أى الناقة ناقة الله والأرض أرض الله فذكروها تأكل في أرض ربها مائة كل فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) أى ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الأذى أكراما لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) أى بسبب أذاها (واذكروا) اذكروا جعلكم خلفاء من بعدكم أى فلما أهلك الله عادا عمرهم بلادها وخلفوه في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا أطولا (وبواكم في الأرض) أى أتاكم في أرض الحجر بين الحجاز والشام (تستخون من سهولها قصورا) أى تبنون من سهولة الأرض قصورا بما تملكون منها من الرهص واللين والآجر لليسيف وسميت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وحبسهم عن نيلها (وتستخون الجبال بيوتا) أى وتقربون في الجبال بيوتا للشقاء وذلك لطول أعمارهم فإن السقوف والأبنية كانت تبنى قبل فناء أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلثا قسمة إلى ألف سنة كقوم هود (فأذكروا آلاء الله) أى نعمه الله عليكم بقوله لكم فإنكم تستعمون مترفهون (ولا تهتوا في الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا في الأرض شيئا من أنواع الفساد (قال للملائكة الذين استكبروا من قوم هود الذين استضعفوا لمن آمن منهم) أى قال الجماعة الذين تكبروا عن الإيمان بصلاح السالكين الذين آمنوا به فقلوه تعالى لمن آمن منهم بدل من الوصول بإعادة العامل بدل الكل وضيم منهم رابع لقومته أى قالوا للثلاثين الذين استردوهم بطريق الاستعزاء بهم (أنتمون أن صالحا من ربه) اليكم (قالوا) انما أرسل به مؤمنون) أى نحن مصدقون بما جاء به صالح (قال الذين استكبروا) عن امتثال أمرهم به وهو الذى أوصله الله إليهم على لسان صالح بقوله فذكروها تأكل في أرض الله (انما الذى آمنتم به كافرون فمكروا الناقة) أى قتلها قدسار بن سالف بأمرهم في يوم الأرباء فقال لهم صالح ان آية العذاب أن تصبحوا غدا صفرا ثم أن تصبحوا في يوم الجمعة حمرا ثم أن تصبحوا يوم السبت سودا ثم يصبحكم العذاب يوم الأحد (وعتوا عن أمرهم) أى ارتفعوا فأبرأ عن قبول أمرهم به الذى أمرهم صالح (وقالوا) استعزاء (يا صالح) اتنا بما نعدنا أى من العذاب (ان كنتم من الرسلين) فأنهم كذبوا صالحا في قوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب أليم (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أى صاروا في بلدتهم خادعين موفى لا يشعرون كونهم كاذبين كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب من غير اضطراب ولا حراك فزوى أنه تعالى لما أهلك عادا قائما ثم دناهم وطال عمرهم وكثرت نعمهم ثم عصوا الله وعبدوا الأصنام فبعت الله إليهم صالحا وكان منهم ظالموه بالمعجزة فقال ما تريدون فقالوا نخرج معننا في عيدنا ونخرج أصناما فقتلنا المك ونسأل أصنامنا فإذا ظنر أثر دعائنا اتبعناك وان ظنر أثر دعائنا اتبعنا فخرج معهم ودعوا وأوثانهم فلم تجبه ثم قال سيدهم جندع من عمر وصالح عليه السلام وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال تلك الصخرة كاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة كبيرة جوفاء وبراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم اللواتيق أنه ان فعل ذلك آمنوا فقبلوا فليس ركنين ودعا الله تعالى فمخضت تلك الصخرة كما تمخض الحامل ثم انفجرت عن ناقة عشرة جوفاء وبراء وكانت في غاية الكبر ثم تحج ولدا متلها في العظم ظمًا من يجندع ورهط من قومهم وأراد

(فذكروها تأكل في أرض الله) أى سهل الله عليكم أمرها فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها وقوله (وبواكم في الأرض) أى أسكنكم وجعل لكم فيها مساكن (تستخون من سهولها قصورا) أى تبنون القصور بكل موضع (وتستخون من الجبال بيوتا) يريد بيوتا في الجبال يسقونها فكانوا يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف (قال للملائكة وهم الأشراف الذين استكبروا من قومهم) عن عبادة الله (الذين استضعفوا) يريد السالكين (لن آمن منهم) بدل من قوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم لانهم المؤمنون (فمكروا الناقة) أى نصرها (وعتوا عن أمر ربهم) أى عصوا الله وتركوا أمره في الناقة (وقالوا) يا صالح اتنا بما نعدنا من العذاب (فأخذتهم الرجفة) وهى الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أى بلدتهم (جاثمين) أى خادعين مبينين

أشراف نمود أن يؤمنوا به فنهام ذؤاب بن عمرو والحجاب صاحباً أوثانهم وروى باب بن صمير كاهنهم
فككت الناقة مع ولدها رمى الشجر وتشرى باللاه وكانت ترد غبا فاذ كان يومها وضعت رأسها في
البئر فارتفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تخرج بين رجلها فيحلبون ماشوا حتى تملأ وأوابهم
فيشربون ويذخرون وكانت اذ اوقع الحرتصيف بظهر الوادي فيهرب منها أناسهم واذ اوقع البرد
تشقت بطن الوادي فتهربوا مشبه فشق ذلك عليهم وزيت فقرها لهم امرأتان عذرة وصدة
لما أضرت بهن مواسمهم فقرروا واقتسموا لهما وطبخوه فرق ولدها جبلا مسمى بقارة فرغا ثلاثا
وقال صالح عليه السلام لهم أدركوا الفصل غنى أن رفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت
الصخرة بمرغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبسون غدا وجوهكم مصفرة وبعثوا وجوهكم حمرة
واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم تصبغكم العذاب فلما راوا الالامات طلبوا أن يقتلوه فأجابه الله
نعالى إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع واشتد العطش تحضطوا بالصبر وتكفوا بالأنطاع
فأتهم مسيحين من السماء ورجفة من الأرض فقطعت قلوبهم وهلكوا (فتولى عنهم) أى خرج
صالح من بينهم قبل موتهم (وقال يا قوم لقد ألقيتكم رسالتى ونيصحتكم) أى بالترغيب والترهيب
وبذلك فكم وسى ولكن لم تقبلوا مني ذلك كما قال (ولكن لا تعيون الناصحين) أى لم تطيعوا
الناصحين بل تستمروا على عدوتهم وروى أن صالحا خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي
فالتفت فرأى السخان ساطعا فلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة تدار (ولو طأ) أى وأرسلنا لوطا
إبن هارن إلى قومه أى فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وهى بلد جمص (اذقال لقومه) أى وقت قوله
لهم فراسله إليهم لم يكن في أول وصوله إليهم (أتأتون الفاحشة) أى أنتمون اللواط (ماسيقكم بها)
أى بهذه الفاحشة (من أحد من الملائين) قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في
الأرض منها فقصدهم الناس فأذوهم ففرض لهم إبليس في صورة شيخان فطمع بهم كذا وكذا فاجتمع
منهم فابوا فألق عليهم فقصدهم فاصابوا غلمانا حسنا فاستحسب قديم ذلك (أنكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء) أى أنكم لتأتون أدمار الرجال لجرد الشهوة للالوه ولا للافقة متجاوزين
فروج للنساء الا لا من محال الاشتهاة وقرأنا نافع وحفص عن عاصم أنكم همزة واحدة مكسورة
على الجهر الساكن وهى بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن كثير بهمزتين بدون ألف بينهما وبسهل
الثانية وأبو عمرو وكذلك لكنه أدخل الألف بينهما وهشام بتحقيق المهمزتين بينهما د والباقيون
بتحقيقهما من غير مد بينهما على الأصل وهذا الاستفهام معناه الانكار (بل أنتم قوم مسرفون)
أى تجاوزون الحلال إلى الحرام وأنتم قوم طردنكم الزيادة في كل عمل (وما كان جواب قومه الا أن
قالوا) أى ما كان جوابا من جهة قومه شى من الأشياء في المرة الأخيرة من مرات الماورة بينه وبينهم
الاقولم لبعضهم الآخرين للباشرين تلك الأمور معرضين عن مخالطة لوط عليه السلام (أخرجوهم)
أى لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريشكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتزهدون عن
أدمار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل الافتخار بمجاهد فيه (فأتجنبا)
أى لوطا (وأهله) وهم بناته (الامراته) الكافرة واسمها واهلة (كانت من الغابرين) أى
الباقيين في ديارهم فهلك في العذاب مع المالكين فيها لانهاتر الكفر موالية لأهل سدوم وأما
لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى اقله الأرض في وقته حتى نجى ووصل الى ابراهيم وهو في
فلسطين (وأمرتنا عليهم مطرا) أى وأرسلنا عليهم امسال الطرأجر احر وقام معونا الكبريت والنار
قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وادخل جناحه تحت مدائ قوم لوط فاقتلهم ورفعها الى السماء

(فتولى) أى أعرض
(عنهم) صالح بعد نزول
العذاب بهم (وقال يا قوم
لقد ألقيتكم رسالة ربي
ونصحت لكم) أى خوفكم
عقاب الله وهذا كما خالب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتلى بدر (ولو طأ)
يعنى وأرسلنا لوطا أى
واذ كر لوطا (اذقال لقومه
أتأتون الفاحشة) يعنى
اتبان الذكر (من ماسيقكم
بها من أحد من الملائين)
قالوا ما رى ذكر على ذكر
حتى كان قوم لوط (أنكم
لتأتون الرجال شهوة من
دون النساء بل أنتم قوم
مسرفون فما كان جواب
قومه الا أن قالوا أخرجوهم
من قريشكم) يعنى لوطا
وأبناعه (انهم أناس
يتطهرون) أى عن آيات
الرجال في أدمارهم (فأتجنبا
وأهله) أى ابنتيه (الامراته)
كانت من الغابرين) أى
الباقيين في عذاب الله
(وأمرتنا عليهم مطرا)
يعنى حجارة

ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة وقيل للمنى وأترناع الحارجين من اللذان الحجة
حجارة من السماء منسفة عليها اسم من ربي بها وروى أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف بالحجارة
أربعين يوما حتى قضى تجارتهم فخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف كان عاقبة الحارجين) أى فاقتر
يا من يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوع بالثأر متابع في النزول على من يعمل
ذلك العمل المخصوص وكيف أسقط مداتها مقولة إلى الأرض (والى مدن أخاهم) أى وأرسلنا
إلى أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أخاهم في النسب لاني الدين (شعيبا) بن ميسكيل وقيل
شعيب بن توب بن مدين بن ابراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفر ونحس للكيل واللبزان (يا قوم
اعبدوا الله) وحده (مالكم من الله غيره قد جاءكم بينة) أى معجزة (من ربكم) دالة على رسالة
الله وعلى صدق ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه إلى موسى وتلك الصلابة بتاتين
وأنه قال لموسى ان هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد في أوتلها وياض في آخرها وقنوه بيتا منك
فكان الأمر كما أخبر عنه وأنه وقع على يده عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبيل
استنبأ موسى عليه السلام وقيل ان الراد بالينة نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الصكيل
واللبزان) أى أتموا كيل الصكيل ووزن اللبزان (ولا تبيحوا الناس أشياءهم) أى ولا تقصوا
حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وارتاع الأموال
بطريق الخيل وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الأمسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تقصدوا
في الأرض) بالمعاصي (بعد اصلاها) بعد أن أصلحها الله بتذكير التمس فيها قال ابن عباس كانت
الأرض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها للمعاصي وتستحل فيها الحرام وتسفك فيها الدماء
فذلك فساده فلما بعث الله شعيبا ودعاهم إلى الله صلحت الأرض وكل نبي يبعث إلى قومه فهو
صالحهم وحاصل هذه التكاليف الحجة يرجع إلى أمليين أحدهما التعليل لأمراقه ويدخل فيه
الافرار بالوحيد والثبوت وثانيهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك البخس وترك الافساد
(ذلكم) أى هذه الأمور الحجة (خير لكم) مما تأتمم فيه في طلب المال لأن الناس إذا علموا منكم الوفاء
والصدق والامانة رغبوا في المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لي
في قولي هذا (ولا تقصدوا بكل صراط توعدون) أى ولا تجلسوا على كل طريق فيه يمر الناس تهمدون
من ربكم من الثرىاء فكانوا قطع طريق وكانوا مكاسين (وتعدون عن سبيل الله من آمن به) أى
وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتنبؤنها عوجا) أى وتطلبون سبيل الله معوجة بغاة الشكوك
والشبهات فكانوا يجلسون على الطريق ويقولون لن يرشد شعبا انه كتابا يرجع لا يفتنك عن دينك
فان آمنت به قتلناك وجملة الافعال الثلاثة التي هي توعدون وتصنون وتنبؤن أحوال أى لا تفعلوا
موعدين وصانين وباغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قليلا) بالبد (فكنتم) بالبد
قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله تعالى في نسلها بالركه فكثروا (واظنوا
كيف كان عاقبة للفسدين) أى كيف صار آخر أمر للذين قبلكم بالهلاك بتكذيبهم رسولهم (وان
كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والأحكام (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أى
فاتظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا من مؤمن وكافر بأعلاء
درجات المؤمنين وبإظهار هوان الكافرين (وهو خير الحاكمين) أى انه تعالى حاكم عادل معزه
عن الجور (قال للآل الذين استكبروا من قومه) أى قال الجماعة الذين أقنوا من قبول قوله
وبالتوا في التوا (لتخرجنكم يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق

(والى مدين) وهم قبيلة
من ولدا ابراهيم عليه السلام
(قد جاءكم بينة من
ربكم) أى موعظه (فأوفوا
الصكيل واللبزان) أى
أتموها وكانوا أهل كفر
ونحس للكيل واللبزان
(ولا تقصدوا في الأرض)
أى لا تصدوا فيها بالمعاصي
بعد أن أصلحها الله ببعثه
شعيبا وأمرها بالعدل (ولا
تقصوا بكل صراط توعدون)
أى لا تقصدوا على طريق
الناس تخفون أهل الايمان
بشعيب بالقتل ونحو ذلك
(وتصدون عن سبيل الله
من آمن به) أى وتصرفون
عن الاسلام من آمن
بشعيب (وتنبؤنها عوجا)
أى تلتبسون لها الزيف
(واذكروا) اذ كنتم
قليلا (فكنتم) أى بعد
القلة وأعزكم بعد القلة
وذلك أنه كان مد بين
ابراهيم زوجته رثا بنت
لوط فولدت حتى كثر عدد
أولادها (قال للآل الذين
استكبروا من قومه
لتخرجنكم يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا)

في ملتنا فلا تفارقكم على مخالفتنا (قال) شيع (أولوكنا كارهين) أي تحير وقتا على العود في ملتكم وإن كر هذا ذلك وقوله (وما يكون لنا أن نعود فيها الآن يشاء الله ربنا) أي الآن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها (وسعر ربنا كل شيء علما) أي علم ما يكون قبل أن يكون (ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق) أي احكم واقض وقوله (كان لم يشؤا فيها) أي لم يقموا فيها ولم يتزادوا قوله (فكيف أتى على قوم كافرين) أي كيف يشتد حزنهم عليهم ومعناه الانكار أي لا آسى (وما أرسلفنا قرية) أي في مدينة (من نبي) فكذب أهلها (الا أعصيناهم بالآباء والضراء) أي بالفقر والجوع (لهم يضرعون) أي كي يستعينوا ويرجعوا (م بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي بدل البؤس والارض التثني والصحة (حتى عفا) أي كثروا وسمنوا وأموالهم (وقالوا) من غرتهم وجهلهم (قد مس آباءنا الضراء والسرء) أي قد أصاب آباءنا في الدهر مثل ما أصابنا وذلك عادة الدهر ولم يكن ماسنا عقوبتهم فكفونا على ما أتى عليه فلما فسدوا على الأمرين جميعا أخذهم الله (بضة)

بالإخراج لا بالإيمان أي والله لنخرجك وأنبأك من مدين (أوتعودون في ملتنا) أي أو لتصيرن إلى ملتنا (قال أولوكنا كارهين) أي قال شيع أنصيرونا في ملتكم وإن كنا كارهين للدخول فيها (قد افترينا على الله كذبا) عظيما حيث زعم أن الله تعالى قد نادى (إن عدنا) أي أن دخلنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) أي من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الآن يشاء الله ربنا) أي وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم الآن بأمر الله بالدخول فيها وهي ملت ذلك (وسعر ربنا كل شيء علما) أي ربما كان في علمه تعالى حصول بقاءنا في هذه القرية من غير أن نعود إلى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت أمرنا دليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أي في أن يشتتنا على ما نحن عليه من الإيمان (ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق) أي ياربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاحين) أي الحاكمين أولمعي أظهر أمرنا حتى نفتح ما بيننا وبينهم بأن نزل عليهم عذابا يتميز به الحق من البطل (وقال للآ الذين كفروا من قومهم) أي وقال الرؤساء من قوم شيع بالسفلة (لئن اتبعتهم شيئا) في دينه (أنكم إذا لحسرون) في الدين وفي الدنيا لأنه منعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا الحال كل حالهم في الضلال والاضلال فاستحقوا الأهلاك (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة للهلكة (فأصبحوا في دارهم جائعين) أي فصاروا في مساكنهم خائدين سالكين بلا حياة (الذين كذبوا شيئا كأن لم يشؤا فيها) أي الذين كذبوا شيعيا استؤصلوا بالمرقة صاروا كأنهم لم يقيموا في قريتهم أصلا أي عوقبوا بقولهم لنخرجك يا شيع والذين آمنوا معك من قريتنا وصاروا هم المخرجين من القرية إخراجا لدخول بدما بدأ (الذين كذبوا شيئا كانوا هم الحاسرون) ديننا ودنيادون الذين اتبعوه فانهم الرابحون في الدارين (فتولى عنهم) أي خرج شيع من بينهم قبل الهلاك وقال الكبي ولم يلب قوم نبي حتى أخرج من بينهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربِّي) بالأمروا والتهنى (وضعت لكم) أي حذرتمكم من عذاب الله ودعوتكم إلى الإيمان والتوبة وإنما اشتد حزنه على قومهم لأنهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة للإيمان فلما أنزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كجس الربع عنهم سبعة أيام حصل في قلبه الحزن من جهة القراية والمجاورة وطول الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف آسى) أي أحن حزنا شديدا (على قوم كافرين) لأنهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر وقيل قال شيع ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد أغرت اليكم في الإبلاغ والنصيحة بما حل بكم فلم تسمعو قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم ولما أدا بهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الإنسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف آسى بالآتين (وما أرسلفنا قرية من نبي) فكذب أهلها (الا أعصينا أهلها) أي طعناهم (بالآباء) أي الشدة في أحوالهم كالحوف وضيق العيش (والضراء) أي الأمراض والأوجاع (لهم يضرعون) أي كي يتذللوا ويتقادوا لله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي ثم أعطيناهم السمة والصحة بدل ما كانوا فيهم من البلاء والمرض لان ورود النعمة في المال والبدن يدعو إلى الاشتغال بالشكر (حتى عفا) أي كثروا في أنفسهم وأموالهم (وقالوا أقمنا الضراء والسرء) كما أصابنا وهذه عادة الزمان في أهل قريته يحصل فيهم الشدة والشك وحرمة يحصل لهم الرخاء والراحة فصبروا على دينهم فحن منهم فقتدى بهم ولم يلبست عقوبتهم الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم يتقادوا بالشدوة بالرخاء ولم يتبعوا بذلك الإهمال أخذهم الله بضة أي آبا كانوا كآقال تعالى (فأخذناهم) بذلك (بضة) أي جأة العذاب

وهم لا يشعرون) أى لا يعلمون بزول العذاب بهم وهذا نحو يوسف بشرى فرئيس (ولو أن أهل القرى آمنوا) أى وحدوا الله (واقفوا) أى
واقفوا الشرك (فتحتنا عليهم بركات من السماء) أى بالطر (و) من (٢٩١) (الارض) أى بالنبات والتجار (ولكن
كذبوا) أى كذبوا الرسل

(فأخذناهم) أى بالجوبة
والتحط (بما كانوا
يكسبون) أى من الكفر
والعصية (فأمن أهل
القرى) أى من مكة ومحولها
ومعنى هذه الآية وما بعدها
أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا
ليلاً ولا نهاراً بعد تكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم
وهم في غير ما يجدي عليهم
(فأمنوا مكر الله) أى
عذب الله أن يأمنهم بقية
(وأولهم) أى بين (الذين
يرثون الارض من بعد
أهلها) أى كفار مكة
ومن حولهم (أن لو نشاء
أصنافهم يذنبون بهم
وطنيهم) حتى يموتوا
على الكفر فيدخلوا النار
والنار وأولهم أئمة
فلما ذلك (تلك القرى)
أى التي أهلكت أهلها
(نقص عليك من أئمتها)
أى تساو عليك من
أخبارها كيف أهلكت
(ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات) يعنى الذين
أرسلوا إليهم (فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من
قبل) أى فما كان أولئك

(وهم لا يشعرون) أى وقت زول العذاب ولا يخطر ببالهم شيئاً من الكاره (ولو أن أهل القرى
الذين أهلكتناهم (أمنوا) بالله ولا تنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واقفوا) مانهى الله عنه
(فتحتنا عليهم بركات من السماء) بالطر (والارض) بالنبات والتجار وللواشى وحصول الأمن
والسلامة وقرأ ابن عامر لفتحنا بتشدائد الله لتكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يتقوا ما حرم الله
(فأخذناهم) بالجوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (فأمن أهل
القرى) أى بعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأمنهم بأسنا) أى عذابنا (بينا) أى ليلاً (وهم
نائمون) أى غافلون عن ذلك (وأمن أهل القرى أن يأمنهم بأسنا) أى نهاراً (وهم يعلبون)
أى يشغلون بما ينفعهم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر يسكنون الولو (فأمنوا مكر الله) أى عذاب
الله (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وهم الذين لا يعرفون ربهم لفقتهم فلا يحفونهم وسعى
العذاب مكرنا لنزولهم بهم من حيث لا يشعرون (وأولهم الذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء
أصنافهم يذنبون بهم) قرأ الجمهور يهدد بالياء من تحت أى أولهم الذين يرثون أرض مكة من
التقديمين ويسكنونها من بعد هلاك أهلها فدينناهم بسبب ذنبهم لو شئنا ذلك كاعذابنا من قبلهم
وقال يهدمصد مؤول من أن وما في حيزها أن نزل يهدم منزلة الا لازم والافسولة عذوف والتقدير أول
يوضح للوارثين أرض مكة من بعد هلاك أهلها عاقبة أمرهم أن الشأن لو نشاء الاصابة أصنافهم بجزاء
ذنبهم كما أصنافنا من قبلهم وأهلكتنا الوارثين كما أهلكتنا للورثين (ونطيع على قلوبهم) أى أن
نهلكهم بالمقاب نطيع على قلوبهم (فهم لا يعلمون) أى لا يقبلون موعدة من أخبار الأمم المهلكة
والمراد اما الاهلاك واما الطبع على القلب لان الاهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فاذا أهلك شخص
يستحيل أن يطبع على قلبه واما يحصل الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولاً ثم يصير مطبوعاً
عليه في الكفر ولم يكن هذا التفرير منافياً لصحة عطف قوله ونطيع على أصنافهم (تلك القرى)
وهي قرى قوم نوح وعاد وهود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) أى كرم الرسل (من أئمتها)
كيف أهلكت واما نحن الله انباء هذه القرى لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا أنهم
على الحق فذكرها الله تعالى تنبيها لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال
(ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أى وبالله لهدى لكل أمة من تلك الأمم المهلكة أنبياءهم الذين أرسلوا
إليهم بالمعجزات الواضحة البالغة على صحتهم لوجوبه للإيمان (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من
قبل) أى فيمروا بالمعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع التي كذبوا قبل رؤية تلك
المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتسامعون بكلمة التوحيد من بقايا من
قبلهم فيكذبونها ثم كانت حلالم بعد مجيء نبيهم الذي أرسل إليهم كحالهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد
(كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أى مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الجاهلية
يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أى
وما وجدنا أكثر الناس على إيمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي عاهدهم الله وهم في
صلب آدم حيث قال لئن لم يكن قالوا لبي فقلنا أو ابرو بوبية الله تعالى في عالم الزم خالفوا ذلك في هذا
العالم صار كأنهم كان لهم عهد (وإن وجدنا أكثرهم لفاستقن) أي وان الشأن والحديث وجدنا أكثر

الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا يوم أخرجناهم فآفروا باللسان وأصمروا بالتكذيب (كذلك) أى مثل ذلك الذي
طبع الله على قلوب كفار الأمم (يطبع الله على قلوب الكافرين) أى الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)

(موسى) بآياتنا لفرعون
وملكه فظلموا بها) أي
فكذبوا بوجوه (فانظر)
أي بين قلبك (كيف
كان عاقبة للفسدين) أي
كيف كان عاقبتهم وكيف
فعلنا بهم وقوله (حقيق
على أن لا أقول) أي أنا
حقيق بأن لا أقول (على الله
الالهي) أي الاما هو الحق
وهو أنه واحد لا شريك له
(قد جئتكم ببينة من ربكم)
أي بأمر بكم وهو الصا
(فأرسل موسى إلى إسرائيل)
أي أطلق عنهم وظلمهم وكان
فرعون قد استخدمهم
في الأعمال الشاقة وقوله
(فأذا هي) أي الصا
(ثبيان) وهو أعظم ما
تكون من الحيات (مبين)
أي بين أسمية للباس فيه
(وزع يده) أي أخرجا
من جيبه وقوله (ريد أن
يخرجكم من أرضكم) هنا
من قول الأشراف من قوم
فرعون قالوا ريد موسى
أن يخرجكم معشر القبط
من أرضكم يري ملككم
بثبوت عنوكم بني إسرائيل
عليكم فقال فرعون لهم
(فإذا تأمرون) أي
تشيروا به على (قالوا
أرجسه وأخاه) أي آخر
أمره وأمر أخيه ولا تعجل

الأمم في عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم يثمان من بعدهم) أي من بعد انقضاء
الرسول للذكورين أومن بعد هلاك الأمم المحكية (موسى بآياتنا) التسع الدالة على صدقه (إلى
فرعون) واسم قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أر بعماثة سنة وعاش
سبعمائة وعشرين سنة ولم يرق تلك للدكتور وهافظ من وجع أوحى أوجوع ولوحصل ذلك لما دعى
الربوبية (وملكه) أي عظماء قومه (فظلموا بها) أي بتلك الآيات أي وضعوا الانكار في موضع
القرار ووضعوا الكفر في موضع الإيمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فانظر) أيها
الغافل بين عقلك (كيف كان عاقبة للفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يافرعون افرسول)
اليك والى قومك (من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الالهي) وقرأ أنفع على بنسبده
الباء فحقيق مبتدأ وخبره ما دخلت عليه أن أي واجب على ترك القول على الله الالهي والباقون
بعد الام واللعني أنا ثابت بأن لا أقول على الله الالهي وقرأ بأن لا أقول بالياء وقرأ عبد الله والأعشى
أن لا أقول بدون حرف جر (قد جئتكم ببينة) أي معجزة شاهدة على رسالتي (من ربكم) فأرسل
موسى بني إسرائيل أي ظلمهم حتى ذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم مع أموالهم
فكان فرعون عاملهم معاملة العبيد في الاستخدام (قال) أي فرعون (ان كنت جئت بآيات
بها) أي ان كنت جئت بآية من عندي أرسلك فأخضرها عندي ليثبت صدقك (ان كنت من
الصادقين) في دعواك أنك رسول (فألقى) موسى (غصافا ذاهي ثبيان) أي حية ضخمة صفراء ذكر
(مبين) أي ظاهر لا يشك في كونه ثبيان روى أنه لما ألقاها صارت ثبياناً أشعر فاغراقه بين لحية
ثمانون ذراعاً وضع لحية الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليقتله
فوثب فرعون عن سريره هارباً وأحدث وانهمز الناس مزدحمين فأت بهم خمسة وعشرون ألفاً
فصاح فرعون يا موسى أنت ذلك بالذي أرسلك خذ وأنا أومن بك وأرسل ملك بني إسرائيل فأخذه
فمادعاً (وزع يده) أي أخرجهما من طوق قبضه (فأذا هي يضاء) يضاء نوراً يغلب شعاعه شعاع
الشمس (لناظرين) قال اللا من قوم فرعون) أي الرؤساء منهم وهم أصحاب مشورة (ان هذا) أي
موسى (لساير عليهم) أي خذوا بالسرقاتهم قالوا ذلك مع فرعون على سبيل التشاور (ريد أن
يخرجكم من أرضكم) أي من أرض مصر (فإذا تأمرون) قاله لفرعون خدمه والأكابرة ان الشياطين
يفوضون الأمر والنهي إلى الخسوم والتبوع أولاً ثم يذكرون ما حضر في خواطرهم من الصلحة
بقولهم أرجوا وأخاه قال تعالى (قالوا أرجه) فيمستقرا آت ثلاثاً بآيات الحمزة التي بعنا لجم وهي كسر
الماء من غير أشباع لا بن ذكوان عن ابن عامر ومنها كذلك لأن عمرو وباشباع حتى يتولد من
الضمة واو على الأصل لا بن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بحذف الحمزة وهي سكن الماء وصل
ووقف والصم وحزرة وكسر الماء من غير أشباع لقالوا وبه حتى يتولد منها ينافع والكسائي وورش
أي آخر أمر موسى ولا تعجل في أمره بحكم والمراد أنهم حلوا على امرضة معجزة بسحرهم ليكون ذلك
أقوى في إبطال قول موسى (وأخاه) هرون (وأرسل في بلدان حاشرين) أي وأرسل في مدائن صعيد
مصر شرطاً يحشرون اليك ما فيه من السحرة وكان رؤساء السحرة قومه ثم في أقصى مدائن الصعيد
(بأولئك بكل ساحر عليهم) أي ما هر في السحر وقرأ حمزة والكسائي سحاراً اتفقوا عليه في سورة
الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعدما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا ان لنا لأجراً) على الغلبة قرباً نافعاً

(وأرسل في بلدان) أي في مدائن صعيد مصر (حاشرين) أي رجالاً

(وابن)

يحشرون اليك من في الصعيد من السحرة فأرسل (وجاء السحرة فرعون) فطلبوه بالمال والجوايز ان غلبوه فأجابهم فرعون ان ذلك

وابن كثير وحفص عن عاصم بن بهزة واحدة وأبوابون بهزتين وأدخل أبو عمر والألف بينهما (ان كنا نحن الغالبين) لموسى (قال نعم) وقرأ الكسائي بكسر الهمزة (وانكم لمن اللقرين) أى تم لكم الأجر ولكم المنزلة الرفيعة عندى زيادة على الأجر أى فأنى لأقتصر بكم على الثواب بل أزيد بكم عليه وتلك الزيادة أى جعلكم من اللقرين بالمنزلة (قالوا لموسى) أى أن تلقى عصاك أولاً وإما أن تكون نحن اللقرين) مامعنا من الحبال والعصى أولاً فلما راعوا حسن الأدب حيث قدموا ذكر موسى عليه السلام زعموا الإيمان ببركة رعايته هذا الأدب (قال) موسى يريد الإبطال ما أتوا به من السحرة وراه شأنهم (القول) ما تلقون (فلما ألقوا) عصيا وحبالا (سحروا عين الناس) أى صرفوها عن إدراك حقيقتها فتعبدوا أحوالاً عجيبة مع أن الأمر فى الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قيل انهم أتوا بالحبال والعصى ولطخوا تلك الحبال بالزيت وجعلوا الزيت فى دواخل تلك العصى فلما أترسخت الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جداً فأنس تخيلوا أنها تحرك وتلتوى باختيارها وقدرتها (واستعجبوهم) أى بالقوا فى تخويف عظيم لقوام من حر كات تلك الحبال والعصى وخلف موسى أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته فكان خوفه لأجل فرع الناس واضطر بهم عراؤه من أمر تلك الحيات وليس خوفه لأجل سحرهم لأنه كان على ثقتهم بالله تعالى أنهم لم يظلبوه وهو عليهم (وجاءوا بسحر عظيم) فى باب السحر وعند السحرة قوام كان حقيراً فى نفسه قيل كانت الحبال والعصى حمل ثلثائة بغير وذلك أنهم ألقوا الحبال اغلاظوا وأخشا بطولاً فاذا هي حيات كأمثال الحبال فحملت الوادى يركب بعضها بعضاً وكانت تسمى الأرض ميلاف ميل فصار تكلها حيات (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سبقت الأفعى ثم فتحت فكيف كان ما بين فكيفها ثمانين ذراعاً وابتلع ما ألقوا من حبالهم وعصيم فلما أخضعها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم أصلاً كما قال تعالى (فاذا هي تلقف) أى تلقف (ما يافكون) أى الذى يقبلون نحن الحق إلى الباطل (فوقع الحق) أى فظهر الحق مع موسى (و بطل ما كانوا يسمون) أى واضمححل ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حياتنا وعصينا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لا لأجل السحر (فقلبو) أى فرعون وقومه (هناك) أى فى المكان الذى وقع فيه سحرهم (واقبلوا صاغرين) أى صاروا ذليلاً مبهوتين (والأحق السحرة ساجدين) أى خروا وسجدوا لله تعالى أى فن سرعة سجدوهم كأنهم ألقوا قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتحت فهاها ثمانين ذراعاً فكانت تبتلج حبالهم وعصيم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففرعوا ووقع الزاحم فبات منهم خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه ليس بسحر فنبذ ذلك خروا وساجدين (قالوا آمنا برب الملائكة) قال فرعون إياى تنعون قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما ظفروا بالبرقة سجدوا لله تعالى فى الحال وجعلوا ذلك السجود شكراً لله تعالى على الفوز بالإيمان والبرقة وعلامة على إقبالهم من الكفر إلى الإيمان وانظروا الخضوع والتذلل لله تعالى فكأنهم جعلوا ذلك السجود الواحدة علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع وأولئك القوم كانوا عالمين بحقيقة السحر فلما وجدوا معجزة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر الهى فاستلوا بها على أن موسى نبى صادق من عند الله تعالى فلاجل كمالهم فى علم السحر اتفقوا من الكفر إلى الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بك حال الانسان فى علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به)

وهو قوله (قال نعم وانكم لمن اللقرين) أى ولكم من الأجر للمنزلة الرفيعة عندى (قالوا لموسى) أى أن تلقى عصاك (وإما أن تكون نحن اللقرين) أى مامعنا من الحبال والعصى (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا عين الناس) أى قلبوها عن محبة أدراكها حيث رآوها حيات (وجاءوا بسحر عظيم) وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً فاذا هي حيات فحملت الوادى (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) فإذا هي تلقف (تبتلع ما يافكون) أى يكذبون فيه وذلك أنهم زعموا أن حبالهم وعصيم حيات وكذبوا فى ذلك (فوقع الحق) أى ظهر الحق (فقلبو هناك) واقبلوا صاغرين (والأحق السحرة ساجدين) أى خروا وعابدين سامعين مطيعين (قال فرعون آمنتم به)

قبل أن آذن لكم) أي صدقتم موسى (٢٩٤) من قبل أمرى أياكم (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) أنصنع صنعتموه فبأيديكم

و بين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع (تخرجوا منها أهلها) أي لتسولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها وتستولوا عليها بحركم (فسوف تعلمون) أي ما يظهر لكم (الآفطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي على خالفة وهو أن يقطع من كل شق طرفا (قالوا أنا إلى ربنا منقلبون) أي راجعون بالتوسيد والاخلاص (وما تنقم منا) أي وما تطعن علينا ولا تكرمنا (الآن آمنّا بآيات ربنا) أي ما أتى به موسى من العسا واليد (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي أصب علينا الصبر عند القطع (وآلهم سبيلا) أي أصب علينا الصبر حتى لا يرجع كفارا (وتوفنا مسلمين) أي غلطين على دين موسى قيل فصل فرعون ما نودعهم به وقيل لم يبق من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الدعاء في قومهم وتوفنا مسلمين لأنهم سألوه تعالى أن يكون توفيقهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الملا من قوم فرعون) له ما خيل سبيل موسى (أأمر موسى وقومه) من بني إسرائيل (ليفسدوا في الأرض) أي ليفسدوا على الناس في أرض مصر بتبديدهم واعلم أن فرعون يمدقوق هذه الواقعة كان كلأرى موسى خافه أشد الخوف فلما رأى السبب لم يرضه إلا أن قومهم يرفقوا ذلك فحماوه على أخذهم وحسبه (ويذكر وأهلكنا) أي مبدودنا بكسر اللام جمع له وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأُس وعلي بن أبي طالب والاهتك باللام ومدته أي وعبادتك وقرأ الإمامة نصب يذكرك عطفي على يفسدوا وأجواب الاستفهام بالواو وقرأ الحسن ونعيم بن مسيرة بالرفع عطفا على أنشأ واستنفاذا وألا وقرى بالسكون (قال) فرعون لما لم يقر على موسى أن يفعل معه مكرهما وخوفه منه (سنتقل أبناءهم) أي أبناء بني إسرائيل ومن آمن بضم التاء وفتح القاف وتشديد التاء (وستحجي نساهم) أي وتتركن أحياء الخيمة (وأنافوقهم قاهرين) كما كنا وهم مقيرون تحت أيدينا وأما ترك موسى وقومه من غير جسد لعلم التفاتنا إليهم للعجز والخوف واختلاف الفسرون ففهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال لم يفعل ذلك لعلم قدرته قوله تعالى أأتا ومن أتبعكم التالون (قال موسى لقومه) بني إسرائيل حين

و بين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع (تخرجوا منها أهلها) أي لتسولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها وتستولوا عليها بحركم (فسوف تعلمون) أي ما يظهر لكم (الآفطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي على خالفة وهو أن يقطع من كل شق طرفا (قالوا أنا إلى ربنا منقلبون) أي راجعون بالتوسيد والاخلاص (وما تنقم منا) أي وما تطعن علينا ولا تكرمنا (الآن آمنّا بآيات ربنا) أي ما أتى به موسى من العسا واليد (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي أصب علينا الصبر عند القطع (وآلهم سبيلا) أي أصب علينا الصبر حتى لا يرجع كفارا (وتوفنا مسلمين) أي غلطين على دين موسى قيل فصل فرعون ما نودعهم به وقيل لم يبق من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الدعاء في قومهم وتوفنا مسلمين لأنهم سألوه تعالى أن يكون توفيقهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الملا من قوم فرعون) له ما خيل سبيل موسى (أأمر موسى وقومه) من بني إسرائيل (ليفسدوا في الأرض) أي ليفسدوا على الناس في أرض مصر بتبديدهم واعلم أن فرعون يمدقوق هذه الواقعة كان كلأرى موسى خافه أشد الخوف فلما رأى السبب لم يرضه إلا أن قومهم يرفقوا ذلك فحماوه على أخذهم وحسبه (ويذكر وأهلكنا) أي مبدودنا بكسر اللام جمع له وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأُس وعلي بن أبي طالب والاهتك باللام ومدته أي وعبادتك وقرأ الإمامة نصب يذكرك عطفي على يفسدوا وأجواب الاستفهام بالواو وقرأ الحسن ونعيم بن مسيرة بالرفع عطفا على أنشأ واستنفاذا وألا وقرى بالسكون (قال) فرعون لما لم يقر على موسى أن يفعل معه مكرهما وخوفه منه (سنتقل أبناءهم) أي أبناء بني إسرائيل ومن آمن بضم التاء وفتح القاف وتشديد التاء (وستحجي نساهم) أي وتتركن أحياء الخيمة (وأنافوقهم قاهرين) كما كنا وهم مقيرون تحت أيدينا وأما ترك موسى وقومه من غير جسد لعلم التفاتنا إليهم للعجز والخوف واختلاف الفسرون ففهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال لم يفعل ذلك لعلم قدرته قوله تعالى أأتا ومن أتبعكم التالون (قال موسى لقومه) بني إسرائيل حين

ف(قال) فرعون (سنتقل أبناءهم) وكان قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان أنصنعوا أعاد عليهم فذلك قوله سنتقل أبناءهم (وستحجي نساهم) أي الهنة والخيمة (وأنافوقهم قاهرين) أي وأنافى ذلك قادرون فشا

بنوا اسرائيل الى موسى اعادة القتل على انبيائهم فقال لهم موسى (استعينوا بالله واصبروا) اى على ما يعلّم بكم (ان الارض قد ورثها من يشاء من عباده) اطعمهم موسى ان يؤتيهم الله من السماء والسموات (والعاقبة للثقلين) اى الجنة انى الله وقيل النصر والظفر (قالوا اؤذينا) بالقتل الاول (من قبل ان تأتينا) بالرسالة (ومن بعد ما جئتنا) اى باعادة القتل علينا والاعتاب فى العمل (قال عسى بكم ان يهلك عدوكم) اى فرعون وقومه (ويستخفكم فى الارض) اى يهلككم ما كان يملك فرعون (فينظر كيف تعملون) اى يفرى ذلك بوقوع ذلك منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) اى بالجذب لأهل البيادى (٢٩٥) (وتقص من الغرات) لأهل

القرى (لعلهم يدكرون)

أى كى يتطاولوا (فاذا جاءهم

الحسنة) اى الحطب

وسعة الرزق (قالوا لانهذه)

أى انا مستحقوه على

العادة التى جرت لنا من

النعمة ولم يعلّموا انهم الله

فشكروا عليه وان نصيبهم

سينتهى) اى فقط وجذب

(يطيروا) اى يتشاموا

(بموسى) وقومه وقالوا

انما اصابنا هذا الشر

بشؤمهم (الا اعطاهم

عند الله) اى شؤمهم

حاهم بكفرهم بالله (ولكن

أكثرهم لا يعلمون) اى

أن الذى اصابهم من الله

(وقالوا) موسى (مهاتنا

بمن آية) اى متى تأتينا بآية

(لتسحرنا بها فإفعلنك

بمؤمنين) فذاعلهم موسى

فأرسل الله عليهم السماء

بالماء حتى امتلأت بيوت

القيط ماء ولم يدخل بيوت

بنى اسرائيل من الماء قطرة

فذلك قوله (فأرسلنا عليهم

نضجوا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا)

على ما سمعتم من أقاويله الباطلة (ان الارض) اى أرض مصر (قد ورثها من يشاء من عباده)

وقرأ الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة للتكبير وقرئ يورثها بفتح الراء مبني

للفعول (والعاقبة) اى الجنة أو فتح البلاد والنصر على الأعداء (لثقلين) اى الذين آثم منهم فمن اتقى

الله تعالى قاله يمينه فى الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود ينصب العاقبة عطفا على الارض فلام معطوف

على الاسم والجبر على الخبر فوهن عطف للفردات (قالوا) اى بنو اسرائيل لموسى لاسمعوا تهديد

فرعون بالقتل لالبناء مرة ثانية (أؤذينا) من جهة فرعون (من قبل ان تأتينا) بالرسالة (ومن

بعد ما جئنا) رسولا قالوا ذلك استكنافا لكيفية وعلم موسى اياهم بزال تلك للضرر هل هو فى

الحال أولا لا كراهة لحي موسى بالرسالة (قال) اى موسى سليمان حين رأى شدة جزعهم عما شاهدوه

من فعل فرعون (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الذى توعدهم باعادة فعله (ويستخفكم فى

الارض) اى يحيلكم خلفاء فى أرض مصر بدهلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) اى يفرى

سبحانه تعالى كيف تعملون فى طاعته وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى قاله تعالى يرى

وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازى عباده على ما يعمل منهم فى الأزل وانما يجازيهم على ما يقع

منهم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) اى باحتباس الطر والجوع (وتقص من الغرات) اى

ذهاب الثمرات اصابة العاهات (لعلهم يدكرون) اى كى يتقوا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينجروا

عماهم عليهم السنو والنناد (فاذا جاءتهم الحسنة) اى الحطب والسمة فى الرزق (قالوا لنا

هذه) اى نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادة التى جرت (وان نصيبهم سينتهى) اى جدوبة

وشدتو بلاء (يطيروا) اى يتشاموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين اى يقولوا انما اصابنا

هذا الشر بشؤم موسى وقومه (الا اعطاهم) اى عظيهم (عند الله) اى كل ما يصيبهم من خير

أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره وقيل الذى انا جاءهم الشر بقضاء الله تعالى وحكمه وكان الذى

صلى الله عليه وسلم يتعامل ولا يتغير وأصل القال الكلمة الحسنة كانت العرب منهجها فى القال

والطير الواحد فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم القال وأبطل الطيرة (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) اى آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهاتنا

بمن آية لتسحرنا بها فإفعلنك بمؤمنين) اى أى شئ تظهره لدينا من علامة من عندك لتصرفنا

عما نحن عليه من الدين بذلك الشئ فإفعلنك بمصدقين بالرسالة وكان موسى رجلا حديدا فاند ذلك

دعاعليهم فاستجاب الله له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) اى الماء من السماء فدخل بيوت

الطوفان) ودام ذلك سبعة أيام فقالوا لموسى ادع لنا ربك بكشف عنا فؤمن ربك فدعا ربك فكشف فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد

فأكلت عاصم زروعهم وعمارهم فوجدوا أن يؤمنوا ان كشف عنهم فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل وهو الباب المنفر

التي لا اجنحة لها فتبع من حروهم وأشجارهم فصرخوا وصاحوا فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع تدخل

في طامهم وشرابهم فاهدوا موسى أن يؤمنوا فكشف عنهم فهدوا الى كفرهم فأرسل الله عليهم الهم صال النيل عليهم دما وصارت مياههم

كلها دما فذلك قوله

القيط وقاموا في الماء الى اراقهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ولم يدخل ذلك الماء بيوت بني اسرائيل مع أنها كانت في خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل الى موسى فقال اكشف عنا العذاب فقد صارت مصر بحرا واحدا فان كشفت هذا العذاب آمنا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل الرياح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لئلا لم نشعر فلاقه لا تؤمن بك ولا ترسل معك بني اسرائيل فنكسوا العهد (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل زروعهم وشجارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا الى موسى فدعا موسى عليه السلام فأرسل الله تمائر بحافا لفته في البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت فنظر أهل مصر الى ما بقي من زرعهم فقالوا هذا الذي بقي بكفينا ولا تؤمن بك (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم (القمل) أي الجراد الصغير بلا جناحة من سبت الى سبت فلم يبق في أرضهم عودا غسيرا إلا كلفه فاحوا ودعا موسى فأرسل الله عليهم صحارة فأحرقت وألته في البحر وقرأ الحسن والقمل يفتحان الف وكون اليم وهو للعروف وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كتيب أغفر فضر به موسى بصاه فصار قلا فأخذت في أبقارهم وأشعارهم وأشعار عيونهم وحواشيهم فصرخوا وفزعوا الى موسى فدعا فرغ الله عنهم القمل وقالوا قد نبينا اليوم لك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة ففرعون لا تؤمن بك أبدا (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) تخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع في الثياب والأطعمة فكان الرجل منهم يستقيظ وعلى رأسه ذراع من الضفادع فصرخوا الى موسى وحلقوا لأن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأمرت الضفادع وأرسل عليها للطر فاحتلمها الى البحر بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ثم أظفروا الكفر (و) أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم (الدم) فصارت مياه قلوبهم وأنهارهم دمافا يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهل بنو اسرائيل يجنون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشرف قومه يركبون الى أنهار بني اسرائيل فجعل يدخل الرجل منهم النهر فإذا اغترف الماء صار في يده دما ومكثوا سبعة أيام في ذلك لا يشربون الا الماء فقال فرعون لموسى عليه السلام لنزفوت عنا العذاب لنصدق لك وترسل معك بني اسرائيل مع أموالهم (آيات مفصلات) أي مميزات لا تخفى على كل عاقل أن هذه الحجة من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره ومفرقات بعضها من بعض زمان لا امتحان أحوالهم أقبولون الحجة أو يستمرون على التقليد وكان كل عذاب يبق عليهم أسوأ مما من سبت الى سبت وبين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بها وعن عبادة الله (وكانوا قومًا مجرمين) أي مصريين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أي كل نازل عليهم العذاب من الأنواع الخمسة (قالوا) في كل مرة (يا موسى ادع لنار بك بما عهد عندك) أي بأعلاكك بهو كشف العذاب عنا آمنا وألتي أقسمنا بهاد الله عندك وهو النبوة (لأن كشف عنا الرجز) أي لنزفت عنا العذاب الذي نزل علينا (لنؤمن لك وترسل معك بني اسرائيل) أي مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) أي حتمين (هم بالقوه) لا بدو هو وقت اهلاكم بالفرق في اليم (اذا هم ينكثون) أي فلما رفعتنا عنهم العذاب فأجابوا نكث العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك الأجل لا نزل عنهم العذاب بل نهلكهم به (فاقتنعنا منهم) أي فلما بلغوا الأجل للموت أهلكناهم (فاغرقناهم في اليم) أي البحر للملح والفناء تفسيره (بأنهم كذبوا بأننا) التسع الدالة على صدق رسولنا (وكانوا عنها) أي تلك الآيات (غافلين) أي معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بقتل آبائهم وأخذ الجزية منهم واستعمالهم

(آيات مفصلات) أي مميزات (فاستكبروا) عن عبادة الله (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب وهو ما كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده (قالوا يا موسى ادع لنار بك بما عهد عندك) أي بما أوصاك به وتقدم اليك أن تدعوه به (لأن كشفنا عنهم الرجز لنؤمن لك وترسل معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالقوه) يعني الى الأجل الذي غرقهم فيه (اذا هم ينكثون) أي ينقضون العهد ولا يوفون (فاقتنعنا منهم) أي سلبنا نعمتهم بالعذاب (فاغرقناهم في اليم) أي في البحر (بأنهم كذبوا بأننا) أي جزاء بتكذيبهم (وكانوا غافلين) أي غير متبشرين بها (وأورثنا القوم) أي ملكناهم (الذين كانوا يستضعفون) بقتل آبائهم واستعبادهم

(مشارك الأرض ومنازلها) أى جهات شرق أرض أهل الشام وجهات غربها (التي باركنا فيها) أى باخراج الزرع والثمار والأثمار والعيون (وتت كثر بك الحسنى) أى مواعيد ما تلى لاختلاف فيها بما (٢٩٧) كانوا يعيرون وذلك جزاء مبرهم على صنع فرعون بهم (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أى أهل كنانا حمل فرعون وقومه بأرض مصر (وما كانوا يمشون) أى وما ينسوا من المنازل والبيوت (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) أى عبرنا بهم البحر (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) أى يواظبون على عبادة أصنامهم وكانت تماثيل على صور البقر وهمم الكنعانيين الذين أمر موسى بقتلهم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عند ما شاهدوا أصوالهم (يا موسى اجل لنا الهما) أى عين لنا تماثيل تقرب بعبادتها الى الله تعالى (كألم الهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلاجعل أعظم مظاهر منهم فأنهم قالوا ذلك بعد ما شاهدوا المعجزة الظمى (ان هؤلاء) أى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أى مهلك ما هم فيه من الدين أى ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعملون) من عبادتها أى فلا يعود عليهم من ذلك العمل فنع لادفع ضرر (قال) موسى (أعبر الله أنبيك الهما وهو فضلكم على العالمين) أى أطلب لكم غير الله معبودا والحال أنه تعالى وحده فضلكم على عالمي زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فانه لم يحصل مثلها لأحد من العالمين وان كان غيرهم فضلكم بسائر الحاصل مثله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفى الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والذى أمركم أن تعبوا ربا يتخذو مطبل بالالهة هو الذى يكون قادرا على الاجداد واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أعجبناكم من آل فرعون) أى واذا كروا وقت انجاتنا اياكم من فرعون وقومه باهلاكهم بالكفة وقرأ ابن عامر أنجاءكم بحذف الياء والتون (يسومونكم سوء العذاب) أى يطوفونكم أشد العذاب (يتقلبون أثناءكم) صغارا (ويستحيون نساءكم) أى يستنضمون نساءكم كبرا (وفى ذلكم) أى الانجاء (بلا من ربيكم عظيم) أى نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفى ذلك العذاب بلية عظيمة من ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأجمعناها بعشر فتم بمقتضيه أر بعين ليلة) روى أن موسى وهو بمصر وعد بنى اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتبل من عند الله تعالى فيه بيان ما أتون وما يبرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكلب الذى وعد به بنى اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهى شهر ذى القعدة فلما آتت الثلاثين أنكر خلو فيه فسوك بهود

فى الأعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشارك الأرض) أى أرض الشام ومصر (ومنازلها التى باركنا فيها) بالحبب وسعة الأرزاق وبالتيل (وتت كثر بك الحسنى على بنى اسرائيل) أى ومضى وعده تعالى عليهم (بما صبروا) أى بسبب صبرهم على الشدائد فمن قابل البلاء بالصبر والتظار النصر ضمن الله له الفرج ومن قابله بالجزع وكه الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) ففرعون اسم كان ويصنع خبر لكان مقدم أى وخربنا الذى كان فرعون يصنعه من اللدان والقصور (وما كانوا يمشون) أى يرفقون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفقون من البنين كهرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة يضم الراء والباقون بكسرها (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) مع السلامة بأن فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالصا روى أن موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصلاه شكريا لله تعالى (فأتوا) أى فروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) أى يواظبون على عبادة أصنامهم وكانت تماثيل على صور البقر وهمم الكنعانيين الذين أمر موسى بقتلهم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عند ما شاهدوا أصوالهم (يا موسى اجل لنا الهما) أى عين لنا تماثيل تقرب بعبادتها الى الله تعالى (كألم الهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلاجعل أعظم مظاهر منهم فأنهم قالوا ذلك بعد ما شاهدوا المعجزة الظمى (ان هؤلاء) أى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أى مهلك ما هم فيه من الدين أى ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعملون) من عبادتها أى فلا يعود عليهم من ذلك العمل فنع لادفع ضرر (قال) موسى (أعبر الله أنبيك الهما وهو فضلكم على العالمين) أى أطلب لكم غير الله معبودا والحال أنه تعالى وحده فضلكم على عالمي زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فانه لم يحصل مثلها لأحد من العالمين وان كان غيرهم فضلكم بسائر الحاصل مثله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفى الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والذى أمركم أن تعبوا ربا يتخذو مطبل بالالهة هو الذى يكون قادرا على الاجداد واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أعجبناكم من آل فرعون) أى واذا كروا وقت انجاتنا اياكم من فرعون وقومه باهلاكهم بالكفة وقرأ ابن عامر أنجاءكم بحذف الياء والتون (يسومونكم سوء العذاب) أى يطوفونكم أشد العذاب (يتقلبون أثناءكم) صغارا (ويستحيون نساءكم) أى يستنضمون نساءكم كبرا (وفى ذلكم) أى الانجاء (بلا من ربيكم عظيم) أى نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفى ذلك العذاب بلية عظيمة من ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأجمعناها بعشر فتم بمقتضيه أر بعين ليلة) روى أن موسى وهو بمصر وعد بنى اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتبل من عند الله تعالى فيه بيان ما أتون وما يبرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكلب الذى وعد به بنى اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهى شهر ذى القعدة فلما آتت الثلاثين أنكر خلو فيه فسوك بهود

(٣٨ - (تفسير مراح لبيد) - اول) استاك لمناجته به ير بدالة الخلو فأم صيام عشرة من ذى الحجة ليكنه بخلاف فيه فذلك قوله (وأجمعناها بعشر فتم بمقتضيه) أى الوقت الذى قدر له صوم موسى (أر بعين ليلة) فلما أراد الانطلاق الى الجبل استخلف أخاه روى على قومه وهو معنى قوله

(وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح) أي ارفق بهم (ولاتبع سبيل المقدسين) أي لا تطلع من عصي الله ولا توافقه على أمره (ولما جاء موسى لميقاتنا) (٢٩٨) أي في الوقت الذي وقتناه (وكله به) فلما سمع كلام الله (قال رب

أرني) أي أرني نفسك (أنظر اليك) والني أني قد سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك (قال لن تراني) في الدنيا (ولكن) اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك وهو الجبل (فإن استقر مكانه) أي سكن وبنت فسوف تراني) وإن لم يستقر مكانه فأنك لا تطير قريتي (فلما تجلج به) أي ظهر وبان (لجبل جلهدكا) أي مدفوقا مع الأرض كسرا ربا (وخر) أي سقط (موسى مصقا) أي مغشيا عليه (فلما أفاق قال سبحانه) تنزيها لك من السوء (تبت اليك) من مسألتي الرؤية في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) أي أول قومي إيماناً (قال ياموسى انى اصطفتك) أي اتخذتك صفوة (على الناس برسالتي) أي بوحى اليك (وبكلاى) أي كلتك من غير واسطة (فخذ ما آتيتك) من الفضيلة والشرف (وكن من الشاكرين) أي لأنصبي (وكتبناله في الألواح) يعني الألواح الثوراة (من كل شئ) يحتاج اليه في دينه (موعظة) أي نهيا عن الجبل

خرنوب فقالت لللائكة كنا نثم من فيكر الحق للسلوك فأفقدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة وقال له أعلعت أن أخوف فهم الصائم أطيب عند الله من ربح السلوك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك الشهر التي زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل لتناداة (اخلفني) أي كن خليفتي (في قومي) وراقبهم فيا يأتون وما يذرون (وأصلح) أمور بني اسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهي صلاحهم (ولاتبع سبيل المقدسين) أي ومن دلك منهم الى طريق المقدسين بالمعاصي فلا توافقه (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي لميقاتنا في مدين في يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله تعالى فيمن غير واسطة وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم التحر (وكله به) أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعهم من كل جهة (قال رب أرني أنظر اليك) أي أرني ذاك بأن تمكنني من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (لن تراني) أي لن تقدر أن تراني في الدنيا ياموسى (ولكن انظر الى الجبل) في مدين (فإن استقر مكانه فسوف تراني) أي فإن استقر الجبل مكانه لم تبق فعلك تراني والروى متأخرة عن النظر لانه تغليب الخلق السليمة جهة للرؤى التماسرة به والرؤية الادراك بالبالسة بهذا النظر (فلما تجلج به للجبل جلهدكا) أي فلما نظرت عظمته تعالى لجبل زيرجه لم يسكور اقبل ان جبل زير أعظم جبل في مدين فانه صرسة أجبل فوق وقع ثلاثه بالدين وهي أحد وقران ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي نور وثبير وحراء أي أمر الله تعالى ملائكة السماء السابعة بحمل عرشه فلما بدأ نور العرش انصعد الجبل من عظمة الله تعالى وقرأ حزة والكسائي دكاء بالمد أي مستويا بالأرض وقرأ ابن وثاب دكاء بضم الدال وبالتصريع دكاء أي قطعا (وخر موسى مصقا) أي مغشيا عليه من هول ما رأى من النور (فلما أفاق) من غشيته (قال سبحانه) أي تنزيها لك عن أن ترى في الدنيا (تبت اليك) من الجراءة على السؤال بخيراذن منك (وأنا أول المؤمنين) أي القرنين بأنك لا ترى في الدنيا لكل الأنبياء وقد ثبتت الرؤية لتبيننا محمد صلى الله عليه وسلم ليله الاسراء على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك الا بذلك (قال) تعالى له (ياموسى انى اصطفتك) أي فضلتك (على الناس) أي بني اسرائيل (برسالتي) أي بكتب التوراة وقرأ نافع وابن كثير برسالتي بالافراد أي تبليغ رسالتي (وبكلاى) أي وبسكلى ملك بغير واسطة (فخذ ما آتيتك) أي فاعمل ما أعطيتك من الرسالة أي الوحي (وكن من الشاكرين) أي واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بأوامرها علما وعملا ولا يضق قلبك بسبب منعك الرؤية (وكتبناله في الألواح) أي وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (من كل شئ) يحتاج اليه موسى وقومه في دينهم من الحلال والحرام والحسن والقائم (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من قوله تعالى من كل شئ باعتبار محله وهو النصب أي كتبناله كل شئ من المواعظ التي توجب الرغبة في الطاعة والتفرد عن المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (فخذها) أي فقلنا لعمل هذه الأشياء (بقوة) أي بجد ونية صادقة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي التوراة أي يعملوا بمحكمها ويؤمنوا بمشاهدها وقال بعضهم الحسن يدخل تحته الواجب والتدبوع والباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والتدبوع والباح (سأريكم دار الفاسقين) أي سأدخلكم الشام بطريق الابراش وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا موطنين فيها من

(وتفصيلا لكل شئ) يعني من الحلال والحرام (فخذها) أي وقلنا له فخذها (بقوة) أي بجد وصحة عزمة الجبارة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بمشاهدها وكما أحسن (سأريكم دار الفاسقين) يعني جهنم أي فليكن منكم على ذكر لتجنروا منهم

(سأصرف عن آياتي) يعني السموات والأرض أصرفهم عن الاعتبار بما فيها (٢٩٩) (الذين يتكبرون في الأرض

غير الحق) يعني للشركين يقول أعاقبهم بحرمان الهداية (وان يروا سبيل الرشداً) أي الهدى والبيان الذي جاء من الله لا يتخونه سبيلاً) أي ديناً (وان يروا سبيل الله) أي طاعة الشيطان (يتخونهم سبيلاً) أي ديناً (ذلك) أي فعل الله بهم ذلك (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي جحدوا الإيمان بها (وكانوا عنها غافلين) أي غير ناظرين فيها. ولا معتبرين بها (والذين كذبوا بآياتنا ولما بالآخرة) يريد الثواب والعقاب (حيطت أمهم) أي ضل سعيهم (هل يجزون الا ما كانوا) أي جزاء ما كانوا يعملون (واتخذ قوم موسى من بعده من حليمه عجلاً) أي صاغ موسى السامري للنافق وهومن بني اسرائيل من بعد اطلاق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجلان ذهب (جسداً) أي هذا البديل الذي هو من صورة عجل منقوشة على حائط مثلاً (لخورا) أي صوت وقرأ على رضى الله عنه جوار بالجم والهمزة أي صالح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يذنون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكاً لهم فجعج السامري تلك الحلي وكان رجلاً مطاعاً فيهم صانفاً صاغ السامري عجلاً وأخذ كفا من زاب حافر فرس جبريل عليه السلام فألقاه في جوف ذلك العجل فانتقلب الحمار وداو ظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الحكم والى موسى (المر) أي ألم يعلم قوم موسى (أنه) أي العجل (لا يكلمهم) بشئ (ولا يهديهم سبيلاً) يرجعون الى جوفه (أخذوه) أي عبدوه (وكانوا ظالمين) لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أي لما اشتد منهم على عبادة العجل وسقط مبنى للعجول وأصل الكلام سقطت أنفواهم على أيديهم في معنى على وذلك من شدة التمس فان العبدان الإنسان اذا تمس قلبه على شئ عض بضمه على أصابعه فسقوط الأنف على الأيدي لازم للتمس فأطلق اسم اللازم وأرى باللزام على سبيل الكناية (ورأوا أنهم قد ضلوا) أي يتبوءوا ضلالهم نبيئنا كأنهم أبصر وجهي وهم يعمون بحيث يتقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (لئن لم يرجعنا بناو يفقرنا) فيعدنا (لنكون من الخاسرين) بالعقوب فوق أزمة والكسائي بته الخطاب في القليلين سكاية لبعائهم ونسب ربحنا على التذلل (ولارجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لأجل عبادتهم العجل (أسفاً) أي حزناً لأن الله تعالى قتلهم (قال سبحانه) خلقتموني من

الجبارة والمالقة لتعبروا بها فلا تنسوا مثل فسقهم وقرئ: سأورثكم بالآة الثلاثة (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق) أي سأزيل الذين يتكبرون في الأرض بالدين الباطل عن ابطال آياتي بأهلاكهم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فلا يقدرون على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الإيمان بها أي وانما يرى بنو اسرائيل دار الفاسقين بعد هلاكهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي وان يشاهدوا كل معجزة كفروا بكل واحدة منها (وان يروا سبيل الرشداً) أي الدين الحق والخير (لا يتخونه سبيلاً) أي لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشداً بفتح الراء والشين والباءون بضم الراء وسكون الشين وروى عن ابن عامر ضمتين وقال أبو عمرو بن العلاء الرشداً بضم وسكون الصلاح في النظر وبتحتين الاستقامة في الدين (وان يروا سبيل الله) أي الضلال (يتخونهم سبيلاً) أي يختارونه مسلكاً لأنفسهم (ذلك) أي تكبرهم وعدم إيمانهم بشئ من الآيات وأعراضهم عن سبيل الرشداً واقبالهم التماس الى سبيل الله (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي حصل بسبب أنهم كذبوا بكتابتنا الدال على بطلان انصافهم بالقبائح (وكانوا عنها غافلين) أي وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أي بكتابتنا (ولقاء الآخرة) أي بقاءهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حيطت أعمالهم) أي حسنتهم التي لا تنوَق على نية كسالة الأرحام وأغاة اللغو فيهم وان نفعتهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أي ما يجزون في الآخرة الاعلى ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليمه عجلاً) أي صاغ موسى السامري للنافق وهومن بني اسرائيل من بعد اطلاق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجلان ذهب (جسداً) أي هذا البديل الذي هو من صورة عجل منقوشة على حائط مثلاً (لخورا) أي صوت وقرأ على رضى الله عنه جوار بالجم والهمزة أي صالح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يذنون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكاً لهم فجعج السامري تلك الحلي وكان رجلاً مطاعاً فيهم صانفاً صاغ السامري عجلاً وأخذ كفا من زاب حافر فرس جبريل عليه السلام فألقاه في جوف ذلك العجل فانتقلب الحمار وداو ظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الحكم والى موسى (المر) أي ألم يعلم قوم موسى (أنه) أي العجل (لا يكلمهم) بشئ (ولا يهديهم سبيلاً) يرجعون الى جوفه (أخذوه) أي عبدوه (وكانوا ظالمين) لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أي لما اشتد منهم على عبادة العجل وسقط مبنى للعجول وأصل الكلام سقطت أنفواهم على أيديهم في معنى على وذلك من شدة التمس فان العبدان الإنسان اذا تمس قلبه على شئ عض بضمه على أصابعه فسقوط الأنف على الأيدي لازم للتمس فأطلق اسم اللازم وأرى باللزام على سبيل الكناية (ورأوا أنهم قد ضلوا) أي يتبوءوا ضلالهم نبيئنا كأنهم أبصر وجهي وهم يعمون بحيث يتقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (لئن لم يرجعنا بناو يفقرنا) فيعدنا (لنكون من الخاسرين) بالعقوب فوق أزمة والكسائي بته الخطاب في القليلين سكاية لبعائهم ونسب ربحنا على التذلل (ولارجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لأجل عبادتهم العجل (أسفاً) أي حزناً لأن الله تعالى قتلهم (قال سبحانه) خلقتموني من

عبادة العجل (ورأوا أنهم قد ضلوا) وعلموا أنهم قد اتوا بمصيبة الله وهذا كان بحر جوع موسى اليهم وذلك قوله (ولارجع موسى الى قومه غضبان) عليهم (أسفاً) أي حزناً لأن الله قتلهم (قال سبحانه) خلقتموني من بعدى حين اتخذتم العجل ما وكفتم بالله

اذ لم يلحقه فيعرفه ماضع

(٣٠٠)

(أعجبتكم أمر بكم) أي أسبقتم باتخاذ العجل ميعاد بكم حتى الأربيعين ليلة وذلك أنه كان قد وعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثين ليلة فلما لم يأتهم على رأس الثلاثين قالوا أنه قد مات (وَأَتَى الْاَلَوَاحِ) التي فيها التوراة (وأخذ برأس أخيه) أي بذواته وشعره فجره إليه أي انكارا عليه بنو اسرائيل كما قال في سورة يهارون مامعنا اذ رأيتهم ضالوا الاتبعني الآية

السامري وأشياعه أي يسبا خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى واما الهرون والمؤمنين معه أي يسبا خلقتهموني حيث لم تمنعهم من عبادة غير الله تعالى والخصوص بالنم يحذف تقديره بس خلافة خلقتهموني من بعدى خلافتكم هذه (أعجبتكم أمر بكم) أي أعجبتكم وعبر بكم من الأربيعين فلم تصبروا له وذلك أنهم قدروا أن موسى الملائكة على رأس الثلاثين ليلة فقد مات فاتهم عدوا عشرين يوما بليلاتها أربعين (وَأَتَى الْاَلَوَاحِ) أي وضع ألواح التوراة في موضع ليتفرغ لها قصده من مكالة قومه فلما فرغ عاد إليها فأخذها ببينها (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأس هرون (بجره إليه) أي إلى نفسه لاعلى سبيل الاهلة بل ليستكشف منه كيفية تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم) قرأه ابن ماضي وحزمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بكسر الهمزة وافي طه والباقيون بفتحها في السوريتين (ان القوم استضعفوني) أي وجعلوني ضعيفا (وكادوا يقتلونني) لاني نهيتهم عن عبادة العجل (فلا تسمت في الاعداء) أي فلا تسر الاعداء أصحاب العجل بما تفعل في من للكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي ولا تظن أني واحد من الذين عبدوا العجل مع برأفي منهم وأما قال هرون تلك المقالة لأنه يخاف أن يتوهم جهال بني اسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما أنه غضبان على عبدة العجل (قال) موسى (رب اغفر لي) فإني أقدمت على أخي هرون من هنا الغضب (ولأخى) في تركه التشديد على عبدة العجل (وأدخلنا في رحمتك) أي جنتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف معنا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بمانمنا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا العجل) أي عبدوه واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه (سينالهم غضب عظيم كثيرون منهم) في الآخرة (وذلة في الحياة الدنيا) وهي الاغتراب والسكينة المنتظرة لهم ولأولادهم جميعا والثلة التي اختص بها السامري هو الانقراض عن الناس والابتلاء بلا مساس ويروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وادامس أحدهم أحدا غيرهم جميعا في الوقت (وكذلك تجزي القومين) أي السكاكين على الله والحق أن كل مفتر في دين الله جزاؤه غضب الله والثلة في الدنيا قال مالك بن أنس مامن من متبع الاوي مجذوق برأسه ذلة لان للبتد مفر في دين الله (والذين عملوا السينات) أي التي من مجتمعات عبادة العجل (ثم تابوا) عن تلك السينات (من بعدها) أي من بعد عملها (وآمنوا) أي آمنوا بحسب ما قاله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لا اله غيره ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى (ان ربك) أي يا أفضل الخلق (من بعدها) أي من بعد تلك التوبة المقررة بالاعمال (لتنفروا) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحم) أي مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدينية والأخوية أي من آتى بجميع السينات ثم تاب فان الله يغفرها له وهن من أعظم ما يفيد البشارة للذين (ولما سكنت) أي زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وتوبة القوم وقرى سكن بالنون وأسكت بالياء مع المعزة على أن القائل هو الله تعالى وأخوه (أخذ الألواح) في نسختها أي وفي المكتوب فيها من اللوح المحفوظ (هدى) أي يبين الحق (ورحمه) للخلق بإرشادهم إلى ما فيه

فأعلمه هرون أنها غاف قام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله (قال ابن أم) وكان أخاه لأبيه وأمه ولكنه قال يا ابن أم لترفعه عليه (ان القوم استضعفوني) أي استنلوني وقهروني (وكادوا) أي وهموا (بقتلوني) فلا تسمت في الاعداء) يعني أصحاب العجل بضربي واهاتي (ولا تجعلني) في مؤاخذتك وعقوبتك لي (مع القوم الظالمين) أي الذين عبدوا العجل فلما عرف براءة هرون بما يوجب الغضب عليه اذا بلغ من انكاره على عبدة العجل ما خاف على نفسه القتل (قال رب اغفر لي) ما صنعت إلى أخي (ولأخى) ان قصر في الانكار (وأدخلنا في رحمتك) أي جنتك (ان الذين اتخذوا العجل) يعني اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبناء الذين اتخذوا العجل لما قاضيف اليهم تصيرا لهم فصل آبائهم (سينالهم غضب من ربهم)

الحبر

أي عذاب في الآخرة (وذلة في الحياة الدنيا) وهي الجزية (وكذلك تجزي القومين) أي

كذلك أعاقب من اتخذ الها من دوني (والذين عملوا السينات) أي الشرك (ثم تابوا) أي رجعوا عنها (وآمنوا) أي صدقوا أنه لا اله غيري (ان ربك من بعدها) أي من بعد التوبة (لتنفروا) رحيم ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح) أي التي كان أنفها (وفي نسختها) أي وفيها كتب فيها (هدى) أي من الضلالة (ورحمه) أي من الغضب

(لذين هم لربهم يهتدون) أي الخلقين من ربهم (واختار موسى قومه) أي من قومه (سبعين رجلا ليقانوا) أمره الله أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ينتدرون اليه من عبادة العجل ووعده لذلك موعدا فاختار موسى منهم سبعين رجلا ليعتبروا وفعلا سمعوا كلام الله قالوا لموسى أرنا الله جبهة فأخذتهم الرجفة

(٣٠١)

جميعا (فقال) موسى (رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياي) أي من قبل خروجنا إلى الليقات فكان بنو إسرائيل يمايئون ذلك ولا يهتمون ويطن أنهم أهلكوا باخذ أصحابهم العجل فقال (أهلكنا بمافل السفهاء منا) وأما أهلكوا بمآثمهم الرئية (ان هي الافتتاك) أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الافتتاك أي استتباركوا وابتلاؤك أضللت بها قومًا فافتتوا وعصمت قوما آخرين وهذا معنى قوله (فضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) (واكتب لنا) أي أوجب لنا (في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) أي أقبل وقادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة (أنا ههنا) أي تينا وربنا (اليك) أي بالتوبة (قال عذابي أصيب به من أشاء) أي أخذ به من أشاء على الذنب اليسير (ورحمتي وسعت كل شيء) يعني

الحبر والصالح (لذين هم لربهم يهتدون) اللام الأولى متعلق بمخوف هوصفة لرحمة والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلا ليقانوا) روى أن موسى اختار من اثني عشر سبطا ستة قهارا واثني وسبعين فقال ليتخلف منكم رجالان فتشاجروا فقال ابن لن قصد منكم مثل أجبر من خرج فقدم كالب ويوشع وذهب مع الباقيين وأمرهم أن يسوموا ويظهروا ويظهر واثنيهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلدنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم التهام وغروا سجدا فسمعه تعالى يكلم موسى بأمره وينهاهم انكشف التهام فأقاروا إلى موسى وقالوا ان تؤمن لك حتى يرى الله جبهة أي لن تصدقك في أن الأمر بما سمعنا من الأمر يقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة الجبل فانوا يوما ولية ^{في تنبيه} اختار يتعدى إلى اثنين فانهما مجرورين ثم يخفف حرف الجرو ويوصل الفعل إلى المجرور وسبعين مفعول أول (فعلا أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكهم من قبل) أي من قبل خروجهم إلى الليقات (وإياي) معهم قاله تسليما لقضاء الله تعالى أي أنا ككنا مستحقين للاهلاك ولربك من موافقه إلا عدم مشيئتك إياه (أهلكنا بمافل السفهاء منا) أي ظن موسى أنما أهلكهم الله بعبادة قومهم العجل وقال هذا على طريق السؤال وقال للبردهوا استغفاهم استغلق أي لاهلكنا بسبب فعل عباد العجل (ان هي الافتتاك) أي الافتتاك التي وقع فيها السفهاء الاعتتاك بأن أوجب في العجل خوارا فزاعوا به وأسبغتهم كلاما فافتتوا بذلك حتى طعموا فمافوق ذلك (فضل بها) أي تلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلا يهتدى إلى التثبت (وتهدي من تشاء) هدايته إلى الحق فلا يزل في أمثاله فقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أي أنت القاهم بأمرنا الدينوية والأخروية (فاغفر لنا) مافارناه من اللعاصي (وارحمنا) بافضة آثار الرحمة الدينوية والأخروية وعلينا (وأنت خير الغافرين) لأنك تفرد بذنوب سبادك لا تقرب بل لحض الفضل والكرم أما غيرك فأنما يتجاوز عن الذنب المطلب للثواب الجزيل أو لئلا تلهي أو دفعا للربقة النخسية عن القلب (واكتب لنا) أي أثبت لنا (فهذه الدنيا حسنة) أي نعمة وطاعة (وفي الآخرة) أي وكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة (أنا ههنا اليك) أي رجعتنا عما صنعنا من اللصبة التي جشناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابي أصيب به من أشاء) وليس لأحد على اعتراض لأن الكل ملكي وقرأ الحسن من أساء فصل ماض من الاسادة واختار الشافعي هذه القراءة (ورحمتي وسعت كل شيء) أي أن رحمته في الدنيا عمت الكل وأما في الآخرة فرحمته عظيمة بال مؤمنين كما أشار تعالى اليه بقوله تعالى (فأسأكنها) أي فسأكنها في الآخرة (لذين يتقون) أي الكفر واللعاصي (ويؤتون الزكاة) أي يطوبون زكاة أموالهم (والذين هم بايتان) أي دلائل وحدانيتنا وقرنتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) أي النبي لإبرار القراءه والكتابة ومع ذلك قديم علوم الأولين والآخرين (الذي يجدونه) يلقون اسمه ونسبه (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الذين تعبد بهما بنو إسرائيل

أن رحمته في الدنيا وسع التاجر والتاجر وهي في الآخرة للمؤمنين خاصة وهذا معنى قوله عز وجل (فأسأكنها) أي فسأكنها في الآخرة (لذين يتقون) يریدامة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكاة) أي صدقات الأموال عند عملها (والذين هم بايتان يؤمنون) أي يصدقون بما أنزل على محمد والتبيين (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وهو النبي لا يقرأ ولا يكتب وكانت هذه الحلة مؤكدة لمعجزته في القرآن (الذي يجدونه) أي بنسبه وصفته (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)

(يأمرهم بالمعروف) أى بالتوحيد وبمكارم الأخلاق وبر الوالدين وصلة الأرحام (وينهاهم عن
 للشكر) أى عبادة الأوثان والقول في صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين وقطع
 الرحم وعقوق الوالدين (وبجل لهم الطيبات) أى الأشياء المستطابة بحسب الطبع فكل ما تستطبه
 النفس ويستلذه الطبع فهو حلال الادلل منفصل (ويحرم عليهم الخبائث) أى كل ما يستخبثه
 الطبع وتستفقره النفس فكل ما يستخبثه الطبع حرام الادلل منفصل وعلى هذا فروع الشافعي
 تحرم بيع الكلب لأنه روى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال الكلب خبيث وخبيث ثمنه
 وإذا ثبت أن ثمنه خبيث ثبت أن يكون حراما والخمر محرمة لأنهار جس والرجس خبيث باطابق أهل
 الفتنة عليهم والخبيث حرام (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أى يخفف عنهم ثقلهم والشدائد
 التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والتوب واهراق النائم وتحريم السبي وقتل النفس في
 التوبة وتعيين القصاص في المعدو الخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا
 قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغالوا أيدهم الى أعناقهم تواضعا لله تعالى ففى هذا القول الأغلال
 غير مستعارة أى وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد ﷺ نسخ ذلك كله
 وبطل عليه قوله ﷺ بشت الخنيفة السهلة السمحة وقرأ ابن عامر وحده أصرهم على الجمع
 (فالذين آمنوا) أى بضوء محمد ﷺ من اليهود كعبادته بن سلام وأصحابه (وعزروه) أى أعانوه
 بمنع أعدائهم منه (ونصروه) على أعدائهم في الدين بالسيف (وابتاعوا التوراة أنزلهم) أى وابتاعوا
 القرآن الذي أنزل مع نبوة محمد ﷺ فلن نبوة تظهر مع ظهور القرآن وعبر عنه بالتوراة الدال على
 كونه مظهرا للحقائق (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون وبالطابق في الدنيا والآخرة والتاجون من
 السخط والغالب لاغيرهم من الأمم (قل يأياها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات
 والارض) الذى (لا اله الا هو يحيى ويميت) واعلم أن هذه الدعوى وهى دعوى رسول الله لا تظهر
 فائدتها الا بتقرير اصول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم إلها حيا عالما قادرا والذى يدل عليه ما فى قوله
 تعالى الذى له ملك السموات والارض لأنه بتقدير علم حصول مؤثر للعالم فى وجوده أو بتقدير كون
 المؤثر موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار لم يصح القول ببعثة الانبياء عليهم السلام وثانها اثبات أن إله
 العالم واحده عزه عن الشريك والصد والتدوالية الاشارة بقوله تعالى لا اله الا هو لانه اذا لم يثبت كون
 الاله تعالى واحدا لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائزا لانه بتقدير كون الهين للعالم يجوز أن
 يكون الانسان الذى يدعوهم رسول أحدهما مخلوقا للاله الثانى فإيجاب الطاعة للاله الذى لم يخلقه ظلم
 وباطل وثالثها اثبات أنه تعالى قادر على الحشر والنشر والبث والقيامة واليه الاشارة بقوله تعالى يحيى
 ويميت لانه تعالى لما أحيأ أولآيت كونه تعالى قادرا على احياء ثانى يكون قادرا على اصال الجزء
 لانه بتقدير عدم ثبوت الاعادة كان الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن العصية عبثا ولما ثبت القول
 بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتسكليف لان
 الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكانه)
 واعلم أن هنا اشارة الى المعجزات الدالة على ككون محمد نبيا حقا ومعجزات رسول الله كانت على
 نوعين الاول للمعجزات التي ظهرت في ذاته الباركة وأجلها أن فصل الله عليه وسلم كان رجلا نبيا لم
 يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتابا ولم يتفق له جملة أحد من العلماء ومع ذلك فتح الله عليه باب العلم
 وأظهر عليه القرآن للتشتمل على علوم الاولين والآخرين فظهر ربه العلم العظيم على من كان

يأمرهم بالمعروف) أى
 بالتوحيد وشرايع الاسلام
 (وينهاهم عن الشكر)
 أى عن عبادة الاوثان
 وما لا يصرف في شريعة
 (وبجل لهم الطيبات) يعنى
 ما حرم عليهم في التوراة
 من لحوم الابل وشحوم
 الضأن (ويحرم عليهم
 الخبائث) أى الميتة والم
 وما ذكر في سورة المائدة
 (ويضع عنهم أصرهم) أى
 ويسقط عنهم ثقل العهد
 الذى أخذ عليهم (والأغلال
 التي كانت عليهم) كقطع
 أثر البول وقتل النفس في
 التوراة وقطع الأعضاء
 الخاطئة (فالذين آمنوا به)
 أى من اليهود (وعزروه)
 وقروهم (ونصروه) أى على
 عدوم (وابتاعوا التوراة)
 الذى أنزل معه يعنى القرآن
 الآية

صقته أسيامن أعظم المعجزات والثاني المعجزات التي ظهرت من خارج ذاته مثل انشقاق القمر ونوع
 للامن بين أصابعه وهي تسمى بكلمات الله تعالى لانها كانت أمور اغريبة غارقة للعادة تسمى
 بكلمات الله كأن عيسى عليه السلام لما كان حديثه أضراريا مخالفا للعاد معناه الله تعالى كلة وقال ابن
 عباس ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وإن قرئ وتكتب بالافراد كان معناه عيسى وهذا تيسره على
 على أن من لم يؤمن به لم يتدبأ به وقرئ باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 ذكر الله الطريق الذي به يمكن معرفة شرب عم التفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه)
 أي كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أي رجاء لاهتدائكم الى الطريق (ومن قوم
 موسى أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) أي يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أي بالحق (يدلون)
 في الأحكام الجارية فيها بينهم فقيل هم اليهود الذين كانوا في زمان الرسول وأسلوا مثل عبد الله بن سلام وابن
 صور ياقول انهم قوم مشوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصاروا ممن اتبعوا
 في زمن تفرق بني اسرائيل وحدثهم البيع وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما
 كفروا وقتلوا الانبياء بقي سبط من جملة الاثني عشر فاصنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففتح
 الله لهم نفق في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين عند مطلع الشمس على نهر
 رمل يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفا مسلمون يستقبون قبلتنا (وقطناهم اثني عشرة أسباطا
 أمة) أي فرقنا بني اسرائيل اثني عشرة فرقة لانهم كانوا من اثني عشر رجلا من أولاد يعقوب وميزنا
 بعضهم من بعض أسباطا قائما مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثني عشرة وأما بدل من أسباطا أي
 وصيرناهم أمة لان كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى اذا نسقاهم قومه) حين استولى عليهم
 الطغى في التية الذي وقوفه بسوء صنيعهم واستنقام موسى لهم (أن اضرب بساك الحجر) الذي
 ملك (فانجست) أي فضرب فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الأسباط (قد علم كل أناس) أي
 كل سبط (مشر بهم) أي عينهم الخاصة بهم (وظلنا عليهم النعام) في التية من حر الشمس نسير النعام
 بسيرهم وتسكن باقامتهم ونص في الليل مثل السراج (وأزلنا عليهم الل) وهو شئ حلو كان ينزل
 عليهم مثل الثلج من الفجر الى طالع الشمس ويأخذ كل انسان صاعا (والساوى) أي الطير السابى
 بتخفيف اللحم والقصور وتسوقه الى الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو يموت اذا سمع
 صوت الرعد فيلهم الله تعالى أن يسكن جزاير البحار التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أو انهما
 فيخرج من الجزاير ويتشرف في الارض وخاصيته أن كل لحمه يلين القلوب القاسية (كأوامن طيبات
 ما رزقناكم) أي وقتلنا لهم كأوامن مستلذات من اللن والساوى والخنق قصر أنفسهم على ذلك الطعام وعلى
 ترك غيره فامتنعوا من ذلك وشتموا وسألوا غير ذلك (وما ظنونا) بمقاولة تلك النعم بالكفران (ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) بمخالفتهم ما أمروا به (واذ قيل لهم) أي اذكروا يا كرم الرسل لبني اسرائيل
 وقت قوله تعالى لأسلافهم (اسكنوا هذه القرية) أي قرية الجبارين قوم من بقية عدي بنهم عوج بن
 عنق أي قال الله تعالى على لسان موسى لهم اذا خرجتم من التية اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان
 يوشع بدخروهم من التية اسكنوا أرمحا (وكلوا منها) أي القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا
 حطة) أي أمرك حطة لنزونا (وادخلوا الباب) أي باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصالون اليها
 (سجدا) شكر اعل اخرجهم من التية (تفرل لكم خطيتاكم) وقرأ نافع وابن عامر تغفر بالتاء
 للضمومة وقرأ نافع خطيتاكم بجمع السلامة وابن عامر خطيتكم على التوحيد والباقون تغفرون

(ومن قوم موسى أمة)
 يهدون بالحق) أي يدعون
 الى الحق (وبه يدلون)
 أي بالحق يحكمون وهم
 قوم وراء الصين آمنوا بالنبي
 صلى الله عليه وسلم لا يصل
 اليانهم أحد ولا منا لهم
 أحد وقوله (فانجست)
 أي انفجرت وهذه الآية
 مفسرة في سورة البقرة
 الى قوله

(واسألهم) يعني سؤال نوبينخوتقرر (عن القرية) وهي أيلة (التي كانت حاضرة البحر) أي مجاورته (اذيعدون في السبت) أي يظلمون فيه بعيد السمك

(٣٠٤)

مفتوحة أو بوعمر وخطاياكم يجمع التكسير والباقيون خطيئناكم يجمع السلامة وفي قراءة يفسر بالياء فلي هذا لا يقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لا يقرأ خطايا (ستر يد المحسنين) بالطاعة في احسانهم (قيدل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولا غير التي قيل لهم) أي غير التي أمروا بها من التوبة وقالوا مكان حطة حطة وروى أنهم دخلوا زاحفين على أديارهم استخفافا بأمر الله تعالى واستهزاء بموسى (فأرسلنا عليهم) عقب ما فعلوا من غير تأخير (رجزنا من السماء) أي عذابا كائناتها وهو الطاعون (عما كانوا يظلمون) أنفسهم لانهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى أن مات منهم في ساعة واحدة أربعمائة وعشرون ألفا (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أي واسأل يا أشرف الخلق اليهود والمسلمين عن السؤال تفرع عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القنزم وهي أيلة قرية بين مدين والطور وقيل هي قرية يقال لها مقينا بين مدين وعينونا وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يسر من بني اسرائيل كفر ولا تخلفا للرب فأمر الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هذه القرية في زمن داود عليه السلام تقر بما فاتهم يستقون أنه لا يملكه أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (اذيعدون في السبت) أي يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الحيتان يوم السبت وقد نهوا عنه (اذتأنيهم حيتانهم يوم سبتهم) أي يوم تعظيمهم لأمر السبت بالتجرد للعبادة (شرعا) أي ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسيبتون) وقرى شاذا بضم الباء وقرأ على رضى الله عنه بضم الباء من الراجح وعن الحسن البناء للفعول أي لا يسيبتون في السبت (لأنهم) قال ابن عباس ومجاهد إن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتهم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فأبطلهم الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهبوا وما تعودوا لا في السبت للقبول (كذلك) أي مثل ذلك البلاء (ينالهم) أي نالهم معاملة من يمتنعهم (عما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم (واذ قالت أمتهن) أي جماعة من أهل القرية من صلحاتهم الذين تركوا الصب في موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا من قبولهم لاقوام آخرين لا يقلعون عن وعظهم رجاء للتغف وطعما في فائدة الأذى (لم تنظون قوما لله مهلكهم) أي تخزهم في الدنيا (أو معذبهم عذابا شديدا) في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا يعملون من الفسق (قالوا) أي الواعظون (معصرة) قرأه حفص عن عاصم بالنصب أي وعظناهم لأجل العصرة والباقيون بالرفع أي موعظنا معصرة (الذي يكمن) للأنسب إلى نوع تفرط في النهي عن النكر (ولعلمهم يتقون) أي ويرجاء لأن يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ماذكروا به) أي فلما تركوا ما وعظوا به بحيث لم يحط ببالغ شيء من تلك الواعظ أصلا (أنجبنا الذين ينهون عن السوء) أي عن أخذ الحيتان يوم السبت وهم الفريقان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الحيتان ذلك اليوم (بعذاب ببئس) أي شديد وقرأ أبو بكر يئس على وزن ضمير وابن عامر يئس بوزن حفر (عما كانوا يفسقون) أي أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظن قالوا أن متعلقان بأخذنا (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي فلما أبوا عن ترك ما نهوا عنه (فلما لهم كونوا فرقة خاسئين) أذلاء بقاء عن الناس (واذتأذن ربك ليعبين عليهم اليوم القيامة من يسومهم) أي يذيقهم

لا يظلمون فيه بعيد السمك
لا يظلمون ما يفعل في السبت
يعني سائر الأيام (لأنهم)
أي الحيتان (كذلك)
أي مثل هذا الاختيار
الشديد (ينالهم) أي
يختبرهم (عما كانوا
يفسقون) أي بعصيانهم
الله أي شددت عليهم العقوبة
بفسقهم ولما فعلوا ذلك
صار أهل القرية ثلاث
فرق فرقة صابت أو كانت
وفرقة نبت وزجرت وفرقة
أمسكت عن الصيد وهم
الذين قال الله تعالى (واذ
قالت أمة منهم) أي قالوا
للفرقه الناهية (لم تنظون
قوما لله مهلكهم) أي
لامهم على موعظة قوم
يعلمون أنهم غير مقلدين
فقالت الفرقه الناهية
للذين لامهم (معصرة إلى
ربكم) أي الأمر بالمعروف
واجب علينا فلما نبتا موعظة
هؤلاء عتروا إلى الله تعالى
(ولعلمهم يتقون) فيتركرون
الصيد في السبت فلما نسوا
ماذكروا به أي تركوا
ماوعظوا به (أنجبنا الذين
ينهون عن السوء) وأخذنا
الذين ظلموا أي اعتدوا
في السبت (بعذاب ببئس)
أي شديد وهو للسخ

سوء

جزاء (عما كانوا يفسقون) أي جزاء بفسقهم وخروجهم عن أمر الله (فلما عتوا) أي طغوا

واستكبروا (عما نهوا عنه) أي عن ترك ما نهوا عنه من صيد الحيتان يوم السبت (فلما لهم كونوا فرقة خاسئين) هذا مالا يفسره في سورة البقرة (واذتأذن ربك) أي أعلز بك (اليعبين) أي ليرسلن (عليهم) يعني على اليهود (من يسومهم) أي يذيقهم

سوء العذاب) أى اليوم القيامة يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم وأمثه يقاتلونهم أو يعطوا الجزية (ان ربك لسريع العقاب) لمن استحق تعجيله (وقطعناهم في الأرض أئماً) أى فرقناهم في البلاد فلم يجتمع لهم كلة (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا (ومنهم دون ذلك) أى الذين كفروا (و بلوناهم) أى عاملناهم معاملة الخبث (بالحسنات) أى (٣٠٥) الحسب والعافية (والسيئات) أى الجلب

والشدائد (لعلهم يرجعون)

أى كي يتوبوا (فخلف من

بدهم خلف) أى من بعد

هؤلاء الذين قطعناهم

خلف من اليهود يعنى

أولادهم (ورثوا الكتاب)

أى أخذوه عن آبائهم

(ياخذون عرض هذا

الأدنى) أى يأخذون

ما أشرف لهم من الدنيا

حلالاً وحراماً (ويقولون

سيفرننا) أى و يمتنون

على الله للنفرة (وان

بأنهم عرض مثله بأخذوه)

يعنى وان أصابوا عرضاً أى

متاعاً من الدنيا مثل

رשותهم تلك التى أصابوا

بالاسم قبلاه وهذا اخبر

عن حرصهم على الدنيا

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق

الكتاب أن لا يقولوا على

الله الا الحق) وهو ما أكد

الله عليهم في التوراة أن

لا يقولوا على الله الا الحق

فقالوا الباطل وهو قولهم

سيفرننا وليس في التوراة

ميعاد للنفرة مع الاصرار

(ودرسوا ما فيه) أى

وهم ذاكرون لما أخذ

عليهم من الميثاق لانهم

قرأوه (والذين بمسكون

(سوء العذاب) أى واذكر يا أكرم الرسل اذ أعلم الله أسلاف اليهود على ألسنة أنبيائهم ان لم يؤمنوا

بأنبيائهم أن يسلط عليهم من يقاتلهم أي أن يسلحوا أو يعطوا الجزية وهو محمداً صلى الله عليه وسلم وأمثه

(ان ربك لسريع العقاب) اذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم في الدنيا ما قبل مجيئ يوم القيامة فهو

شديد الحلم (وانه لنغفور رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام وقطعناهم في

الأرض أئماً) أى فرقنا اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض فرقاً كثيرة

حتى لا تكون لهم شوكة فلا يوجد لبلد الا وقية طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة

ومن يسير بسيرتهم أو الذين ورامهم الرمل (ومنهم دون ذلك) أى ومنهم من ثبت على اليهودية

وخرج من الصلاح (و بلوناهم بالحسنات) أى بالعلم والحسب والعافية (والسيئات) أى بالجلبوة

والشدائد (لعلهم يرجعون) أى لكي يرجعوا عن معصيتهم الى طاعة ربهم فان كل واحد من الحسنات

والسيئات يدعو الى الطاعة بالغيب والترهيب (فخلف من بدهم خلف) أى جاء من بعدهم هؤلاء الذين

وصفناهم بدل سوء (ورثوا الكتاب) أى أخذوا التوراة من أسلافهم (ياخذون عرض هذا الأدنى)

أى متاع الدنيا على تحريف الكلام بامتناعهم عن حقيقة الكلام في صفته محمداً صلى الله عليه وسلم وفي الاحكام وهم يستحقرون ذلك

الذنب (ويقولون سيفرننا وان بأنهم عرض مثله يأخذوه) أى ويقولون لا يؤخذنا الله تعالى وان

بأنهم متاع مثل ما تأمهم أمس يأخذوه حرصهم على الدنيا ولا يستمعون منها ولعنوا انهم يتشتمون للنفرة

من الله تعالى والحال أنهم مصرون على الذنب غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن

لا يقولوا على الله الا الحق) أى ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن في التوراة أن لا يقولوا على الله الا الصق

وقد منعوا فيها عن تحريف الكتاب وتفسير الشرائع لاجل اخذ الرشوة وللمتنع فيه افتراء على الله

تعالى فيها من ارتكبت ذنبا عظيماً فانه لا يفر من الاثمة وأن لا يقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا

ما فيه) أى ذكروا ما في الكتاب لانهم قرأوه أو ذكروا ما أخذ عليهم لذلك وهذا عطف على وروا

أوعلى ألم يؤخذ فان المقصود من الاستفهام التقريري اثبات ما بعد التثني وللعنى قلنا أخذ عليهم الميثاق

ودرسوا ما في ذلك للميثاق (والدار الآخرة) أى الجنة (خير الذين يتقون) عقاب الله من تلك الرشوة

الحديثة (أفلا تعقلون) أن الدنيا فانية والاخرى باقية. وقرأنا نافع وابن عامر وحقق بالتاء على الخطاب

التفاتناهم ويكون المراد اعلاما ببنهاى النصب وتشديد التوبيخ أو يسكون خطا بالهذلة الامة أى

أفلا تعقلون حالهم والباقيون بالياء على التثنية مراعاة لها في الضائر السابقة (والذين بمسكون) قرأه

أبو بكر عن عاصم يسكون اليم والباقيون بفتحها وتشديد السين (بالكتاب) أى الذين يمسكون

بما في الكتاب (وأقاموا الصلاة) وانما أفردت بالذكر لانها أعظم العبادات بعد الايمان (انا لانصيع

أجر للصالحين) وهذه الجملة خبر للوصول والربط حاصل بلفظ للصالحين لانه قائم مقام الضمير لاسيما وهو

فيه الألف واللام فانها تنكتفي في بارط عند الكوفيين وقيل الخبر محذوف والتقدير مثابون وقوله

تعالى انا لانصيع اعتراض وهذه الآية نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه (واذتقنا الجبل فوقهم

كأنه ظلة) أى واذكر يا أشرف الخلق اذ قلنا للجبل الذى سمع موسى عليه كلام ربى وأعطى الألواح

بالكتاب) أى يؤمنون بهو يحكمون بما فيه يعنى مؤمنى

(٣٩) - (تفسير مراح لبيد - اول)

أهل الكتاب (وأقاموا الصلاة) أى التى شرعها محمد صلى الله عليه وسلم (انا لانصيع أجر للصالحين) منهم (واذتقنا الجبل فوقهم)

أى رضناه باقتلاعهم من أصله يعنى ماذكرنا عندهم وورثناهم في الطور الآتية

(وظنوا) أى وأيقنوا (أنه واقع بهم) ان خالفوا وباقي الآية قد مضى فيها سبق (وإذا أخبر بك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) أى أخرجه الله ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما توالت الأبناء من الآباء وجميع ذلك أخرجه من صلب آدم مثل النروا أخذ عليهم الليثاق أن غافلهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وبقيا وذالك ببدان ركب فيهم عقولا وذلك قوله (وأشهدهم على أنفسهم ألسنكم بر بكم) أى قال ألسنكم بر بكم (قالوا) (بل) فأقروا لمبال بوبية فقالت الملائكة عند ذلك (شهدنا) أى على أقراركم (أن يقولوا) أى لثلاث يقولوا يعنى الكفار (يوم القيامة) أنا كنا عن هذا غافلين (أى لم نحفظه ولم نذكره) ويذكرون الليثاق ذلك اليوم ولا يحكمهم الانكار مع شهادة الملائكة وهذه الآية تذكر لجميع الكافرين ذلك الليثاق لانها وردت على لسان صاحب المعجزة فصامت في النفوس مقام ما هو على ذكر منها (أو يقولوا) أى الترية محتجين يوم القيامة (أنا) أشركنا بأوثاننا من قبل) أى من قبلنا ونقضوا العهد

وجعلناه فوق رؤوسهم كانه سقيفة (وظنوا) انه واقع بهم) ان لم يقبلوا أحكام التوراة (خذوا) أى آتيناكم بقوة) أى وقلنا لهم أعمالوا بما أعطيناكم بمجد على احتمال تكليفه (وإذا كروا ما فيه) من الثواب والعقاب ويقال احفظوا ما فيه من الأمور والتهى ويقال أعمالوا بما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أى راجين أن تنتظموا في سلك المتقين (وإذا أخبر بك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وقراه نافع وأبو عمرو وابن عامر على الجمع والباقون على التوحيد أى وإذا ذكر يا أكرم الخلق لليهود حين أخبر بك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألسنكم بر بكم) قالوا بل شهدنا) وذكر هذه الآية يجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين والمقصود من ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بتذكير الليثاق العالم المنتظم للناس كافة ومنهم عن التقليد وحملهم على الاستدلال. وفي تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف فطريق السلف أن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاده ذرية آدم كالنمر من ظهره أى من مسام ظهره إذ تحت كل شرة قبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الحيات في النفوذ فتخرج الثرة الضعيفة منها كما يخرج الصبيان من العرق السائل ثم أخرج من هذا الثرة التى أخرجه من آدم ذرية ذرائم أخرج من الثرة الآخر ذرية ذرائم ثم أخرج من الثرة الآخر ذرية ذرا وهكذا إلى آخر النوع الانساني وانحصار الجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والتلقى وجعل الثرة لاسلم أبيض والكافر أسود وخلط الجميع بقوله تعالى ألسنكم بر بكم فقال الجميع بل أى أنشر بنائهم أعاد الجميع إلى ظهر آدم ويجب اعتقاد اخراج الثرة من ظهر آدم كإشياء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أى استنطقهم بر بوبية تعالى فأقروا بذلك وقال الحكميم الترمذى ان الله تعالى جعل للكفار بالهية فقالوا بل عفاة منه تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم ونجى المؤمنين بالرحمة فقالوا بل مطيعين عتارين فنفعهم إيمانهم وطريق الخلف أن الله تعالى أخرج الثرة وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج أنهم كانوا عفاة فأخرجها الله تعالى في أحلام الأمهات وجعلها علة ثم مضى ثم جعلهم بشرا سويا وخلقها كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم عاركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه فبالاشهاد صاروا كائهم قالوا بل وان لم يكن هناك قول باللسان فحصل هذه الطريقة انه لاخراج ولا قول ولا شهادة بالفعل وإنما هنا كله على سبيل المجاز التخييل فنبه حال النوع الانساني بصد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة على روية الله القنضية لان ينطق ويقر بمقتضاها بأخذ الليثاق عليه بالفعل بالقرار بما ذكر وحيدنا فبني قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنكم بر بكم أى ونصب الله لهم دلائل روية وركب في عقولهم ما يدعوه إلى القرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألسنكم بر بكم قالوا بل فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم من منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التخييل والله أعلم بحقيقة الحال (أن) تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشركنا بأوثاننا من قبل) وقراه أبو عمرو بآلاء على التثنية والباقون بالثاء وفي قوله تعالى شهدنا قولان فقيل انه من كلام الملائكة وذلك لانهم لما قالوا بل قال الله تعالى للملائكة أشهدوا فقالوا أشهدنا عليهم ثلاث يقولوا ما أقروا وثلاث تقولوا أيها الكفرة أوشهدنا عليهم كراهة أن يقولوا. وقيل انهم شبة كلام الثرة أى وأشهدهم على أنفسهم بكذا وكذا ثلاث يقولوا يوم القيامة عند ظهور الامراننا كنا عن وحدانية الربوبية لانرفه أو كراهية أن يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بل وقوله أو تقولوا معطوف على أن تقولوا. واللى ان المقصود من هذا الاشهاد ثلاث يقول الكفار انما أشركنا لأن

(وكناذري من بعدهم) صفرا فاقتدينا بهم (أقبلنا بما فعل البطالون) أي أقمنا بما فعل الشركون أي الكذبةون بالتوحيد وانما اقتدينا بهم وكنافي غفلة عن الميثاق وهذه الآية قطع لغرضهم فلا يمكنهم الاحتجاج بكون الآباء على الاشراك بمدت كبرائه بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من النرية (وكذلك) أي وكذا ينافي أمر الميثاق (نصل الآيات) أي نبينها ليتبدوا بعد العباد (ولعلمهم يرجعون) أي ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر (واقل عليهم) أي واقرأ (٣٠٧) واخصصنا بمحمد علي قومك (نبا) خبر

(الذي آتينا آياتنا) أي

علمناه حجج التوحيد

(فانسلخ) خرج منها

(فأتيه الشيطان) أي

أدركه (فكان من الغاوين)

أي الضالين يعني بلم ين

بأعوراء أعان أعداء الله على

أوليائه بدعائه فزوع عنه

الايمن (ولوشنا لرفناه

بها) أي لرفناه بالعمل بها

يعني وقتناه للعمل بالآيات

فكانا نرفع بذلك منزلته

(ولكنه أخذنا إلى الأرض)

أي مال إلى الدنيا وسكن

اليهود ذلك أن قومه أهدوا

إليه رشوة ليدعوا على

موسى فأخذها (واتبع

هواه) أي اتقاد لمساعدته

إليه الهوى (فقله كمثل

الكلب) أراد أن هذا

الكافران زجرته لم يذبح

وان تركته لم يهد

فالحالان عنده سواء

كحالي الكلب الإلاه

فانه ان حمل عليه بالطرد

كان لاهنا وان تركه وريض

كان أيضا لاهنا هكذا

الكافر في الحالتين ضال

وذلك أنه زجر في اللسان

آباءنا أشركوا من قبل زمانا فقلدناهم في ذلك الشرك وقال الخلف معنى هذه الآية أنا ضلنا هذه الدلائل وأظهرناها للعقول كراهة أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فانهم انما عليه منبه أو كراهة أن يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لأسلافنا لأن نصب الأدلة على التوحيد قائم معهم فلا غلظ لهم في الاعراض عنه والاقبال على الاقتداء بالآباء كما قالوا (وكننا نذري من بعدهم) لانتذر على الاستدلال بالليل (أقبلنا بما فعل البطالون) من آياتنا الضالين فلو أخذنا انما هي عليهم وللمنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك لأنه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل ايهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معاندا ناقضا لهدهد ومنهم الحجة ولا تسقط الحجة بنسبائهم بعد اخبار الرسل (وكذلك نصل الآيات ولعلمهم يرجعون) أي مثل ما ينسخ الميثاق في هذه الآية نبين سائر الآيات ليتبدوا فيها يرجعوا إلى الحق ويرضوا عن الباطل (واقل عليهم نأ الذي آتينا آياتنا فانسلكم منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) أي وائل يا أكرم الخلق على اليهود ذبح الذي آتينا معلوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الأعظم وهو أحد صلوات بني اسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فيجيب بعين ما يطلب في الحال وكان بحيث اذا نظر رأى العرش وكان في مجلسه اثنا عشر ألف حجرة للتمتعين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان أول من صنف كتابا أن ليس للعالم صانع وهذا معنى فانسلخ منها أي انسلخ من تلك الآيات انسلاخ الحية من جلدها بان كفر بها فأدركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رحمهم الله تعالى زلت هذه الآية في بلم ين بأعوراء مؤد ذلك لأن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعوهم على موسى عليه السلام وقومه وكان محاب الدعوة وعنده اسم الله الأعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليه فاستجيبه ووقع موسى وبشوا اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقضائي التيه فقال بدعاه بلم فقال كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه ثم دعوا موسى عليه أن يزعزعه اسم الله الأعظم والايمن فسلخه الله مما كان عليه وزوع منه للرفقة فخرجت من صدره كحاملة يبيضا (ولو شئنا لرفناهها) أي ولوشنا لرفناهها للعمل بتلك الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الأعمال الصالحة (ولكنه أخذنا إلى الأرض) أي مال إلى الدنيا فآثر الدنيا الدينية على النازل السنية (واتبع هواه) في إتيان الدنيا معارضا عن تلك الآيات الجلية (فقله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أي ضعة بلم كصفتي الكلب في حالتي الثعب والراحه فهذا الكلب ان شديعه لهث وان ترك أيضا لهث لأجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية فكذلك هذا الحر يص السلان وعقته فهو ضال وان لم تظلم فهو ضال لأجل أن ذلك الضلال طبيعة ذاتية له واللهث ادلاع اللسان بالنفث الشديد أي فالكلب دائم للبهت سواء أزعجته بالطرد والنفث أو تركته على حاله بخلاف سائر الحيوانات انتفاها لاحتياج إلى النفس الشديد لا عند التعب (ذلك) أي المثل السيء (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)

عن الدعاء على قوم موسى فلم يزجر وتركه عن الزجر فلم يهد فضر بقله أخس شئ في أخس أحواله وهو حال اللهث مثلا وهو ادلاع اللسان من الاعياء والعلث والكلب يفعل ذلك في حال الكلال وحال الراحة ثم مع هذا التجميل جميع السكدين فقال (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني أهل مكة كانوا يمتنون هاديا يدهم فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لمساك كواولم يهتدوا أيضا لمساعدوا بالرسول فكانوا ضالين عن الرشدي في الحالتين

(فاقص القصص) يعني قصص الذين كذبوا أنبياءهم (المعلم يتفكرون) أي فتعظون ثم ذمهم فقال (سأمثل القوم) أي بس مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا) (٣٠٨) وأنفسهم كانوا يظلمون) أي بذلك التكذيب يعني أغابجروا ونحطهم (ولقد

ذرنا) أي خلقنا (لجهنم كثير من الجن والإنس) وهم الذين حقت عليهم الشقاوة (لهم قلوب لا يفقهون بها) أي لا يتقنون بها الخير والهدى (ولهم أعين لا يبصرون بها) أي سبل الهدى (ولهم أذان لا يسمعون بها) أي مواظ (القرآن أولئك كالأنعام) يأكلون ويشربون ولا يفقهون إلى الآخرة (بل هم أمثل) لأن الأنعام مطعنة لله والكافر غير مطيع (أولئك هم النافلون) عما في الآخرة من العذاب (وقد أساءوا الحسنى) يعني التسعة والتسعين (فادعوه بها) كقولك يا الله بقدر يعطيك (وذروا الذين يلحدون في أسأته) أي يميلون عن التقصد وهم للشرك كون علوا بأسأه الله سبحانه عليه قسموا بها أو أنهم زادوا فيها وتقصوا واشتقوا اللفظ من الله والزمى من التبريز واللانة من اللتان (سيعجزون) جزاء (ما كانوا يعملون) أي في الآخرة (وعن خلقنا أمة) يعني أمة مخلصي الله عليه وسلم كما قال في قوم موسى ومن قوم موسى الآية (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن يعني أهل مكة (ستستدرجهم) أي سنكبر بهم (من حيث لا يعلمون) أي كلما جندوا لنا مصيبة جندنا لهم صفة

أي . . . موسى ومن قوم موسى الآية (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن يعني أهل مكة (ستستدرجهم) أي سنكبر بهم (من حيث لا يعلمون) أي كلما جندوا لنا مصيبة جندنا لهم صفة

(وأولى لهم) أى أطيل لهم مدة عمرهم ليتادوا فى العاصى (ان كيدى) مكرى (متين) (٣٠٩) أى شديد زلت فى الستينين

من قرش قتلهم الله فى ليلة واحدة بعد أن أمهلهم طويلا (أولم يتفكروا) فعملوا (ما يصاحبهم) محمد (من جنه) أى جنون (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) ليستدلوا بها على توحيد الله وفسرنا ملكوت السموات والأرض فى سورة الأنعام (وما خلق الله من شئ) أى وما خلق الله من الأشياء كلها (وأن عسى أن يكون قدامك رب أجلمهم) أى وفى أن أجلمهم قريبة فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى فى القرآن غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون بى أنه خاتم الرسل ولا وحى بعده ثم ذكره كرامة أعراسهم عن الإيمان فقال (من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يسمهون) يسألونك عن الساعة أى الساعة التى يموت فيها النخلق يتنون يوم القيامة (أيان الساعه) أى أياها (مرساها) أى متى وقوعها وثبوتها (قل) أى العلم بوقوعها (وعند ربى لا يخفى

أى والذين كذبوا بآياتنا التى هى معيار الحق وهو القرآن سنقرهم إلى ما يهلكهم ونضع عقابهم من حيث لا يعلمون ما يرد به وذلك لأنهم كما أوتوا بحجج من آيات الله عليهم بآيات من أبواب النعمة والحجج فى الدنيا فيزدادون بطرا وانهما كافى الفسادو يتدرجون فى العاصى بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرهم أثقل ما يكونون (وأولى لهم) أى أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم (ان كيدى متين) أى ان استدرجى قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة وسمى الذئاب كيدا لأن ظاهره احسان ولطفو وابطنه خذلان وقهر (أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنه) أى كذبوا بآياتنا ولم يتفكروا ليس بنبيهم محمد ﷺ حالة قليلة من الجنون والتعير عنه ﷺ صاحبهم لا اعلام بأن طول مصاحبتهم صلى الله عليه وسلم عما يطلعهم على زاهته ﷺ عن شائبة جنون لفسافية اسمها جنه وخبرها صاحبهم والحيلة فى محل نصب معمولة ليتفكروا (ان هو الانذير مبين) أى ما هو الرسول مخوف مظهر لهم فى التخويف بلفه يعلمونها (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ) أى كذبوا بها ولم ينظروا نظر تأمل فيها بدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفيما خلق الله فيها من جليل ودقيق ليدهم ذلك على العلم بوحديته الله تعالى وبشارشوته التى تنطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فان كل فرد من أفراد الأكوان دليل لآيم على الصانع المجيد وسبيل واضح الى التوحيد (وأن عسى أن يكون قدامك رب أجلمهم) أى وفى أن الشأن عسى أن يكون أجلمهم فداقرب أى لهمم بموتون عن قريب فسلم لا يسارعون الى التدبر فى الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى فى آيات كتاب بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به أى لأنهم اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرحى منهم الإيمان بغيره (من يضلل الله فلا هادى له) فان أعراسهم عن الإيمان لاضلال الله ايهم (ويذرهم فى طغيانهم) أى ضلالهم (يضمهون) أى يتحجرون وقرآنهم وابن كثير وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع على طريقة الالتفات وأبو عمر وبالياء والرفع وحزمة والكسائي بالياء والجزم وقدر وى الجزم بالنون عن نافع وفى عمرو وفى الشواذ (يسألونك) بأشرف الخلق سؤال استهزاء (عن الساعة) أى عن وقت القيامة منهم بمل بن أبى قيسر وشمويل بن زيد والساعة من الأسماء الغالبة كالساعة لثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بنبته على حين غفلة من الخلق ولأن حساب الخلق يقضى فيها فى ساعة واحدة وأولها تمام طولها فى نفسها كساعة واحدة عند الخلق (أيان مرساها) أى متى حصولها (قل) أى أعلمها عند ربى (أى انه تعالى قد انقضى به جميع ثم يخبر بأحدنا من ملك مقرب وأنى مرسل (لا يخفى لوقتها) أى لا يظهر أمرها التى تسألونى عنه فى وقتها المعين (الاهو) أى لا يقر على اظهار وقتها للبين بالاعلام (الاهو) (تقلت فى السموات والأرض) أى تقل تحصل العلم بوقتها للبين على أهل السموات والأرض فلم يعلم أحد من الملائكة للقرين والانبيا المرسلين متى وقوعها (لأننا نيك الابتئة) أى فجأة على غفلة قال النبى ﷺ ان الساعة تفتحا الناس قال رجل يصلح موضعه والرجل يسق ماشيته والرجل يقوم بسلطه فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفضه (يسألونك كأنك حقى عنها) أى يسألونك عن كنه قل الساعة مشها حالك عندهم بحال من هو بالغ فى العلم بها وحقيقة الكلام كأنك مبالغ فى السؤال عنها فان ذلك فى

لوقتها أى لا يظهرها فى وقتها (الاهو) (تقلت فى السموات والأرض) أى تقل وقوعها وكبر على أهل السموات والأرض ما لهما من الأهوال (لأننا نيك الابتئة) أى فجأة (يسألونك كأنها حقى عنها) أى علمها مستول عنها

(قل انما علمنا عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي أن علمنا عند الله حين سألوهم أن يعلموا (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) الآية وذلك أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسر الرخيص قبل أن يوافي قشري من الرخيص لترغب فيه وبالأرض التي تريد أن تجسد قرة تحمل منها فأقر الله تعالى هذه الآية ففنى قوله لا أملك لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بأن ربح ولا ضرا أي دفع ضرر بأن أرخل من الأرض التي تريد أن تجسد إلا ما شاء الله أن أملكه بتمليكها (ولو كنت أعلم الغيب) أي ما يكون (٣١٠) قبل أن يكون (لاستكثرت من الخير) أي لا دخرت في زمن الخصم من

الجب (وما سميت السوء).
أي وما أصابني الضر
والنقر (إن أنا أنذير)
لمن لا يصدق ما جئت به
(وبشير) لمن اتبعني
وآمن بي (هو الذي خلقكم
من نفس واحدة) يعني آدم
(وجعل منها زوجا) أي
حواء خلقها من ضلعه
(ليسكن اليها) أي لياأس
بها ويأوي اليها (فلما
تفشاها) أي جامعها (حملت
حملا خفيفا) يعني النطفة
ولتي (فمرت به) أي
استمرت بذلك الحمل
الخفيف وقامت وقعدت
يعني لم يشغلها (فلما أنزلت)
أي صارت إلى حال الثقل
ودنت ولادتها (دعوا الله
رهبما) أي آدم وحواء
(لأن آتينا صالحا) أي بشرا
سويا يملئنا (لتكون من
الشاكرين) وذلك أن
ابليس أناه في غير صورته
التي عرفته وقال لها مآل الذي
في بطنك قالت ما أدري

حكم للباقة في العلم بها (قل انما علمنا عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون
السبب الذي لأجله أخفيت معرفة وقته للمع من الخلق (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا
ما شاء الله) أي أنا لا أؤدي علم الغيب أن أنا أنذير وبشير ونظيره قوله تعالى في سورة يونس
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل
وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى تشتري قريح وبالأرض
التي تجيب لترتحل إلى الأرض الخصبة فأقر الله تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبي صلى الله عليه
وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت ربح في الطريق ففرت البواب منها فأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بموت رفاعه بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظروا إلى ابن ناقة فقال
عبد الله بن أبي معوية لا تصحبون من هذا الرجل يخرج عن موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين
ناقه فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كبت وكبت وكبت وناقه في هذا الشعب
قد تعلق زمامها بشجرة فوجدها على ما قال فأقر الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا
ما شاء الله أي أن يفعل بي من النفع والضرر (ولو كنت أعلم الغيب) أي جلب منافع الدنيا ودفع مضراتها
(لاستكثرت من الخير) أي لحصلت كثيرا من الخير بترتيب الأسباب (وما سميت السوء)
لاحتمازي عنه باجتناب الأسباب (إن أنا أنذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم
يؤمنون) بالجنة والنار (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها
زوجا) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أي ليستأنس بها (فلما تشاها) أي
جامعها (حملت حملا خفيفا) في مبادئ الامر (فمرت به) أي فاستمرت بالحمل على سبيل
الخفة وكانت تقوم وتقوم وتمشي من غير ثقل (فلما أنزلت) أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها
(دعوا الله رهبما) أي آدم وحواء (لأن آتينا صالحا) أي ولدا سويا يملئنا (لتكون من الشاكرين)
لنعمائك (فلما آتاهما صالحا) أي ولدا آدمي مستوي الأعضاء خاليعا العوج والرج (جعل الله تعالى
شركاء فيما آتاهما) أي في تسمية ما آتاهما من الولد وقيل لما آتاهما ذلك الولد السوي الصالح عزما
على أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطلعته وعبوديته على الإطلاق ثم بدلها في ذلك فتارة كانوا
يتقنون به في مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمر ونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وإن كان منا
فر بطوعة الآن حسنت الأبرار سيئات للقرين وقيل لما نقل الولد في بطنها أنها ابليس في صورة
رجل وقال ما هنا يا حواء ما يخاف أن يكون كلبا أو بهيمة وما يبريك من أين يخرج أم من دبرك

فقتلتك
قال أي أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزير أو ذر كرت ذلك لآدم فلم يزل في هم
من ذلك ثم أنها فقال ان سألت الله أن يجعله خلقا سويا يملئك أنسمينه عبد الحارث وكان اسم ابليس في اللاتكة الحارث ولم يزل بها
حتى غرها فلما ولدت ولدا سويا خلق سمته عبد الحارث برضا آدم فذلك قوله (فلما آتاهما صالحا) أي بشرا سويا (جعل الله شركاء)
يعني ابليس فأوقع الواحد موقع الجمع (فما آتاهما) من الولد اسميه عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبدا لآله تعالى ولا عرف حواء أنه
ابليس ولم يكن هذا شركا بالله لأنهما لم يذهبا إلى أن الحارث رهبما لكنهما قصدا إلى أنه كان سبب نجاته وسلامة أمه وتم الكلام
عند قوله آتاهما ثم ذكر كفار مكة فقال

وَهُمْ يَخْلُقُونَ يَتَنَزَّلُ فِي الْأَصْنَامِ
(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا)
أَيُّ لَا تَنْصُرُ مِنْ أَطَاعِهَا
(وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ)
أَيُّ وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ بِكَرَاهِيَةٍ مِنْ أَرَادَهُمْ
بِكُفْرِهِمْ وَأَنْعَمُوا ثُمَّ خَاطَبَ
لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ (وَأَنْ
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى) يَتَنَزَّلُ
الشُّرَكَاءُ (لَا يَنْبَغِيكُمْ
سِوَاهُ عَلَيْهِمْ أَدْعُوهُمْ
أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ أَلَا الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
يَتَنَزَّلُ فِي الْأَصْنَامِ (عِبَادُ) أَيُّ
عَمَلُكُمْ خَلْقُكُمْ (أَمْثَلُكُمْ
فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لَكُمْ) أَيُّ فَعَلِيهِمْ هَلْ
يَسْتَجِيبُونَكُمْ أَوْ يَجَازُونَكُمْ
(أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أَيُّ أَنْ
لَكُمْ عِنْدَ الْأَصْنَامِ مَنَفَعَةٌ
أَوْ تُؤْنِسُكُمْ أَوْ تُفْضِلُكُمْ مِنْ
فَضْلِ الْإِلَهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ
(أَلَمْ نَرْجُلُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ)
مَتَى يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُمْ
بِطُغْيَانِهِمْ (فَيَتَنَزَّلُونَ
بِهِمْ بَطْشًا يَنْزِلُ الْإِلَهُ
أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (مَنْ
كَيْدُكُمْ) أَيُّ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ
(فَلَا تَنْظُرُونَ) أَيُّ فَلَا
تَهْتَابُونَ وَاعْبَادُوا كَيْدِي
(أَنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ) أَيُّ الَّذِي
يَسْتَوْلِي حَقِّي وَنَصْرِي
(الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) أَيُّ
الْقُرْآنَ (وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ) أَيُّ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَقَوْلُهُ

يَقْتُلُكُمْ أَوْ يَنْشِقْ بِطْنُكُمْ نَقَافَتُ حَوَادِمْ كَرْتِ ذَلِكَ لَأَدْعُو عَلَيْهِ السَّلَامَ فَلَمْ يَزَلِ الْإِلَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهَا
وَقَالَ أَنْ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي حَاسِبًا مِثْلَكَ وَيَسْجُلَ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِكَ تَسْمِيَةً عَبْدًا لِحَارِثٍ وَكَانَ اسْمُ
أَبِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْحَارِثُ فَادْعُوهُمْ وَاسْمِ ذَلِكَ الْوَلَدِ عَبْدًا لِحَارِثٍ فَتَبَيَّنَ عَلَى أَنَّهَا تَسْلَمُ مِنَ الْآفَاتِ
بِرَكَّةٍ دَعَا هَذَا الشَّخْصَ لِلْعَمَلِ بِالْحَارِثِ فَلَمَّا حَاصِلَ الْإِشْرَاقِ فِي لَفْظِ الْعَبْدِ لَأَجْرَهُ صَارَ أَدْعُو عَلَيْهِ السَّلَامَ
مَعَانِي فِي هَذَا الْعَمَلِ بِسَبَبِ الْإِشْرَاقِ الْحَاصِلِ فِي مَجْرَدِ لَفْظِ الْعَبْدِ هَذَا لَا يَقْدَحُ فِي كَوْنِ الْوَلَدِ عَبْدًا لِلَّهِ
مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ عَمَلًا وَهُوَ مَخْلُوقٌ لِأَنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ حَسَنَاتِ الْأَرْوَاحِ سَبْعُونَ أَلْفًا (قَتَالِ اللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ) قِيلَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ أَنَّ أَدْعُو عَلَيْهِ السَّلَامَ كَانَ يَسْبِيهِ الْأَصْنَامَ وَيَرْجِعُ فِي
طَلَبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ إِلَيْهَا فَذَكَرْنَا قِصَّةَ أَدْعُو وَحَوَادِمْ كَرْتِ أَنَّ تَعَالَى لَوْ أَنَّهَا وَلَدَاسِيَا صَالِحًا
لَا سَتَقَالُوا بِشُكْرِ تِلْكَ النِّعْمَةِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فَلَمَّا أَنَّهَا صَالِحًا جَلَّالَهُ شُرَكَاءُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى جَلَّالَهُ شُرَكَاءُ
وَرَدَّ بَعْضُ الْأَسْتَفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالتَّبْيِيهِ وَالْتَّقْدِيرِ فَلَمَّا أَنَّهَا صَالِحًا جَلَّالَهُ شُرَكَاءُ فَكَيْفَ
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى قَتَالِ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُّ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ شُرْكَ هَؤُلَاءِ لِلشُّرَكَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالشُّرْكَ
وَيَسْتَبْشِرُونَ فِي أَدْعُو (أَشْرِكُونَ) بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ (مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا) وَمَنْ حَقَّ الْعِبَادَةُ أَنْ يَكُونَ
خَالِقًا لِعِبَادِهِ وَالْعَبِيدُ خَالِقِي الْأَفْعَالِ لَأَنْ مَنْ كَانَ خَالِقًا كَانَ لَهُمَا قُلُوبًا كَالْعَبِيدِ خَالِقًا لَأَفْعَالِهِمْ فَكَيْفَ
لَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْإِلَهِ أَنَّ الْعَبْدَ غَيْرُ خَالِقٍ لَأَفْعَالِهِمْ (وَهُمْ) أَيُّ الْأَصْنَامُ (يَخْلُقُونَ)
فَهِيَ مَنَحُوتَةٌ أَوْ لُصِيَّتْ وَكَالْفُكْرُونَ يَخْلُقُونَ فَلَوْ تَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ لَأَمْنُوا وَلَا يُشْرِكُونَ بِالْخَالِقِ شَيْئًا
(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) أَيُّ الْأَصْنَامُ (لَهُمْ) أَيُّ لِعِبَادَتِهِمْ (نَصْرًا) وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ) أَيُّ أَنْ
الْأَصْنَامُ لَا تَنْصُرُ مِنْ أَطَاعِهَا وَلَا تَدْفَعُ عَنْ أَنْفُسِهَا مَكْرُوهًا فَإِنْ أَرَادَ كُسْرُهَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ عَنْهَا
وَالْعِبَادَةُ دَعْوَى أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى إِصْلَاحِ النِّفَعِ وَدَفْعِ الضَّرَرِّ وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَكَيْفَ
يَلْبِقُ بِالْعَاقِلِ عِبَادَتَهَا (وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَنْبَغِيكُمْ) أَيُّ وَأَنْ تَدْعُوا بِمِثْلِ الْكُفْرِ الْأَصْنَامِ
إِلَى أَنْ يَهْدِيَكُمْ إِلَى الْحَقِّ لَا يَجِيبُكُمْ كَمَا يَجِيبُكُمْ اللَّهُ (سِوَاهُ) أَيُّ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) أَيُّ
مُسْتَوْعِلِيكُمْ فِي عَدَمِ الْإِفَادَةِ دَعَاكُمْ لَكُمْ وَسُكُوتَكُمْ فَلَا يَتَغَيَّرُ لَكُمْ فِي الْحَالِينِ كَمَا لَا يَتَغَيَّرُ حَالُكُمْ عَنْ
حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ (أَنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا مِثْلَكُمْ) أَيُّ أَنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ تَعَالَى
مِنْ الْأَصْنَامِ وَتَسْمُونَهُمْ لَهْمًا مِثْلَكُمْ مِنْ حَيْثُ أَنْهَاهُمْ لَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَسْخَرَةً لِأَعْمَارِهِ عَاجِزَةً عَنْ النِّفَعِ
وَالضَّرَرِّ (فَادْعُوهُمْ) فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ كُشْفِ ضَرَرٍّ (فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِي
أَدْعَاؤِهَا إِلَهُهُ وَمُسْتَحَقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ (أَلَمْ نَرْجُلُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) أَيُّ أَلَمْ نَحْمِلْ أَدْعَاؤَهُمْ بِأَدْعَاؤِهِمْ
أَيُّ أَدْعَاؤُهُمْ بِهَمَالِهِمْ أَوْ أَخَذَهُمْ (أَلَمْ نَحْمِلْ أَدْعَاؤَهُمْ بِهَمَالِهِمْ) وَقَدَّرْتُ
أَنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا مِثْلَكُمْ عَلَى أَعْمَالِ الْإِنْفَانِيَّةِ عَمَلِ الْحَاجِزَةِ أَيُّ مَا لِي بِالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ تَعَالَى عِبَادًا مِثْلَكُمْ بَلْ أَدْعُو مِنْكُمْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَلَمْ نَرْجُلُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لِلْمَآثِلَةِ بِإِبْتِغَاءِ النِّقَاصِ (قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) قَالُوا الْحَسَنُ أَنْ مَشَرَكِي أَهْلُ مَكَّةَ كَانُوا يَخْشَوْنَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِهِمْ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَقَدْ يَلَاكُمُ الرَّسُولُ لَمْ أَدْعُوا لَكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِمْ
فِي عَدَاوَتِي (مَنْ كَيْدُكُمْ) أَيُّ أَعْمَلُوا أَنْتُمْ وَأَلْهَمْتُكُمْ فِي هَذَا كَيْدِي وَالتَّوَاتُفِ فِيهِمَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكْرٍ
(فَلَا تَنْظُرُونَ) أَيُّ أَعْمَلُوا أَنْتُمْ وَأَلْهَمْتُكُمْ فِي كَيْدِي وَلَا تَوَاجُلُونَ فَنِي لِأَبَالِي بِكُمْ وَأَلْهَمْتُكُمْ لِأَعْتَادِي
عَلَى حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى (أَنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) أَيُّ أَنْ نَاصِرِي هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ
لِلشَّمْلِ عَلَى هَذِهِ الْعَالَمِ الْعَظِيمَةِ النَّافِعَةِ (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) أَيُّ يَنْصُرُهُمْ فَلَا تَضُرُّهُمْ عَدَاوَةُ مَنْ

علاهم وروى أن عمر بن عبد العزيز ما كان يدخر لأولاده شيئاً فقيل له في ذلك فقال ولدى إيمان يكون من الصالحين أو من المجرمين فإن كان من الصالحين فويله الله ومن كان الله ولياً فلا حاجة له إلى مالى وإن كان من المجرمين فقد قال تعالى فإن أكون ظهيراً للمجرمين ومن ردها الله ما اشتغل بإصلاح مهماته (والذين يدعون من دونه) أى والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الأصنام (لا يستطيعون نصركم) فى أمر من الأمور (ولأنفسهم ينصرون) أى ينعون بما يرادهم فكيف بالى بهم (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون) أى وإن تدعوا أيها المشركون تلك الأوثان إلى أن يهدوك إلى ما تحصلون به مقاصدكم لا يجيبوا دعاءكم فضايعاً للسعادة لأنهم أموات غير أحياء (وتراهم ينظرون اليك) أى ترى بأعشرف الخلق الأصنام يشبهون الناظرين اليك لأنهم مصورون بالعين والأنف والأذن (وهم لا يبصرون) أى والحال أنهم غير قادرين على الإبصار لأنهم أموات غير أحياء (خذ العفو) أى أقبل البصير من أخلاق الناس من غير تحسس ثلاثاً لتولم العداوة أولئك الخلق فاعلم أن من المال شأؤك به غفنه ولا تسأل عمالاً ذلك (وأمر بالعرف) أى باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلين) من غير عارة ولا كفافة قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد إن ربك يقول هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتقو عن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبريل مطابق لفظ الآية لأنك لو وصلت من قطعك فقد عفوت عنه وإذا آتيت من حرمك فقد آتيت بالمعروف وإذا عفوت عن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين (وأما يفرغك من الشيطان نزع فاستعد بالله) أى إن يمينك وسوسة من الشيطان فالتجى إليه تعالى في دفعه عنك (إنه سمع عليم) أى أنه تعالى سمع باستعدادك بلسانك عليم في ضميرك من استحضار معاني الاستعاذة قال قول اللسان بدون المعارف القلبية عليم القائل بالآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والظلمة محقق فنزل قوله تعالى وأما يفرغك من الشيطان نزع (إن الذين اتقوا) أى اتقوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (إذا مسهم طائف من الشيطان) أى إذا أصابهم وسوسة من الشيطان وغضب (فذكروا) ما أمرهم الله به من ترك إصغاء الضمير ومن أن الإنسان إذا أمضى الغضب كان شريكاً لل سبع المؤذية والحيات القاتلة وإن تركه واختار العفو كان شريكاً للأكابر الأتقياء والأولياء ومن أنهم بما انقلب ذلك الضعيف فوقاً قادراً على الغضب فحينئذ ينتقمهم على أسوأ الوجوه أما إذا دعا كان ذلك إحساناً منه إلى ذلك الضعيف (فأذا هم مبصرون) أى إذا حضرت هذه التذكيرات في عقولهم في الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان ويحصل الانكشاف فيبتون عن العصية (وأخوانهم يدعونهم في التي) أى وأخوان الشياطين من الكفار يقولون الشياطين في الضلال وذلك لأن شياطين الإنس إخوان لشياطين الجن فشياطين الإنس يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الضلال (ثم لا يقصرون) أى لا ينكشف التعاون عن الضلال والتعاون عن الضلال (وإذا لم تأتهم) أى أهل مكة (بآية) كاطلبوا (قالوا لولا اجتماعيتها) أى هلا جمعنا من تلقاء نفسك تقولاً فانهم يزعمون أن سائر الآيات كذلك أو هلا اقتصرحتنا على الحكم إن كنت صادقاً في أن الله يقبل دعاءك ويحبب التماسك وعند هذا أمر الله رسوله أن يذكر الجواب الثاني بقوله تعالى (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) أى ليس لي أن أقترح على ربي في أمر من الأمور وإنما أنتظر الوحي فكل شيء كبرئى به فقلته والافعال واجب السكوت وترك

بالجواهر حتى يحسب الإنسان أنها تنظر إليه (خذ العفو) أقبل البصير من أخلاق الناس ولا لاستقص عليهم وقيل هو أن يعفو عن ظلمه ويصل من قطعه (وأمر بالعرف) أى بالمعروف الذى يعرف حسنه كل أحد (وأعرض عن الجاهلين) أى لا تقابل السفه بفسفه فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزلت (وأما يفرغك من الشيطان نزع) أى يعرض لك من الشيطان عارض وبذلك منه أدنى وسوسة (فاستعد بالله) أى اطلب النجاة من تلك البلية بالله (إنه سمع) لعناك (عليم) أى عالم بما عرض لك (إن الذين اتقوا) يعنى المؤمنين (إذا مسهم) أى أصابهم (طيف من الشيطان) أى عارض بمن وسوسة (فذكروا) أى استعاذوا بالله (فأذا هم مبصرون) أى مواقع خطمهم فيبصرون عن مخالفة الله (وأخوانهم) يعنى الكفار وهم إخوان الشياطين (يدعونهم في التي) أى الشياطين يطولون لهم الإغواء والضلالة (ثم لا يقصرون) أى عن

الضلالة ولا يبصرون كما اقتصر الله على عايناً أبصرها (وإذا لم تأتهم) يعنى أهل مكة (بآية) سألوكمها (قالوا لولا اجتماعيتها) أى اختلقتهم وأنشأها من قبل نفسك (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) الآية أى ليستأتى بالآيات من قبل نفسى الاقتراح

(هذا) أى هذا القرآن الذى أنيت به (صائر من ربكم) أى جميع ودلائل تقود الى الحق (واذا قرى القرآن) نزلت في تحريم الكلام في الصلاة وكانوا يتكلمون في الصلاة في بدء الأمر قبل نزلت في تركه (٣١٣) الجهر بأمره وراء الامام وقيل نزلت في السكوت والخفية وقوله

(وأنتسوا) أى عما يحرم من الكلام في الصلاة أو عن رفع الصوت خلف الامام وأساكنوا الاستماع الخفية (واذكروا ربك في نفسك) يعنى القراءة في الصلاة (تضرعا وخيفة) أى استكانة على وخوفا من عذابى (ودون الجهر) أى دون الرفع (من القول) أى من القرآن (بالندو والآصال) أى بالبكر والشميات أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الاسرار ودون الجهر فبا يرفع فيه الصوت (ولانكن من النافلين) أى الذين لا يقرأون في صلاتهم (ان الذين عند ربك) يعنى للانكسة وهم بالقرب من رحمة الله (لا يستكبرون عن عبادته) أى هم مع زهوتهم ودرجهم يعبدون الله كأنه قيل من هو أكبر منك أيها الانسان لا يستكبرون عن عبادة الله (ويسبحونه) أى يزهونه عن السوء (وله يسجدون) يعنى تسبيحهم وغالبا فقال

الاقتراح قدم الاتيان بالمعجزات التى اقترحوها لا يفتح في الغرض لأن ظهور القرآن على وفق دعواه صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فإذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعت قد ذكر الله تعالى في وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أى القرآن (صائر من ربكم) أى بمنزلة البصائر للقلوب فيه تبصر الحق وتترك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) بالقرآن فالقرآن في حق أصحاب عين اليقين وهم من بلغوا النهاية في معارف التوحيد بصائر وفي حق أصحاب علم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات للتدليل هدى وفي حق عامة المؤمنين رحمة (واذا قرى القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم القرآن في مسالك الاحتجاج بكونه معجزا على صلق نبوته فانهم قالوا لا تمعوا لهذا القرآن والوا فيه لكم تنبؤون فأمرؤا بالاستماع حتى يمكنكم الوقوف على مافى القرآن ولما قال تعالى (لكنكم زحمون) أى لكم تظلمون على مافى القرآن من دلائل الاعجاز فتؤمنوا بالرسول فتصبر وامرحونين (واذكر ربك في نفسك) أى اذكر ربك عارفا بما في الذاكر التى تقولها بلسانك مستحضرا لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعلية وذلك لأن الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعا وخيفة) أى متضرعا وخائفا امامي تقصير الأعمال أو في الحاجة أو في أنه كيف يقابل نعمة الله التى لا حصر لها بالطاعة الناقصة والذاكر القاصرة (ودون الجهر من القول) أى متوسطا بين الجهر والخفافة بأن يذكر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالندو والآصال ولا تكن من النافلين) ولشئ أن قوله تعالى بالندو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكر كحاصل في كل الأوقات وقوله تعالى ولا تكن من النافلين يدل على أن الذكر التلوي يجب أن يكون دائما وأن لا ينقل الانسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة لأن كل أثر حصل في جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت في البدن حصلت منه تنامي الى الروح. ألا ترى ان الانسان اذا تخيل الشئ الحامض ضرس سنة واذا تخيل الحامض وهو غضب سخن بدنه فبهذا نزل من الروح الى البدن. واعلم أن قوله تعالى واذكر ربك في نفسك وان كان ظاهره خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا أنه عام في حق كل للكافرين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد جوه نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أى ان اللانكسة مع غاية طهارتهم وبرائتهم عن بوائع الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها بحسب امرواها (ويسبحونه) أى يزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أى لا يسجدون لغيره تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى للمارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن الاصل في العبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانها نزلت في البدء في غزوة بدر قبل القتال. وآياتها تسع وسبعون. وكتابتها ألف ومائة وثلاثون. وحروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعون تسعون حرفا ﴿ (بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال) أى يسألك الخلق أصحابك منهم سعد بن أبي

(٤٠) - (تفسير مراح لبيد) - (اول) أى الثمانين لم ينزلت حتى اختلفوا في غنم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تأخذوا بها لاننا نأخذها بالحرب وقالت الاشياخ كناردا لكم لا تأخذوا في المصاف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو انتم لم تأخذوا في المصاف لآخذوا

بينهم على السواء (فاتقوا الله) أي بطاعته واجتنب معاصيه (وأصلحوا ذات بينكم) يعني حقيقة وصلحكم أي لا تخافوا (وأطيعوا الله ورسوله) أي سلواهما في الأنفال فانهما يحكما فيها ما أرانا (إن كنتم مؤمنين) ثم وصف المؤمنين فقال (أما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي المؤمنون إذا خوف بالله فرق قلبه واتقاد لأمره (وإذا ثلث عليهم آياته زادتهم إيماناً) أي تصديقا وبقينا (وعلى ربهم يتوكلون) أي بالله يتقنون لا يرجون غيره (أولئك هم المؤمنون حقا) أي صدقا منهم من غير شك لا يباين للثاني (لهم) فجلت عندهم (يعني) درجت الجنة (ومغفرة) وورق كرم (كما أخرجك) أي امض لأمر الله في التفانيم وإن كره بعضهم ذلك لأن الشبان أرادوا أن تسلبوا بها فقال الله أعط من شئت وإن كرهوا كما مضت لأمر الله في الخروج وهم له كارهون ومعنى كما أخرجك (ربك من يتك)

وقاص أو قرأتك عن التفانيم يوم بدر وسميت التفانيم أنفالاً لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تلهم التفانيم ولها عطية من الله تعالى زائدة على الثواب الأخرى للجهاد (قل الأنفال لله والرسول) أي قل يا أشرف الخلق حكم الأنفال يوم بدر مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) في أخذ التفانيم وأتركوا المنازعة فيها (وأصلحوا ذات بينكم) أي أصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر التفانيم إلى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) في أمر الصلح وارضوا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن كنتم مؤمنين) فالإيمان لا يتم حصوله إلا بالزمام هذه الطاعة فاحضروا الخروج عنها (أما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي أما الكاملون في الإيمان الذين فرغت قلوبهم لجرد ذكر الله من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وأفعاله استظلم له تعالى. وقال أصحاب الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للصلاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا الخوف في قلبه أكل (وإذا ثلث عليهم آياته) أي الله التي هي القرآن (زادتهم إيماناً) أي يقينا بقول الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون بالكلية على فضل الله ينقطعون بالكلية عما سوى الله (الذين يقيمون الصلاة) أي يمتثلون للصلاة الخمس بحقوقها (وعارزونهم ينفقون) أي ويؤدون زكاة أموالهم (أولئك) أي الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقا) أي إيماناً حقاً لانهم حققوا إيمانهم بضم الأعمال القلبية والقالية إليه (لهم درجات عند ربهم) مراتب السموات الحاصلة في الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يتجاوز الله عن سيئاتهم. وقال العارفون هي إزالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام بن عروة هو ما أعد الله لهم في الجنة من لذيذ الماء كل والمشرب وهناك العيش (كما أخرجك ربك من يتك الحق وان فريقا من المؤمنين لكاهنون) أي أنهم رضوا بهذا الحكم في الأنفال وإن كانوا كاهنين له كما أخرجك ربك من المدينة بسبب حق يظهر وهو عوكة الإسلام والنصر على أعداء الله والحال أن فريقا من المؤمنين لكاهنون الخروج للقتال لقلة العدد أولمعي الأنفال ثابتة لله ثموتنا بالحق كما خرجنا من يتك بالمدينة بالحق أي بالوحي وذلك إن عبر فريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون ركباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فاعجبهم فلقى العير لكره الحيرة وقلة القوم فلما خرجوا وبلغوا وادي دفران وهو قريب من الصفراء نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين أما العير وأما فريشاً فاستشار النبي أصحابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم الفير وهو اسم عسكر مجتمع فقالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال إن العير قدمت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أي بجميع أهل مكة ومضى إلى بدر فقالوا يا رسول الله عليك باليرودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فأحسنا في القول ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن ما خلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو يا رسول الله امض كما أمرك الله فإنا معك

حيث أحييت لاقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت و بلق ففعلنا ناهنا فاعادون ولكن اذهب أنت و بلق ففعلنا ناهنا كما قالون مادامت عين منا تطرف فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس فقال سعد بن معاذ مضى يا رسول الله لما أردت فوالذي بينك والحق لو استعرضت بنا هذا البحر غفنته لخننا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا واناصر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسط قول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سمر على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم (بجادلوك في الحق) تلقى النفي (بسماعين) أي بعد اعلامك انهم ينصرون أيما توجهوا وجدالم هو قولهم ما كان خروجنا الا للبر وهلاذ كرت لنا القتال لتأهيله وكان ذلك لكرهتهم القتال (كأنا يساقون الى الموت وهم ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف الى القتل والحال أنهم ينظرون الى أسباب الموت (واذ بعدكم الله إحدى الطائفتين أنهلكم) أي واذا كروا وقت أن يمدكم الله بأن إحدى الطائفتين العبر أو الاسكر حتمتكم بكم تسلطون عليا تسيطر على اللالك (تصرفون فيهم كيف شئتم وتودون) أي وتحبون (ان غير ذات الشوكه) أي القوة (تكون لكم) وهو الميراثم يكن فيها الأثر يرون فارما ورئسهم أوسفيان وذات الشوكه وهي الاسكر وهم ألف مقاتل ورئسهم أبو جهل (ويريد الله أن يحق الحق) أي يثبت النصر على الأعداء (بكمائهم) أي بأسباب النصر من أواصره تعالى لللائكة بالامداد (ويقطع دابر الكافرين) والمعنى أنهم تر يدون سفساف الأمور وهو الميراثم فوز بالمال والله تعالى ير يد مالياه بأن توجهوا الى التقدير المايه من اعلام الدين الحق واستتصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر الثرية وقوى الدين (ويبطل الباطل) أي ليظهر بطلان الباطل بتقوى رؤساء الحق وفقر رؤساء الباطل (ولو كره المجرمون) أي للشركون ذلك الاظهار (اذ تستغيثون بهم) أي تطلبون منه العوث كأن يقولوا بنا نصرا على عدوك ياغيث المستغيثين أغننا أي فرجنا قال ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلاثمائة وثيف استقبل القبله وتوهميده وهو يقول اللهم استجبر لما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتبعد في الأرض ولمزل كذلك حتى سقط رداؤه مودما وبكرتم اذ لمزم قال كفاك يا بني الله مناشدتك ربك فاستنجر لك ما وعدك فزلت هذه الآية. واذ تستغيثون بدل من اذ بعدكم معمول لعلهم يجوز أن يكون العامل في اذهوقه تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أني عندكم) أي معيكم (بأنف من الللائكة مردفين) وقرأ عيسى بن عمر ويروى أيضا عن أبي عمرو اني بكسر الهمزة على اضمار القول أو على اجزاء استجاب بجري قال والمامة على فتح الهمزة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ويروى عن قتيل أيضا مردفين بفتح الدال أي ان الله أرفد السالسين بهم وأيدهم بهم بمعنى ان الللائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقهم والباقيون يكسروها أي متتابعين يأتي بعضهم أثر بعض وروى أنهزل جبريل بحسبته وأقاتل بها في عين الاسكر وفيه أبو بكر وزولم كائيل بحسبته قاتل بها في يسار الجيش وفيه على (وما جعله الا ليشري) أي وما جعل امدادكم بأزال لللائكة عيانا الا ليشري لكم بأنكم تصرون (ولطمعن به) أي بالامداد (فلاو بكم) كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لامن عند غيره أي ان الله ينصركم أيها المؤمنون

أمروا بحرب التفسير
عليهم ذلك فقبلوا الرخصة
في ترك مثل ذلك فهو
جدالهم (كأنما يساقون)
إلى الموت وهم ينظرون)
أي لشدة كراهتهم لقاء
القوم كأهم يساقون إلى
الموت عياناً (وأزيدكم الله
أحصى العالفتين) العير
والنغير (أهالكم ونودون
أن غرذبت الشوك) أي
العير التي لاسلاح فيها
(تكون لكم) ويريد الله
أن يحق الحق أي يظهره
ويبليه (بكماته) أي
بجده التي سبقت بظهور
الاسلام (ويقطع دابر
الكافرين) أي آخرهم
يق منهم يعني أنه أئاعهم
بحرب غريش هذا (الحق
الحق) ويقطع دابر
الكافرين ليظهر الحق
ويبليه (ويبطل الباطل)
أي ليهلك الكفر وفضيه
(ولو كره الجرمون) أي
ذلك (أذ تستشيون
ركبكم) أي تقلبون منه
للمونة بالنصر على العدو
قلتمكم (فاستجاب لكم
أي عاصكم بألف من
للائكة مردفين) أي
متبايعين جاءوا بعد
السلمين ومن قطع الدال
أراد بألف أرفد الله
السلمين بهم (ومجاهدة)

أى الارداڤ (الابشرى لكم) الآية ماضية فى سورة آل عمران

(اذنيشكم النحاس أمنتمنه) وذلك أن الله تعالى أمنهم أمنا غشيبهم النحاس معه وهذا كما كان في يوم أحد وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران (و ينزل من السماء ماء ليطهركم) وذلك أنهم لما ياتوا المشركين يبدوا أصابت جماعتهم جنابات وكان للمشركون قنسيقوهم إلى الماء فوسفوس اليهم الشيطان فقال

وزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه فأزل الله مطرا سال منه الوادى حتى اغتسلوا وزالت الوسوسة فذلك قوله (ليطهركم) من الاحداث والجنابات (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته التي تكسب عذاب الله (وليربط على قلوبكم) أى باليقين والنصرة (وبثب الأقدام) وذلك أنهم كانوا قد نزلوا على كتيب تقوص فيه أرجلهم فلبده المطر حتى بثبته على الأقدام (اذ يوحى بك إلى اللاتكة) أى الذين أمدهم للسلامين (أتى معكم بالهون والنصرة) (فتبثوا الذين آمنوا) بالتبشير بالنصر فكان الملك يسير أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم (سأقضى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخوف من أوليائي (فاضرربوا فوق الأعناق) أى الرنوس (واضرربوا منهم كل بنان) أى الأطراف من اليدين والرجلين (ذلك) الضرب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ياتنوها وخالفوها

فنفوا بنصره ولا تسكوا على قوتكم (إن الله عزيز) أى قاهر لا يقهر (حكيم) في أن ينزل من النصره فيضها في موضعها (اذنيشكم النحاس أمنتمنه) أى يجعل الله النحاس مغطيا لكم أنفاسكم خوفا العدو من الله تعالى واذيدل ثان من اذيدكم قال الزجاج جعلها نصب على الظرفية واللفظي وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يشيخكم بضم الياء وفتح العين وتشديد الشين وقرأ نافع بضم الياء وسكون العين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبو عمرو وابن كثير يمشاكم بفتح الياء والشين وسكون العين والنحاس فاعل أى اذنيق عليكم التوم الخفيف أما ما من الله لكم من عدوكم أن ينيلكم وحصول التوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (و ينزل عليكم من السماء ماء) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون التون (ليطهركم) من الاحداث وفي الخبر إن للمشركين سبقوا إلى موضع الماء وطعموا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنين وخافوا من أن يأتينهم العدو في تلك الحالة وأكثروا احتملوا وموضعهم كان ملا تقوص فيه الأرجل ويرتفع منه القنابر الكثير وكان الخوف في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة آتتهم فلما أنزل الله ذلك للمطر صار ذلك دليلا على حصول النصر وعظمت النعمة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته روى أنهم لما لماوا واحتلم أكثروا يمشل لهم إبليس وقال أنهم زعمون أنكم على الحق وأنتم تصالون على الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لم يغلبوكم على الماء فأزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادى واتخذ المسلمون حيفاوا وغتسلوا وتلبذ الرمل حتى بثبته على الأقدام (وليربط على قلوبكم) أى ليحفظ قلوبكم بالصبر (ويثبت) أى الماء (الأقدام) على الرمل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (اذ يوحى بك إلى اللاتكة) أى معكم (فأما تعالى أوحى إلى اللاتكة) أى مع المؤمنين (فتبثوا الذين آمنوا) أى فأنصروهم وبشروهم بالنصرة وفقرى أنه كان للملك يشبه بالرجل الذي يعرفه بوجهه فيأتى ويقول أنى سمعت للمشركين يقولون والله إن حملا علينا لننكشف ونمشي بين الصفيين فيقول أبشروا فإن الله تعالى ناصركم (سأقضى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخافة من محمد ﷺ وأصحابه (فاضرربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) أى فاضرربوا رؤسهم واضربوا أطراف الأصابع أى اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها كيف شئتم لأن الله تعالى ذكر الأشرف والأخس فهو إشارة إلى كل الأعضاء (ذلك) أى لتأوهم الخزي من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى خالفوهما في الأوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) أى ومن يخالفهما فإن الله يضاعفه في العقوبة وهو شديد العقاب فالتى نزل بهم في ذلك اليوم قليل بالنسبة للمعاد الله لهم من العقاب في القيامة (ذلك) أى الأمر ذلكم فالحطاب للكفرة (فتنوقوه) في الدنيا (وأن للكافرين عذاب النار) والعنى حكم الله ذلكم من أن ثبت هذا العقاب لكم عاجلا وثبت عذاب النار لكم أجلا (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا) أى مثل الزاحفين على أديبارهم في بطة السيل لا جناحهم (فلاتولهم الأديبار) أى لاتجملوا ظهوركم بماليهم بل قابلوهم وقابلوهم مع قنسيكم (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء (دبره الامتحر) فالتقال بأن يخيل عدوه أنه منهزم ثم تحلف عليه

(ذلكم) القتل والضرب بيد (فتنوقوه وأن للكافرين عذاب النار)

(أو)

أى بمدانزلهم من ضرب الأعناق (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا) أى مجتمعين متدائنين اليكم للقتال (فلاتولهم الأديبار) أى لاتجملوا ظهوركم بماليهم (ومن يولهم يومئذ) أى يوم لقاء الكفار (دبره الامتحر) أى لا يمتحر فالتقال أى منعطف استطراد يطلب العودة

(أومتحنيا) أي متضجاً (أى فتنة) يعني إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقال معهم العدو (فقد
 للفرسين على أن هذا الوعيدانما كان من فر يوم بدر (فلم تقتلوه) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بتسبيبه ذلك من المؤمنين عليه
 وتشجيع القلب (وماريت اذ رميت) وذلك أن جبريل قال لاني (٣١٧)
 تراب فارمهم بها فأخذ

رسول الله ﷺ قبضة
 من حصاة الوادي فرمى به
 في وجوه القوم فلم يبق
 مشرك الا دخل عينه منها
 شيء فكان ذلك سبب
 هزيمتهم فقال الله تعالى وما
 رميت اذ رميت ولكن
 الله رمى أي أن كفا من
 الحصاة لا يعلمون ذلك
 الجيش الكبير رمية بشر
 ولكن الله تولى إصاها ذلك
 إلى أعينهم (وليبلى المؤمنين
 منه بلاء حسنا) أي ولينعم
 عليهم نعمة عظيمة بالنصر
 والقيمة ففعل ذلك (ان
 الله سمع) لدعائهم (علم)
 بياتهم (ذلكم) وأن الله
 موهن كيد الكافرين
 يعني رسوله بأهانة كيدونه
 حتى خلت جبارتهم وأسرت
 أشرقتهم (ان تستفتحوا)
 هذا خطاب للمشركين
 وذلك أن باجبل قال يوم
 بدر اللهم انصر أفضل
 الدين وأهدى الفتيين
 فقال الله تعالى ان تستفتحوا
 أي تستنصروا لأهدى
 الفتيين (فقد جاءكم الفتح)
 أي النصر (وان انتهوا)

(أومتحنيا إلى فتنة) أي متضجاً إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقال معهم العدو (فقد
 باه) أي رجع (بفضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) والفرار من الزحف من أكبر الكبر
 اذ لم يزد العدد على الضعف (فلم تقتلوه) أي لم تقتلوه (ولكن الله قتلهم) لتسليطكم عليهم والقاه
 الرعب في قلوبهم أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم ولكن التأثيره (وماريت) أي أكرم الرسل (اذ رميت)
 أي وماريت في الحقيقة وقسمت التراب إلى وجوه للمشركين (ولكن الله رمى) أي أوصل رمية
 اليهم روى أنه لما طلع قرش من المغنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قرش فجاءت
 بخيلاتها وفخرها يكذبون رسولاك اللهم اني أسألك ما وعدتني فزل إليه جبريل وقاله خنيفة
 من تراب فارمهم بها ففعل التي الجمعان قال صلى الله عليه وسلم لم يرض الله تعالى عنه أعطى قبضة من
 التراب من حصاة الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل عينه
 فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم وبأسروهم وقرأ ابن عامر وحزق الكسائي ولكن الله قتلهم
 ولكن الله رمى بكسر التون مخففة ورفع اسم الحيلة (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) أي ولينعم الله
 عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والقيمة والثواب وهم معطوف على قوله تعالى ولكن الله
 رمى (ان الله سمع) لاستغاثتهم (علم) بأحوال قلوبهم الداعية إلى الاجابة (ذلكم) أي الأمر ذلكم
 أي البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم
 موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بسم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو
 عمر وكذلك لكن مع فتح الواو وتشديد الهاء أي والأمر ان الله مضغ صنع الكافرين (ان
 تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان انتهوا فهو خير لكم وان تودوا نضلون فتني عنكم فتكم شيئا ولو
 كثر) قال الحسن ومجاهد والسدي وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدي ان
 للمشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا أسرار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى
 الفتيين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى ان تستنصروا أيها الكفار لاعلى الجندين ففقدكم
 النصر لاعلاهما وقد زعمتم انكم الأعلى فالتهم في المعجزة أو فقدكم في المعجزة فالتهم في نفس الفتح
 وان انتهوا عن قتال الرسول وعداوتهم وتكذيبه فهو خير لكم في الدين بالخلاص من القلب والغور
 بالثواب في الدنيا بالخلاص من القتل والأسر والتهبوان تودوا إلى القتال ندالي تسلط المسلمين على
 قتلكم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا من الضر ولو كثر تدبير هذا خطاب للمؤمنين والمعنى ان
 تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وان انتهوا عن المنازعة في أمر الأنفال وعن طلب الفداء
 على الأسرى فهو خير لكم وان تودوا إلى تلك المنازعة ندالي ترك نصرتمكم ثم لا تنفعكم كثرتمكم
 (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن فتحة المعجمة وهو خبر مبتدأ محذوف
 أي والأمر أن الله مع المسلمين في الإيمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) في الاجابة
 إلى الجهاد وإلى ترك المال اذا أمره بتركه (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن الرسول أي عن قبول
 قوله وعن معوته في الجهاد (وأتم تسمعون) دعاه إلى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا)

أي عن الشرك بالله (فهو خير لكم وان تودوا) أي القتال محمد ﷺ (بند) أي ندع عليكم بالقتل والأسر (ولن تنفع) أي ولن
 تدفع (عنكم فتكم) أي جماعتكم (شيئا ولو كثر) أي في العدد (وأن الله مع المؤمنين) أي في النصر لهم (يا أيها الذين آمنوا)
 أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه مخالفة أمره (وأتم تسمعون) أي ما نزل من القرآن (ولا تكونوا كالذين قالوا)

(سمعنا) أى سماع قابل وليسوا كذلك بنى النافقين وقيل راد للشركين لأنهم سمعوا ولم يتفكر وافباشعوا وكانوا بمنزلة من لم يسمع (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يريدنفرا من الشركين كانوا صما عن الحق فلا يسمعون

(٣١٨)

بألسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) أى أنا قبلنا تكاليف الله تعالى والحال أنهم يقولونهم لا يقبلونها (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أى إن شر كل حيوان فى حكم الله تعالى من لا يسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقه أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد ﷺ فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسمع منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أى ولو حصل فى بنى عبد الدار خير لأسمعهم الله الحجج والوعاظ سماع تفهم (ولو أسمعهم) بصدان علم أنه لا خير فيهم (تولوا) عنها ولم ينتفعوا بها (وهم معرضون) أى والحال أنهم مكذبون بهاقيل إن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعي لهم قصى بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبر بهم وهم بصحة نبوته ﷺ فبين الله تعالى أنه لو علم فيهم خيرا وهو ارتفاعهم بقوله هؤلاء الأموات لأحياهم الله تعالى حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون أمى لنا قصيا فإنه كان شيئا مباركا حتى يشهدك بالنبوة فتؤمن بك الأعلى سبيل العناد والتعنت وأنه لو أسمعهم الله كلامهم قصى وغيره تولوا عن قبول الحق على أدبارهم ولأعرضوا عما سمعوه بقولهم (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم) أى أجبوا الله وللرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم الرسول إلى ما فيه سبب حياتكم الأبدية من الإيمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ مر على باب أبي بن كعب وهو فى الصلاة فدعا ففعل فى صلاته ثم جاء فقال له ما منعك عن اجابتي قال كنت فى الصلاة قال أتخبرني بأمر أوصى إلى استجبوا لله وللرسول فقال لأجرم لأدعوني لأحبيكم (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول بين الرزق وبين الرزق) أى يحول بين الرزق وبين ما يريد بقلبه فإن الأجل يحول دون الأمل فكانه قال تعالى بادر إلى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع فى قلوبكم من توقع طول البقاء فإن ذلك غير موقوف به وقال مجاهد الراد من القلب هنا العقل أى فإن الله يحول بين الرزق وعقله ولئنى فيادروا إلى الأعمال وأنتم تقولون فإنكم لأنتم منون زوال العقل والله يحول بين الرزق والكافر وطاعته يحول بين الرزق والطيع ومصيبته والقلب يبداقه بقلبه كيف يشاء وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول ياقلب القلب ثبت قلبى على دينك ولا يستطيع الرزق أن يؤمن ولأن يكفر بالإذنه تعالى (وأنه) أى واعلموا أن الشأن (إليه) أى الله تعالى (تعرضون) فى الآخرة فيجزىكم بحسب مراتب أعمالكم فصارعو إلى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لاصيين الذين ظلموا منكم خاصة) أى واحذروا فتنة أنزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وحسن تلك الفتنة بالنهي عن التسكر فالواجب على كل من رآه أن يزيه إذا كان قادرا على ذلك فإذا سكت عليه فكفهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله تعالى الراضى بمنزلة العامل قاتل في العقوبة وعلامة الرضا بالسكر عدم التألم من الخلل الذى يقع فى الدين بفعله للعاصى فلا يتحقق ككون الإنسان كارهاله إذا تألم تألمه لفعله أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالسكر فتممه العقوبة والصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب العذاب من لم يباشر

له وقوله (لاصيين الذين ظلموا منكم خاصة) أى تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون خاصة بالظلمة وحدهم ولكها عامة والتقدير (واتقوا فتنة أن لا تقوها لاصيين الذين ظلموا خاصة) أى لاتقع بالظالمين دون غيرهم لكنها تقع بالخاصين والظالمين (واعلموا أن الله شديد العقاب) حث على لزوم الاستقامة خوفا من الفتنة ومن عقاب الله بالعصية فيها

فكان يجمع المستترين
 فيقرأ عليهم فكلما قص
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم شأن القرون الماضية
 قال النضر لو شئت لقلت
 مثل هذا إن هذا الأساطير
 الأولون في كتبهم وقال
 النضر أيضا إن كان هذا
 الذي يقول محمد حقا من
 عندك فأعطر علينا حجارة
 من السماء كما أمطرنا
 على قوم لوط (أو اتنا)
 بناب أليم) أي بعض
 ما عذبت به الأمم سمحله
 عداؤه للنبي صلى الله عليه
 وسلم على مثل هذا القول
 ليوم أنه على بصيرة من
 أمره وغاية الثقة في أمر
 محمد صلى الله عليه وسلم
 أنه ليس بحق (وما كان الله
 ليضلهم وأنغيهم) أي
 وما كان الله ليضل
 للشركين وأنتم مقيم بين
 أظهرهم لأنه ليضل الله
 قرية حتى يخرج التي منها
 والذين آمنوا معها وما كان
 الله معذب هؤلاء الكفار
 وفيهم المؤمنون يستغفرون
 يعني المسلمين ثم قال (والملم
 ألا يعذبهم الله) أي
 ولم لا يعذبهم الله بالسيف
 بل يخرج من تحت يده
 وهم يستغفرون من بينهم
 (وهو يصدون) أي ينعون
 النبي والمؤمنين (عن المسجد
 الحرام) إن يطوفوا به (وما كانوا أوليائه) وذلك أنهم قالوا نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله

الأنصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع قفر من كبار قريش في دار الندوة أي
 في الدار التي يقع فيها الاجتماع للحدث ورؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوسفيان وطبيعة بن عدى
 وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزينة بن الأسود وحكيم
 ابن حزام وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيهة ومنبها الحجاج ودخل عليهم بليس في صورة شيخ وقال
 أنا من أهل نجد وتناوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام قديدوه وسدوا
 باب البيت غير كوة لتلقون إليكم طعاما وشرا به حتى يهلك كما هلك من قبله من المشرك فقال بليس لاصلحة
 فيه لانه يفضله قومه فتسكف فيه الماء فقال أبو البختري بن هشام أخرجوه عنكم نستر بحوا من
 أذاهم فقال بليس لاصلحة فيه لانه يجمع طائفة على نفسه ويقتلكم بهم وقال أبو جهل الرأي
 أن يجمع من كل قبيلة رجلا فيضربوه بأسيا فضر به واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى
 بنو هاشم على محاربه بقرش كلها فيرضون بأخذ البلية فقال بليس هذا هو الرأي الصواب فأوحى الله
 تعالى إلى نبيه بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الهجرة إلى المدينة وأمر عليا أن يبيت في
 مضجعه وقال له تسج بردي فانه لن يخلص إليك أمرت كرهه وهم المشركون بالولج عليه صلى الله
 عليه وسلم فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله أنها لسب في العرب أن يتحدثوا
 عنا أناسورنا الخيطان على بنات المم وهتكنا سر حرمتنا وأبوا اعتراضين على الباب ثم خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب وشره
 على رؤسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر إلى القار فلما أصبحوا ساروا إلى مضجعه صلى الله عليه وسلم
 فأبصروا عليا فقالوا له وأين صاحبك فقال لأدري فاقصوا أثره فلما بلغوا القار رأوا على بابه نسج
 الشكوب فقالوا لودخله لم تنسج الشكوب على بابه فكش فيه ثلاثا من البالي ثم قسم المدينة
 (وإذ أتى عليهم آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لئن شاء
 لقننا مثل هذا أن هذا الأساطير الأولين) أي ما هذا القرآن إلا ما كتب الأولون من القصص.
 روى أن النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة بلدة بقرى الكوفة تاجرا واشترى أحاديث كلبية ودمنة
 وكان يجمع للمستترين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين كالقرس والروم وكان يزعم أنهم مثل
 ما يدكره محمد من قصص الأولين واستناد القول إلى الكل مع أن القائل هو النضر لما أنه كان
 رئيسهم وقاضيه وهو الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا) أي الذي
 يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو لفصل (من عندك فأعطر
 علينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو اتنا بناب أليم) غير الحجارة قاله النضر استهزاء
 وقد أسره للقداد يوم يمر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم أوقاله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود يوم بدر
 (وما كان الله ليضلهم وأنتم فيهم) أي لا يفعل الله بهؤلاء الكفار غلب الاستئصال مادام سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا معهم تعظيلا وأيضاً إعادته الله مع جميع الأنبياء المتقدمين لم يضل
 أهل قرية إلا بعد أن يخرج رسوله منها كما كان في حق هود وصالح ولوط (وما كان الله معذبهم
 وهم يستغفرون) أي وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه
 وسلم لما خرج من مكة لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (والملم) أي أن لا يعذبهم الله وهم
 يصدون عن المسجد الحرام) أي ولا مانع من اهلاك الله بهما خرجت من بينهم وحلمهم بمنعوتك
 والمسلمين عن الطواف ببيت الله يوم الحديبية (وما كانوا أوليائه) أي والحال أنهم ما كانوا أولياء

(ان أوليائه الاتلثون) يعني الهاجرين والأنصار (ولكن أكثرهم لا يعلون) أي غيب على واسبغ في قضائي (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاه وتصدية) أي صغيرا وتصديةا وكانت قریش يطوفون بالبيت عراة يشفرون ويمفقون جلاوا ذلك صلاتهم فكان تفرجهم الى الله بالتصديق والتصغير (فذوقوا العذاب) أي بيدر (بما كنتم تكفرون) أي تحجبون توحيد الله

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) الآية زلت في المنفقين على حرب رسول الله أيام بدر وكانوا اثني عشر رجلا قال (فنبفقونها ثم تكون عليهم حسرة) أي يذهب الأموال وفوات الراد (ليجز الله الخبيث من الطيب) أي انما يحشرون الى جهنم ليجز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة (ويجعل الخبيث) أي الكافر وهو اسم الجنس (بضه على بعض) أي يلحق بعضهم ببعض (فكرهه جميعا) أي يجمعه حتى يصر كالسحاب المركوم (فيجعل في جهنم أولئك هم الخاسرون) أي لانهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة (فول للذين كفروا) أي لأبي سفيان سفیان وأصحابه (ان يتفروا) أي عن الشرك وقال المؤمنون (يقهرهم ما قسطن) أي تقدم من الزنا والشرك لأن الحربي اذا أسلم صار كجهنومي ولدته أمه (وان يهودوا) أي لقتالك

السجد وهذا رد لقولهم نحن ولاة البيت والحرم فصدمن تشاؤمونه دخل من تشاؤم (ان أوليائه الاتلثون) أي ما أوليا المسجد الا الذين يتحرزون عن لتسكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاه والتصدية ومن كانت هذه حاله لم يكن وليا للمسجد الحرام بل هم أهل لأن يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم لا يعلون) أنه لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم) أي عبادتهم (عند البيت الا مكاه) أي صغيرا (وتصدية) أي تصديقا أي ما كان شيء عابده عباداة الا هذين التلثين قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عراة مشكبين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون بأحدى اليدين بالأخرى (فذوقوا العذاب) أي عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أي عن دينه قال مقاتل والكلبي زلت هذه الآية في المطعنين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من كبار قریش أبي جهل وأصحابه بطم كل واحد منهم كل يوم عشرين رجلا وقال سعيد بن جبير ومجاهد زلت في سفیان وكان استأجر ليويم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأخفق فيهم أو بعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا وأخرج ابن اسحق عن مشايخه أنها زلت في أبي سفيان ومن كان له في العير من قریش تجارة (فنبفقونها) أي أموالهم (ثم تكفون) أي الأموال (عليهم حسرة) أي ندامة لفواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم يظنون) آخر الأمر (والذين كفروا) أي أصروا على الكفر أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) أي يفاقون يوم القيامة (ليجز الله الخبيث من الطيب) أي ليجز الله الفرق الخبيث من الكفار من الفرق الطيبين للمؤمنين واللام متعلقة بيحشرون أو يظنون أو التي ليجز الله نفقة الكفار على عداوة محمد من نفقة المؤمنين في جهاد الكفار كانفاق أبي بكر وعثمان في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي ليجز بضم الياء الأولى وفتح الليم وتشديد الياء للسكورة (ويجعل الخبيث بضه على بعض) أي ويجعل الفرق الخبيث بضه على بعض (فكرهه) أي فيجمعه (جميعا) لفرط ازدحامهم (فيجعل) أي يطره (في جهنم) وقيل التي يضم الله تعالى تلك الأموال الخبيثة بضها الى بعض فيلقيا في جهنم ويضربهم بها (أولئك) أي الذين كفروا (هم الخاسرون) أي الكاملون في النعم (قل للذين كفروا) أي سفیان وأصحابه أي قل يا أشرف الخلق لاجلهم (ان يتفروا) عن الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (يقهرهم ما قسطن) من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الاسلام يحب ما قبله (وان يهودوا) الى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم أي وان يرتدوا عن الاسلام بعد دخولهم في يورجوا للكفر وقتال النبي ينتقم منهم بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أي لا بعد سبقت سيرة الأولين الذين تحاربوا على أنبيائهم بالهدم كما جرى على أهل بدر (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) أي قاتلوا كفارا أهل مكة ثلاثا توجد فتنة فقد خرج المسلمون الى الحبشة وتآمرت قریش أن يعتصموا للمؤمنين بمكة عن دينهم حين بايت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة القبة وليكون الدين كله لله في أرض مكة وما حولها لا يعبد غيرهم (فان اتهموا) عن الكفر وسائر المعاصي بالتوبعوا الايمان

(٤١) - (تفسير مزاح ليند) - (اول)

رسله ومن آمن على من كفر (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) أي كفر (ويكون الدين كله لله) أي لا يكون مع دينكم كفر في جزيرة العرب (فان اتهموا) أي عن الشرك بو قتال محمد

(فان الله بما تعملون بصير) أى يجازيهم بمجازاة البصير بهم بأعمالهم (وان تولوا) أى أبو أن يدعو الشريك وقتل محمد صلى الله عليه وسلم (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم يا معشر المؤمنين (واعلموا أنما غنمتم من شئ) أى أخذتموه قسرا من الكفار (فان الله خسه) هذا تزيين لافتتاح السلام ومصرف الجحش الى حين ذكر وهو قوله (والرسول) كان له خمس الجحش يصنع قيماءه واليوم يصرف الى مصاعح المسلمين (ولذى) (٣٣٣) القرى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين حرمت عليهم الصدقات المفروضة

(فان الله بما يعملون بصير) أى عالم لا يخفى عليه شئ * يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) عن التوبة والايان (فاعلموا) يا معشر المؤمنين (ان الله مولاكم) أى حافظكم ورافع البلاء عنكم (نم المولى) أى الولي بالحفظ (ونم النصير) لا يلبس نصره وكل من كان فى حمية الله تعالى كان آمنا من الآفات مصونا عن المخوفات ولغنى وان تولوا عن الايمان فلا تخشوا بأسمهم لأن الله مولاكم (واعلموا أنما غنمتم من شئ) فان الله خسه أى واعلموا يا معشر المؤمنين أن الذى أصبتموه أكلنا من شئ * فليلا كان أو كثيرا فواجب أن الله خسه بئنى أنه تعالى أمر بقسمته على هؤلاء الحجة فذكر الله لتعظيم وقوله أن الله خسه خبر مبتدأ محذوف أى فكونوا خسة الله واجب وهذه الجملة خبر لأن (والرسول) اما بعد وفاته فيصرف سهمه الى مصالح المسلمين عند الشافى وقال أبو حنيفة سهمه ساقط بسبب موته وقال مالك مفوض الى رأى الامام (ولذى القرى) أى ولقراة التبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وفقراءهم بقسم الجحش بينهم لذكر مثل حظ الأشوين (والبيتاني) أى الذين ملت آبائهم وهم فقراء غير يتاي بنى عبد المطلب (والساكنين) أى ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج فى سفره ولا محبة بسفره (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدرسمى بلفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآتمم (يوم التقي الجمعان) أى الفرقان من المسلمين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان ولغنى ان كنتم آمنتم بالله وبأنزلنا على عبد يوم بدر فاعلموا أن خمس النسيمة مصروفة الى هذه الوجوه فاقطعوا أطعكم عنه واقنعوا بالأخماس الأربعة (والله على كل شئ قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل ثان من يوم الفرقان أى اذ أنتم كائنون فى شط الوادى القرى من المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أى ولشركون فى شفير الوادى البعدى منها (والر كبا سف منكم) أى العير التى خرجوا لها التى يقودها أبو سفيان وأصحابه كاثون بكان أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على القتال (لاختلفتم فى اليماد) أى خالف بضعكم بعضا فى اليماد هيبة منهم لكثرتهم وقتكم (ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير يماد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أى ليجزى أمرا كان مفعولا فى علمه وهو النصرة والنجدة بالنسي وأصحابه والفرجة والقتل لأبي جهل وأصحابه * ويكون استيلاء المؤمنين على المشركين بمعجزته تعالى على مدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وهو بدل من ليقضى أى يموت من مات عن بينة نايها ويحيى من يعيش عن بينة شاهد ثلاثا يكون له حجة وقصرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان

لهم خمس الجحش من النسيمة (والبيتاني) وهم أطفال المسلمين الذين هلك آبائهم ينفق عليهم من خمس الجحش (والساكنين) بنى أهل الفتاة والحاجة من المسلمين لهم أيضا خمس الجحش (وابن السبيل) وهو المتقطعة فى سفره فحسب النسيمة يقسم على خمسة أخماس كذا كره الله عز وجل وأربعة أخماس تكون للغانمين وقوله (ان كنتم آمنتم بالله) أى فاقبلوا ما أمركم به فى النسيمة ان كنتم آمنتم بالله (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى هذه السورة (يوم الفرقان) أى اليوم الذى فرقت فيه بين الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) حزب الله تعالى وحزب الشيطان (والله على كل شئ قدير) اذ نصركم وأنتم أقله أدلة (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) نزول بشفير الوادى الأدنى الى المنزلة وعدوك نزول بشفير الوادى الأقصى الى

مكة (والركب) أبو سفيان وأصحابه وهم أصحاب الابل بنى العير (أسفل منكم) الى ساحل البحر (ولو تواعدتم) أى للقتال (لاختلفتم فى اليماد) أى لاختلفتم وتضمت للبعد لكثرتهم وقتكم (ولكن) جمعكم الله من غير اليماد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أى فى علمه وحكمه من نصر الذى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) أى ليضل وليكفر من كفر * بنذحية قاصب عليه وقطعت عمره ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأراد بالينة نصرة المؤمنين قتلتهم على ذلك الجحش الكبير مع كثرتهم وشوكتهم

إيمان الله لسمع) لمتاكم (علم) فباتكم (أذير يكمهم الله في منامك) أي في عينك وهو من نفع النوم (قليل) لتحقروهم وتجتروا عليهم (ولوأراكم كثير القتلتم) أي لجبنتم ولأخرتم عن حربهم وقتلهم (٢٢٢٢) (ولتنازعتم في الأمر) واختلفت

لكم (ولكن الله سلم) أي عصمكم وسلمكم من المخالفة فينكم (انه علم بذات الصدور) أي علم ما في صدوركم من اليقين ثم غلب للؤمنين جميعا بهذا المعنى فقال (واذ يريكموه اذ التقيتم في أعينكم قليلا) قال ابن مسعود لقد قالوا في أعيُننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي أراهم سبعين فقال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كنتم قال ألف (ويقولكم في أعينهم) ليجتروا عليكم ولا يرجوا عن قتلكم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) في علمه بنصر الاسلام وأهله وذل الشرك وأهله (والى الله ترجع الأمور) أي

من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسمع) لمتاكم (علم) بمحاجتكم وضغفكم فأصلح مهمكم (أذير يكمهم الله في منامك) قبل يوم بدر (قليل) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقلوا روي ياليتي حتى فصار بذلك تنجيما للؤمنين (ولوأراكم كثير القتلتم) أي ولوأراكم الله للشركين كثيرا لذكرته القوم ولوسموا ذلك لجبنوا (ولتنازعتم في الأمر) أي لاختلقتهم في أمر القتال وتفرقت آراؤكم في القرار والتثبت (ولكن الله سلم) أي سلمكم من المخالفة فيما بينكم (انه علم بذات الصدور) أي بالظلمات التي تقع في القلوب من الصبر والجزع والجرأة واللين وذلك دبر مادي (واذ يريكموه اذ التقيتم في أعينكم قليلا) أي واذا تبصركم أيها المؤمنون ايهاه قليلا حتى قال ابن مسعود لمن في جنبه أراهم سبعين فقال أراهم مائة وهم في نفس الأمر ألف تصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ولزاد جرأة للؤمنين عليهم (ويقولكم في أعينهم) حتى قال أبو جهل إنما أصحاب محمد أكلة جزور أي قليل يشبههم جزور واحد فلا تقنواهم واربطوهم بالحبال يقول الله عدد للؤمنين في أعين الشركين قبل انتحار الحرب لتلاي بالغ الكفار في تحصيل الاستعدادوا الحنرفصير ذلك سببا لانكسارهم فلما اتحم القتال رأى الكفار للمسلمين مثل الكفار وكانوا ألقافا روا للمسلمين قتل اثنين ليهابوا ونصف قلوبهم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أي يصير ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الأمور) بالبناء للقول أي ترد والفاعل أي تصيروهم الله الأمور كلها كيفما يريد ولا تخبري على ما يظنه العبيد (بأبها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا) أي اذا حاربتم جماعة من الكفرة جندوا في الحاربة ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان في أثناء القتال ومن الذكر ما يقع حال القتال من التكبير (للمسلم فتلحون) أي تفرزون عراكم من النصرة وللشبهة (وأطيعوا الله ورسوله) في أمر القتال وغيره (ولانا نزعوا) أي لا تختلقوا في أمر الحرب (فتفتشوا) أي فتجسسوا (وتذهب ربحكم) أي شدنكم (واصبروا) على شتات الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والسكادة (ولا تكونوا في الاستكبار) والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أي شديد للرح (ورثاء الناس) أي ولتاء الناس عليهم بالشجاعة والساحة وذلك ان قريشا خرجوا من مكة لحفظ العير فلما بلغوا جحفة أناههم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلبت عيركم فأبوا الاظهار آثار الجلالة وأيضا لاوردوا الجحفة مع الحفاف الكفائي الى أبي جهل وهو صديق له بهديا مع ابن له فلما أناه قال ان أبي يقول لك ان شئت أن أمذك بالرجال أمذك ان شئت أن أرحف اليك عن ميم من قرأني فقلت فقال أبو جهل قل لأبيك جزاك الله خيرا ان كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله ما لينا الله من طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله ما أرجع عن قتال محمد حتى يرد بدرنا فتشرب بها الحور وتعرف علينا القيان وتنجر الجوزور في بئر فيئني الناس علينا بالشجاعة والساحة وقد بدلم الله شرب الحور يشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الذعوف بنوح النائمات وبدل نحر الجوزور بنحر رقايم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون واعلم أن النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فانصرفها الى مرضاته تعالى وعرف أنها من الله تعالى فذاك هو الشكر وأما ان توسل بها الى الفخرة على الاقران والمالبة بالكثرة على أهل الرمان فذاك هو البطر

ورسوله ولا تنازعوا) أي لا تختلفوا (فتفتشوا) أي تجسسوا (وتذهب ربحكم) أي جلدكم وجرآنكم ودولتكم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعني النمر (بطرا) أي طغيا في النعمة وذلك أنهم خرجوا بالمازف والقيان يشربون الحور (ورثاء الناس) أي

أظهار الجحيم مع إيمان التبعيع (و يصدون عن سبيل الله) أي بمادة المؤمنين وقتلهم (والله بما يعملون محيط) أي علمه فيجازيهم به (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية وذلك أن قريشاً لما اجتمعت للسير خافت كنانة وبني مدلج لئلا كانت بينهم فتنة لهم أليس في جنده على (٣٢٤) صورة سراق بن مالك بن جشم الكناني ثم المدلجي فقالوا له

نحن نريد قتال هذا الرجل ونخاف من قومك فقال أي جار لكم أي حافظ من قومي لأغالب لكم اليوم من الناس (فلما تراءت الفتان) أي التقى الجمعان (انكص على عقبيه) أي رجع مولياً فقيل له يسراق أفرأرا من غير قتال فقال (أي أرى ما لا ترون) وذلك أنه رأى جبريل مع الملائكة جاؤا لنصر المؤمنين (أي أخاف الله) أن يهلكي فيمن يهلك (والله شديد العقاب) إذ يقول المنافقون (والذين في قلوبهم مرض) وهم قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فلما خرجت قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم وقالوا نكون مع أكثر الفتتين فسلماروا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير ثم قتلوا جميعاً مع المشركين قال الله تعالى (ومن يتوكل على الله) أي يسلم أمره إلى الله (فإن الله عزي) أي

(و يصدون عن سبيل الله) أي و يمتنعون الناس من الدخول في دين الله وهذا مطوف على طرا وانما ذكر البطر والرياء بصفة الاسم والصفة الفعل لأن أبا جهل وروطه كانوا محبوسين على الفائرة والرياء وأما مدغم عن سبيل الله فأما حصل في الزمان التي ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أي واقطع بما في دواخل القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فإن الإنسان ربنا أظهر من نفسه أن الحامل له إلى ذلك الفعل طلب مرضاة الله تعالى مع أنه لا يكون الأمر في الحقيقة كذلك (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) أي واذا كروا زين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وخرجهم من مكة فإن المشركين حين أرادوا السير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة لأنهم كانوا اقتراباً منهم واحدا فلم يأمنوا أن يأوهم من دورهم فتصور لهم أليس بصورة سراق بن مالك بن جشم وهو من بني بكر بن كنانة وكان من أشرفهم في جند من الشياطين ومعه راية (وقال لأغالب لكم اليوم من الناس) أي لأغالب عليكم اليوم من بني كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وأي جار لكم) أي حافظكم من مضرتهم (فلما تراءت الفتان) أي التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الأخرى ورأى أليس نزول الملائكة من السماء (انكص على عقبيه) أي رجع إلى خلفه هارباً (وقال أي برى منكم) فكان أليس في صف للمشركين وهو أخذ بيد الحارث بن هشام فقال له الحارث إلى أين تترك نصرتنا في هذه الحالة قال أليس (أي أرى ما لا ترون) وأرى جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده الأحكام يقول للفرس ولم تروه ودفع أليس في صدر الحارث (وأي أخاف الله) أن يهلكني بسلط الملائكة على وقيل لما رأى أليس الملائكة ينزلون من السماء خاف أن يكون الوقت الذي أنظر إليه قد حضر فقال ما قال اشفاقاً على نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بطلا لئلا يره ويحتذ فهو تحليل أو مستأنس من محض كلامه تعالى تهديدا لأليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الأوس والخزرج (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وهم قوم من قريش أسلموا ولم يقواسلهم في قلوبهم ولم يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس الثقاف والحارث بن زمة وعدى بن أمية والعاص بن منبه والسالم في أذن بن وأذ كرمقدرا (غر هؤلاء) أي عمدا وأصحابه (دينهم) فأنهم خرجوا وهم ثلثمائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وماذا لا أنهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لا يخرج قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجهم من قومتنا كان محمد في كثرة خرجنا إلى الله كان في قاة أثنائي قومنا فلما خرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا للكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا جميعاً مع المشركين يوم بدر ولم يحضر منافق في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا الواحد وهو عبد الله بن أبي (ومن يتوكل على الله فإن الله عزي حكيم) أي ومن سول على احسان الله وشق بفضله ويسلم أمره إلى الله فإن الله حافظه وناصره لانه عز لا يتلبسني محكم بوصف الضل إلى أعدائهم والرحمة إلى أوليائهم (ولو ترى إذ يقولون كفروا بالملائكة) أي ولو رأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم للملائكة في بدر (يضربون وجوههم وأديبارهم) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أي النار لانه كان مع

منيع (حكيم) في خلقه (ولو ترى) يا محمد (اذ يقولون كفروا بالملائكة) أي يا خنوعاً وأرواحهم الملائكة يعني من قتلوا بيدر (يضربون وجوههم وأديبارهم) أي مقاديرهم إذا قتلوا إلى المسلمين وما خيرهم إذا ذلوا (وذوقوا) أي ويقولون لهم صدقوا وذوقوا (عذاب الحريق)

هذه العذاب (عاقبت أيديكم) أي بما كنتم وجنتم (وأن الله ليس بظالم للعبيد) لأنه حكم فيا غضي (كذاب آل فرعون) الآية برعدة هؤلاء في الكذب كعادة آل فرعون فأزل الله بهم عقوبتهما أزل بالفرعون (إن الله قوي) أي ادركه شيء (شديد العقاب) أي لمن كفر به وكنب
 رسله (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا

(٣٢٥)

للآلثة مقامهم وكما ضربوا بها الحيت التار من أجزء وجواب لو عذوف أي لو أيت أمرا فظيلا لا يكاد يوصف (ذلك) العذاب (بما قست أيديكم) أي بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصي (وأن الله ليس بظالم للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس بمعبد لعبيده غير ذنبي من جهتهم (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي عادة كفار قريش فيا فضله من الكفر وما فصل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد وأضرابهم من الكفر والعناد في ذلك (كفروا بإيات الله) أي أنكروا الدلائل الإلهية وهذه الجملة تفسير لدب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم (إن الله قوي) بالأخذ (شديد العقاب) أي إذا عاقب (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا) نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وما بأنفسهم) أي تذيب الكفرة بما قدمت أيديهم سبب أن الله لم يكن مغيرا نعمته أنعم بها عليهم كالعقل وإزالة اللوائ حتى يغير وأحوالهم فإذا صرفوا تلك النعمة إلى الفسق والكفر فلدغير وأ نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل التعم بالنقم والنسج بالهين (وأن الله سميع علم) أي وبسبب أنه تعالى سمع وعلم جميع ما يتون وما يدرون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي حتى يغير وما بأنفسهم تغييرا كانتا كثير الأثم الماضية (كذبوا بإياتهم) أي كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى ر بهم وأنعم عليهم فأنكروا دلائل التربة والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أي أهلكتنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالغشف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالسبخ كذلك أهلكتنا كفار قريش بالسيف (وأغرقت آل فرعون وكل كانوا ظالين) أي وكل من الفرق المكتبة كانوا ظالين لأنفسهم بالكفر والعصية ولا نبياهم بالكذب وسائر الناس بالإيذاء والايحاش فآله تعالى إنما أهلكتهم بسبب ظلمهم اللهم أهلكت الظالمين وطهر وجه الأرض منهم فلا يبق أحد على دفعهم إلا أنت فادفعهم يا قهار بإجبار يا منقم (إن شر البواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أن شر الخلق في حكم الله وعلمه الذين أصرروا على الكفر فهم لا يرجي منهم إيمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) أي من مرات العاهدة قال ابن عباس هم قرظة فإن رسول الله ﷺ كان عاهد يهود بني قرظة أن لا يجاروه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح في يوم بدر ثم قالوا نسينا وأعاننا ثم عاهدتهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضا وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق واطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على حجارة رسول الله ﷺ (وهم لا يتقون) عن نقض العهد (فما تنقضهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أي أن نظفون هؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد في أثناء الحرب فأفصل بهم فعلمن القتل والتعذيب بفرق بسببهم من خلفهم من أهل مكة واليمن أي إذا خلت بقرظة الشو بقرقة شمل قريش إذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قرظة فأمر رسول الله ﷺ أن يفرقهم في ذلك الوقت ففرقهم فقاموا رجلا اضطراب (واعتاف من قوم خيابة فأنبأهم على سواء) أي وإن

نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وما بأنفسهم
 يغير وما بأنفسهم وأن الله
 سميع علم
 أهل مكة من جوع وآمنهم
 من خوف وبم الله
 محمدا رسولا وكان هذا
 كله بما أنعم الله به عليهم ولم
 يكن يغير عنهم ولو لم يغيروا هم
 وتغيرهم كفرهم بهاء ترك
 شكرها فغايرها وذلك
 غير الله ما بهم فسلهم النعمة
 وأخذهم ثم زل في يهود
 قرظة (إن شر البواب
 عند الله الذين كفروا فهم
 لا يؤمنون الذين عاهدت
 منهم) الآية وذلك أنهم
 نقضوا عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأعانوا عليه
 مشركي مكة بالسلاح ثم
 اعتفروا وقالوا أخطأنا
 فهاهم ثانية فنقضوا
 العهد يوم الخندق وذلك
 قوله (ثم ينقضون عهدهم
 في كل مرة وهم لا يتقون)
 عقاب الله في ذلك (فما
 تنقضهم في الحرب) أي
 فإن أدرتهم في القتال
 وأسرهم (فشردهم من
 خلفهم) أي فافصل بهم
 فعلمن التنكيل والعقوبة

تفرق به جمع كل ناقض فاعتبروا بما فعلت هؤلاء فلا يبقون العهد وذلك قوله تعالى (لعلهم يذكرون) أي تعلمن (من قوم خيابة) يعني نقضا للعهد بدليل يظهر لك (فأنبأهم على سواء) أي أنبأهم بذلك الذي عاهدتهم عليه لتكون أنت وهم سواء في العداوة فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنسب الحرب أي أعلمهم أنك نقضت عهدهم بالمر لا يتوهموا أنك نقضت العهد بالشر

(ان الله لا يحب الخائنين) ي الذين يخونون في اليهود وغيرها (ولا تحسبن الذين كفروا سيقوا) وذلك ان من اقلت من حرب بدر
من الكفار خافوا ان تنزل بهم هلكه (٣٣٦) في الوقت فلما نزل لغفوا ونشوا فقال الله لا تحسبنهم سيقونا بسلامتهم لأن

فانهم لا يعجزون وتا ولا
يقوتون تنافيا يستقبلون من
الأوقات (وأعدوا لهم) أي
خنوا المدة لعدوكم
(ما استطعتم من قوة) أي
ما تقوتون به على حربهم
من السلاح والقتل وغيرها
(ومن رب الخيل) أي
ما يرتبط من الفرس في سبيل
الله (رهبون به عدو الله
وعدوكم) أي مشركي مكة
وكفار العرب (وأخريين
من دونهم) وهم المنافقون
(لا تعلمونهم الله يعلمهم)
لأنهم معكم يقولون لا اله
الا الله ويخزون معكم
والنفاق رهبه عدد
المسلمين (وما تنفقوا من
شيء) أي من آله وسلاح
وصرفاوم بيضام (في سبيل
الله) أي في طاعة الله
(يوف اليكم) أي يخلف
لكم من العاجل ويوفر
لكم أجره في الآخرة (وأتم
لا تعلمون) أي لا تتقصون
من الثواب (وان جنحوا
للسلم) أي مالوا الى الصلح
(فاجنب لها) أي اجنب لها
يعني المشركين واليهود ثم
نسخ هذا بقوله قالوا الذين
لا يؤمنون بالله (وتوكل
على الله) أي ثق به (انهو
المسيح عليهم) عافى قلوبكم (وان يريدوا أن يحسدوك) أي

تعلن من قوم من الماهدين تنقض عهد بأمارات ظاهرة فاطرح اليهم عهدهم على طريق ظاهر مستو
بأن تعلمهم قبل حربك ما ياهم أنك قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة حتى تكون أنت وهم في العلم
بنقض العهد سواء ولتبادرهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله
لا يحب الخائنين) في اليهود والحاصل ان ظهرت الخيانة بأمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب
على الامام أن يفبل اليهم العهد ويصلحهم الحرب وذلك كافي في رقة فانهم عاهدوا النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أجابوا بأستيفان ومن معه من المشركين الى مظاهرهم عليه (وأما اذا ظهر تنقض
العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للإمام الى نبذ العهد واعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله
ﷺ بأهل مكة فانهم لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وصل
اليهم جيش النبي ﷺ بمرا الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة (ولا تحسبن الذين
كفروا سيقوا) قرأ ابن عمر وحفص عن عاصم بالياء التحنية أي ولا تحسبن الذين كفروا من
فرش أنفسهم قاتلنا من عذابنا بهم يوم بدر وقرأ الباقر بآلاء الفوقانية على مخاطبة النبي
ﷺ أي ولا تحسبن يا أشرف المخلوق الذين كفروا الذين خلصوا منك في بدر فأتين من عذابنا
(انهم لا يعجزون) أي انهم بهذا الفرار لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما بالقتل في الدنيا واما
بذباب النار في الآخرة وقرأ ابن عباس انهم بفتح الحمة على التحليل (وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رب الخيل) قيل انه لما اتفق لأصحاب النبي ﷺ في قصة بدر أنهم قصدوا الكفار
بلا آلة أمرهم الله تعالى أن لا يودوا لئله فقال وأعدوا الخ أي هيئوا للحرب الكفار ما استطعتم من
كل ما يتقوى به في الحرب من كل ما هو آلة للجهاد ومن الخيل الربوط سواء كان من الفحول أو من
الاناث وروى انه كانت الصحابة يستحبون ذكر الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات
والفارات (رهبون به) أي بذلك الاعداد وقرئ تخزون (عدوا الله وعدوكم) وهم كفار مكة
(وأخريين من دونهم) أي من غير كفار مكة من الكفرة (لا تعلمونهم) على ما هم عليهم من العداوة
أي فان تكثير آلات الجهاد كما رهب الأعداء الذين فعل كونهم أعداء كذلك رهب الأعداء
الذين لا تعلم أنهم أعداء سواء كانوا مسلمين أو كفارا (الله يعلمهم) لا غيره (وما تنفقوا من
شيء) قل أو جبل (في سبيل الله) أي في طاعة الله في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات (يوف اليكم) أي
لا يضيع الله في الآخرة أجره ويجعل عوضه في الدنيا (وأتم لا تعلمون) أي لا تتقصون من الأجر
(وان جنحوا للسلم فاجنب لها) أي وان مال الكفار للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بشهادة ما بينكم
من الاستعداد فاقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فاجنب بضم النون (وتوكل
على الله) أي فوض الأمور فيها عقدته معهم أي الله ليكون عونك على السلامة ولكي تنصرك عليهم
اذا نقضوا العهد (انه) تعالى (هو السميع) لما يقولون في خباياهم من مقالات الخداع (العليم)
بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقون ويرد كيدهم في تحريمهم (وان يريدوا أن يحسدوك) فان حسبك الله أي
وان يريدوا الكفار بظاهر الصلح خديتك بكشف عنهم فاعلم أن الله كافيك من شرورهم وانصرك
عليهم (هو الذي أيدك بصره) أي قواك بصره في سائر أيامك (والمؤمنين) من المهاجرين

والأنصار

(وان يريدوا أن يحسدوك) أي

بالصلح لتكف عنهم (فان حسبك الله) أي فالذي يوثق بكفايتك الله (هو الذي أيدك بصره) أي قواك بصره يوم بدر (والمؤمنين)

يعني الأنصار

(وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) أَي بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَهُمْ الْأَنْصَارُ (لَوْ أَفْقَعْتَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) أَي الْعِدَاوَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ (وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) لِأَن قُلُوبَهُمْ بِيَدِهِ يُؤَلِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ (أَعَزَّزَ) أَي لِيَجْتَنِعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ (حَكِيمٌ) أَي عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ (بِأَيُّهَا) الَّتِي حَسِبَكَ اللَّهُ (الْآيَةَ) أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَسِتُّ مِائَةٍ أَسْلَمَ عُمَرُ فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَقِيَ بِكَفِّكَ اللَّهُ (وَأَيُّهَا) أَي بَيْنَ مَنْ تَابَعْتُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ (٣٣٧) أَي حَضَمَهُمْ عَلَى نَصْرِ دِينِ اللَّهِ (أَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يُضِلُّوهُمَا تَيْنِ) بِرِجَالِ الْجُلُوسِ مِنْكُمْ بِعَشْرَةٍ مِنْهُمْ فِي الْحَرْبِ (وَأَنْ يَكُنْ مِائَةٌ يَضِلُّوهُمَا أَلْفًا مِنَ الدِّينِ) كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

وَالْأَنْصَارُ (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) لَوْ أَفْقَعْتَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ أَي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَثَالٍ يُقَوِّمُ تَكْبَرَهُمْ شَدِيدَ حَيْوَةٍ لَوْلَمْ رَجُلٌ مِنْ قَبِيلَةٍ لَطَمَهُ قَاتِلٌ عَنْهُ قَبِيلَتُهُ حَتَّى يَمْرُكَوْا نَارَهُ ثُمَّ أَنْتَهَمُ أَتَقَبَلُوا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى قَاتَلَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَابْنَهُ وَاتَّفَقُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَصَارُوا أَنْصَارًا وَأَيْضًا كَانَتْ الْخُصُومَةُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَدِيدَةً وَالْحَرْبُ دَائِمَةً تَهْزُلُ الصُّفُفَانِ وَحَصَلَتِ الْأَلْفَةُ فَازَالَتْ تِلْكَ الْعِدَاوَةَ الشَّدِيدَةَ وَتَبَدَّلَهَا بِالْحُبَّةِ الْقَوِيَّةِ مَا لَا يَقْرَعُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَصَارَتْ تِلْكَ عَجْزَةً ظَاهِرَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّهُ) تَعَالَى (عَزَّزَ) أَي فَطَّرَ يَقْبَلُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعِدَاوَةِ إِلَى الصَّدَاقَةِ (حَكِيمٌ) أَي يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ مَطَابِقًا لِلْمَصْلَحَةِ (بِأَيُّهَا النَّبِيُّ) حَسِبَكَ اللَّهُ مِمَّنْ تَابَعْتُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَي كَفَّكَ اللَّهُ وَكَفَى أَتَابَعَكَ نَاصِرًا أَوَّلَ النَّبِيِّ كَفَّكَ اللَّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَهَذِهِ الْآيَةُ زَلَّتْ فِي الْبِدَاءِ مِنْ غَزْوَةِ بَرْقِلَ الْقِتَالِ فَالْإِدْبَارُ لِلْمُؤْمِنِينَ هُنَا أَهْلُ غَزْوَةِ بَرْقِلَ وَهُمْ الْهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَقِيلَ زَلَّتْ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَسِتُّ مِائَةٍ أَسْلَمَ عُمَرُ فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَطُلِيَ هَذَا الْقَوْلُ تَكُونُ الْآيَةُ مَكِّيَّةً كَتَبَتْ فِي سُورَةِ مَدِينَةٍ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِأَيُّهَا النَّبِيُّ) حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ (أَيُّهَا النَّبِيُّ) أَي الْغِيَاثُ حَضَمَهُمْ عَلَيْهِ (أَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَضِلُّوهُمَا تَيْنِ) أَي أَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ فَلْيَصْبِرُوا وَلْيَجْتَهِدُوا فِي الْقِتَالِ حَتَّى يَضِلُّوهُمَا تَيْنِ (وَأَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَضِلُّوهُمَا أَلْفًا مِنَ الدِّينِ) كَفَرُوا وَأَعَاوَجَ هَذَا الْحُكْمُ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الشَّرُوطِ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ شَدِيدُ الْأَعْضَاءِ قُورًا جَلَدًا وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ قُوَى الْقُلُوبِ شَدِيدًا بِالسَّاسِ شَجَاعًا غَيْرِ جَبَانٍ وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُتَحَرِّفٍ لِقِتَالٍ وَمُتَحَرِّزًا إِلَى الْفِتَةِ فَعِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الشَّرُوطِ وَجِبَ عَلَى الْوَاحِدِ أَنْ يُثَبِّتَ الْعِشْرَةَ (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) مُتَعَلِّقٌ بِفَعْلِهِمْ فِي الْوَضْعِ أَي بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ بِالْقُدَّةِ تَعَالَى وَبِالْيَوْمِ الْأَخِيرِ لَا يَقَاتِلُونَ امْتِنَالًا لِمَا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ لِكَلِمَتِهِ وَابْتِمَالًا لِرِضَاةِ وَأَعَايِقَاتِلُونَ لِلْحِمَاةِ الْجَاهِلَةِ وَاتَّارَةَ الْعِدْوَانِ وَهُمْ يَسْتَمِدُّونَ عَلَى قُوَّتِهِمْ وَلِللَّهْوِ يَسْتَعِينُونَ بِرَبِّهِمْ بِالتَّضَرُّعِ وَمِنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ النَّصْرُ أَلَيْقَهُ (لَآنْ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) فِي الْبَلَدِ أَوْ فِي مَعْرِفَةِ الْقِتَالِ لِأَنَّ الدِّينَ (فَإِنْ) يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَضِلُّوهُمَا تَيْنِ وَأَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَضِلُّوهُمَا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ) أَي بِإِذْنِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ تَلْتَمِزُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ مَقْذُوفٌ فِي حَقِّ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ فَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ الْحُكْمُ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَمْ يَحْصُلِ النِّسْخُ أَنْتَبَهَ قَفْأَتُكَرُّ أَبُو مُوسَى الْأَصْفَهَانِي النَّسْخُ (وَاللَّهُ) مَعَ الصَّابِرِينَ (أَيُّهَا الْعَشْرِينَ) أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى مِصَابِرَةِ الْوَاحِدِ بَقِيَّةَ الْحُكْمِ وَأَنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مِصَابِرَتِهِمْ فَالْحُكْمُ لِلَّذِكُورِ هُنَاكَ زَائِلٌ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ أَبِي مُوسَى (مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) أَي مَا يَنْبَغِي لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى مِنَ الْكُفَّارِ حَتَّى يَقْوَى وَيُطْلَبَ بِإِلَاقَتِهِ قَتْلُهُمْ (رَبِّهِمْ) أَي أَبَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ (عَرْضَ الدُّنْيَا) أَي مَتَاعَ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ الْفَدَاءُ (وَالْقَدِيرُ بِدَاخِرَةِ) أَي إِنَّمَا يَرْضَى اللَّهُ

لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى أَيْ لَمْ يَكُنْ لَنَبِيٍّ أَنْ يَحْبِسَ كَمَا قَرَأَ فَرَّ عَلَيْهِ الْفَدَاءُ فَلَا يَكُونُ لَكَ أَيْضًا وَقَوْلُهُ (حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) أَي يُبَالِغُ فِي قَتْلِ أَعْدَائِهِ (رَبِّهِمْ) عَرْضَ الدُّنْيَا (أَيُّهَا الْفَدَاءُ) (وَالْقَدِيرُ بِدَاخِرَةِ) أَي بِرِجَالِكُمُ الْجَنَّةَ بِقَتْلِهِمْ وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيَانٌ عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَحْتَجِبَ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَسْرَى لَمْ يَأْتِ الْفَدَاءُ قَبْلَ الْإِخْلَاقِ فِي الْأَرْضِ بِقَتْلِ الْأَعْدَاءِ وَكَانَ هَذَا يَوْمٌ يَمْرُوكُمْ قَدْ اخْتَوَى فِي الْأَرْضِ فَلَذَلِكَ أُنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَزُولَ مَا بَدَأَ بِالْإِقْدَامِ

ما يفضى إلى السعادات الأخروية للصوة عن الزوال (واقعه عز) يغلب أوليائه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يطبق بكل حال كما أمر بالأخلاق ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للشركين وخير بين أخذ الفداء وبين اللئيم ما عولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (ولا كتاب من الله سبق) المسك فيا أخذتم عذاب عظيم) أي لولاه تعالى حكم في الأزل بالغزو عن هذه الواقعة لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) أي قد أبحت لكم الفتناء فكلوا مما غنمتم حال كونهم لا مستلفين روى أنهم أمسكوا عن الفتناء في بدوهم بعد ما أيدهم البيهات فزلت هذه الآية (واقوا الله) في مخالفة أمره ونهيه في المستقبل (إن الله غفور رحيم) في الحالة للراضية من استباحة الفداء قبل ورود الأذن من الله تعالى فيه (يا أيها النبي قل إن في أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمر ومن الأسارى بضم الهمزة وفتح السين بضمها ألفوا بالماله أي من الذين أسرتموه وأخذتم منهم الفداء (إن الله في قلوبكم خيراً) أي إيانا وعزما على طاعة الله ورسوله في جميع التكليف وتوبيع الكفر وجميع المعاصي (يؤتكم خيراً مما أخذتمكم) من الفداء (ويفرلكم) ما سلف منكم قبل الإيمان (والله غفور) لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته روى أن العباس كان أسيراً يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس فكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة إلى بدر فلم يبق له شيء وأخذ ذلك المشرون منه فقال العباس كنت حسداً لأنهم أكرموني فقال صلى الله عليه وسلم إن يصنع ما نذركه حقاً فله يخرجك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس فكلمت رسول الله أن يرد ذلك الذهب على فقال ﷺ أمانتي خرجت به تستعين به علينا فلا قال العباس وكفى الرسول فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشر من أوقية وفداء نوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركني أم تكسف قريشاً ما بقيت فقال رسول الله ﷺ أين الذهب الذي دفعت إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وفلت لها ما أدري ما يصبني في وجهي هذا فإن حدث في حادث فهذا للمالك ولعبد الله ولعبد الله والفضل وقم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال صلى الله عليه وسلم أخبرني به ربي قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبد الله ورسوله والله ليطعم علي أحد الأئمة ولقد دفعت إليه في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما الذي أخبرني بذلك فلا ريب وأمراني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحارث فأسلما قال العباس فأبدني الله خيراً مما أخذتمني ولئى الآن عشرون عبداً كلهم ناجر يضرب بال كثير أذناهم بضرب بشرين ألفاً وأعطاني زمزم وما أحب أنى بها جميع أموال أهل مكة وأنا تنظر للمفرق من ربي وروى أن تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فوضاً صلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذتمني وأنا أرجو للفرقة (وإن يردوا) أي الأسرى (خياتك) أي ينقض العهد فأعلم أن نسيمتكم منهم فإنه صلى الله عليه وسلم كلما أطلقهم من الأسر عهد معهم أن لا يعودوا إلى محاربه صلى الله عليه وسلم وإلى معاهدة للشركين بالمون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد خانوا الله من أي من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أي أقدر المؤمنين عليهم قتلاً وأسراً في بدر (واقه عليهم) أي ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفضله حسب اقتضاه حكمته البالغة (إن الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة إلى المدينة حبا لله تعالى ورسوله (وهاجروا بأموالهم) بأن صرفوها إلى السلاح وأثقفوها على المحاربيج

الفداء (عذاب عظيم) فقلوا هذا أمسكوا أيديهم عما أخذوا من الفتناء فقلوا (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) واقوا الله (بلطاعته) إن الله غفور (أي غفر لكم ما أخذتم من الفداء) (رحيم) رحمة لكم (أولياؤه) أي بأهل النبي قلن في أيديكم من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً (أرادة للإسلام) (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) من الفداء يعني إن أسلمتم وعلم الله إسلام قلوبكم أخلف عليكم خيراً مما أخذ منكم (ويفرلكم) ما كان من كفركم وقاتلكم رسول الله (وإن يردوا خياتك) وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنابك ونشهد أنك رسول الله فقال الله إن خانوك وكان قومهم هذا خيانة (فقد خانوا الله من قبل) أي كفروا به (فأمكن منهم) يعني ببدر وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال (واقه عليهم) أي بخيانة خانوها (حكيم) أي في تديروهم مجازاً ما إياهم (إن الذين آمنوا وهاجروا) الآية نزلت في الميراث كانوا في ابتداء الإسلام يتوارثون بالهجرة والنصرة فكان

(والذين آووا ونصروا) يعني الأصهار أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي هؤلاء الذين يتوارث بعضهم من بعض (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ديارهم ولا منهم من شيء) (٣٢٩)

التوارث بينكم وبينهم (حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين) يعني هؤلاء الذين لم يهاجروا فلا تختلجهم وانصروهم (الأن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا تفاروا ولا تعاونوهم (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي فلا توارث بينكم وبينهم ولا ولاية والكفار أولى الكافر دون السلم (الاتصلوا) أي الاتعاونوا وتناصروا وتأخذوا في البراث بما أمرتكم (تكن فتنة في الأرض) أي شر (وفساد كبير) وذلك أن السلم إذا هجر فريبه الكافر كان ذلك أدعى إلى الإسلام وإذا لم يهجره وتوارثا بقيم الكافر على كفره وقوله (والذين آمنوا وهاجروا وجعلوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) أي هم المؤمنون حقا (أي هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة) خلاف من أقام بدار الشرك (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) يعني

(وأفسهم) بمباشرة القتال وبالحفوف في المالك (في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين آووا) أي أنزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر (بعضهم أولياء بعض) أي يكونون بدا واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد لا يخرج الآخر حبه لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد وآل بيته (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ديارهم ولا منهم من شيء) حتى يهاجروا (فهاجروا) فهاجروا والحصل الإكرام والاجلال وفرحتم ولا يتهم بكسر الواو والياقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعلمكم النصر) الأعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق (أي أن قطع التحكيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استنصروكم في الدين على المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم الأعلى قوم منهم بينكم معاهدة فانه لا يجوز لكم نقض عهدهم بنصرهم عليهم إذ الميثاق مانع من ذلك (وأفهم بالتعاون بصير) فلا تغالغوا أمره كي لا يعمل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي في النصر فأن كفار قريش كانوا في غاية العداوة لله ولرسوله فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاونوا على إضائه ومخاربه وللشركون واليهود والنصارى لما اشتكروا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الحية سببا لانضمام بعضهم إلى بعض وقرب بعضهم من بعض. وتلك العداوة لغرض الحسد لا لأجل الدين لأن كل واحد منهم كان في نهاية الإنكار للدين صاحبه (إلا فتنة) تكن فتنة في الأرض (وفساد كبير) أي أن لم تقبلوا ما أمرتكم به من التواصل بين المسلمين ومن قطع الحية بينهم وبين الكفار تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة فأن المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان خفف المسلمين وقلة عددهم وزان قوة الكفار وكثرة عددهم فربما صارت تلك الفتنة سببا لاحتراق المسلمين بالكفار وان المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم فيصير ذلك سببا لجلاء الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) فانه تعالى ذكرهم أوليائين حكمهم وهو أكرام بهم مع أنهم لم يظهروا جهنم بل يبينان تنظيم شأنهم وعاد درجته وأتى عليهم من ثلاثة وجوه وهي وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين لأن من لم يكن محققا في دينه لم يفرق الأهل والوطن ولم يبدل النفس والمال ولم يكن في هذه الأحوال من التسارعين (لهم مغفرة) غائبة عن جميع الذنوب والتباعد (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أي بعد الهجرة الأولى وهؤلاء التابعون بإحسان (وهاجروا) من مكة إلى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وجعلوا معكم) في بعض منازلهم (فأولئك منكم) أي من جملة منكم (أي المهاجرون والأصهار في السر والعلانية) (وأولوا الأرحام) أي ذؤ القربى (بعضهم أولى ببعض) آخر منهم في التوارث من الأجانب (في كتاب الله) أي في حكم الله الذي يبين في كتابه بالسلم لله كقوله في سورة النساء (إن الله بكل شيء عليم) فالأمر بجميع المعلومات لا يحكم إلا بالصواب في سورة التوبة (قد توفيق الله في الآيات) آخرها فأنها ما كانت ولا توفيقا وعدد كتابها ألفان وأربعمائة وتسعون وحروفها عشرة آلاف وخمسة وستة وعشرون. والصحيح أن التسمية تكسب لأن جبريل عليه السلام مارل بها في هذه السورة قاله القشيري

(٤) - (تفسير مراحل) - (أول)

الذين هاجروا بعد المدينة وهي الهجرة الثانية (وأولوا الأرحام

بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) نسخ البراث بالمجرة والحلف بفتحهم مكثرة لانه البراث الذؤى الأرحام من الأخ والألم وغيرهما وقوله في كتاب الله أي في حكم الله (إن الله بكل شيء عليم) في تفسير سورة التوبة

(برامة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أخذ المشركون ينقضون عهودا بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله أن ينقض عهودهم ويبينها (٣٣٠) اليهم وأزل هذه الآية والمعنى قد برى الله رسوله من إعطائهم العهد والوفاء إذ

نكسوا ثم خاطب المشركين فقال (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي سيروا فيها آمنين حيث شئتم حتى شئوا إلى صفرو وهذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فإذا انقضت هذه المدة قالوا حينئذ ادركوا (واعلموا أنكم غير معجزي لله) أي لا تقوتون وأن أجتهد هذه المدة (وأن الله مخزي الكافرين) أي من أمتهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة (وأذان من الله ورسوله) أي إعلام من الله ورسوله (إلى الناس) يعني العرب (يوم الحج الأكبر) أي يوم عرفة وقيل يوم النحر والحج الأكبر الحج بجميع أعماله والأضمر العمرة (أن الله يرى من المشركين ورسوله) أمر الله رسوله أن يعلم مشركي العرب في يوم الحج الأكبر براءته من عبودهم فبعت عليا رضي الله عنه حتى قرأ صدر براءة عليهم يوم النحر ثم خاطب المشركين فقال (فانبتهم) أي رجتم عن الشرك (فهو خير منكم) من الإقامة عليه (وإن

(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أي هذه براءة من جهة الله تعالى ورسوله وإصالة إلى الذين عاهدتم من المشركين فإن الله قد أذن في معاهدة المشركين فأشقي للمسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعدهم . ثم إن المشركين نقضوا العهد فأوجب الله التنبذ إليهم فخطوب للمسلمين بما يحذرهم من ذلك وقيل أعلموا أن الله ورسوله قد برأنا عاهدتم من المشركين (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي سيروا بها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال في هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يحج حسنة تسع فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على اللوم ليقيم للناس الحج وبعث معه أبا عبيد بن جراح براءة ليقرأها على أهل اللوم ثم بعث بعده عليا على ناقته الأعضاء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بحجة ومعنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل شرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلى ابن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان قبل يوم التروية يوم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالتي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال على بعثت بأبي بكر ليأطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون وللمسلمين بعد علمهم هذا في الحج فقال للمشركون لعلي عند ذلك أبلغ ابن عمك أنافذ نبذنا العهد وراة ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الاطعن بالرمح وضرب بالسيف . ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (واعلموا أنكم غير معجزين الله) أي واعلموا يا معشر الكفار أن هذا الامهال ليس لسحب بل للعطف ليتوب من تاب أي اعلموا أني أمهلتمكم وأطلقت لكم فاضلوا كل ما أمكنكم فله من اعداد الالات وتحصيل الأسباب فانكم لا تمعزون الله بل الله يمعزكم (وإن الله عَزِيزُ الْكَافِرِينَ) أي منكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالذاب (وأذن من الله ورسوله إلى الناس) أي وهذا اعلام صادر من الله ورسوله واصل إلى الناس (يوم الحج الأكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام كان فيه (أن الله يرى من المشركين) التافضين للعهد (ورسوله) بالرفق باتفاق السبعة فهو معطوف على الضمير للسفر فيرى (فان تبتم) من الشرك (فخير لكم) أي فالتوب خير لكم في الدارين لاشتر (وان توليتم) أي أعرضتم عن التائب من الشرك (فاعلموا) يا معشر المشركين (أنكم غير معجزين الله) أي غير فائتين من طلب الله فان الله قد على ازال أشد الغلاب بهم (وبشر الذين كفروا بصلاب أليم) أي أضرهم بالقتل بعد أربعة أشهر فالشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال كرامهم الشتم وتحميمهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا) من شروط الشاق ولم ينضروكم قط وقرئ بالضاد المعجمة أي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقص (ولم يظاهروا) أي لم يعاونوا (عليكم أحد) من أعدائكم (فاقتوا اليوم عهدكم إلى مدتهم) إلى وقت أجلهم تسعة أشهر وللحق لانهما لا تناكثين العهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموه ثم لم ينكثوا عهدهم فلا يحرمهم مجرى الناكثين

توليتكم) أي عن الإيمان (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) أي لا تقوتونه بأنفسكم عن العذاب ثم أوعدهم بعذاب
الآخر فقال (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) ثم امتحن قوما من براءة اليهود فقال (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقلوكم) أي
من شروط العهد (شيئا) وهم بنو نصر مترو بنو كنانة (ولم يظلموا عليكم أحدا) أي لم يهاووا عليكم عدوا (فأتوا إليهم عبيد إلى مذبذبهم)

بطلانهم (فاذا انسلخ
الأشهر الحرم) يعني مدة
التأجيل (فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم) في حل
أو حرم (وخذوهم) أي
بالأمر (واحصروهم) ان
تحصنوا (واقعدوا لهم كل
مرصد) أي على كل طريق
ياخذون فيه (فان تابوا)
أي رجسوا عن الشرك
(واقاموا الصلاة) للفرصة
(وأتوا الزكاة) من العين
وللوائى والثائر (فخذوا
سبيهم) فدعوهم ماشيا
(ان الله غفور رحيم) أي
لمن تابوا آمن (وان أحد
من المشركين) أي الذين
أمرتك بقتلهم (استجارك)
أي طلب منك الأمان
من القتل (فأجره) أي
فاجله في أمن (حتى
يسمع كلام الله) القرآن
فيقيم عليه حجة ويبين له
دين الله (ثم أبلفه مأمنه)
إذا لم يرجع عن الشرك
لينظر في أمره (ذلك بأنهم
قوم لا يملكون) أي يفعلون
كل هذا لأنهم جهة
لا يملكون دين الله وتوحيده
(كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله)
أي مع اضبارهم القبر
ونكهم العهد (الا الذين
عاهدتم عند السجدة

في السارعة الى قتالهم بل أتوا اليهم عهدهم ولا يحملوا الوافين كالغادرين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة
أمر الله رسول الله عليه وسلم بأتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فاتهم
ما غدروا من هذين الوجهين (ان الله يحب التقيين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من
باب التقوى وان التسوية بين الوافين والتادر منافية لذلك وان كان للعاهدين شركا (فاذا انسلخ الأشهر
الحرم) أي فاذا خرج الأشهر التي حرم الله القتل والقتال فيها وهي من يوم النحر الى العاشر من ربيع
الآخر (فاقتلوا المشركين) التاكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أي في حل أو حرم أو في شهر
حرام أو غيره (وخذوهم) أي أسروهم (واحصروهم) أي امنعوا من آتيان السجدة الحرام ومن
التقلب في البلاد (واقعدوا لهم) أي لأجلهم خاصة (كل مرصد) أي في كل عمر يسلكونه لئلا ينسبوا
في البلاد (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلاة) أي أقروا بالصلاة الحس (وأتوا
الزكاة) أي أقروا بأداء الزكاة (فخذوا سبيهم) أي فآثروهم ولا تعرضوا لهم بشئ مما ذكر (ان
الله غفور رحيم) لمن تاب عن الكفر والفتر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) حتى يسمع
كلام الله (أي وان سألك أحد من المشركين الذين أمرت بقتلهم أن تؤمنه بعد انقضاء مدة السباحة
فأمنه حتى يسمح فراء تلك كلام الله ويطلع على حقيقة ما يدعو اليه ونقل عن ابن عباس أنه قال ان رجلا
من المشركين قال لبي بن أبي طالب ان أردنا أن نأقن الرسول بعد انقضاء هذا الأجل لساج كلام الله أو
لحاجة أخرى فهل يقتل فقال على لا فان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله (ثم أبلفه مأمنه) أي ثم أوصله الى الديار قومه التي يأمنون به على أنفسهم وأموالهم ثم بعد
ذلك يجوز قتلهم وقتلهم (ذلك) أي اعطاء الأمان (بأنهم قوم لا يملكون) أي بسبب أنهم قوم لا يقدرون
ما لا يعان وما حقيقة ما يدعوهم اليه فلا يملكون اعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبق معهم معصرة
أصلا (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي لا ينبغي أن يبق للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله وهم بنقضون العهد (الا الذين عاهدتم عند السجدة الحرام) أي لكن الذين عاهدتم من
المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم للسنن من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في
قوله تعالى سابقا الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا الخ وهم بنو كنانة وبنو ضمرة
فقد بصروهم وقاتلوهم (فاستقموا لهم) فاستقيموا لهم أي فأي زمان استقاموا لكم على
العهد فاستقيموا لهم على مثله واللغى فاستقيموا لهم مدة استقامتكم لكم (ان الله يحب التقيين) عن
نقض العهد وقد استقام عليه السلام على عهدهم حتى نقضوه باعائهم بنى بكر وهم كنانة حلفاء على
خزاعة حلفائه عليه السلام روى أنه عت شو بكر على بنى خزاعة في حال غير رسول الله عليه السلام وعاتوهم
فريش بالسلاح حتى وقد عمر بن سالم الخزاعي على رسول الله عليه السلام فأنشده
لاهم ابي ناسد محمد • حلفا ينالوايك الاطلا
ان قريشا اخلقوك للودعا • ونقضوا ذمامك للوكما
هم يثبونا بالحليم هجدا • وقتلوا ركبنا وسجدا
فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم نصركم (ككيف وان يظهر عليكم) أي وحالهم أنهم
ان يقدروا عليكم (لا يرقبوا فيكم) أي لا يحفظوا فيكم (الا) أي قرابة (ولا ذمة) أي عهدا
واللغى كيف لا تقتلواهم وهم ان يملكون لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ذمنا بل يؤذونكم ما استطاعوا

الحرام) يعني الذين استثناهم من البراءة (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي اما ما على الوفاء بهدهم فأقيموا أنهم (كيف) أي
كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (ان يظهر عليكم) أي ان يظهروا بكم ويقتروا عليكم (لا يرقبوا) أي لا يحفظوا (فيكم) (الا ولا ذمة)

أى قرابة ولا عهدا (يرضونكم بأفواههم) أى يقولون بألسنتهم كلاما حلو (وتأتى قلوبهم) أى الوفاء به (وأكثروهم فاسقون) أى كاذبون ناقضون العهد (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) أى استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا (ففسدوا عن سبيله) أى فأعرضوا عن طاعته (انهم ساء) بس (ما كانوا) (٣٣٢) يحملون) أى من اشتراهم الكفر بالامان (لا يربون)

(يرضونكم بأفواههم وتأتى قلوبهم) أى تنكروا قلوبهم ما يفيد كلامهم أى فانهم يقولون بألسنتهم كلاما حلو طيبا والذى فى قلوبهم بخلاف ذلك فانهم لا يرضون الا الشتر والايذاء ان قدر واعليه (وأكثروهم فاسقون) أى ناقضون للعهد مضمون عند جميع الناس وفى جميع الأديان (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) أى تركوا آيات الله الأمرة بالاستقامة فى كل أمر وأخذوا بدلها شيئا يسيرا من الدنيا لأجل تحصيل الشهوات وذلك ان أباسقيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء النبي ﷺ وحملتهم تلك الأكلة على نقض العهد ففوضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الأكلة (ففوضوا عن سبيله) أى عن دينه وأوعن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والمعاريه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى ساءهم الذى كانوا يعملونه ماضى من صلح عن سبيل الله ومامعه (لا يربون) أى لا يحفظون (فى مؤمن الا) أى قرابة (ولأذمة) كر ذلك مع ابدال الضعيف بمؤمن لأن الأول وقع جوابا لقوله تعالى وان يظهر واوالتانى وقع خبرا عن تقييح حالهم أو هذنا خاص بالذين اشتروا الذين جمعهم أبوسفيان وأطعمهم وأشباههم من اليهود وغيرهم (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون فى الظلم والشرارة (فان تابوا) من مساوى أعمالهم (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقروا بحكمهما وجزعوا على اقامتهما (فإخوانكم) أى فهم إخوانكم (فى الدين) أى لهم بالسك وعليهم ما عليكم فمما لوهم معاملة الاخوان (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أى نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الأحكام (وان نكثوا أيمانهم) أى عيودهم التى بينكم وبينهم (من بعد عهدهم) أى لا يقاتلوك ولا يظهر واعليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوا دينكم بالكذب وتقييح الأحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى قاتلوا الكفار بأسرهم فانهم صاروا بذلك ذوى تقسم فى الكفر أحقاء بالقتل والقتال (انهم لا يمان لهم) أى انهم لا عهود لهم على الحقيقة لأنهم لا يصدون نقضها عن ذورا وهم لمسا فيؤاها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان وان أجزوها على الستم وقرأ ابن عامر لا يمان لهم بكسر الهمزة أى لا تطوهم أمانا بهذا أبدا فيكون الإيمان مصدرا بمعنى اعطاء الأمان فهو صدق الاخافة (لمعلم يتنون) أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم سببا فى اتيانهم معاهم عليه من الكفر والطعن فى دينكم والمعاونة عليكم (الا) أى هلا (فقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) بعد عهد الحديبية باعنة بن بكر على حزاعة (وهو ابناجراي الرسول) أى باخرجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله فى الهجرة أومن للدينة قصد قتله (وهم بدأواكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لأنهم حين سلم الميرقالوا لا تنصرف حتى فتأصل عهدا ومن معاه بدأوا بقتال حزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن امانته بنى بكر عليهم بالسلاح قتالهم قالا عنة على القتال نسعى قتالا (اتخضونهم) أى اتخافون أياها للؤمنون أن ينالكم منهم مكروه حتى تركوا قتالهم (فإله أحق أن تخشوه) فترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على أن المؤمن يبتنى أن يخشى ربه وأن لا يخشى أحدا سواه (قاتلوهم بهذه الله بأيديكم) بالقتل قارة والأسر أخرى واقتنام الأموال ثالثا (ويخزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدي المؤمنين ذليلين (ونصركم عليهم) أى

بمضى هؤلاء الناقضين للعهد (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد (فان تابوا) أى عن الشرك (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم) أى فهم إخوانكم (فى الدين) ونفصل الآيات أى نبين آيات القرآن (لقوم يعلمون) أى من عند الله (وان نكثوا أيمانهم) أى نقضوا عيودهم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوكم وعابوا دينكم (فقاتلوا أئمة الكفر) أى رؤساء الضلالة ببنى صناديد قريش (انهم لا يمان لهم) أى لا عهود لهم (لمعلم يتنون) أى كى يتنوا عن الشرك بالله ثم عرض للؤمنين عليهم فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) ببنى كفار مكة أى بقضوا العهدوا عانوا بنى بكر على حزاعة (وهو ابناجراي الرسول) أى من مكة (وهم بدأواكم) أى بالقتال (أول مرة) حين قاتلوا حلفاءكم حزاعة فبدأوا بنقض

العهد (اتخضونهم) أى أن ينالكم من قتالهم مكروه فتتركون قتالهم (فإله أحق أن تخشوه) أى فكلوه وعذاب الله أحق أن يخشى فى ترك قتالهم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بمقابله وتوابه (قاتلوهم بهذه الله بأيديكم) أى يقتلهم بيسوفكم وراحكم (ويخزهم) أى يذلهم بالقهر والأسر

بالنبي والمؤمنين من بني بكر (و يذهب غيظ قلوبهم) أي كرهها وجدها جموعة فرس بكر عليهم (و يتوب الله على من يشاء) أي من المشركين كأي سفیان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهداهم الله للإسلام (أم حسبتم) أي المنافقون (أن تتركوا) على ما أتم عليه من التليس وكتبان التفات (ولما علم الله الذين جاهدوا منكم) أي بنيت صادقته على العلم الذي يتعلق بهم بعد الجهاد وذلك أن لما فرض القتال تبين للمنافق من غيره ومن وإلى المؤمنين ممن يوالى أعداءهم (ولم يتخذوا) أي ولما علم الله الذين لم يتخذوا (من دون الله ورسوله ولا المؤمنين وليجة) أي أولياء ودخلاء (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) زلت في العباس حين غير بالسكر لما أمر فقال أنا لنعمر المسجد الحرام وتحجب الكعبة ونسقي الحاج فرد الله ذلك عليهم قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله أي بدخوله

بجملكم جميعا غالين عليهم أجمعين فانكم تتفهمون بهذا النص (و يشف صدور قوم مؤمنين) من لم يشهد القتال وهم خزاعة بطون من الجبن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهل أذى كثيرا فبعثوا إلى الرسول الله ﷺ يشككون إليه فقال يا بشروا فان الفرج قريب وكان شفاء صدورهم من زحمة الانتظار فانه لثوث الأحمر (و يذهب غيظ قلوبهم) من بني بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته الله من على أحسن الوجوه كان سروره أعظم (و يتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كأي سفیان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وفهم أسلموا يوم فتح مكة وحسن إسلامهم (والله عليم) بكل ما يقبل في ملكه (حكيم) أي مصيب في أفضاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا) ولما علم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بل حسبتم أن تترككم الله بكون تكليفكم بالقتال الذي ستمتموه وحوالاً أنه لم يصدر الجهاد عنكم خالين عن التفات والرياء والتودد إلى الكفر وأجبال ما يخالف طريقة الجبن والمقصود من هذه الآية بيان أن للكف في هذه الواقعة لا يتخلص عن العتاب الاعتدال حصول أمرين الأول أن يصدر الجهاد عنهم والثاني أن يأتي بالجهاد مع الإخلاص فان الجهاد قد يجاهد وبلغة خلاف ظاهره وهو الذي يتخذ الوليعة من دون الله ورسوله وللمؤمنين المخلصين أي وهو الذي يطلع الكافر على الأسرار الخفية والمقصود بيان أنه ليس الترض من إعجاب القتال نفس القتال فقط بل الترض أن يؤتي به انقياد الأمراء تعالى وحكمه ليطهر به بطل النفس وللإل في طلب رضوان الله تعالى فحينئذ يحصل به الانتفاع (والله خير بما تعملون) من موالاة للمشركين وغيره فإجازة يك عليه فيجب على الإنسان أن يبلغ في أمر الله وعبادة القلب (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي ما أصبح للمشركين أن يعمروا المسجد الحرام بدخوله والعمود فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمر ومسجد الله على الواحد والياقون مساجد على الجمع وإنما جمع المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد كلها وأما هم ثم شهادتهم على أنفسهم بالكفر أنهم أقرأ وعبادة الأوثان وتكذيب القرآن وانكار نبوة محمد ﷺ وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يباهيهم بأعمال البرع ما بهم من الكفر (حبطت أعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنهم من الكفر فصار تبهاء منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أمر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فبصره بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على عليه القول فقال العباس نذركون مسألو بنو لاند كرون محاسننا فقال على ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم لأننا نمر المسجد الحرام وتحجب الكعبة أي نغضمها ونسقي الحجيج ونفك العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (أما يعمروا مساجد الله) أي أما أصبح أن يعمروا المسجد عمارة يتعبد بها (من آمن بالله) لأن المساجد موضع يبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لا يني موضعاً لله فيه (و اليوم الآخر) لأن الاشتغال بعبادة الله لا ينفذ إلا القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبده ومن لم يعبده لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فإن للمقصود الأعظم من بناء المساجد إقامة الصلوات (وأتى الزكاة) وأما اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المسجد لأن الإنسان إذا كان مقياً الصلاة فإنه يحضر في المسجد فتحصل عمارة المسجد بذلك للسجد وإذا كان مؤتياً الزكاة فإنه يحضر في المسجد طوافاً لطلب الأجر والساكن لطلب الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور

أنفسهم بالكفر) أي بسجودهم للأوثان وأخذها آلهة (أولئك حبطت أعمالهم) لأن كفرهم أذهب ثوابها (أما يعمروا مساجد الله) أي يزيرونها بالقعود فيها (من آمن بالله اليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة) الآية للذي آمن من وكان يبدى البغية فهو من أهل عمارة

السجد (ولم يخش) في باب الدين (الاله فسمى أولئك) أي فأولئك هم المبتدون يعني التمسكين طاعة الله التي تؤدي إلى الجنة (أجعلتم سقاية الحاج) قال المشركون (٢٣٤) عمارة بيت الله والقيام على السقاية خير من الإيمان والجهاد فأزل الله هذه الآية

(ولم يخش الله) في باب الدين بأن لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فسمى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) إلى مطالبتهم من الجنة وما فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى المسجد ألفه الله تعالى وعظم الله عليه وسلم قال إذا زأتم الرجل تعاهد المسجد فاشدوا له بالإيمان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله) أي وجهاد في سبيل الله (أي في طاعة الله يوم يدرأى أحلتهم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في القضية) وعلاو الدرجة كن آمن بالقامح ويقوى هذا التأويل قرأه عبد الله بن الزبير سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام قال ابن عباس إن علياً لما أغلظ الكلام على البس قال البساس إن كنتم سبقتهموا بالإسلام والهجرة والجهاد فلقد كُنّا نعلم المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت هذه الآية (لا يستون) أي الفرقان (عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالين) لأنفسهم فانهم خلقوا للإيمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أي الذين جموا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكبر كرامة عند الله من يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الفائزون) بسعادة الدنيا والآخرة (يشترهم) أي هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم رحمة من روضان) أي بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو عهد الثواب (وجنت لهم فيها نعيم) أي منافع خالصة عن الكسرات (مقيم) أي دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أي الجنات (أبدًا) أي لا يتصرفون منها (إن الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الإيمان والهجرة والجهاد بالنفس وللإسلام قالهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة التي هي النجاة من النار في مقابلة الإيمان وتبني الرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة ترك الأوطان ثم ثلث بالجنات التي هي للنافع العظيمة في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل الأنفس والأموال وأما خصوا بالأجر العظيم لأن إيمانهم أعظم الإيمان (أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) أي طاعة تقشون إليهم أسراركم (إن استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الإيمان ومن يتولم منكم) في الدين (فأولئك) للتولون (هم الظالمون) أي فهو مشرك مثلهم لأنهم رضوا بشركهم والرضا بالكفر كفر كما أن الرضا بالفسق فسق قيل إن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتبني عن المشركين قالوا كيف يمكن للقاطعة الثامة بين الرجل وابنه وأمه وأخيه فقد كره الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والأولاد والأخوان واجب بسبب الكفر (قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم أو أزواجكم وشيوخكم) أي أهلكم الأذنون الذين تعاضروهم وهم قرأ أبو بكر عن حاضهم وعشيرتهم بالجمع (وأموال اقترتموها) أي اكتسبتموها (وتجارة) أي أمتعة اشترىتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) أي عسبر واجبها (ومساكن رضونها) أي منازل تعجبكم الإقامة فيها (أحب إليكم من الله ورسوله) بألب الاختيارى (وجهاد في سبيله) أي طاعته (فترضوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم بالكيفية وإن هذه البراءة بوجبا انقطاعنا عن آبائنا وأخواننا وعشيرتنا وذهب تجار تناو هلاك أموالنا وخرب ديارنا

وسقاية الحاج سقيم الشرب أيام الموسم وقوله (وعمارة المسجد الحرام) يريد تجميره وتخليقه (كن آمن بالله) أي كإيمان من آمن بالله (لا يستون عند الله) أي في الفضل (واقه لا يهدي القوم الظالين) يعني الذين زعموا أنهم أهل العمارة سباهم ظالمين بشركهم (الذين آمنوا) إلى قوله (أعظم درجة عند الله) أي من الذين افتخروا بصارة البيت وسقى الحاج (وأولئك هم الفائزون) أي الذين ظفروا بأمنيتهم (يشترهم) أي بهم رحمة منه (أي يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة) أي الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) الآية لا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمجرة إلى المدينة كان من الناس من تعلق به وجهه ولده وأقاربه فيقولون نشدك الله أن لا نضعنا فيرق لهم ويدع الهجرة فأزل الله لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني أصدقاء تؤثر ون القيام بين أظهرهم على الهجرة (إن

استحبوا) اختاروا (والكفر على الإيمان ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون) أي مشرك مثلهم فلما

نزلت هذه الآية قالوا يا بني الله إن نحن اعتزلنا من خلفنا في الدين تقطع أبناءنا وعشيرتنا ونذهب تجارتنا ونخرب ديارنا فأزل الله (قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها) أي اكتسبتموها وهو من الكسب (فترضوا) أي مقيمين بمكة.

فين الله تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه الضار الدنيوية ليقب الدين سليما وذكر أنه إن كانت رعايته
 الصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فترسوا بما يحبون
 (حتى يأتي الله بأمره) وهي عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين
 عن طاعته إلى معصيته (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) وهي مشاهد الحروب كوقعت بدر وفريظة
 والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أي واد كروايوم قتلكم هوازن في حنين
 فهو وزن قبيلة حلبيمة السعدية وحنين وادي يتو بين مكة ثمانية عشر ميلا وذلك لما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج في شوال في تلك السنة وهي سنة ثمان
 متوجه إلى حنين لقتال هوازن وقبيل (أدعأعجبكم كثرتمكم) وهم اثنا عشر ألفا عشرة من
 المهاجرين والأنصار الذين فتحوا مكة وأثنان من الطلقاء وهم الأسراء الذين أخذوا يوم فتح مكة
 وأطلقوا وهم أسلوا بعد فتحها في هذه اللد للبرق بين هوازن وقبيل أربعة آلاف ومعهم أعداد
 سائر العرب فلما اتقوا قال الرجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الأنصاري لن ثعلب اليوم من قلة
 أي من أجلها افتخارا بكثرتهم أي نحن كثيرون فلا نطلب فأخبرت هذه الكلمة رسول الله ﷺ
 (فلترقن عنكم شيئا) أي فلم تطعمكم تلك السكرتة ما تدفون بهما جكم شيئا من الدفغ أي فلما أعجبوا
 بكثرهم صاروا منهمزجين (وصاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي أنكم لشدت الخوف صاقت عليكم الأرض فلم
 تجدوا فيها موصلا يصلح لفراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أي منهمزجين من القبو قال البراء بن عازب
 كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشروا وأكينا على الفئام فاستقبلونا بالسهم وانكشف
 المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس وهو أخذ بلجام
 بنقله وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وهو أخذ بركابه وهو صلى الله عليه وسلم ركض بغلته الشهباء نحو
 الكفار لئلا يبالى وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال العباس نادى له الجاهل من الأنصار
 وكان العباس رجلا صليبا جمل نادى بإعاد الله بأصحاب الشجرة أو أصحاب سورة البقرة فلما المسلمون
 حين سمعوا صوتهم عتقا واحدا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصى فرماهم بها
 وقال شأهت الوجوه فلما زال أمرهم مدبر واحد منهم كيا حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم مؤتمد أحد إلا
 وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فلذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمة التي تحصل بها سكون
 وثبات وأمن (على رسوله وعلى المؤمنين) واعلم أن غلبة الاعراض عن غلبة الآباء والأبناء
 والأخوان والأزواج وعن الأموال واللباس كن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على أن
 من ترك الدنيا لأجل الدين فإنه يوصله إلى مطالبه من الدنيا أيضا وضرب الله تعالى لهذا مثلا ذلك أن عسكر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين كانوا في غاية السكر والقوة فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا
 منهمزجين ثم في حال الانهزام لا يضرهم على الله فقامهم به حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على أن
 الإنسان متى اعتمد على الدنيا فإنه الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجع الدين على الدنيا أماء الدين والدنيا
 على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بغلبة الآباء والأبناء والأموال
 واللباس كن لأجل مصلحة الدين ووعدهم على سبيل الرمز بأنهم انفلوا ذلك فاقه تعالى يوصلهم إلى
 أقاربه وأموالهم على أحسن الوجوه (وأنزل من السماء جنودا لم تروها) أي أي بأصارك وهم اللاتكة
 عليهم البيضاء على خيل بلق لتقوم يقابو المؤمنين بالقاء الحواطر الحسنة في قلوبهم والقائم العقب في قلوب
 للمشركين (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وهم قوم مالك بن عوف الدمامي وقوم كنانة بن عبد المطلب

(وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) أي فيهدية إلى الاسلام من الكفار (والله غفور رحيم) أي من آمن
(بأيها الذين آمنوا أعمالكم للشركون

(٣٣٦)

(نحس) أي لا يقتلون من جنات ولا يتوضأون من حدث (فلا

يقربوا) أي لا يدخلوا
(للسجد الحرام) منعوا
من دخول الحرم والحرم
حرام على المشركين (بعد
عامهم هذا) يعني عام الفتح
فلم امنعوا من دخول الحرم
قال المسلمون انهم كانوا
يأتون بالير فالآن تنقطع
للتاجر فآثر الله سبحانه
(وان خفتم عيلة) أي فقرا
(فسوف يفتنكم الله من
فضله) فأسلم أهل جدة
وصنعا وجرش وحملا
الطعام إلى مكة وكفاهم الله
ما كانوا يخشون (ان
الله علم) أي بما يصحكم
(حكيم) أي في حكمه في
للمشركين ثم نزل في نهاده
أهل الكتاب من اليهود
والنصارى قوله (فأنا الذين
لا يؤمنون بالله ولا اليوم
الآخر) يعني كايما
للوحدين وإيمانهم غير إيمان
أدالم يؤمنوا بعهد صلى
الله عليه وسلم (ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله) يعني
الحرم والبسر (ولا يدينون
دين الحق) أي لا يدينون
بدين الاسلام (حتى
يطلوا الجزيرة) وهو
ما يسطي للماهد على عهده
(عن يد) أي يطلونها
بأيديهم يحشون بها

التقوى (وذلك) التعذيب (جزاء الكافرين) في الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي ماجرى
عليهم من الخذلان (على من يشاء) أن يتوب عليه منهم أي بوفقه للاسلام (والله غفور) لمن تاب
(رحيم) لمن آمن وعمل صالحا روي أن ناسا منهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على
الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقديسي أهوانا وأولادنا وأخنت أموالنا فقال
صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا اماذر اريكم ونساءكم واما أموالكم
قالوا ما كنا نفضل بالأحساب شيئا وهي مفاخر آباءه من التزاري والنساء فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان هؤلاء جامون تاملين وانخير ناهم بين التزاري والأموال فلم يبدلوا بالأحساب
شيئا فمن كان يديما سيرا وطابت نفسه أن يرد فشانه أي فليام شانه ومن لا فليطعننا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فخطبهم مكانه قالوا قد رضينا وسلبنا فقال صلى الله عليه وسلم انا لأبصرى لمل
فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرضوا ذلك التي افرقت اليه العرفاء أنهم قد رضوا ولم تقع غنيمة
أعظم من غنيمتهم فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا ومن النعم ما لا يحصى عددا ومن الأسرى ستة
آلاف من نسايتهم وصبايتهم وكان فيها غير ذلك (بأيها الذين آمنوا أعمالكم للشركون نحس) أي ذوو نحس
لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا للسجد الحرام) أي جميع الحرم (بعد عامهم هذا)
وهي السنة التي حصل فيها التداء بالبراءة من للمشركين وهي السنة التاسعة من الهجرة ولما امتنع
للمشركون من دخول الحرم وكانوا يتجرون ويأتون مكة بالطعام وكانت معاش أهل مكة من
التجارات تخافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى
قوله (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع الكفار (فسوف يفتنكم الله من فضله) أي عطائه من
وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا أغرر بهم اخبرهم وأكثر مبرهم وأسلم أهل
جدة وحنين وصنعا وجرش فحملاوا الطعام إلى مكة وكفاهم الله الحاجة بما كانوا يخافون إلى
مباينة الكفار فأغناهم بالي والجزيرة (ان الله علم) بأحوالكم وبما لحكم (حكيم) فلا يسطي ولا
يمنع الا عن حكمه وصوابه لا يفرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله تعالى براء من الله ان هنا أخذ
يتكلم على أهل الكتابين فقال (فأنا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر) فاليهود يعتقدون
التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بئس الأرواح دون الأجساد و يعتقدون
أن أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وهم يكذبون أكثر الأنبياء (ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله) أي لا يسمون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام كثيرة من قبل
أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) أي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الدين الحق (من الذين
أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي
ﷺ بقتال الروم فترابهم نزلها غزوة تبوك (حتى يطلوا الجزيرة) أي حتى يقبلا أن يطلوا
ما يسطي للماهد على عهده (عن يد) أي عن غي فلا تجب الجزيرة على النقيذ العاجز أو من انعام عليهم
لان ترك أرواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أي أذلاء متقادون
لحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام من مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف

أوفتحاص بن عاز وراه (عزير ابن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذي فيه التوراة وأنساهم التوراة ومحاها من قلوبهم فضرع عزير إلى الله تعالى ودعا أن يرد إليه التوراة فيبناها ويصل مبتلياً إلى الله تعالى إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فصادت التوراة إليه فأعلم قومهم وقال يقوم قدامي التوراة وردتها على فعلها منه عن ظهر لسانه ثم أن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوا من الله فقالوا ما جمع الله التوراة في صدر عزير وهو غلام إلا لأنه ابنه (وقالت النصارى للسبح ابن الله) روى أن أنبيا عيسى كانوا على الدين الحق بصدور عيسى عليه السلام إحدى وعشرين سنة يصلون إلى القبلية ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والتار مصيرنا فنحن مضبون أن دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى ساحتهم وأضلمهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه أتى إلى النصارى فقالوا له أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك توبة حتى تتصرف وتبنت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة في بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعاشاه فيهم ثم انعم به إلى أن يعترجال اسم واحد سطورا وآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فلم يسطور أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة وعقوب بن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزال ولا يزال عيسى وعلم رجال آسر من الروم الالهوت والتاسوت وقال ما كان عيسى اسانا ولا جبلا ولكنه الله ثم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خليفة فادع الناس للملكك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني وإني غدا أدعج نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل للقب فذبح نفسه فمروا ودعوا الناس إلى مذهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم للسبح ابن الله (ذلك) أي ماصبر عنهم (قولهم بأفواههم) أي مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (بضاهون) أي يشبهون في الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أي من قبلهم أي يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين للأنبياء بنات الله وقول أهل مكة والآلات والعزى ومناة بنات الله كما قالت اليهود عزير بن الله وكذلك قال بعض النصارى للسبح ابن الله وقال بعضهم شريكه وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك وأتبعهم من شناعة قولهم (أي يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق بمدح وضوح الدليل حتى يعملوا لله ولنا وهذا التعجب ارجع إلى الحق لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أي اتخذ اليهود وعلماءهم من ولدها ورواها واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أربابا من دون الله بأن أطلعواهم في تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم (والسبح ابن مريم) أي اتخذ النصارى مبعودا بصلواتهم قالوا إن ابن الله (وما أمروا) أي والحال أن هؤلاء الكفار ما أمروا في التوراة والانجيل (الليعبودوا الماواحد) عظيم الشأن هو الله تعالى (لا اله الا هو) صفاتنا له (سبحانه عما يشركون) أي تنزهه تعالى عن أن يكون له شريك في التكليف وفي كونه مبعودا ومسجودا له وفي وجوب نهاية التعظيم والجلال (يريدون) أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطقوا نورا لله) أي دلائل الله للنيرة الباطنة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أي يريدون أن يردوا القرآن فيما ينطق به من التوحيد والتأني عن الشركاء والأولاد ومن الشرائع من أمر الحل والحرم (بأفواههم) أي

عزير ابن الله وقالت النصارى للسبح ابن الله (ذلك قولهم بأفواههم) ليس فيه برهان ولا بيان إنما هو قولهم بالتم فقط (بضاهون) أي يشبهون بقول للمشركين حين قالوا للأنبياء بنات الله وقد أخبر الله عنهم بقوله وخرقوا له بنين وبنات فيعرف علم (قاتلهم الله) أي لنهم الله (أي يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يعملوا لله ولنا وهذا تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أي علماءهم وعبادهم (أربابا) أي آلهة (من دون الله) حيث أطلعواهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله (والسبح ابن مريم) أي اتخذوه ربا (وما أمروا) أي في التوراة والانجيل (الليعبودوا الماواحد) وهو الذي لا اله غيره (سبحانه عما يشركون) تنزيها له عن شركهم (يريدون أن يطقوا نورا لله) أي يظنوا نور الله بأفواههم أي يحمدوا دين الاسلام بتكذيبهم

الله كتبہ (یوم خلق السموات والارض

منها أر بة حرم) ورجب وذوالقعدة وذوالحجة والمهرم وعظم اتهاك الحرام فيها بأشد ما يعظم في غيرها (ذلك الدين القيم) أى الحساب للتعقيم (فلا تظلموا فيه) أنفسكم) يعنى تحفظوا من أنفسكم في الحرم فإن الحسنات فيها تنضف وكذلك السيئات (وقالوا للتركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أى قاتلوهم كلهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال (٣٣٩) كما أنهم يستحاون قتال جميعكم

(واعلموا أن الله مع للتقين) أى مع أوليائه (الذين يخافونه) (أعما للنسب) أى تأخير حرمة شهر حرمه الله إلى شهر آخر لم يحرمه الله وذلك أن العرب في الجاهلية ربما كانت تستحل الحرم وتحرمه بدله صفا فأخبر الله تعالى أن ذلك (زيادة في الكفر) حيث أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله (يعضل به) أى بذلك التأخير (الذين كفروا) الذين كفروا عما يحرمونه (يعملونه عاما) أى يعملون التأخير عاما وهو العالم الذى يتكون الحرم على تحريمه. وسبب هذا التأخير أن العرب كانت تعظم الأشهر الأربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت عامة معاشيهم من الصيد والغارة والحروب فتشع عليهم أن يمتكوا ثلاثة أشهر متوالية وقالوا ان نالت ثلاثة أشهر حرم لا نصيب فيها شيئا لملكنا وكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون الحرم (ليواطئوا) أى ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الأشهر الأربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس رضى الله عنهما انهما أحلوا شهرا من الحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا حلوا مكانه شهرا من الحرم لأجل أن يكون عددا لأشهر الحرم أربعة مطابقة لذكره الله تعالى. قال السكبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعم بن مبلبة وكان يقوم ويخطب في الموسم ويقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتار وزعوا الاستن والأزجة وان قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا وقيل هو جندة بن عوف الكنانى وكان مطاعا في الجاهلية كان يقول على جبل في الموسم بأعلى صوته ان ألهتكم فادخلت لكم الحرم فأكلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان ألهتكم فحرمت عليكم الحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القامس قال قائلهم هو من ناسى الشهر قلس وعون ابن عباس رضى الله عنهما أول من سن النسب عمرو بن لحي بن قحمة بن خنief (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس أى زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسنا (والله لا يهدي القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم في الأزل انهم من أهل النار (يأبأ الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انفقوا الى الارض) أى أى شئ ثبت لكم من الأغذار حال كونكم متفلقين ومشتتين الإقامة في أرضكم وفي قول الرسول لكم انفروا الى الغزو وطاعة الله

مالك) نزلت في حث المؤمنين على غزوة تبوك وذلك أنهم دعوا اليها في زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر فشق عليهم الخروج فأقر الله مالكم (اذ قيل لكم انفروا في سبيل الله) أى انخرجوا الى الجهاد لحرب العدو (اتفاقا الى الارض) أى اجيتم للقام

روى ان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة
و يقال لها غزوة العسرة وغزوة الفاضحة وكانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة بدرجوعه صلى
الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة وسبها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن هرقل جمع
أهل الروم وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء فأمر عليه السلام أصحابه بالجهاد وبثالى
مكة وقاتل العرب وحض أهل النقي على النفقة والجل في سبيل الله وهي آخر غزواته فجهز عثمان عشرة
آلاف واتفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والحيل وهي تسعة ألبير ومائة فرس وغير الزاد
وما يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف
ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة والأغنياء وبثت النساء بكل
ما يقدرن عليه من حلين فلما جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وكانت
الغيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة عشرين مسلة الأضرى وتخلف عبدالله بن أبي ومن كان
معهم المنافقين بعد أن خرجوا الى ثنية الوداع وكان من تخلف عشر قبائل وأما تباطأ الناس في
خروجهم للقتال لشدة الزمان في قحط وضيق عيش ولبعد السافة والحاجة الى الاستعداد الزائد على
ما جرت به العادة في سائر الغزوات ولشدة الحر في ذلك الوقت ولهاية عسكر الروم ولادراك الخمار في
المدينة في ذلك الوقت فاقضى اجتماع هذه الأسباب تناقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيت بالحياة
الدنيا) وغزوها (من الآخرة) أى بدل نعيم الآخرة (للمنازع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل) أى فما
الجمع بلذا الدنيا في مقابلة نعيم الآخرة الاقليل لان سعادة الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة
في البحر وترك الخير الكثير لاجل السرور القليل سفه (الانفروا يا أيها الذين آمنوا) أى ان
لم يخرجوا الى ما طلب الخروج منكم اليه يهلككم الله بسبب قطع هائل كقطع ونحوه (ويستبدل
قومًا غيركم) أى يأتى بعد اهلاكم بدلكم بقوم مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا كأهل اليمن
وأبناء فارس (ولا تضروا شيئا) أى لا يضركم الله جلاوسكم شيئا لان غنى عن المعلنين أولياضر الرسول
تألقكم في نصر دينه أصلا لان الله عصمه من الناس (والله على كل شيء قدير) فيقصر على نصر دينه
ودينه ولومن غير واسطة (الانصروا فقد نصره الله) أى ان لم تنصروا محمدًا فسينصره الله الذى قد نصره حين لم يكن معه
الرجل واحد اذ جعله كفار مكة مثل المضطر الى الخروج حيث أذن له عليه السلام في الخروج حين هو ابقته
حال كونه أحد اثنين والآخرة أبو بكر الصديق اذ هما في غار جبل ثور اذ يقول محمد عليه السلام لأبي بكر الصديق
لا تخزن ان الله معنا وكان الصديق قد سخر على رسول الله عليه السلام لاعلى نفسه فقال له يا رسول الله
اذماتنا فانار رجل واحد واذمات أنت هلكت الأمة والدين روى ان قريشا ومن مكة من المشركين
تعاقبوا على قتل رسول الله عليه السلام فأمره الله تعالى أن يخرج أول الليل الى الغار وخرج هو وأبو بكر
أول الليل الى الغار وأمر عليه السلام عليا أن يضغط على فراشه لينع السواد من طلبه حتى يبلغ الى
ما أمر الله فلما وصل الى الغار دخل أبو بكر فريه أولا يلمس مافه فقال له النبي عليه السلام مالك
فقال بأبى أنت وأبى الغار ماوى السباع والموام فان كان فيه شيء كان بي لاك وكان في الغار جحر قوص
عقبه عليه كلاب يخرج ما يؤذى الرسول فلما طلب المشركون الأثروا قريشا بكى أبو بكر خوفا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تخزن ان الله معنا بنصره فجعل يمسح الدموع عن خده
وروى ما دخلوا الغار بث الله تعالى حمايتين فباضتا في أسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال صلى الله

(أرضيت بالحياة الدنيا)
أى بدلا (من الآخرة) يعنى
الجنة (لما متاع الحياة
الدنيا) يريد الدنيا كلها
(في الآخرة الاقليل) أى
عند كل شيء من الجنة
(الانفروا) أى تخرجوا
مع نبيكم الى الجهاد بعدكم
عذابا (اليمين) أى بالقطر
وحبس للطر (ويستبدل
قومًا غيركم) أى يأتى بقوم
آخرين ينصرونهم رسول
(ولا تضروا شيئا) لان الله
عصمه من الناس ولا تخنله
ان تقاتل كما لم يضركم قلة
ناصرين كان معكم وهم
به الكفار فتولى الله نصره
وهو قوله (الانصروا فقد
نصره الله) اذ أخرجه الذين
كفروا) أى اضطره الى
الخروج لما هوأ بقتله
فكانوا سببا لخروجه من
مكة هاربين منهم (ثاني اثنين)
أى واحد اثنين وهو أبو
بكر رضى الله عنه والنبي
نصره الله منفردا الامن
أبى بكر (اذما في الغار)
وهو غار بجبل مكة يقال له
ثور (اذ يقول لصاحبه)
أبى بكر (لا تخزن) وذلك
أنه خاف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطلب
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تخزن (ان الله
معنا) ينصروننا بنصرنا

(فأزال الله سكينته عليه) أي ألقى في قلب أبي بكر ماسكن به (وأبده) أي رسوله (بجندلتر وها) أي قواده وأغانه باللائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا) وهي كلمة الشرك (السفلى وكلمة الله هي العليا) أي لأنها علت فظهرت وكان هذان يوم بدر (انثروا خفافا وقتالا) أي شبابا وشيوخا (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير (٣٤١) لكم من التثاقل إلى الأرض إن كنتم تعلمون) أي ما لكم من الثواب والجزاء ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن هذه الغزوة (لو كان عرضا قريبا) أي لو كان مادعا إليه غنيمة قريبة (وسفرا فاصدا) أي قريبا هينا (لاتبصركم طمعا في الغنمة ولكن بعدت عليهم الشقة) أي السافة (وسيحلفون بالله) أي عندكم إذا رجعت إليهم (لو استغلنا لخرجنكم معكم) أي لو قدرنا لو كان له سعة في المال (يهلكون أنفسهم) أي بالكذب والنفاق (والله يعلم أنهم لكاذبون) لأنهم كانوا يستطيعون الخروج (عفا الله عنك) أي لم أذنت لهم في الاعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه وكان الأكبر من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي ﷺ في الجهاد فإن ربنا تدبنا إليه مرة بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان ولنجاهد معكم بأموالنا وأنفسنا وكانوا يحث لأميرهم الرسول بالقعود لشق عليهم ذلك (والله يعلم بالمؤمنين) الذين يسارعون إلى طاعته (أما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إنما يستأذنك يا شرف الخلق في التحلف عن الجهاد من غير عذر المنافقون فاتهم لايروجون نوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم فر بهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المستقر فلو بهم تحيروا لأمع الكفار ولأمع المؤمنين (ولو أرادوا الخروج إلى الفز ومعك) (لأعدوا له عدة) أي أهبة من الزاد والراحلة والسلاح

عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجمعوا يترددون حول الغار ولا رن أحدا (فأزال الله سكينته) أي أمته التي تسكن عندها القلوب (عليه) أي على صاحبه صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق (وأبده) أي أعانه صلى الله عليه وسلم (بجندلتر وها) وهم اللائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحين وهذه الجملة معطوفة على جملة نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) أي جعل الله يوم بدر كلمة الشرك سافة حقيرة (وكلمة الله) أي قوله لا اله الا الله (هي العليا) أي النالبة الظاهرة (والله عزيز) أي قاهر غالب (حكيم) أي لا يضل الالمصاب (انثروا وخفافا وقتالا) أي اخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك خفافا في الخروج لنشاطكم له وتقالعته لشقته عليكم (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا في طاعة الله بما مكن لكم اما بكمالهما أو بأحدهما (ذلكم) أي الجهاد (خير لكم) أي خير عظيم في نفسه لكم (إن كنتم تعلمون) أن الجهاد خير فبادروا إليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا فاصدا لاتبعوك) أي لو كان مادعا إليه متاعا قريب النال سهل للآخذ وسفرا متوسطا بين القرب والبعيد لاتبعوك في الخرج إلى تبوك طمعا في تلك النافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع بمشقة فتخلفوا عن الجهاد بسبب انهم كانوا يستعظمون غزو الروم فكانوا كالأيسين من القوز بالنعمية (وسيحلفون) أي المتخلفون عن الفز وعند رجوعكم من تبوك وهم عبدالله بن أبي وجيد بن قيس ومعتبين قنبر وأصحابهم فائنين (بالله لو استطننا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) إلى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بسبب الحلف الكاذب فان الإيعان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال ﷺ البين السموس تدع البيار بلقع (والله يعلم أنهم لكاذبون) في أيمانهم لأنهم كانوا مستعظمين الخروج (عفا الله عنك) يا شرف الخلق مواقع منك من ترك الأولى والأكل (لم أذنت لهم) أي لأى سبب أذنت لهم في التخلف (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه وكان الأكبر من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي ﷺ في الجهاد فإن ربنا تدبنا إليه مرة بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان ولنجاهد معكم بأموالنا وأنفسنا وكانوا يحث لأميرهم الرسول بالقعود لشق عليهم ذلك (والله يعلم بالمؤمنين) الذين يسارعون إلى طاعته (أما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إنما يستأذنك يا شرف الخلق في التحلف عن الجهاد من غير عذر المنافقون فاتهم لايروجون نوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم فر بهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المستقر فلو بهم تحيروا لأمع الكفار ولأمع المؤمنين (ولو أرادوا الخروج إلى الفز ومعك) (لأعدوا له عدة) أي أهبة من الزاد والراحلة والسلاح

يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي في القعود والتخلف عن الجهاد كراهة (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله يعلم بالمؤمنين) أي لا يستأذنك أي في التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وارتابت قلوبهم أي شكوا في دينهم (فهم فر بهم يترددون) أي في شكهم يتأدون (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) أي من الزاد والركوب لأنهم كانوا يماسير

(ولكن كره الله انبئائهم) أى خروجهم معك (فقطهم) أى نفلهم وكسلهم (وقيل اقمدا) وحيالى قلوبهم بئى أن الله ألهمهم أساليب الخذلان (مع القاعدین) أى الرمنى وأولى الضرر رمنین لم كره خروجهم فقال (لوخر جوافیکم مازادوكم الاخیالا) يقول لوخر جوا لأفسدوا علیکم أمرکم (ولاوضوا) خللكم) أى لأسرعوا بالنغمة لأفساد ذات بینكم (بیفونكم) (٣٤٢)

(ولكن كره الله انبئائهم) أى ولكن لم يرض الله نهوضهم بالخروج معك (فقطهم) أى حبسهم بالكسل (وقيل اقمدا مع القاعدین) أى تخلفوا مع التخلفین وقاتل الشیطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أو هو أمر الله بذلك أمرتو یبخر أو ألقاه الله تعالى كراهة الخروج فى قلوبهم فلا قول بالفعل لامن الله ولا من النبى (لوخر جوافیکم) أى معكم (ما زادوكم الاخیالا) أى فسادا (ولأوضوا خللكم) أى ولسار واعلى الابل وسطكم (والسرعوایبکم بالخاتم) (بیفونكم الفتنة) أى یطلبون لکم ماتفتنون به بالقاء العربى قلوبکم وبافساد نياتکم (وفیکم سماعون لهم) أى فیکم قوم ضعفة یسمعون للمنافقین (والله علم بالظالمین) لأنفسهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب أنهم سماعون القاء غیره فى وجوده والآفات (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل واقعة تبوک کافصل عبد الله ابن أبى یوم أحدیث انصرف مع أصحابه عن النبى ﷺ (وقلبواک الأمور) أى اجتهدوا فى الحلیة علیک وفى ابطال أمرک (حتى جاء الحق) أى استمر هؤلاء للمنافقون على إثارة الفتنة وتغیر الناس عن قبول الدین حتى جاء النصر الالهى وکثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أى غلب دینہ بظهور الأسباب التى تقوى شرع محمد ﷺ (وهم کارهون) أى والحال انهم کارهون لحجى هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من یقول ائذن لى ولا تفتنى) أى ومن المنافقین وهو الجدن قیس من یقول للنبى صلی الله علیه وسلم ائذن لى فى القعود فی الدینة ولا توفتنى فى الأثم بأن لا تأذن لى فانک ان منعتنى من القعود وقعت بئیر اذ ذلک وقعت فى الهم وروى أن النبى صلی الله علیه وسلم لما تجوز لى غزوة تبوک قال للجد بن قیس یا أباهوب هل لک فى جلد بنى الأصفرأى فى جهاد ماوک الروم فقال الجدى یارسول الله قد علمت الأنصارأى مغرم بالنساء فلا تفتنى بنات الأصفر وأنى أخشى ان رأیتن لأصبر عنهن ولکنى أعینک بما لک فآرکنى (ألا) أى تبیهوا (فى الفتنة سقطوا) أى انهم فى عین الفتنة وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الکفر بالله ورسوله والقرءن قبول التکلیف وهم خائفون من نزول آیات فی بیان نفاقهم (وان جهنم لمحیطة بالکافرین) أى جامعة لهم یوم القيامة من کل جانب وقیل ان أسباب تلك الاطاعة حاصله فى الحال فکأنهم فی وسطها لأنهم کانوا محررین عن کل السعادات وانهم اشتروا بین الناس بالنفاق والظن فى الدین وقصد الرسول بکل سوء وکانوا یشاهدون أن دولة الاسلام أبدا فى الترقى وکانوا فى أشد الخوف على أنفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصبک حسنة تسوهم) أى ان تصبک فى بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنیمة أو انقیاد بعض ماوک الأطراف یحزنهم ذلك (وان تصبک) فى بعض الغزوات (مصيبة) أى شدة وان صغرت (یقولوا) متبجحين برأیهم (قد أخذنا أمرنا) أى حفرنا بالاعتزال عن المسلمین والتخلف عنهم والدلالة مع الکفرة (من قبل) أى من قبل هذه المصيبة (وینولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهالیهم (وهم فرحون) بما أصابک من الصیبة وبسلامتهم منها (قل) یا أشرف الخلق للمنافقین یماننا لبطان اعتقادهم (لن یصینا الا ما کتب الله لنا) أى لن

الفتنة) أى یبیطونکم ویفرون کامتکم حتى تنازعوا فتفتنوا (وفیکم سماعون لهم) أى من یسمع کلامهم ویطیعهم ولو صحبهم هؤلاء للمنافقون أفسدوهم علیکم (واقه علم بالظالمین) أى المنافقین (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا لك الشر والفتنة قبل تبوک وهو أن جماعة منهم أرادوا التفتک به لیلۃ العقبة (وقلبواک الأمور) أى اجتهدوا فى الحلیة علیک والتکید بک (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم کارهون) أى حتى أخرزاهم الله بإظهار الحق واعزاز الدین على کرهتهم (ومنهم من یقول ائذن لى) زلت فى جد بن قیس المنافق قال له رسول الله صلی الله علیه وسلم هل لک فى جلاد بنى الأصفر تسخنهم سرارى وصفاء فقال ائذن لى یارسول الله فى القعود عنک وأعینک بما لى (ولا تفتنى) بنات بنى الأصفر فانی مسهتر بالنساء

یصینا

وانى أخشى ان رأیتن أن لأصبر عنهن فقال الله (ألا فى الفتنة سقطوا) أى فى الشرک وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمرک (وان جهنم لمحیطة بالکافرین) أى محقة بمن کفر بالله جامعة لهم (ان تصبک حسنة) أى نصر وغنیمة (تسوهم وان تصبک مصيبة) أى من قتل وهزجة (یقولوا) قد أخذنا أمرنا) أى أخذنا حفرنا وعملنا بالحزم حین تخلفنا (وینولوا) أى ینصرفوا (وهم فرحون) أى محببون بذلك وبما نالک من السوء (قل لن یصینا) خبر وشر الا هو مقرر مکتوب علینا

(قل هل ير بصون بنا) أي هل تنتظرون أن يقع بنا (الاحدى الحسين) القيمة أو الشهادة (ونحن نتر بص بكم) أي ننتظر بكم (أن يصيبكم الله بعباد من عنده) أي بقارعة من السماء (أو بأيدينا) أي يأذن لنا في قتلكم فقتلكم (فتر بصوا انا معكم متر بصون) أي فانتظروا واما عبيد النيطان انا منتظرون مواعيد الله من اظهار دينه وهلاك من خالفه ثم ذكر في الآية الثانية والثالثة أنه لا يقبل منهم ما أغفوه في الجهاد لان منهم من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقصد عنك وأعنيك بمالي فأخبرناه أنه لا يقبل ذلك فقلوه طائعين أو مكرهين وبين أن المانع لقبول ذلك كفرهم بالله ورسوله وكلهم في الصلاة لانهم لا يرجون لها أو يابوا كراهتهم الاتفاق في سبيل الله لانهم يمدونه مفرما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) أي لا تستحسن ما لا تمنعنا عليهم من الأموال الكمية والأولاد (انما ير يدا الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) يعني بالمصائب فيها هي لهم عذاب وللمؤمن أجر (وترحق

بسيناخير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا أمن الا هو مقدر علينا مكتوب عند الله فاذ صارتا مغلوبين صرنا مستحقين للآجر العظيم وان صرنا غلبين صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا بالمال الكثير والثناء الجليل في الدنيا (هو) أي الله (مولانا) يحسن منه التصرف في العالم كيف شافان أوصل الى بعض عبيده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليتوكل للمؤمنون) أي قالوا يجب على المؤمن أن يقبض أمره الى الله وأن يرضى بقوله تعالى وأن يطعم من فضله تعالى ورحمته (قل) يا أشرف الخلق للنافقين (هل ير بصون بنا الاحدى الحسين) أي ما تنتظرون بنا الاحدى الحالتين الشرقيتين النصر أو الشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى التزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز بالاسم الحسن في الدنيا وهي الرجولية والشوكه وبالثواب العظيم الذي أعده الله للشهداء في الآخرة وان صار غلبا فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجليل وفي الآخرة بالثواب العظيم (ونحن نتر بص بكم) احدى الحالتين الحسبيتين اما (أن يصيبكم الله بعباد من عنده) كأن يزل عليكم صاعقة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعباد (أي أيدينا) وهو القتل على الكفر أي ان النافق اذا قعد في بيته كان مذموما منسوبا الى الجبن وضف القلب والرضا بأمر يشاركه فيه النسوان والصبيان والعاجزون ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله في قتله وقع في القتل والأسر والتهب مع القتل وان مات انتقل الى العذاب الدائم في الآخرة (فتر بصوا) بنا احدى الحالتين الشرقيتين (انما معكم متر بصون) وقومكم في احدى الحالتين الحسبيتين (قل) يا أشرف الخلق لهذا النفاق وأمثاله وهذه الآية نزلت في الجدين قيس حين قال للنبي ﷺ ائذني في القعود وهذا مالي أعنيك به (اتفقوا) أموالكم (طوعا) أي من غير إكراه من الله ورسوله (أو كرها) أي الزامانها وسمى الزام اكرها لان الزام النافقين بالانفاق كان شاقا عليهم كالأكره وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي النساء والأحقاف كرها بضم الكاف وقرأ عاصم وابن عامر في الأحقاف بالضم من اللشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من الأكرام والباقون بفتح الكاف في جميع ذلك (ان) يقبل منكم والأمر هنا بمعنى الخبر أي نفقكم غير مقبولة سواء كانت طوعا أو كرها (انكم) كنتم قوما فاسقين أي منافقين فانهم كافرون في الباطن (وما منهم من أن يقبل منهم فقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) أي لا يأتونها في حال من الأحوال الا حال كونهم متهاقلين فان هذا النفاق ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل لانه لا يصل طاعة لأمر الله وأما يصل خوفا من مذمة الناس (ولا ينفقون الا وهم كارهون) أي لا رغبة لهم فانهم لا ينفقون لمرض الطاعة بل رعاية للصحة الظاهرة حتى انهم كانوا يمدون الاتفاق مغرما بينهم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) ولرأب هذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولا تعجبوا بأموال النافقين وأولادهم (انما ير يدا الله ليعذبهم بها) أي بالأموال والأولاد (في الحياة الدنيا) وسبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من اللتاع والشاق في تحصيلها فاذا حصل ازداد التبع وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد التبع والحرق بسبب المصائب والحوادث في الدنيا دون المؤمنين لانه لا يعمل أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا (وترحق أنفسهم وهم ككافرون) أي ير يدا الله أن تخرج أرواحهم والحال أنهم ككافرون فيكون عذابهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لنسلكم) أي يحلف النافقون للمؤمنين اذا جالسوهم انهم على دينكم (وما هم منكم) أي ليسوا على دينكم

أنفسهم وتخرج أرواحهم وهم على الكفر (ويحلفون بالله انهم لنسلكم) أي انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين

(أومدخلا) أي وجهها
يدخلونه (لولا إليه) أي
رجعوا إليه (وهم يجمعون)
أي يسرعون اسراعاً لا يرد
وجوههم شيء إلى أي أمكنهم
القرار من بين المسلمين
بأنه وجه مكان لقروا
ولم يقيموا بينهم (وممن)
أي ومن المنافقين (من
يلزمك) أي يبيك
ويطعن عليك (في) أمر
(الصدقات) يقول إنما
يعطيها محمد من أحب فإن
أكثر لهم من ذلك
فرحوا وإن أعطيتهم قليلاً
سخطوا ثم ذكر في الآية
الثانية أنهم لوروا بذلك
وتوكلوا على الله لكان
خير لهم وهو قوله (ولأنهم
رضوا ما أتيتهم الله برسوله
وقالوا حسبتنا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله) أنا إلى
الله راغبون) ثم بين لمن
الصدقات فقال (إنما
الصدقات للفقراء وهم
المتفقون عن السؤال
(والساكنين) أي والذين
يسألون ويطوفون على
الناس (والعالمين عليهما)
أي السعاة لجباية الصدقة
(والوثة قلوبهم) كانوا
قوماً من أشراف العرب
استأنفهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليردوا عنه
قومهم ويعتوه على عدوه
(وفي الرقاب) أي للكاثرين

(ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون القتل فأظهروا الإيمان وأسرأوا التفاف (لو يجدون ملجأ)
أي حراً يلجأون إليه تحصناً منكم من رأس جبل أو قلعة أو جورة (أو مغارات) أي كهوف في
الجبل يخفون فيها أنفسهم (أومدخلا) أي سرابحت الأرض كالآبار يندسون فيه (لولا) أي
لصرفوا وجوههم (إليه) أي إلى أحد هذه الوجوه الثلاثة التي هي شر الأمكنة (وهم يجمعون)
أي يسرعون اسراعاً لا يرد وجوههم شيء لشدة تأذيتهم من الرسول ومن المسلمين (وممن) أي
للتافقين أي الأحرص وأصحابه (من يلزمك) أي من يبيك سرا (في الصدقات) قالوا لم يقسم
بنينا بالسوية والله ما يعطيها محمد إلا من أحب ولا يؤثرها الأهواء فنزلت هذه الآية (فإن أعطوا منها)
أي الصدقات قدر ما يريدون في الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون
(إذا هم بسخطون) أي فاجتثون السخط فإن رضاهم وسخطهم لطلب النصيب لا لأجل الدين
(ولأنهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله) من الصدقات وطابت نفوسهم وإن قل (وقالوا حسبتنا الله)
أي كفتنا ذلك (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) أي سينبتنا الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم (إنا إلى الله) أي إلى طاعته وإحسانه (راغبون)
لكأن ذلك أعود عليهم وتقل أن عيسى عليه السلام مبرقوب يذكر أن الله تعالى فقال ما الذي
يحملك عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ثم على قوم آخرين يذكر أن الله تعالى فقال
ما الذي يحملك عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشغولين بالذكر
فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا لرغبة في الثواب بل لإظهار ذلة العبودية وعزة
الربوبية وتشريف القلب بمحرفته وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدس وسعز تم فقال أتم
المحيون المحققون (إنما الصدقات للفقراء والسالكين) أي إنما الزكوات مصروفة للفقراء وهم
المحتاجون الذين لا يجدون شيئاً ولا يسألون الناس وهم أقل صفات مسجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانوا انحوراً بماتر جمل لا منزل لهم والسالكين هم الطوافون الذين يسألون الناس كما قاله ابن عباس
ومن سأل وجد فكان السالكين أقل حاجة (والعالمين عليهما) وهم السعاة لجباية الصدقة وهؤلاء يعطون
من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعي وعبد الله بن عمرو بن زيد وقال مجاهد والضحاك
يعطون الثمن من الصدقات (والوثة قلوبهم) وهم أصفاء صنف دخلوا في الإسلام ونبتهم ضعيفة
فيتألفون ليتبوا وآخرون لهم شرف في قومهم يطلب بأنهم أسلم نظرهم وأثبت الشافعي والأصحاب
سهم هذين الصنفين وصنف يرايد بأنهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من ماني الزكاة أو يقبضوا
زكاتهم وهذا في معنى النزاة والمالمين وعلى هذا فيسقط سهم الوثة بالكلية لكن يجوز صرفه
اليما كما أفتى به للورد (وفي الرقاب) أي في فك الرقاب فهمهم موضوع في السكاثرين ليعتقوا به
كاهو مذهب الشافعي والابن سعد أو موضوع لتعق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون كاهو مذهب
مالك وأحمد واسحق وقال الزهري سهم الرقاب نصف للكاثرين من المسلمين ونصف يشتري به
رقاب عن صلوا وصاموا وقدم إسلامهم فيعتقون من الزكاة (والنارمين) أي الدوبونين في طاعة الله
(وفي السبيل الله) ويجوز للتأني أن يأخذ من مال الزكاة وإن كان غنيا كاهو مذهب الشافعي ومالك
واسحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يعطى الغازي إلا إذا كان محتاجاً ونقل الثقال
عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء
الحصون وعمارة المساجد لأن قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل (وابن السبيل) وهو الذي يريد

(ويقولون هو أذن)

وذلك أنهم قالوا فى بينهم

نقول ما شئنا ثم تأتبه

فنحلف له فيصدق لأنه

أذن فقال الله (قل أذن

خير لكم) أى مستمع خير

وصلاح لاستمع شر

وفسادكم كدهنا وبينه

فقال (يؤمن بالله) أى

يسمع ما ينزل الله تعالى

فيصدق به (ويؤمن

للمؤمنين) أى ويصدق

المؤمنين فى ما يخبرونه

للكافرين بالله (ورحمة

للمؤمنين أمنا منكم) أى

وهو رحمة لأن كان سبب

إيمانهم (يعطفون بالله) لكم

يرضوكم) أى يخلف هؤلاء

النافقون فى باطنكم عنهم

من أذى الرسول والطمع

عليه أنهم ما أتوا ذلك

يرضوكم بيمينهم) والله

ورسوله أحق أن يرضوه

فيؤمنوا بهما يصدقهما

أن كانوا على ما يظهر

(يخبر النافقون أن

نزل على المؤمنين

(سورة تبيينهم) أى

تخبرهم بما فى قلوبهم)

أى من الحسد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين

وذلك أنهم كانوا يفرقون

من هتكهم (قل استهنوا)

أمر وعيد (ان الله يخرج

أى مظهر (ما تحفرون)

أى ظهوره (ولئن سألتهم

السفر فى غير مصيبة فيعجز عن بلوغ سفره إلا بمحنة ويصرف مال الزكاة إلى الأصناف الأربعة الأولى حتى تنصرفوا فيه كاشاءوا وفى الأربعة الأخيرة لا يصرف للمال إليهم بل يصرف إلى جهات الحاجات العترة فى الصفات التى لأجلها استحقاقهم الزكاة ومنه ب أنى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة إلى بعض هؤلاء الأصناف فقط كاهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال الشافعى لا بد من صرفها إلى الأصناف الثمانية كاهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز (فرصة من الله) أى فرض الله الصدقات هؤلاء فرصة وللقصود من هذا التأكيدهم إخراج الزكاة عن هذه الأصناف (والله عليم) فيعلم بمقادير الصالح (حكيم) لا يشرع إلا ما هو الأصوب الاصلح (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) روى أن جماعة من المنافقين حذام بن خالد وإياس بن قيس وسماك بن يزيد وسعيد بن مالك والجلال بن سويد ووديع بن ثابت ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي من القول ثم قالوا أن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الجبروكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدخلهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقوله هو أذن أنه صلى الله عليه وسلم ليس له ذكاء بل هو سليم القلب سريع الاعتراض بكل ما يسمع (قل) يا أشرف الخلق هؤلاء المنافقين (أذن خير لكم) قرأ عامر فى رواية الأشعث وعبد الرحمن عن أنى بكر عنه أذن خير مرفوعين أى أن كان صلى الله عليه وسلم كاذباً لقولهم أنه أذن فأذن يقبل منكم خير لكم من أن يكذبكم (والباقون بالإضافة أى هو أذن خير لأن شئاً يصدقكم بالخبر لا بالكذب بين الله كونه صلى الله عليه وسلم أذن خير بقوله (يؤمن بالله) للقيام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أى ويرضى لهم ويصدقهم لما علم فيهم من الخلوص (ورحمة الذين آمنوا منكم) أى وهو رفق بالذين أظهروا الإيمان منكم حيث لا يكشف أسرارهم وقرأ حمز ورحمة الجار عطف على خير وقرأ ابن عامر ورحمة بالنصب على الخنوف أى ويأذن لكم رحمة (والذين يؤذون رسول الله) بقولهم هو أذن ونحوه (لهم عذاب أليم) فى الدنيا والآخرة (يعطفون بالله لكم ليرضوكم) أى أنهم حلفوا على أنهم ما قالوا ما حكى عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم (والله) ورسوله أحق أن يرضوه أى والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوها بالاخلاص والتوبة وللناتبة وإفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم فى باب الاجلال مشهداً ومعيناً لباتيائهم بالإيمان الفاجرة (ان كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهم أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أى أولئك المنافقون جلاس وأصحابه (أنهم) أى الشأن (من يجاد الله) أى من يخالف الله (ورسوله) فإن له نازجهم) أى فحق أن له نار جهنم أى فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالفاً فيها ذلك) أى العذاب الخالد (الجزى العظيم) أى الندم الشديد وهى ثمرات نفاقهم (يخبر النافقون أن نزل عليهم سورة تبيينهم بما فى قلوبهم) أى يخاف النافقون أن نزل فى شأنهم سورة تدفع ما كانوا يخفون من أسرارهم أذاعة ظاهرة فتنتشر فيها بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال فكان السورة تخبرهم بها وهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ يقول أن بطريق الوحي يكذبون به يستهزئون به (قل استهنوا) أى افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (ان الله يخرج ما تحفرون) أى فإن الله مظهر ما تحفرونه من أزال السورة (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) قال الحسن وقادة لمسار

وذلك أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب أسنونا وأجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء هذا القائل ليعتذر فوجد القرآن قد سبقه فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلبس ونحن نتحدث (٣٤٦)

الرسول الى تبوك قال المنافقون بينهم آراء يظهر على الشام يأخذ حصونها وفصورها هيهات هيهات فمعد رجوعه صلى الله عليه وسلم دعا لهم وقال أتم القاتلون بكذا وكذا فقالوا ما كان ذلك بالجدي قال بنا وانما كنا نتحدث ونضحك فيما بيننا (قل يا الله) أي بتكاليف الله (وآياته) أي وبالقرآن وبسائر ما يدل على الدين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (كنتم تستهزئون لاتعتزوا) أي لاتذكروا هذا العثر في دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد ايمانكم) أي قد ظهر كفركم للمؤمنين بالظن في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كنتم عندهم مسلمين (ان نفع عن طائفة منكم نغب طائفة) قرأ عاصم نغضب ونغيب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقيون يصف بالياء ونغيب بالياء البناء للفعل وطائفة بالرفع روي أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جبر بن حجير والاثنان طائفة وهما ديمة بن جذام وجدين قيس قالذي عني عنه جبر بن حجير لأنه كان ضحك معهم ولم يستهزئ معهم فلما زلت هذه الآية تابعن نفاقه وقال اللهم اني لا زال أسمع آية تنقشر منها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاقى قتلى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (بأنهم كانوا مجرمين) أي مستمرين على النفاق والاستهزاء فأوجب التعذيب (للمنافقين) وكانوا ثلاثا (والمنافقات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أي متشابهون في صفة النفاق والأفعال الخبيثة (بأمرهم) أي يأمر بعضهم بعضا (بالمسكر) أي بالكفر والمصاي (وينهون عن المعروف) أي عن الايمان والطاعة (ويقضون أيديهم) عن كل خير من زكاة وصدقة وانفاق في سبيل الله (نساء الله) أي تركوا أمر الله (ففسبهم) أي جازاهم بتركهم من رحمته (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق الذي هو الانسلاخ من كل خير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار المحتدة من أعظم العقوبات (هي حسيبهم) أي تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبغ منها ولا يمكن الزيادة عليها (ولنعم الله) أي أهانهم الله بالنعم محققات تلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزمرير وكقاساة تصب النفاق في الدنيا اذ هم دائما في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أي فعلكم أيها المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم في الأمر بالمعسر والنهي عن المعروف وقبض الأيدي عن الخيرات (كانوا أشد منكم قوة) في الأبدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمعوا لخطابهم) أي فتمتعوا مدة بنصيبهم من ثلث الدنيا (فاستمعتم لخطابكم كما استمع الكفار الذين من قبلكم بخطابهم) أي فأتتم أيها المنافقون استمتعتم بنصيبكم استمتاعا كما استمتع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم الحسية من الشهوات الفانية (وخضتم كالذي خاضوا) أي وتلبستم بتكذيب الأنبياء بالسرو والمكر والغدر بهم كالتلبس الذي تلبسوا به من تكذيب أنبياء الله والغدر بهم (أولئك) للوصوفون بالأفعال الذميمة (حبط أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت حسناتهم بسبب الفقر والانتقال من الزم إلى الذل ومن القوة إلى الضعف وبسبب الموت وفي الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (وأولئك هم الخاسرون)

ونلعب أي في الباطل من الكلام كما يخوض الركب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبأله وآياته) ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتزوا وقد كفرتم بعد ايمانكم) أي ظهر كفركم بعد اظهاركم الايمان (ان نفع عن طائفة منكم نغب طائفة) وذلك أنهم كانوا ثلاثة نفر فزأ اثنان وضحك واحد وهو للمق عنه فلما زلت هذه الآية برى من النفاق (للمنافقين والمنافقات بعضهم من بعض) أي على دين بعض (بأمرهم بالمعسر) أي بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن اتباعه) (ويقضون أيديهم) أي عن النفاق في سبيل الله (نساء الله) أي تركوا أمر الله (ففسبهم) أي فتركهم من كل خير وعذبهم (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عما أمر الله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسيبهم ولنعم الله ولهم

عذاب مقيم) الآية ظاهرة ثم خطبهم فقال (كالذين من قبلكم) أي فعلتم كأفعال الذين من قبلكم (فاستمعتم لخطابهم) أي رضوا بنصيبهم من الدنيا ففعلتم أتم أيضا مثل ما فعلوا (وخضتم) في الطعن على النبي ﷺ كما خاضوا هم في الطعن على أنبيائهم (أولئك) حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لأنها لا تقبل منهم ولا يثابون عليها

حيث

(ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) أى ألم يأتهم خبر الذين أهلكوا فى الدنيا بذنوبهم فيعتظونهم ذكرهم إلى قوله (وقوم إبراهيم) يعنى عروذ (وأصحاب مدين) قوم شعيب (والتؤفكات) أى أصحاب التؤفكات (٣٤٧) وهى قرى قوم لوط (فما كان الله ليظلمهم) أى ليعذبهم قبل بعث الرسل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى

بتكذيب الرسل (والتؤمنون) والتؤمونات بعضهم أولياء بعض (أى فى الرحمة والحبة (بأمر من بالعرف) أى يدعوون إلى الاسلام (وينهون عن النكر) أى الشرك بالله (ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله التؤمنين والتؤمونات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة) ير بدقصور الزبرجد والر والياقوت (فى جنات عدن) هى قصبة الجنة يسقىها عرش الرحمن (ورضوان من أقد أكبر) أى بما يوصف (بأياها التى جاهد الكفار) أى بالسيف (والتناقفين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) يريد شدة الانتهاز والنظر بالبنسة والفت (بحلفون بالله ما قالوا) نزلت حين أساء النفاقون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فى الدين وقالوا إذا قدمنا

حيث أتبعوا أنفسهم فى الرد على الأنبياء فما وجدوا منه الأفوات الخيرات فى الدنيا والآخرة والاحصول العقابى فى الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أى للتناقفين (نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وحمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والتؤفكات) أى للتقلبات التى جعل الله تعالى القرى سافله (أتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات فكذبهم فبعجل الله حكمهم والله أهلك قوم نوح بالترق وعادا قوم هود بإرسال الرمح القيم وتمود قوم صالح بإرسال البسطة والصاعقة وقوم إبراهيم بالمسهم وسلب النعمة عنهم وبسلب البعوضة على دماغ عموذ وقوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالخسف وبجعل على أرضهم سافلهو بامطار الحجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم قريبة من بلاد العرب وهى الشام والعراق واليمن فكانوا يبرون عليها ويعرفون أخبار أهلها (فما كان الله ليظلمهم) بإصايل المذاب لهم لأنهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء (والتؤمنون والتؤمونات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية (بأمر من بالعرف) أى بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره (وينهون عن النكر) أى الشرك والمعاصى (ويقومون الصلاة) أى القررضة بأتمام الأركان والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) فى كل أمر ونهى فى السر والعلانية (أولئك) للوصوفون بهذه الصفات (سيرهم الله) أى يفيض عليهم آثار رحمته والسنن للتوكيد والمبالغة (إن الله عزيز) أى لا يمنع من مراده فى عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أى يدير أمر عباده على ما يقتضيه العدل والموافاة (وعد الله للتؤمنين والتؤمونات جنات تجري من تحتها الأنهار) أى تجري من تحت شجرها ومسكنها أنهار الجرح واللآء والصل والابن (خالدين فيها ومسكن طيبة) وهى قصور من المآثور والزبرجد والياقوت الأحمر (فى جنات عدن) وهى أبهى أماكن الجنات وأسناها وقال عبدالله بن عمر إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والرروج وخمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله الا بى أوصديق أو شهيد (ورضوان من أقد أكبر) عمامهم فيه ادعبل بدور فوز كل خير وسعادة وروى انه تعالى يقول لأهل الجنة هل رضىتم فيقولون وما لنا لا رضى وقد أعطينا ما لم نطأ أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ شعبة ورضوان يضم الرأه والياقوت بالكسر (ذلك) أى المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه النفاقون والكفار من التتم طيبات الدنيا (بأياها التى جاهد الكفار) أى المجاهر بن بالسيف (والتناقفين) أى الساترين كفرهم بظهور الاسلام بالظهار الحجة لا بالسيف لظلمهم بكلمة الشهادة (واغلظ عليهم) أى اشد على كلاله الفرقتين بالفضل والقول (وما أواهم جهنم وبس المصير) هى وهذه الجلة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (بحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بتوافقه على فلك الذى ﷺ وطعنهم على نبوته (وكفر وابدل اسلامهم) أى أظهروا الكفر وجاهروا بالحرب ببدان أظهروا الاسلام (وهو بما ينالوا) روى أن النفاقين هموا بقتله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد تقفوا على أن يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن رحلته ليقع فى الوادى فيموت فأخبره الله بمدبر وه فلما وصل إلى القبة التى

للدينة عقدنا على رأس عبدالله بن أبى تاجا نباهى به رسول الله ﷺ فسعى بذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعاهم فحلفوا ما قالوا (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى سبهم الرسول ﷺ وطعنهم فى الدين (وهو بما ينالوا) أى من عقد التاج على رأس ابن

أبى وقيل من الاعتبال
بالرسول (وما تقولوا) أى
كرهوا (الآن أنغناهم الله
ورسوله) من فضله بالنعمة
حتى صارت لهم الأموال
أى أنهم علوا بعد الواجب
فجعلوا موضع شكر الله
أن نعموه ثم عرض عليهم
التوبة فقال (فان يتوبوا
يك خيرا لهم وإن يتولوا)
أى يعرضوا عن الإيمان
(يعذبهم الله عذابا أليما فى
الدنيا) أى بالقتل (و) فى
(الآخرة) بالنار (ومالهم
فى الأرض من دلى ولا نصير)
أى لا يتولاهم أحد من
المسلمين (ومنهم من عاهد
الله) يعنى ثلثة بنى حاطب
عاهد به لئن وسع عليه
أن يؤتى كل دى حتى حقه
فقبل الله ذلك فلم يما
عاهد ومنع الزكاة وهذا
معنى قوله (لئن آتانا من
فضله لنصدقن) أى لنطين
الصدقة (ولكن كون من
الصالحين) أى ولنعلمن
ما يصل أهل الصلاح فى
أموالهم (فلما آتاهم من
فضله يتخولاه وتولوا وهم
معرضون فأعقبهم نفاقا)
أى صير عاقبة أمرهم ذلك
بحرمان التوبة حتى ماتوا
على النفاق جزاء لاختلافهم
الوعدو كذبهم فى العهد
وهو قوله (الى يوم يلقونه
بما أخلفوا الله ما وعدوه
وبما كانوا يكذبون

بين نبوك وللدينة نادى مناديه بأمره أن رسول الله ير بدأن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره
واسلكوا يامعشر الجيش بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلكت الناس بطن الوادى وسلك النبي
العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلقنوا وسلكوا العقبة وكان النبي قد أمر عمار بن
ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويهدها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فينبأ النبي يسير في العقبة
اذ زحمة المنافقون فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مديريين وعلما انه اطلع على
مكرهم فاختلطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب النافق فقال
له النبي هل عرفنا حداة منهم قال لا فانهم كانوا متلصقين والليلة مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبي
انهم مكروا وأرادوا أن يسير وامي في العقبة فيزحوني عنها وان الله اخبرني بهم بمكرهم فلما أصبح
جمعهم وأخبرهم بما مكر وباه فحلفوا بالله ما قالوا بتكذيب النبي ونسبه الى التصنع في ادعاء الرسالة ولا
أرادوا فلكه فأنزل الله تعالى هذه الآية (وما تقولوا الآن أنغناهم الله ورسوله من فضله) أى وما أنكروا
على رسول الله ﷺ شيئا من الأشياء إلا أنغناهم الله تعالى إياهم من فضله فان هؤلاء المنافقين كانوا
قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من البش لا يكون الحبل ولا يمرحرون النعمة وبد
قدومه أخذوا النفاق وفازوا بالأموال وجدوا الدولة وقتل للجلال مولى فأمره رسول الله ﷺ
بدينه اثني عشر ألفا فاستغنى وذلك يوجب عليهم أن يذكروا بحينه ﷺ مجتهد في بذل
النفس والمال لأجله فعلموا بعد الواجب فوضوا موضع شكره ﷺ ان كرهوه وعابوه (فان
يتوبوا) من النفاق كما وقع للجلال بن سويد فانه تاب وحسنت توبته (يك) أى التوبة (خير لهم)
فى الدارين (وان يتولوا) أى يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) يقتلهم وسى
أولادهم وأزواجهم واغتنام أموالهم لأنه لما ظهر كفرهم بين الناس صار وأمثل أهل الحرب فيحل
قتالهم (والآخرة) بالنار وغيره ما من أفانين العقاب (ومالهم فى الأرض) مع سعتها (من دلى) أى حافظ
(ولا نصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أى للمنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله يتخولاه وتولوا) باجرامهم على العهد (وهم
معرضون) بقولهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم) أى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا
فى قلوبهم أى فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (الى يوم يلقونه) أى الى يوم موتهم الذى يلقون
فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه) أى بسبب اخلافهم الله الوعد من
الصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) أى بسبب كونهم مستمرين على الكذب ووعدهم
رؤى أن ثلثة بنى حاطب كان صحيح الاسلام فى ابتداء أمره وصار منافقا فى آخر أمره وكان ملازما
لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقب بحمالة المسجد ثم رآه النبي ﷺ يسرع الخروج
من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت
ولى ولأمرأتى ثوب أبيض به الصلاة ثم أذهب فأترعه لثبسه وتصل به فجاء ثلثة بنى حاطب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ﷺ يا ثلثة بنى حاطب قليل تؤدى شكره خير
من كثير لا تطبيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهباً وقضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك
وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بشك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل دى حتى
حقه فعدله فاتخذنا فمتمت كما ينمو الدود حتى صارت بها المدينة فزل واديا من أوديتها فجعل صلى الله عليه وسلم
وبما كانوا يكذبون

(في الحرب قل نارجهم)
أشدحراواكواياقهمون)
أى يعلمون أن مصيرهم
الها (فليضحكوا قليلا)
أى في الدنيا لاهنا تنقطع
نهم(وليضحكوا كثيرا)
أى في النار بكاء لا ينقطع
(جزاء بما كانوا يكرهون)
أى في الدنيا من النفاق
(فان رجعت الله) أى
ردك (الى طائفة منهم)
يعنى الذين تخلفوا بالمدينة
(فاستأذنوك للخروج)
أى التزومك (فقل لن
تخرجوا معي أبدا) أى
الى غزاة (ولن تقالوا
معى عدوا) أى من أهل
الكتاب (انكم رضىتم
بالتقود أول مرة) حين
لخرجوا الى تبوك (فاخذوا
مع الخلفين) يعنى النساء
والصبيان والزمنى الذين
يخلفون القاهيين الى
السفر ثم نهى رسوله
عن الصلاة عليهم اذا ماتوا
والدعاء لهم عند الوقوف
على القبر فقال (ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا
ولا تقم على قبره اثمهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ولا تصحبك
أنما لهم) مضى تفسيره
(واذا أنزلت سورة أن
آمنوا بالله واجاهدوا مع
رسوله استأذنتك أولوا

وسلم (يعتقدهم) أى فى المدينة (خلاف رسول الله) أى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار الى تبوك للجهاد وأقاموا فى المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فان فى المجاهدة اتلاف النفس والمال (وقالوا) لآخوتهم أو للؤمنين تنبئناهم عن الجهاد ونهاعن المعروف (لاتنفروا فى الحرب) أى لاتخرجوا الى الجهاد فى الحرب الشديد (قل) تحبيلهم (نارحمتهم) التى استدخلونها بما فعلتم (أشدحرا) ماتحزنون من الحرب المتعاد وتحزنون الناس منه (لو كانوا يفتقون) وهذا اخبر بأنهم حصل لهم هذه الحالة وورد بصيغة الأمر أى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم فى الدنيا فهو قليل بالنسبة الى كلهم وحزنهم فى الآخرة لان الدنيا بأسرها قليلة وعقابهم فى الآخرة دائم لا ينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من النفاق (فان رجعت الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) أى المنافقين فى المدينة (فاستأذنوك للخروج) ملك الى غزوة أخرى بدعوة تبوك (فقل) لهم يا أشرف الخلق (ان تخرجوا معي أبدا) فى سفر من الأسفار (ولو تقاتلوا معي عدوا) من الاعداء (انكم رضيتم بالقيود) عن التزود (أول مرة) وهى غزوة تبوك (فاقدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) أى النساء والعبيان والرجال العاجزين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) أى لاتقف عليه لأدفن أولادهاء فانصلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له (انهم كفروا بالله ورسوله) أى لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله فى السرمدة حياتهم (وباتوا وهم فاسقون) أى متمردون فى الكفر بالكذب والخذاع والكر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما اشتكى عبدالله بن أبى بن سؤل عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلى عليه اذ مات ويقوم على قبره ثم انه أرسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منه فقيصه ليكفن فيه فأرسل اليه القميص التوفى فى فرده وطلب منه الذى يلبي جلده ليكفن فيه فأرسله اليه فقال عمر رضى الله عنه لم تعطى فقيصك للرجس التجس فقال صلى الله عليه وسلم ان فقيصه لا يفتنى عن من الله شيئا ففعل الله أن يدخله فى ألعا فى الاسلام وكان المنافقون لا ينفارقون عبدالله فانهم أسهم فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجوا أن ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبدالله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه واسمه عبدالله فانه كان من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا يرفصلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يا رسول الله ان لم تصل عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبة لئلا يصلى عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وأما دفع القميص اليه تطيبا لقلب ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبى وكراما له لأنه كان من الصالحين ولان الباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذ أسير ابشر لم يجدوا له قيصا وكان رجلا طويلا فسكاه عبدالله بن أبى فقيصه بأمره صلى الله عليه وسلم (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله) بتسليمهم بالأموال والأولاد (أن يعطيهم بها فى الدنيا) بمكادبتهم الشدائد فى شأنها (وترزق أنفسهم وهم كافرون) أى فيموتوا ككافرين باشتغالهم بالفتح بها (واذا أنزلت سورة) من القرآن مشتتة على الأمر (أن آمنوا بالله واجاهدوا مع رسوله استأذنك) فى التخلف عن التزود (أولو الطول منهم) أى ذو والسعة فى المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعدن) أى من الضعفاء من الناس والساككن فى

(رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وطبع على قلوبهم) أى التناق (فهم لا يفقهون) الايمان وشراعه وأمر الله (وجاء المنزورون) أى المعتزرون وهم قوم من الأعراب (٣٥١) اعتذروا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم في التخليف فضنهم وهو قوله (ليؤذن لهم) أى في القعود (وقصد الذين كذبوا الله ورسوله) أى لمصدقوا نبيه واتخذوا اسلامهم حجة ثم ذكر أهل النفاق فقال (ليس على الضعفاء) يعنى الزمنى والمشايع والعجزة ولا على الرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفعون حرج اذا نصحو الله ورسوله) أى اخلصوا أعمالهم من الفس لهما (ما على المسنين من سبيل) أى من طريق القابل لأنه قد سطره بإحصائه (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) زلننى سبعة نفر سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم على السواب فقال لا أجهد ما أحملكم عليه فانصرفوا باكين شوقا الى الجهاد وحزنا لصيق ذات اليد (يعتزون اليكم) أى بالأياليل (اذا رجعت إليهم) من هذه الفزة قل لا تعتزلوا لن تؤمن لكم) أى لن تصدقكم (فدنبأناهم من أخباركم) (فدنبأناهم من أخباركم)

البلد بشرعنر (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى مع النساء اللاتي ياترن البيوت (وطبع على قلوبهم) أى منعت من حصول الايمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أى لا يفهمون أسرار حكمة الله في الأمر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأمورهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء المنافقون عن التزو قد توجه اليه من هزيمتهم وأخلص نية واعتقاد (وأولئك لهم الخيرات) أى منافع الدارين النصر والغلبة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة (وأولئك هم للفلقهون) أى المتخبطون من السخط والذباب (أعد الله لهم) أى هيأ لهم في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى مقيمين في الجنة (ذلك) أى نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المنزورون) أى الذين أتوا بإعذار كاذبة وتكفوا عن رباطيل (من الأعراب) أى من بني غفار (ليؤذن لهم) بالتخليف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم الله (وقصد) عن الجهاد بغير إذن (الذين كذبوا الله ورسوله) فى ادعائهم الايمان وهم منافقوا الأعراب الذين لم يحشوا الى الرسول ولم يشعروا (سعييب الذين كفروا منهم) أى المنزورين لان ما أسلم منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس على الضعفاء) كالنسيوخ (ولا على الرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفعون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لفرهم كزينة وجهينة وبني عنرة (حرج) أى ألم فى التخليف عن الجهاد (اذا نصحو الله ورسوله) أى آمنوا بها وأطاعوا لها فى السر والعلن (ما على المسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم (واقه غفور رحيم) ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون) أى وليس على من أتوك يسألك ان تحملهم الى غزوة تبوك ثم خرجوا من عندك بكون لعدم وجدان ما ينفعون فى الجهاد سبيل فى يومهم وليلتهم سموا البكاكين وهم سبعة من الأنصار: معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله ابن كعب وسالم بن محمد وقلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل وعبد الله بن زيد فانهم أوارسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أشرفنا الخروج فاحلنا على الخفاف للرقوعة والتعال المصوفة تنزعكم فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فحمل العباس منهم اثنين وضآن ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وهو ألف وحمل يامين بن عمرو التضرى اثنين (أما السبيل) بالمعابة (على الذين يسأذك أن تؤمن) فى التخليف (وهم أغنياء) أى قادرين على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى رضوا بالنداء والانتظام فى جملة النساء (وطبع الله على قلوبهم فهم) لأجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد من منافع الدين والدنيا (يعتزون) أى هؤلاء المنافقون وهم يبعثون وعانوا رجلا (اليكم) فى التخليف (اذا رجعت) من غزوة تبوك (إليهم) بالأعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم (لا تعتزلوا) بماعتدكم من العاذر (لن تؤمن لكم) أى لن تصدقكم فيما تقولون من الطلأ أبدا (فدنبأناهم من أخباركم) أى قد أعلننا الله بعض أحوالكم مما فى ضميركم من الخيبت والتناق والكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيعق عملكم معلوما لله ورسوله هل يتقون على نفاقكم أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم التيب والشهادة) للجزاء عما ظهر منكم من الأعمال

أى قد أخبرنا الله بسر أركم وما خفى صدوركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى فى انسابنا فنون تبتم من التناق أى أقمتم عليه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى من علم ما غلب علمكم ضميركم

(فبينكم بما كنتم تعملون) أي فيخبركم بما كنتم تكتمون وتُسرون (سبحلوفن بالله لكم إذا اقلبتم) أي رجعت (اليهم) من تبوك أنهم ما قرءوا على الخروج (٣٥٢) (لترضوا عنهم) أي اعراض الصفح (فأعرضوا عنهم) أي اتركوا كلامهم

(فبينكم) عند وقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) في الدنيا أي فيجازيكم عليه (سبحلوفن بالله لكم إذا اقلبتم اليهم) أي إذا رجعت اليهم من تبوك أنهم معفونون في التخلف (لترضوا عنهم) أي لترضوا عنهم اعراض الصفح (فأعرضوا عنهم) اعراض القف وترك الكلام قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم (انهم رجس) أي أن خبث باطنهم رجس روحاني فكما يجب على الانسان الاحتراز عن الأرجاس الجسائية يجب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية فحرمان أن يعيل طبع الانسان الى الاعمال القبيحة (ومأواه جهنم) أي وكفهم النار ويغفلون بها فلا تسكفوا أنتم في ذلك (جزاء بما كانوا يكرسون) في الدنيا من فتن السبائ (سبحلوفن لكم لترضوا عنهم) بالخلف وتسدبوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي فان رضيت أيها المؤمنون عنهم بما فعلوا لكم فلا ينفعهم رضاكم لان الله ساخط عليهم ولأنكم لرضاكم لكون اراءكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لا يجوز (الاعراب) أي جنس أهل البدو (أشدكفرا ونفاقا) من أهل الحضرة لتوحشهم واستيلاء الهوى الحار اليابس عليهم وبعدهم عن أهل العلم (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) أي أحق بأن لا يعلموا مقادير التكليف والأحكام (واقه عليهم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض من فرائضه (ومن الاعراب من يتخذنا ينق مغرما) أي من الاعراب أشد وغطان من يعتقد ان الذي ينقعه في سبيل الله خسران لانه لا ينق الا رياء وخوفا من المسلمين لا لوجه الله (ويتر بص بكم الدوائر) أي ينظر أن تتقلب الأمور عليكم بعت الرسول وأن يعا عليكم المشركون فيخلص مما ابتلى به من الاتفاق (عليهم دائرة السوء) أي عليهم يدور البلا والخرن فلا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الامايحزهم (واقه سمع) تقولهم عند الاتفاق من كلام لاخبريه (عليم) بنياتهم الفاسدة (ومن الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (ويتخذنا ينق قربات عند الله وصالوات الرسول) أي يأخذ لنفسه ما ينقعه في سبيل الله سببا لحصول القربات الى الله في البرجات وسببا لحصول دعوات الرسول فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (ألا) أي تنبها (انها) أي ان نفقتهم (قر بقم) الى الله في البرجات (سيدخلهم الله في رحمته) أي جنته وهذا تفسير للبركة ووعدهم باحاطة رحمته الواسعة كأن قوله تعالى والله سمع عليهم تهديد للاولين عقب الدعاء عليهم والسبب للدلالة على تحقيق الوقوع (ان الله غفور) لسببناهم (رحيم) بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم وغفاروشي من جهنة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من عيم وأسدين خير من عوه ووازن وغطان (والسابقون الاولون) أي في الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صالوا الى القبلتين وشهدوا بدرا كقائه ابن عباس (والانصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة الأولى وكانوا سبعة نفر والعبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا والعبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير (والذين اتبعوه) أي الفرقيين (باحسان) وهم الذين يذكرون

وسلامهم (انهم رجس) أي أن علمهم قبيح من عمل الشيطان ثم زل في اعراب أسد وغطان (الاعراب أشدكفرا ونفاقا) أي من أهل المدن لانهم أبغى واقسى (وأجدر) أولى وأحق (أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) من الحلال والحرام (ومن الاعراب من يتخذ ما ينق مغرما) لانه لا يرجوه نوبا (ويتر بص بكم الدوائر) أي ينتظر أن يتقلب الأمر عليكم بعت الرسول (عليهم دائرة السوء) أي عليهم يدور البلا والخرن ولا يرون في محمد ودينه الامايحزهم ثم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينق قربات عند الله) يتقرب بذلك الى الله (وصالوات الرسول) يعني دعاءه بالخير والبركة والتي أنه يتقرب بصدقه ودعاء الرسول الى الله تعالى (ألا انها قر بقم) أي نور ومكرمة عند الله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين) يعني الذين شهدوا بدرا (والانصار) يعني الذين آمنوا منهم قبل قدوم الرسول عليهم فهو لا انسبق

من الفرقيين وقيل أراكل من أذكر من أصحابنا فهم سبعوا هذه الأمة بصحبة النبي ﷺ ورويته (والذين اتبعوه باحسان) يعني من اتبعهم على نجاحهم الى يوم القيامة من بحسن القول فيهم

(ومن حولكم من الأعراب منافقون) يعنى مزينة وجهينة وغفارا (ومن أهل المدينة) الأوس والخزرج (مردوا على التفاق) أى لجوا فيه وأبو أيمنه (سمنهم مرتين) أى بالأمراض وللصاميتى الدنيا وعذاب القبر (تمردون إلى عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أى فى التخلف عن الفرو (خلطوا عملا) (٣٥٣) صالحا وهو جهادهم مع النابى صلى الله عليه وسلم قبل هذا (وآخرو

سبنا) وهو تقاعدهم عن هذه الفزوة (عسى الله) أى واجب من الله (أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم) ثم تاب الله على هؤلاء وعذرهم فقالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فخذها منا صدقة وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأقرض الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وكانت كفارة للذنوب التى أصابوها وهو قوله (طهرهم) يعنى هذه الصدقة تطهرهم من الذنوب (وتركهم بها) أى تركهم أنت يا محمد بهذه الصدقة من منازل المنافقين (وصل عليهم) أى ادع لهم (إن صلاتك سكن لهم) أى دعواتك مما تسكن نفوسهم إليه بأن قد تاب الله عليهم (والله سميع) لقولهم (علم) أى بندا متهم فلما زلت نوبة هؤلاء الذين لم يتوبوا من

الهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم وبذكرون محاسنهم (رضى الله عنهم) لأعمالهم وكثرة طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أقاض عليهم من نعمه الجليلة فى الدنيا والآخرة السابقون مبتدأ وخبره جملة رضى الله عنهم (وأعد لهم فى الآخرة جنت تجري تحته الأنهار) وقرا ابن كثير من تحتها بكلمة من كما فى سائر المواضع وعلى هذازملة للميم فى المواضع الثلاثة والباقيون بغير كلمة من وقض الله (خالفين فيها أبدا) أى من غير انتهاء (ذلك) أى الرضوان والجنات (الفوز العظيم) أى النجاة الوافرة (ومن حولكم) أى حول بلدتكم (من الأعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حول المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على التفاق) أى من أهل المدينة كعبد الله ابن أبى وأصحابه من ثبتوا على التفاق ولم يتوبوا عنه (لا تسلمهم) أى لا تسلم تفافهم مع قوة خاطرك وصفاء نفسك لسندة ابطان الكفر واطهار الاخلاص (نحن نعلمهم) أى نحن نعلم سرائرهم التى فى ضمايرهم (سمنهم مرتين) بعذاب الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (تمردون) فى الآخرة (إلى عذاب عظيم) هو النار للؤبدة (وآخرون) أى من أهل المدينة قوم آخرون أبو لبابة مروان ابن عبد الله بن وأوس بن ثعلبة ووديمة بن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا عملا صالحا) وهو خروجهم مع الرسول إلى سائر الفزوات (وآخرو سبنا) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أى خلطوا كل واحد من العمل الصالح والعمل السيى بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أى ثبت أن يقبل الله توبتهم (إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات الثواب ويتفضل عليه (خضعن أموالهم صدقة) أى لما أظهروا التوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم أقروا بأن السبب المؤدى لتلك التخلف حبهم للأموال أمر الله رسوله أن يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم فكانت قبل لهم إنما يظهر صحة قولكم فى ادعاء هذه التوبة فلو أخرجتم الزكاة الواجبة بشراخ قلب لان الدعوى إنما يشهد عليها الامتحان فمندا الامتحان يكرم الرجل أو يهان فان أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين فى تلك التوبة والافهم كاذبون (طهرهم) أى طهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها منهم من نجاسة الذنوب (وتركهم بها) أى تركهم بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين وثبت عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتحيل نقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سببا لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال الشافعى رضى الله عنه والسنة للاعلام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للتصدق ويقول آجرك الله فيها أعطيت وبارك لك فيها بقيت وجهك له طهورا (إن صلاتك سكن لهم) أى إن دعاءك يوجب طمأنينة قلوبهم (والله سميع) لقولهم (عليهم) بنيتهم قرا حزة والكسائى وحقق عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقيون صلاتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلم أولئك التائبون قبل توبتهم وصدقهم أن الله يقبل التوبة الصحيحة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا أنه تعالى للمفرد بساوغ العاية القصوى

(٤٥) - (تفسير مراح لبيد) - (اول -

هؤلاء الذين لم يتوبوا من التخلفين كانوا بالاسم معنا لا يكملون ولا يجالسون فاهم وذلك ان النابى صلى الله عليه وسلم لارجع الى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم فأقرض الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى يقبلها (وأن الله هو التواب الرحيم) أى يرجع على من رجع اليه بالرحمة والغفرة

(وقل اخموا) أى يا معشر عبادى المحسن والسى: (فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى ان الله يطعمهم على ما فى قلوب اخوانهم من الخير والشر فيحبون المحسن ويغضون (٣٥٤) السى: يا باع الله ذلك فى قلوبهم وباقي الآية قد سبق تفسيره (وآخرن

مرجئون لأمر الله) أى مؤخرون ليقضى الله فيهم ما هو قاض وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع كانوا تخلفوا من غير علم ثم لم يبالوا فى الاعتذار كما فعل أولئك الذين تصدقوا بأموالهم فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم وهم مهجورون حتى نزل قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآيات (اما بينهم) بعبارة جزاء لهم (واما بنوب عليهم) بفضله (والله عليم) بما يؤول اليهم (الحكيم) أى فيما يفعل بهم (والذين اتخذوا) أى ومنهم الذين اتخذوا (مسجدا ضاررا) وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجدا فباهو قوله ضاررا (وكفرا) بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به (وتفرقوا بين المؤمنين) أى يفرقون به جماعتهم لأنهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد فبأهتوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيختلفون بسبب ذلك (وارصادا) أى وانتظارا (لن حرب الله ورسوله من قبل) ينى

(وليعلم أن أردنا)

ببنائه (الافعة الحسنى)

وهي الرق بالمسلمين

والتوسعة عليهم فلما بنوا

للسجد سألوا رسول الله

ﷺ أن يأبىهم فيصلى

بهم في ذلك المسجد فنهأ الله

وقال (لا تقم فيها) المسجد

أسس) أي بنيت جدره

ورفضت قواعده على طاعة

الله (من أول يوم) أي من

أول يوم بني وحدث بناؤه

وهو مسجد رسول الله

ﷺ وقيل بمسجد قباء

(أحق أن تقوم فيه) للصلاة

(في رجال) يعني الانصار

(بحبون أن يتطهروا)

يعنى غسل الأديار بالماء

وكان من عادتهم في

الاستنجاء استعمال الماء بعد

المطر (والله يحب الطهرين)

أي بمن الشرك والتفان

(أفمن أسس بنيانه) أي

بناه الذي بناه (على تقوى

من الله) أي مخافة من الله

ورجاء توبه وطلب مرضاته

(خير أم أسس بنيانه على

شقا جرف) أي على حرف

مهواة (فأما به) أي أوقع

بانيه (في نار جهنم) وهذا

مثل والى أن بناء هذا

للمسجد كبناء على حرف

جهنم يتور بأهل فيها لانه

محبية وقيل لما كره الله

من الضرار (لا يزال

بنيانه الذي بنوا ريسة)

من قبل أن ينافق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو عامر قد تنصر في الجاهلية
 وترهب أي أبى للسج وطلب العلم فأسلمهم ﷺ المدينة عاداه لأنه زالت رايسته وقال لاني
 ﷺ يوم أحد لأجد قوما يقاتلونك الا فتلتك معهم ولم يزل يقاتله ﷺ إلى يوم حنين فلما
 انهزم تهاون خروجا بالي الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعملوا بما استطعتهم من قوة وسلاح
 وابنواي مسجدا فأتى ذهابا إلى قصر وأت من عنده بجند فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا
 هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء وانتظر وأجى أي عامر ليصلى بهم في ذلك المسجد (وليعلم أن
 أردنا الا الحسنى) أي قالوا رسول الله ﷺ ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الاحسان إلى المؤمنين
 وهو الرق بهم في التوسعة على أهل الضعف والعلو والمجزع عن الذهاب إلى مسجد رسول الله ﷺ
 (والله يشهد انهم لكاذبون) في ظلمهم (لا تقم فيها) أي لا تصل في ذلك المسجد أبدا روى انه لما
 قتل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك نزل بني أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاهم فأتاهم فأتاهم
 وسألوه آياتهم فزلبت عليه ﷺ هذه الآية ففعل رسول الله ﷺ مالك بن النختم
 ومعين بن عدي وعامر بن السكن وحشيا فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد انظروا أهله فاهدموه
 وأحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله ﷺ أن يجعل ذلك الموضع مكان كناسة تلقى فيها الحيف
 والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بقصرين غريبا وحيدا (لمسجد أسس على التقوى) أي
 بني أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس رسول الله ﷺ
 مسجد قباء وصلى فيه أيام مقامه بقاء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج
 صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أي أن تصلى فيه ذلك المسجد (فيه) أي في هذا
 المسجد (رجال يحبون أن يتطهروا) من الأحداث والجنابات والتنجاسات وسائر النجاسات وهم
 بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب الطهرين) أي رضى عنهم وروى ابن خزيمة عن عويمر
 ابن ساعدة أنه ﷺ أنهم في مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم التناء في الطهور
 في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به أي الذي تحسون الطهارة بسببه قالوا والله
 يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يسلون أديارهم من النائط فسلنا كما
 غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا في جواب سؤاله لهم تسع الحجارة بالماء فقال هو ذلك
 فليكنموه (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أي أجد ما علم عالم من أسس بنيان
 دينه على قاعدة قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في توبه (خير أم من أسس بنيانه على شفا
 جرف هار) أي من أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله واضرار بعباد الله
 (فأما به في نار جهنم) أي سقط للسبل مصاحبه أي للؤس في قعر نار جهنم أي مثل الضلال مثل
 شفا لجرف هار من أودية جهنم فكان قريب السقوط وكونه على طرف جهنم كان إذا انهار فأنهار
 في قعر جهنم وقرأ نافع وابن عامر أسس مبني القولو بنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدي القوم
 الظالمين) أي لا يوفق للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنيانه الذي بنوا ريسة) أي لا يزال المسجد
 سبب شك في الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله ﷺ بتخريبه
 قتل ذلك عليهم وازداد فضههم وازداد ارتياهم في توبه وعظم خوفهم منه في جميع الأوقات وصاروا
 مرتابين في أن رسول الله ﷺ هل يخلو سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الا أن تقطع قلوبهم) وقرأ
 ابن عامر وحفص عن عاصم ومرة بفتح التاء والهاء للشددة والباقون بضم التاء مبنى للجحول وعن
 أي شكا (فقال بهم الآن تقطع قلوبهم) أي بالوالت واللى لا يزالون في شك منه إلى الموت يحسبون أنهم في بنيانه محسنون

(والله عليهم) أي بخلقهم (حكيم) أي فاجعل لكل أحد (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية نزلت فيمة العقبة لما بابت
 الانصار رسول الله ﷺ (٣٥٦) على أن يعبدوا الله ولا يشركوا بشيئا وأن يعطوه ما يمنعون منه أنفسهم قالوا

فأذا فعلنا ذلك يا رسول الله
 فإذا لنا قال الجنة قالوا ربح
 البيع لا تقبل ولا تستقبل
 فنزلت هذه الآية ومعنى
 اشترى من المؤمنين أنفسهم
 وأموالهم (بأن لهم الجنة)
 أي أن المؤمنين إذا قاتلوا في
 سبيل الله حتى يقتلوا أو نفق
 ما له في سبيل الله أخذ من
 الله الجنة في الآخرة جزاء
 لما فعل وقوله (وعدا) أي
 وعدهم الجنة وعدا (عليه
 خفا) أي لا خلف فيه (في
 التوراة والإنجيل والقرآن)
 أي أن الله يبين في الكتابين
 أنه اشترى من أمة محمد
 أنفسهم وأموالهم بالجنة
 كما بين في القرآن (ومن
 أوفى بعهده من الله) أي
 لا أحد أوفى بما وعده من الله
 ثم منهم فقال (التائبون)
 أي هم التائبون من الشرك
 (المابدون) أي يرون
 عبادة الله واجبة عليهم
 (الحامدون) أي الحامدون
 الله على كل حال (الساجدون)
 أي الساجدون (الراكون)
 الساجدون أي في
 القرائن (الآخرون)
 بالمعرف) أي بالآيمان
 بالله وفرائضه وحدوده
 (والتائبون عن الشرك)

ابن كثير ففتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقال بهم بالنصب أي الآن تجبيل قلوبهم قطعا
 بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقناة ويقوب إلى أن تقطع وأبو حية كذلك لأنه قرأ بضم التاء
 وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقالوا بهم بالنصب وفي قراءة عبد الله ولوقطعت
 قلوبهم بالبناء للجحول وعن طلحة ولوقطعت قلوبهم على الخطاب وللعنى أن هذه الريبة باقية في
 قلوبهم أبدا ويموتون على هذا التفات والجمعي إلى بدليل القراءة الشاذة (والله عليهم) بأحوالهم
 (حكيم) في الأحكام التي يحكم بها عليهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)
 يقاتلون في سبيل الله وهذا استئناف لبيان البيع الذي يستأمره الشراء أنه قيل كيف يبيعون
 أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله أي يبدلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والمؤمن
 متى قاتل في سبيل الله حتى يقتله كافر وأنفق ماله في سبيل الله فإنه يأخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء
 لما فعل وهو تسليم البيع من النفس والأموال (فيقاتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي بتقديم
 اللبني للفعول على اللبني للفاعل والياقون بكسسه فعني تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقاتلون الكفار
 ولا يرجعون عنهم إلى أن يصيروا مقتولين وأما تقديم المفعول على الفاعل فالحق أن طائفة كبيرة من
 المسلمين وإن صاروا مقتولين لم يصبروا مع أعداءهم بل يقاتلونهم بعد ذلك مقاتلين
 مع الأعداء قاتلين لهم بقدر الامكان (وعدا عليهم خفا) أي وعدهم الله وعدا ثابتا على الله (في التوراة
 والإنجيل والقرآن) ومن أوفى بعهده من الله) أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى (فاستبشروا)
 أي فافرحوا غاية الفرح (ببيعكم التي بايعتم) أي بجهادكم الذي فزتم به بالجنة (وذلك) أي
 الجنة التي هي غنم بذر الأنفس والأموال (هو الفوز العظيم) أي فلا فوز أعظم منه (التائبون)
 وهو فرغ على اللبس أي هم التائبون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود وأبي
 الأحسن التائبين بالياء إلى قوله تعالى والمخافين ما نصبا على اللبس أوجرا صفة للمؤمنين ويجوز
 أن يكون التائبون رفعا على البذل من الوالو في يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل باجتماع
 أربعة أمور أولا احتراق القلب عند صدور المعصية ثانيا الندم على ما مضى ثالثا العزم على الترك
 في المستقبل رابعا أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته
 فإن كان غرضه منها دفع معصية الناس وتحصيل مدحهم أو لترض آخري من الأغراض الدنيوية
 فليس بتائب ولا يمدن بدلتظام إلى أهلها إن كانت (المابدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما
 الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أي الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه
 دينا ودنيا ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم (الساجدون) أي الصائمون لقوله ﷺ سياحة
 أمي الصيام وقال عكرمة أي طلاب العلم فانهم يفتقون من بلدي بلد (الراكون الساجدون)
 أي للصلاة الصلوات الخمس (الآخرون بالمعرف) أي بالآيمان والطاعة (والتائبون عن
 الشرك) أي عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحدود الله) أي لتكاليف الله المتعلقة بالمعابدات
 وبالامارات (وبشر المؤمنين) للوصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان لشيء) أي ما جاز
 لحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) أي ذوي

أي الشرك وترك فرائض الله (والحافظون لحدود الله) المأمون بما افترض الله عليهم (ما كان
 للشيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وأمه واستغفار المسلمين
 لأبائهم المشركين نهوا عن ذلك وكان رسول الله ﷺ قال لا تستغفروا لآبائكم استغفار إبراهيم الله تعالى كيف كان ذلك فقال

قربانهم (من يعلمانين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بأن ما واصل الكفر وسبب نزول هذه الآية استغفار ناس لأبائهم الذين ما واصل الكفر روى عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لأبويك وهما مشركان قال أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقول ما كان للذي آمنوا الآية فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان السامعون يستغفرون لأبائهم المشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأشياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي الأجل موعدة وعدها إبراهيم إياه بقوله لا استغفرن لك أي لأطلب مغفرة لك بالتوفيق للإيمان فإنه يعصم قلبه (فلما تبين له أنه عدو لله) أي أنه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي أن إبراهيم استغفر لأبيه ما كان حيا فلما مات أسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي ﷺ فقال للسامعون هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا لقربائهم من المشركين فأذن الله تعالى ما كان للذي آمنوا الآية ثم أنزل (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا زال استغفر لأبي طالب حتى ينهي عنه) وفي قوله استغفرتن لأبائكما استغفر النبي لعمه فأذن الله ما كان للذي آمنوا الآية إلى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت في استغفار السامعين لأقاربهم للمشركين لأن حق أبي طالب أن هذه السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وأيضا أن عم إبراهيم آزر كان يتخذ صنما مله ولم ينقل عن أبي طالب أنه اتخذ صنما مله أو عبد سجرا أو نهى النبي ﷺ عن عبادة ربه وأما عهذورك النطق بالشهادتين خوفا من مسبة للأندلس أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتبصير النبي ﷺ ومثل هذا نافع في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يلحق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الفراء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزرهم إبراهيم في مرتبة واحدة فإن أبا طالب بهاء ﷺ صغيرا وآواه كبيرا ونصره وعز رموه وقره وذب عنه ولم يحرم وصى باتباعه وأما ما روى أن عليا ضحك على النبي ﷺ قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي بطن نخلة فقال ماذا تصنعان فدهاه النبي ﷺ إلى الإسلام فقال ما بالني تقول من بأس ولكن والله لا يماضي استي أبا فهاذا أول الإسلام قبل أن تفرض الصلاة وقد قرأ أنه لا بأس بالتوحيدوا بأؤمع صلاة النفل لا يدل على إباحته من التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دالة قطعية على شركه وأما قوله ﷺ استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا زال استغفر لأبي طالب فهاذا يمكن أن يكون معناه أن إبراهيم استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا استغفر لأبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا زال استغفر له حتى ينهي عنه في ولده ﷺ بل نهى عن الاستغفار للمشركين بالخصوص همه كما صرح به إماما روى عن قتادة أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الاستغفار لأبائهم فقال والله أني لا استغفرن لأبي أي لعمي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأذن الله ما كان للذي آمنوا الآية فقال النبي ﷺ أمرت أن لا استغفر لمن كان كافرا فقول صلى الله عليه وسلم أني لا استغفرن لأبي ولم يقل أمرت أن لا استغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه أشاره خفية إلى أن عمله لم يكن مشركا والله أعلم (إن إبراهيم لأواه) أي كثير البكاء والتضرع (حليم) أي صبور على الحنة (وما كان الله ليضل قوما

(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) وذلك أنه كان وعده أن يستغفر له رجاء إسلامه وأن ينقله الله باستغفاره إياه من الكفر إلى الإسلام وهذا ظاهر في قوله سأستغفرك ربي وقوله لأستغفرن لك فلما مات أبوه مشركا (تبرأ منه) وقطع الاستغفار (إن إبراهيم لأواه) أي دمه كثير البكاء من خشية الله (حليم) أي لم يعاقب أحدا إلا في الله ولم يقصر من أحد إلا في الله فلما حرم الاستغفار للمشركين بين أهله وإخوانهم بما ضلوا لأنه لم يكن قبله قديين لهم أنه لا يجوز ذلك فقال (وما كان الله ليضل قوما

بعد اذهابهم حتى بين لهم ما يتقون (أى ما يجب أن يحتار زواجنه أى منازل النعم من الاستغفار للمشرىكين
خاف المؤمنون من اللواخذة بمصادر عنهم منه قبل النعم وقد مات قوم منهم قبل النهى عن الاستغفار فوقع
الخوف في قلوب المسلمين على من مات منهم أنه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه
الآية و بين أنه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الابدان بين لهم أنه يجب عليهم أن يحتار زواجنه أى وما كان الله
ليفرض عليكم بالفضل بسبب استغفاركم لو ماتوا كم للمشرىكين بعد أن رزقكم الهداية و وفقكم للايمان به
و برسوله حتى بين لكم الوحي ما يجب الاحتراز عن من محظورات الدين فلا تنجزوا ما هممتم عنه (ان
الله بكل شئ عليم) فيعلم حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك (ان الله مملك
السموات والأرض) من غير شرك له فيه (بحي و يميت و مالكم من دون الله من ولى) أى متولى
الأمر (ولا نصير) أى لما أمر الله بالبراءة من الكفار بين أنه ملك السموات والأرض فإذا كان هو
ناصركم فهم لا يقترون على إضراركم أى إنكم ان صرتم محررين عن معاصيهم فإله الذى هو الملك
للسموات والأرض والمهى والميت ناصركم فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم و الواجب عليكم أن تتقوا
حكم الله و تكليفه لكونه إلهكم و لكونكم عبيدا له (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأمنار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أى في الزمان الذى صلب الأمر عليهم جفاف السفر الى تبوك و كانت لهم
عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من الماء فبما نص التمرة الواحدة جماعة
ينأو بونها حتى لا يبق من التمرة إلا النواة و كان معهم شئ من شعير مسوس فكان أحدهم إذا وضع القمة
في فيه أخذها فنه من نبق القمة و كان العشرة من المسلمين يخرجون على بئر يستقون به بينهم و كانوا قد
خرجوا في قيط شديد و أصابهم فيه عطش شديد حتى أن الرجل ليبحر بصره فيعصر فصر ثم يشربه أى
لقد عني الله عن النبي فإذا نه لتخلف عنه في غز و تبوك و هو شئ صدر عنه من باب ترك
الأفضل لأنه ذنب و يجب عقابا و عني الله عن المهاجرين والأمنار من الوسواس التى كانت تقع في قلوبهم
في ساعة العسرة كما قال تعالى (من يعلما كاد يزيغ قلوب فرىق منهم) أى من بعد ما قرب أن يعيل قلوب
بعضهم الى أن يخافوا النبي ﷺ في ذلك التزول و الحر شديد و لم يزد دليل عن الدين و ر بما وقع في قلوب
بعضهم أن لا تقدر على قتال الروم و كيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب عليهم) أى عني الله عنهم ما وقع في
قلوبهم من هذا الخواطر و الوسواس النفسانية لما صبروا و ندموا على ذلك الهم (انه بهم رءوف رحيم)
فلا يحلمهم ما لا يطيقون من العبادة و يوصل اليهم النافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى و تاب الله على
الثلاثة الذين أخر و افي قبول التوبة عن الطائفة الأولى ابن لباية و أصحابه و هؤلاء الثلاثة كعب بن مالك
الشاعر و هلال بن أمية الذى زلت فيه آية العان و مرارة بن الربيع (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما
رحبت) أى أخر أمرهم الى أن ضاقت الأرض عليهم مع سعتها بسبب جحانة الأحياء و نظر الناس لهم بين
الإهانة لأن النبي ﷺ كان معرضا عنهم و منع المؤمنين من مكالتهم و أمرهم باعتزال أزواجهم و بقوا
على هذه الحالة خمسين يوما (ضاقت عليهم أنفسهم) أى ضاقت قلوبهم إذا رجعوا الى أنفسهم
لا يطعمون بشئ بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) أى علموا
أنه لا ملجأ لأحد من سيخطه تعالى الا اليه بالتضرع (ثم تاب عليهم) أى ثم وفقهم للتوبة الصحيحة
للقبولة (ليتوبوا) أى ليحصلوا التوبة (ان الله هو التواب الرحيم) و لما زلت هذه الآية خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجرته وهو عند أم سلمة فقال الله أ كبر قد أنزل الله عن أصحابنا
فلما صلى التمجز ذكر ذلك لأصحابه و بشرهم بأن الله تاب عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى الله

بعد اذهابهم) أى يوقع
الضلالة في قلوبهم بعد
الهدى (حتى بين لهم
ما يتقون) فلا يتقون عند
ذلك يستحقون الاضلال
(لقد تاب الله على النبي) أى
من اذنه لتناقضين في
التخلف عنه وهو ما ذكر
في قوله عفا الله عنك الآية
(وللمهاجرين والأمنار
الذين اتبعوه في ساعة
العسرة) أى في زمان عسرة
الظهر وعسرة الماء وعسرة
الزاد (من يعلما كاد يزيغ
قلوب فرىق منهم) أى من
بعد ما هم بعضهم بالتخلف
عنه والعباسين ثم لحقوا به (ثم
تاب عليهم) أى ازداد عنهم
رضى (وعلى الثلاثة الذين
خلفوا) أى عن التوبة
عليهم يعنى من ذكرناهم
في قوله وأخرون مرجئون
(حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت) لأنهم
كانوا هم مجرورين لا يملأون
ولا يكملون (ضاقت عليهم
أنفسهم وظنوا) أى أيقنوا
(أن لا ملجأ من الله الا اليه)
أى لا متصم من عذاب الله
الآية (ثم تاب عليهم ليتوبوا)
أى لطف بهم في التوبة
و وفقهم لها

(يأيا الذين آمنوا) يعني أهل الكتاب (اتقوا الله) أي بطاعته (وكونوا مع الصادقين) أي مع أصحابهم بأمرهم أن يكونوا معهم في الجهاد والشدة والرخاء وقوله (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي لا يرضون (٣٥٩) لأنفسهم بالخفض والذلة وسئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم في الحر والشفقة (ذلك) أي ذلك النهي عن التخلف (بأنهم لا يسيبهم ظمأ) وهو شدة العطش (ولا نسب) أي اعيامن التب (ولا محصمة) أي جماعة (ولا يطأون موطن) أي ولا يفتنون موقفا (ينظ الكفار) يضربهم (ولا ينالون من عدوئنا) أي من أسر أوتل الا كان ذلك قربة لهم عند الله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي تمرة لما فوقها (ولا يقطعون واديا) أي يجاوزون في سيرهم (الا كتبهم) أي آثارهم وخطاهم (ليجزيهم الله أحسن) أي بأحسن (ما كانوا يعملون) فلما عيبت تخلف من غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة بعد هذا ولا عن مرة أبدا فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنزاع إلى المدون للسلحون جميعا إلى القزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة فأنزل الله تعالى (وما كان المؤمنون لينعروا كافة) أي لينعروا جميعا إلى القزو (فلولا نفر

عليه وسلم وتلا عليهم منازلهم فقال كتب توبى إلى الله تعالى أن أخرج مالي صدقة فقال لا قلت فصفه قال لا قلت فخلته قال نعم (يأيا الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع الصادقين) أي مع الرسول وأصحابه في النزوات ولا تكونوا جالسين مع المنافقين في البيوت وقرئ شاذ من الصادقين صلى هذا فمع معنى من أي كونوا ملازمين الصديق روى أن واحدا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني رجل أريد أن أؤمن بك إلا أني أحب الحر والزنا والسرقة والكنب والناس يقولون انك تحرم هذه الأشياء ولطاعة لي على تركها بأسرها فان قتعت متى تركت واحدا منها آمنت بك فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكنب قبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الحذر فقال ان شئت وسألت الرسول عن شر بها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على تركها ثم عرضوا عليه الزنا فامتنع من ذلك فتركه وكنا في السرقة فقلنا عن الكل فغاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعني عن الكنب انسدت أبواب المصالح على (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) أي على لاهل دار الهجرة ومن حولهم من سكان البوادي (أن يتخلفوا عن رسول الله) أفادعاهم وأمرهم لانه تمنع الاجابة والطاعة لرسول الله وكذلك غيره من الولاة والأئمة اذا تدبوا وعينوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه (ذلك) أي وجوب الشايعة لرسول الله (بأنهم لا يسيبهم ظمأ) أي شدة عطش (ولانفس) أي تب (ولا محصمة) أي جماعة شديدة ينظر بها ضمور البطن (في سبيل الله) أي في طريق دينه (ولا يطأون) أي لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف بيرهم (موطن) أي دوسا (ينظ الكفار) أي يضربهم بذلك (ولا ينالون من عدوئنا) أي شائنا لآسرا أوقنا وأهزعة (الا كتبهم) أي بكل واحد من الأمور الحسة (عمل صالح) مستوجب للثواب ومن قصد طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته مكتوبة عند الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة أو علفا سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان في جيش السرة (ولا يقطعون واديا) أي ولا يجاوزون مسلكا في سيرهم (الا كتبهم) أي الا كتب الله لهم ذلك الانفاق والسير في الذهاب والرجوع (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي ليجزيهم الله على أحسن أعمالهم وهو الواجب وللذنوب دون البالح أو ليجزيهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على المعنى الاول وصفه الجزء على الثاني (وما كان المؤمنون لينعروا كافة) أي ما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم فانه يغفل بأمر الملائكة هذه الآية اما كلامه لتلقوا له بالجهاد وامان بقية أحكام الجهاد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) صلى الاول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عنده فلهنا نفر من كل فرقة من فرق المسلمين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين ويعودوا إلى أوطانهم فينذروا قومهم لكي يحذروا عقاب الله تعالى بما شأل أمره واجتنب نهيته وعلى هذا التقدير

من كل فرقة منهم طائفة أي فلهنا خرج إلى القزو من كل قبيلة جماعة ليتفقهوا في الدين أي ليعلموا القرآن والسنة والحدود يعني الفرقة القاعدية (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) أي وليعلموهم بما نزل من القرآن ويخوفوهم به (لعلهم يحذرون) فلا يملكون

فيكون المراد وجوب الخروج الى حضرة الرسول لتعلم لانه يحدث كل وقت تكليف جديد أما في زمانا فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجبا وعلى الاحتمال الثاني يقال ان النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بهنئنا فقامهم الرسول المدينة من تبوك وأرسل السرايا الى الكفار ففر المسلمون جميعا الى الفزوة وتركوا النبي وحده في المدينة فزلت هذه الآية فالحق لا يجوز للؤمنين أن ينفروا جميعا ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفر الى الجهاد وقهر الكفار وطائفة تكون مع رسول الله لتعلم العلم والفقه في الدين لان أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئا بعد شيء والمالكون يحفظون ما يتجدد فذا قسم الغزاة علموا ما يتجدد في غيبتهم بهذا الطريق يتم امر الدين والنبي فلهذا نفر من كل فرقة من القيمين مع رسول الله طائفة الى جهاد العدو ليتفقه القيمين في الدين بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم الخارجين الى الجهاد اذا رجع الخارجون من جهادهم اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم لكي يحذروا معاصي الله تعالى عند ذلك التحمل (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم في الكفار) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أمرهم الى الطريق الأصح وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا الى الأبعد فالأبعد بهذا الطريق يحصل الفرض من قتال المشركين كافة فان أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فان رسول الله ﷺ قاتل أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم الى قتال أهل الكتاب وهم قرظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا ان الله مع المتقين) أي معيهم بالنصرة على أعدائهم والمراد أن يكون الأقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (وإذا ما أنزلت سورة) من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة فضيحة لهم (فمنهم من يقول) أي فن المنافقين فرق يقول لأصحابهم استمروا بالقرآن وللؤمنين (أيكم زادته هذه) السورة (أيما) قال تعالى تعيينا لحالهم (فاما الذين آمنوا) بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم) أي هذه السورة (أيما) بانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق لانهم يقرءون عند نزولها بأنها حق من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من النافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجسا الى رجسهم) عقيدة باطلة مضمومة الى عقيدتهم الباطلة فزادتهم كانوا مكذبين بالسور النازلة قبل ذلك والان صاروا مكذبين بهذه السورة الجديدة فقد انضم كفرهم الى كفر وانهم كانوا في العداوة واستناب وجوه المكر والان ازدادت تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة (ومنا واهم كافرين) وهذا الحال أقيح من الحالة الأولى فان الأولى ازدياد الرجاسة وهم مداومة الكفر وموتهم عليه (أولايرون) أي المنافقون فالاستفهام لتوبيخ وقرأ حزقيا نبأ على الخطاب للؤمنين فالاستفهام لتعجيب أي لا ينظرون ولا يرون (أنهم) يقتنون في كل عام مرة ومرة) أي أنهم يتناولون بأقارب البليت مرارا كثيرة من المرض والجوع ومن اظهار الفضيحة على نفاقهم وعلى تخلفهم عن الفزوة (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولاهم يذكرون) بتلك التفتن الموجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما يمدعطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يقتنون على قراءة حمزة (وإذا ما أنزلت سورة) فيها بيان حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تاملوا بالعيون يدرون الحرب

بغلاف القرآن (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم) أي يفر برون منكم أمروا بقتال الأذى فالأذى من عدوهم الى المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة وعنف (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم) أي من المنافقين (من يقول أيك زادة هذه أيما) أي يقوله المنافقون بعضهم لبعض هز وإفحال الله تعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم أيما) أي تصديقا لأنهم صدقوا بالأولى والثانية (وهم يستبشرون) أي يفرحون بنزول السورة (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك وفاق (فزادتهم رجسا الى رجسهم) أي كفرا الى كفرهم لانهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم (أولايرون أنهم) يقتنون في كل عام مرة أو مرتين) أي يتحسسون بالأوجاع والأمراض وهن روائد الموت (ثم لا يتوبون) أي من النفاق ولا يتسخطون كما ينطق المؤمن بالمرض (وإذا ما أنزلت سورة) الآية كان اذا أنزلت سورة فيها عيب للمنافقين وتلاها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شق ذلك عليهم (نظر بعضهم الى بعض) أي

(هل يراكم من أحد) ان قتم فان لهم أحد خرجوا من السجود وان علموا ان أحد ابراهيم بقوا مكانهم حتى يفرغ من خطبته (ثم انصرفوا) أى على عزم الكفر والتكذيب (صرف الله قلوبهم) أى عن (٣١١) كل رشد وهدى (بأنهم قوم لا يفقهون)

أى جزاءهم على فعلهم وهو أنهم لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم اليه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من العرب لامن بنى اسرائيل لتفهموا عنه (عزيز عليه ما عنتم) أى شديد فى ايمانكم وصلاح حاكم فهو شديد الرغبة على إيصال الحيرات اليكم فى الدين والأخرة (بالمؤمنين) أى بجمعهم (رموف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطامنين منهم مريد الانعام على اللذين (فان تولوا) أى فان أعرض هؤلاء للنافقين والكفار عن الايمان والتوبة وتامسوك الحرب (فقل حسبي الله) أى يكتفى الله فهو قفى (لا اله الا هو) أى لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أى وقتت (وهو رب العرش) أى السرير (العظيم) فان جعل صفة لرب فعنى العظمة هي وجوب الوجود والقدس عن الحجبية والالزام لكل العلم والقدرة والتزعم ان يتمثل فى الأوهام وتصل اليه الافهام وان جعل صفة للعرش فعنى العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور والكفار سمعوه من أسلافهم أو من اليهود والنصارى

سورة يونس مكية الاقوله تعالى ومنهم من يؤمن وهم منهم لا يؤمن يور بك أعلم بالمفسدين فانها مدينة لانها زلت فى اليهود مائة وتسع آيات وكتابتها ألفاً ومائتان

واثنتان وثلاثون كلمة وحررها سبعة آلاف وخمسة مائة وتسعة وستون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم) تلك آيات الكتاب الحكيم) أى تلك الآيات الحاصلة فى سورة الرهى آيات ذلك الكتاب الحكيم الذى لا يمحوه للمال ولا يغيره كروا الدهر (اكان للناس) أى لأهل مكة (عجبا أن أوحينا) أى ايماننا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة (أن أنذر الناس) أى أنى أنذر الناس قولنا أنذر الناس أى خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان أهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد رسولا الى خلقه الا ينمى أى طالب (وبشر الذين آمنوا ان لهم قسم صدق عند ربهم) أى بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم (قال الكافرون) أى للتعجبون (ان هذا ساحر مبین) قرأ ابن كثير وعاصم وحزرة والسكاسى بصيغة اسم الفاعل أى ان الكافرين لا جاءهم رسول منهم فأفترعوه وبشروهم قالوا متعجبين ان هذا الذى يدعى نمرسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباطون لسحر بكسر السين وسكون الحاء أى ان هذا القرآن لكتب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحراً يدل على عظم القرآن عندهم من حيث تعدد عليهم فيه المعارضة فأرادوا بهذا الكلام أن القرآن كلام مزخرف حسن الظاهر ولكنه باطل فى الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به ان لكل فصاحته وتعدده مثله جار مجرى السحر وهذا مدح له وانما يؤمنوا به عندنا (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) أى مقدراسة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بشار الأجسام والتمنى ثم تصرف الله فى ملكه وليس معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والأرض لان تكوين العرش سابق على تخليق السموات والأرضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه

الله عز وجل
تفسير سورة يونس
(عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الرأنا نقمأرى تلك آيات الكتاب)
الكتاب) أى هذه الآيات التى أنزلتها عليك آيات القرآن (الحكيم) أى الحاكم بين الناس (اكان للناس) أى لاهل مكة (عجبا أن أوحينا الى رجل منهم) وذلك أنهم قالوا ما وجد الله من رسله الا نبيا

الانبياء أى طالب (أن أنذر الناس) وبشر الذين آمنوا) أى بشناه بشيرا ونذيرا (أن لهم قسم صدق عند ربهم) يعنى الأعمال الصالحة (قال الكافرون ان هذا) يعنى القرآن (ساحر مبین ان ربكم الله) مفسرى سورة الأعراف وقوله

على الماء بل للراد انه تعالى لما خلق السموات والأرض واستدارت الافلاك والكواكب وجعل
بسبب دورتها الفصول الأربعة في هذا الوقت قد حصل وجود هذه الحوادث وهذا ملك الله تعالى وهذا
أما حصل بعد تخليق السموات والأرض فطرح ادخال حرف فيبدأ التاريخ على الاستواء على العرش
والله أعلم بمراده (يدبر الأمر) أى يقدر على الوجه الأكمل أمر ملكوت السموات والأرض
(مامن شفيع الامن بصدانته) أى ان الله تعالى ينفرد في التدبير فان نديره تعالى للأشياء لا يكون
بشفاعة شفيع ولا يستجرى أحد أن يشفع اليه في شيء إلا بعد انتهى تعالى ولا يدخل أحد في الوجود
الا بعد أن قال تعالى له كن حتى كان (ذلك الله بك ما عبيده) فان العباد لا تصلح الا له وهو المستحق
لجميع العبادات لأجل أنه هو المنعم بجميع النعم (أفلا تدكرون) فالتفكر في مخلوقات الله تعالى
واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلاله أعلى للراتب (إليه) تعالى (مرجعكم
جميعا) بالبحث فلاحكم الاحكامه ولا نافذ الا أمره (وعداحقا) أى وعدهم الله بالرجوع اليه
وعدا وحق ذلك الوعد حقا (انه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم يمتهم (ثم يعيدهم) من العدم
بالبحث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أى يعلمهم والراد به هنا الايمان وهذا
تنبيه على أن القصور البائت من الابداء والاعادة هو الاثابة وإرسال الرحمة وأما عقاب الكفرة فكأنه
داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم) أى ما حرقنا تبي
حره (وعذاب أليم) أى بالغ في الإلزام (بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أى الذى خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور فلما بالثان ضوء
وما بالعرض نور فتور القمر مستفاد من الشمس (وقدر منازل) أى جعل للقمر وهياكل منازل وهي
ثمانية وعشرون منزلا وأماؤها السرطان والبطين والثرى والبركان والمقعة والمهنة والزراع والنترة
والطرفة والمجبة والتبرع والصرقة والعواء والسهك والفرز والزابى والاكيل والقلب والشولة والنعائم
والبلدة وسعد الساج وسعد بلع وسعد السعد وسعد الأخبية وفرغ الدلو للشمس وفرغ الدلو للزخرو بطن
الحوت فينزل القمر كل ليلة في واحد منها على تقدير مستومن ليلة السهل الى الثامنة والعشرين
فإذا كان في آخر منازل له دق واستقوس ثم لا يرى ليلتين أو ليلة اذا قص الشهر ويكون مقام الشمس
في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (اتصلوا) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل (عدد السنين
والحساب) أى حساب الاوقات فيمكنكم ترتيب مهمات الناس من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء
والصيف (ما خلق الله ذلك) أى للذكور من الشمس والقمر على تلك الاحوال (الأبالي) أى الاعلى
وفق الحكمة ومطابقة للصحة في أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أى يذكر هذه الدلائل
الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (تقوم يملعون) الحكمة في بداع الكائنات فيستدلون بذلك على
شؤون مبدعها من الواحدانية وكال القمر والعلم في قوله تعالى يفصل قراءتان قراءتين كثير وأبو عمر
وحقق عن عصم الياء والباقون بالنون (ان في اختلاف الليل والنهار) أى في تقابلهما أو في تفاوتها
بازدياد وانتفاص أو في تفاوتها بحسب الامكنة في الطول والقصر (وما خلق الله السموات
والارض) من أنواع اللوحودات (آيات) دالة على وجود الصانع ووحدته وكال علمه وقدرته (تقوم
يتقون) وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الباعى الى التدبير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والحذر
من العقاب (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يطمعون في ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
(ورضوا بالحياة الدنيا) أى استغفروا في طلب لذات الجسدية (واطمأنوا بها) أى سكنوا في الاشتغال
بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا الظاهرة في الاكوان (غافلون) أى

(يدبر الأمر) أى يقضيه
(مامن شفيع الامن بعد
اذنه) ودفعوهم الأضنام
شفعاؤنا عند الله (هو
الذى جعل الشمس ضياء
ذات ضياء (والقمر نورا)
أى ذا نور (وقدره) أى
وقدره منازل على عدد
أيام الشهر (ما خلق الله
ذلك) يبنى ما تقدم ذكره
(الأبالي) أى بالعدل أى
هو عادل في خلقه لم يخلق
علما ولا ابلا (يفصل
الآيات) أى يبينها (تقوم
يملعون) أى يستدلون
بها على قدرة الله (ان الذين
لا يرجون لقاءنا) أى
لا يخافون البعث (ورضوا
بالحياة الدنيا) أى بدلا من
الآخرة (واطمأنوا بها)
أى ركنوا اليها (والذين
هم عن آياتنا غافلون)
أى ما تأملنا من الحلال
والحرام والشرائع غافلون
وقوله

شيثا قالوا سبحانك اللهم
جاهم ما يشتهون فإذا
طعموا ما يشتهون قالوا
(الحمد لله رب العالمين
ولو يجعل الله للناس الشر
استعجالهم) الآية نزلت في
دعاء الرجل على أهله وماله
وولده بما يكره أن يستجيب
للولي أو استجيب لهم في
الشر كما يحبون أن يستجاب
لهم بالخير (تقضى اليهم
أجلهم) لما نوا وفرغ من
هلاكهم نزلت في النضر
ابن الحارث حين قال
اللهم إن كان هذا هو الحق
الآية يدل على هذا قوله
(فنسر الذين لا يرجون
لقاءنا) يعني الكفار الذين
لا يخافون البعث (وإذا
من الإنسان) يعني
الكافر (الضر) أي
المرض والبلاء (دعانا
لجنبه) أي مضطجعا
(أو قاعدا أو قائما فلما
كشفنا عنه ضره) أي
طابقنا على ترك الشكر
(كان لم يدعنا إلى ضره)
أي لنسيانه مادعا الله فيه
وامضيه (كذلك زين)
أي كان لهذا الكافر البلاء
عند البلاء والاعراض
عند الرخاء (السرير)
عملهم وهم الذين أسرفوا
على أنفسهم إذ عبدوا
الوثن (ولقد أهلبنا

لا يتفكرون فيها أصلا (أولئك) أي للوصوفون تلك الصفات (مأواهم النار بما كانوا يكسبون)
أي من الأعمال القلبية ومن أنواع للعاصي والسيئات (إن الذين آمنوا) أي شغلوا قلوبهم
وأرواحهم بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أي شغلوا جوارحهم بالحسنة فبينهم مشغولة
بالاعتبار وأذنهم مشغولة بسماع كلام الله تعالى ولستهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور
طاعة الله (يهديهم ربهم يا أيها الله) أي يهديهم إلى الجنة ثوابهم على إيمانهم وأعمالهم الصالحة
(تجزيهم من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) أي أنهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين
والأنهار تجري من بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي اشتغال أهل الجنة بتقديس الله
تعالى وتمجيدوه والشهادة عليه لأجل أن سعادتهم في هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أي تحية بعضهم
لبعض تكون بالسلام وتحية للأئمة تكون بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أي أن
أهل الجنة لما كانوا مأواهم فيه من السلامة عن الآفات والمخافات علوا أن كل هذه الأحوال السنية
إنما كانت بإحسان الله تعالى عليهم فاشتغلوا بالثناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وإنما وقع الختم
على الحمد لأن الاشتغال بشكر النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة ولما رأوها إذا دخلوا الجنة وطأوا
عظمة الله ووجدوا فيها النعم العظيمة وعرفوا أنه تعالى كان صادقاً في وعده إياهم بتلك النعم مجوده
تعالى ونعموه نبوءات الجلال فقالوا سبحانك اللهم أي نسبعتك عن الخلف في الوعد والكتب في القول
وعمالا يلبس بحضرتك العلية ولما يحياهم الله وللأئمة بالسلامة عن الآفات بالفوز بأصناف الكرامات
أنشأ عليه تعالى بصفات الأكرام (ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير تقضى اليهم أجلهم) أي
ولو يجعل الله لهم العذاب عند استعجالهم به في جلا مثل تعجيله لهم كشف الشدائد عند استعجالهم به
لأميئوا وأهل الكوا البرة وما أموا لمرقة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب
وقرأ عبد الله لقضى اليهم أجلهم (فنسر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يسمهون) أي فتترك
الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء مع تهمهم في ضلالتهم يتجبرون في شاتمهم (وإذا من الإنسان
الضر دعانا جنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره) أي لم يدعنا إلى ضره (وهذه الآية
بيان أن الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند وجدان النعماء فإذا مضى الضر أقبل
على التضرع والدعاء مضطجعا أو قاعدا أو قائما مجتهدا في ذلك الدعاء طالبا من الله تعالى إزالة تلك
الهمم وتبديلها بالنعمه فإذا كشف الله تعالى عنهم المصيبة أعرض عن الشكر ولم يترك ذلك الضر
ولم يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى لكشف ضره فالواجب على العاقل أن يكون
صابرا عند نزول البلاء شاكرا عند الفوز بالنعماء وأن يكون كثير الدعاء والتضرع في أوقات الراحة
والرافية حتى يكون محاب الدعوة في وقت المحنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره
أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك زين للسريرين ما كانوا
يعملون) أي هكذا زين لمن يذل العقل والفهم والحواس لأجل تلك الدنيا وهي خسيسة جدا في
مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والبناء والالتصام في الشهوات
والكاف مقحمة للدلالة على زيادة غفلة للشراية (ولقد أهلبنا القرون) أي الأمم (من قبلكم)
أي من قبل زمانكم بأهل مكة مثل قوم نوح وعاد وأشبابهم (لما ضلوا) أي حين ضلوا الظم
بالتكذيب (وجاءهم سلبهم باليناب) أي بالمعجزات الباطلة على صدقهم (وما كانوا يؤمنوا)
أي وقيل لهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أي مثل ذلك الأهلاك الشديد الذي هو

القرون من قبلكم يخوف كفار مكة بمنزل عذاب الأمم الحالية (وما كانوا يؤمنوا) لأن الله قطع على قلوبهم جزاءهم على كفرهم (كذلك

بعدهم) يعني أهل مكة
(لننظر كيف تعملون)
أي لنختبر أعمالكم (وإذا
تلى عليهم) أي على هؤلاء
الشركيين (آياتنا بينات)
قال الذين لا يرجون لقاءنا
أي الذين لا يخافون البعث
(انت بقرآن غير هذا)
ليس فيه عيب ألهتنا
(أو بدله) أي تكلم به من
ذات نفسك فبدل منه
ما نكره (قل ما يكون لي
أن أبدله من تلقاء نفسي
إن أتبع إلا ما يوحى إلي)
أي ما أخبركم الأنبياء
الله أي الذي أنبت به من
عند الله لا من عند نفسي
فأبدله (قل لو شاء الله
ماتوا به عليكم) أي مفارقت
عليكم القرآن (ولا
أدركه) أي ولا أعلمكم
الله (فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله) أي ألفت فيكم
أربعين سنة لأحدثكم
شيئا (أفلا تعقلون) أي
أنه ليس من قبلي (فمن
أظلم ممن افترى على الله
كذبا) أي لأحد أظلم
من يظلم ظلم الكفر أي
لم افتر على الله ولم أكذب
عليه وأتم فلتهم ذلك حيث
زعمت أن معه شركا
(أنه لا يخلق الجرمين)
أي لا يسعد من كذب

الاستئصال بالمرء (نجزي القوم الجرمين) أي نجزي كل طائفة مجرمين لا شراكم لأولئك المهلكين
في الجرائم التي هي تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) أي أهل مكة (خلائف في الأرض من بعدهم) أي
من بعدهم أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أي لنعالمكم معاملة من يطلب العلم بما يكون
منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (وإذا تلى عليهم) أي أهل مكة الوليد بن الحزومي
والعاص بن وائل السهمي والأسود بن الخطيب والأسود بن عبد يوث والحارث بن الحظالة (آياتنا)
الدالة على بطلان الشرك (بينات) أي ظاهرة قلاتها على وحدانيتنا وصحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يرجون لقاءنا شرا على طاعة لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد
الوثن (انت بقرآن غير هذا) أي بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أو بدله) بأن يجعل
مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالا ومكان النعم مدحا ونماقا وذلك على سبيل السخرة
كقولهم لو جئنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لأنما بك أو على سبيل التجربة حتى أنه صلى الله عليه
وسلم لو فعل ذلك علموا أنه كذاب في قوله أن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لي
أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ما يستقيم أن أغیره من قبل نفسي (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي
ما أتبع في شيء مما أقول وأترك إلا ما يوحى إلي في القرآن من غير تغييره في شيء أصلا (إني أخاف أن
عصيتني) بالأعراض عن اتباع الوحي (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لو شاء الله
ماتوا به عليكم) أي قل يا أيها منكري القرآن الذين طلبوا منك تغيير القرآن لو شاء الله علم
تلاوي القرآن عليكم بأن لم ينزل علي ولم يأمرني بتلاوته ماتوا به عليكم وما أعلمكم به بأسطى وقرأ
الحسن ولا أدركه أي ولا أعلمكم بتلاوته عليكم خصا بمرورتي بالجدال وكذبوني وقرأ
ابن عباس ولا أدرككم وعن ابن كثير ولا أدرككم بلام التأكيد التي تقع في جواب لو أي
ولا أعلمكم به على لسان غيره فإنه حق لا محيص عنه ولو لم يرسلني الله به لأرسل غيره به (فقد لبثت
فيكم عمرا) أي قد مكثت فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالي طرا (من قبله)
أي قبل أن يوحى إلي هذا القرآن لم أتكم بشيء (أفلا تعقلون) أي الأديبرون فلا تعقلون أن
القرآن ليس من تلقاء نفسي ووجه هذا الاحتجاج أن أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أول عمره إلى ذلك الوقت وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يطلع كتابا ولم يسمع
لأستاذ ثم بعد أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب الشامل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه
من الأحكام والآداب والفصاحة ما أعجز العلماء والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم
أن هذا القرآن لا يحصل إلا بالوحي من الله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته)
أي أني لم افتر على الله كذبا ولم أكذب عليه في قولي أن هذا القرآن من عند الله ولو لم يكن من
عند الله بحيث افترته على الله لما كان في الدنيا أحد أظلم على نفسه مني فإذا أنكرتم ذلك فقد
كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (أنه لا يخلق الجرمين) أي لا ينجون من عذاب
الله للشركون (ويعيدون) أي هؤلاء الشركون (من دون الله ما لا يضرهم) في الدنيا والآخرة
(ولا ينفعهم) فيها وهو الأصنام كان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة يعبدون عزي وسناة
وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء الأوثان) شفعاؤنا عند الله أي ظاهم يزعمون أنها تشفع
لهم في الدنيا في إصلاح معاشهم لانهم كانوا لا يتعدون بشئ بسلوت وتشفع لهم في الآخرة أن يعيشوا

(قل انبئوني الله بما يعلم في السموات ولا في الأرض) أي انبئوني الله أن له شر يكاوله الله لنفسه شر يكافي السموات ولا في الأرض ثم زده نفسه عما افتره وقال (سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا امة واحدة) يعني من بعد ابراهيم الى أن يفتر الدين عمر و بن لحي (فاختلفوا) واتخذوا الأصنام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي بتأخير (٣٦٥) العذاب أي عذاب هذه الأمة الى يوم

القيامة (لقضى بينهم)

بنزول العذاب (ويقولون)

يعني أهل مكة (ولا تزل)

عليه آية من ربه) أي مثل

العصا وما جلت به الأنبياء

(فقل انما العذاب لله) أي

ان قولكم هذا لا تزل عليه

آية غيب وانما العذاب لله

لا يعلمه احد ولم يفعل ذلك

(فاقتظروا) أي زول الآية

(اني معكم من المنتظرين

واذا أنذرت الناس) أي كفار

مكة (رحمة) أي مطرا

وخصبا (من بعد ضراء

مستهم) أي فقر ويؤس

(اذالم يكر في آياتنا) أي

قول بالكذب اذا أخسبوا

بطروا فاحتالوا للفرار آيات

الله (قل الله أسرع مكرا)

أي أسرع تقعة يعني أن

ما يأتيهم من العذاب أسرع

في اهلاكهم عما أتوه من

للكفر في ابطال آيات الله

(انزلنا) يعني الحفظة

(يكتبون ما همكروا)

أي للجأزة في الآخرة

(هو الذي يسيركم في البر)

على البراك والظهور

(و) في (البحر) على

السنن (حتى اذا كنتم

في الفلك) يعني السفن

لأنهم كانوا اشاكين في البعث (قل) تكفي انهم (انبئوني الله بما يعلم في السموات ولا في الأرض) أي انبئوني الله بالذي يعلمه الله وهو شافعة الأصنام واذا لم يعلم الله شيئا استحال وجود ذلك الشيء لأنه تعالى لا يعزب عن علمه شيء (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي عن شركاتهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله وقرأ حزمة والكسائي تشرعكون البناء على الخطاب (وما كان الناس الا امة واحدة) أي كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر بعضهم وبثب آخرون على دين الاسلام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا أنه تعالى أخبر بأنه يبقى التكليف على عباده وان كانوا كافرين (لقضى بينهم) بتجليل الحساب والعقاب لكفرهم ولما كان ذلك سببلا والالتكليف وكان ابقاؤه أصلح أخر الله العقاب الى الآخرة (فيا فيه يختلفون) أي في الدين الذي اختلفوا بسببه (ويقولون) أي كفار مكة (ولا تزل عليه) أي هلا تزل على عهده عليه السلام (آية) أخرى سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما قول كما كان صالح من الناقة ولموسى من العصا (فقل) لهم في الجواب (انما العذاب لله) أي ان ما افترضوه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم بامكانك نزوله هو من الغيوب المختصة بالله تعالى لا علم لي به (فاقتظروا) نزوله (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل بكم لا جرائكم على جحود الآيات القرآنية واقتراح غيرها (واذا أنذرت الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذالم يكر في آياتنا) أي ان مشركي أهل مكة عذبهم اللجاج والعناد لأنه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون فأزل الله الأمطار النافعة على أراضهم حتى أخسبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك ثم انهم أضافوا تلك النافع الجلية الى الأنواع والكواكب أو الأصنام واذا كان كذلك فكيف يتردد ان يطوا ماسألوا من ازال ما افترضوه فانهم لا يؤمنون بل يقولون على كفرهم (قل الله أسرع مكرا) أي ان هؤلاء الكفار لما قابوا لعنة الله بالكفر فاقه تعالى قابل مكرمهم بمكر أشد من ذلك وهو اهلاكهم يوم بدر وحصول الفضيحة والخزي في الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة ومعنى الوصف بالأسرية أنه تعالى قضى بقايتهم قبل تدميرهم مكايدهم والسكر من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكرا أي اخفاء الكيد (انزلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكتبون ما همكروا) أي مكروا ويعرض عليكم ما في بواطنكم الخبيثة يوم القيامة (هو الذي يسيركم في البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرأ ابن عامر يشركم ذنون ساكنة فنيين محجمة مضموه أي ينطكم (حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجرين) أي السفن (بهم) أي بالذين فيها (برح طيبة) موافقة للقصد (وفرحوا بها) أي بتلك الرح فرحاناما (جاءتها) أي تلقت تلك الرح الطيبة (برح عاصف) أي شديد أزعت سفينهم (وجاهم الموج) العظيم التي أوجع قلوبهم (من كل مكان) أي ناحية (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي ظنوا القريبين من الهلاك (دعوا الله فخلصن له الدين) أي من غير أن يشركوا معه تعالى شيئا من آلهتهم أي وهم يقرن بوحداية الله وروبوته لأجل علمهم بأنه لا يجيبهم من ذلك الا الله تعالى فيكون إيمانهم جارا مجرى الإيمان الاضطراى قائلين والله (لأن يجبتان هذه)

(وجرين بهم) يعني وجرت السفن بمن ركبها في البحر (برح طيبة) يعني بخار خاء (وفرحوا بها) أي بتلك الرح ولينها واستوائها

(جاءتها برح عاصف) أي شديدة (وجاهم الموج) وهو ما ترتفع من الماء (من كل مكان) من البحر (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي دنوا

من الهلاك (دعوا الله فخلصن له الدين) أي تركوا الشرك وأخلصوا الله بالروبوته وقالوا (لأن يجبتان هذه) الرح العاصف

(التكون من الشاكرين) أي الوحيدين الطائعين (فلما أنجاهم اذام يبنون في الأرض بغير الحق) أي يعملون بالفساد والمعاصي والجرأة على الله (يأبها الناس) يعني أهل مكة (انما يصنعكم على أنفسكم) أي بغير بعض (متاع الحياة الدنيا) أي ما تملكونه بهذا الفساد والبنى (انما تستموتون به) (٣٦٦) الحياة الدنيا (ثم اليانصر جمعك فنبشكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة) يعني

الحياة القانية في هذه الدار (كاه) أي كطر (أزنتاه من السماء فاختلط به) أي بذلك للطر وبسببه (نبات الأرض عمايا كل الناس) أي من البقول والحبوب والثمار (والأنعام) أي من الراعي والكلاب (حتى اذا أغلخت الأرض زخرفها) أي زيتها وحسنها (وازينت) أي بنبتها (وظن أهلها) أي أهل تلك الأرض (أنهم قادرون عليها) أي على حصادها والافتتاح بها (أناها أمرنا) أي عذابنا (فجعلناها حصيدا) أي لاشئ فيها (كان لم تن بالأسس) لم تكن بالأسس كذلك الحياة في الدنيا بسبب اجتماع المال وزهرة الدنيا حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه يتمتع به سلب ذلك عنه بموته أو بحدثة تهللكه وقوله (كذلك فضل الآيات) أي كما ينهكذا للثل الحياة الدنيا كذلك نبين آيات القرآن (لقوم يتفكرون) أي في المبادئ وهي الجنة (والله يدعو إلى دار السلام) (والذين كسبوا السيئات) أي الكفر والمعاصي (جزاء سيئة

الشدائد (لشكون من الشاكرين) لتعك (فلما أنجاهم) من هذه البلية العظيمة (اذام يبنون في الأرض بغير الحق) أي يترقون في الفساد والجرأة على الله تعالى بالكفر والمعاصي (يأبها الناس انما يصنعكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الأكثر من متاع الرفع فيكم مبتدأ ومتاع خبره أو على أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أي ان ظلم بعضكم على بعض منعمة الحياة الدنيا وهي مدة حياتكم لبقاء لها وأن الظلم لبعضكم كائن عليكم في الحقيقة لاعلى الذين تظلمون عليهم وهو منعمة سرية الزوال وقرأ حصص عن عاصم نصب متاع على أنه مصدر مؤكد لفضل مقدراً أي تمتعون بمتاع أو مصدر وقع موقع الحال أي تمتعون بالحياة الدنيا (ثم اليانصر جمعك) بمللوت (فنبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من البنى أي فساد الاستعلاء بالظلم فجازيكم على أعمالكم (انما مثل الحياة الدنيا كاه) أي كاه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أي لأنه اذا نزل المطر بنبت بسببه أنواع كثيرة من النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة بمايا كل الناس والأنعام من البقول والزرع والحشيش (حتى اذا أغلخت الأرض زخرفها) أي حتى اذا جعلت الأرض أخذة لباسها من كل نبات (وازينت) بجميع الألوان الممكنة في الزينة من حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أي أهل النبات الموجود في الأرض (أنهم قادرون عليها) أي على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أناها) أي نبات الأرض (أمرنا) بهلاكها بنار أو برد أو ريح (ليلا أو نهارا فجعلناها) أي نبات الأرض (حصيدا) أي شيئا بالقولع فلاشيء على الأرض (كان لم تن بالأسس) أي كأن تلك النباتات لم تكن قائمة على ظهر الأرض في الزمن الماضي والشيء ان هذه الحياة الدنيا التي يتفرد بها الله مثل النبات الذي لا عظم الرجاء في الافتتاح به وقع اليأس منه بالهلاك وللمسك بالدنيا اذا نال منها بقيته أناه للوت بقية قلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل (نفضل الآيات) أي نبين الآيات القرآنية في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعو إلى دار السلام) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلي ومثلكم شبيهة بني دارا ووضع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولما كل ولم يرض عنه السيد قاله السيد العاردين الاسلام والمائة الجنة والداعي محمد ﷺ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي إلى الجنة تلك الدعوة (لذين أحسنوا) أي أتوا بالأمور وباجتنبوا المنهيات (الحسن) وزيادة) أي نضرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أن الحسن هي الحسننة والزيادة عشر أمثالها وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤ واحدة (ولا يرق) أي لا يعمل (ويوجههم قتر) أي سواد (ولا ذلة) أي أثر هوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي دائمون بلا انتقال (والذين كسبوا السيئات) أي الكفر والمعاصي (جزاء سيئة

الأدلة (ويهدي من يشاء) عم بال دعوة خص بالمهدي من يشاء (لذين أحسنوا) أي قالوا لا اله الا الله (الحسن) أي الجنة (وزيادة) أي النظر إلى وجه الله الكريم (ولا يرق) أي ولا يغشى (ويوجههم قتر) أي سواد من الكآبة (ولا ذلة) أي كما يصيب أهل جهنم وهذا بعد نظرهم إلى ربهم (والذين كسبوا السيئات) أي عملوا الشر (جزاء سيئة

(بمثلا ورتهم ذلة) أى يصيبهم ذل وخزي وهوان (الملم من الله) أى من عذاب الله (من عاصم) أى من مانع عنهم) كما أنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعا) أى طائفة (من الليل مظلم) أى وهو مظلم (ويوم نحشرم) أى نجهمهم (جميعا) يعنى الكفار وألهمهم (ثم تقول الذين أشركوا مكانكم) أى فقولوا والزمو مكانكم (أتم وشركاؤكم فزينا بينهم) أى فرقنا وميزنا بينهم بين المشركين وبين شركائهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل (٣٣٧) في الدنيا (وقال شركاؤهم)

وهي الأوثان (ما كنتم اياتقيدون) أى أنكرتوا عبادتهم وقالوا ما كنا نشعر بأنكم اياتقيدون والله تعالى ينقطع بهنا (فكني بالله شيئا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لنافلين) هذا من كلام الشركاء قالوا يشهد الله على علمه فينا ما كنا عن عبادتكم الا غافلين لانا كنا جمادا لم يكن فينا روح (هناك) أى في ذلك الوقت (تبلاؤكم نفس ما أسلفت) أى تخشع (كل نفس ما أسلفت) أى جزء ما أسلفت من خير أوفر (وردوا الى الله مولاهم) أى الذى يملك تولى أمورهم ويجازيهم بالحق (وضل) أى زال وبطل (عنهم) ما كانوا يفكرون) أى في الدنيا من التكذيب (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى من ينزل من السماء للطر ويخرج الثبات من الارض (أمن علك السمع والأبصار) أى من جعلها

بمثلا) من غير زيادة بعد الله تعالى (ورثهم ذلة) أى ويلا أنفسهم ذلة عظيمة (الملم من الله) أى الملم عاصم من عذاب الله (كما أنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلم) أى كان الوجود ألأبست سوادا من الليل لقرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرم جميعا) أى نحشركم الكل حال اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم تقول الذين أشركوا) أى ثم تقول للمشركين من بينهم (مكانكم أتم وشركاؤكم) أى الزموا أتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تسألوا وتنتظروا ما يفعل بكم (فزينا بينهم) أى فباعدنا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبرأ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم اياتقيدون) بأمرنا وأرادتنا إنا كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغوكم فاتها الأمانة لكم بالأمراء (فكني بالله شيئا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لنافلين) أى اننا كنا عن عبادتكم لجاهلين لانعلمها ولا نرضى بها (هناك) أى في ذلك اللقاه أوفى ذلك الوقت (تبلاؤكم نفس ما أسلفت) بالتأقالب على القراءة الشهيرة أى تذوق كل نفس سعيرة أوشقية ما قدمت من عمل فعمل ففعله وضربه وقرأ حمزة والكسائي تنوينا بين أى تقرأ كل نفس صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أوفر أو تتبع ما أسلفت لان عملها الذى يهديها الى طريق الجنة أو الى طريق النار وقرأ عاصم بئلوكل نفس بالنون والياء ونصب كل أى تختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أى فعل بها فعل المختبر أولعنى نصيب البلاء الذى هو العذاب كل نفس طعية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا الى الله مولاهم الحق) أى أعرض الذين أشركوا عن الولي الباطل ورجعوا الى الولي الحق وأقروا بألوهيته بعد أن كانوا فى الدنيا يسيرون غيره ووردوا الى حكمه (فضل عنهم) أى ضاع عنهم فى الموقف (ما كانوا يفكرون) أى يدعون أن معبوداتهم لهواها تشفع لهم (قل) لأولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والارض) أى يرزقنا مبتدأ متهم (أمن علك السمع والأبصار) أى بل من يستطيع خلق الاسماع والأبصار ومن يحفظهم من الآفات وعن غير رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحانه من بصر بشعم وأسمع بعظم وأطيق بلحم (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى ومن يقدر أن يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة وأن يخرج البطة من الانسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الأمر) أى من يدبر أحوال العالم جميعا (فسيقولون الله) أى ان الرسول اذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال كانوا يعرفون الله وهم الذين قالوا فى عبادتهم للأصنام انها تقربنا الى الله وانها تشفع عند الله وكانوا يعلمون انها لا تتفع ولا تضر فتند ذلك قال الله تعالى لرسوله (قل) عند ذلك تبكىنا لهم (أفلاتقون) أى أتعلمون ذلك فلاتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله فى العبادة مع اعترافكم بأن كل الخيرات فى الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمته وبأن هذه الأوثان لا تتفع ولا تضر ألبتة (فذلك الله) أى فمن هذه قدره ورحمته هو الله (ربكم الحق)

وخلقها على معنى من فلك خلقها (ومن يخرج الحى من الميت) أى المؤمن من الكافر والنبات من الارض والانسان من النطفة (و) غل الضد من ذلك (يخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر) أى أمر الدنيا والآخرة (فسيقولون الله) أى الله يفعل هذه الأشياء فإذا أقروا بعبادته احتجاج عليهم (قل) أفلاتقون) أفلا تتخافون الله ولا تشركوا به (فذلك الله ربكم الحق) أى الذى هنا كله فعله هو الحق ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء

(فإذا بدا الحق) أى بعد عبادة الله (الاضلال) أى عبادة الشيطان (فأتى تصرفون) يراد كيف تصرف عقولكم الى عبادة ملائكة يرزق ولا يحيى ولا يميت (كذلك) أى هكذا (حق) أى صدقت (كلتر بك) أى بالشقاوة والخذلان (على الذين فسقوا) أى تزدوا فى الكفر (أنهم لا يؤمنون) (٣٦٨) قل هل من شركائكم) يعنى ألهتكم (من يهدى) أى من يرشد (الى الحق)

أى الى دين الاسلام قل الله يهدي للحق) أى الى الحق (أمن يهdy الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهdy) أى الله الذى يهdy ويرشد الى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره أم الأصنام التى لا يهdy أحدا (الأن يهdy) أى يرشدهوى وان هدى لم تهتد ولكن الكلام نزل على أنها ان هدى أهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن يلم (فالكم) أى أى شئ تلتكم فى عبادة الأوثان وهذا كلام تام (كيف تحكمون) أى كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شركا تعالى (وما يتبع أكثرهم) يعنى الرؤساء لان السفلة يتبعون قولهم (الافتان) أى يفتنون انها آلهة (ان الظن لا يبنى من الحق شيئا) أى ليس الظن كاليقين يعنى أن الظن لا يقوم مقام العلم (ان الله يعلم بما يغفلون) أى من كفرهم (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) هذا جواب لقولهم

أى التابىرو بينه ثباتا لا ريب فيه (فإذا بدا الحق الاضلال) أى ليس غير الحق الاضلال أى فإذا ثبت أن عبادة الله حق ثبت أن عبادة غير من الأصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما (فأتى تصرفون) أى فكيف حالون من التوحيد الى الشرك وعبادة الأصنام (كذلك) أى مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به (حق كلتر ملك) أى حكمه (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن حد الصلاح (أنهم لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أى هل من الأصنام التى أتيت شركتها فى استحقاق العبادة (من يبدأ الحق) أى ينشئ المخالقات من العدم (ثم يعيده) فى القيامة للجزاء ولما يقرروا على الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدأ الحق) ثم يعيده فأتى تفككون) أى فكيف تقلبون من الحق الى الباطل (قل هل من شركائكم من يهdy الى الحق) أى الى ما فيه صلاح أمركم فان أدنى مراتب العبودية هداية للسبوح لعابديه الى ذلك (قل الله يهدي للحق) دون غيره وذلك ينصب الأدلة وارسال الرسل وازال الكتب والتوفيق للنظر (أمن يهdy الى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أى حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهdy إلا يهdy) أى أمن لا يتقبل الى مكان الآن ينقل اليه لان الأصنام خالية عن الحياة والقدرة أولئك أمن من لا يهdy فى حال من الأحوال الا فى حال هدايته تعالى وهذا حال أشرف شركائهم من الملائكة والسنين وغزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أمن لا يهdy بفتح اليا هو الماهو تشديد الدال وقرأ ماصم وحفص بفتح الباء وكسر الماهو تشديد الدال وقرأ حماد ويحيى بن آدم عن أنى بكر عن عاصم بكسر الباء والماء وقرأ حمزة والكسائي يهdy ساكنة الماه (فالكم) أى أى شئ تلتكم فى اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فانهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهdyوا غيرهم (كيف تحكمون) أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (وما يتبع أكثرهم الاغنا) أى ما يتبع أكثرهم فى معتقداتهم الاغناواها أما بعضهم فقد يفتنون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن لا يقبوا العلم عنادا وفى ذلك دليل على أن تحصيل العلم فى الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جاز (ان الظن لا يبنى من الحق) أى عن العلم (شيئا) من الاغنا فى العقائد (ان الله يعلم بما يغفلون) من الاتباع للظنون الفاسدة والاعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى وما صحت أن يكون هذا القرآن للمشحون بفنون الحجج الناطقة ببطلان الشرك وحقيقة التوحيد مفتري من الحق (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكن القرآن تصديق الذى قبله من الكتب الالهية المنزلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أى وتفصيل جميع العلوم العقلية والنقلية الذى يمتنع حصوله فى سائر الكتب (لارىب فيه) أى متشكيا عنه الرىب (من رب العالمين) أى كنا من رب العالمين (أم يقولون افتراء) أى أم يقولون بالقرآن بل يقولون كفاركة اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهارا لبطلان مقالاتهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أى ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن فى فصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه

أثبت بقرآن غير هذا يقول ما كان هذا القرآن افتراء من دون الله (ولكن) أى كان (تصديق الذى بين يديه) أى من الكتب (وتفصيل الكتاب) يعنى تفصيل الكتب من الوعد على آمن به والوعيد على عصى (لارىب فيه) أى لاشك فى نزوله (من رب العالمين) أى من عند رب العالمين (أم يقولون) بل يقولون (افتراء) محمد (قل فأتوا بسورة مثله) ان كان مفتري

(وادعوا) أي إلى معاوتكم على المعارضة كل من تصرون عليه (إن كنتم صادقين) أي في أن عملنا اختلاف من عند ههنا ونظير هذه الآية في سورة البقرة وإن كنتم فراب الآية (بل كذبوا) أي كذبوا بما يحيطوا به (أي كذبوا بالجنة والنار والبعث والقيامة وما بأنهم تأويله) أي لم يأتهم بحقيقة ما وعدوا في الكتاب (كذلك) كتب الذين من قبلهم أي بالبعث والقيامة (ومنهم) أي من كذابكم (من يؤمن به) يعني قوما علم أنهم يؤمنون (ومنهم من لا يؤمن به) ورويك أعلم بالفسدين (يريد الله كذبهم وهذا تهديهم) (وإن كذبوا فقل لي عملك ولكم عملكم أتم بر يؤمن بما عمل وأما برى مما تصلمان) نستخها آية الجهاد (ومنهم من يستمعون اليك) نزلت في السنين كانوا يستمعون للاستزاد والتكذيب قال الله تعالى

(٣٦٩)

الافتراء فانكم مثلى في البرية والنصاحة وأشد نرا مني في النظم والعبارة (وادعوا) للماونة (من استطعتم) دعاء (من دون الله) أي من سائر خلق الله (إن كنتم صادقين) في أي اقربته (بل كذبوا) أي كذبوا بما يحيطوا به وما بأنهم تأويله) أي بل كذبوا بما لم يدرك علمهم بمسعرين في ذلك من غير أن يتدبروا فيه ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة للنبي عن علو شأنه (كذلك) أي مثل ذلك التكذيب من غير تدبر (كتب الذين من قبلهم) ما كذبوا من العجرات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم (فاظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عقبة الظالمين) فانهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتتهم الدنيا والآخرة فبقوا في الحسار العظيم (ومنهم) أي ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أي القرآن عند الاحاطة به أي ما يعتقد حقيقة القرآن فقط بأن يصدق في نفسه ويم أنه حق ولكن يعاند وإماسيونه به ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أي بأن لا يصدق به في نفسه لفرط غباوته أو لسخافة عقله وعجزه عن تخليص علوم عن مخالطة الظنون أو بأن يموت على كفره وهم المستمعون على اتباع الظن من غير انقياد للحق (وذلك أعلم بالفسدين) أي بالمصرين على الكفر من العابدين والشاكرين (وإن كذبوا) أي أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدى (فقل لهم) أي (لهم) من الإيمان وجزاء نوابه (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه (أتم بر يؤمن بما عمل وأما برى مما تصلمان) أي لا تؤاخضون بمنى ولا تؤاخذ بمنكم (ومنهم) أي من هؤلاء للشركين (من يستمعون اليك) عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أي أنت تقدر على إصباح الصم (ولو كانوا لا يسمعون) أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقلهم (ومنهم من ينظر اليك) أي من يمين دلائل صدقك (أفأنت تهدي العمى) أي أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يستطيعون بقاوبهم ولا يفترون (إن الله لا يظلم الناس شيئا) أي بسبب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بإفساد الحواس والعقول ونفوت منافعها عليها فان الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظلاما منه تعالى لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) أي وأشر للشركين المنكرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في قيمها الا مقدار ساعة من النهار فان عقبة الكافر خالصة دائمة مقرونة بالأهانة وذات الدنيا مع خاسرتها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك الهذات مغلو بها لملكات والأفان وكانت لم تحصل إلا في بعض الأوقات أما الآخرة فهي مرمدة لا تنقطع البتة ونسبة عمر جميع الدنيا إلى الآخرة الأبدية أقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة إلى ألف ألف عالم مثل العالم الوجود ففي قولت الحيات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة بالأفان الحاصلة للكافر وجبت أقل من اللذة بالنسبة إلى جميع العالم (تعارفون بينهم) أي يروج بعضهم بعضا فيقول كل فريق للآخر

الشقاوة ذكر أنهم يظلمهم بتقدير الشقاوة عليهم لأنه يتصرف في ملكه (٤٧) - (تفسير مراح لبيد - أول) (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) أي يكسبهم الظلم (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) أي كأن لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من نهار استقصروا تلك اللذة لول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة (تعارفون بينهم) أي يعرف بعضهم بعضا تعارف نوبين لا كل فريق يقول للآخر أنت أضللتني وما يشبه هذا

(وما أنتم بمعجزين) يعني بعد العذاب فيجازون بغيركم (ولو أن لكل نفس غلت) أي أشركت (ما في الأرض لا تقنت به) أي لم يلبثه دفع العذاب عنها (وأمر) أي أخفوا وكنتموا (التسليم) يعني الرؤساء من السفلة الذين أضلواهم (وقضى بينهم) أي بين السفلة والرؤساء (بالقسط) أي بالعدل فيجازى السكل على (٣٧١) منيعه (الإن وعدا لله حق) أي

ما وعد لأوليائه ولأعدائه

(ولكن أكثرهم

لا يعلمون) يعني للشركين

(بأيها الناس) يعني

قرشاً قديماً نكم

موعظة من ربكم) يعني

القرآن (وشفاء لما في

الصدور) أي دواء لآلام

الجهل (وهدي) أي بيان

من الضلالة (ورحة المؤمنين)

أي ونعمة من الله لأصحاب

محمد (فل بفضل الله) أي

الاسلام (وبرحمته) يعني

القرآن (فبذلك الفضل

والرحمة فليقرخوا هو)

أي ما تأم الله من الاسلام

والقرآن (خير ما يجمعون)

هم وغيرهم من الدنيا (قل)

لكنكم رمة (أرأيتم ما أنزل

الله) أي خلقه وأنشأ

(لكم من رزق فجعلتم منه

حراماً وحلالاً) يعني

ما حرموه وما هو حلال لهم

من البحيرة وأمثالها

وأحوه مما هو حلال لهم

للتبوء أمثالها (قل) أي أنه أنزل

لكم) أي في ذلك التحليل

والتحريم (أم) بل (على

الله تفكرون وماتن الذين

يفكرون على الله الكذب

(وما أنتم بمعجزين) لمن وعدكم بالعذاب أن ينزل عليكم (ولو أن لكل نفس غلت) وهو لاحق بكم بالشرك أو غيره من أنواع الظلم ولومرة (ما في الأرض) أي ما في الدنيا من الأموال (لا تقنت به) أي لقدادت بما في الدنيا نفسها من عذاب الله (وأمر) أي أخفوا العذاب (أى أخفوا التذمة على ترك الإيمان حين عاينوا العذاب فبلغ قدره وأعلى أن ينطقوا بشئ لشدة الأحوال وظفالة الحال (وقضى بينهم) أي بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أي بالعدل (وهم) أي الظالمون (لا يظلمون) فيأفل بهم من العذاب (الآن الله ما في السموات والأرض) أي موجود فيها (الآن وعدا لله حق) أي أن جميع ما وعد الله به ثابت لا بد أن يقع وعده تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) في الدنيا (والترجعون) بعد الموت للجزاء (بأيها الناس قديماً نكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي) أي قديماً نكم فيه بيان ما ينفع المكلف وما يضره ودواء لما في الصدور وهدي إلى الحق ورحمة للمؤمنين بآياتهم من الضلال إلى نور الإيمان وتخلصهم من دركات النار إلى درجات الجنان والحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير الظاهر عملاً ينبغي وهو الشريعة والشفا إشارة إلى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والأخلاق التبنية وهو الطريقة والهدى إشارة إلى ظهور نور رزق الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليقرخوا) أي فليقرخوا بتلك النعم لا من حيث هي بل من حيث أنها بفضل الله وبرحمته (قل الله قال للصديقين من فرح نعمة الله من حيث أنها تلك النعمة فهو مشرك) أي آمن فرح نعمة الله من حيث أنها من الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله (هو) أي التذكو من فضل الله ورحمته (خير ما يجمعون) من الدنيا الآن الآخرة تأتي وقرأ ابن عمر بالتاء على الخطاب وما فليقرخوا بآيات الله التحية عند السجدة ولا يقرؤا بآيات الفوقية لا يعقوب من العشرة كما هو مروي عن زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فليقرخوا بآيات الله وبرحمته خير ما يجمع الكفار (قل أرأيتم) أي أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي الذي خلقه الله لكم من حرث وإفهام (فجعلتم منه حراماً وحلالاً) أي فصكتم ما ببعض الرزق حراماً وببعضه حلالاً مع كون كلهما حلالاً (قل) أي أنه أنزل لكم تأكيد الأمر بالاستخبار أي أخبروني (أى الله أمكم) بذلك الحكم فأنتم تتشاورون بأمره تعالى (أم على الله تفكرون) أي ألم يأنزل لكم في ذلك بل على الله تتكبدون بنسبة ذلك إليه (وما تن الذين يفكرون على الله الكذب يوم القيامة) أي أى شئ ظنهم يوم عرض الأفعال والأقوال إلى محسبون أنهم لا يستلون عن افتراءهم ولا يفتخرون عليه ولا جل ذلك فيقولون ما يقولون كلاتهم في أشد الطائبان لا معصيتهم أشد للعاصي (إن الله فضل على الناس) بأعطائه العقل وأرسال الرسل وأنزال الكتب وإمهالهم على سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعم فلا يستمعون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا يتفهمون باستماع كتب الله (وما تكون) بالأنشرف الخلق (في شأن) أي أمر من أمور الدنيا (وما تلو منه) أي الشان (من قرآن ولا صلون من عمل)

يوم القيامة) أي ما ظنهم ذلك اليوم بالله وقدا فتر واعلم (إن الله فضل على الناس) يعني أهل مكة حين جعلهم في أمن وحرم إلى سائر ما أنتم به عليهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي يوحدون ولا يطيعون (وما تكون) يا محمد (في شأن) أي أمر من أوزرك (وما تلو منه) أي من الله (من قرآن) أنزل عليك (ولا صلون من عمل) خاطبهم وأمنته

(الاكتنا عليكم شهودا) أى شاهدا معكم لكونكم (أدقيضون) أى تأخذون (فيه وما يرب) أى يغيب ويعد (عن ربكم من مثقال) أى وزن (خبرة فى الأرض ولا فى السماء) (٢٧٢) ولأصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتابهم) أى بدال لوح محفوظ الذى

أثبت الله تعالى فيه الكتابات (الآن أولياء الله) وهم (الذين تولى الله هدايتهم) (الذين آمنوا) صدقوا النبى صلى الله عليه وسلم (وكانوا يتقون) أى خافوا مقامهم بين يدى الله (لم البشرى) فى الحياة الدنيا تأتيمهم لللائكة بالبشرى من الله (وفى الآخرة) يشرون شوايب الله وجنته (للتبديل لكلمات الله) أى لا خلف لمواعيده (ولا يحزنك قولهم) أى تكذيبهم إياك (ان العزة لله) أى القوة والقدر لله (جميعا) وهو ناصرك (هو السميع) أى يسمع قولهم (العليم) بما فى ضميرهم فيجازيهم بما يقتضيه حالهم (الآن لله من فى السموات ومن فى الأرض) أى يفعل بهم وفيهم ما يشاء (وما ينبع الذين يدعون من دون الله) (وما ينبع الذين يعبدون من دون الله آلهة شركاء) فآلهة مفعل يدعون وشركاء مفعل ينبع (ان ينبعون الا الظن) أى ان الشركاء ماتبعوا شريك الله تعالى اما اتبعوا شيئا ظنوه شريكا لله تعالى (وان هم الا يخوضون) أى ما هم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدر ان معبوداتهم شركاء تقدر اباطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى هو الذى صبر لكم الليل مظلا لتستر بحوافيه من تعب النهار والنهار مضيا لتتدبوا به فى حوائجكم بالابصار ولتتحرر كوافيه لما شئكم (ان فى ذلك) أى الجبل (آيات) أى لمبرات (تقوم سمعون) مواظ القرآن فيعلمون بذلك أن الذى خلق هذه الأشياء كلها هو الله الفرد بالوحداية فى الوجود (قالوا) أى كفار مكة (اتخذوا لله ولدا) أى اللاتكة بنات الله (سبحانه) قال تعالى ذلك نزهة لنفسه عما نسبوه اليه وقصبيحان كلهم الحقارة (هو الذى) عن كل شئ وفى كل شئ (له مافى السموات وما فى الأرض) من ناطق وصامت ملكا وخلق (ان عندكم من سلطان بهن) أى ما عندكم حجة بهنا القول الباطل (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أى أنتم نسبون اليه تعالى ما لا يجوز نسبته اليه تعالى جهلا منكم (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أى لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال فى ذات الله تعالى وصفاه قولاً غير علمه وبغير حجة بينة كان داخل فى هذا الوعيد (متاع فى الدنيا ثم ينماير جمعهم ثم يذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) أى حياتهم متاع

ملا يكون وقوله (والنهار مبصر) أى مضيا لتتدبوا به فى حوائجكم (ان فى ذلك آيات تقوم سمعون) قليل أى سماع اعتبار (قالوا اتخذوا لله ولدا) أى قولهم اللاتكة بنات الله (سبحانه) أى نزهة له عما قالوه (هو الذى) أى أن تكون له زوجة أو ولد (ان ما كنتم من حجة سبوا وقوله (متاع فى الدنيا) أى لهم متاع فى الدنيا تمتعون به أياما يسيرة وقوله

(ان كان كبير عليكم مقامى) أى عظم وشوق عليكم مكنى ولبنى فيكم (ونذ كبرى) (٣٧٣) بآيات الله) أى وعظى ونحو بنى إياكم

عقوبة الله (فصل الله
(توكلت) أى فاضلوا ما شئتم
وهو قوله (فاجمعوا
أمركم) أى اجمعوا على
أمر حكم يجمعون عليه
(وشركاكم) أى مع
شركائكم وقيل معناه
وادعوا شركاءكم (ثم لا يكن
أمركم عليكم غم) أى
ليكن أمركم ظاهرا منكشفا
تتمكنون فيه عما شئتم
لا يكن يكتنم أمراو يخفيه
فلا يفسران بفعل ما يريد
(ثم اقضوا إلى) أى تم
افعلوا ما يريدون وامضوا
إلى بكموهم (ولا تنظرون)
أى لا تؤخروا وأمرى وللشئ
لأننا فى الجمع والقوة
فانكم لا تفسدون على
مصدق لأنى إلى ما يمتنى
وفى هذا تقوية لقلب محمد
عليه السلام لأن سبيله مع قومه
كسبيل الأنبياء من قبله
(فان توليتم) أى أعرضتم
عن الإيمان (لما سألتكم
من أجر) أى لا ما لا يطوبيه
وهذا من قول نوح لقومه
وقوله (لما كانوا يؤمنوا)
يعنى أمة الأنبياء والرسول
بما كتب به قوم نوح أى
هو لا الآخر ولم يؤمنوا
بما كتب به أولهم وقد
علموا أن الله أغر قسهم
بكنذيرهم ثم قال (كذلك)

قليل فى الدنيا ثم لا بد من الموت وضلالت لا بد من الرجوع إلى الله وعند هذا الرجوع لابد وأن
يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أى للشركين (نبأ
نوح) أى خبره مع قومه الذين هم أشباه قومك فى السناد ليسير دعايا إلى مفارقة الانكار للتوحيد
والتبوة (اذنال لقومه) وهم بنو قاييل (يا قوم ان كان كبير) أى ثقل (عليكم مقامى) أى مكنى فيكم
مدة طويلة (ونذ كبرى) أى وعظى إياكم (بآيات الله) أى بحجته (فصل الله توكلت) أى فوضت
أمرى إلى الله (فاجمعوا أمركم) أى اجمعوا مواعيل أمركم الذى تريدون فى من السى فى اهلاكي (وشركاكم)
أى وادعوا من يشاركونكم فى الدين والقول وادعوا أوثانكم التى سببتموها بالآلهة وتقدير
ادعوا هو كما فى مصحفنا فى ويصح أن يكون وشركاءكم مفعولامعه من التسمير فى فاجمعوا وقرأه
الحسن وجماعة من القراء بالرغم عطفاعليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غم) أى خفيا وليكن ظاهرا (ثم
اقضوا إلى) أى أدوا إلى ذلك الأمر الذى تريدون وتفوضوه إلى (ولا تنظرون) أى لا تهلون بعد
اعلانكم إياى ما افتقم عليه (فان توليتم فما سألتكم من أجر) أى ان أعرضتم عن نصيحتى فلا ضرر على
لأنى ما سألتكم بمقابلة وعظى من أجر تؤدونه إلى حتى تؤدى ذلك إلى امرائكم (ان أجرى الاعلى الله)
أى ما تواتى على التذكير الاعلى تعالى شئني به أمنت وأتوليت (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى
وانى ما أمور بالاستسلام لكل ما يصل إلى منكم لأجل هذه الدعوة (فكنذروه) أى استمروا على
تكذيب نوح بعدما بين لهم الحق (فجنناهم ومن معه فى الفلك) أى السفينة من المسلمين من الترق
وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (وجنناهم) أى أصحاب نوح (خلافت) من المالكين
بالترقى فيسكنون فى الأرض (وأغرقتا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) يا أشرف الخلق
(كيف كان عاقبة للذين) أى كيف صار آخر أمر الذين آذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بشنا من
بده رسالاتى قومهم) كان منهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب (فجاءوهم بالنبات) أى فجاء
كل رسول قومه المخصوصين به بالمعجزات الباطنة فصدق ما قالوا (لما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من
قبل) أى لما كانوا يصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التى أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
أنهم اليها من قبل بحجى رسالهم أى كانت عليهم مبدىة الرسل كحالهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد
(كذلك) أى مثل ذلك الطبع (نطبع على قلوب المتدين) أى التجاوزين عن الحدود وفى كل زمن
(ثم بشنا من يدهم) أى من بعد أولئك الرسل (موسى وهرون إلى فرعون ومكة) أى أو أشرف قومه
(بآياتنا) أى التسع البصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم والسنين وطمس الأموال
(فاستكبروا) أى فأبناهم فلما هم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها أى ادعوا الكبر من غير
استحقاق (وكانوا قوما مجرمين) أى دوى آثام عظام فلذلك اجتأوا على الاستهانة برسالة الله تعالى
(فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو الصا واليد البيضاء (قالوا) من فرط عنادهم (ان هذا) أى الذى جاء به
موسى (لسحر مبين) أى ظاهر يعرفه كل أحد (قال موسى أقولون الحق لم جاءكم) ما تقولون من
أنسحر (أسحر هذا) أى أسحر هذا الذى أمره وأضح مكتوف وشئا أنه مشاهد معروف (ولا يفلح
الساحرون) أى والحال أنه لا يفلح فاعلوا السحر وهذه جملة حاله من الوافى أقولون (قالوا)
ل موسى وهارون عاجزين عن الحاجة (أجئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آياتنا) أى من
عبادة الأصنام (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك والعز (فى الأرض) أى أرض مصر (وما نحن

أى كما طعن على قلوبهم (نطبع على قلوب المتدين) أى المجاوزين الحق إلى الباطل وقوله (أجئتنا لتلفتنا) أى لتدنا (عما وجدنا عليه
آياتنا وتكون لكم الكبرياء) أى الملك والعز (فى الأرض) أى فى أرض مصر وقوله

(ان الله سبطله) أى
سهلته (ان الله يصلح
عمل المفلسين) أى لا يجعله
يفهمهم (ويحق الله الحق)
أى يظهره باللائل
الواضحة (بكماته) أى
بوعده (لما آمن موسى
الأذرية من قومه) يعنى
من آمن به من بنى اسرائيل
وكانوا رية أولاد يعقوب
على خوف من فرعون
وملئهم) أى ورؤسائهم
(أن يقتلهم) أى يصرفهم
عن دينهم بمحنة وبليّة
يزعمهم فيها (وان فرعون
لعال) أى متناول (في
الأرض) أى أرض مصر
(وانه لمن السرفين) أى
حيث كان عبداً قادحاً
الربوبية وقوله (لا نجعلنا
فئنة للقوم الظالمين) أى
لا نظهرهم علينا فيرؤسائهم
خير منا فيزدادوا طغياناً
ويقولوا لو كانوا على حق
ما سلطنا عليهم ففتنوا
(وأوحينا إلى موسى وأخيه)
الآية لما أرسل موسى أمر
فرعون بمساجد بنى اسرائيل
فتخربت كلها ومنعوا من
الصلاة فأمرؤا أن يتخذوا
مساجد في بيوتهم وصلون
فيها خوفاً من فرعون فلما
قوله (أن تبوأ لقومك)
أى اتخذاهم (مصر بيوتا)
في دورهم (واجعلوا
بيوتكم قبلة) أى صلوا في
بيوتكم تأمنوا من
الحرف وقوله

لكم بمؤمنين) أى بصليين (وقال فرعون) لئن (أتوني بكل ساحر عليم) بفنون السحر حاذق فيه
وقرأ حزمة والكسائي سحر (فلما جاء السحرة) أى فأتوا بالسحرة قالوا لموسى امان تلقى واما أن
نكون نحن للملقين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى ما معكم من الحبال والمعصي (فلما ألقوا)
حبالهم وعصيم واسترهبوا الناس (قال لهم) موسى ما جئتم به (السحر) أى الذى جئتم به هو
السحر أى التحوير الذى يظهر بطلانه لا ماباه فرعون وقومهم سحر افهم من آيات الله تعالى وقرأ أبو عمرو
آل سحر حزمة الاستفهام بآبدال الحزمة الثانية ألقوا وما هذا لزاماً وتسويلهم أن غير قلبه وعلى كلهما
تجب الامالة في موسى وللعنى الذى جئتم به أهو السحر أم لا وهوا استفهام على وجه التحقير والتوبيخ
(ان الله سبطله) أى سهلته بالكفاية و يظهر فضيحة صاحبه للناس والسبيل لتأكيده (ان الله يصلح
عمل المفلسين) أى لا يكمله (ويحق الله الحق) أى يظهره بقوله (بكماته) أى بوعده لموسى وفضائه
(ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن موسى الاذريقن قومه) أى فما آمن من قوم موسى الا قليل منهم
وهم بنو اسرائيل الذين كانوا يصرون أولاد يعقوب وذلك أن موسى دعاه إلى دينه فلم يحسبوا خوفاً
من فرعون وأجابته طائفة من شبائهم مع الخوف (على خوف من فرعون وملئهم) أى مع خوف من
فرعون لأنه كان شديد البطش وخوف على رؤساء القريّة كان أشرف بنى اسرائيل كانوا يعنون
أولادهم من اجابة موسى خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يقتلهم) أى يصرفهم عن الإيمان
ببسط أنواع العذاب عليهم (وان فرعون لعال في الأرض) أى غالب في أرض مصر (وانه لمن السرفين)
أى الجاهل زينة الحد بكثرة القتل والتعذيب بل بحالقه في أمر من الامور والكبر حتى ادعى الربوبية
واسترق أسباب الانبياء (وقال موسى) لمن آمن به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) ولا تخافوا
أحداً غيره (ان كنتم مسلمين) أى متقادين لامره تعالى قال الفقهاء الشرط للتأخر يجب أن يكون
متمم ما لا يقول الرجل لأمراً أن دخلت الدار فأنت طالق ان قلت هذا فجميع قوله ان دخلت الدار
فأنت طالق مشروط بقوله ان قلت هذا والشرط متأخر عن الشرط فكأنه يقول لأمراً أنه حال ما قلت
زيد ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل ان قلت الزيد لم يقع الطلاق فقوله تعالى
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرطاً لأن يصبروا
مخاطبين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكأنه تعالى يقول لاسلم حال اسلامه ان كنت
من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لأن الاسلام هو الانقياد لتكليف الله وترك التردد
والإيمان هو معرفة القلب بأن واجب الوجود لنا و احد ما سواه محدث تحت تصرفنا اذ حصلت هاتان
الحالتان فعند ذلك فوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى
(قائلوا) محبين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولا تنفك إلى أحد ما سواه دعوا ربهم قائلين (ربنا
لا نجعلنا فئنة للقوم الظالمين) أى لا نجعلنا مقننين لهم أى لا نملكهم من أن يحملوا بالقهر على أن تصرف
عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (وتجنّب حركتك من القوم الكافرين) أى خلصنا ربك من أيدي
فرعون وقومهم من سوء جوارهم وشؤم مصاحبهم (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومك مصر
بيوتا) أى اجعل مصر بيوتا لقومك ومرجراً تجعون إليه للعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مصلى
(وأقموا الصلاة في بيوتكم) أى ان موسى ومن معه كانوا في أول أمرهم بأمر من أن يصلوا في بيوتهم
لأن يظهره على الكفرة فيؤذوهم وفتنهم عن دينهم كان كمال المؤمنين في أول الاسلام بمكة على
هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر في الدنيا والجنّة في الآخرة وحسن الله تعالى موسى بالشارة لأنه

الاصل فى الرسالة وهرون تبع له (وقال موسى ر) بنا انك آتيت فرعون وملأه) أى أشرف قومه (زينة) أى مايزين بهممن اللباس والراكب ونحوها (وأموالا) كثير من الذهب والفضة وغيرها (فى الحياة الدنيا ر) بنا ليضالوعن سبيلك (دعا عليهم بلفظ الأمر والفرى ر) بنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (ر) بنا لاطمس (على أموالهم) أى أهلكتها قال ابن عباس بضلأ البراهم والدناير صارت حجارة منقوشة كهيئة صاحبها وأصافا وأثالا وجعل سكرهم حجارة (واشد على قلوبهم) أى جعلها قاسية ومربوطة حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء وأدعاء بلفظ النهى أو عطف على لينوا (حتى يروا العذاب الأليم) وأعاد موسى عليهم بهذا الكلام لعل أن سابق قضائه وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) اقبلوا وهرون (قد أجيبت دعوتكما) فوسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والثامن دعاء وحصول الدعوى ببدل بين سنة لان فرعون لبث بعدها اربعين سنة (فاستقيا) أى فابتاعا ما أتاه عليهما من الدعوة والزام الحجة والاستعجال (ولا تبعا سبيل الذين لا يعلون) بدلت الله تعالى فى تطبيق الأمور بالمصالح والحكم أى ولا تسلكا طريقى الجاهلين الذين يفتنون أنتمى كان الدعاء عجبا كان للقعود حللا فى الحال والاستعجال وعدم الوثوق بوعده الله بصدان من الجهال (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) أى جعلناهم يحاوزين بحر السوسى بأن جعلناه يسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنو على يوسف وهم اثنا وتسعون وخرج بنو هرون مع موسى من مصر وهم سائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهم بالخروج بنى اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع بخروجهم خرج بمجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى ابن الخالص والبحر أمامنا والمو وراءنا فأوحى إلهه أن اضرب بصاك البحر فصره فافلق قطعه موسى ونوا اسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أبيض وميكائيل يسوقهم حتى لا يسلم منهم أحد فدنوا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الأذى لم يملك فرعون من أمره شيئا فزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج انطلق البحر عليهم (فأبهم فرعون وجنوده بنيا وعدوا) أى مغرطين فى حجة قتلهم ومجاوزين الحد (حتى اذا أدركه الفرق قال آمنت أنه) أى بأن الشأن (لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) أى الذين أسلموا ففوسهم الله فقال له جبريل (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أى آلآن تؤمن وتوب وقد عصيت التوبة فى وقتها وآرتدنايك الغانية على الآخرة الباقية وقد كنت من المالفين فى الضلال والاضلال عن الإيمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه إنما آمن عند نزول العذاب وإنما أقر بقراله ربوبية ووحداية الله تعالى ولم يقر بقبول موسى وإن ذلك الاقرار كان مينا على محض التقليد وهو كان دهر يامسكرا لوجود البائع وأما ذكر هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع تلك البلية المحاضرة (فاليوم نتجيك بيدك) أى نلقيك على نجوة من الأرض وهى المكان للارتفاع بدمرك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرى نتجيك بالحاء أى نلقيك بناحية الساحل (تسكون لمن خلقك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنوا اسرائيل اذ قالوا امامات فرعون وإنما قالوا ذلك لطمعهم عندهم والمحصل فى قلوبهم من الربع من أجله فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه نور

هو أعظم شأنا من أن يفرق فأخرجهم الله من الماء حتى رأوه فذلك قوله (فاليوم نتجيك) أى نخرجك من البحر بعد الفرق (بيدك) أى بحسبك الذى لا يروج فيه (تسكون لمن خلقك آية) أى تسكالا وبجرة

(وان كثير من الناس) يريد أهل مكة (عن آياتنا) أي عماريهم (لما فلو ولقد بدوا نبي اسرائيل مبواصدا) أي أنزلنا فرقة والنضير منزل صدق يعني محمودا مختارا يريد من أرض يثرب ما بين المدينة والشام (ورزقناهم من الطيبات) أي من النخل والتجار وسعنا عليهم الرزق (فما اختلفوا) أي (٣٧٦) في تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسول مبعوث (حتى جاءهم

فرأه بنو اسرائيل فرفروه وقرى لمن خلفك فعلا مضيا أي تكون لمن يأتي بك من الأم نكالا من الطيبات وقرى لمن خلفك بالثاقف أي تكون لحالفك آية كسائر آياته فان افراذه تعالى اياك بالاعتدالي الساحل لابلل دعوى الوهيتك لان الاله لا يموت (وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون) أي لا يتفكرون فيها (ولقد بدوا نبي اسرائيل مبواصدا) أي أسكنهم بعد ما أخرجناهم وأهلكتنا أعداءهم من زلاصا حرضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والحصب وأورثهم الله جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أي الفائز (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي حتى قرأوا التوراة فحينئذ تنبهوا للسائل والطالب ووقع الاختلاف بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فبا كانوا فيختلفون) فيمن الحق من البطل والصدق من الزديق (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق) أي القرآن (من ربك) فيه خبر الأولين (فلا تكون من الممتريين) أي الشاكين (ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أنفسهم وأعمالا وهذا كله خطاب للنبي ظاهر وألما به غيره من عند مشك ومثل هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمير وكان تحسرا به ذلك الأمير جازا أراد أن يأمر أمة بأمر مخصوص فانه يوجه الخطاب على ذلك الأمير ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم وقيل هذا الخطاب ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس في زمانه كانوا فرقا ثلاثة للصدقين به ولللكذوبين وللتوقفين في أمره الشاكين فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وعيم الباري وكعب الأحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حققت عليهم كذرك) أي ثبت عليهم حكمه بأنهم يعمون على الكفر ويخلدون في النار (لا يؤمنون) أبدا اذ لا كذب في كلامه (ولو جاءتهم كل آية) أي ولو جاءتهم البلائ التي لاحصر لها لان الدليل لا يهدي الا باعانة الله تعالى (حتى يروا العذاب الأليم) كدابة ل فرعون وأشباههم (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فمعناه هلا لآخر فين فلولا كانت قرية آمنت فمعناه لما كانت قرية آمنت فلولا كان من القرون من قبلكم فمعناه لما كان من القرون وتقدير الآية لما كان أهل قرية آمنوا ففهم إيمانهم الا قوم يونس لما آمنوا أول ما رآوا أمارات العذاب صرفنا عنهم العذاب في الحياة الدنيا (ومتعناهم) بمتاع الدنيا بصرف العذاب عنهم (الي حين) أي الى وقت انقضاء آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى بني نينوى من أرض اللؤلؤ فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا وزل العذاب فلبسوا السوح وعجوا أر بين ليلة وكان يونس قال لهم ان أهلكم أر بمون ليلة فقالوا ان ربنا لأسباب الهلاك أنابك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم أسود هائل فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا الى الصحراء

حيث إذا إيمان كما لم ينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) (ومتعناهم الي حين) يريد عند نزول العذاب (الا قوم يونس لما آمنوا) عند نزول العذاب (كشفنا عنهم عذاب الخزي) يعني سخط الله (ومتعناهم الي حين) يريد حين آجالهم وذلك أنهم لما رأوا الآية التي تدل على قرب العذاب أغلصوا التوبة وترادوا للظلم وقضروا الى الله فكشف عنهم العذاب

و فرقا

ونبه وما يدعوههم إليه
(قل) للذين آمنوا الذين
يسألونك الآيات (انظروا
ماذا) أى الذى أعظم منها
(فى السموات والأرض)
أى من الآيات والعبر التى
تدل على وحدانية الله
تفصلوا عن ذلك كله مقتضى
صافى لا يشبه الأشياء
ولا تشبههم بين أن الآيات
اللاتى عن سبقى علم الله
أنه لا يؤمن قتال (وما تفتنى
الآيات والنذر) جمع نذر
(عن قوم لا يؤمنون)
يقول الأنداز غير نافع
فولوا (فهل يظنون)
أى يجب أن لا يظن وأبعد
تكنذك (الا مثل أيام
الذين خلوا من قبلكم) أى
لا مثل وقائع الله فيمن
سلف قبلهم من الكفار
اتم تجبى رسلنا والذين
آمنوا هذا اخبار مما كان
الله يضل فى الأمم الماضية
من انباء الرسل والمصدقين
لهم ما يطلب به من كفر
(كن ذلك) أى مثل ذلك
الانباء (تجبى المؤمنين)
يحمدلى الله عليه وسلم
من عنابى (قل يا أيها
الناس) يريد أهل مكة

(٤٨) - (تفسیر مراجع لید) - اول) (ان کنتم فی شک من دینی) ای الہی جنت بہ (فلا تعبہ) ای بشککم فی دینی فلا تعبہ غیر اللہ (ولکن أعبد اللہ الہی توفیکم) ای یا خدایا رواحکم و فی ہذا تہد بہم فہم وقولہ (وأن آمہ وھک للذن حنفا) ای استمع بقابلک علی ما مرتب بہ بوجہک (ولا تسع من دینہ)

(٤٨ -) (تفسير مراح لييد - اول) (ان كنتم في شك من ديني) أي الذي جئت به (فلا عبد الذين يعبدون من دون الله) أي بشرككم في ديني فلا عبد غير الله (ولكن عبد الله الذي يتوكل) أي يأخذ وأحكم في هذا جهد بسلام ولا وفاة للشركين بمعاد عذابهم وقوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً) أي استقم بقبالك على ما أمرت به بوجهك (ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك)

أى شيئا ماله أن لا يتحقق الضر والنفع الا من الله فكانه قال ولا بد من دون الله شيئا (وان بمسك الله بضر) أى بمرض وفقر (فلا كأنه) أى لا من له (الاهو) (٣٧٨) وان يردك بخير) أى وان يردك الخير (فلا راد لفضله) أى لا مانع لما فضل به عليك

من رجا ووصفة (يصيبه) أى بكل واحد مما ذكر (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس) يعنى أهل مكة (قد جاءكم الحق) يعنى القرآن (من ربكم) وفيه البيان والشفاء (فمن اهتدى) أى من الضلالة (فأما يهتدى لنفسه) يريد من صدق عمدا فأما محتاط لنفسه (ومن ضل) أى بشكيبه (فأما يضل عليها) أى أياها يكون وبال ضلاله على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أى بحفيظ من الملاك حتى لا يهلكوا (واتبع ما يوحى إليك) من ربك (وامر به حتى يحكم الله) نسخته آية السيف لأن الله حكم بالقتل على المشركين والجزية على أهل الكتاب

تفسير سورة هود عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم) (ال) أنا الله الرحمن (كتاب) أى هذا كتاب (أحكمت آياته) يعنى بسبب التنظيم وبديع المانى ووصين اللفظ (ثم فصلت) أى بينت بالأحكام من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج اليه (من لدن

فلا نافع الا الله ولا ضرر الا الله ولا حكم الا الله ولا رجوع فى الدارين الا الى الله وهذا الجمل عطف على جملة الأمر وهى أقم فتكون داخلة فى صلة أن للصدرة (فان فعلت فأنت اذا من الظالمين) أى لو اشتغلت بطلب للفتنة والضرر من غير الله فأنت من الواضعين للشيء فى غير موضعه وطلب الشيع من الأكل والرى من الشرب لا يصدق فى الاخلاص لان وجود الخير وصفاته كلها بإيجاد الله وطلب لا يتناع بشيء خلقه الله لذلك لا يكون منافيا للرجوع بالسكينة الى الله لأن شرط هذا الاخلاص أن لا يقع بصر عقله على شيء من هذه الموجودات الا ويشاهد بين عقله أنها معلومة بذواتها وموجودة بإيجاد الله فجيتذرى ماسوى الله علمنا بحسب أنفسها ويرى نور وجوده تعالى وقيض احسانه تعالى على الكل (وان بمسك الله بضر) أى ان يصيبك بضر كمرض وفقر (فلا كأنه) أى فلا رافع لبدلك الضر (الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله) أى وان يرد أن يصيبك بخير فلا دافع لعطية الذى أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الإرادة لأن ارادة الله تعالى قد بدلت لتغير بخلاف من الضر فانه صفة فضل قال الرازى وتقديم الانسان فى اللفظ وهو للشار اليه بالحطاب دليل على أن المقصود هو الانسان أما سائر الخيرات فهى مخلوقة لاجله (يصيب به) أى يخص بالفضل الواسع للتنظيم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) ممن كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أى البالغ الستر للذنوب (الرحيم) أى البالغ فى الاكرام (قل) غلظا لأولئك الكفرة لاجل أن تنقطع معزرتهم (يا أيها الناس فذبحاكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم للتمثل على محاسن الاحكام (فمن اهتدى) بالايان به (فأما يهتدى لنفسه) أى فتنفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فأما يضل عليها) أى فوبال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أى بحفيظ موكل الى أمرهم (وأما أنا بشير ونذير فلا يجب على السنى فى اصال السكينة الى التواب وفى تخليصكم من العذاب) (واتبع ما يوحى إليك) أى يؤمر لك فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ما طرأ عليك من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالأمر بالقتال (وهو خير الحاكمين) فحكم بالجهاد والجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم فى الصبر شعرا فقال

سأصبر حتى يحجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى
سأصبر حتى يعلم الصبر أنى * صبرت على شئى أمر من الصبر

سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آيات ألف وسبع مائة وخمسة

وعشرون كلمة وستة آلاف وستة وخمسة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب أحكم آياته) أى نظمت نظرا رصيفا متقنا (ثم فصلت) أى جعلت فصولا من دلائل التوحيد والتبوء والاحكام والوعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أو صلة للفلين كأنه تعالى يقول أحكم آياته من عند حكيم أى واضع الشئ بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أى عالم بكيفيات الأمور (أن لا تعبدوا الا الله) فأن تفسيره لفصلت فأنها معنى القول (اننى لكم منه) أى من جهة الحكيم الخبير (نذير) بذا بيان عبدتم غير الله تعالى (وبشير) بشوايه ان تمحضتم فى عبادته (وأن استغفروا ربكم) معطوف على أن لا تعبدوا (ثم نوبوا اليه) أى اطلبوا من ربكم ثم سألوا منكم من الشرك ثم أقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (بتمتعكم متاعا حسنا

حكيم) أى فى خلقه (خير) أى بمن يصدق فيه ومن يكذبه (أن لا تعبدوا) أى بأن لا والتقدير هذا كتاب بأن الى لا تعبدوا (الا الله و) (أن استغفروا ربكم) أى من ذنوبكم السابقة (ثم نوبوا اليه) أى من الستة بقية وقت (بتمتعكم متاعا حسنا)

أى يتفضل عليكم بالرزق والسعة (الى أجل مسمى) يعنى أجل الموت (و يؤت كل ذى فضل) أى يؤت كل من فضلت حسنة على سيئاته (فضله) يعنى الجنة وهى فضل الله (وان تولوا) أى تتولوا عن الايمان (٣٧٩) فأتى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهو

يوم القيامة (ألا انهم

يتنون صدورهم) نزلت فى

طائفة من المشركين قالوا

إذا أغلقت أبوابنا وأرسلنا

ستورنا واستغثنا ثيابنا

وطوننا صدورنا على

عدوة محمد كيف يصلم بنا

فأزل الله (ألا انهم يتنون

صدورهم) أى يغطونها

وطونها على عدوة محمد

(ليستخفوا منه) أى

ليتولوا عنه ويكتموا

عداوتهم (الآحين يستخفون

ثيابهم) أى يتدثرون بها

(يمل مايسرون ومايلتون)

أعلم الله تعالى أن سرائرهم

يعلمها كما يعلم مظاهرهم

(انه يعلم بذات الصاير)

أى بما فى النفوس من الخير

والشر (وما من دابة)

أى حيوان يدب (فى

الأرض الاعلى الله رزقها)

فضلا وجوبا (ويعلم

مستقرها) أى حيث

تأوى اليه (ومستودعها)

أى حيث تموت (كل فى

كتاب) يريد اللوح

المحفوظ والذى ان ذلك

نائب فى علم الله تعالى (وهو

الذى خلق السموات

والأرض فى ستة أيام)

ذكرنا تفسيره فى سورة

الى أجل مسمى) أى يستكم عيشا مرضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر أعمالكم فمن أخلص
 لله فى القول والعمل عاش فى أمن من العذاب وراحة ما يشاء ومن اشتغل بحب الله كان انقطاعه
 عن الخلق أكمل ومروره أتم لانه آمن من زوال محبه يوم كان مشتغلا بحب الله كان أهدى
 ألم الخوف من فوات المحبوب (و يؤت) أى يعطى فى الدنيا وفى الآخرة (كل ذى فضل) فى الاسلام
 والطاعة (فضله) أى ثوابه (وان تولوا) أى تعرضوا عما أتى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة
 (فأتى أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم بالموت)
 ثم البعث للحزاء (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبكم بأقارب العذاب (ألا انهم يتنون
 صدورهم ليستخفوا منه) الآحين يستخفون ثيابهم) أى تقيه أن الكفار يضمنون خلف ما يظهرون
 ليستخفوا من الله تعالى حين يغطون رؤسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس أن هذه الآية
 نزلت فى الاخنس بن شريق وأصحابه من منافق مكه وكان يرسلوا للنظر لظهور رسول
 الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويشترى قلبه السداوة (يعلم مايسرون) فى قلوبهم (وما يملتون)
 بأفواههم (انه يعلم بذات الصدور) أى انه تعالى مبالغ فى الاطلاع بمخبرات جميع الناس وأسرارهم
 الخفية المستكنة فى صدورهم فلا فائدة لمطيق استخفائهم (وما من دابة فى الأرض الاعلى الله رزقها)
 أى غذاؤها الا لا تقدر على ان ياروى أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان
 يضرب بصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة
 ثانية ثم ضرب بصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضربها بصاه فانشقت فخرجت منها
 دودة كالقتره وفى فيها شئ يعبرى بحرى القنذله لما روى عن سمع موسى عليه السلام
 فسمع الدودة تقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويدكرنى ولا يشاقى (ويعلم
 مستقرها) أى مكانها فى الأرض قبل الموت وبه (ومستودعها) أى موضعها قبل الاستقرار
 من صلب أو رحم أو بيضة (طكل) من الدواب ورزقها ومستودعها وأجودها (فى
 كتاب مبين) أى ثابت فى علم الله ويذكر فى اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والأرض فى
 ستة أيام) أى خلق السموات فى يومين والأرض فى يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات
 وغير ذلك فى يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما (على اللام) قال صلى الله عليه وسلم كان الله
 وما كان معه شئ ثم كان عرشه على اللام أى والعرش الذى هو أعظم المخلوقات فذا سكت الله تعالى
 فوق سبع سموات من غير دمامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك بدل على كمال قدرته تعالى (ليلاكم)
 أى خلق السموات والأرض وما فيها ورب فيها جميع ما تحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب
 معاشكم وأودع فيها ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم
 أحسن عملا) أى أحسن عقلا وأودع عن عظام الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب
 والقلب عملا خصوصا به (ولئن قلت) يا أشرف الخلق لأهل مكة (انكم مبعوثون) أى مبعوثون
 (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا الاسحر مبین) أى ما هذا القول الا خدعة
 منكم وضعتموه لئلا تنال الناس عن نيات الانبياء وحرارهم الى الاقياد لكم والنحول تحت طاعتكم

الاعراف (وكان عرشه على اللام) يعنى قبل خلق السموات والأرض (ليلاكم) أى خلقكم الذى يختبركم بالمسومات فيها من آياته ليعلم
 احسان المحسن وإساءة السيئ وهو قوله (أيكم أحسن عملا) أى أعمل بطاعة الله (ولئن قلت) أى للكفار بخلق الله السموات
 والأرض وبيان قدرته (انكم مبعوثون من بعد الموت) كذبوا بذلك وقالوا (ان هذا الاسحر) أى باطل وخلق

(ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معودة) أي إلى أجل وحين معلوم (ليقولن ما يحبه) أي ما يحبس العذاب عنك كذبيبا واستهزاء فقال الله تعالى (اليوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) أي إذا أخذتهم سيوف السليين لم تصد عنهم حتى تبارأهل الكفر وتواكله الاخلاص (وحاق) أي نزل وأحاط بهم) جزاء (ما كانوا يستهزئون) وهو العذاب والقتل (ولئن أذقنا الإنسان) يعني الوليد بن الصبرة (منارحة) أي رزقا (ثم زعناها) أي سلبناها (منه انه ليؤوس) أي مؤوس قاطئ (كفور) أي كافر بالنعمة يريد انه ليهله بعمة رحمة الله يستعسر القنوط والياس (٣٨٠) عند نزول الشدة (ولئن أذقناه نهارا بعد ضراء مسته ليقولن ذهب

السيئات عني) الآية
معناها انه يطر فينسى حالة الشدة ويترك حمد الله على ما صرف عنه وهو قوله ليقولن ذهب السيئات عني أي فارقتني الضر والتفكر (انه لفرح فخور) أي يفاخر المؤمنين بما وسع الله عليه ثم ذكر المؤمنين فقال (الا الذين) يعني لكن الذين (صبروا) أي على الشدة والليكاره (وعماوا الصالحات) أي في السراء والضراء (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك) الآية قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتنا بكتاب ليس فيه سب ألفتنا حتى تشمك وقال بعضهم هلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالصدق أو تعطى كنزا تستغنى به أنت واتباعك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع سب آلتهم فأنزل الله تعالى

(فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) أي لعظيم ما يدعى قلبك من تخليطهم توهم أنهم يزولونك عن بعض (والكفنة ما أنت عليه من أمر بك (وضائق به صدرك أن يقولوا) أي ضائق بصدرك بأن يقولوا (ولا أنزل عليه كنزا أو جاء معه ملك إنما أنت نذير) عليك أن تنذرهم وليس عليك أن تأتيهم بما يفترون (والله على كل شيء وكيل) أي حافظ لكل شيء (أم يقولون) بل يقولون (افتراء) أي افتري القرآن فأتى بمن قبل نفسه (قل فأنا بشر مومئله) أي مثل القرآن في البلاغة (مفتريات) أي يزعمكم (وادعوا) للمادة أي للمادة على اللعنة (من استطعت من دون الله) أي من استطعت من دون الله

(ان كنتم صادقين) انه اقترأ (فان لم يستجبوا لكم) أى فان لم يستجبوا لكم من تدعونهم الى العروة ولا تنهواكم عن العروة فتدعونهم
فاستعليكم الحجة (فاعلموا انزل بسم الله) أى انزل والله علم (٣٨١) بانه عالم انه من عنده (فهل اتم

مسلمون) استغفاهم
معناه الامر بكفوله فصل
اتم متون (من كان
يريد الحياة الدنيا) أى من
كان يريد هاهنا الكفار
فلا يؤمنوا بالبعث ولا
بالتواب والعقاب (نوف
اليهم أعمالهم فيها) أى
جزاء أعمالهم في الدنيا
يعنى ان من أتى من
الكافرين فلاحسنا من
اطعام جامع أو كسوة عار
أو نصر مظلوم من المسلمين
عجل له ثواب ذلك في دنياه
بازيادته (وهم فيها)
أى في الدنيا (لا يبخسون)
أى لا ينقصون ثواب
ما يستحقون فاذا وردوا
الآخرة وردوا على عاجل
الحسنة اذ احسنت لهم
هناك وهو قوله (أولئك
الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحسب ما صنعوا)
فيما وبطل ما كانوا يعملون
أفمن كان يعنى النبي صلى
الله عليه وسلم (على بينة)
بيان (من ربه) وهو القرآن
(و يتلو شاهد) يعنى
جبريل (منه) أى من
الله تعالى يتبعه ويؤيده
ويشهد به (ومن قبله)

والكهنة (ان كنتم صادقين) في ادعاء كون القرآن مفترى على الله (فان لم يستجبوا) أى
من تدعونهم من دون الله (لكم) أيها الكفار في الاعاة على المعارضة (فاعلموا) بامسح الكفار
(انما انزل بسم الله) أى ان النبي انزل بسم الله على هومن عند الله انزل بسم الله على الله لوجب
ان يقدر الحق على مثله ولما يقدر واعليه ثبت انه من عند الله (وان لا اله الا هو) أى واعلموا انه
لا شريك له في الالهية ولا يقدر على ما يقدر هو عليه أحد أى لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت
كون القرآن حقا وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الرسالة وفي خبره انه لا اله الا الله
(فهل اتم مسلمون) أى فهل اتم داخلون في الاسلام وللعنى فان لم يستجبوا لكم اتمتكم سائر من
اليهم تجارون في مملكتكم الى اللعونة فاعلموا ان القرآن خارج عن دائرة قدرة البشر وانهم من
خالق القوى والقدر واعلموا أيضا ان اتمتكم بمنزل عن رتبة الشركة في الالهية فهل اتم داخلون
في الاسلام بقديقام هذه الحجة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) بعمل الخير من
العبادات وايصال اللغة الى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصليهم ثمرات أعمالهم في
الحياة الدنيا كاملة (وهم فيها) أى في الحياة الدنيا (لا يبخسون) أى لا ينقصون قصا كبايلا ويحرمون
من ذلك حرمانا كباي وهو ما يرزقون في امن الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ونحو
ذلك (أولئك) أى للذين لينة الدنيا للوفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم في
الآخرة الا النار) بسبب هذه الأعمال الفاسدة للقر ونقارياه روى أن رسول الله ﷺ قال
تمودوا بالله من جبارن قيل وما جبارن قال واد في جهنم يطق فيه القراما راؤ ون وقال ﷺ
أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خيره (وحسب ما صنعوا فيها) وهذا
ان تلقى بحسب ما تضمنه عائد على الآخرة أى وظهر في الآخرة حسب ما صنعوه من الأعمال وان تلقى
بصنعوا فالضمير يعود على الحياة الدنيا أى وحسب ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر (وبطل
ما كانوا يعملون) فباطل ما هم مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر أعطف على الخبر وما بعده فاعل له
ويرجع هذا قراءة زبد بن علي وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الناصي مطوف على حسب أى
ظهر بطلان عملهم في نفسه في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية وقرىء وباطلا ما كانوا يعملون على
ان ما بهامية أو في معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلو شاهد منه ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحة) أى أفمن كان على برهان من ربه عرف بهجة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان
شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل محيى الشاهد الذى هو القرآن شاهد آخر
وهو كتاب موسى حال كونه مقسدى به في الدين وسببا لحصول الرحمة لأنه يهتدى الى الحق في
الدنيا والدين كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها في انهم ليس لهم في الآخرة الا النار لا بل بين الترفيقين
تباين بين فالحاصل انه اجتمع في تثبيت هجة هذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية البينة
على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فند اجتماع هذه الثلاثة
قد بلغ هذا اليقين في القوة والجلاء الى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى في محنتك (أولئك)
أى الوصفون بالصفت الحميدة (يؤمنون به) أى بالقرآن كعبده بن سلام وغيره ممن انصف

أى ومن قبل القرآن (كتاب موسى) أى التوراة يتلوها في التصديق لأن موسى بشر في التوراة فالتوراة تلو النبي ﷺ في
التصديق وقوله (اماما ورحة) يعنى ان كتاب موسى كان اماما لقومه ورحة وتقدير الآية أفمن كان بهذه الصفة كمن ليس بهذه
الصفة فتترك ذكر المضادة (أولئك يؤمنون به) يعنى من آمن به من أهل الكتاب

(ومن يكفر به من الأحزاب) أى أصناف (٣٨٢) الكفار (فإن لم وعدة فلا تك فى حمية منه) أى من هذا الوعد (أنه لا تخفى من

ر بلك ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون) يعنى أهل مكة
(ومن أظلم ممن افترى على
الله كذبا). فقبله ولدا
وشر بكا (أولئك يرضون
على ربهم) أى يوم القيامة
(ويقولون الأشهاد) وهم
الأنبياء والملائكة والمؤمنون
(هو) الذين كذبوا على
ربهم (اللعنة الله) أى إصاحه
من رحمته (على الظالمين)
أى للشركيين (الذين
يصلون عن سبيل الله)
تقسم تفسير هذه الآية
(أولئك لم يكونوا معجزين
فى الأرض) أى سابقين
فأتين يعنى لم يعجزونا أن
نعذبهم فى الدنيا ولكن
أخرنا عقوبتهم (وما كان
لهم من دون الله من أولياء)
أى يتعززونهم عن عذاب الله
(يضاعف لهم العذاب) أى
لاضلالهم الاتباع (ما كانوا
يستطيعون السمع) أى
لا فى حلت بينهم وبين
الإيمان فكانوا صا عن
الحق فلا يسمعون وحميا
عنه فلا يبصرون ولا يهتدون
إليه (أولئك الذين خسروا
أنفسهم) أى بأن صاروا
النار (وضل عنهم ما كانوا
يقترون) أى بطل افتراؤهم
فى الدنيا فلم ينفعهم شيئا
(الاجر) أى حقا (انهم فى

بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له في الآخرة الجنة (ومن يكفر به) أي بالقرآن (من الأحزاب) أي أصناف الكفار (فالتار موعده) أي مكان وعده وهي التي فيها مالا يوصف من أفاقين العذاب روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال لا يسمع ابن يهودي ولا نصراني فلا يؤمن في الاكان من أهل النار قال أبو موسى فقلت نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجت الله تعالى يقولون يكفر به من الأحزاب فالتار موعده (فلانك في حربه منه انه الحق من ربك) أي فلانك في شك من القرآن انه الحق من ربك نزل به جبريل والمعنى فلانك في شك من أمر معين ككفر بالقرآن النار ان هذا الوعد هو الثابت عن ربك في دينك ودينك والخطاب للنبي والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما اختلال أفكارهم وإما اعتنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب إليه مالا يليق به كقولهم في الأصنام إنما شفعاؤهم عند الله (أولئك) الموصوفون بالاقتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضا تظهر به فضيحتهم أي يساقون الى الأمكنة المعدة للعصاة والسؤال (وقول الشهاد) من اللاتسكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم في الدنيا والأنبياء عند العرض (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالاقتراء عليه ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم في القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (الالجنة فعل الظالمين) بالزمام الكفر والضلال أي انتهى في الحال للعوالم من عند الله (الذين يصلون عن سبيل الله) أي الذين ينعون من الدين الحق كل من يقدر على عنقه بمقاء الشبهات (ويعفون عوجا) أي يطلبون سبيل الله أيضا بتوجيه الدلائل المستقيمة (وهم) أي والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أي بالبعث بدلولوت جاحدون (أولئك لم يَكُونُوا معجزين في الأرض) أي لا يمكنهم أن يقتلوا بأنفسهم من عذاب الله بالهرب من الأرض مع ستمها ان أراد الله تذييهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أي أنصار يدفون عذاب الله عنهم أي ان علم نزل العذاب ليس لأجل أنهم قدر واعلى منع الله من ازال العذاب بالقرار ونحوه ولا أجل أن لهم ناصرا يمنع العذاب عنهم كازعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله بل لانه تعالى أهلهم كي يتوبوا عن كفرهم فاذا أبوا الاثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب في الآخرة كما قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أي فيعذبون في الآخرة على ضلالتهم في أنفسهم وعلى اضلالهم غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالسيف فلا يجزى الا شهلا وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا لتبليد لمضاعفة العذاب أي لانهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أي فاتهم اشتهر واعباد الأصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وصل عنهم ما كانوا يفترون) من شفاعة الأصنام فمريب معهم غير التبدية (الاجرم) أي لابد (أنهم في الآخرة هم الآخسرون) بذهاب الجنة وما فيها أي أنهم آخسرون كل خاسر لانهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأحبوا الى ربهم) أي ان الذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وآتوا بالأعمال الصالحة واطمأن قلوبهم عند أداء الأعمال الى ذكر الله فارغة عن الالتفات الى ما سوى الله تعالى والطمأن الى صدق وعده الله بالتأويل على تلك الأعمال وخاف قلوبهم أن يكونوا أنما بتلك الأعمال مع وجود الاخلال ومن أن لا تكون مقبولة (أولئك) المتمتعون بتلك التمتع الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي دائمون مثل الفريقين كالاعنى والاصم والبصير والسميع) أي صفة الكافر كصفة شخص متصف بالعمى

والصميم

الآخره هم الاخسرونا) وقوله (أخبتوا الى ربهم) أى اطعوا وسكنوا وقيل تابوا
(مثل الفريقين) أى فريق الكافرين وفريق المسلمين (كلاهمى والأصم) وهو الكافر (والبصير والسميع) وهو المؤمن

(هل يستويان مثلا) أي في اللزأى هل تشابهان (أفلا تذكرون) أي أفلا تستطون يا أهل مكة (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أن لا تكذب معين) أي فقال لهم أني لكم نذير معين (أن لا تعبدوا الا الله) أي اني

(٣٨٣)

أخلف عليكم) أي بكمركم (عذاب يوم أليم) مؤلم (فقال الملا الذين كفروا من قومه) وهم الأشراف والرؤساء (ما راكنا البشرا مثلكا) أي انساا مثلكا لافضل لك علينا (وما راك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) أي أخصاؤنا يعنون الذين لا صرف لهم ولا مال (بأدى الرأى) أي اتبعوك في ظاهر الرأى وباطنهم على خلاف ذلك (وما رى لكم) يعنون لسوح وقومه (علينا من فضل) وهذا اكذيب منهم لأن الفضل كله في النبوة (بل ظنكم كاذبين) أي ليس ما يتقناه به الله (قال يا قوم أرأيتم) أي أعلمتم (ان كنت على بينة من ربي) أي يقين وبرهان (وأتاني رحمة من عنده) أي نبوة (فصيت عليكم) أي نبوة (فصيت عليكم) أي نبوة (لأن الله سلبكم عليها ومنكم معرفتها لنادكم الحق) (أنتم كمموها) أي أنتم كمكم قبولها ونضركم الى معرفتها اذكركم (و يا قوم لأسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (مالا ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقولكم لي امنع واطرد هؤلاء الأسافاة عنك ونحن نبعك فان استحي أن تجلس معهم في مجلسك (انهم ملاقوار بهم) أي انهم طائرون في طرد المؤمنين عنه ليو متبوا به انفة من أن يكونوا معهم على سواء فقال لا يجوز لي طردهم اذ كانوا يلقون الله فيجز بهم باعائهم ويأخذهم عن ظلمهم وصغر شؤونهم وحقوله (انهم ملاقوار بهم

والصمم فلا يمتدى لمقصوده وصفة المؤمن كمفة شخص متصف بالبر والسمع فاهتدى لطلوبه (هل يستويان مثلا) أي صفة وحالا (أفلا تذكرون) أي أنشكون في علم الاستواء ولا تستطون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أن لا تكذب معين) (معين) أي بن النذارة فأين لكم طري الخلاص من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي أنى بفتح الهزعة أي متلبسا بالانذار والباقون بالكسر على معنى فقال اني لكم (أن لا تعبدوا الا الله) بدل من أني لكم الخ على قراءة الفتح وجروا بالياء للقدرة التي تتمتع للتلطف بأرسلنا (انى أخلف عليكم عذاب يوم أليم) في الدنيا أو في الآخرة (فقال الملا الذين كفروا من قومه) أي الأشراف منهم (ما راكنا البشرا مثلكا) أي مانملك الا آدميا مثلكا ليس فيكمزة تحضك بوجوب الطاعة علينا (وما راك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) أي أخصاؤنا كالحجابين والقساكين والأسا كفة (بأدى الرأى) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائي بأدى بالمعزة والباقون بالياء ونصبه على الظرفية أي في ابتداء حدوث الرأى ولو استملوا في الكفر ما تبعوك أوفى ظاهر رأى العين (وما رى لكم علينا من فضل) أي لا رى لك ولبن تبعوك بعد الاتباع فضلا علينا لافى العقل ولا في رعاية لصالح العالجة ولا في قوة الجليل (بل ظنكم كاذبين) أي بل ظنكم كاذبين في دعوى النبوة ونظن أصحابك كاذبين في تصديق نبوتك (قال) أي نوح (يا قوم أرأيتم) أي أخبروني (ان كنت على بينة من ربي) أي على برهان عقل في معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يجنب وما يجوز عليه (وأتاني رحمة من عنده) أي نبوة ومعجزة دالة على النبوة (فصيت عليكم) أي وسار ذلك البرهان مشكوكا في حقولكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فصيت بضم العين وتشديد اللام والباقون بفتح العين وتخفيف اللام (أنتم كمموها وأتم لها كارهون) أي قبل أقرر على أن أجعلكم بحيث تصالون الى معرفة ذلك البرهان وأتم منكم رونه ولغى انكم زعمتم أن عهد النبوة لا يخاله إلا من له فضيلة على سائر الناس أخبروني ان أمرت عنكم بحيازة فضيلة من ربي وهي دليل العقل وأتاني بحسبها نبوة من عنده فخفي عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتي لها الى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها أناكم قبول نبوتى التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستهزام لطلب الاقرار وحاصل الكلام أنهم لما قالوا وما رى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام أن ذلك بسبب أن الحجة عيت عليكم واشتبهت فأما لو راكم الصاد والحق ونظرت في الدليل لظهر المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وألا أقدر على اعطائكم الاطعام والعرفة في تلك الحجة وأما أقدر على أن أدعوكم إلى الله (و يا قوم لأسألكم عليه مالا ان أجرى الاعلى الله) أي قال نوح عليه السلام أن لا أطلب عنكم على تبليغ دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون السستجيب فقيرا وأغنيا وما أجرى على هذه الطاعة الاعلى رب العالمين وان ظنتم اني انما اشتغلت بهذا التبليغ لأجل أخذ مالكم فهذا الظن منكم خطأ وأما أسى في طلب الدين لافى طلب الدنيا وهذا يوجب فضلى عليكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقولكم لي امنع واطرد هؤلاء الأسافاة عنك ونحن نبعك فان استحي أن تجلس معهم في مجلسك (انهم ملاقوار بهم) أي انهم طائرون في طرد المؤمنين عنه ليو متبوا به انفة من أن يكونوا معهم على سواء فقال لا يجوز لي طردهم اذ كانوا يلقون الله فيجز بهم باعائهم ويأخذهم عن ظلمهم وصغر شؤونهم وحقوله (انهم ملاقوار بهم

ولكني أرىكم قوماً يحياون) أي إن هؤلاء خير منكم لا ياتهم وكفرهم (ويا قوم من نصركم من الله) أي من يمتني من عذاب الله (ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم (٢٨٤) عندى خزائن الله) يعني مفاتيح الغيب وهذا جواب لقولهم أتبعوك في

الآخرة بل قال الله تعالى فان طردتهم استخصموني في الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكني أراكم قوماً يحياون) ان منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وان طردهم يوجب غضب الله تعالى (ويا قوم من نصركم من الله) أي بدفع نزول سخطه عنى (ان طردتهم) فان الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلا تذكرون) أي أنتم وعتي بطردهم فلا تعظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أددى النبوة (عندى خزائن الله) أي رزقه وأمواله وهذا رد لقولهم وامرئى لكم علينا من فضل كلال (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول في أعلم الغيب حتى تسارعوا الى الإنكار والاستبعاد وهذا رد لقولهم وامرئى لكم انتمك الا الذين هم أراذلنا بادي الازى فى ظاهر حالهم وأول فكرهم وفى البطن لم يبقوا فقال نوح لهم انى انما أعول على الظاهر لانى لأعلم الغيب فاحكم به (ولا أقول انى ملك) رد لقولهم مارك الا بشرامتنا فكان نوحا قال أنال أدع للسكية حتى تقولوا ذلك اى انكم اتخذتم فقلدان هذه الأمور الثلاثة رمية الى تكذيبى والحال انى لادعى شيئا من ذلك ولا الذى ادعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالقضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول للذين يزدري عنيكم) أي ولا أقول كما تقولون فى حق الذين يتحقرهم أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) أي هداية وأجرا (الله أعلم بما فى أنفسهم) أي بما فى قلوبهم من الايمان (انى اذا قلت ذلك (لن الظالمين) لنفسى ولهم فى وصفهم بأنهم لا خير لهم مع الله أعطاهم خيراى الذين قالوا يانوح قد جدلنا فأكثر جدالنا) أي فأثبت بأنواع الجدال (فأنا بما نمدنا) من العذاب (ان كنتم من الصادقين) فياقول (قال) أي نوح (انما يأتيكم به الله) أي ان الاتيان بالعذاب الذى تستعجلونه أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعلها الله تعالى (ان شاء وما أنتم بمعجزين) أي بمانين من العذاب بالحرب أو بالدفاع كما تدفعون فى الكلام (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد الله ان يضلكم) أي ان كان الله يريد ان يضلكم عن الهدى فان أردت أن أحزنكم من عذاب الله وأدعوك الى التوحيد لا ينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هو ربكم) أي مالك التصرف فى ذاتكم وفى صفاتكم قبل الموت وعند الموت (والله) تعالى (رجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون) أي بل يقولون قوم نوح ان نوحا افترى بما أنابنا به من عند نفسه مستدا الى الله تعالى (قل) يانوح (ان افترىته) أي ان اختلقت الوحي الذى يلقته اليكم من تلقاء نفسى (قل) اجراى) أي فعل عقاب اكسافى للذين بان كنتم صادقا وكذبتموني فطعكم عقاب ذلك التكذيب (وأنا ربى) عما يجرمون أي من عقاب كسبكم الذنب باسناد الافتراء الى (وأوصى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قلأ آمن فلا تبس كما كانوا يفعلون) أي فلا تحزن بما كانوا يفعلون من التكذيب والابذاء فى هذه المدة الطويلة فقد اتى أقصاهم وحلن وقت الانتقام منهم (واضع الفلك باعينا) أي اصنع السفينة ملتبسا بايسارنا لك وتمهدنا بتعليمك كيفية صنعها (ووحينا) أي وبأمرنا لك (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) أي لا تدعني باستدعاء العذاب عنهم أو لى لارجعني فى نجاة الذين كفروا انك كنعمان وامرأك راعلة (انهم مفرقون) أي محكوم عليهم بالاغراق بالطوفان (واضع الفلك) أي أقبل نوح يصنعها

ظاهر مآرى منهم وهم فى الباطن على خلافك فقال يحياهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله أى غيوب الله (ولا أعلم الغيب) أى ما يتبعنى مما يترونه فى نفوسهم فسيبلى قبول ماظهر منهم (ولا أقول انى ملك) جواب لقولهم مارك الا بشرا مثنا (ولا أقول للذين يزدري) أى تستصغر وتستهجن (عينيكم) يعنى المؤمنين (لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم) أى بضائرهم وليس على أن أطلع على ما فى نفوسهم (انى اذللن الظالمين) أى ان طردتهم تكذيبا لهم بعد ماظهر لى منهم الايمان وقوله (ان كان الله يريد أن يضلكم) أي يضلكم ويوقع الخي فى قلوبكم لما سبق لكم من الشقاء (هو ربكم) أي خالقكم وسيدكم فله أن يتصرف فيكم كيفما شاء (أم يقولون) أي بل يقولون (افتراء) أي اختلق ما لى به من الوحي (قل ان افتر يتفعل اجراى) أي عقوبة يجرمى (وأنا ربى)

عما يجرمون) أي من السكفر والتكذيب وقوله (فلا تبس) أي لا تحزن ولا تهم (واضع الفلك) واصل وجعل بأعيننا) أي برأى منا وتأمله بحفظنا اياك أى حفظ من ريك وملك دفع السوء عنك (ووحينا) وذلك انهم يعلم صنع الفلك حتى أوصى الله اليه كيف يصنعها (ولا تخاطبني) أي لا ترجعني ولا تخو رنى (فى الذين ظلموا) أي فى امهالهم وتأخير العذاب عنهم وقوله

من الطلأ (فسوف
تعلون من يأتيه عذاب
بخيره) أي فسوف
تعلون من أخسر عاقبة
(حتى اذا جاء أمرنا) أي
بذلهم واهلاكهم
(وفار التور) بالهاء يعني
تنور الحجاز وذلك كان
علامة لنوح فركب السفينة
(فلما حمل فيها) أي في
الفلك (من كل زوجين)
أي من كل شيء له زوج
(اثنتين) ذكرًا وأنثى
(وأهلك) أي واهمل
أهلك أي ولدك وعيالك
(الامن سبق عليه القول)
يعني من كان في علم الله أنه
يفرق بكفره وهو أمر أنه
واعلة وابنه كنعان (ومن
آمن) أي واهمل من صدقك
(وما آمن معه الا قليل)
ثمانون انسانا (وقال)
نوح لقومه الذين أمر
بحملهم (اركبوا) يعني
الماء (فيها) في الفلك
(بسم الله حمزها ومرسها)
يريد بخبري باسم الله وترسي
باسم الله فكان اذا أراد
أن يخبري السفينة قال بسم
الله جرت واذا أراد أن
ترسو قال بسم الله فرست
أي ثبتت (ان ربي لنفوري)
لأصحاب السفينة (رحيم)
بهم (وهي تجري بهم في

وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه في عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح
السفينة في ستين فكان طولها ثلاثة أذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا
وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن الأسفل الوحش والسباع والمواهي في
البطن الأوسط الدواب والأفاعيد وركب هو ومن معه البطن الأعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره
(وكما مر عليه ملا من قومه) أي طبقة من كبرائهم (سخرها منه) أي كانوا يتساحكون لعمله
السفينة ويقولون يا نوح كنت تدعي رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك بخارا وكان يصنها في موضع
بيد عن لواء جند وكانوا يقولون ليس هناء ولا يملكك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار
فكانوا يصدون ذلك من باب السفن المجنونة (قال ان تسخرها منافا تسخر منكم كما تسخرن) اليوم
منا أي ان حكمت علينا بالجل فافضنا فانا نحكم عليكم بالجل فيا أتم عليهم من الكفر والتعرض
لسخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي فسوف تعلمون أينما يأتيه عذاب
في الدنيا يمينه وهو عذاب الفرق من هو أحق بالسخرية ومن هو أحمق عاقبة (ويحمل عليه عذاب
مقيم) أي وأينا ينزل عليه عذاب النار الدائم في الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا) أي عذابنا للعود به
(وفار التور) أي نبع الماء من تنور الحجاز وارتفع بشدة كما تفور القدر بقليلها يرى أنه قيل لنوح
عليه السلام اذا رأيت لواء ينفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع لواء أخبرته امرأته
فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تقيم فيه الحيز فصار الى نوح وكان من حجارا وتوهو في الكوفة
على عين الداخل على باب كنفه في المسجد (فلما حمل فيها) أي السفينة (من كل زوجين اثنتين)
وقرأ حفص من كل الباتنين أي من كل شيء زوجين اثنتين كل منهما زوج للآخر الجهور على الاضافة أي
من كل فردين مزاوجين اثنتين بأن تحمل من الطير ذكرا وأنثى ومن التمد ذكرا وأنثى وهكذا وترك
الباقى والمراد من الحيوانات التي تنفع والتي تلد أو تبيض فيخرج للضرر والتي تتشامن القوة
والتراب كالسود والقمل والبقي والبعض (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة حفص وعلى اثنين
على قراءة غيره (الامن سبق عليه القول) بأنه من الفرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في
الذين ظلموا الآية والولد به ابنه كنعان وأمه واعلة فانها كانا كافرين فحمل في السفينة زوجته
للؤمنة وأولادها الثلاثة مع نسائهم سام وحام ويافت حسان أبو العرب وحام أبو السودان ويافت أبو الترك
(ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واهمل من آمن من غير أهلك (وما آمن معه الا قليل)
وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا تصفهم رجال و نصفهم نساء وقال مقاتل في ناحية
للولصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت
بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلوة والسلام من معهم للثومتين (اركبوا فيها بسم الله) أي اركبوا
في السفينة ذا كبر اسم الله (بحريها ومرسها) أي وقت جريها وارسائها قيل كان نوح عليه
السلام اذا أراد أن يجريها يقول بسم الله تجري واذا أراد أن يرسها يقول بسم الله فترسو (ان ربي
لنفوري رحيم) أي لا تمنعني تعالى ورحمته اياكم لانكم لا تنفكون عن أنواع الزلات (وهي
تجري بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الريح الشديدة في ذلك
الوقت قال علماء السير أرسل الله تعالى للطر أربعين يوما وليلة وخرج للاء من الارض وارتفع للاء
على أعلا جبل وأطولها ربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير
السفينة (وكان في منزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبنائه واخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب

(قال سآوى) أنغمم (الى جبل يصمى) يريد بمنعنى (من الماء) فلا غرق (قال) نوح (لأعاصم اليوم من أمراهه) يعنى لمانع اليوم من عذاب الله (الامن رحم) أى لكن من (٣٨٦) رحم الله فانه معصوم (وحال بينهما) أى بين نوح وبين الجبل

(الوج) أى ما ارتفع من الماء (وقيل بأرض ابلى) أى اشربى (ماءك) ويأمنه ألقى) أى أمسكى عن انزال الماء (وغيض الماء) أى نقص (وقضى الأمر) أى أهلك قوم نوح وفرغ من ذلك (واستوت) السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة (وقيل) بنا) أى من رحمة الله (للقوم الظالمين) أى المتخذين من دونه المباح (ونادى نوح ربه فقال رب انى كننا (من أهل وان وعدك الحق) أى وعدتى ان وعدتى انهم فى ضمن قولك واحمل أهلك (وان وعدك الحق) أى ان كل وعد تعده لا يتطرق اليه خلف (وأنت أحكم الحاكمين) أى لأنك أعدل الحاكمين وهذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام فى غاية اللطف وهو مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام انى مضى الضر وأنت أرحم الراحمين (قال) أى الله تعالى (يا نوح انه) أى هذا الابن الذى سألتى نجاته (ليس من أهلك) الذى وعدتك أن تعجم معك (انه عمل غير صالح) أى لأن هذا الابن ذو عمل غير مرضى وقرأ الكسائى ويقول عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أى لانه عمل ممل غير مرضى وهو الشرك (فلا تدأنى ما ليس لك به علم) أى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى مطلب الاتم لقينان حصوله صواب وموافق للحكمة (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) أى انى أنهلك عن أن تكون من الجاهلين بالسؤال سعى سؤاله عليه السلام جهلا لان حب الولد شغله عن تذكر استناده من سبق عليه القول منهم بالاهلاك (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) أى أعوذ بك من أن أطلب منك من بعد هذا مطالو بأعلم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفرلى) جهلى واقبأى على سؤال ما ليس لى به علم (وترحمنى) بقبول توبتى (أكن من الخاسرين) أفعالا وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعية من نوح عليه السلام سوى اقصاه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية وانما الجأ الى الله تعالى وسأله للفرجة والرحمة لان حسنات الابرايمى للقرين (قيل) أى قال الله (يا نوح اهبط) أى ازل من السفينة (سلام) أى ملتبسا بأمن من جميع للكراهة المتعلقة بالدين (منابو بركات عليك ذلك والمعنى أنها فلا

نسألى ما ليس لك به علم يجوز مسأته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) أى أنها لا تكون من (أى) الآمين فاعتذر نوح لأفعله الله أنه لا يجوز له أن يسأل ذلك (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفرلى) جهلى (وترحمنى) أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط) من السفينة الى الارض (سلام) أى بسلامة وقيل شحية (منابو بركات عليك) وذلك

أما بالبشر لأن جميع من بني كانوا من نسله (وعلى أمهم عن مملك) أي من أولادهم وذرائعهم وهم المؤمنون وأهل السعادة إلى يوم القيامة (وأهم ستمتهم) في الدنيا يعني الأمم الكافرة من ذرته إلى يوم القيامة (ذلك) أي التبعة التي أخبرتك بها (من أبناء القريب) أخبار ما بلغ عنك وعن قومك (قاصبر) أي كاصبر نوح على أذى قومه (٣٨٧) (إن العاقبة للفتين) أي آخر الأمر بالظفر لك ولقومك كما

كان يؤمسي قوم نوح وقوله (إن أتم الافتقرون) ما أتم الكاذبون في اشراككم معه الأولاد وقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي كثير البريئ للطر (وزدكم قوة إلى قوتكم) يعني المال والولد وكان الله قد خسر عنهم للطر ثلاث سنين وأقم أرحام نسائهم فقال لهم هودان أتمتم أسيالهم بلادكم وزدكم المال والولد قالوا منكرين نبوته (ياهود ماجتنا بيينة) أي بحجة واضحة وقوله (الاعتراك) أي أصابك ومسك (بعض ألهتنا بسوء) أي يحنون فأفسد عقلت فالتى تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التشهير (قال) نبي الله عند ذلك (إني أشهد الله واشهدوا أني برى مما تشركون من دونه) أي إذا كانت عندكم الأسماء عاقبتى لطعن عليها فاني أزيد الآن في الطعن وقوله (فكيدوني جميعا) أي

أي خيرات نامية عليك وهذا إشارة من الله تعالى بالسلمة من التهديد وببيل الحجابات من اللأكول والمشروب (وعلى أمهم من مملك) أي وعلى أمهم مؤمنة ناشئة من الذين مملك إلى يوم القيامة (وأهم) كافرة متناصلة عن مملك (ستمتمهم) مدقق الدنيا (ثم) في الآخرة (عسهم من غلبا ليم) فقوله وأهم مبتدا وجهلة قوله ستمتمهم خبر (تلك من أبناء القريب) أي تلك التفاصيل التي يساهم من الأخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحيا) أي تلك الأخبار (التي) كما كنت تعلمها أنت ولا قومك) بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل إحيائنا إليك بزول القرآن (قاصبر) على أذى هؤلاء الكفار كاصبر نوح على أذى أولئك الكفار (إن العاقبة) أي آخر الأمر بالظفر في الدنيا والقوز في الآخرة (للفتين) كما عرفته في نوح وقومه ولا غيبه أسوف حسنة (والى عاد أخاهم) أي ولقد أرسلنا إلى عاد واحد منهم في النسب نبيهم (هودا) قال يا قوم اعبدوا الله وحده (مالك من الله غيره) بالرغم صفة للعدل والجل على قراءة الكسائي صفة للفظ (أن أتم الافتقرون) أي كاذبون في قولكم إن الأسماء تستحق العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على إرشادكم إلى التوحيد (أجرا إن أجرى الأعلى التي فطرني) أي خلقتي (أفلا تتقون) أي مصيبتك للتع من عبادة الأسماء (يا قوم استغفروا ربكم) أي سلوه أن يفرلحكم ما تقدم من شرككم (ثم يوا اليه) من بعد التوحيد بأنتم على ماضى وبالزعم على أن لا تعودوا لمثله (يرسل السماء) أي للطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان (وزدكم قوة إلى قوتكم) بالمال والولد والشدة والأعضاء قبل حبس الله تعالى عنهم للطر ثلاث سنين وعقمت نسأهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تولدوا لغيرهم) أي ولا تعرضوا عما أدعوك إليه مصرين على أن أهلكم (قالوا يا هود ماجتنا بيينة) أي بمجيزة (وما نحن بتاركي ألهتنا) أي بتاركي عبادتها (عن قواك) أي لأجل قواك (وما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين بالرسالة (إن نقول الاعتراك بعض ألهتنا بسوء) أي ما نقول في شأنك إلا القولنا أصابك بعض ألهتنا بجنون لانك شتمتوا ومنعت عن عبادتها (قال إني أشهد الله) على (واشهدوا) أتم على (أنى برى مما تشركون من دونه) أي من اشراككم أله من دون الله (فكيدوني جميعا) أي فاعملوا في هلاكى أتم وألهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي لا تؤجلوني (إني توكلت على القبرينى وربكم) أي أنى فوضت أمرى إلى الله ملكى ومالككم (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان إلا هو تحت فقره وقبوتره وهو متقادر لقضائه وقدره (إنى برى مما تشركون من دونه) أي أنه تعالى وإن كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفضلهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت بالأنبياء) أي فان تعرضوا عن الإيعان والتوبة لم أعاب على تفسيرى بالإبلاغ لاني قد أبلغتكم وصرت محجوجين من الله تعالى لانكم أصرتم على التكذيب (ويستخف ربي قوما غيركم) أي يخلف ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهنا إشارة إلى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرونه شيئا) أي لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (إنى برى على كل شىء حفيظ)

احتالوا أتم وأتوا نكسر في عداوتى (ثم لا تنظرون) أي لا تؤجلوني وقوله (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي هي في قبضته وتعلمها بما شاء قدرته (إنى برى مما تشركون من دونه) أي أنه تعالى وإن كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفضلهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت بالأنبياء) أي فان تعرضوا عن الإيعان والتوبة لم أعاب على تفسيرى بالإبلاغ لاني قد أبلغتكم وصرت محجوجين من الله تعالى لانكم أصرتم على التكذيب (ويستخف ربي قوما غيركم) أي يخلف ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهنا إشارة إلى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرونه شيئا) أي لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (إنى برى على كل شىء حفيظ)

(ولما جاء أمرنا) أى بهلاك عاد (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمتنا) أى حيث هديناهم للإيمان وعصمناهم من الكفر (ونجينا هم من عذاب غلظ) يعنى ما عذب به الذين كفروا (وتلك عاد) يعنى القبيلة (جحدوا بآيات ربهم) أى كذبوها فلم يقرأوها (وعصوا رسلا) يعنى هودا والذين آمنوا معه (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) (٣٨٨)

فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا الذين وهى السموم التى تدخل من أوتفهم وتخرج من أدهارهم قرفهمم فى الجود وتصرفهم على الأرض على وجوههم فتقطع أعضاؤهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كاتنة (منوا نجينا هم من عذاب عظيم) وهو العذاب الأخرى (وتلك) القبيلة (عاد جحدوا بآيات ربهم) أى دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسلا) وجمع الرسول مع أنه لم يرسل اليهم غير هود ليان أن عصيانه عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) أى مرتفع متمرد (عنيد) أى متنازع معارض أى واتبع السفلة أمرؤفساتهم السعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل (واتبعوا) فى هذه الدنيا والجنة يوم القيامة أى جعل الابداد من رحمة الله تعالى ومن كل خير معاصيهم وملزما فى الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا برهم (الابدا لعاد) وهذا دعاء عليهم بهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وهذه عاد القديمة قوم ذات الابداد واسترح به عن عاد الثانية (والى نودا أخاهم صالحا) ونمود اسم إلى القبيلة وبين صالح وبينه خمسة أجدادو بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتي سنة ومائتي سنة (قال يا قوم اعبدوا الله وحده) (مالك من الغيرة هو أنشأكم من الأرض) فان الانسان مخلوق من لى وهو متولد من الدم وهو متولد من الأغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فاتها الحيوانية الى النبات وهو متولد من الأرض فثبت أن الله تعالى أنشأ الانسان من الأرض (واستمعكم فيها) أى جعلكم سكان الأرض وصيركم عامرين لها وأجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدقا عماركم ثم تتركونها لتبركم (فاستفروه) أى آمنوا بالله وحده (ثم نوبوا اليه) من عبادة غيره (الزى قريب) بالسلم والسمع والرحمة (محبب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) وذلك أن صالحا كان يمدل عن دينهم ويشنأ أوصانهم وكانوا يرجون رجوعه الى دين عشيرته فلما أظهر دعاهم الى الله زعموا أن رجاهم انقطع منه وقوله (مريب) أى موقع فى الرب (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته) يقول أعلمتم من ينصرنى من الله

أى واتبع السلفه الرؤساء والعنيد المعارض لك بالخلاف (واتبعوا فى هذه الدنيا والجنة) أى أؤردوفا العنة تلحقهم وتصرف معهم (ويوم القيامة) أى وفى يوم القيامة كما قال لعنوا فى الدنيا والآخرة (الان عادا كفروا ربهم) قيل برهم وقيل بنصرتهم (الابدا لعاد) يريد بدلوهم من رحمة الله وقوله (هو أنشأكم) أى خلقكم (من الأرض) أى من آدم وآدم خلق من تراب الأرض (واستمعكم فيها) أى جعلكم عمارها (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) وذلك أن صالحا كان يمدل عن دينهم ويشنأ أوصانهم وكانوا يرجون رجوعه الى دين عشيرته فلما أظهر دعاهم الى الله زعموا أن رجاهم انقطع منه وقوله (مريب) أى موقع فى الرب (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته) يقول أعلمتم من ينصرنى من الله

أى من بمعنى من عذاب الله ان عصيته أى بعديته من ربى ونعمة (فانز يدوتى غير تخشير) أى مازى يدوتى باحتجاجكم بعبادة آباءكم الأصنام وقولكم أنتم ان بعد ما يبدأ باؤنا لانسبى اياكم الى الحسارة أى كلما اعترفتم بشئ زادكم تخشيرا وقيل معنى الآية مازى يدوتى غير تخشير لى ان كنتم انصارى ومعنى التخشير التذليل والابعاد من الخير وقوله

(تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) أَي عِشُوا فِي بِلَدِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (ذَلِكَ وَعْدٌ)

(289)

أَيُّ الْعَذَابِ (غَيْرِ مَكْذُوبٍ) أَيُّ غَيْرِ

کذب وقوله (ومن خزی

یومئذ) اُی نَجیناھم من

العذاب الذي أهلك قومه

ومن الخزي الذي لزمهم

وَيَقِي الْعَارِفِيهِ مَا تُورَا عَنْهُمْ

فَالْوَاوُ فِي وَمِنْ نَسَقِ عَلٰی

محذوف وهو العذاب

(وأخذ الذين ظلموا

الصيحة) أي لما أصبحوا

يوم الرابع أتهم صنيحة

من السماء فيها صوت كل

شیء صاعقة وصوت کل

شيء في الأرض فتقطعت

فلو بهم في صدورهم

(ولقد جاء مرسلنا) يعني

الدولة الإسلامية

(إبراهيم) على صورة
الأخلاق (التي هي)

الأصبيح (بالعبري)
الرسالة من الله (قالا)

سَلَامًا) أَعْمَلُوا سَلَامًا

(قال سلام) أعزكم

سلام (فما لث أن حام

بموجب (جینڈ) ای مشوی

(فلما رأى أيديهم لاتصل

(إليه) أي إلى العجل

(فکر) ای انکرم

(وأوجس منهم خيفة)

أَيُّ أَضْمَرٍ مِنْهُمْ خَوْفًا وَلَمْ

يَأْمَنُ أَنْ يَكُونُوا جُلَاةَ الْبَلَاءِ

لَمَّا يَتَغَنُوا بِطَعَامِهِ

فلما رأوا علامة الخوف

على وجهه (قالوا لا تخف

انا أرسلنا الى قوم لوط)

أى بالعذاب { واحمرأته }

قوم لوط وذلك أنها خافت

فليس عليكم كلفة في مؤنتها وكانت هي تنفعهم ولاتضرهم لأنهم كانوا يقيمون بلبنها (ولا عسوها بسوء) أى لاتضر يوها ولا تطردوها ولا تقز يوها بشئ من السوء (فياخذكم عذاب غرب) أى عاجل لا يترأخ عن مسك لحاب السوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فقرعوا) أى قتلها فدار بن سالف ومصدق بن زهر وقيل زينت عقرا لم غيرة أم غم وصدقة بنت المختار فضر بها فقلو بأمرهم في رجلها فأوقعها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وستمائة دار (فقال) لهم صالح يصدقن لها (يتمنوا) أى عيشوا (في داركم) أى في بلادكم (ثلاثة أيام) من القرأ الأرباء والخمس والجمعة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع يوم السبت وما أقاموا ثلاثة أيام لأن الفصل رعى ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد رعايته فدخلها ولما عقروا الناقة أنذرهم صالح بن ذول العذاب ورغبهم في الإيمان فقالوا يا صالح وما علامة العذاب فقال نصير وجوهكم في اليوم الأول مصفرة وفي الثاني حمرة وفي الثالث مسودة وفي الرابع يأتيكم العذاب صبيحة (ذلك) أى في أول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعذير مكتوب فلما جاء أمرنا) أى عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أى ونجينا صالحا والذين آمنوا معه من العذاب النازل بقوم الكافرين ومن الخزي الذى لزمهم وبقى العيب منسوباً إليهم لأن معنى الخزي العيب الذى ظهر فضيخته ويستعيا من مثله وقرأ الكسائي ونافع في رواية ورش وقالون هنا وفي العارج يومئذ ففتح لليم لاضافة يوم إلى إذ وهو معنى فيكون مبنياً والباقيون بكسر الليم فهما لاضافة يوم إلى الجلة من اللبتا والخبر فلما قطع للضاق اليعن اذنون ليدل التنوين على ذلك ثم كبرت النال لسكونها وسكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم إلى اللبني أن يكون مبنياً لأن هذه الاضافة غير لازمة (ان ربك هو القوي العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب إلى الكافر وصان أهل الإيمان عنه وهذا التحيز لا يصح الا لمن القادر الذى يقدر على قهر طوائع الأشياء فجعل الشيء الواحد بالنسبة إلى انسان بلاد وعذاباً بالنسبة إلى انسان آخر راحة وريحاًنا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أى صيحة جبريل فصدحوا عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الأرض تقطعت قلوبهم في صدورهم فانوا أجمعا (فأصعبوا في ديارهم جاعين) مبتين لا يتحركون ولا يضطر بون عذاباً تداوز وللعذاب ساطعين على وجوههم (كأن لم ينشأ فيها) أى كأنهم لم يقيموا في بلادهم فانهم صاروا رمادا (الا ان تعود كفروا ربهم لا بندا لنمود) قوم صالح من رحمة الله (ولقد جاء بنو سلنا إبراهيم من اللاتكة جبريل ميكائيل واسرافيل بالنبى) أى متلبسين بالشارة لهبالا ومن سارة (قالوا اسلمنا) أى سلمنا عليك سلاماً (قال سلام) أى قال إبراهيم آمسى سلاماً لى سلمت من دغاير السلامة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الناريات بكسر السين وسكون اللام (لما لبث) أى إبراهيم (أن جاء بعجل) أى في الحىء بولد بقرة (حينئذ) أى مشوى على حجارة محمأة في حفرة في الأرض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لاتصل إليه) أى العجل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس) أى أدرك (منهم خيفة) وظن أنهم لصوص حيث لم يأتوا كلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) منيلاً إبراهيم (انارسلنا) بالعذاب (إلى قوم لوط) وهو ابن هاران أخى إبراهيم (وامرأته قائمة) تخمد الاضاني وتسمع مقالهم وإبراهيم عليه السلام جالس معهم (فضحكك) أى ففرحت سارة بوال الخوف عها وعن إبراهيم وبجصول البشارة بمحصل الولد وبهلاك أهل الفساد وقال مجاهد وعكرمة أى لحضرة سارة عند فرحها بالسلامة

سارة (فائمة) وراء الدترتفع الى الرسل (فصحيكت) سرورا بالامن حين قالوا لا تخف انا اؤرسلنا الى قوم لوط وذلك انها خافت
 كخائف ابراهيم فعيل لها يايتها الضاحكة ستلدن غلاما فذلك قوله

(فبشرناها باسحاق ومن ورا اسحاق) أى بعده (يعقوب) وذلك أنهم بشر وها بأنهما تمشي إلى أن ترى ولولدها (قالت يا بلى أألدو أنا عجوز) وكانت بنت تسع وتسعين (وهذا بلى شيخا) وكان ابن مائة سنة (ان هذا) الذى تذكر من ولادى على كبر سنى ومن بلى (لثى عجيب) أى معجب (٣٩٥) قالوا (تعجبين من أمر الله) أى من قضاء الله وقدرته (رحمة الله وبركاته عليكم

من الخوف فلما ظهر حوضها بشرت بحصول الولد (فبشرناها باسحاق) على ألسنة رسلنا وأما نسبت البشارة لسارة دون سيدنا ابراهيم عليه السلام لأنها كانت أشوق إلى الولد منه لأنها كانت لم يأتها ولد قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل اسحاق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء اسحاق يعقوب) قرأه ابن عمر حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أى وهنبا يعقوب من بعد اسحاق والباقيون يرفع على الابتداء أى ومن بعد اسحق يعقوب مولود (قالت يا بلى) هى كلمة تقال للتعجب عند أمر عظيم أى يذلى احضر فهذا أو ان حضورك (ألد وأنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بلى) أى زوى (شيخا) ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) أى حصول الولد من هريمن مثلنا (لثى عجيب) بالنسبة إلى سنة الله تعالى للسوكة فيما بين عباده ومقصودها استعظام نعمة الله تعالى عليها فى ضمن الاستعجاب المعادى لاستبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أى لللائكة لمسرة (تعجبين من أمر الله) أى من قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أى بأهل بيت ابراهيم أى رحمة الله الواسعة لكل شئ وخبراته الفاضلة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لتفارقكم فإذا رأيتم أن الله خرق العادات فى تخصيصكم بهذه الكرامات العالية فكيف يليق به التعجب (انه حميد) أى فاعل ما يستوجب الحمد وموصل الصدى إلى الطبع إلى مراده (حميد) أى كريم لا يمنع الطالب من مطلوبه (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى بمجادلنى قوم لوط) أى فلما زال عن ابراهيم الخوف وحصله السرور بسبب مجيئ البشرى بحصول الولد جادل رسلنا فى شأن قوم لوط حيث قال لللائكة حين قالوا انهم هلكوا أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أنهم لكونها قالوا لا قال فأر بعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل مسلم أنهم لكونها قالوا لا فشد ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الامراته كانت من الخافين (ان ابراهيم عليهم) أى غير عجول على كل من أساء إليه فلذلك طلب تأخير العذاب عنهم رجاء أقدامهم على الايمان والثبوت عن المعاصى (أواه) أى كثير التضرع إلى الله عند وصول الشدائد إلى التضرع (منيب) أى رجاء إلى الله فى إزالة ذلك العذاب عنهم قالت لللائكة لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى أترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر بك) باصال هذا العذاب اليهم (واتهم آتيتهم غير مردود) أى غير مصروف عنهم ولا مدفوع بمجادل ولا دعاء ولا غيرها (ولما جاءت رسلنا) أى هؤلاء الللائكة (لوطا سى بهم) أى حزن بسببهم (وضاق بهم ذراعا) أى صدرنا لانهم انطلقوا من عند ابراهيم إلى لوط عليهما السلام ودخلا عليه فى صور شبان مردحسان الوجه وخفاف أن يقصدهم قومه وأن يحجز عن مدافعتهم وبين القريتين أربع فراسخ (وقال هذا يوم عيب) أى شديد على فلما دخلت الللائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته الكافرة فأخبرت قومها وقالت تدخل دارنا قوم مارأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة منهم رسلنا لوطا سى بهم)

أهل البيت (يعنى بيت ابراهيم فكان من تلك البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من ابراهيم وسارة وكان هذا دعاء من الللائكة لهم وقوله (انه حميد حميد) أى محمود فى أفضاله حميد أى كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى الفزع (وجاءته البشرى) أى بالولد (بمجادلنا) أى أقبل وأخذ بمجادل رسلنا (فى قوم لوط) وذلك أنهم لما قالوا لابراهيم انهم هلكوا أهل هذه القرية قال لهم أرايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أنهم لكونهم قالوا لا قال فأر بعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الآية فهذا معنى جداله ومنذ ذلك قالت لللائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى عن هذا الجدل وخرجوا من عنده فأبوا قرية قوم لوط وذلك قوله (ولما جاءت رسلنا لوطا سى بهم)

أى حزن بمحببتهم لأنهم فى أحسن صورة خفاف عليهم قومه وعلم أنه يحتاج إلى المدافعة عنهم وكانوا قد أتوه فى صورة الأضياف (وضاق بهم ذراعا) صدرنا (وقال هذا يوم عيب) أى شديد ولما علم قومه بمجىء قوم حسان الوجوه أضيافا لوط قصدها داره وذلك قوله

(وجاء قومهم برعون اليه) أى يسرعون (ومن قبل) أى من قبل عبيتهم الى لوط (كانوا يسلون السيئات) يعنى فعلهم للسكر (قال ياقوم هؤلاء بناتى) أزويكموهن (فهن أظهر لكم) من نكاح الرجال أراد (٣٩١) أن ينفى أضافه يئانه (فاقوموا الله

ولا تخزون في ضيق) أى لا تفضحوني فيه لانهم اذا هجموا على أضيافه بالسكر وحلفته الفضحة (أليس منكم رجل رشيد) أى بأمر بالمعروف ونهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا من بناتك من حق) أى لسن لنا بأزواج فنستحقهن (وانك تعلم ما نريد) أى أننا نريد الرجال للنساء (قال لوان لم يكن قوة) أى لوان لمي جماعة أقوى بهاعليكم (أو أوى) أى أنضم (الى ركن شديد) أى شديدة تصبرى وتمنى لحلت ينيكم وبين الصية فلأمرأتك لللائكة ذلك (قالوا لوط انارسل ربك لن يصلا اليك) أى بسوء فأناحول بينهم وبين ذلك (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فى ظلمة الليل (ولا يلتفت منكم أحد) أى لا ينظر وراءه اذا خرج من قرينه (الامراتك) فلا تنس بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم (وانه يصيبها ما يصيبهم من العذاب (ان موعدهم الصبح) يعنى العذاب فقال لوط أن يدا عجل من ذلك

(وجاءه) أى لوط وهو فى بيته مع أضيافه (قومهم برعون) أى يسوق بعضهم بعضا (اليه) لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أى والحال من قبل عي هؤلاء اللائكة الى لوط (كانوا يسلون السيئات) وهى اتيان الرجال فى أديارهم أى فهم يعتادون لذلك فلاحياه عندهم (قال) أى لوط (يا قوم هؤلاء بناتى هن أظهر لكم) أى فتزوجوهن ولما ادخل لوط الى بيته فوجد امرأته وبناته على السرير فغشاها وكان فى ملته يجوز تزوج الكافر بالسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لاعلى سبيل التحقيق وكانوا يطلبونه من قبل ولا يجيبهم لغيرهم وعلم كفاهتهم لاعدائهم جواز تزويج المسلمين من الكفار (فاقوموا الله) بترك الفواحش (ولا تخزون في ضيق) أى لا تخجلوني فى أضيافى لان مصيف الضيف يلزمه الحجل من كل فعل قبيح يصل الى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يعنى الى الحق ويرعوى عن الباطل ويرده هؤلاء الأوباش عن أضيافى (قالوا لقد علمت) يالوط (ما لنا من بناتك من حق) أى شهوة أى انك قد علمت أن لا سبيل الى لنا كحة يئناو يئناك (وانك تعلم ما نريد) من اتيان الذكران (قال لوان لم يكن قوة أو أوى الى ركن شديد) أى لوقوميت على دفعكم بنفسى أوجبت الى عشيرة قوية بالافتى بدفعكم وانما قال ذلك لانه لم يكن من قومه نسب بل كان غريبا فيهم لانه كان أولا بالعراق مع ابراهيم فلما هاجر الى الشام أرسله الله تعالى الى أهل سدوم وهى قرية عند حصص وألغى لوقوميت على الدفع لدفعكم بل أعصم بنبأ الله تعالى (قالوا) أى هؤلاء اللائكة (يالوط انارسل ربك لن يصلا اليك) بضربا ففتح الباب ودعوا اياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجنانه وجوههم فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون اتجهوا لنجاه فان فى بيت لوط قوماسحة (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فاخرج مع أهلك نصف الليل لتستبقوا العذاب الذى موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد الامراتك) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع أى لا يتأخر عنكم أحد الامراتك واعل للناقصة والباقيات بالنصب والنفى ولا ينظر أحد الى امرأته ومن أهلك الامراتك وانما هو عن الالتفات ليسرعا فى السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن اذنى وقفة وهذه القراءة تقتضى كون لوط غير مأمور بالأسراء بهاقراءة الرفع تقتضى كونه مأمورا بذلك (انمصبها) أى امرأتك (ماصاحبهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أى ان وقت عذابهم وهلاكهم الصبح لان وقت الراحة ففعال العذاب حينئذ أقطع وهذا تعليل للتهنى عن الالتفات للسرعة بالهت على الاسراع (أليس الصبح بقرىب) وهذا تأكيذا لتعليل فان قرىب الصبح داع الى الاسراع فى الاسراء للتباعد عن مواضع العذاب (فلما جاء امرأتا) أى وقت عذابنا وهو الصبح (جئنا ناعليا) أى على قرى قوم لوط وهى خمس مديان فيها أثر بعمائة ألف ألف (سافله) روى أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه الواحد تحت مديان قوم لوط وقلمها وصعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء تهيق الحار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنسفى ثم هجره ولم ينسكب لهم اناء ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الارض (وأمرنا ناعليا) أى على أهل تلك القرى الخارجين عنها فى الأسبقار وغيرها (حجارة من سجيل)

بل الساعة جابر بل فقال له (أليس الصبح قرىب فلما جاء امرأتا) أى عذابنا (جئنا ناعليا سافله) وذلك أن جبريل أدخل جناحه تحتها حتى قلمها وصعد بها الى السماء ثم قلبها الى الأرض (وأمرنا ناعليا حجارة) قبل قلبها الى الأرض (من سجيل) أى من ملين طبع حتى صار كالآجر فهو تنسكل بالعارسية وعرب وقوله

(منضود) أى يتلو بعضه بعضا (مسومة) أى معلمة علامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا (عندرك) أى فى خزائنه التى لا يتصرف فى شئ منها إلا بإذنه (وماهى من الظالمين بعيد) يعنى كفار قرىش يرهبهم بها (والى مدين) ذكرنا تفسير هذه الآيتين سورة الاعراف وقوله

(٣٩٢)

التطقيف مع ما نعلم الله به عليكم من المال ورخص الأسعار (وانى أخاف عليكم عذاب يوم يحيط بوعدهم عذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد (وياقوم أوفوا للكيل والميزان بالقسط) أى أعموا بالعدل (بقيت الله) أى ما بقى الله لكم بعد إيفاء الكيل والوزن (خير) من التخسير يعنى من تعجل النفع (ان كنتم مؤمنين) أى يشترط الايمان لانهم انما يعرفون صحة ما يقول اذا كانوا مؤمنين (وما أنا عليكم بحفيظ) أى لم أؤمر بقتالكم واكرهكم على الايمان (قالوا يا شبيب أصولك تأمرك أن تترك ما يسد آباؤنا) يريدون دينك بأمرك أى فى دينك الأمر بهذا (وأأن نفع فى أموالنا ما نشاء) أى من البخل والظلم وقص للكيل والميزان (انك لأنك الحليم الرشيد) أى السفيه الجاهل وقال الحليم الرشيد

أى من طين متحجر (منضود) أى كان بعض الحجارة فوق بعض فى النزول (مسومة) أى مخططة بالسواد والحمر والياض أى كان عليها علامة تتميز بها عن حجارة الأرض (عندرك) أى فى خزائنه التى لا يتصرف فيها أحد الا هو (وماهى من الظالمين بعيد) أى ما هذه الحجارة من كل ظالم بعيد قاتهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أى فان الظالمين حقيق بأن تمطر عليهم (والى مدين) أى وأرسلنا الى أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام (أخاهم) فى النسب (شعبيا قال ياقوم اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شيئا (مالك من الله غيره ولا تنقصوا للكيل والميزان) أى لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (انى أراكم بخير) أى ملتبسين بسمة تنكيك عن النقص (وانى أخاف عليكم) ان لم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم يحيط) أى يحيط بكم ولا يفلت منكم أحد (وياقوم أوفوا للكيل والميزان) أى أعموا (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بها (ولا تشوا فى الأرض فاسدين) أى ولا تعملوا فى افساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة افساد مصالح أنفسكم (بقيت الله خبر لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطقيف (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى مقابلتى لكم وقرى: تقية الله بالفوقية أى تقواه تعالى عن العاصي (وما أنا عليكم بحفيظ) أى أحفظكم من القبايح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لم تتركوا هذا العمل القبيح انما انتم عنكم (قالوا يا شبيب أصولك تأمرك أن تترك ما يسد آباؤنا أو أن نفع فى أموالنا انشاء) وقوله أو أن نفع معطوف على ما يبعد وأو يعنى الواو والنعى هل صلاتك تأمرك بتكليفك بان تترك عبادة ما يبعد آباؤنا من الأوثان وترك فعلنا انشاء من الأخذ والاعطاء والزيادة والنقص روى أن شعبيا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلى تفاخروا ونضاحكوا فقصوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخريه (انك لأنك الحليم الرشيد) أى كنت عندنا مشهورا بأنك حليم رشيد فكيف تنهانا عن دين الفينا من آباؤنا (قال ياقوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده باعته بلا كدنى (رزقا حسنا) أى مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم أن أخون فى وجهه وأن أخالفه فى أمره ونهيه وهذا الجواب مطابق لقولهم لسيدنا شعب انك لأنك الحليم الرشيد فكيف يأتى بك مع حليمك ورشدك أن تنهانا عن دين آباؤنا فكان شعبيا قال ان نعم الله تعالى عندى كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف يلبق بى مع كثرة نعم الله تعالى على أن أخالف أمره ومعنى الآية على هذا الوجه ياقوم أخبرونى ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا أستعصى به عن الظالمين أبيض أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تدرون (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى ليس مرادى أن أمنعكم عن التطقيف

وأن

على طريق الاستهزاء (قال ياقوم أرايتم) أى أعلمتم (ان كنت على بينة) أى بيان وحجة

(من رى فى ورزقنى من رزقا حسنا) أى حلالا وذلك انه كان كثير المال وجواب ان محذوف على معنى ان كنت على بينة من ربي ورزقنى المال الحلال أتبع الضلال فأجس وأخلف بى بدان الله قد اغناه بالمال الحلال (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى لست أنهاكم عن شئ وأدخل فيه وإنما أختار لكم ما أختار لنفسى

(ان أريد أي مآريد (الا اصلاح) أي فبا يتي وينكم يعني أن تصبوا القودحه وتعلوا ما يضل من يخاف الله (ماستطعت) أي بقدر طاقتي وطاقته الابلاغ والاذنار ثم أخبر أنه لا يقدر هو ولا غيره على الطاعة الا بتوفيق فقال (وما توفقي الا بقائه عليه) نوكلت واليه أنيب) أي أرجع في المعاد (ويا قوم لا يجرمكم شقاق) أي لا يكسبكم خلافي وعداوتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة (مثل ما أصاب قوم نوح) من التفرق (أوقوم هود) من الرعي العقيم (أوقوم صالح) من الرفعة (٣٩٣) والصيحة (وما قوم لوط منكم بعيد) أي في الزمان الذي بينكم وبينهم

وكان اهلاكم أقرب (واستغفروا ربكم) أي اطلبوا منه الغفرة (ثم توبوا اليه) أي توبوا اليه بالنية (ان ربي رحيم) أي بأوليائه (ودود) أي محب لهم (قالوا يا شبيب ما نفقه) أي انهم لم يفهموا كثيرا مما يقول أي محته بمنون ما يذكر من التوحيد والبهت والشور (وايا لزيك فينا ضعيفا) لأنه كان أعمى (ولا رهطك) أي عشيرتك (رجناك) أي قتلناك (وما أنت علينا بعزيز) أي بمتع (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يريد أمتع عليكم من الله كأنه يقول حفظكم إياي في الله أولى منكم في رهطى (واخذتموه ورأكم ظهريا) أي التفتيموه ورأهم ظهوركم واستمتعتم من قتلي خفاة قوي والله أعز وأكبر من جميع خلقه (ان ربي بماتهم حيا)

وأن أفعله (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) أي مآريد الآن أصلحكم بموعظتي مدة استطاعتي للاصلاح لا أقصر فيه وللعني انكم تعرفون من حالتي لآسئ الا في الاصلاح وازالة الخسومة حتى انكم أقدمتم بآتي حليم وشديد فلما أنتمكم بالتوحيد وترك ايمان الناس قاعلوا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه ايقاع الخسومة فانكم تعرفون أي أفض ذلك الطريق ولا أدور الاعلى ما يوجب الصلاح بقدر طاقتي وذلك هو الابلاغ والاذنار (وما توفقي) أي ما قدرني على تنفيذ كل الأعمال الصالحة (الا بالله) أي الا بمجوته وهدايته (عليه توكلت) أي عليه تعالى اعتمدت في جميع أموري (واليه أنيب) أي عليه أقبل (ويا قوم لا يجرمكم شقاق) أي لا تكسبكم معاداةكم (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من التفرق (أوقوم هود) من الرعي العقيم (أوقوم صالح) من الصيحة (وما قوم لوط منكم بعيد) أي وما خبر اهلاكم قوم لوط بالحرف منكم بعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الأمم الملعونة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدني واهلاكم أقرب الاهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الأوثان (ثم توبوا اليه) عن التنجس (ان ربي رحيم) أي عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أي محبهم (قالوا يا شبيب ما نفقه كثيرا ما نقول) أي ما نفهم مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا في حاورهم سبيلا سوى المنع عن طريق الحق كما هو ديدن الفهم المحجوج (وانا لراك فينا) أي فبا يتي (ضعيفا) أي لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان أرادوا بك سوء (ولا رهطك) أي لولا رحمتك (رجناك) أي قتلناك بسبب كونهم على ملتنا (رجناك) أي قتلناك بالحجارة ولستمناك وطردناك (وما أنت علينا بعزيز) أي معظم فيسهل علينا قتلناك وابدائك وانما تمتنع من ذلك لرعاية حرمة عشيرتك لموافقهم لنا في الدين لا لقوة شوكتهم (قال لهم يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) وللعني حفظكم إياي رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم إياي رعاية لحق رهطى فالله تعالى أولى أن ينجع أمره (واخذتموه ورأكم ظهريا) أي جعلتم الله شيئا منبؤذا خلف ظهركم نفسيا لاجبا به (ان ربي بما تعملون) من الأعمال السيئة (عجبا) أي عالم فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم عليها (ويا قوم اعلموا على مكاتسكم) أي على غايها استطاعتكم من افعال الشر والى (اني عامل) بقدر ما أتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يوم هو كاذب) أي سوف تعرفون الشقي الذي يأتيه عذاب يهلكه والذي هو كاذب في ادعاء القوة والقدرة على جرم شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعيف (وارتقبوا) أي انتظروا عاقبة ما قول (اني معكم قريب) أي منتظر (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا (نجينا شعبا والذين آمنوا معه) من ذلك العذاب (برحمة منا) أي بسبب رحمة كائنة من الله (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل

أي خير بأعمال السابحة بجازيهم بها ثم هددهم فقال

(٥٠) - (تفسير مراح لبيد) - أول

(ويا قوم اعلموا على مكاتسكم) الآية يقول اعلموا على ما أتت عليه (اني عامل) على ما أتابعه من طاعة الله وسفرون منزلتكم من منزلتي وهو قوله (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يفضحه ويذل (ومن هو كاذب) أي منا (وارتقبوا) أي معكم قريب) أي ارتقبوا العذاب من الله اني مرتقب من الله الرحمة وهو قوله (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فتوافي أمكنتهم

الأحكام (وسلطان ميين) أي وحجة بينة وهي العصا (ومأمر فرعون برشيد) أي برشد إلى خير (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم إلى النار وهو قوله (فأوردتهم النار) أدخلهم (وبئس الورد للورود) أي للدخول (وأبعوا في هذه الدنيا لعنة) يعني الترقى (ويوم القيامة) يعني لعنة يوم القيامة وهو عذاب جهنم (بئس الرفد للرفود) يعني اللعنة بعد اللعنة وقوله (منها قائم وحصيد) أي من القرى التي أهلكت قائم بقيت حيطانه وحصيد أي غصونه به قد حذى أثره (وما ظلتناهم) أي بالعذاب والإهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعصية (فاأغنت عنهم) أي مانفتهم وما دفعت عنهم (آلتهم التي يدعون) أي يعبدون (من دون الله) أي سوى الله (وما زادهم) أي وما زادتهم عبادتهم (غير تنبيذ) أي بلاء وهلاك وخسارة (وكذلك) أي وكما ذكر من إهلاك الأمم (أخذر بك) أي بالعقوبة (إذا أخذت القرى) وهي

والزلازة أيضا فأهلكوا بها (فأصبحو في ديارهم جائنين) أي مبتئين ملازمين لما كنهم (كان لم يفضوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا في ديارهم أحياء مترددين (ألا بعدا لمدن) أي هلاك القوم شيب (كما بدت نمود) أي كاهلكت قوم صالح أي فانها أهلكت بنوع من العذاب وهو الصيحة إلا أن هؤلاء صبح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا أهل قرية شيب وأما أصحاب الآية فأهلكوا بجناب الظلة وهو نار زلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أي ولقد أرسلنا موسى بالتوراة مع ما فيها من الأحكام وأيدناه بمعجزات ظاهرة دالة على صدق نبوته ورسالته (إلى فرعون وملكه) أي جماعته (فاتبعوا أمرا فرعون) أي أمره أباهم بالكفر بموسى ومعجزاته (ومأمر فرعون برشيد) أي برشد إلى خير فإنه كان دهر يافيا للسانع والمعاد وكان يقول لاله العالم وأما يجب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم (يقدم قومه) أي يقود قومه جميعا (يوم القيامة فأوردتهم النار) أي أن فرعون كان قدوة لقومه في الضلال وفي دخول البحر والفرق في الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة في دخول النار والحرق (وبئس الورد للورود) أي بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد أغار أدلتسكن الطنن ويبرد الأكباد والنار على ضد ذلك (وأبعوا) أي للبلاد الذين تبعوا أمرا فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة) من الأمم بعدهم إلى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل اللوقت قاطبة (بئس الرفد للرفود) أي بئس العون للعان عنهم أي بئس اللعنة الأولى للعان باللعنة الثانية عنهم. وهي اللعنة في الدارين وسميت اللعنة عونا لأنها إذا تبعهم في الدنيا أبعدهم عن رحمة الله وأعانتهم على ما هم فيه من الضلال وسميت رفدا أي عوناً لهذا المعنى على التهمك وسميت معانا لأنها أرفنت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين إلى طريق الجمع (ذلك) أي الذي ذكرناه في هذه السورة من القصص السبعة (من أبناء القرى) قصص عليك (أي ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجناية أهلها مقصود عليك لتخبر به قومك لعلهم يتوبون والافيزل بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة (منها) أي القرى (قائم) أي أثر باقي (و) منها (حصيد) أي ذاهب الأثر فشب ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما بقي منها بالزرع المحصود (وما ظلتناهم) بالعذاب والإهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فاأغنت عنهم آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء) للمجاهد أمر بك (أي فما نقصهم أصنامهم الذين يعبدونها في شيء) البتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم حين جاءهم (وما زادهم غير تنبيذ) أي وما زادت الأصنام عبادهم غير إهلاك فان الكفار كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تنفعهم على تحصيل النافع ودفع المضار ثم زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب إليهم مضار الدنيا والآخرة فكان ذلك من أعظم موجبات الحسران وقرى آلتهم الآلات بالجمع ويدعون بالبناء للجحور (وكذلك) أخذر بك إذا أخذ القرى وقرأعاصم والجحدرى إذا أخذ بألف واحدة (وهي ظلمة) أي ومثل ذلك الأخذ للذكور أخذ ربك أهل القرى إذا أخذهم وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أي أن كل من شارك أولئك المتقدمين في فعل مالا ينبغي فلا بد وأن يشاركهم في ذلك الأخذ (ان أخذه أليم شديد) أي وبيع صعب على المتأخوذ لا يرجي منه الخلاص (ان في ذلك) أي القصص السبعة (آية) أي لموعظة (لن خاف عذاب الآخرة) فيتتبع بسبب هذه القصص ويعلم أن التقدير على إزالة عذاب الدنيا

ظالمة) يعني أهلها (ان في ذلك) يعني ما ذكره من عذاب الأمم الحالية (آية)

أي ليعبرة (لن خاف عذاب الآخرة)

ذلك يوم مجموع له الناس) لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم (وذلك يوم يهود) أي يشهد بالبر والفاجر (وما تؤخره) أي وما تؤخر ذلك اليوم ولا تقسمه عليكم (الأجل معدود) أي لوقت معلوم لا يبلغه أصغر الله (يوم يأت) أي ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا بإذنه فمنه شق) أي فمن الأنفس في ذلك اليوم شق (وسعيد فاما الذين شقوا في النار لم فيها زفير وشهيق) وهما من أصوات السكران بين الحز و بين الفزير مثل أول نهيق الحمار والشهيق آخره (٣٩٥) اذا رددته في الجوف (خالد بن قيس) فاما مات

السموات والأرض

أبدا وهذا من ألفاظ

التأييد (الامام شاربك)

يعني أن يخرجهم ولكنه

لا يشاء ذلك والمضى لوشاء

أن لا يخلطهم بقدر وقيل

الامام شاربك أن يخرجهم

يعني الامتداد مكنهم في

الدنيا والبر زخ والوقوف

لحساب ثم يصبرون

الى النار أبدا وقوله (عطاء

غير مجنون) أي مقطوع

(فلا تكل) يا محمد (في

مرية) أي في شك

(عما يبعد هؤلاء) أي

من حال ما يبعدون

في أنها لاتضر ولا تنفع

(ما يبعدون الا كما يبعد

آبائهم من قبل) أي

الاكباد آبائهم يريد

أهم على طريق التقليد

يبعدون الأذن كعبادة

آبائهم (وانا لموفوهم

نصيهم) من العذاب

(غير منقوص ولقد

آتيناهم موسى الكتاب

فاختلف فيه) هذه الآية

تزيه للبي صلى الله عليه

وسلم وتسليه له باختلاف قوم موسى في كتابه (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عن قومك (القصي بينهم) أي لعجل

عقابهم وفرغ من ذلك (وانهم في شك منه) أي من العذاب (مرتب) أي موقع للريبة (وان كلا) من البر والفاجر والمؤمن

والكافر (لا) بمعنى لمن في قول الفراء وفي قول البصريين منازلة والمعنى وان كلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أي لينمن

لهم جزاء أعمالهم

قادر على ازال عذاب الآخرة فان في هذه القصص عذاب البارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أي يوم الآخرة (يوم مجموع له الناس) أي يجمع في ذلك اليوم الأولون والآخرين للحاسبة والجزاء (وذلك يوم مشهود) أي يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما تؤخره) أي ذلك اليوم (الا لاجل معدود) أي الا لأجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أي حين يأتي ذلك اليوم الآخر (لا تكلم نفس الا بإذنه) أي الله تعالى في التكلم طالما أذن في الكلام هو الجوابات الصحيحة والمنعوت عنه هو ذكر الاعذار الباطلة (فمنهم) أي من أهل الموقف (شق) أي من مات على الكفر وان تقدم منه إيمان (وسعيد) أي من مات على الإيمان وان تقدم منه كفر (فاما الذين شقوا في النار) أي فستقرون فيها (لهم فيها زفير) أي صوت شديد (وشهيق) أي صوت ضعيف (خالد بن قيس) فاما مات السموات والأرض الامام شاربك (والا في الماضي يعني واول العطف والاستثناء منقطع بقدر بلكن أو يسوي فالنبي دأبت في النار مثل دوام السموات والأرض متخلفت الى أن تنفي وزيادة على هذه للدة وهي ما شاء الله عما لا نهاية (ان ربك فعل لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سطوا في الجنة خالد بن قيس) فاما مات السموات والأرض الامام شاربك (أي مثل دوام السموات والأرض متخلفتنا سوى ما شاء ربك زائدا على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجنون) أي غير مقطوع وعطاء نصب على الصبرية أي يطعمهم عطاء وهذا ظاهر في أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وما ذكر من أن عذاب الكفار في جهنم دائم أبدا هو ما دل عليه الآيات والأخبار وأطبق عليه جمهور الأمة سلفا وخلفا ولا ظلم على الله في ذلك لان الكافر كان عازما على الكفر مادام حيا فهو قبيحا دائما فهو لا يقابله الله الا على دائم فلم يكن عذابه بالجزاء وفقا وقرأ حجة والكسائي وحسن عن عامر سمعوا بضم السين والباقيون يفتحها (فلا تكل) أي في مرة (عما يبعد هؤلاء) أي فلا تكل بأشرف الخلق في شك من حال ما يبعد كفار قريش من الأوثان في أنها لاتنفع لهم (ما يبعدون الا كما يبعد آبائهم من قبل) أي ليس لهم في عبادة الاصنام مستند الاقليد آبائهم فانهم أشبهوا آباءهم فلزوم الجمل والتقليد (وانا لموفوهم نصيهم غير منقوص) أي انا معطو هؤلاء الكفرة ما يخصهم من العذاب ونصيهم من الرزق والتجارب الدنياوية تماما كما أعطينا آباءهم نصباهم من ذلك (ولقد آتيناهم موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) أي في شأنه فأنهم يقولون وكفر به قوم آخرون كما اختلف قومك في القرآن فلا تخزن فان ما وقع لك وقع في قلبك (ولولا كلمة سبقت من ربك لقصي بينهم) أي لولا الحكم الاولي بتأخير العذاب عن أمك الى يوم القيامة لوقع القضاء بين المختلفين من قومك بازال العذاب التي يستحقه للباطل ليعتبر به عن الحقين وانهم أي وان كفار قومك (لن في شك) عظيم (منه) أي القرآن (مرتب) أي ظاهر التسلك وما وقع في الشك (وان كلا لا يوفينهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عامر بن مازن عن جابر بن عبد الله

وسلم وتسليه له باختلاف قوم موسى في كتابه (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عن قومك (القصي بينهم) أي لعجل عقابهم وفرغ من ذلك (وانهم في شك منه) أي من العذاب (مرتب) أي موقع للريبة (وان كلا) من البر والفاجر والمؤمن والكافر (لا) بمعنى لمن في قول الفراء وفي قول البصريين منازلة والمعنى وان كلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أي لينمن لهم جزاء أعمالهم

(فاستقم) على العمل بأمر بك والدعاء اليه (كما أمرت) في القرآن (ومن تابيعك) يعني أصحابه أي وليستقيموهم أيضا على ما أمروا (ولا تظنوا) أي تواضعا لله (أعمال بني آدم ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي لا تلتزمواهم ولا ترضوا بأعمالهم يعني الكفار (فتمسك النار) أي فصبحكم فيها (ومالكم من دون الله من أولياء) أي مانع عنكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) استئناف (وأقم الصلاة) أي الصبح والشرب (وزلفا من الليل) أي صلاة النهار (والليل والليل وقيل صلاة طرفي النهار الفجر والظهر والعصر وأما المغرب والشاء فانهما من صلاة زلف الليل (ان الحسنات يذهبن السيئات) أي ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب اذا اجتنبت الكبائر (ذلك ذكرى) أي هذه موعظة (لذا كرين واصر) أي على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني الصالحين (فلولا كان من القرون من قبلكم) أي ما كان منهم (أولوا بقية) دين وتميز وفضل (بنون) عن الفساد في الأرض)

(٣٩٦)

وأبو عمرو والكسائي شدا ان وخفقا لما وحزنا وابن طاهر وحقق شدوهما أي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين والله لفرق بوفيهم بك أجرة أعمالهم وألغى وان جميعهم والله ليوفيهن الآية قالوا وأحسن ما قيل ان أصل لما بالنون يعني جميعا (انه بما يعملون خيرا) أي ان ربك بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشرع لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وان دقت (فاستقم كما أمرت) أي مثل الاستقامة التي أمرت بها في العقائد والأعمال والأخلاق فان الاستقامة في العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان وفي الأخلاق التبعاد عن طرفي الافراط والتفریط وهذا في غاية العسر وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيئين يهود وأخواتها فقال نعم فقلت وبأي آية فقال بقوله تعالى فاستقم كما أمرت (ومن تابيعك) من الكفر وشاركك في الإيمان فمن منصوب على أنه مفعول معه أو مرفوع عطوف على الضمير في أمرت (ولا تظنوا) أي لا تتحرفوا عما حدلكم بأفراط أو تفریط فان كلا طرفي قصد الأمور مذموم (انه بما تعملون بصير) فيجاز بكم على ذلك (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تتبعوا أدنى ميل إلى الذين وجد منهم الظلم (فتمسك النار) أي فتصبيحكم بسبب ذلك (ومالكم من دون الله من أولياء) أي من أنصار ينقذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون بالكون للنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركته في شيء من تلك الأروبا فأمدا خلفهم لدفع ضرر أو اجتلاب منقعة عاجلة فغير داخل في الركون (وأقم الصلاة طرفي النهار) أي غداة وعشية فالصبح في القدوة والظهر والعصر في العيشة (وزلفا من الليل) أي ساعته قريبة من النهار وهي المغرب والشاء (ان الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) أي يكفرن بها وفي الحديث ان الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر روى أن أبا اليسر بن عمر والأنصاري قال أتتني امرأة تشتري تمرا فقلت لها ان في البيت تمرا أطيب من هذا فدخلت معي البيت فقبلتها فأثبت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استرعي نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأثبت عمر فذكرت ذلك له فقال استرعي نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر حتى أثبت رسول الله ﷺ فنكرت ذلك له فقال لي أختبر جلا غلازا في سبيل الله في أهله بمثل هذا وأمر قريش رسول الله ﷺ طويلا حتى نزلت هذه الآية فقرأها على فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت (ذلك) أي القرآن (ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتقين وأوذلك الحسنات كفارات لذنوب التائبين (واصر) يا أشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي ان الله يوفى الصابرين أجور أعمالهم من غير محض أصلا (فلولا كان من القرون من قبلكم) أولوا بقية بنهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أتجبنائهم (والراد بالتحضيض التقي أي فما كان من القرون الماضية الهلكة بالذناب جماعة أصحاب جودة في العقل وفضل بنهون عن الفساد الا قليلا وهم من أتجبنائهم من الذناب نهو عن الفساد (وتابع الذين ظلموا ما أتروا فيه) أي أتبع الذين تركوا النهي عن المنكرات عما نعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أي كافرين فان سبب استئصال الأمم الهلكة فشو الظلم وشيوع ترك النهي

أي عن الشرك والاعتداء في حقوق الله تعالى والمصيبة (الا قليلا) يريد لكن قليلا

عن (عن أتجبنائهم) وهم أتباع الأنبياء وأهل الحق نهوا عن الفساد (وتابع الذين ظلموا ما أتروا فيه) أي أتروا الذنات على أمر الآخرة وركنوا إلى الدنيا والأموال وما أعطوا من نعيمها

(وما كان ربك ليهلك القرى) أي أهلها (بظلم) أي شرك (وأهلها مصلحون) أي فيما ينهمس أي ليس من سبيل الكفر إذا قصدوا الحق في المصلحة أن ينزل الله بهم عذاب الاستئصال كقوم لوط عذبوا (٣٩٧) بالواط وقوم شعيب عذبوا ببخس للكيل (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي مسلمين كلهم (ولا يزالون مختلفين) أي في الأديان (الامن رسم ربك) يعني أهل الحق (ولذلك خلقهم) أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة لرحمة (ولا نقص عليك) أي كل التي تحتاج اليه (من أنباء الرسل) أي نقص عليك (ما ثبت بهؤلاء) أي ما تقرر به قلبك لتصير على أدنى قولك وتأسى بالرسول الذين خلوا من قبلك (وجاءك في هذه) الأنبياء القصص عليك (الحق) أي البراهين الباطنة على التوحيد والتبوة (وموعظة) أي تنفير عن الدنيا (وذكرى للؤمنين) أي إرشاد لهم إلى الأعمال السالحة (وقل للذين لا يؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكاتمتكم) أي تأتيتن على حاكمكم وهي الكفر (أنا عاملون) على حالتنا وهي الإيمان أولئك أضلوا كل ما تقرر ون عليه في حق من الترفن عن عاملون على قنرتنا والمراد بهذا الأمر التهديد (واتظروا) مما يهدمكم الشيطان به من الخذلان (أنا منتظرون) ما وعدنا الرحمن من أنواع النيران والأحسان (ولقد غيب السموات والأرض) فان علمه تعالى نافذ في جميع الكليات والجزئيات والحاضرات والقائبات عن العباد (والله يرجع الأمر كله) أي أمر الخلق كله في الدنيا والآخرة (فاعبدوه) أي فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحية أما العبادات الجسدانية فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السكبات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحية فغهي الفكر والتأمل في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت السموات والأرض (وتوكل عليه) أي ثق به تعالى في جميع أمورك فانه كافيك (ومار بك بغافل عما تعملون) وقرنا فاعواين عامر ونقص بالتاء على الخطاب أي فانه تعالى لا يضيع طاعتك للطغيين ولا جهل أحوال التمردين الجاحدين وذلك بأن يحضرنا في موقف القيامة ويحاسبنا على التقير والتقصير ويماتبنا في الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الأمر فر يقر في الجنة وفر يقر في السعير

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية هي مائة وأحدى عشرة آية. وألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة. وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وعن ابن عباس أنه قال سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولدوه وشأن يوسف فزلت هذه السورة (ال تلك الكتاب البين) أي تلك الآيات التي نزلت إليك في هذه السورة فإسائة الر هي آيات الكتاب البين وهو القرآن الذي بين الهدي وقصص

والأرض) أي علم ما غاب عن العباد فيها (والله يرجع الأمر كله) أي في المادحت لا يكون لأحد سواه أمر البتة ومار بك بغافل عما يعملون) أي أنه يجزي الحسن بأحسنه والسيء بأسأته ﴿تفسير سورة يوسف عليه السلام﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) أنا الله الرحمن (تلك) أي هذه (آيات الكتاب البين) أي للحلال والحرام والأحكام بين القرآن

(انا أنزلناه) يعني الكتاب
(قرأ ناعرياً) أي بلسنة
العرب (لعلكم تعقلون)
أي كي تفهموا (نحن نقص
عليك أحسن القصص)
أي نبين لك أحسن البيان
(بما أوحينا) أي بإحساننا
(اليك هذا القرآن وان
كنت من قبله لنافلين)
أي وما كنت من قبل أن
يوحى اليك إلا من التافلين
(اذقار) اذكرك اذ قال
(يوسف لأبيه ياأبت اني
رأيت أحد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لي
ساجدين) رأى يوسف
هذه الرؤيا فلما قصها على
أبيه أشفق عليه من حسد
اخوته (قال يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان
الشیطان للانسان عدو مبين)
أي يحتالوا في هلاكك
لأنهم يعلمون تأويلها
(وكذلك) أي ومثل
ما رأيت (بجنتيك ربك)
أي يصطفيك ويختارك
(ويعلمك من تأويل
الأحاديث) أي يفسر
الأحلام (وَيُثَمِّمُهُ
عَلَيْكَ) بالنبوة (وعلى
آل يعقوب) يعني المختصين
منهم بالنبوة (كما آتينا) أي
النبوة (على أبويك من
قبل إبراهيم واسحق ان
ربك علم) حيث يضع
النبوة (حكيم) في خلقه

الأولين (انا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه
تقولون) أي لكي تفهموا معانيه في أمر الدين فتعلموا أن قصه كذلك من لم يتسلم القصص
معجز لا يتصور إلا بالاجتهاد (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي
بسبب إيماننا اليك يا كرم الرسل هذه السورة لمافية من العبر من أنه لا مانع من قدرة الله تعالى
وأن الحسد بسبب الاختلاف وأن العبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أي وإنه أي الشان كنت
من قبل إيماننا اليك هذه السورة (لمن التافلين) عن هذه القصة لا تخشى بياك ولم تفرع سمعك
قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يا بني أي قال يعقوب يا بني وقت قول يوسف له كبت وكيت أو بدل
من أحسن القصص بدل اشتال (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام
(ياأبت اني رأيت) في المنام النهار (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال
وهب رأي يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طولا كانت مركوزة في
الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلتها فذكر ذلك لأبيه فقال اياك أن تذكر
هذا لا تخونك ثم رأى وهو ابن ثني عشرة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه
فقال لا تذكرها لهم فينبوا لك التوائل روى عن جابر رضي الله عنه أن يهودا جاء إلى الرسول الله
ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأيها يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
فزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم يهودا إذا ذكرت بك بذلك هل تسلم فقال
نعم قال جبريل والطارق والذئال وقابس وعمودان والقلبي وللصبح والفرغوخ والفرغوخ ووثاب
وذلكاكتين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر زلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إني
والله أنها لأسوأها (قال) أي يعقوب ليوسف في السر (يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا) أي فافعلوا لأجل هلاكك كيذا خفياعن فهمك لاتصدى لبدافسته (ان الشيطان للانسان)
أي لبي آدم (عدو مبين) أي ظاهر المداوة فلا يقصر في اضلال اخوتك وحملهم على الحسد
والاخير فيه كما فعل بآدم وحواء واخوة يوسف الذين يخشى غوائلهم الأحد عشر هم يهودا ورؤيل
وشمعون ولاوي ورون وبنون ويشجر ودينه فهو لاء بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفثال
وجاد وأشر فهو لاء بنوه من سرتين زلفة وبلهة وأما بنيامين فهو شقيق يوسف وأمه راحيل التي
تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أي كاجتنابك لهذه الرؤيا الدالة على كبر شانك
(بجنتيك ربك) قنبوة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي تعبيرها رؤيا ذاهي الأحاديث لللك
ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (وَيُثَمِّمُهُ عَلَيْكَ) بسعادات
الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فالأكثر من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع في المال والجاه
والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة
والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي أولاده (كما آتينا) أي نعمته (على
أبويك من قبل) أي من قبل هذا الوقت (إبراهيم واسحق) عطف بيان لأبويك (ان ربك
علم حكيم) قاله أعلم حيث يجعل رسالته ومقدم عن اللعب فلا يضيع النبوة الا في نفس قسيسة وهذا
يقضي حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا ان رؤيا يوسف اخوته كواكب خليل على مصيرهم
إلى النبوة فان الكواكب تهدي بانوارها وكانت تأويلها بأحد عشر نفسا لم يفضل يستضيء ببلهم
ودينهم أهل الأرض لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وأما واقع منهم في حق يوسف فهو قبل النبوة

(لقد كان في يوسف واخوته) أي في خبرهم وقصتهم (آيات) أي عبر وأعاجيب (للسائلين) أي الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأخبرهم بها وهو غافل عنهم يقرأ كتابا فكان في ذلك (٣٩٩) أوضح دلالة على صدقه (انذالوا)

بني أخوة يوسف (ليوسف وأخوه) لأبيه وأمه (أحب إلى أبنائنا ونحن عصبة) أي جماعة (ان أبنائي ضلال مبين) أي ضل بإيثاره يوسف وأخاه علينا ضلال خطأ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) أي في أرض يبعد فيها عن أبيه (يخلسكم وجه أيكم) أي يقبل بكنيته عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) ثم تحدثوا توبة بعد ذلك يقبلها الله منكم (قال قائل منهم) وهو يهوذا الكبر اخوة (اقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب) أي في موضع مظلم من البئر (يلتقطه بعض الناطرين) أي مارة الطريق (السيارة) أي مارة الطريق (ان كنتم فاعلين) أي ما قصدتم من التفرق بينه وبين أبيه فلما تأمروا بينهم ذلك وعزموا على طرحه في البئر (قالوا) لأبيهم (مالك لا تأتانا على يوسف) أي لم تخافنا عليه (يوسف) أي لم تخافنا عليه (والله أعلم) أي في الرحمة والبر والشفقة (أرسله) منعادرا رجع ولبس) أي يسى وينشط (واناله لحافون) أي من كل ما

فالعصمة من العاصي إنما اعتبر وقت النبوة لا قبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم (آيات) أي عبرات (للسائلين) أي لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو للسائلين لأدب المتعبرين بها فاتهم للتفوق بهادون من عداهم (انذالوا) أي بعض العشرة لبعضهم (ليوسف وأخوه) الشقيقين بنيامين بكسر الباء وفتحها (أحب إلى أبنائنا ونحن عصبة) أي وأحال أنا جماعة قاطمون بدفع الفاسد والأفات مستغلون بتحصيل النافع والخيرات وقاطمون بحال الأب فتمن أحق بزيادة الهبة منهم بالفضل بذلك وبكوننا أكبر سنا ونقل عن علي رضي الله عنه أنقرا ونحن عصبة بالنسب (ان أبنائي ضلال) عن رعاية الصالح في الدنيا (مبين) أي ظاهر الحال وإنما خصص على يوسف وأخوه بالبر لأنه كان يرى فيهم آثار الرشيد والتجربة ما لم يجد في سائر الأولاد ولأنه وإن كان صغيرا كان يخدم أباه بأشياء من الخدمة أعمل ما كان يصدر عن سائر الأولاد قال شععون ودان والباقران كانوا راضين الامن قال لاقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخلسكم وجه أيكم) أي يقبل عليكم أبوك بكنيته ولا يلتفت إلى غيركم (وتكونوا من بعده) أي من بعد يوسف من قبله وأقربيه في أرض بعيدة (قوما صالحين) أي تائبين إلى الله تعالى من الكبائر ومتفرقين لإصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أيكم بإصلاح ما بينكم وبينه (قال قائل منهم) أي من أخوة يوسف هو يهوذا فإنه أقدمهم في الرأي والفضل وأقربهم إلى يوسف سنا (اقتلوا يوسف) وقال قتادة القاتل لأخوته رويل حتى قال القتل كبيرة عظيمة (والقوم غيابة الجب) أي في قبره وقرأ نافع غيابة الجب في التوضيح قال قتادة الجب هنا هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الأردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (يلتقطه بعض السيارة) أي يرفعه بعض طائفة تسيير في الأرض (ان كنتم فاعلين) يشعرون ولم يقطع القول عليهم بل إنما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلوبهم وحسرا من نسبتهم إلى الآليات أوان كنتم فاعلين ما عزمتم عليهم من الزلل من عند أبيه ولا بد فاضلوا هذا القدر أي القاء في البئر والاولى أن لا تنفكوا شيئا من القتل والتفريق (قالوا) لأبيهم أعمالا للحيلة في الوصول إلى مقاصدهم مستهينين على وجه التعجب لا تعلم منهم السوء وهذا مبني على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستيق ونصيد وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فإله فوقك يعقوب فقالوا له (يا أبانا مالك لا تأمن على يوسف) أي أي شيء حببتك لا تجعلنا أشاء عليه مع أمه وأخواتك أبونا ونحن نبوك (و) الحال (اناله لناصرحون) أي لما طفون عليه قاطمون بصلحته وبحفظه أي هم أظهرها عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) إلى الصحراء (نرم) أي نضع في كل القواكه ونحوها (ونلعب) بالاستباق والاتصال تمرينا لقتال الأعداء والافتداح على الباحث لأجل انشراح الصدر لآلهو وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي بمشنة تحشية على إسناد القتل ليوسف لانهم سألوا إرسال يوسف معهم ليخرج هو بالعبال لغير حوايه (واناله لحافون) من أن يناله مكروه (قال في ليعزتي أن نذهبوا به) أي ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لأصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب في تلك الأرض (وأتم عنه غافلون) لا يشتغلون بالإنعاش واللذو وبحال التناسل (قالوا) لأبيهم (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة كثيرة عشرة تكفي المخطوب بأرثنا (انالوا) أي أذا لم تقدر على حفظ

تحفاه (قال في ليعزتي أن نذهبوا به) أي ذهابكم به يحزني لانه يفارني فلأراه (وأخاف أن يأكله الذئب) وذلك أن أرضهم كانت مذبة تحفه (واتم عنه غافلون) أي مشغولون بعيشكم (قال لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة تحضره (انالوا)

أخينا (الخامسون) أى لقوم عاجزون وهذا جواب عن عزير يعقوب الثانى وأما عزير الاول فلم يجيبوا عنه ليكون غرضهم إيقاعه فى الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له فتناقروا عنه (فلمأذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب) أى فأرسله معهم فلمأذهبوا به وعزموا على قتله فى ظلمة البئر فجعلوه فيها قال السدى ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهرها له العداوة الشديدة وجعل هذا الأخ يصير به فيستغيث بالآخر فيضرب ولا يرى فيه رحما فضر به حتى كادوا يقتلوه وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بانيك لأبكاك فقال يهوذا ليس قد أعطيتكمونى موتا أن لا تقتلوه فاطلقوا به إلى الجب بدلوه فيه وهو متعلق بشفير البئر فزعروا قبيصه وكان غرضهم أن يطلخواه بالدم ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قبضي لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا لتؤنسك ثم دلوه فى البئر حتى اذبلخ نصفها ألقوه ليجوت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى شجرة فقام بها وهو يصيح فنادوه فظن أن رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فقام يهوذا فسمعهم من ذلك وكان يهوذا يأتميه بالطعام وفى بقى ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما أتى فى الجب قال يا شاهد اغير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وروى أن أباهم عليه السلام لما أتى فى التارجد عن ثياب بقاءه جبريل عليه السلام بقميص من حر الرخمة وألبسها به فدفعه أباهم إلى اسحق ودفعه اسحق إلى يعقوب فجعل يعقوب فى حمية وعلقها فى عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجهم من الحمية وألبسها به وروى أن جبريل قال له اذاربت شيئا فقل يا صريح المسترخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين فترى مكافئ وتعلم حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته اللاتكة واستأنس فى الجب (وأوحينا إليه) فى الجب إزالة الوحشة عن قلبه وتيسيرا له مما يؤول إليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (التبتهم بأمرهم هذا) أى تخبرن يا يوسف اخوتك بصيغهم هذا بك بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) فى ذلك الوقت أنك يوسف حتى تخبرهم لما وشأ أنك وبسلكك عن أوهامك والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه الحنة ويصبرون تحت قهره وقدرته (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) أى لما طرحوه يوسف فى الجبر جمعوا إلى أبيهم وقت العشاء فى ظلمة الليل متباكين وقرئ عشيا بالتصغير لعشى أى آخر النهار وقرئ عشي بالضم والقصر جمع أعشى فشد ذلك فزع يعقوب وقال هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال وأتى يوسف (قالوا يا أبانا اناذهبنا نسبق) يسابق بعضنا بعضا فى الرى روى أن فى قراءة عبدالله اناذهبنا نتفضل (وتركنا يوسف عند متاعنا) من ثياب واد وغيرهما لم يحفظه (قال كله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) أى يصدق لنا فى هذه المقالة (ولو كنا صادقين) أى لو كنا عندك موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت تسمى الظن بنا غير واثق فهلنا (وجاءوا على قبيصه) أى فوق قبيص يوسف (يدم كذب) أى يدم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أى جاءوا كاذبين أو مفعول له وقرئ عاتشقرضى الله عنها يدم كذب بالبدال الهمزة أى كسر أو طرى (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى قال يعقوب ليس الأمر كما تقولون بل زيف لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون قيل لما جاءوا على قبيصه يدم جذى وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص صحى فقال كذبتم لوأكله الذئب فخرق قبيصه وقال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلهوه وتركوا قبيصه وهم إلى قبيصه أخرجوه منه إلى قتله وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أياها الذئب أنتما كذبتا ولدى وغرة فؤادى فأنطق الله عز وجل وقال والله ماأكلت ولدك ولا رأيت قط ولا يحل لنا أن نأكل

الخامسون) يعنى لما جزون
(فلمأذهبوا به وأجمعوا أن
يجعلوه فى غيابة الجب)
أى وعزموا على ذلك
(وأوحينا إليه) أى إلى
يوسف فى البئر تقوية قلبه
للمصدق رؤى بالذئب ولخبر
اخوتك بصيغهم هذا بعد
اليوم (وهم لا يشعرون)
أى بأنك يوسف فى وقت
اخبارك إياهم (قالوا يا أبا
نا اناذهبنا نسبق) أى نشدد
ونضبو لنعم أينا أسرع
عدوا (وتركنا يوسف
عند متاعنا) أى يابنا
(قال كله الذئب وما أنت
بمؤمن) أى بمصدق (لنا)
ولو كنا صادقين) أى فى
كل الأشياء لاهتمت فى
هذه القصة (وجاءوا على
قبيصه يدم كذب) لأنهم
يصدقن دمه إنما كان دم
سخلة (قال) يسقوب
(بل) أى ليس كما تقولون
(سولت لكم) أى زيفت
لكم (أنفسكم) فى شأنه
(أمرا) غير ما تصفون

(جبل) وهو الذي لا جريح

فيه ولا لشكوى (والله

السمتان على ماتفون)

أي به أستعين في مكابدة

هذا الأمر (وجاءت سيارة)

أي رفقة تسير للسفر

(فأرسلوا واردهم) وهو

الذي يرسله لبسقي للقوم

(فأدلى دلو) أي فأرسلها

في البئر فقتبث يوسف

بالرشاء فأخرجه الوارد فلما

رآه (قال يا بشرى) أي

يا فرحتا (هذا غلام

وأمره بضاعة) أي أمره

الوارد ومن كان معه من

التجار عن غيرهم وقالوا

هي بضاعة استبضعناها

بعض أهل الماء (والله

علم بما يصلون) أي

يوسف فلما علم أخوته

ذلك أتوهم وقالوا هذا

عبدنا أتى منافقوا لهم

فبيعتوا فباعوه منهم

فذلك قوله (وشروه بثمن

بخس) أي حرام لأن من

الحرام (درهم معدودة)

أي باثنين وعشرين درهما

(وكانوا) يعني أخوته

(فيه) أي في يوسف (من

الزاهدين) أي لم يعرفوا

موضعه من الله وكرامته

عليه (وقال الذي اشتراه

من مصر لأمراه) وهو

الوزير صاحب ملك مصر

(أجكرى شواه) أي

أحسن إليه طول مقامه

لحم الأنبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت في أرض كنعان قال جئت لبعث اللحم قراية في فأخذوني
وأثروا في اليك فأطلقه يعقوب (قصر جميل) أي صبري صبر جميل أو قصر جميل أولى من الجزع
وهو أن لا يشكو البلاء لأحد غير الله تعالى (والله للسمتان) أي للطالوب منه العون (على
ماصفون) أي على تحمل ماصفون من هلاك يوسف وكان الله تعالى قد مضى على يعقوب أن
يوصل إليه تلك التعموم الشديدة والمنوم الطيبة ليكره رجوعه إلى الله تعالى وينقطع خلق فكره
عن الدنيا فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة والقدأ علم
(وجاءت سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين يردون مصر فأخذوا الطريق فأطلقوا يعقوب
في الأرض حتى وقفوا في الأراضي التي فيها الحب وهي أرض دوتن بين مدين ومصر فزفوا عليه
(فأرسلوا واردهم) أي أساقم لطلب لهم الماء وهو من يهيئ الأرشية والبلاد فيقدم الرفقة إلى الماء
يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ابن أخي سيدنا شعب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين
(فأدلى دلو) أي فأرخص دلو في جب يوسف فتعلق هو فلم يقدر الساق على زرع من البئر فنظر فيه
فرأى غلاما قد تعلق بالبلو فنادى أصحابه (قال يا بشرى) أي يا صاحبي وقال الأعمش اندعأمرأته اسمها
بشرى وقال السدي أن نادى صاحبها واسمها بشرى كما قرأه حمزة وعاصم والكسائي جبرياء للتكلم
بعد الألف المقصورة وقال أبو علي الفارسي والوجه أن يجعل البشرية اسم البشارة فنادى بذلك بشارة
لنفسه كأنه يقول يا أيها البشرى هذا الوقت وفك ولو كنت ممن يخاطب لحوطب الآن ولأمرت
بالحضور وبدل على هذا قراءة الباقي يا بشرى افتح باب التكلم بمدايها على الإضافة قالوا ماذا لك
يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من العلمان فكان يوسف حسن الوجه جمدا للعرض
اليمين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خفيف البطن صغير السرة
وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحه وإذا أنكم ظهر من ثيابه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا
عليه فأخرجوه من الحب بملكته فيها ثلاثة أيام (وأمره بضاعة) أي أخفوه حال كونه متاعا لتجارة
أي كتم الوارد الماء وأصحابه من بقة التقوم وذلك لأنهم قالوا ان قلنا للسيرة التلقضاء شاركنا فيه وان
قلنا اشتريناه سألونا الشكر فالا صوب أن تقول ان أهل الماء جملوه بضاعة عندنا على أن يبيعهم بمصر
(والله علم بما يصلون) أي بما يشأمن عمل أخوة يوسف ليوسف من إيقاعه في البلاء الشديد وهو
سبب لوصوله إلى مصر وتلقفه في أحوال إلى أن صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رأف النوم فرحم الله
به العباد والبلاد (وشروه) أي باع يوسف من استخرجوه من البئر (بمن بخس) أي حرام (درهم
معدودة) فاتهم في ذلك الزمان كانوا الإزنون ما كان أقل من أربعين درهما (وكانوا) أي الباقون
(فيه) أي في يوسف (من الزاهدين) أي من الذين لا يرغبون لأنهم خافوا أن يظهر للسمتن
في زرع من يدهم فذلك باعوه من أول مسام بأوكس الثمان (وقال الذي اشتراه من مصر)
أي في مصر من مالك بن ذعر وكان اشتراه بشرى من درهما وحلة وتلين فألقى اشتراها في مصر
هو قطير خازن الملك الريان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد آمن لللك بيوسف ومانق حياة
يوسف عليه السلام فلما بعده قابوس بن مصعب فباعه يوسف إلى الاسلام فأى واشترى ذلك الوزير
يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوفى ريان بن الوليد وهو ابن
ثلاثين سنة وتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة
(لأمراه) زليخا وقال ابن اسحق اسمها راعيل بنت رعياليل (أجكرى شواه) أي أجلى
منزله عندك كرميما حسنا مرضيا والفتى أحسن تعهد (عسى أن ينفعنا) أي يقوم بإصلاح
منزله عندك كرميما حسنا مرضيا والفتى أحسن تعهد (عسى أن ينفعنا) أي يقوم بإصلاح

(أوتخذوه ولدا) وكان حصورا لايوبله (٤٠٢) (وكذلك) أي وكما نحيبناه من القتل والبئر (مكننا ليوسف في الأرض)

مهماتنا (أو نتخذوه ولدا) أي تبناه وكان قطيعا لآي النبي (وكذلك مكننا ليوسف في الأرض)
 أي وكما نحيبنا يوسف من القتل والجوع وجعلنا قلب الوزير حنوا عليه نطعمه مكانة أي رتبة عالية في
 أرض مصر (ولنغله من تأويل الاحاديث) أي تعبير بعض النامات التي أعظمها رؤى الملك وصاحب
 السجن وهذا عطف على مقدر متعلق بكننا أي جعلنا يوسف ووجهه بين أهل مصر ومحبيها قلوبهم
 لينشأ منه ما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولتغله بعض تأويل الرؤى (واقطع قلبه على أمره) أي
 أمر نفسه لأنه فقال لما يريد لدافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه (ولكن أكثر الناس)
 وهم الكفار (لا يعلون) أن الأمر كله لله وأن قضاء الله غالب فن تأمل في أحوال الدنيا عرفت ذلك
 (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والأربعين (آتيناهم حكما وعلما) أي حكمه عملية وحكمة
 نظرية وإنما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لأن أصحاب الرياض يشتغلون بالحكمة العملية
 ثم يتفرقون منها إلى الحكمة النظرية وأما أصحاب الأفكار العقلية والافانظر الروحية فأنهم يصلون
 إلى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول
 لأنه صبر على البلاء والحنة ففتح الله تعالى عليه أبواب الكاشفات (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء
 العجيب (ينجزى المحسنين) أي كل من عصى في عمله وعن الحسن من أحسن عبادته ربه في شيبته
 آتاه الله الحكمة في اكتفائه (ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت زليخا من يوسف
 أن يجامعها (وغلقت الأبواب) أي أبواب البيت السبعة ثم عدته إلى نفسها (وقالت هيت لك)
 فرأنا مع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهمزة وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء
 وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن عمار عن أبي عامر هيت بكسر الهمزة والمهملة الساكنة وضم
 التاء والباقيون بفتح الهاء واسكان اليا وفتح التاء وابن قريء هيت بفتح الهاء والتاء وضم التاء فعنه
 تعال وبادر أنالك وان قرأت بكسر الهمزة والمهملة الساكنة وضم التاء فعنه تهيأت لك (قال)
 يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذًا عما يدعيني اليه (انه) أي الشأن العظيم (ربي) أي
 سيدي العزيز (أحسن مثواي) أي تعهدني حيث أمرك بأكرامى فلا يلبق بالعقل أن أجزيه
 على ذلك الاحسان بالحياتة في حرمه (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي المجازون للاحسن
 بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أي قصت زليخا غائلة يوسف مع التصميم وقصد غائلتها
 بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل
 الحقيقي بالمدح والأجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا المم وهذا قال
 بعض أهل الحقائق المهم قسبان هم ثابت وهو إذا كان معه عز وعقد ورضائلهم امرأة العزيز
 فالبعد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطر وتحدث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف
 عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل (لولا أن رأى برهان ربه) أي لولا أن أيقن
 بحجة ربه الملة على كمال قبح الزنا وجواب لولا لا يخوف في لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا
 لجري على موجب ميله الجلبى لكنه حيث كان البرهان الذي هو الحكم والعلم حاضرا لديه حضور من
 يراد بالعين فلم يهم أصلا والحاصل أن هذا البرهان عند المحققين للثبوت لصحة الأنبياء هو حجة الله تعالى
 في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب والرد البرهان حصول الاخلاق الحميدة وتذكير
 الاجوال بالرداع لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل إن البرهان هو النبوة المانعة من اتیان الفواحش

يعني أرض مصر حتى بلغ
 ما بلغ (ولتغله من تأويل
 الاحاديث) أي فلما ذلك
 نصدا يقول أيوب يملك
 من تأويل الاحاديث (واقطع
 قلبه على أمره) أي على
 ما أراد من قضائه لا يغلبه
 على أمره غالبولا يبط
 ارادته منازع (ولكن
 أكثر الناس) وهم
 للشركون ومن لا يؤمن
 بالقدر (لا يعلون) أن
 قدر الله غالب ومشيته نافذة
 (ولما بلغ أشده)
 ثلاثين سنة (آتيناهم حكما
 وعلما) أي عقلا وفيها
 (وكذلك) أي ومثل
 ما وصفنا من تطعيم يوسف
 (ينجزى المحسنين) يريد
 الصابرين على التواب كما
 صبر يوسف (ورأودته التي
 هو في بيتها عن نفسه) يعني
 امرأة العزيز طلبت منه
 أن يوافقها (وغلقت
 الأبواب) أي أغلقتها
 (وقالت هيت لك) أي هلم
 وتعال (قال معاذ الله) أي
 أعوذ بالله أن أفعل هذا
 (انه ربي) أي إن الذي
 اشتداني هو سيدي
 (أحسن مثواي) أي أنتم
 على ما كرامتي فلا أخونه
 في حرمته (انه لا يفلح
 الظالمون) أي لا يستعمل الزنا
 (ولقد همت به وهم بها) أي طمعت فيه وطمع فيها (لولا أن رأى برهان ربه) وهو ما تمثله يعقوب غاضا على أصابعه
 يقول أفضل عمل العباد وأنت محكوب في الأثنياء فاستجيبه وجواب لولا لا يخوف على معنى لولا أن رأى برهان ربه بلامضي معهم به

وقيل انه عليه السلام رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشاً وسامعياً ولما اذنبوا
نسبوا العصية الى يوسف فقالوا انهم رأى يعقوب عاصياً على ابيه اياهم وهتف به هتاف وقال له لامل
عمل السفهاء واسمك في ديوان الانبياء وتخل به يعقوب فغضب في صدره فخرجت منه من انامله
أو رأى كفا من غير ذراع مكتوب فيه وما تعلمان من عمل الاكنا عليكم شهود الآية (كذلك)
أى مثل ذلك التثبيت بنبأه (لصرف عنه السوء) أى مقدمات الفاحشة من القيلة والنظر بشهوة
(والفحشاء) أى الزنا (انه من عبادنا الخالصين) فراه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر الهمزة
في جميع القرآن أى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى والباقيون يفتح الهمزة أى الذين اخبرهم الله تعالى
لطاعته بأن عصمهم عما هو قادر فيه أو اخلصهم من كل سوء (واستبقا الباب) أى ناسبا إلى الباب
البراني الذى هو المخلص فان سبق يوسف فتح الباب لا يخرج وان سبقت زليخا أمسكت الباب منع
الخروج (وقيت قبضه من دبر) أى شقت قبض يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه
فقلها يوسف وخرج وخرجت خلفه (وألقيا سيدها) أى صادفازوجها فطير (لدى الباب) أى
البراني روى كعب رضى الله عنه انه لما هرب يوسف عليه السلام صر فرائش القفل يثارت حتى خرج
من الأبواب (قالت) لزوجها خاتمة من التهمة (ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً) قيل ان يوسف
أراد أن يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك بالنسبة اليها جار يجرى السوء كرت كلاميهما
ثم خافت أن يقتله العزيز وهى شديدة الحيلة فقالت (الآن يسجن أو عذاب أليم) أى ليس جزاؤه
الا السجن أو الضرب الجميع وانما أخرت ذكر الضرب لان الحب لا يشتهي ايام المحبوب وانما
أرادت أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف أما الحبس الطويل فلا يجرب عنه هذه العيلة
بل يقال يجب أن يعمل من السجونين (قال هى راودتني عن نفسي) ولم يقل هذا لولاك لفرط
استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ التوبة ولم يكن يوسف يريد أن يهتك سترها ولكن
لما لطخت عرضه احتاج الى إزالة هذه التهمة عن نفسه فصرح بالأمر فقال هى طالبتني للوادة
(وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن داية زليخا وابن خالها وكان عمره شهرين أعطته الله تعالى
لبراءة يوسف وروى أن العزيز اشترى يوسف بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه لؤلؤاً ووزنه مرجاناً
ووزنه مسكاً ووزنه غير افعالذهب بالى البيت شفتت به زليخا فقالت لحاضتها ما الحيلة فقالت لها
يا سيدنى لو نظر اليك لكان أسرع حياضك اليه ولو رأى حسنك وجمالك وصفاء لونك ما قرره
قرار دونك فقالت وكيف ذلك فقالت مكنتني من الأموال فقالت خذائى بين يديك فغضى ما شئت
لاحساب عليك وأمرت باحضار أهل البناء والمهندسة وقالت أريد يثارى الوجه فى سقفه فى حيطانه
كما يرى فى المرأة المبقولة فقالوا نعم فبنوا لها بيتاً من القيطون فلما تم دعته للصوم وأمرته بصنع سرير
من ذهب مرصع بالجواهر والياقوت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صورة يوسف وزليخا
متمتا قين ثم زينت زليخا وخرجت الى يوسف مستحجلة وقالت يا يوسف أجيب يدك فانها تدعوك
بيتها القيطون وكان سمعاً مطيعاً وكان يده مقبض من ذهب يلعب به فرياه وأسرع لباب البيت فلما
وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالسر وأراد الرجوع فأمر عز زليخا ليومر به لئلا يرضع عييه
وأمر قرياسو بكى حياضه من الله تعالى وراوته عن نفسه فأى فقالت لم تخلف امرى فقال خوفنا من الله
وأكراما لسيدي الذى أحلى محل أولاده فقال أما الهك فأنا أعطيك جميع الأموال صدق بهار لك
ليغفر لك هذا الذنب وأما سيدك فأنا أطعمه السم حتى يمهرى لحمه وأكون أنا وأموالى ملكك فقام
وبادر الى الباب من غير أن يكون بينه وبينها سبب من الأسباب جديته من قبحه من خلقه وهو فار

(كذلك) أى أن يراه

البرهان (لصرف عنه

السوء) وهو خيانة صاحبه

(والفحشاء) ركوب

الفاحشة (انه من عبادنا

الخالصين) أى الذين اخلصوا

دينهم لله (واستبقا الباب)

وذلك أن يوسف لما رأى

البرهان قام مبادراً الى

الباب وابتغى المرأة نفي

التثبت فلم تصل الا الى

دبر يحميه فقدته (وألقيا)

ووجد زوج المرأة عند

الباب فحضرها فى الوقت

كيد فأوهت زوجها أن

الذى سمع من العذوة

للبيادة الى الباب كان

منها لامن يوسف (قالت

ماجزاء من أراد بأهلك

سوءاً) تريد الزنا (الا أن

يسجن) أى يحبس فى

السجن (أو عذاب أليم)

أى بالضرب فلما قالت ذلك

غضب يوسف (وقال هى

راودتني عن نفسي وشهد

شاهد) أى وحكم بما كرم

وبين مبين من أهلها

وهو ابن عم المرأة فقال

فلما رأى قيصم من حكم
الشاهد وبيانه ما يوجب
الاستدلال به على تميز
الكاذب من الصادق فلما
رأى زوج المرأة قيصم
يوسف (قد من دبر قال
انهم من كيدكن) أى قولك
ماجزاء من أراد باهلك
سوما الآية (يوسف) أى
يا يوسف (أعرض عن
هذا) أى اترك هذا الأمر
لا تذكره (واستغفري
لذنبيك انك كنت من
الحاشرين) أى الآتين ثم
شاع ماجرى بينهما فى
مدينة مصر حتى تحدث
بذلك النساء وخضن فيه
وهو قوله (وقال نسوة فى
اللدنية امرأه العزيز راود
فتها) أى غلبها (عن
نفسه قد شغفها حباً) أى
قد دخل حبه شغاف قلبها
وهو موضع ألم الذى
يصكون داخل القلب
(انا لراها فى ضلالمين)
أى عن طريق الرشده
بحبها إياه (فلما سمعت)
أى امرأة العزيز
(بمكرهن) أى بمقالتن
وسميت بمكرها لانهن
قصدن بهذه المقالة أن
ترين يوسف ليقوم لها
الغنى حبة اذا رأت حاله
وكن يشتهين ذلك لان
يوسف وصفهن بالجمال

فوافق ذلك الوقت أن العزيز بالباب فظفر العزيز زليخا فراها مزينة حاسرة عن وجهها ونظرا لى
يوسف فراه منكن الرأس بأكى العين فوقف متحير فى أمرها ينظر البصرة واليهامرة فقالت له
ان غلامك هذا يد أن مخونك فى أهلك أى شئ جزاؤه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز
يا يوسف ما كان هذا جزاى منك أحتلك عمل أولادى وتخوننى فى أهلى فقال يوسف عليه السلام انى
شاهد ايشهدلى بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معك فى البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهدلى بالبراءة
فأوحى الله ليعزير لى أن يعطى على الطفل وشق له لسانه حتى يشهد ليعزير يوسف بالبراءة فعند ذلك تنحج
الطفل وقال أيتها الملك ان عندى فى أمرك هذا مال لك فيه فريح وخرج أنظر لى قيصم الغلام العبرانى
(ان كان قيصم قيصم قبل) أى شق من قدام (فصدقت) أى فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين)
فى قوله هى راودتنى (وان كان قيصم مقدم دبر) أى من خلف (فكذبت) أى فقد كذبت المرأة فى
دعواها (وهو من الصادقين) فى قوله هى راودتنى (فلما رأى) أى زوجها (قيصم مقدم دبر قال) لها
زوجها قطير وقد قطع بصدقه وكذبها (انه) أى هذا القنفذ فى ضمن قولك ما جزاء من أراد باهلك
سوما (من كيدكن) أى من جنس مكركن أى النساء (ان كيدكن عظيم) لأن لهن فى هذا الباب من
الحيل مالا يكون للرجال ولأن كيدهن فى هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال (يوسف
أعرض عن هذا) أى يا يوسف أعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم
بسببها واكتشف فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفري) يا زليخا (لذنبيك) الذى صدر عنك أى
توئى الى الله تعالى عار ميت يوسف وهو يرى منه (انك كنت) بسبب ذلك (من الحاشئين) فى هذا
القول الذى لا يلقى عقاب الأنبياء وكان العزيز رجلا حليفا كفى بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل
الثيرة قال فى البحر ان تر بقصر تقتضى هذا ولهذا لا ينشأ فيها الاسد لودخل فيها ما يلقى ثم أخبرت
زليخا بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالسكهم فلم يكن من بل أشمن الأمر (وقال نسوة فى المدينة)
أى أشمن الأسرى مصر (امرأة العزيز) أى للملك قطير (راودتها عن نفسه) أى وقال جماعة من
النساء وكن خمساً وهن امرأة صاحب دواب للملك وامرأة صاحب سجنه وامرأة خبازة وامرأة صاحب
مطبخه وامرأة شاقبة فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز راود عبدك الكنعانى عن نفسه وهو
يتمتع منها (قد شغفها حباً) أى قد شق فتها شغاف قلبها من جهة الحب وقرأ جماعة من الصحابة
والثابطين شغفها بالعين للهمة أى قد أحرق حبها فتها حجاب قلبها واللعنى ان اشتغلها بحبه صار حجاباً
بينها وبين كل ماسوى هذه الهبة فلا خطر بيلها الا هو (انال راها فى ضلالمين) أى انالها فى ضلال
واضح عن طريق الرشده بسبب حبها إياه (فلما سمعت بمكرهن) أى قولهن السدى لى نظرن الى وجه
يوسف (أرسلت اليهن) أى أرادت اظهار علرها فاحتجت مأدبة ودعت أربعين امرأة من أشرف
مدينتها فيهن الجنس للذكورات (وأعنت) أى أحضرت (لهن منكاً) أى وسائد يتكئ
عليها هذا ان قرئت مشددة فان قرئت مخففة فمعناها اربعة فانهم كانوا يتكئون على السائد عند
الطعام والشرب والحديث على عادة التكبير بن ولده جاء النبي عن فى الحديث وهو قوله صلى الله
عليه وسلم لا أكل منكاً (وأنت) أى أعطت (كل واحد منهم سكيناً) لاجل أكل الفاكهة
واللحم لانهم كانوا لا يأكلون من اللحم الا ما يقطعون سكاكينهم (وقالت) أى زليخا ليوسف
وهى مشغولات بأعمال الخناجر فى الطعام (اخرج عليهن) أى ابرزنهن ومر عليهن فان يوسف

(أرسلت اليهن) تدعوهن (وأعنت) أى وأعيت (لهن منكاً) أى

عليه

طعاما ما يقطع بالسكين قبل هو الأرج (وأنت) أى وتناولت (كل واحد منهم سكيناً) ليوستف (اخرج عليهن

فلما رأته أكرهه) أى أعظمته وهالمن أمره وبهت (وقطن أيديهن) أى حزنهما بالسكاكين ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف (وقطن حاشته) أى بعد يوسف عن أن يكون بشرا (ان هذا) ما هنا (٤٠٥) (الملك كرم) فلما رأته امرأت العزيز

ذلك (قالت فذلكن
الذى) أى فهو الذى
(الأتى فيه) أى فى حبه
والشغب به ثم أقرت
عندهن بماضت فقات
(وقلن راودتهن نفسه
فاستعصم) أى امتنع وبأنى
وتوعدهن بالسجن ثم قالت
(ولئن لم يفعل ما أمره
ليسجن وليكونا من
الضاعرين) فأمرنه
بطاعتهما وقلن إياك الظالم
وهى الظالمة فقال يوسف
(رب السجن أحب إلى
من يدعوتنى إليه) أى من
محببتك (والا تصرف
عنى كيدهن) أى كيد
جميع النسوة (أحب) أى
أمل (اليهن) أى كن من
الجاهلين) أى للذين
(فاستجاب له بفصرف
عنه كيدهن) حتى لم يقع فى
شيء مما يطلبن به (انه هو
السميع) لسمعته (العليم)
بما يخفى من الآثم (ثم
بداهم) أى للعزيز وأصحابه
(من بعد ما رأوا الآيات)
أى آيات براءة يوسف
(ليسجنه حتى حين)
وذلك أن المرأة قالت ان
هذا البسيفس خفى فى
الناس يخبرهم أنى راودته

عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها (فلما رأته أكرهه) أى أعظمته وهبت ودشت عند
رؤيته من شدة جماله وقبل معنى أكره أى حزن والماء لما فسكت وأضمر راجع إلى يوسف
على حلف الامم أى حزن لمن شدة الشوق وأيضا ان المرأة اذا فرغت بما أمتطنت وانها فاحضت
ويقال كبرت المرأة أى دخلت فى الكبر وذلك اذا حاضت لأنها بالحيض تخرج من حد الصغرى إلى
حد الكبر (وقطن أيديهن) أى جرحن أيديهن حتى سال الهم ولم يجدن الألم لقرط دهشتن وشغل
قلوبهن بيوسف (وقطن حاشته) أى تزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جبل مثل هذا
(ما هذا بشرا) أى ليس يوسف آدميا وقرأ ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع وقرأى ما هذا بشرى أى
ما هو بميد ملك للبشر حاصل بشره (ان هذا الملك كرم) على الله فانه قد ثبت فى القول أنه
لا شئ أحسن من الملك كاتبت فيها أن لا شئ أقبح من الشيطان وقيل ان النسوة لما رأين يوسف
لم يتلفت اليهن البتة ورأين عليه هيئة النبوة والرسالة وسيا الطهارة قلن إنا ما رأينا فيه أثر من آثار
النبوة ولا لغة من الإنسانية فهنا قد ظهر من جميع الصفات للفرقة فى البشر وقد ترقى عن حد
الإنسانية ودخل فى الملكية (قالت) أى زليخا لمن (فذلكن الذى اتى فيه) أى فهنا الذى تزيه
هو ذلك العبد الكنعانى الذى عينتنى فى الاقتناع به قبل أن تصورنه حتى تصوروه ولو خلت
صورته فى خيالكن لترككن هذه اللامة (وقلن راودتهن نفسه) حسب ما سمعن وقطن (فاستعصم)
أى فامتنع عنى بالعفة (ولئن لم يفعل ما أمره) أى ان لم يفعل يوسف مقتضى أمرى إياه من قضاء
شوقى (ليسجن) أى ليعاقب بالحبس (وليكونن من الضاعرين) أى من القليلين فى السجن فقلن
ليوسف أطع مولاناك (قال) أى يوسف مناجال به عز وجل (رب السجن أحب إلى) أى يارب
دخول السجن أحب عندى (ما يدعوتنى إليه) من مواعظها التى تؤدى إلى الشقاء والعذاب الأليم
(والا تصرف عنى كيدهن) بالثبوت على الصمت فان كل واحدة منهن كانت ترغب يوسف على موافقة
زليخا وتخوفه على مخالفتها (أحب اليهن) أى أمل إلى اجابتهن على قضية الطبيعة البشرية وحكم القوة
الشهوية (وأكنن من الجاهلين) أى وأصررن الذين لا يسمون بغيرهم (فاستجاب له به) دعاه
الذى فى ضمن قوله والا تصرف عنى إلخ فان فيه التجاه إلى الله تعالى جريا على سنن الأنبياء والصلحين
فى قصر نيل الخيرات وطلب النجاة من الشر وعلى جناب الله تعالى كقول المستغنى أدركنى
والاهلكت (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على الصمت والعفة حتى وطن نفسه على شقة
السجن (انه هو السميع) إنداء للتضرعين إليه (العليم) للثبات فيجب ما طالب منه العزم (ثم
بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) أى ثم ظهر للعزيز وأصحابه للشاركون فى الرأى من بعد ما رأوا
الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة السبي وقيل القميص من دبر وقطع النساء
أيديهن سجنه عليه السلام قائلين والله (ليسجنه حتى حين) أى إلى انقطاع عقالة الناس فى المدينة
فان زليخا لما أيسست من يوسف بجميع حيلها كى تحمله على موافقة مرادها قالت لزوجها ان
هذا العبد العبرانى فضخنى فى الناس يقولون انى راودتهن نفسه فإما أن تأذن لى فأخرج وأعتذر
اليهم وإما أن تسجنه ففسجنه (ودخل معه السجن فيان) أى عبدان لملك مصر الكبير وهو الريان بن

عن نفسه فأجسسه حتى تقطع هذه المقالة فذلک قوله حتى حين أى إلى انقطاع الأئمة (ودخل معه السجن فيان) أى غلامان لملك الأكبر
رفع إليه أن صاحب طعامه يز يدأن اسمه وصاحبه شرابه ماله على ذلك فأدخلهما السجن ورأيا يوسف يحرقان فيا قلنا لا تجر به
هذا البهائم المرائى فتعالمسان فبر أن يكونا رأيا شيا وهو قوله

الوليد العليق سبى أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسبى الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الأول مرطش والثاني برأسان وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهم شوة على أن يسا الملك في طعامه وشرابه فأجابهم إلى ذلك ثم إن السابق بنهم ورجع عن ذلك وقبل الحجاز الشوة وقسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال السابق لأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشر به أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساق اشر به فشر به فلم يضره وقال الخباز كل من الطعام فأبى فاطم من ذلك الطعام دابة فليست فأمر بحبسها فاتفق أنهما دخلا مع يوسف فلما دخل السجن جعل يشرعه ويقول في أعين الأحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى ارانى اعصر خرما) اى انى رايت نفسى أعصر عنبنا وأسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى ارانى) اى رايتنى (أحمل فوق رأسى خبزنا كل الطير منه نبتنا أوله) اى أخبرنا بتفسيره (انار يك من الحسين) اى تؤثر الاحسان وتأتى جميل الأفعال فبدل يوسف عن جواب مسألتها ودلها أولا على أنه عالم بتفسير الرؤيا فقال لا يأتيك طعام ترزقانه اى تأكلان منه في منامكما (الانباتك بتأويله) اى فى النبطه (قبل ان يأتيك) التأويل (ذلكما) على رضى اى لست أخبركم من جهة التكهون والتنجها اى ذلك يعلم من الله ثم أخبر عن ايمانه واختباره الصكر يلقى الآية وقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ يريد ان الله حصنا من أن نشرك به (ذلك من فضل الله علينا) اى اتباعنا الايمان بتوفيق الله وتفعله علينا (وعلى الناس) اى وعلى من عظمه الله من الشرك حتى اتبع دينه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) اى نعمه الله بتوحيده والاعيان بالرسول ثم دعاه الى الايمان فقال (يا صاحبي السجن) يعنى يا صاحبي كنهى (أر باب

الوليد العليق سبى أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسبى الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الأول مرطش والثاني برأسان وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهم شوة على أن يسا الملك في طعامه وشرابه فأجابهم إلى ذلك ثم إن السابق بنهم ورجع عن ذلك وقبل الحجاز الشوة وقسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال السابق لأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشر به أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساق اشر به فشر به فلم يضره وقال الخباز كل من الطعام فأبى فاطم من ذلك الطعام دابة فليست فأمر بحبسها فاتفق أنهما دخلا مع يوسف فلما دخل السجن جعل يشرعه ويقول في أعين الأحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى ارانى اعصر خرما) اى انى رايت نفسى أعصر عنبنا وأسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى ارانى) اى رايتنى (أحمل فوق رأسى خبزنا كل الطير منه نبتنا أوله) اى أخبرنا بتفسيره (انار يك من الحسين) اى تؤثر الاحسان وتأتى جميل الأفعال فبدل يوسف عن جواب مسألتها ودلها أولا على أنه عالم بتفسير الرؤيا فقال لا يأتيك طعام ترزقانه اى تأكلان منه في منامكما (الانباتك بتأويله) اى فى النبطه (قبل ان يأتيك) التأويل (ذلكما) على رضى اى لست أخبركم من جهة التكهون والتنجها اى ذلك يعلم من الله ثم أخبر عن ايمانه واختباره الصكر يلقى الآية وقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ يريد ان الله حصنا من أن نشرك به (ذلك من فضل الله علينا) اى اتباعنا الايمان بتوفيق الله وتفعله علينا (وعلى الناس) اى وعلى من عظمه الله من الشرك حتى اتبع دينه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) اى نعمه الله بتوحيده والاعيان بالرسول ثم دعاه الى الايمان فقال (يا صاحبي السجن) يعنى يا صاحبي كنهى (أر باب

(ما تعبدون) أي أنباومن
 على مثل حالكم (من دونه)
 أي من دون الله (الأساء) أي
 لا مافي وراءها (سميتوها)
 أتم وأباؤكم ما أنزل الله بها
 من سلطان ان الحكم
 (الله) أي المفضل بالأمر
 والتهى الله (ذلك الدين
 القيم) أي للستقيم (ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون)
 أي ما للطينين من الثواب
 وللعاصين من العقاب ثم
 ذكر تأويل رؤياها
 بقوله (يا صاحبي السجن
 أما أحديكم فيسقي ربه خرا
 وأما الآخر فيصلب فتأكل
 الطير من رأسه) فقلا
 ملأ أنبا شينا فقال (قضى
 الأمر الذي فيه تستفتيان)
 يعني سيقع بكما معايرت
 لكما صدقته أم كذبتا
 (وقال) يوسف (لذي
 ظن) علم (أنه نجا منما)
 وهو الساق (اذ كرفي عند
 ربك) أي عند الملك
 صاحبك وقيل له ان في
 السجن غلاما محبوسا
 ظلما (فأنساه الشيطان
 ذكر ربه) أي أنسى
 الشيطان يوسف (وسف الاستماع
 بربه وأوقع في قلبه
 الاستماع بالملك فموجب
 بأن لبث في السجن بضع
 سنين فلما دنا فربه وأراد
 الله خلاصه رأى الملك رؤيا
 وهي قوله (وقال الملك اني
 أرى) الآية فلما استقنهم
 فيها

الله التوحيد بالألوهية الغالب على خلقه ولا يبالغ خير (ما تعبدون من دونه) أي من غير الله شيئا (الا
 أساء سميتوها أتم وأباؤكم) أي الأذوات وأجدتم وأباؤكم لها أسماء آلهة بعض ضلالتكم (ما أنزل
 الله بها) أي بتلك التسمية للتبعية العبادية (من سلطان) أي من حجة تدل على محتواه وتحقق مسمايتها
 في تلك الدوات فكأنكم لا تعبدون الأسما المجردة عن التواتر واللى أنكم سميتهم ما لم يدل على
 استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الله)
 أي ليس الحكم في أمر العبادات لله فليس لتبنياء حكم واجب القبول ولا مرواجب الالتزام (أمر)
 على السنة الأنبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الاياه) لان العبادات نهاية التحظيم فلا تليق الا بيمين حصل
 منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والرزق والمداية ونعم الله كثيرة وجهت
 احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أي تخصمه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أي الذي تعاضدت
 عليه البراهين وعلاوقلا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين للستقيم لجهلهم بتلك
 البراهين والمأفرغ سيدنا يوسف من البلاء الى عبادات الله تعالى رجع الى تمبير رؤياها فقال (يا صاحبي
 السجن أما أحديكم) وهو الشراي (فيسقي ربه) أي سيده (خرا وأما الآخر) وهو الحجاز (فيصلب)
 فتأكل الطير من رأسه) روى أن الساق لما صر رؤيا على يوسف قاله ما أحسن ما رأيت أما السكرم
 فهو العمل الذي كنت فيه وأما الضرب فهو عرك في ذلك العمل وأما الأغصان الثلاثة فثلاثة أيام يوجه
 اليك الملك عندها تهاشمن وأما الثعبان الذي عصرت ونالته الملك فهو أن يردك الى حملك فتصير كما
 كنت بل أحسن والمقص الحجاز رؤياه على يوسف قاله بسماء رأيت أما خروجه من الطبع فهو أن
 تخرج من حملك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون في السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو
 أن يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلب وتأكل الطير من رأسك ففزع التعبير رؤيا الحجاز وقلا جميعا
 ما رأيت أنبا شينا أما كنانته فقال لها يوسف (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) أي تم الأمر الذي
 تسأل عنه رأينا أو لم نرأ فكأنها قالت لكما كذا كذا يكون (وقال) أي يوسف عليه السلام (لذي
 ظن أنه نجا) أي للرجل الذي ظنه ناجيا من القتل (منهما) أي من صاحبيه وهو الساق (اذ كرفي عند
 ربك) أي عند سيدك الملك الكبير فقل له ان في السجن غلاما محبس ظلما خمس سنين (فأنساه
 الشيطان ذكر ربه) أي أنسى الشيطان يوسف الشراي ذكره ليوسف عند الملك وقال فأنسى
 الشيطان يوسف أن يذكر ربه حتى طلب التخرج من غلوة قبضته وذلك شقة عرضت ليوسف عليه
 السلام فان الاستماع للناس في دفع الظلم جائرة للشرية الآن حسنت الأبرار سينت القريين
 فالأولى بالصدقين أن لا يشتغلوا بالاعجب الأسباب وذلك جوزي يوسف بستين في الحبس كما قال
 تعالى (فلتب) أي يوسف (في السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أي سبع سنين خمس منها
 قبل ذلك القول وثنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الرمان بن الوليد (اني أرى) أي رأيتني
 منامى (سبع بقرات سمان) قد خرجن من الهرم خرج منه بدهن سبع بقرات هائل (يا كاهن سبع
 عجاف) أي تأملت العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يقين على المعجاف شي منهن (و) أي أرى
 (سبع سبلات خضر) أي قد أنقذتها (وأخر) أي وسبع أخر (يا بسا) أي قد بلغت أو ان الحصد
 فاتت اليها بسا على الحضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرهن شيء فقلق الملك لما رأى الناقص
 الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه فجمع سحره وكشته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في
 منامهم وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف

تأويلها (وقال الذى نجا
منهما) وهو الساقى (وادكر
بعدمه) أى تذكر أمر
يوسف بعد حين من الدهر
(أنا أنبئكم بتأويله
فأرسلون) فأرسل فأتى
يوسف فقال (يوسف)
أى يا يوسف (أيا الصديق)
أى الكبير الصديق وقوله
(لعلنى أرجع الى الناس)
يعنى لللك وأصحابه (لعلهم
يعلمون) أى تأويل رؤيا
اللك من جهتك (قال
زرعون) أى ازرعوا
(سبع سنين دأبا) أى
متابعة وهذه السبع
تأويل البقرات السنان
(لماحصدم) أى عازرهم
(فنزوه فى سنبله) لانه باقى
له وأبعد من الفساد (الا
قليلا عما تكون) فأنكم
تدبرونه (ثم يأتى من بعد
ذلك سبع شداد) أى
مجدبات صعب وهذه
تأويل البقرات العجاف
(يا كاهن) أى يثنين
ويذهبن (ما قدتم لمن)
أى من الحب (الا قليلا
مما تحصنون) أى تحززون
وتدخرون (ثم يأتى من
بعد ذلك عام فيه فيأت
الناس) أى يعطرون
ويتخصبون حتى يصعروا
من السمسم الدهن ومن
العنب الخمر ومن الزيتون

من السجن فهذا هو قوله (يا أيها اللام) أى السحرة والكهنة والمعبودون للرؤيا (أتقونى فى رؤيا) أى
ينبأونى بتفسير رؤياى هذه (ان كنتم للرؤيا تبصرون) أى ان كنتم تعلمون باتتقال الرؤيا من الصور
الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثاتها (قالوا) أى أشراف العلماء والحكماء (أضغاث
أحلام) أى هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لاحقيقة لها (وما نحن بتأويل الأحلام) أى
للتأويل الباطلة التى لا أصل لها (بما لين) أى لانه لتأويل لها وأما التأويل للرؤيا الصادقة
(وقال الذى نجا منهما) أى الذى خلاص من السجن من صاحب يوسف بعد أن جلس بين يدي لللك
أى قال الشراى لللك ان فى الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والحجاز
عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق فى الكل وما خطأ فى حرف فان أذنت مضيت اليه وجئتكم
بالجواب (وادكر بعدمه) أى تذكر الشراى يوسف بعد مدطولة وقرأ الاشهب العقيلي بعد
امة بكسر الهجمة أى بعد ما نعلم عليه النجاة وقرى بعدمه بفتح الهجمة وتلمع له أى بعد نسيان
(أنا أنبؤكم بتأويله) أى أنا أخبرك أيها الللك بتفسير رؤياك (فأرسلون) الى السجن فأرسله اليه
فأتى يوسف فقال له (يوسف أيا الصديق) أى البالغ فى الصديق (أفتنا) أى بين لنا (فى سبع
بقرات سنان يا كاهن سبع) من البقر (عجافو) فى (سبع سنبلات خضرو) فى سبع (أخر)
من السنبل (يا بسات) أى فى رؤيا ذلك رآها لللك (لعلنى أرجع الى الناس) أى أعود الى الللك
وجامعته بتقواك (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فان الساقى علم عجز سائر المعبرين عن جواب
هذه المسئلة خاف أن يعجز يوسف عنها أيضا (قال زرعون سبع سنين دأبا) أى متتابعة على ما دلتكم
فى الزراعة (فما حدتم) من الزرع فى كل سنة (فنزوه فى سنبله) أى كوافره ولاندسوه لثلا
يقع فيه السوس فان ذلك أتى له على طول الزمان (الا قليلا عما تكون) أى إلا كل ما أردتم كله
فندسوه فى تلك السنين وهذا تأويل السبع السنان والسبع الحضر (ثم يأتى من بعد ذلك) أى
من بعد السبع سنين المحبة (سبع شداد) أى سبع سنين فحطة صعب على الناس وهذا تأويل
السبع العجاف والسبع اليابسات (يا كاهن ما قدتم لمن) أى تأ تكون الحب للزرع وقت
السنين المحبة للزرع فى سنبله فى السنين المحبة (الا قليلا مما تحصنون) أى تدخرون للبذر
فأكل ما جمع أيام السنين المحبة تأويل ابتلاع العجاف السنان (ثم يأتى من
بعد ذلك) أى من بعد السنين المحبة (عام فيه فيأت الناس) أى يقذف الناس من كرب الجلب
(وفيه يصيرون) مامن عاذته أن يصير من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من
الغوا كالكترتها وقيل معنى يصيرون يعطرون الضروع وقيل معناه يطرون وقيل معناه ينجون
من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبناء للفعل وهذا من مدلولات اللام لانه لما كانت النجاة
سيحلال ذلك على أن السنين المحبة لا تزيد على هذا العدد فالحاصل بعده هو الحسب على العادة
الالهية حيث يوسع الله على عباده بعد تصديقهم عليهم فلما رجع الشراى الى الللك وأخبره بما ذكره
يوسف استحسنته لللك (وقال لللك اتقونى) أى بيوسف لما علم من فضله وعلمه فرجع
الساقى الى يوسف (فلما جاءه) أى يوسف (الرسول) وقاله أجب لللك (قال) أى يوسف له
(ارجع الى ربك) أى الى سيدك الللك الكبير (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أى
فأسأل الللك بأن يغتن عن شأن النسوة ليعلم برأى عن تلك التهمة وأما لما يخرج يوسف من

الزيت فرجع الرسول بتأويل الرؤيا الى الللك فصرف الللك أن ذلك تأويل صحيح فقال اتقونى

السجن

الذى عبر رؤياى جاء الرسول يوسف فقال أجب لللك فقال الرسول (ارجع الى ربك) يعنى لللك (فأسأله) أن يسأل (ما بال النسوة)

اي ماحلهم وشأنهم ليعلم حجة برأى ما عاقفته به وذلك أن النسوة كن قد عرفن برأتهن باقرار امرأة العزيز عندهن وهو قولها ولقد راودتهن عن نفسه فاستعصم فأجاب يوسف أن يملك أنه حبس ظلما وأنه (٤٠٩) يرى ما عاقف به أنه أن يستعمل النسوة عن

ذلك (ان ربي بكيعهن) أي باغفلن في شأني حين رأيتهن باغفلن في (عليه) فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فلما الملك النسوة (قال ما خطبك) أي ما قصتك وشأنك (اذ راودتن يوسف عن نفسه) جمعهن في الراودة لأنهم لم يعلم من كانت الراودة (فان حاش لله أي بعد يوسف عما يتهم به) ما علمنا عليهن سوءه أي من زنا فلما برأته أقرت امرأة العزيز فقالت (الآن حصص الحق) أي بان ووضح ذلك أنها خافت ان كذبت شهدت عليها النسوة فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أي في قوله هي راودتن عن نفسي (ذلك) أي ما فعله يوسف من رد الرسول الى الملك (ليعلم) أي وزر الملك وهو الذي اغتراه (آتي لم أخنه) أي في زوجته (باليب) وان الله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يرشد كيد من خان أماته أي أنه يفتضح في النهاية بجرمان الهداية من الله عز وجل فلما قال

السجن في الحال لأنا لو خرج قبل ظهور برأته من تلك التهمة عند الملك فربما يقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بصدخه (ان ربي) أي سيدي ومربي وهو ذلك الملك (بكيعهن) أي يكرهن (عليه) فلما أتى يوسف أن يخرج من السجن قبل تبيين الأمر رجع الرسول الى الملك فأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك بأحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أي الملك مخاطبا لهن لأن كل واحدة منهما راودت يوسف لأجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطع مولانا (ما خطبك) أي ما شأنك (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أي خلعتنه هل وجدت فيه ميلا إلى قولك (فان حاش لله) أي تنزهه (ما علمنا عليه) أي يوسف (من سوءه) أي من خيالة في شيء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) أي الآن تبين الحق ليوسف (أنا راودته عن نفسه) أي أنادعته الى نفسي (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتربت عليه هي راودتن عن نفسي وأما اقترت زليخا بذنها وشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال مبالا للنسوة اللاتي قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها انما نشأت من جهتها وقد عرفت أن ذلك لم يراع حقها وتكظيمها ولا خفاء الأمر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بحجوب النسوة وبقول زليخا فقال يوسف وهو في السجن (ذلك) أي الذي فعلت من ردى الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أي الملك المضير الذي هو صغير زوج زليخا (آتي لم أخنه) أي حرمتها زعمه (باليب) أي وأنا غائب عنه أهو غائب عني (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا ينفذه ولو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة (وما أرى نفسي) أي والحال اني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي من الزلل وبراءتهم (ان النفس) البشرية (لأمارق بالسوء) أي ميالة الى القبايح رغبة في اللبسية ولما كان قوله ذلك ليلى آتي لم أخنه جريا بحري ملح النفس استبركه بقوله وما أرى نفسي أي لأمدحها (الامر من ربي) أي الانفاص صمها في من الوقوع في الملوك (ان ربي غفور) اللهم الذي هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ما عليه أكثر للفرسين وقال بعضهم من اسم الاشارة الى هنا من كلام امرأة العزيز وللمنى ذلك الذي قلت ليوسف اني لم أخنه بالتيب أي اني لم أقل في يوسف وهو في السجن خلاف الحق فاني وان أخطأت الذنب عليه عند حضوره ما أخطأت الذنب عليه عند غيبته وان الله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يرضافاني لما أقسمت على المكر لاشك افترض وأن يوسف لما كان بريئا من الذنب لاشك طهره الله عنه وما أرى نفسي مع ذلك من الحياة حين راودته وقتل في حقه ما قتلت وأودعته في السجن. ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار عما كان وتنزيه يوسف من الذنب بان كل نفس لأمارق بالسوء الا نسا رحمها الله بالصمة كتنس يوسف عليه السلام ان ربي غفور لمن استغفر من ذنبه رحيم لفضل هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاء ملاقة الملك حتى يتبين أنما ما نحن بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليشقاه الملك بما يتيق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أي الكبير وهو الريان (اتوني به) أي ييوسف (استخلصه لنفسى) أي أجعله خاصا بي دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك منتظفا من دنس السجن بالتيب والتنظيفة

(٥٢) - (تفسير مراح ليلى - اول) يوسف ذلك ليلى آتي لم أخنه بالتيب قال له جبريل ولا حين هممت بها ليوسف فقال (وما أرى نفسي) أي وما أركي نفسي (ان النفس) لآمارق بالسوء يعني بالتبجح وبالايجاب (الامر من ربي) من رسم قصته (وقال الملك اتوني به) أي ييوسف (استخلصه لنفسى) أي أجعله خاصا بالانفراد في أحد

والهيئة الحسنه فكتب على باب السجن هذه منازل البواب وقبور الأحياء وشيئة الاعداء وتجربة
الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم اني أسألك بتخبرك من خبره وأعوذ بك من شره
من شره ثم دخل على الملك فسلم عليه بالبرية فقال له الملك ما هذا فقال له لسان عمي اسما عيل ثم دعا
له بالعبرانية فقال له وما هذا فقال له لسان أبيي وكان للملك يتكلم ببعين لفتحهم يعرفه الذين
اللسانين وكان الملك كلما كلمه لسان أحياه يوسف هو زاد عليه بالبرية والعبرانية وروى أنه لما رآه
الملك شابا وهو في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرابي أهذهو الذي علم تأويل رؤياي قال نعم
فأقبل على يوسف وقال اني أحب ان أسمع تأويل الرؤيا منك شفاها فاجاب بذلك الجواب شفاها وشهد
قلبه بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أي كلم الملك يوسف (قال) أي الملك (انك اليوم لدينا مكي)
أي ذو منزلة رفيعة (أمين) أي ذو أمانة على كل شيء فأنرى أيها الصديق (قال) أي أن أرى أن تزرع
في هذه السنين الخصب تزرعا كثيرا وتبنى الخزان وتجمع فيها الطعام فاذنابت السنين المجيدة بنا
الثلاث فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على
خزان الارض) أي ولي أمر خزان أرض مصر (أني حفيظ) لما وليتني ولجميع مصالح الناس
(عليم) بوجوه التصرف في الاموال وجميع أسس التراب والذين يتولون وفي هذا دليل على جواز
طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وان كان الطالب من يد الكافر (وكذلك)
أي مثل ذلك الانعام الذي أنعمنا عليه من تفرينا اياه من قلب الملك واتحاشا اياه من غم الجلس
(يمكن) يوسف في الأرض أي أقدرناه على ما يريد برفع اللوائح في أرض مصر (يتوأمنا حيث
نشأ) أي نازلا في أي موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أرض بين فرسحاق وأربعين
فرسخا وقرأ ابن كثير نشاء بالتون مسندا الى الله تعالى روى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف
الامارة دعاه الملك فتوجه وأخرج خادم الملك وجعله في اصبعه وقلده بسيفه وجعل له سررا من ذهب
مكلا بالبر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا ورضبه عليه حلة
من استبرق فقال يوسف عليه السلام أما السرير فأشده بملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما الخناجر
فلبس من لباسي وللباس أبيي فقال الملك قد وضعت ابلالا لك وأقرارا بفضلك وأمره أن يخرج
فخرج متوجلا به كالنجم ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيمن صفاء لونه فاطلق حتى جلس على
ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك الأكبر اليه ملكه وأمر مصر وعزل قطفير مما كان
عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطفير بعد ذلك فزوجه عليه السلام الملك امرأته ليخا فلما دخل
يوسف عليها قال لها ليس هذا خيرا ما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لانني فاني كنت امرأة
حسنة نائمة كاتري وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كالجملك الله في حسنك وهيتك فقلت لي
نفسى وعصمك اقد فأصابها يوسف فوجدها عنرا فقولته ذكرين أنفهم وميشا فاستولى يوسف على
ملك مصر وأقام فيها العدل وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من أهل
مصر في سنى التحط الطعام في السنة الأولى بالذنانير والدرهم وفي الثانية بالحنى والجواهر وفي الثالثة
بالدواب وفي الرابعة بالجواري والعبيد وفي الخامسة بالضياع والمعار وفي السادسة بأولادهم
وفي السابعة بقرانهم حتى لم يبق بمصر حرو ولا حرة الا صار عبدا له عليه السلام فقال أهل مصر
مارأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله في فيما
خولني فأنرى في هؤلاء قال الملك الراي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك اني قد
أعققت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يبيع من أسلمن المتارين

(فلما كلمه) يوسف (قال)
انك اليوم لدينا مكي (أمين)
أي وجيه ذو مكانة (أمين)
أي قد عرفنا أمانتك
وبرأيتك فسماه الملك أن
يسمى رؤياه شفاها فأجابه
يوسف بذلك فقال له
ما ترى ان نصنع فقال تجمع
الطعام في السنين الخصب
ليأتيك الخلق فيمتارون
منك بحكمك فقال يوسف
لي هذا ومن يجمعه ف(قال)
يوسف (اجعلني على
خزان الارض) أي على
حفظها وأراد بالارض أرض
مصر (أني حفيظ عليم)
أي كاتب حاسب (وكذلك)
أي وكما أنعمنا عليه
بالخلاص من السجن
(مكنا) له قدرناه على
ما يريد (في الأرض) أي
أرض مصر (يتوأمنا منها
حيث نشأ) هذا تفسير
التكئين في الارض

(نصيب برحمتنا من نشاء) أى أفضل على من أشاء برحمتي (ولانضيق أجر المحسنين) (٤١١) أى ثواب اللوحدين (ولأجر الآخرة)

أى ما يعطى الله من ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا) أى خير للمؤمنين والذى أن ما يعطى الله يوسف فى الآخرة خير مما أعطاه فى الدنيا من دخل أعوام القبط على الناس فأصاب أخوة يوسف الحاجة فأتوا بمقتارين وذلك قوله (وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فرهبهم وهم له منكرون) لانهم رأوه على زى الملوك وكان قد تقرر فى نفوسهم هلاك يوسف وقيل لأنهم رأوه من وراء ستر (ولما جهزهم ببجائهم) أى جعل لكل رجل منهم بغيرا (قال اتوني بأخلكم من أيبكم) أى من أيبكم وذلك أنه سألهم عن عددهم فأخبروه وقالوا انا خلفنا أخانا عندنا فقال يوسف فأتوني بأخلكم من أيبكم (الأترون ابنى أوف الكيل) أى أته من غير بنس (وأنا خير للزئلين) وذلك أنه حين أترهم أحسن ضيافتهم ثم أوعدهم على ترك الأتيان بالآخ بقوله (فإن تأتوني فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنتراد عنه أباه) أى نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا (وأنا

أكثر من حمل بغير تقصيطا بين الناس وملت للملك فى حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أى بطائنا فى الدنيا من الملك والنفى وغيرهما من النعم (من نشاء) من عباده (ولانضيق أجر المحسنين) لأن إضاعه الأجر أمان تكون للعجز أو للجهل أو للجهل والكسل ممنع فى حق الله تعالى فكانت الإضاعه بمنتهى (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا ييقنون) أى ولاجر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والكتب والرسل واتقوا الفواحش فى الآخرة خير لهم ولرأى أن يوسف وإن كان قد وصل إلى الدرجات الرفعة فى الدنيا فهو أبهى الله فى الآخرة أفضل وأكمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان من التقيين ومن المحسنين (وجاء أخوة يوسف إلى مصر وهم عشرة ليجتاروا أى لواصل القبط إلى البلدة التى يسكنها يعقوب عليه السلام وهى قنوقا) ثم من أرض فلسطين قال لبنيه إن مصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجوزوا إلى مصر فدخلوا مصر (فشدوا عليه) أى على يوسف وهو فى مجلس ولايته (فرهبهم) بأول نظرة نظر إليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أى والحال أنهم لا يعرفونه لطول المدة فبين أن القنوقا الحب ودخولهم عليه أربعمائة سنة ولاتهم رأوه جالسا على سرير الملك وعليه ثياب خمر وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فكلهم وبالبرانية فقال لهم من أتم وأى شئ أقدمكم بلادى فقالوا قدما لاخذ لليرة ونحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لهم عيون تظلمون على عورتنا وتخبرن بها أعداءنا فقالوا معاذ الله قال من أين أتم قالوا من بلاد كنعان نحن أخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أتم قالوا كنانى عشر فلك منا واحد فقال كم أتم هنا قالوا عشرة قال فأين الحادى عشر قالوا هو عند أبىه يتسلى به عن المهلك لانه أخوه الشقيق قال فنشهد لكم أنكم لستم عيوننا وأن ما تقولون حق قالوا نحن ببلاذير لا يعرفنا فيها أحدي فشهد لنا فقال فأتوني بأخيك الذى من أيبكم أن كنتم صادقين فأنا أكتفى بذلك منكم قالوا أنا أبنا يحزن لرفاقه قال فأتوكا بصيكم عندي بهن حتى تأتوني بمقاترة عوافيا بينهم فأصاب القرعة شعوم وكان أحسنهم رأيا يوسف فى أمر الحب فذكر مبعده فأمر بأزالمهم وأكرامهم (ولما جهزهم ببجائهم) أى فلما أوفر يوسف بأهلهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج إليه للسافر (قال اتوني بأخلكم من أيبكم) أى إذا رجعت ليجتاروا مرة أخرى لأعلم صدقكم فبما قلتم أن لنا أخا من أيبنا عندنا (الأترون ابنى أوف الكيل) أى أته وأريدكم حتى يبرأ آخر لأجل أخيك وحمل آخر لا يبيعكم لأنهم قالوا إن لنا أبا شيخا كبيرا وأخا آخر بى مملان يوسف لا يزد ولا يعل على حمل بغير (وأنا خير للزئلين) أى خير للضعيف فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافته منة قائمتهم عنده (قال إن تأتوني به) أى بأخيك من أيبكم إذا دعيت مرة أخرى (فلا كيل لكم عندي) أى فلا طعام لكم يكال عندي (ولا تقربون) أى لا تدخلوا بلادى فضلا عن وصولكم إلى (قالوا سنتراد عنه أباه) أى سنطلبه من أبىه ونحتال على أن نزعزعه من يده (وإننا نالعون) ما أمرتنا به من أن نجئكم بأخينا فاتهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكن الأمن عنده (وقال لفتيته) أى لخدمته الكيلين وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم لفتيته بالالف والثون والباقون لفتيته بالباء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أى دسوا رحالهم التى اشتروا بها الطعام فى أوعيتهم التى يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أى لتكن يعرفوا

لفاعلون) أى ما وعدناكم من الرأوة (وقال لفتيته) أى لخدمته (اجعلوا بضاعتهم) التى أتوا بها لئلا يفتروا كانت دراهم (فى رحالهم) أى

فأوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى صلحهم يعرفونها بضاعتهم حينها

(إذا اتقلبوا إلى أهلهم) وفتحوا وأعيتهم (علمهم يرجعون) عساهم يرجعون إذا عرفوا ذلك لانهم لا يستحلون امساكها (فلارجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منعنا الكيل) (٤١٣) أي حكم علينا بجمع الكيل ولهذا ان لم نذهب باخيئنا ينعون قوله فلا كيل

بضاعته (إذا اتقلبوا إلى أهلهم) أي إذا رجعوا إلى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (علمهم يرجعون) أي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع إلى انفسهم اذ علموا ان ذلك من سخاء يوسف بثمنهم على المودع عليه والرغبة في معاملتهم أيضا ان سيدنا يوسف يخاف من أن لا يكون عند أبيهم البراهم ما يرجعون به مرة أخرى (فلارجعوا) أي اخوة يوسف غير شمعون (إلى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن يشتغلوا بفتح للتعاطي (يا أبانا منعنا الكيل) أي حكم العزيز بجمع الطعام بعد هذه المراتب ليهذب معنا بنيامين إليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين إلى مصر وقال يعقوب ابن شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر وأخبر ومبالغة (نكتل) أي نرفع لنا من الكيل بسببه ونكتل بسببه من الطعام فانشاء وفرأ حزة والكسائي يكتل بالياء أي يكتل أخونا لنصه مع كتماننا (واناله الحافظون) من أن يصيبه مكروه وضامنون برد ماليك (قال هل أنتمك عليه الا كما أنتمك على أخيه من قبل) أي قال لهم يعقوب كيف أنتمك على بنيامين وقد غفتم بأخيه يوسف ما غفتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه فما غفتم فلعلكم يحصل الأمن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وما أقوض الامر إلى الله (فأخبر حافظا) منكم قرأ حفص وحزرة والكسائي يفتح الحادو بألف بعدها على التخييل أي حفظ الله بنيامين خبر من حفظكم وقرأ الباقون حفظا بكسر الحاء وسكون الفاء وقرأ الاعمش. فأخبر خبير حافظ وقرأ أبو هريرة خبير الحافظين (وهو أرحم الرحمن) وهو أرحم بمن واليه ومن أخوته وقيل ان يعقوب لما ذكر يوسف قال فأخبر خبير حافظا الخ أي حفظا ليوسف لانه كان يعلم أن يوسف حي (ولا فتحو متاعهم) أي أوعيتهم التي وضعوها فيها لليرة بمحضرة أبيهم (وجدوا بضاعته) وهي ثمن الليرة التي دفعوه ليوسف (ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) أي ما نكتب بما قلنا من أننا قد قمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة وأولعنا أي شيء نريه من أكرام الملك (هذه بضاعتنا ردت إلينا) هل من مزيد على ذلك فقد أحسن للملك مثوانا وباع مناورد علينا متاعنا فلا نطلب ورا ذلك احسانا وقيل المعنى نحن لانطلب منك يا أبانا عذرنا رجوعنا إلى الملك بضاعته أخرى فان هذه التي ردت اليها كافية لنا في ثمن الطعام (ونعير أهلنا) أي تأتي بالطعام إلى أهلنا يرجعوننا إلى ذلك الملك بتلك البضاعة وهذا مطوف على مخلوف والتقدير فنتعين بهذه البضاعة ونعير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من الكارهة في التهاهب والاب (وزداد) بسببه (كيل يسير) أي وفر بعيره (ذلك كيل يسير) أي ذلك الحمل الذي زدداه كيل قليل على الملك لأنه قد أحسن لنا وأكرمنا بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذي نطلب منك أمر يسير (قال) لهم أي يوم (لن أرسله) أي بنيامين (معكم حتى تؤثروا موقعا من الله) أي حتى تطوفوا عهدا من الله أي حتى يحلفوا بالله (لتأثروا الآن بحالكم) أي في حال أن تموتوا أوفى حال أن تصبروا مثلوبين فلا تقدر والاثبات به إلى (فلما أتوه موقعتهم) أي أعطوا أباهم عهدا من الله على رده إلى أبيهم فقالوا في حلفهم بالله قرب محمد لتأثرك به (قال) أي يعقوب (الله على ما تقول وكيل) أي شهيد فان وفيتهم بالهد جزاءكم الله بأجبن الجزاء وان غدرتم به كافاكم بأعظم العقوبات (وقال) ناصحا لهم لما أزمع على إرسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبوابها الاربعة (وادخلوا من أبواب متفرقة) انما أمرهم بذلك لأنه خاف عليهم

لكم عندى ولا تقر بون (فأرسل معنا أخانا نكتل) أي نأخذ كيلنا (قال هل أنتمك عليه الا كما أنتمك على أخيه من قبل) يقول لا أنتمك على بنيامين الا كما أنتمك على يوسف يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن فانهم خانوه فوو خيانتهم أيضاً قال (فأخبر خبير حافظا وهو أرحم الرحمن) ولما فتحو متاعهم أي ما حملوه من مصر (وجدوا بضاعته ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) يعني ما نبغي منك شيئا تردنا به ونصرفنا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) فتصرف بها ونعير أهلنا نجلب إليهم الطعام (وزداد كيل يسير) يعني حل يسير من الطعام لانه كان يكال لكل رجل وقر يسير (ذلك كيل يسير) أي متيسر على من يكيل لتأثركه (قال) لن أرسله معكم حتى تؤثروا موقعا من الله أي حتى تحلفوا بالله (لتأثروا الآن بحالكم) أي الآن تموتوا كلكم (فلما أتوه موقعتهم) أي عهدهم ويمينهم (قال الله على

وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعني ان الخبز لا يمنع من القدر (ولمادخلوا من حيثاً أمرهم أبوهم) وذلك انهم دخلوا مصر متفرقين من أربعة أبواب (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) أي ما كان ذلك ليرد قضاء قضاء الله (الاحاجة) لكن حاجة يعني ان ذلك الدخول قضاء حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من أبواب متفرقة شفقة عليهم (وانه لم يعلم لماعناه) أي لتو يقين ومعرفة بالله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والطم (ولمادخلوا على يوسف) أي إلى أخاه (أي ضمه إليه وأزله عند نفسه) قال أي أنا (أخوك) اعترف له بالنسب وقال لاختبرهم بما ألقيت إليك (فلا تبس) أي فلا تحزن ولا تلتئم (بما كانوا يصرحون به) (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية وهو أناة من ذهب مرصع بالجواهر (فرحل أخيه) بنيامين (ثم أذن بنيامين) أي نادى بناد (أيتها البر) أي الرفقة (انكم لسارقون) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع للملك (ولن نجابه) أي بالاناء من عند

البن فاتهم كما نودى جمال وشارة حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد تجملوا في هذه السكره أكثر مما في المرة الأولى (وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي لأدفع عنكم بتدبيرى شيئاً ما قضى الله عليكم فان الخبز لا يمنع القدر والانسان مأمور بأن يحضر عن الأشياء للهلكة والأغذية الضارة وان يسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان (ان الحكم) أي الحكم بالازلام واللح (الافه) وحده (عليه توكلت) أي اليه وحده فوضت أمري وأمركم (وعليه) دون غيره (فلينزل للتوكلون) أي فليثقوا بالقوت (ولمادخلوا) أي للدينة (من حيثاً أمرهم أبوهم) أي من الأبواب المتفرقة (ما كان) أي دخلوهم متفرقين (يعني) أي يخرج (عنهم) أي الداخلين (من الله) أي من قضائه (من شيء) الاحاجة في نفس يعقوب قضاءها) أي لكن الدخول على صفة التفرق أظهر حاجة في قلب يعقوب وهي خوفه عليهم من اصابة البن وهذا صديق الله يقول وما أغنى عنكم من الله من شيء (وانه) أي يعقوب (لنو علم لماعناه) أي لقوا لئلا معاناه أي انه عامل لماعناه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والطم (ولمادخلوا على يوسف) أي في محل حكمه (أوى) إليه (أخاه) أي أزله معه في منزله أي لما أتى أخوة يوسف بأخيه بنيامين قالوا هذا أخونا فدا جثناك به فقال لهم أحستم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه فقال يوسف يقي أخوك فريداً فأجلسه معه على مائدة وجلسوا معه ثم أزل كل اثنين منهم يتي فبقى بنيامين وحده وقال هذا لثانيه فأركوه مع فضمه يوسف إليه وشمر يدايهم حتى أصبح فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال الشكول وهو لما وهلكك أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوي قال فهل لك من ولد قال لي عشرة بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أحب أن أكون أخاك بدل أخيك لعلك قال بنيامين ومن بعد أخاك مثلك أيها الملك ولكن ليدلك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليو عاقته وقال أي أنا أخوك فلا تبس) أي فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أي لالتفت إلى ما صنعوه فياقنهم من أعمالهم للسكره وقبلا يملون بك من الجفاء ويقولون لك من التخيير والأذى قال بنيامين فأنا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اعتمادك في إذا حسنتك عندي ازداد غم ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشرك بمر فطيع وأسكنك إلى المالا محمد قال لأبائي فأفضل ما بدا لك فأتى لأفارقك قال يوسف فأتى أؤس صاخي في رحلك ثم نادى عليك بالسرقة لأحتال في ردك بعد اطلاقك معهم قال ففضل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أي فلما هيا يوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أعمالهم من الطعام على أيديهم (جعل السقاية فرحل أخيه) أي دس مشربته التي كان يشرب فيها وقام طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسفر ثم أرسل خلفهم عبده (ثم أذن مؤذن) أي نادى مناد مع رفع صوت مراراً كثيرة (أيتها البر) أي يا صاحب الأبل التي عليها الأحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام أعلل سبيل الاستفهام وإعلل فقد المرار يض والعنى انكم لسارقون ليوسف من أيه ليكون للنادى مندوحة عن العكسب (قالوا) أي أخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أي والحال انهم التفتوا إلى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أي أي شيء صاع منكم (قالوا) أي أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أي نطلب اناء الملك الذي كان يشرب فيه ويكيل وإنما اتخذ هذا الاناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت قال المؤذن (ولن نجابه) أي بالاناء من عند

حمل جبر) أي من الطعام (وأنا به زعيم) أي كفيل (قالوا نأله لقد علمتم) أي حلفوا على أنهم يعلمون صلاحهم ونجبتهم الفساد وذلك أنهم كانوا مرمقين وبهم لا يظلمون أحد ولا يرزأون شيئا أحد (قالوا فجزاؤه) أي مجازاة السارق (ان كنتم كاذبين) أي في قولكم ما كنسارقين (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) وكانوا يستمدون كل سارق بسرقة فلنك قالوا جزاؤه من وجد في رحله السرور (فهو جزاؤه) أي فالسارق جزاء السرقة (٤١٤) (كذلك تجزى الظالمين) أي إذا سرق السارق استرق فلما أقرأوه بهذا

الحكم صرف بهم إلى يوسف لتفتيش أمتعتهم (فبدا) يوسف (بأوعيتهم) وهي كل ما استودع شيئا من جراب وجوالتى وعذلة (قبل وعاء أخيه) نفيا للهمة (ثم استخرجها) يعني السقاية (من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف) أي ألهمناه مثل ذلك الكيد حتى ضمنا أعاء إليه (ما كان ليأخذ أعاءه) أي يستوجب حقه إليه (في دين الملك) أي في حكمه وسيرته وعادته (ألا أن يشاهد) أي العيشة الله وذلك أن حكم الملك في السارق أن يضرب ويهرم ضعي ما سرق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كاد الله له تطلقا حتى وجد السبيل إلى ذلك وهو ما جرى على لسان أخوته ان جزاء السارق الاسترقاق (نرفع درجات من نشاء) أي بضروب الكرامات وأبواب العلو كما رفعا درجة يوسف على أخوته

نفسه مظهر له قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أجرة له (وأتابه) أي بالحل (زعيم) أي كفيل (أوده إليه لأن الاناء كان من الذهب وقد انتهى للملك (قالوا نأله لقد علمتم) أي بالحل مصر (ما جئنا لتفسد الأرض) أي أرض مصر بمضرة الناس (وما كنسارقين) لأنه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالكلية لا بالأكل ولا بإرسال الدواب في مزارع الناس ولأنهم لم يجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أي أصحاب يوسف (فجزاؤه) أي فجزاء سرقة الصواع في شرعكم (ان كنتم كاذبين) في نفي كون الصواع فيكم (قالوا) أي أخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقة الصواع هو أخذنا لسان الذي وجد الصواع في متاعه (فهو جزاؤه) أي فاسترق ذلك الشخص سنة هو جزاء سرقة لا غير فأنقوا بشرعهم (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (تجزى الظالمين) بالسرقه في أرضنا ههنا بقية كلام أخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لقول أخوته ذلك (فبدا) أي يوسف بمدارجوا إليه (بأوعيتهم) أي بتفتيش أوعية الأخوة العشرة (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين لئني التهمة زوى إياه ما بلغت التوبة إلى وعاءه قال ما ظنن هذا أخذ شيئا فقال أخوة يوسف والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه ألجب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أي الصواع (من وعاء أخيه) فقال له فرجك الله كما فرجتني (كذلك كدنا ليوسف) أي كما ألهمنا أخوة يوسف ان جزاء السارق أن يسرق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على محكم به أخوه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الآن يشاء الله) أي لم يكن يوسف يأخذ أخاه في حكم الملك بسبب من الأسباب لا بسبب مشيئة الله وهو حكم أبيه أي وكان حكم ملك مصر في السارق أن يضرب ويهرم متى قيمة للسرور فلما كان يوسف قادرا على حبس أخيه عند نفسه إلا أن الله تعالى كاد لمعاجري على لسان أخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق (نرفع درجات من نشاء) وقوف كل ذي علم عليم) أي ان أخوة يوسف كانوا علماء فضلا ويوسف كان زائدا عليهم في العلم ففوق كل عالم عالم إلى أن يتسنى العلم إلى الله تعالى فليس فوقه أحد (قالوا) أي أخوة يوسف تبرئة لأنفسهم (ان يسرق) أي بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخيه من قبل) أي قالوا الملك ان هذا الأمر ليس بربيعين بنيامين فان أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا قال سعيه جبر كان جدي يوسف أبواهم كافرا يبعد الاوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الاوثان ويكرها فظهر بترك عبادة الاوثان فصل ذلك فهذا هو السرقة (فأسرهما) أي اجابتهما (يوسف في نفسه) أي في قلبه (ولم يسدها) أي لم يظهر الاجابة (لهم قال) أي يوسف في نفسه

في كل شيء (وقوف كل ذي علم عليم) أي يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا حتى ينتهي العلم إلى الله (ثم) فلما خرج الصواع من رحل بنيامين قالوا ليوسف (ان يسرق) الصواع (فقد سرق أخيه من قبل) يعنون يوسف وذلك انه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرانهم فيصدق به في الجاعة حتى فطن لما أخوته (فأسرهما يوسف في نفسه) أي أسرا بكلمة التي كانت جواب قولهم هذا (ولم يسدها لهم) وهوانه (قال في نفسه)

تذكرونه كذب (قالوا)
 يأباه العزيز ان له أباشيخا
 كبيرا) أى فى السن (نقد)
 أحدنا مكانه) أى واحدا
 منا نستعبد به (انا)
 نريك من الحسين) أى
 اذا قلت ذلك فقد أحسنت
 الينا (فلم استبأسوا منه)
 أى يسأونه (خلصوا
 نجيا) أى انقذوا
 متنجين في ذهابهم الى
 أبيهم من غير أخيهيم (قال
 كبيرهم) وهو رويل
 وكان أكبرهم سنا (ألم
 تعلموا أن أباك قد أخذ
 عليكم موقفا من الله) أى
 في حفظ الأخ وروده اليه
 (ومن قبل ما فرطتم)
 ما زائدة أى قصرتم (فى)
 أمر (يوسف) وخشنتوه
 فيه (فلن أرح الأرض)
 أى لن أخرج من أرض
 مصر (حتى يأذن لى أبى)
 أى يمش لى أنآ تبه (أو
 يحكم الله لى) أى يقضى الله
 فى أمرى شيئا (وهو خير
 الحاكمين) أى أحدهم
 وقال لأخوته (ارجعوا الى
 أبيكم فقولوا لأبائنا إنك
 سرق) يمتون فى ظاهر
 الأمر (وما شهدنا إلا بما
 علمنا) لانه وجدت
 السرقة فى رحله ونحن
 ننظر (وما كنا لقلب

أثم شرمكانا) أى منزلة فى السرقة من يوسف حيث سرقتم أخاك من أبيكم (والله أعلم بما
 تفنون) أى بحقيقة ما تذكرون من أمر يوسف هل يوجب عود منة اليه أم لا (قالوا)
 مستطفين (يأباه العزيز) أى ملك مصر (إنه) أى بنيامين (أبا شيخا كبيرا) فى السن
 لا يكاد يستطيع فراقه وهو فرح به ان رددناه (نقد أحدنا مكانه) أى بدلامنه فى الاستراق (انا)
 نراك من الحسين) اليه فى حسن الضيافة ورد البضاعة اليه فأقيم احسانك اليه بهذه التهمة (قال
 معاذ الله) أى نعوذ بالله معاذنا من (أن تأخذ الامن وجدنا متاعنا عنه) لان أخذنا له لئلا يخلصوا
 بقضية فتواكم (انادوا) أى ان أخذنا برئنا عذب (لظالمون) فى نهجكم وما لنا ذلك ولهذا
 الكلام معنى باطن وهو أن الله تعالى أنعم امرئ بالرحى أن أخذ بنيامين لمصالح يملها الله تعالى فلو
 أغنت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فصرت ظالما لنفسى (فلم استبأسوا منه) أى من يوسف
 (خلصوا نجيا) أى تفردوا عن سائر الناس يتناجون (قال كبيرهم) فى السن وهو رويل أبى
 القمل وهو يهودا أوريسهم وهو شمعون (ألم تعلموا) يا أخوتاه (أن أباك قد أخذ عليكم موقفا
 من الله) فى رد بنيامين اليه (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) لما مزينة والجوار والحرور متعلق
 بفرطهم أى وقبل أخذكم العهد فى شأن بنيامين قصرتم فى شأن يوسف ولم تفروا بعدكم على النصيح
 والحفظ له أو مصدر عطف على مفعول تعلموا أى لم تعلموا أخذنا بيكم عليكم موقفا وتقريركم السابق
 فى شأن يوسف أو مركب ميثاقه فى حق يوسف أو موصولة عطف على مفعول تعلموا أى لم تعلموا
 أخذنا بيكم موقفا الذى قسمتموه فى حق يوسف من الحياة الطيبة من قبل تصغيركم فى بنيامين (فلن
 أرح الأرض) أى فلن أفرق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع اليه (أو يحكم الله لى)
 بالخروج منها على وجه لا يؤدى الى قضى اللبائى أو بخلال أخى من يد العزيز بسبب من الأسباب
 (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم إلا بالعدل والحق روى أنهم كلوا العزيز فى اطلاق بنيامين فقال
 رويل أيها الملك اتردن الينا أخانا أو أوسعين مسيحة لاتبقي بمصر حامل الآثمة ولها ووقت كل
 شرة فى جسده غفرحت من ثياب فقال يوسف لابنهم الى جنب رويل نفسه فذهب ذلك الابن نفسه
 فسكن غضبه فقال رويل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصبح كرض يوسف عليه السلام على
 الأرض وأخذ يلايس وجذبه فسقط على الأرض وقال له أتم يا معشر العبرانيين زعمون أن لا أحد
 أشد منكم فلما رأوا مازل بهم ورأوا أن لا سبيل الى الخلاص خضعوا ثم قال لهم كبيرهم (ارجعوا)
 يا اخوتي (الى أبيكم) دونى (فقولوا) له لم تطلقين بختابكم (يا أبائنا إنك سرق) صواب الملك من ذهب
 (وما شهدنا إلا بما علمنا) أى رأينا أن الصواع استخرجت من وعاءه (وما كنا لقلب) أى باطن
 الحال (حافظين) أى أن حقيقة الأمر غير ما علمنا فان التيب لايملح الا الله فعل الصواع دس فى
 رحله ونحن لانعلم ذلك (واسأل القرية التى كنا فيها) أى واسأل أهل قرية من قرى مصر التى كنا
 فيها (والبرائى أقبلنا فيها) أى واسأل أصحاب الابل التى عليها الاحمال الذين جئناهم وهم قوم من
 كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا الصادقون) فى أقوالنا فرجع التسعة الى أبيهم فقالوا له
 ما قال كبيرهم (قال) أى يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى بل زيت لكم أنفسكم
 اخراج بنيامين عنى الى مصر طلبا للنفقة فلما دس ذلك خسر (فصبر جميل) أى ضل صبر بلا
 جزع ولم يرجع القوم الى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يابنى لا تخرجون من

حافظين) أى ما كنا نحفظه اذا غلبنا (واسأل القرية التى كنا فيها) أى أهل مصر (والبرائى أقبلنا فيها) أى يريدها ليرى وهم الرقة
 فلما رجعوا الى يعقوب قالوا له هذا (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى زيت لكم حتى أخرجتم بنيامين من عندى رجاء منفعة فناد

من ذلك شر وضرو (وتولى عنهم) أى عرض عن بنيه وتعبد وجده يوسف (وقال يا أسفا على يوسف) أى ياتولى حزنى عليه (وايضت عيناه) أى انفلتت الى حال البياض فلم يصيرهما (من الحزن) والبكاء (فهو كظيم) أى مغموم مكروب أى لا يظهر حزنه بجزع أو شكوى (٤١٦) (قالوا لله تفقؤ) أى لاتزال (تذكر يوسف) لانتم من ذكره

(حتى تكون حرضا) أى فاسدا دفقا (أو تكون من المالكين) يعنى الشين وللعنى لاتزال تذكره بالفرن والبكاء حتى تصير بذلك الى مرض لا تتفتح بنفسك معه أو تمتوت بنه فلما اغلظوا له بالتول (قال انما أشكوا بشى) أى ماى من البث وهو الحزن الذى تقضى به الى صاحبك (وحزنى الى الله) لا اليكم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وهو أنه يعلم أن يوسف حى أخيره بذلك ملك للوت وقال له اطلبه من ههنا وأشار الى ناحية مصر فذلك قال (يا بنى اذهبوا فتمسحوا من يوسف) أى تبعثوا عنه (ولا تياسوا من روح الله) أى من الترحج الذى يأتى به (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) يريد أن المؤمن يرجو الله فى شدائد الكافر ليس كذلك فخرجوا الى مصر

عندى مرة الاوتقص بضكم ذهبتم مرة فنقص يوسف ومرة ثانية نقص شمعون ومرة ثالثة نقص روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن يأتينى بهم) أى يوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذى توقف فى مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله تعالى لانه اذا اشتد البلاء كان أسرع الى الفرج ولانه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من رؤى يوسف (امهو العليم) بحالى وحالمهم (الحكيم) أى الذى لم يبتلى بالحكمة بالغة (وتولى عنهم) أى وأعرض يعقوب عن يديه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لما سمع منهم (وقال يا أسفا) أى يا خدة حزنى (على يوسف) أى أشكو الى الله أسفى ولم يرجع يعقوب أى لم يقل الله وانما الرجوع لان الاسترجاع خاص بهذه الأمة (وايضت عيناه من الحزن) أى ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع يكثر عند غلبة البكاء قصير العين كأنها يبضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أى عسك على حزنه فلا يظهره أو تمتلئ من الحزن أو عله من النفي على أولاده (قالوا) أى الجماعة الذين كانوا فى النار من أولاد أولاده وخدسه (ناله تفقؤ تذكر يوسف) أى والله لاتزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) أى فاسدا فى جسمك وعقلك (أو تكون من المالكين) أى من الأموات فكأنهم قالوا أنت الآن فى بلاد شديد وتخاف عليك أن يحصل فيك ما هو أذى بدمته وأرادوا بهذا القول منعه من كثرة البكاء (قال) أى يعقوب لهم (انما أشكوا بشى وحزنى الى الله) أى لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الامع الله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أعلم من رحمتهم ما لا تعلمون وهو أنه تعالى يأتينى بالفرج من حيث لا أحسب أى انهم يعلم أن رؤى يوسف صادقة ويعلم أن يوسف حى لان ملك للوت قال له اطلبه ههنا وأشار الى جهة مصر ويعلم أن بنيامين لا يسرق وقد سمع أن للوكما آذاه ما ضر به فغلب على ظنه ان ذلك الملك هو يوسف فن ذلك قال (يا بنى اذهبوا فتمسحوا من يوسف وأخيه) أى استعلموا بعض أخبار يوسف وأخيه بنيامين فان حالهما مجبولة وخوفا بخلاف حال روبيل (ولا تياسوا من روح الله) أى لا تقنطوا من فرج الله وقضه وقرأ الحسن وقيل من روح الله بضم الراء أى من رحمة (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان أن الاله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر فثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا أى قبيلا من أبيهم تلك الوصية فادوا الى مصر مرة ثالثة (فلما دخلوا عليه) أى يوسف (قالوا يا أبا العزى) أى للوك القادر القوى (مسنا وأهلنا الضر) أى أصابنا ومن تركناهم فراءه الغزال من شدة الجوع (وجئنا بضاعة مزجاة) أى بدهام رديئة لا تقبل فى ثمن الطعام وتقبل فيها بين الناس (فأوف لنا الكيل) أى أتممت لنا كاسمتنا بالدهام الجياد (وتصدق علينا) بالساعة عن ما بين الثنتين (ان الله يجزى للتصدقين) فى الدنيا والآخرة وروى أنهم لما قالوا ذلك وتضرعوا اليه اغرورقت عيناه فصدق ذلك (قال) بحبها معاصروا به من طلبه رداً عليهم بنيامين

(هل) (فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا العزى مسنا وأهلنا الضر) أى أصابنا ومن يخص بنا الجوع (وجئنا بضاعة مزجاة) أى ندافع بها الأيام وتتقوت وليست بما يتبعه هو كاستدراهم ز يوطا (فأوف لنا الكيل) سألوهم مسألتهم فى التصدق واعطاهم بدهامهم مثل ما يسطى بدهام الجياد (وتصدق علينا) أى بما بين الثنتين (ان الله يجزى للتصدقين) أى ان الله يتولى جزاءه للتصدقين فلما قالوا هذا أدركتهم الالة فدمعت عيناهم (قال) توبى لعلهم وتظلموا لما قالوا

(هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) من ادخال القم عليه بافراده من يوسف (اذ أنتم جاهلون) أى آمنون ببقوى أيكم وقطع رحم أخيك جهلامكم وقال لهم هذه للمقارعة الحجاب (قالوا) له (أنتك لانت يوسف (٤١٧) قال أنا يوسف) الذى فعلتم بما فعلتم

(وهذا أنى) الظالم من

جهنكم (قد من الله علينا)

أى بالجمع بينا بعد ما فرقم

بيننا (ام من يتق) الله

(و يصبر) على المصائب

(فان الله لا يضيع أجر

المحسنين) أى اجر من كان

هذا حاله (قالوا تالله لقد

آرك الله أى فضلك الله

(علينا) بالعلم والمقل

والفضل والحسن (وان كنا

لخاطئين) أى آثمين فى

أمرك (قال لاثرب ب عليكم

اليوم) أى لا تأنيب

ولا تعير عليكم بعد هذا

اليوم ثم جعلهم فى حل

ورسل لهم للقرعة فقال

(يغفر الله لكم وهو أرحم

الرحمين) ثم سلهم عن أبيهم

فقالوا ذهبت عنه ف قال

(اذهبوا بقميص هذا)

وكان قدزل به جبريل

على ابراهيم لآلتي فى النار

وكان فيه ریح الجنة لا يقع

على ميتى ولا يقيم الاصح

فذلك قوله (فألقوه على

وجهي يأت بصيرا) أى

يرجع ويد بصيرا (ولما

فصلت البير) أى خرجت

من مصر متوجهة الى

كنعان (قال أبوهم) لمن

حضره (انى لأجد ریح

يوسف) وذلك أنه حاجت

(هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أى ما أعظم ما أنتم من أمر يوسف وأخيه من تقرير يوسف من أبيه وافراده عن أخيه لأبيه وأمه (اذ أنتم جاهلون) أى حال كونكم جاهلين عتقي فعلكم ليوسف من خلاصه من الجب وولايتة السلطنة (قالوا) أى اخوته (أنتك لانت يوسف) قرأ ابن كثير أنك على لفظ الخبر وقرأ نافع أنك بفتح الألف غير معدودة وبالياء وقرأ أبو عمرو وأنتك بعد الألف وهو رواية قالون عن نافع والباقون أنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام لأنهم فهموا من فحوى كلامه عليه السلام أومن اجارناياه وقت تبسمه عند سكره بذلك وقال من قرأ على الخبر ان الاخوة لم يعرفوا يوسف حتى رفع الناج عن رأسه فرأوا في فرجه علامة نشبه الشامة البيضاء كما كان ليغيب واسحق مثل ذلك فلما عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جوابا لهم (أنا يوسف وهذا) أى بنيامين (أخى) أى شقيقى (قد من الله علينا) بالجمع بينا جد التفرقة بكل عز وليرقل عليه السلام فى الجواب هو أنا بل صرح بالاسم نظما لما زل به عليه السلام من ظلم اخوته وما عوضه الله من النصر والملك فكان قالنا يوسف الذى ظلمتمونى على أعظم الوجوه وأما العاجز الذى قصدتم قتله والله تعالى أوصلنى الى أعظم المناصب كما ترون فكان فى اظهار الاسم هذه المعاني ولما قال وهذا أخى مع أنهم كانوا يعرفونه لأن مقصوده عليه السلام أن يقول وهذا أيضا ظالم ثم صار هو من معاملة من الله تعالى كما ترون (انه) أى الشأن والحدث (من يتق) معاصى الله (و يصبر) على أذى الناس والحن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ويقوم الظاهر مقام الضمير لاستناله على التعيين الذين هما التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آرك الله) أى فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أى وان الشأن كنا لخاطئين أى لمتعمدين فى الأثم فهم اعتدوا وامنونا بوا (قال لاثرب ب عليكم اليوم) خبر ثان أى فى حكمة فى هذا اليوم بأن لا تو سبخ مطلقا وتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام للتناول لكل الأوقات لأن لاثرب ب نفي القاهية فيقتضى استفا جمع أفراد القاهية فذلك مفيد للنفي للشمول لكل الأوقات (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغار والكبار أى لا يبين يوسف لهم أنه أزال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم مطلب من القدان يزىل عنهم عقاب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوا أرسلوا اليه أنك تحضرنا فى ما ندك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لمصدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وان ملكك فيهم كانوا يظنرون الى يمين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبد سبع بعشرين درهما ولقد شرفت الآن بأنيانكم وعظمت فى العيون لما علم الناس أنك اخوتى وأنى من خدنا تار ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا فاقفوه على وجهي يأت) الى (بصيرا) وآتوني بأهلكم أجمعين) من النساء والزرارى والوالى وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص هو ذاق قال أنا أخرته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرجه كما خرز تنفخه له وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسحا (ولما فصلت البير) أى خرجت الابل التى عليها الاحمال لاخوة يوسف من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب لمن حضر عنده من أولاد بنيه وقرأته (انى لأجرح يوسف) أى انى لأثم ریح الجنة من قميص يوسف (ولأن تغفدون) أى لولأن تنسبون الى الحرف وفساد الرأى من هزم لصديقى والتحقىق أن يقال انه تعالى أوصل تلك

(٥٣) - (تفسير مراح ليد) - أول (الريح فحملت ریح القميص واتصلت يعقوب فوجد ریح الجنة فلم أنه ليس فى الدنيا من الجنة الا ما كان من ذلك القميص (ولأن تغفدون) أى تنفون ونجملون

الرحالة إلى سيدنا يعقوب على سبيل إظهار المعجزات لأن وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية أيام مثلا أمر مناقض للعادة فيكون معجزة له (قالوا) أي الحاضرون عنده (تالله انك لني ضللك القديم) أي لني حيك الأول ليوسف لاتنساه ولا تنهمل عنه وكان يوسف عندهم قنبلت (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقيصيص (أتاه على وجهه) أي أتى البشير القيصيص على وجه يعقوب (فارتد بصرا) أي فصار يعقوب بصيرا لعظم فرحه (قال ألم أقل لكم أني أعلم من الله ما لائتمون) من حياة يوسف وأن رؤياه صدق وأن الله يجمع بيننا (قالوا) اعتننا ارحمنا حصل منهم (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) أي اطلب لنا من الله غفر ذنوبنا (انا كنا خاطئين) أي متعمدين للذنوب أي يوسف (قال سوف أستغفر لكم رب) أي أدعوكم رب لي ليلة الجمعة وقت السحر (انهو الغفور الرحيم) فقام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزي على يوسف وقلة صبري عليه واغفر لأولادي ما فعلوه في حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين روى أن يوسف عليه السلام وجهه إلى أبيه جهازا وماتى راحلة مع اخوته ليأتوا بجميع أهله إلى مصر وهم بمئة اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ستاة ألف وخمسة مائة وبعث سبعين رجلا سوى الثرية والمهرجى وكانت الثرية ألف وماتى ألف فقد بورك فيهم كثيرا حتى بلغوا هذا العدد في مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربعين سنة فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة ورواية خز وقصب قنز بنت الصحراء بهم واصطفوا صقفا والمصدر يعقوب ومعه أولاده وحفدته ونظر إلى الصحراء ملوذة بالفريسان مزينة بالألوان فخطر اليهم متجها فقال جبريل انظر إلى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك وكانوا يابكين محزونين مدة لأجلك وهاجت الفريسان بضهر في بعض وصلات الحيول وسبحت للملائكة وضربوا بالطلول والوقات فصار اليوم كأنه يوم القيامة وكان دخولهم في مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا على يوسف) في محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر تلقى أبيه (أرى إليه أبو يه) أي ضم يوسف إليه أبيه وخالتهم واعتنقهما فان أمه ماتت في النفاس بأخيه بنيامين فمضى بنيامين بالبرانية ابن الوجب ولما مات أمه تزوج أبو يه بخالته فان الرابية تدعى أما (وقال) أي يوسف لجميع أهله (ادخلوا مصر) للإقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحدا وكانوا فيها سلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبو يه على العرش) أي لما نزلوا في مصر أجلس يوسف أباه وخالته معه في السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه (وخروا له سجدا) أي وخروا قد سجدوا شكريا لأجل يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقبة لهم كما سجدت للملائكة لأدم فان أقدام يعقوب بالسجود لحكمة خفية وذلك لأن أخوة يوسف بما ملهم التذكير عن السجود على سبيل التواضع لاهل سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود في قلبه لكن لما علم أن الله أمر يعقوب بذلك سكت ولأن يعقوب علم أنهم لو لم يفعلوا ذلك لظهر الفتور والاحقاد القديمة بعد كونها بالسجود زوال الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جازي في ذلك الزمان فلما جاءت هذه الشرية نسخت هذه الفعلة ويقال كان سجودهم تحيتهم فيها بينهم كهية الركوع نحو فعل الإعاجم (وقال) أي يوسف (يا بأت هذا تأويل ربى رأى من قبل) أي هنا السجود تصديق ربى الكائنات من قبل المصائب التي وقعت فكان يوسف يقول يا بأت لا يلحق بملكك على جلاتك في العلم والدين والنسبة أن تسجد لولدك الا أن هذا أمر أمرت به فان رؤى بالأنبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد جعلها ربى حقا) وكانه قيل ليعقوب انك كسبت دأبهم الرغبة في وصال يوسف ودأبهم الحزن بسبب فراقه فاذا وجدته

(قالوا تالله انك لني ضللك القديم) أي شقائك القديم يعني بما تكابد من الاحزان على يوسف وخطئك في النزاع اليه على بعدهم منك وكان عندهم أنه قد مات وقوله (فارتد بصيرا) أي عاد ورجع وقوله (سوف أستغفر لكم رب) أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الاجابة وكان قد بعث يوسف مع البشير إلى يعقوب عدة السبر إليه فنهبا يعقوب وخرج مع أهله إليه فنذك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف أوى إليه) أي ضم إليه (أبو يه) أي أباه وخالته وكانت أمه قد ماتت (وقال ادخلوا مصر) وذلك أنه كان قد استقبلهم فقال لهم قبل دخول مصر ادخلوا مصر (ان شاء الله آمين) وكانوا قبل ذلك يخافون دخول مصر الجوار من ملوكهم (ورفع أبو يه على العرش) أي أجلسه معالي السرير (وخروا له سجدا) أي سجدوا ليوسف سجدة التحية وهو الأخلاء

كنعان أهل موث وبرية
(من بعد أن نزع الشيطان)
أي أقصد (بيني وبين
اخوتي) بالحد (الذي بيني
لطيفاً ليشاء) أي عالم
بديقات الأمور (أنه هو
العليم) بخلقهم (الحكيم)
فهم بما يشاء ثم دعا ربه
وشكره فقال (رب قد
آتينيتني من الملك) أي ملك
مصر (وعلمتني من تأويل
الاحاديث) يريد تفسير
الاحلام (فاطر السموات
والأرض) أي خالقهم
ابتداء (توفني مسلماً)
أي اقضني على الاسلام
(وأخفني بالصالحين) أي
من آياتي ابراهيم واسحق
واسماعيل يريد ارفغنى
الى درجاتهم (ذلك) أي
الذي قصصنا عليك من
أمر يوسف من الأخبار
التي كانت غائبة عنك وهو
قوله (من أنباء القيب
نوحيه اليك وما كنت
لبيهم) أي لدى اخوة
يوسف (إذا جمعوهم)
أي عزموا على أمرهم
(وهم يكرهون) أي ييوسف
(وما أكثر الناس) الآية
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرجو أن تؤمن
بغريش واليهود لمأسأله
عن قصة يوسف فشرحها

فأسجله فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام
قال سلمان كان بين رؤياه وتأويلها أربعون عاماً (وقد أحسن في) أي وقد لطف في عسالى
(إذا أخرجني من السجن) أعاد ذكر اخراجه من السجن ولما ذكر اخراجه من الحب ثلاثاً تخیل
اخوته ولأن خروجهم من السجن كان سبب الصبر ورثه ملكاً ولو صوله الى أبيه واخوته ولزوال التهمة
عنه وكان ذلك من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاءكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده
أصحاب ماشية فسكنوا البادية وقال علي بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن نزع الشيطان بيني
وبين اخوتي) أي من بعد أن أقصد الشيطان بيننا بالحد (أن ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر
لما يشاء من خفايا الأمور فإذا أراد الله حصول شيء سهل أسبابه فحصل وإن كان في غاية البعد عن
الحصول عند العقول (أنه هو العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصب (الحكيم) أي الحكيم
في فعله مراعى العيب والباطل وروى أن يعقوب عليه السلام أقامه أر بعاً وعشرين سنة فلما
حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه اسحق فلما مات
بصرح له يوسف وجعله في تابوت من ساج فوافق ذلك موت عيسى أخى يعقوب وكان قد ولى ابني
بطن واحد قدغنى قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبع وأربعين سنة فلما دفن يوسف بأمره الى
مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة فلما مات أمره وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة
فقال (رب قد آتينيتني من الملك) أي بصا منه وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي
بعضان تيسيراً لى (فاطر السموات والأرض) أي بإخلاقهما (أنت الذى تولى مصالح
جميع مهنائى) (فى الدنيا والآخرة توفى مسلماً) دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبى لا يموت الا مسلماً
اظهار العبودية والافتقار وشدة الرغبة فى طلب مساعدة الخاتمة وتعليل تفرقه والطلاب هنا كمال حال
السلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله
وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفتح القلب فى ذلك وهذا الحالة زائدة على الاسلام
الذى هو ضد الكفر (وأخفنى بالصالحين) أي بأبى المرسلين ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
فى نواهم ودرجاتهم فى الجنة ولله يوسف أفرأئهم وميثاؤهم ولا فرأئهم نون وولدنون ووسع فى
موسى عليه السلام ولقد توارث القرائنة من العاقبة مصر بعد يوسف ولم يزل بنو اسرائيل تحت
أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك) أي خبر يوسف
واخوته (من أنباء القيب) التى لا يحوم حوله أحد (نوحيه اليك وما كنت لبيهم) أي عند اخوتي يوسف
(إذا جمعوهم) أي حين عزموا على القاهم يوسف فى غيبة الحب (وهم يكرهون) أي والحال
أنهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أى ذلك الخبر لا سبيل الى معرفتك إياه إلا بالوحى
وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلاوى لا يتصور إلا بحضور
فيكون معجزاً لأن عهدهم يطالع الكتب ولم يأخذوا من أحد من البشر وما كانت بلده بلد العلماء
فأنيانته بهذه القصة على وجه يشع فيه غلط كيف لا يكون معجزاً (وما أكثر الناس) وهم قريش
واليهود (ولوحصرت) أي بالفت فى طلب إيمانهم باظهار الآيات البالة على صدقك (عؤمنين) لا صراهم
على العناد روى أن اليهود وقريشاً سألو عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها
على موافقة التوراة فلم يسلموا حزناً الذى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه (وما تسألهم عليه) أي

لهم فخالقوا ظنه فقال الله تعالى وما أكثر الناس (ولوحصرت) على إيمانهم (بمؤمنين) لأنك لا تهدي من أحبب ولكن الله يهدي من يشاء (وما تسألهم عليه) أي على القرآن

(من أجر) أى مال يطولك (ان هو) أى ماهو (الاذكر للعالمين) أى تذكرة لهم بما وصلحهم بربنا أنزنا الحلة في التكذيب حيث بشناك مبلغا بالأجر غير أنه لا يؤمن الأمن شاء الله ولوحصرت وان حرص النبي ﷺ على ذلك (وكأين) أى كم (من آية) يعنى من دلالة تدل على التوحيد . (٤٢٠) (في السموات والارض) يرى من الشمس والقمر والنجوم والجبال

على تبليخ الأنباء التي أوحينا اليك (من أجر) كإيفاله حلة الاخبار (ان هو) أى القرآن الذي أوحينا اليك (الا ذكر للعالمين) عامة أى عظة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة والعاد والتكاليف والقصص فان الوعظ العام ينافي أخذ الاجر من البض وهذا القرآن مشتمل على هذه للنافع العظيمة ولا تطلب منهم مالا فلو كانوا عقلاء لقبلوا منك (وكأين من آية) أى كم من عدد شئت من العلامات الدالة على وجود الصانع وحدته وكما قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها كاتمة (في السموات والارض) من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب (يعر عن عليها) أى يشاهدونها ولا يتألمون فيها وقرى مرفوع والارض على الابتداء ويعر عن عليها خبر موقر السدى نصبها على معنى ويطون الارض (وهم عنها) أى الآية (معرضون) أى غير متفكرين فيها فلا عجب اذا لم يتألموا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى لا يؤمن أكثرهم بوجود الله الا في حال شركهم فالكافرون معقرون بوجود الله لكهم يقتبون له شركا في المعبودية وعن ابن عباس أن أهل مكة قالوا ان الله بنا وحده لا شريك له وللا نكته بناه وقال عبدة الاصنام بنا الله وحده ولا اصنام شفعاء ناعنده وقالت اليهود ربنا الله وحده ولا شريك له وقالت النصرانية ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحدا بل أشركوا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه (أفأمنوا) أى أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أى أقبل مخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشملهم (أو تأتيهم الساعة بفتنة) أى فجأة من غير سبق علامة (وهم لا يشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (هذه) أى الدعوة الى التوحيد والايان بالاخلاص (سبيل) أى ديني (أدعو الى الله) بهذا الدين (على بصيرة) أى حجة واضحة (أنا ومن اتبعني) فأدعو اما مستأنف وأحوال من الباء وعلى بصيرة اما حال من فاعل ادعو أو من الباء وأنا اما تأكيد للتسكين في ادعو أوفى على بصيرة ومن اتبعني عطف على فاعل ادعو قال صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وسبحان الله) أى وأسبح سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ندا ولولا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) وهنارد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هلا بئس اهل مكة ملكا والذى كيف يتعجبون من رسالتنا اليك مع أن سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حلهم كحالك ولم يبعث الله رسولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدأ جافا ومن اتبع الصيد غفل وقرأ حفص عن طاصم نوحى بالنون مبني للفاعل والباقون بالياء مبني للمفعول (أفلم يسروا) أى أهل مكة (في الارض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر للكذابين للرسل والآيات عن قبلهم فيعتبر واما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى

وغيرها (يعر عن عليها) أى يتجاوزونها غير مفكرين ولا معتبرين فقال للمشركون فان تأمن بالله الذي خلق هذه الاشياء فقال الله (وما يؤمن أكثرهم بالله) أى في اقراره بأن الله خلقه وخلق السموات والارض (الا وهم مشركون) أى الاوكل واحد منهم مشرك بعبادة الوثن (أفأمنوا) يعنى للمشركين (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أى عقوبة تشاهم وتنسب عليهم (قل) لهم (هذه) الطريقة التي أنا عليها (سبيل) أى سبقي ومنهاجى (أدعو الى الله) وتم الكلام ثم قال (على بصيرة) أى (أنا) على دين و يقين (ومن اتبعني) يعنى أصحابه وكانوا على أحسن طريقة (وسبحان الله) أى وقل سبحان الله تنزهها لله عما أشركوا (وما أنا من المشركين) أى الذين اتخذوا مع الله ندا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) يريد

لم نبعث قبلك نبيا الا رجالا غير امراءه وكانوا من أهل الامصار ولم نبعث نبيا من بادية وهنارد لانكارهم نبوته يريد أن الرسل من قبلك كانوا على مثل ذلك ومن قبلهم من الامم كانوا على مثل حلهم فأهلكتهم فذلك قوله (أفلم ينسروا في الارض فينظروا) الى مصارع الامم للكذبة فيعتبر واهم (ولدار الآخرة) يعنى الجنة

(خير للذين اتقوا) الشرك في الدنيا (أفلا يعقلون) هذا حتى يؤمنوا (حتى إذا استأسأ الرسل) أي يسأون قومهم أن يؤمنوا (وعلونا أنهم قد كذبوا) أي أقنوا أن قومهم كذبوهم (جاهم نصرنا فننجي من (٤٣١) نشاء) وهم المؤمنون أتباع الانبياء (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا

(لقد كان في قصصهم) يعني اخوة يوسف (عبدة) أي فصحرة وتبذر (لأولى الألباب) وذلك أن من قدر على اعزاز يوسف وعليك مصر بعد ما كان عبدا لبعض أهلها قادر على أن يبرح محبدا وينصره (ما كان) القرآن (حديثا يفرى) أي يتقوله بشر (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديقا لقبله من الكتب (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه من أسرار الدين (وهدي) أي ويناها (ورحمة لقوم يؤمنون) أي يصدقون بما جاء به

محمد ﷺ

﴿تفسير سورة الرعد﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(الر) أنا الله أعلم وأرى (تلك) يعني ما ذكر من الأخبار والأحكام قبل هذه الآية (آيات الكتاب) أي القرآن (والذي أنزل اليك من ربك الخ) أي ليس كما يقول للشركون انك تأتي به من قبل نفسك باطلا (ولكن أكثر الناس) يعني أهل

الجنة (خير للذين اتقوا) معاصي الله (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقيون على التثنية (حتى إذا استأسأ الرسل) أي لا يضرهم تماديهم فيهم فيه من الراحة والرخاء فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصرة عليهم في الدنيا (وعلونا أنهم قد كذبوا) قرأ أعاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الدال للكسورة وللنفي وظن القوم أن الرسل أخفقوا في وعدهم بالصبر أي أخلف الله وعده لرسلهم بالنصر وقرأ الباقيون بالتشديد والنفي وظن الرسل أنهم قد كذبهم الأمم الذين آمنوا بهم بما جاءوا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضي الله عنها وهو أحسن الوجوه وقالت ان البلاد لم يزل من الأنبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم (جاهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنجي من نشاء) هم الرسل وللمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبني للفعل والباقيون بنونين الثانية ساكنة وبسكون الباء فعل مضارع (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) أي للشركيين اذا نزل بهم (لقد كان في قصصهم) بفتح القاف أي قصص يوسف واخوته وأبيه عليهم السلام وقرئ بـ كسر القاف أي قصص الأنبياء وأممهم (عبدة) أي عظة عظيمة (لأولى الألباب) أي لنسب العقول الذين اتفقوا بمعرفتها (ما كان) أي هذا القرآن فقد تنقسم ذكره في قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا (حديثا يفرى) فلا يصح من محمد أن يخلق فيه ولا يصح الكتب من القرآن فليس بكتب في نفسه (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان القرآن مصدق الكتب التي قبله (وتفصيل كل شيء) أي ومبيناتين الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين (وهدي) في الدنيا من الضلالة (ورحمة) أي سببا لحصول الرحمة من المذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أي يصدقونه فاتهم للشكوك به

﴿سورة الرعد مكية الايتين فيهما مدنيان ومهاقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا نصيبهم

بما صنعوا فآخرة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب

وقيل مذنية سوى قوله تعالى ولأن قرأ ناسيت به الجبال الايتين

واياتها خمس وأربعون وكلها ثمانية وخمسون

وحروفها ثلاثة آلاف وخمسة وستة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اسم للسورة أي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وقال ابن عباس في رواية عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال في رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ما تمسكون وتقولون (تلك) أي آيات السورة المسماة بالـ (آيات الكتاب) أي الكتاب العجيب الكامل (والذي أنزل اليك من ربك) وهو القرآن (الحق) أي هو مطابق لواقع في كل ما نطق به (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون) بالقرآن لاختلافهم بالنظر (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي بغير دعائم (تر ونها) كلام مستأنف وأحوال من السموات أي وأنتم ترون السموات مرفوعة بلا عمد وأصفت لعدم والنفي أن الله رفع السموات بغير عمد مريئة لكنهم الميئون بل لها عمد غير مريئة وهي قدرة الله تعالى أي انما بقيت السموات واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى (ثم استوى على العرش) أي استولى الله

مكة (لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمد وهي الأساطين (تر ونها) أتم كذلك مرفوعة بغير عمد (ثم استوى على العرش) بالاستيلاء والافتدال وأصله استواء التدبير كأن أصل القيام الاتصاف ثم قال قائم التدبير ثم قبل على حدوث العرش الاستوى عليه

(وسخر الشمس والقمر) أي ذلها (٤٢٣) لما أراد منهما (كل يجري لأجل مسمى) أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا

(يدبر الأمر) أي يصرفه
بحكمته (يفصل الآيات)
يعني يبين الدلالات التي
تدل على التوحيد والبعث
(لعلكم تلقوا بكم نوتون)
أي لكي توفقوا أهل مكة
بالبعث (وهو الذي مد
الأرض) أي بسطها
ووسعها (وجعل لها رواسي)
أي أوتد هاها لجبال (وأشارا
ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين) يريدوا
وحامضا وبقي الآية ماض
تفسيره (وفي الأرض قطع
متجاورات) أي قرى
بعضها قريب من بعض
(وجنات) يعني بساتين
(من أعناب) وقوله
(صنوان) وهو أن يكون
الأصل واحدا ثم يتفرع
فيصير نخيلا يحملن وأصلهن
واحد (وغير صنوان)
وهي المتفرقة واحدة واحدة
(تسقى) أي هذه القطع
والجنات (بماء واحد
وتفضل بعضها على بعض)
يعني اختلاف الطعوم (في
الأكل) يعني الثمر فمن
حلو وحامض وجيد وردي
(إن في ذلك لآيات) أي
دلالات (لقوم يعقلون)
يريد أهل الإيمان الذين
عقلوا عن الله (وإن تعجب)
يا محمد أي من عبادتهم مالا
يضر ولا ينفع وتكذيبك
بد البيان فتعجب أيضا من إنكارهم البعث وهو معنى قوله (فتعجب قولهم أنذا كنا ترابا أنأبى خلق جديد

أولئك الذين كفروا بهم وأولئك الأغلال) جمع غل وهو طوق تقديده اليدالي العنق (ويستعجلونك بالهيئة قبل الحسنة) الآية يعني مشركي مكة سأول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب

(٤٢٣)

استنزاه يقول يستعجلونك

بالعذاب الذي لم تأجلهم به وهو قوله قبل الحسنة يعني احسانه اليهم في تأخير العقوبة عنهم الى يوم القيامة (وقد خلت من قبلهم اللغات) أي وقد مضت من قبلهم العقوبات في الامم للكذبة ولم يثبتوا بها (وان ربك لتومضفرة للناس على ظلمهم) أي بالتوبة يعني يحتاجون عن الشركين اذا آمنوا (وان ربك لتشد يد العقاب) يعني لمن أصر على الكفر (ويقول الذين كفروا لولا أنزل علينا سلطان من ربك لكاننا نحن الكفرة الذين كفروا لولا أنزل علينا آية من ربك) أي هلا أنابنا إلى كآتي به موسى من الصا والبد (انما أنت منذر) بالنار لمن عصى الله وليس اليك من الآيات شيء (ولكل قوم هاد) أي بني وداع الى الله يدعوهم بما ينطى من الآيات لا بما يريدون ويحكمون (الله يعلم ما تحصّل كل شيء) من علقوم ومفنة وزاد ونقص وذكر وأشي (وما تفيض) أي تنفص (الأرحام) من مدة الجمل التي هي تسعة أشهر (وما تزداد) أي على ذلك (وكل شيء عنده

ايك بعدما كانوا قد حكموا عليك انك من الصادقين فحقق بالعجب قولهم أنما خلقنا جديدا بعد الموت بعد أن صرنا رابا وفينا الروح كما كتبنا قبل الموت فأنهم عرفوا أن الله على كل شيء قدير فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة كيف لا تكون وافية بإعادة الانسان بنموه لان القادر على الأقوى قادر على الأضعف بالأولى (أولئك) أي المنكرون لقدرة تعالى على البعث بعد ما كانوا الآيات الباهرة (الذين كفروا بهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقته في خبره (وأولئك) أي أهل الكفر (الأغلال في أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أي أهل الأغلال (أصحاب النار) أي سكان النار (هم فيها) أي النار (خالدون) لا ينكفون عنها (ويستعجلونك) استنزاه منهم (بالهيئة) أي بزلول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أي قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهدمهم تارة بنبذ القيامة وتارة بنبذ الدنيا فكمأهدمهم بنبذ القيامة أنكروا البعث والخزاء وكأهدمهم بنبذ الدنيا قالوا له استنزاه بأخبار مجتبهنا هذا العذاب (وقد خلت من قبلهم اللغات) أي والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالمهم من المكذبين فلأهم لا يثبتون بها (وان ربك لتومضفرة للناس) أي لتواهمالهم وتأخير للعذاب عنهم (على ظلمهم) أي حال كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصي (وان ربك لتشد يد العقاب) فيقلب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما يستعجلوه ليس للاهمال (ويقول الذين كفروا) وهم المستعجلون بالعذاب أيضا (لولا أنزل علينا آية من ربك) أي قالوا اعتاداهلا أنزل على محمد من ربك علامة لتبويه كما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم إزالة لرغبته في حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أي انما أنت بالشرف الخلق رسول يخوف من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون ولا حاجة الى الزمهم بآيات ما اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أي بني مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان القاب في زمان موسى هو البحر جعل معجزته من جنس ذلك وهو الصا والبد ولما كان القاب في أيام عيسى الطبع جعل معجزته ما كان من جنس ذلك وهو احياء الموتى وبراء الأكمه والأبرص ولما كان القاب في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم القصة جعل معجزته ما كان لا تقا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها أليق بطباعهم فيأن لا يؤمنوا عندنا طهارسات للمعجزات أولى (الذي يعلم ما تحصّل كل شيء) من حين الملوقة الى زمن الولادة من أي شيء يعمّل وعلى أي حال (وما تفيض الأرحام وما تزداد) أي في عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعين في جنسه فتعديكون الولد تنحجوا وما في مدة ولادة فتعديكون مدة الجمل تسعة أشهر وأربعين بعد ما في ستنين عندنا في حنفية والى أربعين عند الشافعي والى خمسة عند مالك (وكل شيء) من الأشياء (عنده) أي في علمه تعالى (عقدار) أي بعد لا يجاوز ولا ينقص عنه (عالم الغيب) أي ما غاب عن العباد (والشهادة) أي ما علمه العباد (الكبير) أي العظيم الذي يصخر غير ما بالنسبة الى كبريائه (للتعال) أي للزعم كل ما لا يجوز عليه في ذاته (سواء منكم من أسر القول) في نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهريه) أي أظهره لنبيه وقال ابن عباس أي سواء ما أضمرته القلوب وأظهره الألسنة (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل وسارب) أي بارز يراه كل أحد (بالتأثر) وقال مجاهد أي وسواء من أقدم على التبايح سرا في ظلمات

بمقدار) أي علم كل شيء فقدره تقديرا (عالم الغيب) أي ما غاب عن جميع خلقه (والشهادة) يعني ما شهد الخلق (الكبير) ير يد العظيم القدر (للتعال) أي عما يقول للمشركون (سواء منكم من أسر القول ومن جهريه ومن هو مستخف بالليل وسارب بالتأثر)

الليل ومن آتى بها ظهرا النهار أى فان علمه تعالى محيط بالكل (له) أى لكل عن أسر وأجهر
والسخفي والسارب أولام القيب والشهادة (مقببات) أى ملائكة جفظة يقبب بعضهم بعضا في
الحجى إلى من ذكر ويقيمون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أى يحيطون بمن
ذكر فيصون عليه أعماله وأقواله ولا يشمن حفظهم إياها شيئا أصلا (يحفظونه) أى من ذكر
(من أمرائه) أى من بأس الله حين أذنب بالاستمهال أو يراقبون أحواله من أجل أمرائه وقد
فرى به أو بسبب أمرائه كإندله قراءة على وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة بأمرائه (ان الله
لا يغير ما بقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (واذا أراد الله بقوم سوءا)
أى هلاكا (فلا مرد له) أى لم تكن المقبات شيئا فلما أراد لطلب الله ولا ناقص لحكمه (ومالم من
دونه) أى من غير الله (من وال) أى مانع من عذاب الله الذى أرادهم بتغيير ما بهم (هو الذى
يرىكم البرق) وهو لمان يظهر من خلال السحاب (خوفا) أى خائفين من وقوع الصواعق (وطمعا)
أى وطامعين في زول الثابت أو ذا خوف لمن له في الطرضر كالمسافر وكن يحفظوا التمر والزبيب والقمح
وذا طمع لمن له فيه تقع كالحراث (وينشئ السحاب) أى ويرفع الغمام للنسج في الجو (الغمام)
بالماء (ويسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت للسموع لانه صوت
بالنسج وقيل هو صوت الآلة الذى تولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن
اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه
مخاريق أى آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذى نسمع قال زجره
السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسبيحه هو ذلته على وحدانية الله تعالى وفضله للاستلزام لحجده
(والملائكة من خيفته) أى وتسبح جميع الملائكة من هيبه الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد
ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤمر وأنه يحوز الماء أنه يقرقها بهما وأنه يسبح الله تعالى فإذا سبح
لا يبق ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبح فعندها ينزل المطر (ويرسل الصواعق) وهي تيران تنشأ من
السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أى في شأن الله (وهو شديد المحال) أى العقاب
نزلت هذه الآية في عامرين الطفيل وأر بد بن ربيعة أخى لبدي بن ربيعة فانها أنيا التي صلى الله عليه
وسلم بحاصنه ويريدان الفتك به عليه السلام فقال أر بد أخو ليبدأ خبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم
حديد فلما رجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم صحو صانفت فأحرقته ورمى عامرا بقعدة كعدة البعير
فمات على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه
وسلم فراح يدعو له إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني من رب محمد هذا الذى تدعونني إليه فهل هو
من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا ككبر قلب ولا أعتى على الله منى فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا إليه
فرجعوا إليه فقال أجيب محمدا إلى رب لا أرموا ولا أعرف ففرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
ما زادنا على مقالته الأولى بل أخبث منها فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا إليه ففرجعوا إليه فبقيهم عنده
ينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت ورتوت بصاعقة فاحترق الكافر وهم
جالوس عنده ففرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الأنبياء فقالوا احترق صاحبكم
قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق النخ

والسخفي معناه الخفي
والسارب الظاهر للبار
على وجهه (له) أى الله
(مقببات) أى ملائكة
جفظة تتعاقب في النزول
إلى الأرض بعضهم بالليل
وبعضهم بالنهار (من بين
يديه) يعنى الإنسان (ومن
خلفه) يحفظونه من أمر
الله أى بأمره عالم بقدر
فأذا جاء القدر خلوا بينه
و بينه (ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم)
أى لا يسلب قوما نعمة حتى
يعملوا بمحاضيه (واذا أراد
الله بقوم سوءا) أى عذابا
(فلا مرد له) أى فلا راد له
(ومالم من دونه من وال)
أى من يلى أمرهم وينع
الغنا ب عنهم (هو الذى
يرىكم البرق خوفا) يعنى
للسافر (وطمعا) أى
للحاضر (وينشئ) أى
ويخلق (السحاب الغمام)
بالماء (ويسبح الرعد)
وهو الملك الموكل بالسحاب
(بحمده) وهو ما يسمع
من صوته وذلك تسبح
لله تعالى (والملائكة من
خيفته) أى وتسبح
الملائكة من خيفة الله
وخشيته (ويرسل
الصواعق) وهي التي تحرق
من برق السحاب وينشر
على الأرض ضوءا (فيصيب

بها من يشاء) كما أصاب أر بد حين جادل النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (وهم يجادلون في الله) والواو
للعال وكان أر بد يجادل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني عن ربنا أمن نحاس أم من عديد فأحرقته الصاعقة (وهو شديد المحال)

أى العقوبة والقوة (للدعوة الحق) أى أقمن خلقه الدعوة الحق وهى كلمة التوحيد لا إله إلا الله (والذين يدهون) يعنى للتركيب يدعون (من دونه) الأصنام (لا يستجيبن لهم بشئ) الا كياسط (أى الا كياستجيب لئذى يسط (كفيه) يشير (الى الماء) ويدعوه الى فيه (ليبلغ قاه وما هو ببالفه) أى ومالاه بالغائه بدعوته اياه (ومادعاء الكافرين) أى عبادتهم الأصنام (الافى ضلال) أى هلاكو بظلال (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا) يعنى الملائكة والمؤمنين (٤٢٥) (وكرها) وهم من أكرهوا على

السجود فسجدوا لله من خوف السيف واللفظ عام والراد به الخصوص (وظلالهم بالندو والأصا) كل شخص مؤمن أو كافر فان ظله يسجد لله تعالى ونحن لانفخ على كيفية ذلك (قل) يا محمد ليشركين (من رب السموات والارض) ثم أخبرهم (فقل الله) لانهم لا ينكرون ذلك ثم أنهم الحجة (قل) افاتخذتم من دونه أولياء) أى توليتهم غير رب السماء والارض أى أصناما (لا يعلكون لانفسهم نقما ولا ضرا) ثم ضرب مثلا لئذى يعبدوا والذى يعبد الله فقال (قل) هل يستوى الاعشى والبصير يعنى للشرك وللمؤمن (أم هل نستوى الظلمات والنور) يريد الشرك والايان (أم جعلوا لله شركاء) الآلهة يعنى أفعالهم (خلقوا كخلفه) أى خلقوا مثل خلق الله (فتشابهوا لخلق عليهم) أى فتشابهوا لخلق الشركاء بخلق

(له دعوة الحق) أى الله الدعوة الطابقة للواقع حيث جعلها الافتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها وهى شهادة أن لا إله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستجيبن لهم بشئ) الا كياسط كفيه الى الماء) والأصنام الذين يعبدهم الكفار من غير الله لا يستجيبن لهم بشئ من طلبتهم الا استجابة كاستجابة للماء كن بسط كفيه اليهم من جيد (ليبلغ قاه وما هو ببالفه) أى ليبلغ الماء بنفسه من غير ان يعترف الى فيه وما لاه بالغائه أبدا لكونه حمادا لا يشعر بطلنه ولا يسط يده اليه فكما لا يبلغ الماء فى هذا الرجل السلطان كذلك لاتنفع الأصنام من عبدها (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى وماعباد الكافرين الا فى ضلال لانهم ان عبدوا الأصنام لم يقروا على تفهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لاشراكهم (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) أى وقف يعبد من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة وبض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طامعين بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالندو والأصا) أى وقف يسجد غلالا من يسجد خدوة عن ايمانهم وعشة عن مخالطهم (قل) يا أشرف المخلوق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين الجوابية وأبهم لا ينكرونه البتة ثم أنهم الحجة فقال (قل) افاتخذتم من دونه أولياء) أى أجد اقراركم هذا عديم من غير القدر بابا (لا يعلكون لانفسهم نقما ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم فى الأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل النعمة لغير ودفع الضررة عن الغير فاذا عجزوا عن ذلك كانت عبادتهم محض البشوا لفساد (قل) هل يستوى الأعشى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور) أى قل لهم هل يستوى الجاهل بالجاهل يستحق العبادة والعالِم بذلك وهل يستوى الجاهل بالحجة والعالِم بها (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلفه فتشابهوا لخلق عليهم) أى بل أفعالهم لله شركاء خلقوا كخلفه فتشابهوا لخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلفه تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها أى هذه الأشياء التى زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق يسبب خلق الحق حتى يقولوا انها تشارك الحق كونه خالق فوجب ان تشاركه فى الأروية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلون بالضرورة ان هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل البتة واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء فى الأروية محض الجهل (قل الله خالق كل شئ) فلا شريك له فى المخلوق فلا يشاركه فى استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أى التفريد بالأروية (الغفار) لصلح ماسواه (أزل من السماء) أى من جهتها (ماء فالت) بذلك الماء (أودية) أى أنهار (يقدرها) من الماء فان صخر الوادى قل للماء وان اتسم الوادى ككثير للماء (فاتحمل السيل) أى انجارى (زبدا) أى غشاء (رابيا) أى منتفخا فوق الماء (ومما يوقدون عليه فى النار) أى

(٥٤) - (تفسير مراح لبيد) - اول (الله عندهم وهذا استنفهم انكار وتوبيخ أى ليس الأمر على هذا حتى يشبه الأمر بل الله هو التفريد بالخلق وهو قوله (قل الله خالق كل شئ) وهو الواحد الغفار أزل من السماء) يعنى المظهر (فسالت أودية) جمع واد (يقدرها) أى يقدر ما علوها أراد بلقاء القرآن والأودية بالقلوب والمعنى أزل قرآنا فقبلته القلوب بأفكارها منها مازق الكثير ومنها مازق القليل ومنها ما لم يرق شيئا (فاتحمل السيل زبدا) وهو ما يملأ الماء (رابيا) أى طابا لوقفة وان بد مثل للكفر يريد ان الباطل وان ظهر على الحق فى بعض الاحوال فان الله سيمحقه ويظله ويجعل المابقة للحق وأهله وهو معنى قوله

(فأما الزبد فيذهب جفاء) وهو ماري بالوادي (وأما ينفع الناس) أي ما ينبت للربح (فيه ك) يبقى نقما (في الأرض) ثم ضرب مثلا آخر وهو قوله وما يوقدون عليه (٤٣٦) في النار يني جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وغيرها مما

يدخل النار فيوقدون عليها يتخذ منها الحلي وهو الذهب والفضة والامتنع وهي الأواني يني النحاس والرصاص وغيرها وهذا معنى قوله ابتغاء حلية أو متاع زيد مثله أي مثل زبد الماء يبدن من هذه الجواهر بعضها خبث ينفيه الكبر (كذلك) أي كما ذكر من هذه الأشياء يضرب الله) مثل الحق والباطل وهذه الآية فيها تقديم وتأخير في اللفظ والمعنى ما خبرتكم به (الذين استجابوا لربهم) أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه (الحسن) أي الخيسة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لأنهم ما في الأرض جنبها ومثله ما لا قدنوا به) أي جعلوه فسادا لنفوسهم أي من العناب (أولئك لهم سوء الحساب) وهوان لا يقبل منهم حسنة ولا يتجاوز عن سيئة (أمن يعلم) أي أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعشى) نزلت في أبي جهل لعنه الله وفي حمزة (أما يتذكر) أي يتطفر فيرتفع عن المعاصي (أولوا

من الجواهر كالنحاس والذهب والفضة (ابتغاء حلية أو متاع) أي اطلب اتخاذ زينة أو اتخاذ متاع كالأواني (زبد) أي خبث (مثله) أي مثل وسخ الماء في أن كلا منهما شيء من الأكدار (كذلك) أي مثل هذا التبيين للأمور الأربعة الماء والجواهر والذين (يضرب الله الحق والباطل) أي يبين الله مثل الإيمان والكفر (فأما الزبد) من الماء والجواهر (فيذهب جفاء) أي يرميه للماء إلى الساحل ويرميه الكبر (وأما ينفع الناس) من الماء الصافي والغاز الخالص (فيه ك) في الأرض) فإلهاء ثبت بعضه في منافعهم يسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار والغاز يصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل أن القرآن شبه الماء فإلهاء من سماء الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب للنورة بالأودية لأن القلوب تستقر فيها أنوار علوم القرآن كأن الأودية يستقر فيها الماء فيحصل في كل قلب من أنوار علوم القرآن ما يليق به من قوة فهمه وقصوره كما يحصل في كل واد من مياه المطار ما يليق به من سعة وضيقه وكان الماء يعلو وضروا القلوب فخالطه خبث ثم إن ذلك ذهب ويبقى الخالص منه كذلك بيانات القرآن تختلط بها شبهات ثم تزول ويبقى العلم والدين في الآخر وشبهت القلوب للمظلمة بالسيل أي فاحتملت القلوب للنورة الحق بقدر سعتها بالنور واحتملت القلوب المظلمة بالظلمة كثيرا بهوها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب المجيب (يضرب الله الأمثال) أي يبين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها في غاية الوضوح (لأنهم استجابوا لربهم الحسن) أي للذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والزمان الشرائع الواردة على لسان رسوله للتمعة النافعة الخالصة عن شوائب الضرورة للقرونة بالاجلال وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له) لأنهم ما في الأرض جميعا ومثله ما لا قدنوا به) أي والاشقياء الذين عاندوا الحق الجبل لأنهم ما في الأرض من أصناف الأموال جميعا لجعلوا ما في الأرض ومثله فساد أنفسهم من السلب لأن محبوب كل إنسان ذاته فإذا كانت في ضرور كان ماسكا لكل شيء فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها لأنه يحب ماسواها ليكون وسيلة إلى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يفر منه شيء (ومأواهم جهنم) بئس المهاد أي المستقره (أمن يعلم) أي أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعشى) أي فمن يعلم أن القرآن الذي مثل للماء النازل من السماء والبارز الخالص في اللقمة هو الحق كمن لا يعلم (أما يتذكر أولوا الألباب) أي أنما يتطفر بالقرآن ويتفكر بهذه الأمثلة ذوو العقول الذين يطلبون من كل صورة معناها (الذين يوفون بعهد الله) أي بما كلف الله العبد به فيدخل فيه الاتيان بجميع الأمور والوفاء بالعقود في العائلات وأداء الأمانات (ولا ينقضون الميثاق) وهو ما ألزمه العبد من أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والقراءة الثانية بسبب أخوة الإيمان وعبادة الرضى وشهود الجنائز وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم ويدخل في العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهريرة (ويخشون ربهم) والخشية نوعان خوف من أن يقع خلل في طاعاته وخوف هيبه وإن كان العبد في عين طاعته (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى تحمل الأمراض والمضار والتموم

الألباب) يعني المهاجرين والأنصار (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) يعني العهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) وهو الإيمان بجميع الرسل (والذين صبروا) أي على دينهم ومأواهم

(ابتغاء وجههم) أى طلب تعظيم الله (ويدرأون) أى يدفعون (بالحسنه) يعنى بالتوبة (السنة) يريد العمية وهوانهم كالأذنبا
 تابوا (أولئك لهم عقي الدار) يريد عقابهم الجنة (جنت عدن) (٤٢٧) يدخلونها ومن صلح من آبائهم
 أى ومن صدق بمصدقوا

وعلى ترك الشهيات (ابتغاء وجههم) أى طلبا لرضا خاصة من غير أن ينظروا الى جانب الخلق
 رياء وسعة ولا الى جانب النفس زينة وعيبا فكان العاشق رضى بضرب معشوقه لئلا تذاهب بالنظر
 الى وجهه فكان ذلك المبدى رضى بالجنة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردوا
 بالذكر تنفيا على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يمنع ادخال التواقل فيها (وأنفقوا) نفقة
 واجبة ومندوبة (عمار زقاهم سرا) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند اعطائه
 من تنعمه الروء من أعشده ظاهرا أو في التطوع (وعلاية) لغير ذلك (ويدرأون بالحسنة
 السنة) أى يدفعون العمية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم
 عقي الدار) أى عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنت عدن) يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
 وذرياتهم) أى يدخل جنت عدن للتعاون بتلك النعمت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم
 وإن علوا ذكر أو كانوا أناثا ومن أزواجهم إلا في متن في عصمتهم وذرياتهم وإن لم يعمل مثل
 أعمالهم لأن الله تعالى جعل من ثواب الطبع سروره بحضور أهلهم في الجنة وأما بطريقهم من
 آمن من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم كرامة لهم وتظيلا شأنهم وهو دليل على أن الدرجة تملأ بالشفاعة
 وقوله جنت عدن بيان لعقي أو خبر مبدا مضر (وللأئكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل
 فأجدهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصرع من ذهب يدخل عليهم من
 كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أى سلمكم الله تعالى وبشارة بدوام السلامة (بما
 صبرتم) مطلق بليكم أو بمحذوف أى هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك الهزومات
 وعلى المحن (فنعيم عقي الدار) أى نعم عاقبة الدار التي كنتم تعملتم فيها هذه السكرات التي ترونها
 (والذين يتنقصون عهد الله) أى لا يسمون مقتضى الأدلة (من بعد ميثاقه) أى من بعد أن وثق الله
 تلك الأدلة (واللعي يتكون فرائض الله من بعد نوكيده) (ويقطعون ما أمراه به أن يوصل) أى ما
 أوجب الله وصله فيدخل فيوصل الرسول بما وعد به من الحق (ويقصدون في الأرض)
 بالدعاء الى غير دين الله والظلم في النفوس والاموال (أولئك) أى للوصوفون بالقبايح (لهم العنة)
 أى الاجامدن خيرى الدنيا والآخرة الى نعمة (ولهم سوء الدار) أى سوء عاقبة الدنيا (الله يسط الرزق)
 أى يوسمه (من يشاء) من عباده (ويقدر) أى يعطى من يشاء منهم بقدر كفايته لا يفضل عنه شئ
 أى إن فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والإيمان بل هو متعلق بمجر دسبته تعالى فقد يوسع
 على الكافر استدرجاا ويقضي على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنبه قاله دار امتحان
 (وفرحوا) أى فرح من بسط الله له رزقه من كفارة كفره بطر (بالحياة الدنيا) لا فرح سرور بفضل
 الله تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا نعمة) أى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال
 أن ما بطروا به في مقابلة ما عرضوا عنه شئ قليل التمتع سريع النفاذ كمتاع البيت زاد الرأى (ويقول
 الذين كفروا) أى أهل مكة (لولا أنزل علينا قمم من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه علامة
 لنبوته كما كانت لرسول الاولين (قل) هؤلاء للعالمين (إن الله يضل من يشاء) عن دينه (ويهدى
 إليه) أى يرشد الى دينه (من أناب) أى من أقبل اليه أى ما أعظم عنادكم في الآيات التي ظهرت على
 يد الرسول إن الله يضل من كان على صفتكم من شدة الشبهة على الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم

صلى الله عليه وسلم بالآيات (قل إن الله يفضل من يشاء) أى عن دينه كما ضلكم بعدما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها (ويهدى
 إليه من أناب) يرشد الى دينه من رجح الى الحق

(الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي إذا سمعوا ذكر الله أحبه واستأنسوا به (الأيذ بك الله تطمئن القلوب) يريد قلوب المؤمنين (٤٢٨) (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) وهي شجرة غرسها الله بيده وقيل

وإن أنزلت عليهم كل آية يطلبوها ويهدى إليه بأدنى آية جاءها الرسول من كان على خلاف صفتهكم (الذين آمنوا) بما جاء بالرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي بكلام الله أي إن علم المؤمنين يكون القرآن مجزى بوجوب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً من عند الله وإن شكهم في أنهم أتوا بالطاعات كاملة بوجوب الوصل في قلوبهم (الأيذ بك الله تطمئن القلوب) أي إن الأكسيراذا وقت منه ذرة على الجسم التحاسي انقلب ذهباً باقياً على كرا الزمان فأكسير جلال الله تعالى إذا وقع في القلب أو لم يقبله جوهره صافياً ورانياً لا يقبل التنبيه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال طوبى لشجرة في الجنة غرسها الله بيده نبت الحلى والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة ويقال طوبى لشجرة في الجنة سابق من ذهب وغمرها من كل لون وثوب أهل الجنة يخرج من أكامها فتنبت الحلى والحلل وأصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وأغصانها متدللات في كل دار وغرفة في الجنة وتحته كثران المسك والعنبر والزعفران وينبع من أصلها عينان الكافور والسلبيل (وحسن ما ب) أي مكر (كذلك) أي مثل إرسالنا الأنبياء مالى أمهم وأعطائنا إياهم كتباً تتلى عليهم (أرسلناك في أمة) أي إلى جماعة كثيرة (قد دخلت من قبلها أمة) أي قد تقدمتها أمة كثيرة (تتلى عليهم) أي على أمك (التي أوحينا إليك) فلماذا اقترحوا غيره (وهم) أي والحال إن أمك (يكفرون بالرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء وما بهم من نعمة فنهتوا وكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وفي أنزال هذا القرآن للمعجز عليهم وروى الضحاك عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن أي اخضعوا بالصلاة وغيره للرحمن أي الذي لا تسعكم إلا المنع قالوا وما للرحمن متجاهل في معرفته فضلاً عن معرفته نعمته مبرين بأدق ما لا يعقل قال الله تعالى (قل) لهم يا أشرف الخلق (هو) أي الرحمن الذي أنكرتم معرفته (رب) أي خالقى ومبلى إلى مراتب الكمال (لإله الأهل) أي لا مستحق للعبادة سواء (عليه توكلت) في جميع أمورى لا على أحد سواه (والهيتاب) أي مرجى في الآخرة (ولأن قرأتنا سيرته) أي عززت بتلاوته (الجلال) من أمانتها كأفضل ذلك بالطور لموسى عليه السلام (وأوقعت به الأرض) أي شققت وجعلت أنهاراً وغيوراً كأفضل بالحجر حين ضربه موسى بعصاه أوجعلت قطعاً بعيدة (أو كلهم بالوئى) بدان أحببت بقرائه عليها كما أحببت ليعسى عليه السلام لكان هو هذا القرآن لكونه ينطوى على عجائب آثار قدره قاله تعالى روى أن أهل مكة منهم أبو جهم بن هشام وعبد الله بن أمية فعدوا في فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية الخزرجي إن سرنا أن تبسك فيسب جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا نحن بنفسك المكان علينا لأنها ضيقة لمرارنا وجعل لنا فيها أنهاراً وغيوراً ننفس الأشجار وزرع فلست كازعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسيرعه أوسخر لنا للريح لتركها إلى الشام ليرتنا وحوامنا وزجع في يومنا كما سخرت لسليمان فلست بأهون على ربك من سليمان كازعمت أو أحمى لنا جدك قصيا لنساءه أحمى ما تقول أم أطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فأزل الله تعالى هذه الآية ولأن قرأتنا الخ (بل الله الأمر جميعاً) أي بل لله الأمر الذي يدور عليه فلك الأكوان وجوداً وعبدان شاء فعل وإن شاء لم يفعل قاله قادر على الاتيان

فرح وقرّة عين (وحسن ما ب كذلك) أي كما أرسلنا الأنبياء قبلك (أرسلناك في أمة قد دخلت من قبلها أمة) أي في قرن مضى من قبله فرون (تتلى عليهم) التي أوحينا إليك يعني القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) وذلك أنهم قالوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب الجملة (قل هورنى) أي الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو الهى وسيدى (لإله الأهل) عليه توكلت والهيتاب ولأن قرأتنا الآية نزلت حين قالوا النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً كما تقول فسير عنا جبال مكة فانها ضيقة واجعل لنا فيها غيوراً وانهاراً حتى تفرس وتزرع وابت لنا أنباء من الموتى يكلمونا بأنك نبي فقال الله تعالى ولأن قرأتنا سيرته به الجبال يريد لو قضيت أن لا يقرأ القرآن على الجبال الأسارت ولا على الأرض الا تخرفت بالعيون والأنهار ولا على الموتى الا تكلموا ما آمنوا لما سبق في علمى وهذا جواب لو وهو محذوف أى بل يدع ذلك الذي قالوا من تسير الجبال

(أفلم يأس) يعلم (الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس) من غير ظهور الآيات (ولا زال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا) أي من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (فأرعة) أي داهية تفرغهم من القتل والاسر والحرب والجذب (أو تحل) أي محذات (فربما من دارهم حتى يأتي وعد الله) يعني القيامة وقيل فتجسمة (ولقد استهزى برسول من قبلك) أي أودى وكدب (فأملت الذين كفروا) أي أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ليتأدوا في العصية (ثم أخذتهم) أي بالعقوبة (٢٩) (فكيف كان عقاب) أي كيف وأنت تصنع عن استهزأ

برسلى كذلك أصنع عنك
قوما (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي بجزائها يعني متول كذلك كما يقال قام فلان بأمر كذا إذا كفاه وتولاه والقائم على كل نفس هو الله تعالى واللى أفمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة من الأسماء التي لا تضر ولا تنفع وجواب هذا الاستفهام في قوله (وهدوا الله شركاء) فلسموهم (أي إضافة أفعالهم إليهم أن كانوا شركاء لله كما يضاف إلى الله تعالى أفعاله بأسمائه الحسن نحو الخالق والرازق فان سموهم قل (أنذرونه بما لا يضر في الأرض) أي أنذرون الله بشرى له في الأرض وهو لا يعلم بمعنى أنه ليس له شرك (أم يظاهرون القول) واللى أم تقولون مجازا من القول وباطلا لاحتقيقه له فهو كلام في الظاهر ولا حقيقة له في الباطن ثم قال (بل) أي دعه ذكر كما كنا فيه

بما افترحوه من الآيات إلا أن أرادتم لتعلق بذلك لعله بأنه لا تلبس له شكيمتهم (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي أغفل المؤمنين عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع الناس إلى دينه لهداهم لكن الله تعالى لم يشأ فلم يظهر ما افترحوه من الآيات قيل لمسائل الكفار تلك الآيات طمع للمؤمنين في إيمانهم فطلبوا زولها ليؤمنوا وعلم الله أنهم لا يؤمنون برؤيتها (ولا زال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) من سوء أعمالهم (فأرعة) أي داهية تفرغهم بما يرسل الله عليهم في كل وقت من أنواع البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قرسان من دارهم) أي وتزل تلك الفارعة مكانا فربما ينهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم والقيامة (إن الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد المفوض من هذا قوله قلب الرسول ﷺ وإزالة الحزن عنه (واقدا استهزى برسول من قبلك) أي أن أقوام سائر الأنبياء استهزأوا بهم وكان قولك استهزأوا بك (فأملت الذين كفروا) أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في فراحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي على أي حاله كان عقابي إياهم هل كان ظاهرا لهم أو كان عدلا (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أفمن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشئ وهو الله القادر على كل المكشآت العالم بجميع الجربات والكليات كالأصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجاهلوا) أي الكفار (قد شركاء قل سموهم) أي سموهم بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميت سموهم بها فالاستحقاق أن يلقى العاقب إليها لحظاتها (ثم يتوهم بما لا يضر في الأرض) أي يظهر من القول (أي أنذرون على أن تخبروا الله شركاء مستحقين للعبادة بأعمالهم الله تعالى أن يفرغهم من الظاهر قول من غير اعتبار معنى أي يقولون بأفواهكم من غير فكر وأتم ألباء فنفكر وإف ذلك لتعلموا بطلانه وأما خص سي النبرك عن الأرض وان لم يكن له تعالى شركاء البتة لأن الكفار ادعوا أنه تعالى شركاء في الأرض لافي غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي تخويهم بالأباطيل قائم أظهر وأن شركاءهم آلهة حقاوهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم في الباطن الاتقيد الآباء (وصدوا عن السبيل) فأعاصم وحرمة والكسائي هنا وفي حم المؤمنين بضم الصاد أي منعوا عن سبيل الحق والباطل بفتح الصاد أي أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عوفرى بكسر الصاد على نقل حركة الدال الكسورة إليها (ومن خلل الله) عن دينه بسوء اختياره (فما له من هاد) أي موفى لهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسبي واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد وأغلظ (ومالهم من الله) أي عذابه (من واق) أي حافظ بعضهم من ذلك (مثل الجنة) أي صفة الجنة (التي وعد اللتقون) عن الكفر والعاصي (تجري من تحتها الأنهار) أي أنهار الحر والساء والصل واللب (أكلمادام) أي ثمراها لا ينقطع

(زين للذين كفروا مكرهم) أي زين الشيطان لهم الكفر (وصدوا عن السبيل) أي وصدهم الله عن سبيل الهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) أي بالقتل والاسر (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد وأغلظ (ومالهم من الله) أي من عذاب الله (من واق) أي من حاجز ومنع (مثل الجنة) أي صفة الجنة (التي وعد اللتقون) وقوله (أكلمادام) يريد أن ثمارها لا تنقطع كثرة الدنيا

وظلها) أى لا يزال ولا تنسخه الشمس (والذين آمنيناهم الكتاب) يعنى مؤمنى أهل الكتاب (يفرحون بما أنزل اليك) وذلك انهم
سأهم فلة ذكر الرحمن فى القرآن (٤٣٠) مع كثرة ذكره فى التوراة فلما أنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا للرحمن فرح

بنذلك مؤمنوا أهل الكتاب
وكفر للمشركون بالرحمن
وقالوا ما نصرف الرحمن
الارحمين العجامة وذلك
قوله (ومن الأحزاب)
يعنى الكفار الذين
نحزبوا على رسول الله
ﷺ (من ينكر به)
يعنى ذكر الرحمن (وكذلك)

(وظلها) كذلك أيضا فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبى
الذين اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لاغير (والذين
آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والانجيل وهم من أسلم من اليهود كعبادته بن سلام
وصعب وأصحابها ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أو بعون بنجران وثمانية باليمن
واتنان وثلاثون بالحبيشة (يفرحون بما أنزل اليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب)
أى بقية أهل الكتاب وسائر المشركين (من ينكر به) أى بعض القرآن وهو الشرائع الخاطئة
(قل انما أمرت أن أعبد الله) وحده عبادة الله واجبة على اللره فهذا يبطال القول بالجبر المحض وقول
نفاة التكليف ولا يمكن عبادة الله الا بعد معرفة الله ولا سبيل الى معرفته الا بالتدليل فهذا
دليل على أن اللره مكلف بالنظر والاستدلال فى معرفة ذات المانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما
يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهنا يدل على نفي الشركاء فيبطل من أثبت معبودا سوى الله
تعالى سواء قال ان العبودية للشمس أو القمر أو الكواكب أو الأصنام أو الأرواح العلية أو
يزدان وأهرمن على ما يقوله الجوس أو النور والظلمة على ما يقوله التنوية (اليه) أى الى الله خاصة
(أدعو) خلقه فكلما يجب عليه صل الله عليه وسلم الاتيان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله
عليه وسلم الدعوة الى عبودية الله تعالى وهذا اشارة الى نبوته صلى الله عليه وسلم (واليه) أى الى
الله تعالى وحده (مآب) أى مرجى للجزاء وهذا اشارة الى النشر والحشر والبعث والقيامة
فإذا تأمل الانسان فى هذه الانقاط القليلة عرف أنها محتوية على جميع المطالبات الدينية (وكذلك)
أى كما أنزلنا السكيب على الانبياء بلسانهم. (أنزلناه) أى ما أنزل اليك (حكما) أى حاكما يحكم فى
القضايا والوقائع (عربيا) أى مترجما بلسان العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار
(بسد مآءك من العلم) القاض من ذلك الحكم العربى (مالك من الله من ولى) أى قريب ينفعك
(ولا واق) أى مانع ينمك من مصارع السوء روى أن للمشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ملة آباءه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم فى ذلك (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
ولم أر واجا) أى ساء فقد كان لسلطان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سيرة وكان لأبيه داودمائة
امرأة (وذرية) أى أولادا مثل ابراهيم واسحق ويعقوب (وما كان لرسول أن يأتي بآية) مما
اقترح عليه (الا باذن الله) أى بإرادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الأوقات (كتاب) أى
حكم معين مكتوب فى محفل الملائكة التى تنسخها من اللوح المحفوظ فقد أثبت فيها ان أمر كذا
يكون فى وقت كذا على ما تقتضيه الحكمة (معوهاه مايشاء) من الأحكام لما تقتضيه الحكمة
بحسب الوقت (ويثبت) أى يبقيه على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من شئ من القاهب والنايات الا وهو مكتوب فيه كما هو فى الحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه
تعالى علما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فقد الله كتابان كتاب يكتبه للملائكة على الخلق
وهو عمل الخلق والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه فى اللوح المحفوظ وهو الباقي روى عن النبي
ﷺ أنه قال كان الله ولا شئ ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى قيام الساعة اعلم أن

أى وكما أنزلنا الكتاب على
الانبياء بلسانهم (أنزلناه
حكما عربيا) يعنى القرآن
لان به يحكم ويفصل بين
الحق والباطل وهو بلسنة
السرب (ولئن اتبعت
أهواءهم) وذلك ان
المشركين دعوه الى دين
آباءهم فوعده الله على ذلك
بقوله (مالك من الله من ولى
ولا واق) أى من ناصر ولا
أحد يدفع عنك السذاب
(ولقد أرسلنا رسلا من
قبلك وجعلناهم أز واجا)
نكصوهم (وذرية) أى
أولادا أنسلوهم وذلك أن
اليهود عبرت رسول الله
ﷺ بكثرة النساء وقالوا
ما لهمة الا النساء والنكاح
(وما كان لرسول أن يأتي
بآية الا باذن الله) أى
باطلاقه الا بعد هذا جواب
للذين سألوه أن يوسع لهم

مكة (لكل أجل كتاب) أى لكل أجل قدره الله تعالى

القوم

ولكل أمر قضاء الله كتب ثابت فيه فلا تكون آية لا بأجل قد قضاء الله فى كتاب (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
أى اللوح المحفوظ يمحوه الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وظاهر الآية على العموم وقال قوم الا بسعادة والشقاوة ولتور الرزق والخلق والخلق

(وامر ينك بعض الذي
نصهم) أى من العذاب
(أو توفينك) أى قبل
ذلك (فأما عليك البلاغ)
يريد قد بلغت (وعلينا
الحساب) أى إلى معيهم
فأجزيم أى ليس عليك
الابلاغ كيما صارت
حلم (أولبروا) يعنى
مشرك مكة (أنا تأتى
الارض) أى تقصد أرض
مكة (تنقصها من أطرافها)
أى بالتشريح على المسلمين
يقول أولبر أهل مكة أنا
نفتح لعمدنا حولها من
القرى أقلا يخافون أن
تألمهم بأحمد (والله يحكم)
أى بما يشاء (لا معقب
لحكمه) أى لا أحد يتبع
ما حكم به فيغيره والعنى
لأنناض لحكمه ولأرادله
(وهو سريع الحساب)
المجازاة (وقد مكر الذين
من قبلهم) يعنى كفار الأمم
الخالية مكروا بأبيائهم
(فقه السكر جميعا) يعنى
أن مكر لا كرم له أى من
خلفه قال مكر جميعا مخلوق
له ليس يضر منه شئ إلا
بأذنه (يعلم ما تكسب كل
نفس) أى جميع الاعساب
معلومه (وسيعلم التكافؤ)
وهو اسم الجنس (لن
عقب الدار) أى لن العاقبة
بالجنة وقوله

القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات فى إبطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الشبهة الاولى
اتهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وأكل الطعام والمشى فى الأسواق وكونه
من جنس البشر وقالوا لو كان محمد رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مستغنياً بالنسك والزهد
وقالوا الرسول الذى رسله الله إلى الخلق لابد وأن يكون من جنس اللاتكة وقالوا لو كان محمد رسولاً
من الله لما أكل الطعام ولمشى فى الأسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلاً من
قبلك وجعلناهم أزواجاً وزوجيات وأبناهم من جنس البشر فأنصفوا
بصفاته من الزواج والأكل ونحو ذلك ولم يقدح ذلك فى نبوتهم فكيف يصحون ذلك فادعوا فى
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية قولهم لو كان محمد رسولاً من عند الله لكان أى شئ مطلبناه
من المعجزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله
أى أن المعجزة الواحدة كافية فى إظهار الحجة قال الزائدة عليها بقوله المصينة الله تعالى إن شاء
أظهرها وإن شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بزلزل العذاب
فيهم وظهور النصر له وأصحابه فغداً ثم ذلك طعنوا فى نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان محمد
نبياً لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أى أن زلزل العذاب على الكفار
وظهور النصر فلا ولياً مقضى الله حصولهما فى وقت مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل
كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك الواعيد لا يدل على كونه صلى الله
عليه وسلم كاذباً والشبهة الرابعة قولهم لو كان محمد صادقاً فدعوى الرسالة لم ينسخ الأحكام التى
نص الله تعالى على نبوتها فى الشرائع المتقدمة لكن مكرها فى كافى القبلية ونسخاً أكثر أحكام التوراة
والانجيل فوجب أن لا يكون نبياً فأجاب الله عنه بقوله بمحواقه ما يشاء وبشئت (وامر ينك)
أى أن ترك (بعض الذى نصهم) بمن العذاب فى حياتك (أو توفينك) أى قبضتك قبل
أن ترينك (فأما عليك البلاغ) أى سواء مررت بك بعض ما وعدناهم من العذاب النبوى فى حياتك
أو توفينك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأدام رسالته وأمانته فلا تهم بما وراء
ذلك فنحن نكتبك به وتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من الصالح الحقة
(وعلينا الحساب) أى وعلينا لأعليك محاسبة أعمالهم السيئة ومجازاتها (أولبروا) أى أنا تأتى الارض
تنقصها من أطرافها) أى أنكر أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أنا تأخذ أرضهم فتقصها من نواحيها
للمسلمين شيئاً فشيئاً وتلحقها بدار الاسلام وتذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء أليس هذا من ذلك
(والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكمه للإسلام بالقرعة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لا معقب
لحكمه) أى لا أرادله (وهو سريع الحساب) أى فبعد زمن قليل يحاسبهم فى الآخرة غب ما عذبهم
فى الدنيا بالقتل والأسر والاخراج من ديارهم (وقد مكر الذين من قبلهم) أى وقد مكر الكفار الذين
مضوا من قبل كفار مكة بأبيائهم فمردو مكر بآرهم وفرعون مكر بموسى واليهود مكروا بموسى
كما مكروا بآبكم (فقه السكر جميعا) أى أن مكر جميع الناس كرم حاصل بتخليقه تعالى وإرادته
فوجب أن لا يكون الخوف الأمن الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما عاقله الله وقوعه فهو
واجب الوقوع فلا قدرة للعبد على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح ابن جنيح وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أى سيخبر (لن
عقب الدار) أى لن العاقبة الحميدة (ويقول الذين كفروا) أى اليهود وغيرهم (لست مرسل من
الله يا محمد قل) لهم يا أكرم الرسل (كنى بالله شهيداً بيني وبينكم) فإنه تعالى قاطعاً للمعجزات

عليه السلام﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم إل) أنا الله أرى (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) يستنى من الشرك إلى الإيمان (بإذن ربهم) أي بقضاء ربهم لأنه لا يهتدي بهند إلا بإذن الله ثم بين مآذك النور فقال (إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستمحبون) أي يؤثرون ويختارون (الحياة الدنيا على الآخرة) ويصدون عن سبيل الله (أي ويمنعون الناس عن دين الله) ويمنونها عوجا (ومعنى تفسيره (أولئك فى ضلال) أى فى خطأ (بعيد) عن الحق (ومأرسلنا من رسول الألسان) بلفظ (قومه) ليتفهمواعنه وهو معنى قوله (ليبين لهم فضل الله من يشاء) أى بعدالتيبين بإشاره الباطل (ويهدى من يشاء) باتباع الحق (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى بالبراهين التي دلت على صحة نبوته (إن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) ير بدمن الشرك إلى الإيمان (وذكرهم)

الدالة على كونه صادقا فى دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أى السواى ككتب الأخبار وسلمان الفارسي وعبدالله بن سلام وتيم الدارى وأصف بن برخيا فكل من كان علما بالتوراة والإنجيل علم أن محمد امرسل من عنده الله وقضى ومن عنده علم الكتاب بمن الجارة التي لا ابتداء لها فى أى ومن عنده الله حصل علم القرآن لأن أحد ألباعه الامن تعليمه ثم علم هذه القراءة قرى أيضا علم الكتاب على البناء للقول أى لما أمرالله نبيه أن يحتج عليهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك إلا بإظهار القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن معجزا إلا بعد العلم بما فيه من أمراره بين الله تعالى أن هذا العلم لا يحصل إلا من عنده الله

﴿سورة ابراهيم مكية وآياتها اثنتان وخمسون. وكلتاها عا مائة وأحدى وثلاثون.

وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاثون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الركتاب) أى السورة السابعة بالكتاب (أنزلناه إليك) بأشرف الخلق (لتخرج الناس) كافة بدعائك إياهم (من الظلمات) أى ظلمات الكفر والضلالة والجهل (إلى النور) أى إلى الإيمان وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدة كثيرة وطريق الحق واحد (بإذن ربهم) أى بتسهيله فإن الرسول لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بعيشة الله وتخليقه (إلى صراط العزيز الحميد) أى إلى دين الكامل القدوة المستحق لاحمد فى كل أفعاله (الله) قرأ نافع وابن عباس بالرفع (الذي له مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وملكاً (وويل للكافرين من عذاب شديد) أى لما ترك الكفار عبادة الله الذى هو المالك للسموات والأرض ولكل مافيهما وعبدوا ما لا يملك ضرا ولا نفعا قالوا لى لم أرى لى لمن كان كذلك أى يولون أى يصيحون من عذاب غليظ ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أى يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (ويصدون عن سبيل الله) أى يمنون الناس عن قول دين الله فهم مضلون (ويمنونها عوجا) أى يضلون لسبيل الله زيفا ويقولون لمن يريدون اضلاله أنها زائفة غير مستقيمة فهذا نهاية الضلال والاضلال (أولئك) للوصوفون بتلك القبايح (فى ضلال) عن طريق الحق (بعيد) أى فى غاية البعد عنه فلا يوجد ضلالا كل من هذا الضلال (ومأرسلنا من رسول الألسان قومه) أى الاتمكلما بلفظ من أرسل إليهم الرسول يأكل وهم بالنسبة لغير سيدنا محمد خصوص عشيرة رسولهم وبالنسبة إلى كل من أرسل إليهم أصناف الخلق لأن رسالته عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان مخاطب كل قوم بلفظهم وإن يشاء أنه تكلم بالغة التركية لأنه لم يصادف أنه مخاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (ليبين لهم) ما كفوا به بلغاتهم فيكون فهمهم لاسرار الشريعة أسهل ووقفهم على المقصود أكل (فيصل الله) عن دينه (من يشاء) أى يمنع أطفاله تعالى به (ويهدى) لدينه بمنح الألفاظ (من يشاء) فتقوى البيان لا توجب حصول الهداية فرما قوى البيان ولا تحصل الهداية فور بماضف البيان وحصلت الهداية لأن الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يبال فى مشيئته ولا يفعل شيئا إلا بحكمة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته التي أظهرها لبنى اسرائيل (أن أخرج قومك من الظلمات) أى ظلمات الكفر (إلى النور) أى نور الإيمان فإن مفسدة لأرسلنا (وذكرهم بآيات الله) أى بنم الله عليهم كاتفاق البحر وتظليل الأنعام وعلى من قبلهم من آمن بالرسول فيا سلف من الأيام وبأس الله عليهم وهى أيامهم تحت قهر فرعون وبذاب الله من كذب الرسل فيا سلف من الأيام كما نزل بعد وعمود وغيرهم ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا وليحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب

(ان في ذلك) أي في التذكير بالوقائع (آيات) أي دلائل (لكل صابر شكور) وهذا تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يخلو زمانه عن أحد الأسرى الصبر والشكر لأن الحال إما أن يكون حال بلية أو حال عطية فإن جرى الوقت على ملامت طبعه كان شكورا وإن جرى على إيلام طبعه كان ضبورا فلا تفتاح بهذا التذكير لا يكون إلا أن كان صابرا أو شاكرا (وإذ قال موسى لقومه إذ كروا نعمة الله عليكم) أي مستقرة عليكم (إذ أجابكم من آل فرعون) أي وقت انجائه إياكم منهم (يسومونكم سوء العذاب) أي يطلبون منكم الأعمال الشاقة (ويذبحون) يذبحها كثيرا (أبناءكم) صغارا (ويستحيون نسائكم) أي يستخدمونهن كبارا بالاستحياء ويقومنهن منفردات عن الرجال (وفي ذلكم) أي التذكير من الأفعال الفظيعة (بلاء من ربكم عظيم) لا يطلق وفي الخلاص من ذلك نعمة عظيمة (وإذ تأذن ربكم) أي وأذكروا حين أعلم ربكم في الكتاب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وإذ قال ربكم (لئن شكرتم) يا بني إسرائيل نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة وحقيقة الشكر هو الاعتراف بنعمة التمتع مع تنظيمه ومزيد النعم الإنسانية أن كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله إليه أكثر ومزيد النعم الروحية أن النفس إذا اشتغلت بطاعة أنواع فضل الله وأخصائه أوجب ذلك الاشتغال تأكد بحبة البهجة ثمالي ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة إلى أن يصير حبه للنعم شاعلا عن الالتفات إلى النعم فالشكر مقام شريف يوجب العادة في الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أي أنكرتم نعمتي فسيصيبكم عناي (ان عناي لشديد) وكفران النعمة لا يكون إلا عند الجهل بكبر تلك النعمة نعمة من الله تعالى والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال موسى إن تكفروا) نعمة تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض جحما) لم يرجع صر الكفر عليكم (فان الله لتفي) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق للحميد في ذاته وإن لم يحمد أحد به كل ذرة من خزانة العالم بالحق بحمده (ألم يأتكم) يا بني إسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعد هؤلاء المذكورين (ألا يعلمهم الله) أي لا يعلم عددهم إلا الله لكبرتهم وهذا لما حال من الذين أومن الضمير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسلكم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسير لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي عوض الكفار أيديهم من النطق من شدة نفرتهم عن استماع كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشبهين إلى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكروا (وقالوا أنا كفرنا بما أرسلناك به) على ادعائكم قائم ما أقروا بأن أوامر الرسل ومنهياهم من الله تعالى (وأننا لنفي شكك) عظيم (عنه تدعوننا لنؤمن بالله والتوحيد وقرئ تدعوننا نادعنا) التوحي (مريب) أي ذي خلق النفس (فألفظوا لهم في أذنك شكك) أي أفي وجود الله ووجدته شكك وهو أظهر من كل ظاهر (فألفظوا له الصوت والارض) أي في مبدعها وما فيها (يدعوك) إلى التوحيد بأمر الله (اليفقر لكم) بسببه (من دونكم) في الجاهلية (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم إلى وقت معين عند الله أن أنتم والإعاجيلكم الله الاستئصال (قالوا أن أتم إلا بشر مثلنا) من غير فضل (ويردون) بالدعوة (أن صدقوا) أي تصرفوا (عما كان عبد آبائنا) أي عن عبادة ما استمر آبائنا على عبادته (فأتونا بسلطان منين) أي

لنعمه والآية الثانية مفسرة في سورة البقرة وقوله (وإذ تأذن ربكم) أي أعلم (ربكم لئن شكرتم) أي وجدتم وأعطتم (لأزيدنكم) أي بما يجب الشكر عليه وهو النعمة (ولئن كفرتم) أي جحدتم حق وحق نعمتي (ان عناي لشديد) أي تهديد بالعذاب على كفران النعمة (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) يعني بعد هؤلاء الذين أمركم الله (ألا يعلمهم الله) أي لا يعلمهم (الآلة) أي لا كبرتهم فلا يعلم عدتكم الأمم وتعيينها (جاءتهم رسلكم بالبينات فردوا أيديهم) أي أيدي أنفسهم (في أفواههم) أي ثقل عليهم مكانهم فصموا على أصابعهم من شدة النطق (قالت رسلكم أفي الله شك) أي في توحيد الله شك وهذا استبهمام منه ان الشكر أي لا شك في ذلك ثم وصف نفسه بما يدل على وحدانيته وهو قوله (فألفظوا له الصوت والارض يدعوك) أي إلى طاعته بالزهد والكتب (ليقر لكم من دونكم)

ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي لا يصالحكم بالقوة والحق أن لا تحبوا اعتوجهم وبأنى الأتوماتعها في قول ذلك من الظاهر ومغنى

(خلق مقامي) أي خاف مقامه بين يدي . (٤٣٤) . (وخاف وعيد) أي ما وعدته من العذاب (واستفتحوا) أي واستنصروا .

وان كنتم رسلان من الله فآتونا بحجة ظاهرة تدل على صحة ما يدعون من النبوة حتى تترك ما نزل نبعده
قالوا ذلك عناد فان الرسل قد آتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسلهم) مجازاة معهم في أول مقاتلتهم
(ان نحن الابشر مثلكم) كما يقولون (ولكن الله عني على من يشاء من عباده) بالنبوة فاتها
عطية من الله من غير سبب (وما كان لنا) أي ما استقام لنا (أن تأتيكم سلطان) أي بحجة
(الا باذن الله) أي بأمره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومقصود الرسل بهذا القول حمل
أنفسهم على التوكل فان الكفار أخذوا في التخوف حتى قالوا للرسل نوكوا لأنتم على الله حتى تروا
ما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلا) أي أي عز لنا في ترك
التوكل على الله والحال أنه قد هدانا طرقه التي نرفق بها ونطمأن أن الأمور كلها بيده (ولنصبر على
ما آذيتونا) بالغناد واقتراح الآيات وغير ذلك فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله
فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا أن يابعهم بالتوكل بسأمر أنفسهم به وذلك يدل على أن الأمر
بالخير لا يؤثر الابد الاتيان به فالانسان امان يكون ناقصا وكما فلان ناقص امان يكون ناقصا غير
ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال واما أن يكون ساعيا في ذلك فهو مفضل واما خاليا عن الوصفين
فهو مهتد والكاامل امانان يكون غير قادر على تكميل التبر فهو ولي واما قادر على ذلك فهو نبي فالولي
هو الانسان الكامل والنبي هو الانبياء الكامل الكامل (وقال الذين كفروا) أي الفالون
في الكفر (لرسلهم لتخرجنكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لنعودن في ملتنا) أي لتصيرن
داخلين في ملتنا (فأوحى اليهم) أي الرسل (ربهم لتهدكن الظالمين ولنسكننكم الأرض) أي
أرض الظالمين وديارهم (من بدمهم) أي من بعد هلاكهم (ذلك) أي اسكان الأرض ثابت
(لن خاف مقامي) أي لمن خافني وخاف حفظي لأعماله (وخاف وعيد) أي عذابي للوعود
للكفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه فصر الله الرسل (وخاب
كل جبار) أي خسر عند الله من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عند) أي منحرف عن
الحق (من ورائه جهنم) أي من بعدهم الخبيثة جهنم بقي فيها (ويستقي من ماء صديد) أي بما يسيل من
جلود أهل النار من القيح والدم (تجرعه) أي يشاوله جرعه عذرة على الاستمرار لفلبة الطش والحرارة
عليه (ولا يكاد يسهفه) أي لا يكاد أن يجزع في الحلق بل يستمسكه فلهذا تروثنه فوصوله إلى الحوف
ليس بإجازة (ورأيت الموت من كل مكان وما هو بميت) أي يجد ذلك الكافر الموت من كل مكان من
أعضائه حتى من أصول شجره وإهلام رجله والحال أنه لا يموت من ذلك العذاب (ومن ورائه عذاب
غليظ) أي ومن بعد ذلك العذاب عذاب أشدها وعليه لا ينقطع ولا يخف بسبب الاعتدال كافي عذاب
الدنيا (مثل الذين كفروا بر ربهم) أي صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصلة رحم واعتاق رقاب
وقداه أسير وقرى ضيف ورواها في قوله (كربا اشتدت) أي ذرت (بالرحم يوم عاصف)
أي شديد الريح (لا يقنطرون عما كسبوا على شيء) أي لا يحدون يوم القيامة أن راعوا ما في الدنيا
من ثواب أو يخفون عذاب كما لا يوجد من الرادشي إذا ذرته الرمح وذلك لفقد شرط الاعمال وهو
الاعان (ذلك) أي عملهم (هو الضلال البعيد) أي الضياع البعيد عن نيل الثواب (أم تر) أي قد أخبرت
أبها بالخاطي (أن الله خلق السموات والأرض والحق) أي ملتبسا بالحكمة وليس عبثا وقرأ حمزة
والكسائي جاتي السموات على اسم الفاعل والاضافة (ان يشأ ينهبكم) أي يهلككم بالرة

الله سبحانه على قومهم
ففتازوا بالنصرة (وخاب
كل جبار) أي متكبر عن
طاعة الله سبحانه (عند)
يعني بجانب الحق (من
ورائه) أي أمامه (جهنم)
فهو يرداه (ويستقي من ماء
صديد) وهو ما يسيل من
الجرح مختلط بالدم والقيح
(تجرعه) أي يشعه
بالترجيع لا بجمرة واحدة
لمراته (ولا يكاد يسهفه)
أي لا يجزع في الحق الابد
ابطال (ورأيت الموت) أي
أسباب الموت من البلاء
التي تصيب الكافر في النار
(من كل مكان) أي من
كل شجرة في جسده (وما
هو بميت) أي مواتا تنقطع
معه الحياة (ومن ورائه)
أي ومن بعد ذلك العذاب
(عذاب غليظ) يعني
متصل الآلام ثم ضرب
مثلا لأعمال الكافر فقال
(مثل الذين كفروا بر ربهم)
أعمالهم كرماد اشتدت به
الريح يوم عاصف (يرد
شده هو وبالريح ومعنى
الأيان كل ما يقرب به
الكفار فيصعب غير متقطع
به لأنهم أشركوا فيه غير الله
كالمراد الذي ذرته الرمح عوصار
هبالا لا يتقطع به فذلك قوله
(لا يقنطرون عما كسبوا على شيء)

(ثم) أي لا يجدون ثوابا مما عملوا (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ضلال أعمالهم وذهابها والحق ذلك الحسران الكبير (أم تر) (ويأت
تر) يا عباد (أن الله خلق السموات والأرض والحق) أي بقدره وتوحيده وعلمه وإرادته وكل ذلك حق (ان يشأ ينهبكم) أي ينكم أيها الكفار

(ويأت بخلق جديد) أى خير منكم وأطوع (وماذك على الله عز) أى يمتنع شديد (وبرزوا لله جميعا) أى يخرجون من قبورهم إلى
الحشر (فقال الضعفاء) وهم الاتباع لكابريه أى (الذين استكروا) (٤٣٥) عن عبادة الله سبحانه (انا كنا) فى

لقدنيا (لكم بما فعل أتم
منفون عنا) أى دافون
عنا (من عذاب الله من شئ)
قالوا (لهدانا الله لهدينا كم)
أى انا دعوناكم الى
الضلال لاننا كنا عليه ولو
أرشدنا الله لأرشدناكم
(وقال الشيطان) يبنى
ابليس (لما قضى الأمر)
فصار أهل الجنة فى الجنة
وأهل النار فى النار وذلك
أن أهل النار حينئذ
يجمعون بالآخرة على
ابليس فيقوم خطيبا ويقول
(ان الله وعدكم وعد الحق)
يعنى كون هذا اليوم
فصلكم وعده (وعدتكم)
أنتم كائن (فأخلفتكم
وما كان لى عليكم من
سلطان) أى ما أظهرت
لكم حجة على ما وعدتكم
(الآن دعوتكم) لكن
دعوتكم (فاستجبتنى)
أى فسدتمونى (فلا
تأومونى ولوموا أنفسكم)
حيث أجبتمونى من غير
برهان (ما أنا بمصرخكم)
أى بمنشركم (وما أتم
بمصرخى انى كفرت بما
أشركتمونى) أى
بأنى أركم الله مع الله فى
الطاعة أى جعلت أن

(ويأت بخلق جديد) سواءكم أطوع الله منكم (وماذك) أى اذها بكم والاثيان يبدلكم (على الله
عز) أى يمتنع لأن القادر لا يصعب عليه شئ (وبرزوا لله جميعا) أى يخرجون من قبورهم الى
الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) فى رأى وهم السفة (الذين استكروا)
عبادة الله وهم اكابرهم (انا كنا لكم تبعا) فى الدنيا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصيحتهم
(فهل أتم منفون عنا من عذاب الله من شئ) أى فهل أتم فى هذا اليوم دافون عنا بعض شئ هو عذاب
الله (قالوا) أى القادروا (هذه انا لله لهدينا كم) أى لو خلاصنا الله من العقاب وهذا الى طريق الجنة لهدينا كم
طريق النجاة ودفنا عنكم بعض العذاب ولكن سدا الله عنا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا)
عالمقينا (أم برنا) على ذلك أى الصياح فالضرع والصبر مستويان علينا فى عدم الانجاء (مالنا من
محض) أى محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أى يقول ابليس رئيس الشياطين خيليا فى محفل
الاشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أى فرغ منه بأن استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار
وقد قالوا له اشفع لنا فانك أضللتنا (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد بالبعث والجزاء على الأعمال
فصدقنى وعدها يا كم (وعدتكم) أن لا بئ ولا حساب ولا جنة ولا نار ولكن كان لا بد من شقاة كم
(فأخلفتكم) أى كذبت لكم وتبين خلف وعدى (وما كان لى عليكم من سلطان) أى حجة تدل على
صدقى أو قهر فأقهركم على الكفر واللعاصى (الآن دعوتكم) أى الادعاء لى كم الى الضلالة بوسوستى
(فاستجبتنى) أى أجبتمونى (فلا تأومونى) بوعدهى اياكم حيث لا يمكن ذلك على طريقة التفسير
(ولوموا أنفسكم) حيث أجبتمونى باختياركم حين دعوتكم بلا دليل فما كان منى الاالدعاء والقاء
الوسوسة وقد سمعتم دلائل القوجانكم الرسل وكان من الواجب عليكم أن لا تقتر باقولى فلما
رجعتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا على فى هذا الباب (ما أنا بمصرخكم) أى بمنشركم
من عذابكم (وما أتم بمصرخى) أى بمنشى من غداى (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) أى انى
الآن تبرأت من اشراككم اياى مع الله فى الطاعة من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا أى لأن الكفار كانوا
يلطمون ابليس فى أعمال الشركاء بطاعة الله فى أعمال الخير ومعنى اشراككم ابليس بالله تعالى طاعتهم
لابليس فى تزينه لهم فى عبادة الأوثان (ان الظالمين لهم عذاب أليم) هذا عام كلام ابليس قطعنا
لأطماع أولئك الكفار عن الاغاة فالوقف على من قبل حسن أو ابتداء كلام من حضرة الله تعالى
ابقاطا لاسمعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقف على من قبل تام كما هو عندنا فى عمرو
(وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم)
شملق بأدخل أى أدخلتهم للجنة بأمر ربهم (تحيينهم فيها سلام) فان يصهم يحيى بضاهية
الكلمة ولللاثة يحيونهم بها والرب الرحيم يحيمهم أيضا بهذه الكلمة وقرأ الحسن وأدخل على
صفة التسليم وعلى هذه القراءة تقولوا باذن ربهم شملق بتحيينهم أى تحميمهم للجنة والسلام باذن
ربهم (ألم تر) أى ألم تحبب يا أشرف الخلق (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) أى كيف جعل
الله كلمة طيبة وهى لا اله الا الله مثلا وهى (كشجرة طيبة) وهى النخلة (أصلها ثاب) أى
ضارب بعروق فى الارض (وفرعها فى السماء) أى أعلاها فى الهواء (تؤتى أسكها) أى تعطى

أكون شريكا فبما أشركتمونى (ان الظالمين لهم عذاب أليم) يريد للشركين وقوله (تحيينهم فيها سلام) أى تحميمهم الله تعالى بالسلام ويحيى
بضمهم بضاهية السلام (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) بين شهاب تم فسره فقال (كطليبة) يريد لاله الا الله (كشجرة طيبة) يعنى النخلة
(أصلها) أى أصل هذه الشجرة الطيبة (ثابت) أى فى الارض (وفرعها) أى أعلاها فى الهواء (تؤتى أسكها) أى تسمى

(كل حين) أى كل وقت في جميع السنة ستة أشهر طلع رخص وستة أشهر رطب طيب بالاتفاق في جميع السنة كذلك الإيمان ثابت في قلب المؤمن وعمله (٤٣٣) وتبيحه حال مرتفع الى السماء ارتفاع فروع النخلها ما ينكسب من بركة الإيمان

هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أى كل وقت وكل ساعة نيلاً أو ثماراً شاء أوصيها فؤك كل منها الجار والطلع والبلح والحلال والبسر والنصف والرطب و بعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها دائماً في كل وقت (بأنزرها) أى بإدارة خالقها كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن بالبرهان وعمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء وفى كل حين يعمل خيراً بأمره وبحكمته تشبه كلمة التوحيد بالشجرة أن الشجرة تكون ثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفروع عال كذلك التوحيد يكون ثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقبول باللسان وعمل بالأبدان (ويضرب الله الأمثال) أى يبين الصفات التوحيد (لناس يعلمهم) بذكرهم (أى يتظنون لأن في ضرب الأمثال تصوراً للمعاني فيحصل به الفهم التام والوصول الى اللطاب) (ومثل كلمة خيثة) وهي الشجرة بالله (كشجرة خيثة) وهي الكشوت (اجتث) أى استؤملت (من فوق الأرض) لتكون عروقها في وجه الأرض أى ليس لها أصل ولا عرق ينوص في الأرض قسمين شجرة للشاة فكلها الشجرة بالله ليس له حجة ولا قوة (ما لم يقرر) أى ثابت على وجه الأرض فلا يقبل مع الشرك عمل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) فلا يزالون عن تلك الشهادة اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين قتلهم أصحاب الأخدود (وفي الآخرة) أى في القبر حين يقال له من بك وما دينك ومن نبيك فيقولون في القودى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم وحكى أن سهل بن حماد العملى يقول رأيت يزيد بن هرون في منامى يدموه فقلت ما فعل بك فقال أنانى في قبرى ملكان فظان فقالا من بك وما دينك ومن نبيك فأخبت بلحيتى البيضاء فقلت لهما أنلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما غائبين سنة فذهبوا وكلا كانت مواظبة العبد على ذكر لاله الا الله وعلى التأمل في دقائقها أمموا كل كان رسوخ هذه المعرفة في قلبه بعد ملوث أقوى وأكمل قال ابن عباس من دام على الشهادة في الحياة الدنيا يثبت الله عليها في قبره ويلقنهُ ما يهاووا من فسر الآخرة ههنا بالقبر لأن الميت انقطع بالمولود عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة (ويضل الله الظالمين) أى يصرف الله للشرك عن قول لا اله الا الله في الدنيا وفى القبر وعند خروجه من القبر فانهم اذا استلوا في قبورهم قالوا الاندرى (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والتثبيت ومن صرف منكرو ونكير (المر) أى لم ينتظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) كأهل مكة حيث أسكنهم الله حرمة الأمن ووسع عليهم أبو البرز فمؤثرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا واذك فحقوا سبع سنين فقتلوا وأسروا يوم بدر (وأجلاً قومهم) أى أنزل بعض قریش الطمعون يوم بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم بقية قریش بسبب اضلالهم إياهم (دار البوار) أى دار الهلاك (جنهم يصاونها) أى يخالطونها يوم القيامة مقاسين لحربها (وبئس القرار) أى بئس المنزل جنهم (وجعلوا لله أنداداً) أى أشباها وشركاء في التسمية والحظ والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأين كثير وأبو عمر وفتح الباء فاللام للعاقبة والباقون بصحها فاللام لما للعاقبة لأن عبادة الاوثان يسبب يؤدي الى الضلال أو للتسليل فالذين اتخفوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقيق لام

وثوابه كما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والبسر والتمر (ويضرب الله الأمثال للناس) يريد أهل مكة (لعلهم يتذكرون) أى لكي يتظنوا (ومثل كلمة خيثة) حتى الشرك بالله (كشجرة خيثة) وهي الكشوت (اجتث) أى انتزعت واستؤملت والكشوت كذلك (من فوق الأرض) أى لم يرسخ فيها لم يضرب فيها بقرق (ما لم يقرر) أى مستقر في الأرض يريد أن الشرك لا يتبع بمصاحبه وليس له حجة ولا ثابت ككثرة الشجرة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وهو لاله الله (في الحياة الدنيا) على الحق (وفي الآخرة) حتى في القبر يلقيهم كلمة الحق عند سؤال للملكين (ويضل الله الظالمين) أى لا يلقن للشركين ذلك حتى اذا استلوا في قبورهم قالوا الاندرى (ويضل الله ما يشاء) من تفتين المؤمنين الصواب واطلال الكافرين (المر الى الذين بدلوا نعمة الله) أى بدلوا ما أنعم الله عليهم من الإيمان بعبث

الرسول اليهم (كفراً) حيث كفروا به (وأجلاً قومهم) أى الذين أتبعوهم (دار البوار) يعنى الهلاك ثم فسر هاقال (جنهم يصاونها) وبئس القرار) أى للقر (وجعلوا لله أنداداً) يعنى الأصنام (ليضلوا عن سبيله) أى ليضلوا للناس عن دين الله

(فَلْتَجْعَلُوا) بدنیا کم (فان مصیرکم الی النار قل لعبادی الذین آمنوا یشیموا (۴۷) الصلوة وینفقوا امار زقناهم سر او علانیة من

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ لَاسِيَعٌ فَيَمْسِكُهُمْ
يَعْنِي الْفُلُكَاءَ (وَلَا خِلَالَ)
أَيَّ الْخِلَالَةِ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَهُوَ يَوْمُ لَاسِيَعٍ وَلَا تَسْرَاءَ
وَلَا عَجَالَةَ وَلَا قَرَابَةَ أَغَاهِي
عَمَالُ بَنَابِقِهِمْ وَمَقَابِ
بِهَآ آخَرُونَ (وَسُخْرُ
لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)
أَيَّ ذَلِكُمَا الْبَرَادُ مِنْهُمَا
(دَائِبِينَ) أَيَّ مُقِيمِينَ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ (وَسُخْرُ
لَكُمْ اللَّيْلِ) لَتَسْكُوفِيهِ
(وَالنَّهَارُ) لَتُبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَمَعْنَى لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ
أَيَّ أَجْلِكُمْ لَيْسَ أَنَّهُمَا
مُسَخَّرَةٌ لِتَأْخِيهِ سُخْرُهُ قَدَّ
لَأَجْلَانَا وَبِمَجُوزٍ أَنَّهُ يَكُونُ
مُسَخَّرَةً لَنَا لِاتِّفَاعِنَا بِهَا
عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي نُرِيدُ
وَقَوْلُهُ (وَأَنْ تَسْأَلُوا اللَّهَ)
أَيَّ أَنْعَامَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
(لَا تَحْصُوهَا) أَيْ لَا تَطْلُقُوا
عَمَّا (أَنَّ الْإِنْسَانَ) يَرِيدُ
الْكَافِرَ (لَطَالُمُ) يَعْنِي
نَفْسَهُ (كَمَلًا) أَيْ نَعْمَةً
رَبِّهِ وَقَوْلُهُ (وَاجْتَنِبُوا) وَبَنَى
أَيَّ بَعْدِي وَاجْتَنِبُوا مِنْهُمْ
عَلَى جَانِبِ بَيْدِ (رَبِّانِينَ)
أَصْلَانِ كَثِيرَانِ مِنَ النَّاسِ
أَيَّ ضَلَا سَبِيلًا (فَمَنْ تَبِعَنِي)
أَيَّ عَلَى دِينِي (فَإِنَّهُ مِنِّي)
أَيَّ مِنَ التَّابِعِينَ بِتَابِعِي
(وَمِنْ عَمَائِي) أَيَّ فَيَا دُونَ
الشَّرِكِ (فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
يَعْنِي عَلَىكَ أَنَّهُ حَدَّثَ فِي هَذِهِ

العاقبة أن القصد من الشيء لا يحصل الا في آخر مراتب كاقبال أول الفكر آخر العمل وكل ما حصل في العاقبة كان شيها بالامر المقصود في هذا المعنى (قل تنعموا) بعبادتك الأوثان وعيشوا بكفركم وهذا الأمر تهديهم (فان مصيركم) أي مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة) وهذا انماجز وما في جواب امر بحرف أو أي قلهم اقيموا الصلاة فان قلت لهم ذلك يقيموا الصلاة أو ججز وما في بلام أمر مقدر أي لقيموا الصلاة أي الواجبة (و ينفقوا من زهنيهم) أي أعطيتهم (سرا وعلانية) أي أنفقوا اتفاقا سرا وعلانية والمراد شلوا مؤمنين على الشكر لكرم الله تعالى بالعبادة البدنية والسالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كاهو صنيع الكفرة (من قبل أن يأتي يوم لا ينفع) أي بمعاوضة (فيه ولا خلال) أي بمصادقة تنفع وهو يوم القيامة وأما الاتعاف في المؤمن بالعمل الصالح أو الاتفاق لو جاهدته تعالى (الذي خلق السموات والأرض) وهما أسلان في دلائل وجود الصانع (وأزلهن من السماء) أي السحاب (ماء) فلولها السماء ليصبح أنزال الماء منها ولولا الأرض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات رزقا لكم) فينبشون به فاذنا علم للكفون أن في تحصيل هذه النافع القليلة تحمل للنائب النافع العظيمة الباقية في الآخرة أولى بتحمل الشاق في طلبها (وسخر لكم الفلك) أي السفن (تجربى) أي التلك نبريا تا بما لا رادكم (بأمره) أي بمنشئه التي نيط بها كل شيء فان الاتعاف عما ينبت من الأرض لا يكمل الا بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (وسخر لكم الأمهار) أي لتتغوا بها في نحو الشرب وسقى الزراعات (وسخر لكم الشمس والقمر اثنتين) أي جارين في فها يودى مصالح العباد لا يفتن في سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولاها لا احتلص مصالح العالم بالسكينة (وسخر لكم الليل والنهار) لمتاكم ومعايشكم (وأتاكم من كل مأسأ تقوه) أي كل مالم تصلح أسوألكم الا به فكأنكم سألتموه أومن كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تصدوا نعمة الله) التي أنعم الله بها عليكم (انصصوها) أي لتطيقوا على عد أنواعها فضعان عد أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظلم كفار) أي فان الانسان مجبول على النسيان والملافة فاذا وجد نعمة نسيها في الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان نسيها فاته بجلها فيقع في كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتى حلول الانسان التأمل في بعضها غفل عن الباقي (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) أي مكة (آمنا) من الغراب ومن الخوف من التجأ اليه (واجتنبى وبني ان نعيد الأصنام) أي ثبتنا على ما كنتم عليه من التوحيد دولة الاسلام ومن البعد عن عادة الأصنام أو المراد اعصمان من الشرك الخفي وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط وبالأسباب الظاهرة (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أي ان الأصنام ضل بهم كثير من الناس أي لما حصل الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فمن يعنى) في ديني واعتقادي (فانعمي) أي فانه جازجرى بعضي لقر بهننى (ومن عصانى) أي خالف ديني (فانك غفور رحيم) أي فانك قادر على أن تغفر له وترحمه بان تنقله عن الكفر الى الاسلام (رب انى أسكنت من ذريتى) أي بعض ذريتى اسمعيل ومن سبيله (بوادغري ذري) أي فى واديس فينز رع (عند بيتك المحرم) أي اللطيم الذي به كل جبل وألدى منع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فقله كذلك باعتبار ماسبؤ و اليه أو باعتبار ما كان (ربنا) ليقبموا الصلاة) أي ياربنا انما أسكنت قومنا من ذريتى وهم اسمعيل وأولاده في هذا الوادى الذي لازرع فيه لقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أقدسة من الناس تهوى اليهم) أي فاجعل قلوب بعض

(وارزفهم من الثمرات) ذكر تفسيره (٤٣٨) في سورة البقرة (لهم يشكرون) يوحونك ويطومونك وقوله (الحق

الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم ينقل المعاشات اليهم بسبب التجارات بالنسك والطاعة لله تعالى
وقرأ العامة تهوى بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين على وزيد بن علي وعبد بن علي وجعفر بن محمد
ومجاهد يفتح الواو أي تحميمهم وقرئ على البناء للفعول أي اجعل قلوب بعض الناس عمالة اليهم
(وارزفهم) أي ذريتي (من الثمرات لهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام
انما طلب تيسير للرفع على أولاده لأجل أن يفرغوا لاقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك
تعلم ما تخفي وما نعلم) من الخبايا وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء انما ندعوك اظهارا للعبودية
لك واقتدارا لما عندك (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله
تعالى تصديقا لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالرفع على ثلثين حسن كالوقف
على في السماء (الحق الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسماعيل
واسحاق) روي أنهما ولدوا لاسماعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحاق كان سنه
مائة واثنى عشرة سنة (ان في لسميع الدعاء) أي لحبيب الدعاء وهو عالم بالقصود (رب اجعلني
مقيم الصلاة) أي مثابرا عليها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وقل دعاء) وقال
ابن عباس أي عبادي (ربنا اغفر لي) ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك (ولو ادى)
وهذا الاستغفار قبل تبين أمرهما وقرأ ابن حنبل ولو ادى بسكون الباء وقرأ الحسين بن علي ومحمد
وزيد بن ابي نعيم بن الحسين ولو ادى بفتحها وهما اسماعيل واسحق وقرأ ابن عمر ولو ادى بضم الواو
وسكون اللام وكسر الباء جمع ولد فالقراءات الثلاثة (وللؤمنين) كافة أي من ذرية ابراهيم
وغيرهم في هذا الدعاء بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليفه ابراهيم
عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي يوم ثبتت محاسبة أعمال السالكين على وجه العدل (ولا
تحسين الله) يا أشرف الخلق (غافلا عما يعمل الظالمون) أي تارك عقوبة الظالمين بما عملوا
والمراد تنبيهه صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من أنه ~~يترك~~ لا يحاسب الله غافلا والقصود تنبيهه
على أنه تعالى لو لم يهتم للظالمين الظالم لزم عليه تعالى أحد الأمور الثلاثة إما أن يكون غافلا عن ذلك
الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بذلك الظلم وكل ذلك محال عليه تعالى فامتنع أن لا يهتم للظالم
من الظالم (انما يؤخرهم) بلا عذاب الاستئصال (ليوم) أي لأجل يوم (تتخصص فيه الأفعال)
أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم للدهشة (مطمع) أي مسرعين نحو البالد ناظرين الى الداعي
وهو جبريل حيث يدعو الى الجسر من صخرة بيت المقدس (مقنعيهم) أي رافعيهم رموهم
الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أي يدوم شخص اصابهم لبوام الحيرة في
قلوبهم (وأفندتهم هواه) أي خالية عن جميع الأفكار لظلم ما نالهم من الحيرة لما تحققوه من
العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند الحاجة (وأشرف الناس يوم بانبيهم العذاب) أي وخوف
الكفار بأحكامهم الرسل أهول يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أي كل من ظلم بالشرك (ربنا
أخرنا الى أجل قريب) أي أشرف العذاب عنا وردنا الى الدنيا وأعلمنا الى حتمن الزمان قريب
(عجبدعونك) لنا على ألسنة الرسل الى التوحيد (وتتبع الرسل) فيما حادونا به أي تتشارك في
الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم نوبينا (أولم تكونوا اقسمتم) أي
أطلبتم هذا للظلم وهل تكونوا حلقتهم (من قبل) هذا اليوم أي في الدنيا (مالكم من زوال) أي
أي كانوا يقولون بالجلف لا زوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار الجازاة

الذي وهب لي أي أعطاني
(على الكبر اسمعيل)
لأنه ولد له وهو ابن تسع
وتسعين سنة (واسحق)
ولده وهو ابن مائة واثنى
عشرة سنة وقوله (ومن
ذريتي) أي اجعل منهم
من يقيم الصلاة وقوله
(ولو ادى) استغفر لهما
بشرط الايمان (ولتخصين
الله غافلا عما يعمل
الظالمون) يريد للشركين
من أهل مكة (انما يؤخرهم)
فلا يماضيهم في الدنيا (ليوم
تتخصص) أي تذهب فيه
أصناف الخصال الى الهواء
حيرة ودهشة (مطمع)
أي مسرعين منطلقين
(مقنعيهم) أي الى
السماء لا ينظر أحد الى أحد
(لا يرتد اليهم طرفهم) أي
لا يرجع اليهم اصابهم من
شدة النظر فهي شائعة
(وأفندتهم هواه) أي
وقلوبهم خالية عن القول
بما ذلوا من الفزع وقوله
(فيقول الذين ظلموا) أي
أشركوا (ربنا أخرنا الى
أجل قريب) استمهله
مدة يسيرة كي يجيئوا
بالدعوة فيقال لهم (أولم
تكونوا اقسمتم من قبل
مالكم من زوال) أي
حلقتهم في الدنيا أنكم
لا تمشون ولا تتقلبون
الى الآخرة وهو قوله (وأقسموا بالله جهنما يعصمونها) من يعمون الآية

أما واللهم غنى إلى فقر ومن شباب إلى هرم ومن حياة إلى موت فلا ينكرونه (وسكتهم) مطوف
على أقسّم (فمساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والعصية وهم قوم نوح وادو وعود لأن من
شاهد هذه الأحوال وجب عليه أن يعتبر فإذا لم يعتبر كان مستحقاً للتقريع (وتبين لكم) أي وظهر
لكم حلهم بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار (كيف فعلنا بهم) من الأهلاك بما فعلوا من الفساد قورى
وين على الجهول وقرى أيضاً وبنين بنون لتكلم أي أولاد بنين لكم (وضربناكم الأمثال) أي بينا
لكم الأمثال في القرآن بما عمل به أنه تعالى قادر على إعادة كافراً على الابتداء وقادر على التعذيب المؤبد
كما يفعل الملاك المعجل (وقدمكم روا) أي للهلكون (مكرهم) حال من الضمير في فعلنا بهم أي فعلنا
بهم بما فعلنا والحال أنهم قدمكم رواي بإبطال الحق مكرهم الذي جاوزوا فيه كل حد مهود بحيث لا يقدر
عليه غيرهم (وعند الله مكرهم) أي أخذهم بالعذاب الذي يستحقونه بأنهم بمن حيث لا يشعرون
وهذه الجملة حال من الضمير في مكرهم (وإن كان مكرهم لنزول من الجبال) أي وإن كان مكرهم في غاية
العظم والشدة بحيث نزول من الجبال فإن وصليّة وقيل إن نافية واللام لتأكيدها ونصره قراءتان
مبسوطة رضى الله عنهما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكرهم أي ومكرهم مكرهم والحال
أن مكرهم لم يكن لنزول من السموات والمعجزات وقيل هي مخففة من أن أي وإن كان مكرهم لنزول من
ما هو كالجبال في الثبات من السموات والمعجزات وقراً للكسائي وحده لنزول ينفتح اللام الفارقة ورفع
الفعل فالجملة حينئذ حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أي وعند الله لكسرهم والحال أن مكرهم في
غاية القوة بحيث نزول من الجبال (فلا تحسبن الله يخلف وعده) تفرغ على ولا تحسبن الله الخ
فكأنه قيل وأذقوعدناك بذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يقوته من الشدائد وما يسألونه
من الرد إلى الدنيا وما أجنبناهم به وقرعناهم بسهم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين
أهلكناهم بظلمهم بسما وعدناهم بآلهما أهلكهم فبهم على ما كنت عليهم من اليقين بسهم أخلاقنا رسلنا
وعندنا تخلف أمانتنا ثلاثين مضاف لقوله الثاني وأمانتنا واحد مضاف لقوله وورسهم مفعول بوعده
(إن الله عزيز) أي غالب لا يماكر (ذواتناقم) أولاً أي من أعدائه (يوم تبدل الأرض غير الأرض)
أي تغير في صفاتها فتسبر عن الأرض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمث
(والسموات) أي تبدل السموات غير السموات فتشتروا كجبالها وتكسف شمسها ويخسف قمرها
وتكون السماء أبواباً وكشيب بن إبراهيم بن حنيفة قال الأرض والسموات تبدلان كرتين أحدهما
قبل نفخة الصق فتشتروا ولا السكوا كبوتكسف الشمس والقمر وقصير الساء كالمثل ثم تكسف عن
رموسهم ثم تسبر الجبال ثم توج الأرض ثم قصير البحر ثم تاناً ثم تنشق الأرض من فطري فطر فإذا انفتح
في الصور نفخة الصق طلوت السماء وبدلت السماء ماء أخرى من ذهب ودخيت الأرض أي مدتد
الديم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهورها وفي بطنها وتبدل نبالها نبالاً داووقوا في الهجر
فتبدل لهم ساهرة محاسبون عليها وهي أرض بيضاء من فضة وحينئذ يقوم الناس على الصراط وعلى متن
جهنم وهي أرض من نار فإذا جاوزوا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان وأهل
النيران في النار بدلت الأرض خبزاً انقيافاً كالأمان تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الأرض
قرصاً واحداً كل منه جميع من دخل الجنة وأدامهم زيادة كبدنور الجنة وزيادة كبدنور الجنة وحصل
كلام القرطبي أن تبدل هذه الأرض بأرض أخرى من فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلق إذ
ذلك مرفوعة في أي ملاءمة السماء الدنيا وأن تبدل الأرض بأرض من حيز يكون بعد الصراط

(وسكتهم) أي في الدنيا
(فمساكن الذين ظلموا
أنفسهم) يعني الأمم
الكافرة (وتبين لكم كيف
فعلنا بهم) فلم تنجزوا
(وضربناكم الأمثال) أي
في القرآن فلم تنجزوا (وقد
مكرهم) يعني مكرهم
بأنبياء الله عليه وسلم
وما هو به من قتله وأتبعه
(وعند الله مكرهم) أي
هو عالم به لا يخفى عليه
(وإن كان مكرهم) أي
وما كان مكرهم (لنزول
من الجبال) يعني أمر النبي
ما كان مكرهم ليطعن
أمره هو في نبوته وقوته
كالجبال (فلا تحسبن الله
يخلف وعده) يعني
أي بأوعدهم من النصر
والفتح (إن الله عزيز)
أي منيع (ذواتناقم) أي
من الكفار عجزهم
بما كان من سيئاتهم
(يوم تبدل الأرض) أي
بأرض كالفضة بيضاء
نقية يحشر الناس عليها
(والسموات) أي من ذهب

(يومئذ) أى يوم القيامة
(مقرنين) أى موصولين
بشياطينهم كل كافر مع
شياطين فى غل والأصقار
سلاسل الحديد والأغلال
(سرايلهم) أى قصصهم
(من قطران) وهو الهناء
الذى تطفى به الأبل وذلك
أبلغ لاشتغال النار فيهم
(وتشئ) أى وتمسوا
(وجوهم النار ليجزى
الله كل نفس) من الكفار
(ما كسبت) أى ليقع لهم
الجزاء من الله بما كسبوا
(هنا) أى القرآن (بلاغ
لناس) أى أنقذهم اليك
تبلغهم (وليسنروا به)
أى وتلتهنهم أنت يا محمد
ويعلموا بما ذكر فيه من
الحجج (أما هو إله واحد
وليذكر) أى وليعظ (أولو
الألباب) أى أهل الباب
والفقول والبصائر
﴿تفسير سورة الحجر﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر)
أنا الله أرى (تلك) أى هذه
(آيات الكتاب) أى الذى
هو قرآن مبين يبين
للاحكام (ر) بما يود الدين
كفروا لو كانوا مسلمين
وليتقى حتى الكفار الاسلام
عند خروج من يخرج
من النار (ذرهم) أى كانوا
ويعلموا يقول دغ الكفار
ياخذوا حظوظهم من

وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذا الارض خاصة بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازى
لا يبعد أن يقال للرا من تبديل الارض والسموات هو أنه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات
الجنة (ورزوا قه الواحد القهار) أى واذكروا يوم يبرز الخلائق جميعا من قبورهم للحساب والجزاء
(وترى المجرمين) أى وتبصر يا أكرم الخلق الكافرين (يومئذ) أى يوم اذ يبرزوا له تعالى (مقرنين)
أى قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم فى العقاب والاعمال (فى الأصقار) أى القيود (سرايلهم) أى
قصصهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الأجل فيطبخ ويطفى بالالجر فى فيحرق الجرب
بحرار ثم يوقد تصل الى الجوف والراد أنه تطفى به جلود أهل النار ليجتمع عليهم أنواع الاربعة من العذاب
لنوع القطران ووحشلتون وتؤثر به وسرعة النار فى جلودهم (وتشئ وجوهم النار) أى تملأها النار
وخص الله هذا الضع يظهر آثار العذاب كإخص القلب بذلك فى قوله تعالى نار الله الالودة التى تطلع على
الأفئدة لان الرأس محل التفكير والوهم والخيال والقلب موضع العلم والجل ولا يظهر أثر هذه الأحوال
الافى الوجه ولا تجميع الحواس وغلا عن القطران ويفعل الله بهم تلك الأمور الثلاثة (ليجزى الله كل
نفس) مجزئة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصى جزاء موافقا لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا
يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا يذبل عقابهم الذى يستحقونه (هنا) أى للوعظة التى فى
هذه السورة (بلاغ) أى كفاية فى الموعظة (لناس وليسنروا به) عطف على مقرر متعلق ببلاغ أى كفاية
للم ليتبين حيل وليسنروا به أى هذا البلاغ (وليعلموا) عافيه من الأولة (أما هو) أى الله (الله واحد)
لا شريك له (وليذكر أولو الألباب) أى وليعظوا بذلك وهذه الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواضع
يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح

﴿سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية وسورة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وتسعون حرفا﴾

(بسم الرحمن الرحيم) (الر) قال ابن عباس أى أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أى
تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا مفيدا للبيان لسبيل الرشيد
والنقى والفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذى وعده الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتذكير
القرآن لتفهم كتمه الكتاب فالتقصود الوصفان وقيل الواو لقسم أى أقسم بالقرآن للبين
بالحلال والحرام والأمر والنهى (ر) بما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (أى ان الكافر
بالقرآن كل أرى حالا من أحوال العذاب ورأى حال من أحوال السلم حتى كونه فى الدنيا منقادا
لحكمه ومعتاضا لأمره وذلك عند الموت وعند أسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند
رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار قرب لتكثير باعتبار مرات التقي والتقليل باعتبار أزمان
الافاقه فازمان افاقهم قليلة بالنسبة لأزمان البهشة وكونه للتقليل أبلغ فى التهديد ومعناه أنه يكفك
قليل التذمب فى كونه زاجراك عن هذا العمل فكيف كثيره وأيضا أنه يشغلهم العذاب عن تقي
ذلك الا فى القليل وقرآن نافع وعاصم بما بتخفيف الباء والباقون بالتشديد (ذرهم) أى أترك
كفاركم يا أشرف الرسل عن النهى محملهم عليه بالصيحة ادلا سبيلا الى اعراسهم عن ذلك بل
مرهم ويناول ما ينالونه (يا كفروا وشمعوا) أى يأخذوا حظوظهم من دنياهم فذلك أخلاقهم
ولا تخلق لهم فى الآخرة (ويلهم الأمل) أى يشغلهم الأمل عند الأخذ بحظهم عن الايمان والطاعة
(فسوف يعلمون) عند اللوث وفى القبر ويوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن على رضى الله عنه أنه

القيامة وبالماصنعوا (وما أهلكنا من قرية) بنى أهلها (الآ ولها كتاب معلوم) أي أجل يستهون اليه من لاهل كل قرية أجل مؤقنا لاهلكهم حتى يبلغوه (ماتسبق من أمه أجلاها) أي ماتتقدم الوقت الذي وقت لها (٤٤١) (وما يستأخرون) أي لا يتأخرون عنه (وقالوا يا أيها الذي

نزل عليك الذكر) أي القرآن قالوا هذا استهزاء (وما) أي هلا (تأتينا باللائكة ان كنتم من الصادقين) أنك نبى فقال الله عز وجل (ما نزل لللائكة الا بالحق) أي بالصلاب (وما كانوا اذا منظرين) أي لو نزلت لللائكة لم ينظروا ولم يعملوا (انا نحن نزلنا الذكر) أي القرآن (وانا نحن لحافظون) من أن يزداد فيأوه ينقص (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلا (في شيع الأولين) أي فرقهم (وما أتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) نزهة لنى صلى الله عليه وسلم (كذلك) أي كما فعلوا (نسلك) أي ندخل الاستهزاء والشرك والاضلال (في قلوب المجرمين) ثم بين النبي الذي أدخل في قلوبهم فقال (لا يؤمنون به) أي بالرسول (وقد خلت) أي مضت (سنة الأولين) يريد بتكذيب الرسل فهو لا للشركون يقتنون آثارهم في الكفر (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء للشركين (بابا من السماء فظلاوا فيه) أي غشيت بالسحر وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف والباقون بتشديد هاءه ووجوب تكديرا أو حيرت من السكر كما يعضده

قالنا اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل يغشى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) من القرى بالحسف بها وبأهلها كإفصل ببعضها وبأهلها عن أهلها غلب اهلاكم بجناب الاستصلا كإفصل ببعض آخر (الاولها) في ذلك الشأن (كتاب معلوم) أي أجل مؤقن هلا كما مكتوب في الوحي المحفوظ لا يغفل عنه (ماتسبق من أمه) من الأمم للهلكة وغيرهم (أجلها) للكتاب في كتابها فلا يجي هلاكها ولا موتها قبل مجي كتابها (وما يستأخرون) عن أجلاها (وقالوا) أي كفار مكة عبد الله بن أمية الخزوي وأصحابه استهزاء للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليك الذكر) أي القرآن (فزعهم) (أنك المجنون) أي أنك لتقول قول المجانين حتى تدعى أن الله تعالى نزل عليك القرآن (وما أتينا باللائكة) أي هلا أثبتنا باللائكة يهودون بصحة نبوتك ويصدونك في الانذار (ان كنتم من الصادقين) في مقاتلك أنك نبى وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (ما نزل لللائكة الا بالحق) أي بالحق في حق الكفار فيزيل لللائكة بجناب الاستصلا كما فعل بأهلهم من الأمم السابقة لا تنزل بماتسحقوا من أخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء من أفراد كل المؤمنين فكيف على أولئك الكفار قور اجزة والكسائي وحفص عن عاصم ما نزل بشون للكلهم وبكسر الزاى للشدة واللائكة بالنصب وقرأ شعبة عن عاصم ما نزل ببناء الفعل للمفعول واللائكة بالرفع والباقون نزل لللائكة (وما كانوا اذا) أي اذا نزل عليهم لللائكة بالانصب (منظرين) أي مؤخرين ساعة أي ولو نزلنا لللائكة ما أخر عذابهم ونحن لا نريد عذاب الانصلا بهذه الأمة فلذلك السبب ما نزلنا لللائكة (انا نحن نزلنا الذكر) الذي أنصركم نزلوه عليك ونسبك بذلك الى الجنون (وانا ه) أي الذكر (لحافظون) من الشياطين حتى لا يزبدوا فيه ولا ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال وانا لحمد لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا) رسلا (من قبلك) يا أكرم الرسل (في شيع الأولين) أي في أمم الأولين (وما أتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) أي عاده هؤلاء الجاهل مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعل هؤلاء الكفرة بك وهذا لتسليق رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك) نسلك في قلوب المجرمين أي مثل ذلك السلك الذي سلكناك في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم ومجاهدوا بهم من الكتاب سلك الذكر في قلوب كفار مكة (لا يؤمنون به) أي بالذكر وهذا حال من ضمير نسلكه أولا لاهلهم من الاعراب تفسير الجملة السابقة للراي من هذا السلك هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم عابته ومع هذه الاحوال لا يؤمنون به علانا منهم (وقد خلت سنة الأولين) أي وقد مضت سيرة الأولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة الله فهم باهلا كه اياهم بعد التكذيب وهذه الجملة استتفى بجيء بها تكملة للتسليق وتهديدا لكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أي كفار مكة الذين افترحوا نزول لللائكة (بابا من السماء فظلاوا فيه) أي في ذلك الباب (مخرجون) أي يصعدون ويرون ما فيها من العجائب عيانا (فقالوا) لفرط عنادهم (انما نسكرت أصمارنا) أي غشيت بالسحر وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف والباقون بتشديد هاءه ووجوب تكديرا أو حيرت من السكر كما يعضده

فيه يصعدون لجنحتوا ذلك (قالوا انما سكرت أصمارنا)

أي سلبت بالسحر شفايا في أصمارنا فغيرنا نرى

(وزيناها) يعني بالنجوم
للتبرين والمستدين على
توحيد صانعها (وحفظناها
من كل شيطان رجيم) أي
مرجوم مرمى بالنجوم
(الا من استرق السمع)
أي الحفلة اليسيرة (فأنتبه)
أي لحقه (شهاب) أي نار
(مبين) ظاهر لاهل الأرض
(والأرض مددناها)
يعني بسطناها على وجه
لها (وألقينا فيها رواسي)
أي جبالا ثوابت لثلاث
تتحرك بأهلها (وأثبتنا
فيها) يعني في الجبال (من
كل شيء موزون) أي
كالذهب والفضة والجواهر
(وجعلنا لكم فيها معايش)
يريد من الثمار والحبوب
(ومن لستم له برازقين)
يعني السبيد والذواب
والانعام وتقديره وجعلنا
لكم فيها معاش وعيشا
واما ودواب رزقهم ولا
ترزقونهم (وان من شيء)
يعني من الطير (الا عندنا
خزائنه) أي في أمرنا وحكمنا
(وما ننزله الا بقدر معلوم)
أي لا ينقص ولا يزيد غير
أنه يصرفه الى من يشاء
حيث شاء (وأرسلنا
الرياح لواقع) يعني لواقع
السحاب أي جمع الماء
فيه فهي لواقع بمعنى

قراءة من قرأ سكرت أي حطرت (بل نحن قوم مسحورون) أي قد سحر عند عقولنا كما قاله عند
ظهور سائر المعجزات من انشقاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والانس ان يأثروا بمثله
(ولقد جعلنا في السماء بروجا) أي محال تسير فيها الكواكب السيارة وهي الريح بكسر اللام وهو
كوكب في السماء الخامسة وله الحمل والمقرب والزهرة بضم ففتح وهي في السماء الثالثة ولها الثور
والبركان وعطارد بفتح العين وهي في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الأولى وله السرطان
والشمس وهي في الرابعة ولها الاسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في
السابعة وله الجدي والبلو وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلاله البروج على وجود الصالح المختار
هو أن طبائع هذه البروج مختلفة فالتلك مركب من هذه الاجزاء المختلفة وكل مركب لا بد له من
مركب يرك تلك الاجزاء بحسب الاختيار والحكمة فثبت ان كون السماء مركبة من البروج
يدل على وجود الفاعل المختار وهو الطلوع (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم
(الناظرين) بأبصارهم وبصائرهم فيستدلون بها على قدر صانعها ووحدته (وحفظناها من كل
شيطان رجيم) أي مرمي بالشهاب فلا يقرأن يصعد اليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها
(الا من استرق السمع) أي الامن اختلس السموع سرا من غير دخول (فأنتبه شهاب) أي لحقه
شعلة نار شالعة تنفصل من الكوكب (مبين) أي ظاهر أمره للبصرين (والأرض مددناها) أي
بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أي على الأرض (رواسي) أي جبالا ثوابت لكيلا تديل
بأهلها وتكون دلاله للناس على طرق الأرض لأنها كالاعلام فلا تخيل الناس عن الجادة المستقيمة ولا
يقعون في الضلال (وأثبتنا فيها) أي الأرض (من كل شيء موزون) أي مستحسن مناسب وموزون
بوزن فالمدان كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد والارصاص وغير ذلك والنباتات ترجع
عاقبتها الى الوزن لان الحبوب توزن وكذلك الثقلوا كفي الأكثر (وجعلنا لكم فيها) أي الأرض
(معايش) أي ما تعيشون به من الطعام واللباس وغيرهما مما يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا
(ومن لستم له برازقين) أي وجعلنا لكم عن لستم برازقيه من العيال والخدم والعبيد والدواب
والطيور وما أشبهها فالناس يطلبون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقونهم وذلك خطأ فان الله هو
الرزاق يرزق الكل (وان من شيء الا عندنا خزائنه) أي ان جميع الممكنات مقدورة له تعالى يخرجها
من العدم الى الوجود كيف شاء شئت مقدوراته تعالى الفائتة للعصر في كونها مستورة عن عالم
الغالبين وكونها مهيأة لاجادة بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخير نفثا في الأموال
المخزونة في الخزان السلطانية (وما ننزله الا بقدر معلوم) أي ما نريد شيئا (الا بقدر معلوم) أي الامتلاء بمقدار معين
تقتضيه الحكمة فقولته تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله
تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى أن كل ما يدخل في الوجود منها فهو متناهية وهي كان الخارج الى
الوجود منها متناهية كان محتصا بقدر مقدور ويجوز معين وبصفات معينة بلا داع أضدادها فتخصيص
كل شيء بمجاة اختصاصه لا بد له من حكمة تقتضي ذلك وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال ان
في المشرق مثال جميع مخلق الله في البحر والبر وهو تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه
(وأرسلنا الرياح لواقع) أي حوامل لانها تحمل الماء وتحميه في السحاب (فأنزّلنا من السماء) أي
السحاب (ماء فاسقيناكموه) أي جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل الماء معدا لمن يبتغون
بمنه شاموا (وما أتم له بجازين) أي نحن القادرون على ايجادهم وخزنه في السحاب وانزله الى الأرض وما

أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بسلا آثر لنا في الدبران والآبار والعيون بل نحن نخزئه
 فيها لجمعها سقيالكم أي معدا لشيء أنفسكم ومواسيكم وأراضيتكم مع أن طبيعة الملاء تقضي الغور
 (وإنا لنحن نهي ونغيث) أي لا قدرة على الأحياء ولا على الأموات لنا (ونحن الوارثون) أي
 الباقون بعد فناء الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستقيمين
 منكم) أي من تقدم منكم ولادهمونا (ولقد علمنا المستأخرين) أي من تأخر ولادهمونا
 وقال ابن عباس في رواية عطاء معنى المستقدمين أهل طاعة الله تعالى ومعنى المستأخرين المتخلفون
 عن طاعة الله تعالى (وإن ربك هو محشرهم) للجزاء (إنه حكيم) أي متقن في أفعاله فيأتي بالإنفال
 على ما ينبغي وعالم بحقائق الأشياء على ما هي عليه (عليم) أي واسع علمه كل شيء (ولقد خلقنا الإنسان)
 أي آدم (من صلال) أي من طين يابس غير مطبوخ يصوت عند قهره (من حمأ) أي كائن من طين
 متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أي مصور بصورة الأدي قال الفسرون خلق الله تعالى آدم
 عليه السلام من طين فصوره تركه في الشمس أربعين سنة فصار صلالا كالخرف ولا يدري أحد
 ما رآه ولم يروا شيئا من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح (والجن) وهو أبو الجن والاصح
 أن الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فإنه لا يسمى بالشیطان وكل من كان منهم
 كافرا يسمى بهذا الاسم (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق الإنسان (من نار السموم) أي من نار
 الحر الشديد التافئ في المسلم أو من نار الریح الحارة (وإذ قال ربك للانس اني خلقني بشرا) أي جسا
 كنيافلاق بخلاف الجن وللانس فأنهم لا يلاقون لطف أجسامهم (من صلال) أي من طين
 متصل (من حمأ مسنون) أي من طين متغير طيب (فأداسوته) أي أعممت خلقه باليدن والرجلين
 والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أي جلبت الروح فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما
 هو تمثيل لافاضة ما يحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقموا) أي خروا (له) أي للآل
 البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الأرض لابلانحاء تحليا له بالسجود كان لأدنى الحقيقة أو
 للحي اسجدوا لله تعالى بوضع الجبهة على الأرض وأدم عليه السلام بمنزلة القبة لذلك السجود حيث
 ظهر فيه تماجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد للانسك كلهم أجمعون) أي خلقهم فساد فاجعل
 فيه الحياة فسجد للانسك فمضى كلهم أي لم يشد منهم أحد ومعنى أجمعون أي لم يتأخر في ذلك أحد
 منهم عن أحد أي فلكل سجدوا دفعة واحدة (الابليس) رئيسهم (أي أن يكون مع الساجدين قال)
 أي الله تعالى (يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) أي أي سب لك فإن لا تكون مع
 الساجدين لآدم (قال) أي ابليس (لم) كن لأسجد أي لأصبح معي أن أسجد (لبشر) أي جسم
 كسيف لأنه مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها وأنا روحاني لطيف (خلقته) أي البشر (من صلال)
 ناشئ (من حمأ مسنون قال) الله تعالى (فاخرج منها) أي من زمرة للانسك العززين وقال
 من رحمتي والفاء في جواب شرط مقدر أي فحيث عصيت وتكبرت فخرج منها (فانك رجيم) أي
 مطرود عن الرحمة (وإن عليك اللعنة) أي الأبدان عن الرحمة (اليوم الدين) أي الجزاء أي أنك
 مدعو باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الحساب من غير أن يخطب فأذا جاء ذلك اليوم غنبي عابدا
 ينسى اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العتاب تدفع عنه (قال) ابليس (رب
 فأظنرك) أي أخرني ولا تمتني (اليوم يبعثون) أي آدم ودرته للجزاء بعد فناءهم وأراد
 للمؤمن بهذا السؤال أن لا يذوق الموت لاستحالة بديوم البعث وأن يجد فسحة في أعوانهم (قال)
 الله تعالى (فانك من النظرين) أي المؤجلين (اليوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الأولى التي

بخازنين يعني بخافين
 يريد ليست خزانته يدكم
 (وإنا لنحن نهي ونغيث ونحو)
 الوارثون أي إذا مات
 جميع الخلق (ولقد
 علمنا المستقيمين منكم
 ولقد علمنا المستأخرين)
 حض رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على الصف الأول
 في الصلاة فأردحهم الناس
 عليه فأقر الله هذه الآية
 يقول قد علمنا جميعهم
 وإنا نجزهم على نياتهم
 (ولقد خلقنا الإنسان)
 يعني آدم (من صلال) أي
 من طين منق (من حمأ)
 أي طين أسود (مسنون)
 يعني متغير الرائحة (والجن)
 أي الجن (خلقنا من قبل)
 أي من قبل خلق آدم (من)
 نار السموم (وهي نار
 لا دخان لها (فأداسوته)
 أي عدلت صورته ونفخت
 فيه) يعني وأجريت فيه
 (من روحي) المخلوقة لي
 (فقموا) يعني فخر واه
 (ساجدين) أي سجدوا
 تحية وقوله (وإن عليك
 اللعنة إلى يوم الدين) يقول
 يلعنك أهل السماء وأهل
 الأرض إلى يوم الجزاء
 فتحصل حيث تفي عذاب
 النار وقوله تعالى (اليوم
 الوقت المعلوم) يعني النفخة
 الأولى حين تموت الخلق

منهم المخلصين) أي المؤمنين الذين أخلصوا دينهم عن الشرك (قال هذا صراط على مستقيم) أي هذا طريق مرجعهم إلى فجازى كلانا بأعمالهم وهي طريق الصبودية (ان عبادي) يعني الذين هداهم واجتباهم (لبس لك عليهم سلطان) أي قوة وحجة في أفعالهم ودماعهم إلى الشرك والضلال (وان جهنم لم وعدهم أجمعين) يريد إبليس ومن تبعهم النواوين (لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبعة أطباق طبق فوق طبق (لكل باب منهم) أي من أتباع إبليس (جزء مقسوم للثقيين) للفواحش والعكابر (في جنات وعيون) يعني عيون الماء والحر يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي بسلامة (آمنين) يعني من سقط الله وعنايه (وزعنا مافي صدورهم من غل) ذكرنا في سورة الاعراف (اخوانا) أي متوأمين (على سرر) جمع سرر (متقابلين) يريد لا يرى بعضهم قفا بعض (لا يعلم فيها نصب) يعني لا يعلمهم اعباء (نبي عبادي) أي أخبر عبادي (آتي بالتفوق) لأوليائي (الرحيم) بهم (وان

علم أنه يموت كل المخلوق فيه (قال) إبليس (رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض) أي أقسم باغواك إياي لأزين لآدم للعاصي في الدنيا التي دار التورر (ولأغويهم أجمعين) الاعبادك منهم المخلصين قرأين كثير وابن عامر وأبو عمر وبكر اللام في كل القرآن أي الذين أخلصوا دينهم عن كل شائب يناقض التوحيد وقرأ الباقون يفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة وعصمهم من كيد إبليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أي هذا الاخلاص طريق يؤدي إلى كرامتي وثوابي من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتووين على أنه صفة لصراط أي هذا الاخلاص طريق رفيع لاعوج فيه (ان عبادي) سواء كانوا مخلصين أولم يكونوا مخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أي قدرة أصلا على اغواء (الامن) اتبعك من النواوين) ولأؤهم إبليس في كلامه ان على حض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر ان اغواء النواوين ليس بطريق تصرف بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لم وعدهم) أي لصير للثقيين (أجمعين لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبع طبقات يتركونها بحسب مراتبهم في التاجية وهي جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب) أي دركة (منهم) أي الاتباع (جزء) أي حرب معين (مقسوم) أي مفرز من غيره في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يسبحون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة الجحوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون. والمحال ان الله تعالى يحجز أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب في التجزئة ان غرات الكفر مختلفة باللفظ والحقة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان الثقيين) من الكفر (في جنات وعيون) أي مستقر ون فيهم لكل منهم عدة منها (ادخلوها بسلام) أي ادخلوا الجنة سالين من كل آفة (آمنين) من كل خوف أي لما لمسكوا جنات كثيرة فكلما أرادوا ان ينقلوا من حنة إلى أخرى قبل لهم ادخلوها بسلام آمنين وقرئ ادخلوها من الله تعالى للأنسكة بادخالهم في الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبينا للفقول على صيغة الماضي للزبدية (وزعنا مافي صدورهم من غل) أي عداوة كانت بينهم في الدنيا (اخوانا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكللة بالزبرجد والنار والياقوت تدور بهم الامرة حيث اذروا (متقابلين) في الزايرة أي انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرر كل واحد منهم بحيث يصير رايه مقابلا بوجه لمن كان عنده وقفاه إلى الجهة التي ينسرها السرر وهذا أبلغ في الانس والاکرام (لا يعلم فيها نصب) أي نصب حصول كل ما يريدونه من غير مزاوله عمل أصلا (وماهم منها بمخرجين) لأن عام التعمية بالخلود (نبي عبادي) أي أخبر يا أشرف الرسل كل من كان متوقفا سجدتي (آتي بالتفوق) للعاصمين للمؤمنين (الرحيم) بهم (وان عذابي) للعاص ان عذبت (هو العذاب الأليم) وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون والنار بين أيديكم فقل قوله تعالى نبي عبادي آتي أنا القفور الرحيم (ونبتهم) أي خير ياسيد للرسلين عبادي (عن ضيف إبراهيم) وهم ملائكة على صور غلمان حسان منهم جبريل (اذ دخلوا عليهم قالوا سلاما) أي سلم سلاما أي قالوه تحية لا إبراهيم (قال انا منكم وجاؤن) أي خائفون قال إبراهيم ذلك حين امتنعوا من كل ما قر به اليهم من العجل

(قالوا لا توجل) أى لا تفرح وقوله (على أن منسى الكبر) أى على حالة الكبر (فيم بشرن) استفهام تعجب كما تعجب من الولد على كبره (قالوا بشرناك بالحق) أى بمقتضاه أنه أن يكون (فلا تكن من الفانطين) (٤٤٥) يعنى الآيسين (قال ومن يقنط) أى يئأس (من رحمته به الا الضالون)

(من رحمته به الا الضالون)

أى للكذبون (قال فما

خطبك) أى ما شأكم وما

الذى جئتم له (قالوا اننا أرسلنا

الى قوم مجرمين) يعنى

قوم لوط (الا آل لوط) أى

أتباعه الذين كانوا على دينه

وقوله (قدرنا) أى قضينا

وذكرنا انها تتخلف وتبقى

مع من يبقى حتى تهلك

وقوله (منكرن) أى غير

معرفين (قالوا بل جئناك

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

بما كنا نؤفقه بمرن) أى

الحنيد لأن العادة أن الضيف إذا لها كل عاقده يكون خائفا (قالوا لا توجل) أى لا تخشع إبراهيم منا (انا ننشرك بظلم) أى ولده واسحق (علم) فى حرمه حلم فى كبره (قال بشرتمون) بذلك (على أن منسى الكبر) أى بعد ما أنسى الكبر (فيم بشرن) أى فى أى أعجوبة بشرتمون فما استفهام بمعنى التعجب أراد إبراهيم بهذا السؤال أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع إبقائه على صفة الشيخوخة أو يعقله شابا فينونا أن الله تعالى أعطاه الولد مع إبقائه على صفة الشيخوخة قرأنا فع بشرن بكسر النون خفيفة فى كل القرآن وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديد هاء والباء ففتح النون خفيفة (قالوا بشرناك بالحق) أى بطريقه حتى وهو أمر الله تعالى (فلا تكن من الفانطين) أى من الآيسين من الولدان فقد الله على أن يخلق بشرا يبرأ من فكيف من شيخ فان وعجز زعافر (قال) إبراهيم (ومن يقنط من رحمة به الا الضالون) أى لا يقنط من رحمة به الا الضالون بطريق الاعتقاد الصحيح فى بهم فلا يرفون سعة رحمة الله تعالى وكال علمه وقدرته ومرا دسيدنا إبراهيم بهذا القول نفي القنوط عن نفسه على أن بلغ وجهه ليس فى قنوط من رحمة تعالى وإنما الذى أقول ببيان منافاة جالي لفيضان تلك النعمة الجليلة على وقرأ أبو عمر والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ شاذا بضم النون (قال) إبراهيم لجبريل وأعوانه (ما خطبك) أى شأكم المضطرب بسوى البشارة (أيها المرسلون) قالوا اننا أرسلنا الى قوم مجرمين لاهلاكهم (الا آل لوط) ابنيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة (اننا لنجوههم) أى لوط وآله (أجمعين) أى بما سبب القوم (الامرأته) واحة للنافقة (قدرنا) أى قضينا عليها (انها من العاقرين) أى الباقيات مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا بتخفيف الحال هنا وفى النزل وقرأ حمزة والكسائي لنجوههم يكون النون فخر جوامع عند إبراهيم وسافر وامن قريبه الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم للأنكة الذين ضافوا إبراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أى تنكركم نفسى فأخاف أن تصيبوني بشر ولا أعرف غرضكم لأى غرض دخلتم على (قالوا) أى للأنكة (بل جئناك بما كنا نؤفقه بمرن) أى ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بالعذاب الذى هدبت قومك به فيشكون فى مجيئه لهم ويكذبونك وهو ما يشفيك من عدوك وما فيه سرورك (وأنتناك بالحق) أى بالأخبار بمجيء العذاب (وانا لصادقون) فى مقاتلتنا ان العذاب نازل عليهم (فأمر بأهلك بقطع من الليل) أى فسر بينك وامرأتك الصالحة فى جزء من الليل عند السحر (واتبع أديارهم) أى امش خلفهم جهة صر لاجل أن تعلمن عليهم وتعرف أنهم ناجون (ولا يلفت منكم أحد) الى ورائه اذا سمع الصيحة ثلاثا ناعوا من عظيم ما نزل بهم من البلاء (وابصوا حيث تؤمرون) أى سبروا الى المكان الذى أمركم الله بالذهاب اليه وهو مصر (وقضينا اليك الأمان ان دبر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى وأخبر الوطاعين ذلك الأمان أن هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم فى المصباح أى يتم استئصالهم حال ظهور المصباح حتى لا يبقى منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أى مدينة سدوم الى دار لوط (يستبشرون) أى ظهرن الشرور بأشياء لوط وقالوا لوط لا تمل من الردمار أنما نطق أصبح وجهها ولا حسن شكلها منهم فذهبوا الى دار لوط طلبا لآلة لوط (قال) لوط (ان هؤلاء صبي فلا تصحون) أى فلا تظهروا عارى

فى وقت المصباح يدا منهم مهلكون هلاك الاستئصال فى ذلك الوقت (وجاء أهل المدينة) أى مدينة قوم لوط وهى سدوم (يستبشرون) أى يفرحون طمعا منهم فى ركوب الفاحشة حين أخبروا ان يبيت لوط قوما مردا جسا نافع لهم لوط (ان هؤلاء صبي فلا تصحون)

عندهم بقصدكم اياهم فعملوا انه ليس لي عندكم قدر (واتقوا الله ولا تخزون) مذكور في سورة هود (قالوا اولم تنهك عن العالمين) أي عن ضياتهم لأننا نريد منهم الفاشحة وكانوا يقصدون بقولهم التبرياء (قال هؤلاء بنائي ان كنتم فاعلين) هذا الشأن يعني اللذة وقضاء الوطر يقول عليكم بآز وجهن أراد أن يقي أضيفه بيناته (لعمرك) أي بحياتك يا محمد (انهم) أي ان قومك (لن يسكرتهم بهميون) أي في ضلاتهم يتأدون ويويل معنى قوم لوط (فأخذتهم (٤٤٦) الصيحة) أي صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم (مشرقين) أي

عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتهم بالسوء كان ذلك اهانة في (واتقوا الله) في فصل الفاشحة (ولا تخزون) أي ولا تخجلوني (قالوا اولم تنهك عن العالمين) أي اسألتهم نيكاً عن أن تكلمنا في أحسن الناس اذ قد صدنا بالفاشحة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسمه (قال هؤلاء بنائي) قد زوجوهن (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من اللاتسكة بحياة لوط عليه السلام (انهم لن يسكرتهم) أي في شدة غلغلة التي أزلت عقولهم (بهميون) أي يتحرون فكيف يقبلون قولك ويطعنون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) أي للدينة (سافها) وكانت قراهم أربعة فيها أربعة آلاف مقاتل (وأمرنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل تمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجاً عن المدينة بأن كان غالباً في شقراً وغيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوع بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي في ذلك كرم قصة ابراهيم وقصة لوط (آيات) أي لعبرات (للتوسمين) أي للتفكيرين (وانها) أي مدينة قوم لوط (للسبيل مقيم) أي في طريق ثابت لم تحرف والذين يرون من الحجاز الى الشام شاهدونها (ان في ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم وايابهم (آية) أي لعبرة عظيمة (للقومنين) أي لكل من آمن بالله وصدق الأنبياء فانهم عرفوا أن ملحق بهم من العذاب فالتفهمهم لرسالة تعالى أمال الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم (وان كان أصحاب الآيكة) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة الأشجار وكانوا يكتونها وكان أكثر شجرهم البوم (الظلمين) يشكذبهم شعبا على السلام (فاتقوا الله) روى أن الله تعالى سخط عليهم الحرسنة أيام حتى أخذوا بنفاسهم وقرروا من الملوك فبعت الله قلم سخابة كاطلة فاتجأوا اليها واجتمعوا تحتها لظلم بها فباعت الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم جميعاً (وانها) أي قريبات لوط وقريبات شغب (لباماميين) أي في طريق واضح يمر أهل مكة عليهم (ولقد كتب أصحاب الحجر للرسلين) أي صالحاً وجمله للرسلين فالقوم برأمة مشكرون لكل الرسل والمحرر واد بين المدينة الشريفة والشام وأثره باقية يمر عليها ركب الشام وذهاباً الى الحجاز وكان نمود يسكنونه (وآياتناهم آياتنا) أي أعطيناهم النافذة وكان فيها آيات كثيرة كخر وجهان الصخرة وعظم جنبها وقرب ولادها عند حر وجهان الصخرة وكثرة لبنها وشر بها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين) فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلا النافذة (وكانوا يشعخعون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام وتقلب الصوص وتخريب الأعداء لو تافها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الأرض فتفتطت قلوبهم في صدورهم عند الصباح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي لم يدفع عنهم ما كانوا يعملون من نجات تلك الجبال بنقراها بالمول وجمع الأموال ما نزل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي لا يسبب

داخلين في وقت شروق الشمس وذلك ان تمام الهلاك كان مع الاشراق وقوله (للتوسمين) يعني التفرسين للثبنتين في النظر حتى يروا حقيقة سمة الشيء (وانها) يعني مدينة قوم لوط (للسبيل مقيم) يعني على طريق قومك الى الشام وهو طريق لا يندرس ولا يخفى (ان في ذلك آية) للؤمنين أي لعبرة للصدقين يعني ان المؤمنين اعتبروا بها (وان كان أصحاب الآيكة) يعني قوم شغب وكانوا أصحاب فياض أي أشجار ملتفة فاتقنا منهم) أي العذاب أنعم الحر اياماً ثم اضطرم عليهم السكان نارا فهلكوا (وانها) يعني الآيكة ومدينة قوم لوط (لباماميين) أي لبطريق واضح (ولقد كتب أصحاب الحجر) يعني قوم نمود والمحجر اسم واد لهم (لرسلين) يعني صالحاً وذلك ان من كذب نبياً فقد كذب جميع الرسل (وآياتناهم آياتنا)

العدل

يعني ما ظهر منهم من الآيات في النافذة (وكانوا يشعخعون من الجبال بيوتا آمنين) أي طولوا أعمالهم كان لا تبق منهم السقوف فاتخذوا كهوفا في الجبال (آمينين) أي من أن تقع عليهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) يعني صيحة العذاب حين دخلوا في وقت الصباح (فما أغنى عنهم) أي ما دفع عنهم العذاب (ما كانوا يكسبون) يرعمن الأموال والأمان (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي لتواب والعقاب يعني آتين من آمن في وضو قد رسي وأعاف من كفر في والو عدل تلك الساعة وهو قوله

(وان الساعة لآتية) يقول ان القيامة تأتي فيجازي الشركون ببيع اعمالهم (فاصنع عنهم) (الصنع الجليل) يقول اعرض اعراضا بغير فحش ولا جزع (ان ربك هو الخالق العظيم) أي بما خلق (ولقد آتيناك سبحانه للثاني) يعني الفاتحة وهي سبع آيات وتنتهي في كل صلاة آمن الله على رسوله بهذه كما آمن عليه جميع القرآن حين قال (٤٤٧)

(والقرآن العظيم) أي العظيم

القدر (لا تمدن عينيك

الى ما تمناه) تنهى رسوله

صلى الله عليه وسلم عن

الرغبة في الدنيا فحظر عليه

أن يمد عينيه اليها رغبة فيها

وقوله (أزواجهم) يعني

أمساها من الكفار

كالشركين واليهود وغيرهم

يقول لا تنظر الى ما تمناهم

بمن الدنيا (ولا تحزن

عليهم) ان يؤمنوا (واخفض

جناحك للؤمنين) أي

أن جانبك لهم وارفق بهم

(وقل اني أنا النذير المبين)

أي أُنذركم عذاب الله

وأبين لكم ما يقربكم اليه

كما أنزلنا) أي عذابنا

(على المفسمين) وهم

الذين اقساموا طرق مكة

يصدون الناس عن الايمان

بمحمد صلى الله عليه وسلم

فأنزل الله بهم خزائنا

بشرية (الذين جعلوا

القرآن عضين) أي جزأوه

أجزاء فقالوا يسخر وقالوا

أساطير الأولين وقالوا

مفتري (فور بك لنسألهن

أجمعين عما كنوا يعملون)

أي يفحصون من القول في

القرآن يريدن لهن سؤال توخي وتقرع (فاصدع بما تؤمن)

يقول أظهر ما تؤمن به واجهر بأمرك (وأعرض عن الشركين)

أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى قولهم اياك عن اظهار الدعوى وهذا ليس بمسوخ لأن معنى هذا الاعراض

ترك التبالاة بهم (انا كفيناك المستهزين) أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي ابدائك

القرآن يريدن لهن سؤال توخي وتقرع (فاصدع بما تؤمن)

يقول أظهر ما تؤمن به واجهر بأمرك (وأعرض عن الشركين)

أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى قولهم اياك عن اظهار الدعوى وهذا ليس بمسوخ لأن معنى هذا الاعراض

ترك التبالاة بهم (انا كفيناك المستهزين) أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي ابدائك

العدل فكيف يلحق بحكمته اعمال أمرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لآتية) فان الله ليتقن لك فيامن أعدائك ويجازيك على حسناتك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصنع المصنع الجليل) أي اعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جليلا وتحمل المقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخالق العظيم) أي انه تعالى خلق الخلق لمع اختلاف طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لحضارته (ولقد آتيناك سبيعا من اللثاني) أي سبع آيات هي اللثاني وهي الفاتحة وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك ومسيدين بخير وقادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع اللثاني وقيل سميت الفاتحة ثلثا لأنها قبل ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على البعض فيعني الشيء مغاير لمجموعه فيكني هذا التقدير من الغارة في حسن العطف ونقل عن ابن عباس وطاوس أن السبع اللثاني هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الوصفين على الآخر مع حيدرة الوصف وأما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن سبعة أسباع كل سبع صحيفة وكل مثنان أمر ونهي ووعيد ووعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة وبيان وحكم ومتشابه وخبر ما كان وما يكون ومدة لقوم ومنبية لقوم وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرت ليهود قرينة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لا تقويننا بهوا لا نفقها في سبيل الله فقال الله تعالى لم لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ويدل على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينك الى ما تمناه أزواجهم) أي لا تنظرن بالرغبة الى ما أعطيتهم رجالا من الكفرة من متاع الدنيا وخزائنها فان ما في الدنيا بالنسبة الى ما أعطيت مستحق (ولا تحزن عليهم) أي لا تحزن لأجل عدم إيمانهم (واخفض جناحك للؤمنين) أي تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المفسمين) أي أني مبشر أتجاليلت فأبذركم مثل ما نزل بالذين اقساموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان ويقولون لمن سلكها لا تنظر وابهذا الخارج فينا يدعي النبوة فانه يحنون وير بما قالوا يسخر و بما قالوا يسخر و بما قالوا كلهم وسماو المفسمين لانهم اقساموا هذه الطرق فأناهم الله شريفة (الذين جعلوا القرآن عضين) أي الذين جزأوا القرآن أجزاء فقالوا يسخر وشعر وكهانة ومفتري أساطير الأولين (فور بك لنسألهن أجمعين) يوم القيامة (عما كنوا يعملون) في الدنيا من قول وفعل وترك (فاصدع بما تؤمن) أي أظهر ما تؤمن به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن الشركين) أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى قولهم اياك عن اظهار الدعوى وهذا ليس بمسوخ لأن معنى هذا الاعراض ترك التبالاة بهم (انا كفيناك المستهزين) أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي ابدائك

القرآن يريدن لهن سؤال توخي وتقرع (فاصدع بما تؤمن)

يقول أظهر ما تؤمن به واجهر بأمرك (وأعرض عن الشركين)

أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى قولهم اياك عن اظهار الدعوى وهذا ليس بمسوخ لأن معنى هذا الاعراض

ترك التبالاة بهم (انا كفيناك المستهزين) أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي ابدائك

القرآن يريدن لهن سؤال توخي وتقرع (فاصدع بما تؤمن)

خلق الإنسان من نطفة)
يعنى أى بن خلف (فإذا
هو خصم) أى خصام
(مين) ظاهر الخصومة
وذلك أنه غاصم الذى صلى
الله عليه وسلم فى انكاره
البعث (والأنعام خلقها
لكم فيها دفا) يعنى
ما تستدفون به من
الأكسية والأنية من
أشعارها وأصوافها
وأوبراها (ومنافع) أى
من النسل والنور (ولكم
فيها جمال) زينة (حين
تريحون) أى توردونها
الى مراحيبها بالمشى (وحين
تسرحون) أى تخرجونها
الى المرحى بالمشى (وتحمل
أنفالككم) أى أنتمكم
(الى بلد) لو نكلتم بلوغه
على غير الأبل لثق عليكم
والثقل المشقة (ان ركبكم
لرؤوف رحيم) أى حيث
من عليكم بهذه الرفاق
وقوله (ويخلق ما لا تعلمون)
لم يسمه فافهم أعلم به (وعلى
الله قصد السبيل) أى الى
الاسلام والطريق للستقيم
للؤدى الى رضى الله
كقوله هذا صراط على
مستقيم (ومنها) أى ومن
السبيل (جاء) أى عادل
ماثل كاليهودية والنصرانية
(ولوا شاء لهذا كم أجمعين)
أى حتى لاختلفوا فى الدين
وقوله (ومن شجر) يعنى

إشارة الى الأحكام الفروعية (خلق السموات والأرض بالحق) أى أوجدهما على صفات خصصها
بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والأرض على حدوثهما قال بعده (تعالى عما يشركون)
فأفانولون يقدم السموات والأرض كأنهم أثبتوا لله شركا فى القدم فزده تعالى نفسه عن ذلك وبين
أنه لا يقدم الا هو فالقصد من قوله (ولا سبحانه وتعالى عما يشركون) إبطال قول من يقول أجسام السموات والأرض
تشفع للكفار فى دفع عقاب الله عنهم والقصد ههنا إبطال قول من يقول أجسام السموات والأرض
قدية فزده تعالى نفسه عن أن يشاركه غيره فى القسم (خلق الإنسان من نطفة) مننفة (فإذا
هو) بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصم) لربه (مين) أى ظاهر الخصومة منكسر لحلقه قائل
من يحى العظام وهي رميم وهذا إشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الإنسان على وجود الصانع
الحكيم فان الانتقال من الحالة الخبيسة الى الحالة العالية لا يحصل الا بتدريج مبرح حكم عليم (والأنعام)
أى الأبل والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دفا) أى ما يتدفأ به من اللباس للتحفة من الأصواف
والأوبار والأشعار (ومنافع) هى درها وركوبها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أى من لحومها
(تأكلون) ولكم فيها جمال (أى منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أى تردونها من مراحيبها
الى مراحيبها بالمشى (وحين تسرحون) أى تخرجونها من حظائرها الى المرحى بالمشى (وتحمل
أى الأبل (أنفالككم) أى أنتمكم (الى بلد) لم تكونوا بالفيه) أى واصلين اليه على غير الأبل
(الا يبق الأنفس) أى لا يذهب النفس أو الانهيار نصف قوة البدن والثقل بكسر الشين وقصد
معناه المشقة والنصف (ان ركبكم لرؤوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم
الأمر الشاقة (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) أى وخلق هذه الأشياء لركوبها وللنظر
الحسن واحتج بهذه الآية من يحرم لحوم الخيل وقالوا لان الله تعالى خص هذه بالركوب فلعننا بها
مخلوقة للركوب لئلا كل وهو قول ابن عباس واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة
من أهل العلم الى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وإليه ذهب
الثناوى وأحمد واسحق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روى عن أمية بنت أبي بكر الصديق قالت
نحرناعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسنا نحن بالمدينة أخرجه البخارى ومسلم روى الشيخان
عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمير الأهلية وأذن فى لحوم
الخيل (ويخلق ما لا تعلمون) أى ويخلق فى الدنيا غير ما ععدد من أصناف النعم روى عن ابن
عباس أنه قال ان عن بين العرش نهران من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة
يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيقتل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم
ثم ينفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقيم من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم
سبعون ألف ملك البيت العمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يهودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله
قصد السبيل) أى وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها) أى من السبيل (جاء)
أى ماثل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولوا شاء لهذا كم أجمعين) الى استقامة الطريق
(هو الذى أنزل من السماء ماء لكم ولكل شئ منه) أى الماء (شراب ومنه شجر) أى من
لحاء ما ينبت على الارض (فيه) أى فى الشجر (تسمون) ترعون مواشيتكم (ينبت لكم به) أى البلاء
(الزروع والزيوتون والخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو اما أن يكون
من الحيوان أو من الثبات والغذاء الحيوانى إنما يحصل من أسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتى

ما ينبت بالمطر وكل ما ينبت على الأرض فهو شجر

مواشيكم وقوله (وما ذرا لكم) أي وسخر لكم ما ذرا أي خلق (في الارض) مختلفا ألوانه أي هيئاته ومناظره يعني البواب والأشجار وغيرها (وهو الذي سخر البحر) أي ذله بالركوب والنوص (لتأكلوا منه لحما طريا) أي السمك والحيتان (ونستخرجوا منه حلبة تلبسونها) أي الثوب والجواهر (وترى الفلك) أي السفن (مواخرفه) يعني شواك لها تدفع بجوهرها (وليتنبوا من فضله) يريد لتركبو التجارة فطلبوا الربح من فضل الله (وأتاني في الارض رواصي) يعني جبالا ثوابت (أن تميد بكم) يريد للتميد بكم أي تتحرك (وأأنهارا) يعني وجبل فيها أنهارا كالنيل والفرات والنجلة (وسبلا) أي وطرقا التي كالبلدة (للكم تهتدون) إلى مقاصدكم من البلاد فلا تضلوا (وعلامات) يعني الجبال وهي غلامات للطرق بالنهار (وبالنجم) يعني جميع النجوم (هم يهتدون) إلى الطرق والقبة في البر والبحر (أفمن يخلق) يعني ما ذكر في هذه السورة وهو الله تعالى (كمن

فسيان حبوب وفواكه فالحبوب هي ما به قوم يدين الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل والأعناب أما الزيتون فقلته فأكلة من وجه وادام من وجه آخر لكثره ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة في الأكل والطبخ واشتغال السرج وأما امتياز النخيل والأعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن كل الفرات) بما لا يمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان في ذلك) أي في أنزال الماء وأنبات ما ذكر (آية) دالة على تفرد تعالى بالألوهية (لقوم يتفكرون) ألا ترى أن الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومر عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الارض فانها تنفتح وينشأ أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهوام أسفلها فنوص منمر ووق في الارض ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج منه الأوراق والازهار والاكام والخمر الشتملة على أجسام مختلفة الطباع والطعوم والألوان والروائح والاشكال والمنافع ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه أحد في شيء من صفاته الكمال (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ومسخرات خبرها وقرأ حفص عن عاصم والنجوم بالرفع والباقيون بالنصب في الجميع ومسخرات حال منه أي انه تعالى سخر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمخاطبتهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أي بأمره كيف شاء (ان في ذلك) أي تسخير الليل وما بعده (آيات لقوم يعقلون) أي يعلمون أن تسخيرها من الله تعالى (وما ذرا لكم في الارض) أي وسخر لكم ما خلق لكم في الارض من خيوان ونبات مختلفا ألوانه ان في ذلك أي اختلاف ما في الارض (آية لقوم يذكررون) أي يتعظون فان اختلاف طبائع ما في الارض وأشكاله مع اتحاد موادها هو بصنع حكيم عليم قادر مختار منزه عن كونه جسمانيا وذلك هو الله تعالى (وهو الذي سخر البحر) ومعنى تسخير الله تعالى إياها لخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الاتفاع بها ما بالركوب أو بالنوص (لتأكلوا منه لحما) أي سمكا (طريا) والتعبير عن السمك بالجمع مع كونه جمينا لانه لا يحضر الا فتاغبه في الأكل وصفه بالطراوة للاشعار بطاقته والتنبيه على طلب السرعة الى أكله لسرعة فساد (وليتخرجوا منه حلبة) أي لؤلؤا ومرجانا (تلبسونها) أي تلبسها نساقم لاجلكم فان زينة النساء الحلي إنما هو لاجل الرجال فهي حلبة لكم بهذا الاعتبار (وترى الفلك) أي تبصر السفن (فيمواخر) أي جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعرضة برح واحدة تشقه بحيزوما (وليتنبوا من فضله) أي لتركبوها للوصول إلى البلدان الشاسعة فطلبوا الرزق بالتجارة وغيرها من فضل الله تعالى (وللكم تشكرون) أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد (وأتاني في الارض رواصي) أي جعل فيها جبالا ثوابت (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميل بكم الارض وتضطرب (وأأنهارا) أي جعل في الارض أنهارا جارية لمنافعكم (وسبلا) أي جعل فيها طرقا (للكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بها في أسفاركم إلى مقاصدكم (وعلامات) أي جعل في الأرض أمارات الطرق التي يستدل بها للزور وهي الجبال والرياح والتبابان جماعة يشمون الغرابو يعرفون بذلك الثم الطرق (وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار وقال السدي هو الثريا والفرقدان ونبات نمش والجدى (أفمن يخلق) هذه الأشياء وهو الله تعالى (كمن لا يخلق) شيئا أصلا وهو الأضنام (أفلا تدركون) أي ألا تلاحظون فلا تدركون فان هذا القدر لا يحتاج الى تفكير ولا إلى شيء سوى التذكر فيسكن في أن تتنبهوا على ما في عقولكم من أن العبادة لتأنيق الألبان ثم الأعظم فكيف يليق بالعقل أن يشتغل عبادة من لا يستحق العبادة ويترك عبادة من يستحقها

(وان تمدوا نعمت الله لتحصوها) مفسره (ان الله لتغفور رحيم) أي غفور لتصيركم في شكر نعمته رحيم بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم وقوله (أموات) أي هي أموات لا روح فيها يعني الاصنام (غير أحياء) (٤٥١) تأكيده وقوله (وما يشعرون أياها)

يعتقون (وذلك أن الله

تعالى يثبت الاصنام لها

أرواح فيشعرون عن

عبادتهم وهي في الدنيا

مجاد لتعلم متى تبت

وقوله (المحكم) ذكر الله

تعالى دلائل وحدانيته ثم

أخبر أنه (الله واحد) ثم

أنسخ هذا انكار الكفار

وحدانيته بقوله (فالتدين

لا يؤمنون بالآخر قلوبهم

منكرة) أي جامدة غير

عارفة (وهم مستكبرون)

أي تمتنعون عن قبول

الحق (لاجرم) حقاً (أن الله

يعلم ما يسرون وما يعلنون)

أي يجازيهم بذلك (انه

لا يحب المستكبرين) أي

لا يحبهم ولا يثيبهم (واذا

قيل لهم ماذا أنزل ربكم

قالوا أساطير الأولين) نزلت

في النضر بن الحارث

وذكرنا قصته (ليحملوا

أوزارهم) هذه لام العاقبة

لأن قولهم لقرآن أساطير

الأولين أداهم إلى أن خملوا

أوزارهم (كاملة) ليكفر

نفساً بشيء بنكية أصابته

في الدنيا لكفرهم (ومن

أوزار الذين يضلونهم)

لأنهم كانوا دعة الضلالة

فليهم مثل أوزار من

اتبعهم وقوله (بغير علم) أي

هو

(وان تمدوا نعمت الله لتحصوها) أي انكم لا تعرفونها على سبيل الخلق واذالم تعرفوها امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل الخلق وما يدل قطعاً على أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام نعم الله تعالى أن كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتفقد العيش على الانسان وتفتي أن يتفق كل الديناحي يزول عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدر أحوال بدن الانسان على الوجه الاكمل مع أن الانسان لا علم بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه فليكن هذا المثال حضرا في ذهنكم ثم تأمل في جميع ماخلق الله هذا العالم من المادن والنبات والحوان وجعلها مائة لتتعاكس بها حتى تعلم أن عقول الخلق تقنى في معرفة حكمه الرحمن في خلق الانسان فضلا عن سائر وجوه الاحسان ثم الطريق إلى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلاً وجملاً (ان الله لغفور) للتقصير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله يعلم ما تسرون) أي تضررونه من العقائد والاعمال (وما تعلمون) أي تظهرونه منها وهذه الاصنام مجاديات لا معرفة لها بشيء أصلاً فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً) أي والألوهة الذين يصنعهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئاً قرأ فخص عن عاصم يسرون ويعلمون ويدعون بالياء على الغيبة لكن نقل عن السمين أن قراءة الباء التحتية شاذة في الفعلين الأولين قرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خصة بالياء على اللام فيقرى على صيغة البنى للفعل (وهم يخلقون) أي أن الاصنام مخلوقة لله تعالى منحوتة من الحجارة وتصورها (أموات) أي مجاديات لا روح فيها (غير أحياء) أي لا تأتيا الحياة أصلاً (وما يشعرون أياها) يعنيون أي وما يشعر أولئك الألوهة متى يبعث عبيدهم من القبور وفي هذا تهكم بالمشركن في أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف وقت جزائهم على عبادتهم وقيل المعنى أن هذه الاصنام لا تعرف متى يعينها الله تعالى قال ابن عباس أن الله تعالى يثبت الاصنام وما أرواح ومما يشايطيتها فيؤمر بها إلى النار (المحكم الله واحد) لا يشركه شيء في شيء (فالتدين لا يؤمنون بالآخر) ولا يرغبون في حصول الثواب ولا يرغبون من الوقوع في العقاب (قلوبهم منكرة) لوحدة الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع إلى الحق (لاجرم) أي حقاً (أن الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلمون) من استكبارهم (انه لا يحب المستكبرين) على خلقه فما بالك بالمستكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أي وإذا قال وفود الحاج أولئك المنكرين للمستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الأولين) أي هذا الذي تذكرون أنه منزل من ربكم هو كاذب الأولين ليس فيه شيء من العلوم والخفائق (ليحملوا أوزارهم) أي أتاامهم الخاصة بهم وهي آتام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أي لم يخفف من عقابهم شيء يوم القيامة بحسبة أصابته في الدنيا فقلوه ليحملوا متعلق بقالوا فاللام للعاقبة وقوله يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يضلونهم) أي وليحملوا أيضاً من جنس آتامهم ضل ضلالهم أي فيحصل للرؤساء مثل أوزار الأتباع (بغير علم) أي أن هؤلاء الرؤساء يقسمون على الضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد في مقابلته (الأساميزرون) أي نفساً يحملونه من الذنوب حملهم هذا (قد مكر الذين من قبلهم يضلونهم جهلاً منهم بما كانوا يكسبون من الآثم ثم صميمهم فقال (الأساميزرون) أي يحملون (قد مكر الذين من قبلهم) وهو ثم رد في صراط ولا يصعد منه إلى السماء فيقاتل أهلها

(فَأَنَّى اللَّهُ) أى أمر الله وهو الراجح وخلق الزلزلة (بنيانهم) أى بناهم (من القواعد) أى من أساطين البناء التى تعمدوذلك أن الزلزلة خلقت فيها حتى تحركت بالبناء (٤٥٢) وهدمته وهو قوله (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى وهم تحته (وأناهم العذاب

من حيث لا يشعرون) أى
من حيث ظنوا أنهم فى
أمان منه (ثم يوم القيامة
يخزيهم) أى يذلهم (ويقول
أين شركائى) الذين فى
دعوا كم أنهم شركائى أين
هم ليذنبوا العذاب عنكم
(الذين كنتم تشاقون)
أى تحالفون المؤمنين
(فيهم قال الذين أنوأوالم)
وهم المؤمنون يقولون
حين يرون خزي الكفار
فى القيامة (ان الخزي
اليوم والسوء) عليهم
لأعينا (الذين توفاهم
لللائكة) مر فى سورة
النساء وقوله (فألقوا
السلم) أى اتفادوا
واستسلموا عند الموت وقالوا
(ما كنا نعمل من سوء)
أى شر كفقالت لللائكة
(بل ان الله عليم بما كنتم
تعملون) أى من الشرك
والتكذيب ثم قيل لهم
(فادخلوا أبواب جهنم
خالدين فيها) الآية وقوله
(فلبئس مثوى المتكبرين)
أى مقام المتكبرين عن
التوحيد وعبادة الله
(وقيل للذين اتقوا ماذا
أنزل ربكم) هنا كان فى
أيام اللوسم يأتى الرجل مكة
فيسأل المشركين عما نزل
على محمد فيقولون انه

أساطير الأولين ويسأل المؤمنون عن ذلك فيقولون (خبراً) ثم فسرد ذلك الخبر فقال (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا) أى قالوا لا اله الا الله (حسنة) أى ثواب متاعف (ولدار الآخرة) وهى الجنة (حبر) أى من الدنيا وما فيها وقوله

(توفاهم لللائكة طيبين) أي طاهرين من الشرك (هل ينظرون الآن تأنيهم لللائكة) أي لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) أي بالقتل واللعن هل تكون مدة إقامتهم على الكفر الامتداد حياتهم إلى (٤٥٣) أن يموتوا ويقتلوا (كذلك فعل

الذين من قبلهم) وهو التكذيب يعني كفار الأمم الحالية (وما ظلمهم الله) أي بتعذيبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يريد بإقامتهم على الشرك (فأصابهم) هذا مؤخر في اللفظ ومعناه التقديم لأن التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم الآية وما ظلمهم الله الآية ومعنى أصابهم (سينتاعملوا) أي جزأها (وحاق) يعني أحاط بهم ما كانوا به يستهزون) من العذاب (وقال الذين أشركوا) يعني أهل مكة (لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أي ما أشركنا ولكن شاء لنا (ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من الحسرة والسائبه وانما قالوا هذا استهزاء قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله (فهل على الرسل إلا البلاغ) (الذين يعني ليس عليهم إلا التبليغ وقد بلغوا بلغوا وأما الهداية فهي إلى الله وقد حقق هدافا بملوهو

وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الأوفى (يجزي الله المتقين) أي كل من بقى من الشرك والمعاصي (الذين توفاهم لللائكة) أي قبضتهم (طيبين) أي طاهرين من الكفر مبشرين عن الملاقاة الجسدية متوجهين إلى حضرة القدس فرحين بإشارة لللائكة إياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لما همون هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أي الللائكة عند الموت وهذه حال من الللائكة وطيبين حال من الفضول (سلام عليكم) أي لا يلحقكم مكروه وعن محمد بن كعب القرظي قال إذا أشراف المبعوثين على الموت جاءه ملك فقال السلام عليكم يا ولي الله بقرا عليك السلام وبشرك بالجنة (ادخلوا الجنة) أي جنت عدن وهي خاصة لكم كأنكم فيها ولرأد دخولهم فيها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخي البشر به لادخول القبر الذي هو روضة من رياض الجنة فإن الللائكة لما بشر بهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أي بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أي ما ينظرون الكفار الذين طعنوا في القرآن وأنكروا النبوة (الآن تأنيهم لللائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتي أمر ربك) أي عذاب ربك في الدنيا بها لكم (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب للعجل (وما ظلمهم الله) بذلك فإنه أنزل بهم ما يستحقونه بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما نزل بهم (فأصابهم سينتاعملوا) أي عقاب سينتاعملهم أعمالهم (وحاق) أي وأحاط بهم ما كانوا يستهزون) أي عقاب استهزئهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أي من أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم تكذبه طعنا في الرسالة (لوشاء الله) عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) الذين تقتدي بهم في ديننا (ولا حرمنا من دونه من شيء) من البعيرة والسائبة والوصيلة والحامي وأشركا كنبالة الأوثان وتحريمنا الأنعام والحرم بمشيئة تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة في عجبك لنا بالأمر والنهي وفي آرائك (كذلك) أي مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من الأمم فأشركوا بالله وحرّموا حله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم عن الخطأ وهدوهم إلى الحق (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس وظيفة الرسل إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا فوهو واجب عليهم وأما حصول الإيمان فلا يتعلق بالرسل (ولقد بعثنا في كل أمة من الأمم السالفة (رسولا) خاصا بهم كما بعثناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وعلوه (واجتنبوا الطاغوت) أي اجتنبوا عبادة ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم إلى الضلالة (فهم) أي من تلك الأمم (من هدى الله) إلى الحق الذي هو عبادة (ومنه من هت) أي نبئت (عليه الضلالة) فلم يجب الرسول إلى الإيمان فضل عن الحق وعمى عن الصدق ووقع في الكفر (فسيروا) يا مشرك فارق ريش (في الأرض) أي فإن كنتم في شك من أخبار الرسل فسيروا في الأرض (فانظروا) في أكنافها واعتبروا (كيف كان عقاب المكذبين) بالرسل من عاد ومودود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم كما نزل بهم (ان تعرض على هدام) أي ان طلب ما يسد الرسل توحيد كفار ريش بجهدك فلا تقدر على ذلك

قوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) كما بعثناك في هؤلاء (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو شيطان وكل من يدعو إلى الضلالة (فهم من هدى الله) أي أرشده (ومنه من هت) يعني وجبت (عليه الضلالة) أي الكفر بالقضاء السابق (فسيروا في الأرض) معتبرين بأخبار الأمم المكذبة ثم أكد أن من هت عليه الضلالة لا يتنى وهو قوله (ان تعرض على هدام

(فان الله لا يهدي من يشاء) أى لأنه تعالى لا يخلق الهداية قسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره وقرئ لا يهدي بالبناء للمفعول (ومالهم من ناصرين) أى وليس لهم أحد يعينهم على مطاوعهم في الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهداً بما بينهم) أى حلف الذين أشركوا غايتها إيمانهم وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهداً يعينه فان الكفار كانوا يحلفون بأبائهم وأبائهم أفتهم فإذا كان الأمر عظيماً حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا أعلما بأنهم كانوا أشركوا والتوحيد أنكروا والبعض مقسمين (لا يبيح الله من عوت) فانهم يحشون في عقولهم أن الشيء إذا صار عدماً خاضعاً لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئاً آخر ولقد رده الله تعالى عليهم أبغى ردف قوله (بل وعلى عليه حقاً) أى بلى يعشهم الله بالبعض وعداً حقاً لا خلف فيه ثابتاً على الله فينجزه لا امتناع الخلف في وعده (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) أنهم يعشون لقصور نظرهم بالملأوف فيتموهون امتناع البعض ولجهلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرهما من صفات الكمال (ليبين لهم) أى بلى يعشهم ليبين لمن عوت (الذي يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرهما من أمور الدين فيذهب الحق من المؤمنين ويبطل البطل من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بالله بالاشراك وانكار البعث والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) فيما أقسموا فيه وفي كل ما يقولون (انما قولنا لشيء) أى شيء كان (إذا أردناه) أى وقتاً أرادنا لوجوده (أن نقول له كن) أى أحدث وهو خير البتداء (فيكون) أى فيحدث عقب ذلك من غير توقف وهذا تمثيل لشيء الكلام والتعجب فليس هناك قول ولا مقوله ولا أمر ولا أمور بل هو تمثيل لسهولة حصول القدورات عند تعلق ارادته تعالى بها وقصور لسنعة حدوثها ولكن المبادخوطوا بذلك على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا وما فيها في قدر لمح البصر لقد رعى ذلك فالعنى انما إيجادنا لشيء عند تعلق ارادتنا به أن يوجد في أسرع ما يمكن (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (في الله) أى لظاهر دينه (من يعمل ما علموا في الدنيا حسنة) أى أرضاً كريمة آمنة وهي المدينة وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وعلى هذا يكون نزول الآية في أصحاب المهاجرين فيكون نزولها في المدينة بين المهاجرين وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعباس وجبيراً أخدمهم للشركون بمكة يذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فيخرجونه الى بطن مكة في شدة الحر ويشدون عليه يجمعون على صدره الحجارة وهو يقول أحداً أحداً فاشتره منهم أبو بكر وأعتقه وأما صهيب فقال أنار رجل كبيران كنت معكم لم أفهمكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافترس منهم وهاجر وأما جابر فهاجر ففقدنا بعض مالار أهل مكة من كلمة الكفر فتركوا عناهم ثم هاجر وأجسب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كأن بنصرة الأنصار قوت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر أن كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال خذ بدارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا والآخرة في الآخرة أ كبر (ولأجر الآخرة كبر) أى ولأجر الكائن في الآخرة وهو النعيم الكائن في الجنة أعظم من الأجر الكائن في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أى لو علم الكفار أن الله تعالى يجمع لهم لؤلاء المهاجرين خير الناس من لو افقوه هوى الدين (الذين صبروا) على أذى الكفار ومفارقة الأهل والوطن وعلى الجاهدة وبذل الأموال والنفوس في سبيل الله (وعلى ربه بهم يتوكلون) أى اليه خاصة يفوضون الأمر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) بأكرم الرسل الى الأمم من طوائف البشر (الارجال انوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من أن يكون

فان الله لا يهدي من يشاء) كقوله من ضل الله فلا هادى له (وأقسموا بالله جهداً بما بينهم) أغفلوا في الأيمان تكذيباً منهم لقدره الله على البعث فقال الله تعالى (بلى) لنبيهم (وعدا عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ليبين لهم بالبعض ما اختلفوا فيه من أمره وهو أنهم ذهبوا الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) ثم أعلمهم سهولة خلق الأشياء عليه بقوله (انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) والذين هاجروا) نزلت في قوم عذبهم للشركون بمكة الى أن هاجروا وقوله (في الله) أى في رضى الله (لنبوتهم في الدنيا حسنة) أى داروا ببلدة حسنة وهي المدينة (ولأجر الآخرة) يعنى الآخرة (الذين صبروا) على أذى المشركين وهم في ذلك واقفون بالله متوكلون عليه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً انوحى اليهم) ذكرنا تفسيره في آخر سورة يوسف وقوله

(فاسألوا أهل الذكر) يعنى أهل التوراة فيخبروكم أن الأنبياء كلهم كانوا أشرا (بالينبات) أى أرسلناهم بالينبات والحجج الواضحة (وازر) أى الكتب (وأزنا اليك الذكر) أى القرآن (لتبين للناس منازل اليهم) في هذا الكتاب من الحلال والحرام والوعيد والععيد (ولعلمهم يتفكرون) في ذلك فيعتبرون (أفأمن الذين مكروا (٤٥٥) السينات) أى عملوا بالفساد يعنى عبدة الأوثان وهم مشركو مكة (أن يخسف الله بهم الأرض) كخاسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)

رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعنة رسول النيل بضم نكا (فاسألوا أهل الذكر) أى أهل العلم بأخبار الماضين فإذا سألوهم فلا تدن بجيبوا بأن أرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا أشرا فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) أن الرسل من البشر (بالينبات والزر) متعلق بمحذوف على أنه صفة لرجلا أى رجلا ملتصين بالمعجزات الدالة على صدق من يدعى الرسالة وبالتركيب الذى يبلغونها من الله تعالى إلى العباد أو متعلق بيوحى أى يوحى اليهم بالحجج الواضحة والكتب أو متعلق بذلك أى فاسألوا أهل العلم بالحجج والكتب القديمة من التوراة والإنجيل أو متعلق بلا تعلمون أى ان كنتم لاتعلمون الله لم يرسل الرسل الانسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر يعلم وتحققوا وأسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وأزنا اليك الذكر) أى القرآن سمى ذكر الان فيه فيها للفاصلين (لتبين للناس) كافة (منازل اليهم) في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال الأمم للهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجبة لذلك (ولعلمهم يتفكرون) فيمازل اليهم فيتنبهوا لما فيه من البرهان وعجزوا عما يؤدى الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السينات) أى سوا من أهل مكة ومن حول المدينة في إيداء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الأرض) كخسف بقارون وأصحابه (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى في حال غفلتهم فيهلكهم بنة كرافل يقوم لوط (أو يأخذهم) بالقوية (في تقليهم) أى فى أسفارهم وحركتهم اقبالا وادبارا (فأهم بمحجزين) أى يوم لا يحجزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يتركهم الله حيث كانوا (أو يأخذهم على تخوف) أى على أن ينقص شيئا ببدنى في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على مخافة من العذاب بأن يهلك قوميا قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون (فان بكرهم روف رحيم) حيث لا يابلجكم بالقوية ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ فيفتؤ غلاله عن البين والشاتل سجدا لله) أى لم ينظر أهل مكة ولم يروا بأبصارهم الى جسم قائم له ظل من جبل وشجرو بناء رجع غلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهو دأخرون) أى منقادون لقدرة الله تعالى وقدره ولما وصفت الظلال بالانقياد لأمره تعالى أشبهت العقلاء خبر عنها بلفظ من يقل وقرأ حمزة والكسائي روا بالياء على الخطاب وقرأ أبو عمرو وحده تنقيوا بالياء (وقه يسجد ما فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما فى الأرض من دابة ولا لائكة) عطف على ما فى السموات ولما بين الله تعالى أولا أن الجادات بأسرها متقادة لله تعالى بين هذه الأيات الحيوانات بأسرها متقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشر فيها اللائكة وذلك دليل على أن كل المخلوقات متقادة لله تعالى (وهم) أى اللائكة مع عواشئهم (لا يستكبرون) عن عبادة تعالى (يتخافونهم من فوقهم) وهذا الجملة بيان لقوله لا يستكبرون أو حال من صيره أى خائفين لما لك أمرهم خوف هبة واجلال وهو فوقهم

(وهم داخرون) أى صاغرون يقولون مايراد منهم يعنى هذه الأشياء التى ذكرها الله تعالى يسجد لله أى يخضع وينقاد بالسخير له (ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) يريد كل مادب على الأرض (وللائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله يعنى اللائكة (يتخافونهم من فوقهم) يعنى لللائكة هم فوق ما فى الأرض من دابة ومع ذلك يخافون الله فلا يخاف من دونهم أولى

(وهم داخرون) أى صاغرون يقولون مايراد منهم يعنى هذه الأشياء التى ذكرها الله تعالى يسجد لله أى يخضع وينقاد بالسخير له (ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) يريد كل مادب على الأرض (وللائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله يعنى اللائكة (يتخافونهم من فوقهم) يعنى لللائكة هم فوق ما فى الأرض من دابة ومع ذلك يخافون الله فلا يخاف من دونهم أولى

بالقهر (ويعلمون ما يؤمنون) به من الطاعات والتسديرات فبوابتهم وظواهرهم مبرأة من الأخلاق الفاسدة والأفعال الباطلة (وقال الله) لجميع الكافرين (لا تتخلوا الدين اثنين) أي لا تعبدوا الله والأصنام ولما بين الله تعالى أولا أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى أتبعه في هذه الآية بالتهني عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الإشراك بالله وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (إنما هو له واحد) أي لمحدث الله لا لائل السابقة على أنه لا بد للعالم من الإله وقد ثبت أن وجود الاثنين محال ثبت أنه لا إله الا الواحد الأحد (فأياي فارهبون) أي أن كنتم راهبين شيئا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجله ما في السموات والأرض ولما كان الإله واحدا والواجب لذاته واحدا كان كل ما سواه محلا بتخليقه وإيجاده فثبت أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأن أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض ويجب أن يكون جميع المخوقات في ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله ما في السموات والأرض) أي خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أي لله تعالى الطاعة دائما فليس من أحد يطاع الا طاعت تلك الطاعة بالوئاء وبسبب في حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفي الآية دقيقة أخرى فني قوله تعالى له ما في السموات والأرض أن كل ما سوى الله محتاج في انقلابه من الصم الى الوجود ومن الوجود الى الصم الى شخص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصبا أن هذا الاحتياج الى المرح حاصل دائما أبدا لأن الممكن حال بقائه لا يستني عن الرجوع لان علة الحاجة هي الامكان وهو من لوازم اللاهية فوجب أن تكون الحاجة حاصلة حال حلولها وحال بقائها (أفئرا الله تتقون) أي انكم بعلمكم فتم أن الله العالم واحد وأن كل ما سواه محتاج اليه في وقت حدوثه وفي وقت دوامه فبما العلم بهذا الأصول كيف يعقل أن يكون للانسان رغبة في غير الله أوروبية من غير الله تعالى (وما يكم من نعمة فمن الله) أي أي شيء يصاحبكم من نعمة أية نعمة كانت فهي من الله فيجب على العاقل أن لا يخاف الا الله وأن لا يشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالاستقام (فاليه تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة في كشفه لآلئ غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرئني منكم) أي اذا فرئني كافر وهم أتم (ير بهم يشركون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا بما آتيناكم) أي ان عاقبة تلك التضرات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكر وعندهم وقيل ان هذه اللام الامر الوارد للتهديد كقوله تعالى (فتمتعوا) أي عيشوا في الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب (ويحصلون) أي للشركون (لما لا يعلمون) أي للأصنام التي لا يملك للشركون أمها تضر من حيث عبادتها ولا تلتفع (نصيبا مزارقناهم) من الزرع والأنعام وغيرهما تقربا اليها (فان الله لتستلن) يوم القيامة سؤال توبيع (عما كنتم تقفرون) أي تكذبون على الله من أنه أمركم بذلك الجمل (ويحصلون لله البنات) أي يقول خراعة وكناة لللائسكة بنات الله (سبحانه) زما لله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر الله تعالى الخلق بالتعجب من جرأته على وصف الللائسكة بالأنوثة ثم سببها الولد اليه الله تعالى (ولهم ما يشتهون) ويحصلون لأنفسهم ما يختارون من البنين (واذا بشر أحدهم بالأنثى) أي والحال انه اذا أخبر بولادة الأنثى (ظل وجهه مسودا) أي صار وجهه متغيرا تغير معتم من الحياة من الناس (وهو كظيم) أي غليظ غماوخر ناوغياظ من روجه كيف يسب البنات اليه تعالى ووجهه اذا بشر حال من الواوقي ويحصلون (بتواري من القوم) أي يخفي من قومه (من سوء ما ينشره) أي من أجل كراهية الأنثى التي

الذي خلق كل شيء وأمر أن لا يتخذ معه اله (تتقون وما بكم من نعمة فمن الله) أي ما بكم من صحة جسم وسعة رزق أو متاع جمال أو ولد فكل ذلك من الله (ثم اذا مسكم الضر) (فاليه تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرئني) يعني من كفر بالله وأشرك به كشف الضر عنه (ليكفروا بما آتيناكم) أي ليجهلوا نعمة الله فيا فعل بهم (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (ويحصلون) يعني الشركين (لما لا يعلمون) أي الأوثان التي لا علم لها (نصيبا مزارقناهم) يعني ماذا ذكر في قوله وهذا لشركائنا (فان الله لتستلن) سؤال توبيع (عما كنتم تقفرون) أي على الله من أفعالكم بذلك (ويحصلون لله البنات) يعني خراعة وكناة زعموا أن الللائسكة بنات الله ثم زعموا أنفسه فقال (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم ما يشتهون) أي البنين وهذا كقوله أم أحدهم بالأنثى) أي أخبر بولادة ابنة (ظل) أي صار (وجهه مسودا) أي متغيرا تغير معتم (وهو كظيم) أي غليظ غماوخر ناوغياظ من روجه كيف يسب البنات اليه تعالى ووجهه اذا بشر حال من الواوقي ويحصلون (بتواري من القوم) أي يخفي من قومه (من سوء ما ينشره) أي من أجل كراهية الأنثى التي

(أي مكه على هون) أي استحيى على هوان منه لها (أم بدسه) أي يخفيه (في التراب) فعل الجاهلية من الوأد (الأساء) أي يس (ما يحكمون) أي يجهلون لن يترفون بأنه خالقهم النبات التي يحملون منهم هذا الحمل ونسبوه إلى اتخاذ الوالدو يجهلون لانفسهم البنين (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أي العذاب والنار (وقوله للثلث (٤٥٧) الأعلى) أي الاخلاص والتوحيد وهو

شهادته أن لا إله إلا الله (ولو يؤاخذ الله الناس) أي للشركيين (بظلمهم) واقترانهم على الله (مترك عليها) أي على الأرض (من دابة) يعني أقدامهم للشركيين (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو اقتضاء عزمهم (ويجهلون لله ما يكرهون) هم لانفسهم ذلك وهو النبات أي يحكمون له به (وتصف ألسنتهم الكذب) ثم فسر ذلك الكذب بقولهم (أن لهم الحسن) أي الجنة والمعنى يصفون أن لهم مع فبح قولهم الجنة أن كان البعث حقا فقال الله تعالى (لا) أي ليس الأمر كما وصفوا (جرم) كسب قولهم هذا (أن لهم النار) وأنهم مفرطون أي متروكون في النار وقرأنا في الكسائي بكسر الراء أي مفرطين على أنفسهم في الذنوب (تألفه لقلأرسلنا) رسلا (إلى أمم من قبلك) فدعوههم إلى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) التبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أي فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغواهم وقرنهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن (الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) أي الاتيين للناس بواسطة بياننا القرآن الأشياء التي اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والافتراء وأحوال المباد والاحكام كتحريم لليتوت تحليل نحو البحيرة (وهدى ورحمة) أي والهداية من الضلالة والرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم للتمتتون آثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحياه الأرض بملحوتها) أي والله خلق السما على وجهه يزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبت الزرع والشجر وخرج النور والحر (ان في ذلك) أي في أنزال الماء واحياء الأرض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون)

أخبر بها من حيث كونها لا تكسب وكونها يخاف عليها الزنا وكان الرجل في الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بأمرأته اخفى عن القوم أن أي علم ما يولد له فان كان ذكر فاحرقه وبوان كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها ماذا يصنع به وذلك قوله تعالى (أي مكه على هون) أي يحفظ ما يشر به من الاتي مع رضاه بذل نفسه (أم بدسه في التراب) أي أم يخفيه في التراب بالوأة فالرب كما واختلفين في قتل النبات فمنهم من يحفر الخيرة ويدفنها فيها إلى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يرققها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك نارة للغيرة والحمية وتارة خوفا من الفقر ولزوم النفقة (الأساء ما يحكمون) حكمهم هذا حيث يجهلون أن الله ما عاده عندهم حقا والحوال أنهم يتابعون عنه (للذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أي الصفة القبيحة وهي احتياجهم إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وللاستعلاء به وكرهتهم الاناث خوف الفقر والعار مع احتياجهم اليهن للنسكاح (وقله للثلث الأعلى) أي الصفة المقدسة وهي صفة الأئمة النزهة عن صفات الخلق وعن الولد (وهو المزي) أي للنفر بكمال القدرة (الحكيم) أي الذي يفعل ما يفعل بالحكمة البالغة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها) أي الأرض (من دابة) أي لو يؤاخذهم الله بما كسبوا من كفر ومعصية لابق لهم نسل فيلزم أن لا يبق في العالم أحسن الناس فحيث لا يبق في الأرض أحد من البواب أيضا لما خلقوا لئلا ينفع البشر (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي معين عند الله تعالى لأعمارهم ليتوالى السوا (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أي فذة (ولا يستقدمون) وإنما ذكر الاستقدام مع أنه لا يتصور عند مجي الأجل مبالغة في بيان عدم الاستتجار بنظمه في سلك ما يتبع (ويجهلون لله ما يكرهون) أي ويسبون إليه تعالى النبات التي يكرهونها لانفسهم (وتصف ألسنتهم الكذب) أي يدلهم الكذب أي يصفون أنفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب إثبات النبات له تعالى بأنهم على الدين الحق (لاجرم) أي ثبت (أن لهم النار) التي ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أي متروكون في النار وقرأنا في الكسائي بكسر الراء أي مفرطين على أنفسهم في الذنوب (تألفه لقلأرسلنا) رسلا (إلى أمم من قبلك) فدعوههم إلى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) التبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أي فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغواهم وقرنهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن (الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) أي الاتيين للناس بواسطة بياننا القرآن الأشياء التي اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والافتراء وأحوال المباد والاحكام كتحريم لليتوت تحليل نحو البحيرة (وهدى ورحمة) أي والهداية من الضلالة والرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم للتمتتون آثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحياه الأرض بملحوتها) أي والله خلق السما على وجهه يزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبت الزرع والشجر وخرج النور والحر (ان في ذلك) أي في أنزال الماء واحياء الأرض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون)

(٥٨) - (تفسير مراح لبيد) - اول

فتقوم الحجة عليهم ببيانك وقوله (وهدى) أي والهداية والرحمة

لؤمنين وقوله (والله أنزل من السماء فأحياه الأرض بعد موتها) أي في ذلك آية لقوم يسمعون) أي صانع اعتبار ظاهر يريدان في ذلك دلالة على البعث

(وان لكم في الانعام
 لمرة) أى لدلالة على
 قدرة الله تعالى ووحده انيته
 (نسقيكم بما في بطونه من
 بين فرث) وهو سرجين
 السكرش (ودم لبننا خالصا
 للشاربين) أى جاريا في
 حلقهم (ومن ثمرات
 النخيل والأعناب) أى
 ولكم فيها ما (تسخطون منه
 سكر) وهو الخمر نزل هذا
 قبل تحريم الخمر (ورزقا
 حسنا) وهو الحل والزيب
 والخمر (ان في ذلك آية
 لقوم يعقلون) يريد عقلا
 عن الله قدرته (وأوحى
 ربك الى النحل) أى أمهها
 وقذف في أنفسها (أن
 اتخذى من الجبال بيوتا
 ومن الشجر) وهى تتخذ
 لانفسها بيوتا اذا كانت لها
 أصحاب لها فاذا كان لها
 أرباب اتخذت بيوتا مما
 بينى لها أربابها وهو قوله
 (وما يرضون) أى يبنون
 ويسقون لها من الجلايا
 (ثم كل من كل الثمرات
 فاسلكى سبل ربك) أى
 طرق ربك تطلب فيها
 للرعى (ذلال) أى متقادة
 مستخرة مطيعة (خرج
 من بطونها شراب) وهو
 العسل (يختلف ألوانه)
 أى منه أحمر وأبيض
 وأصفر (فيه) أى في ذلك
 الشراب (شفاء للناس) أى
 من الأوجاع التى شفاؤها فيه

هذه للواظ سماع تفكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أعمى (وان لكم في الانعام لمرة) عظيمة
 اذا تفكرتم فيها (نسقيكم بما في بطونه) أى الانعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم
 وحزرة والكسالى نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرث) أى يروث في الكرش
 (ودم لبنا خالصا) أى لا يخالطه الفرث ولا الدم وقوله لبنا مفعول ثان وقوله من بين حال من مالتى
 للتبضع أو لا يتبدأ ومن لبنا عن ابن عباس أى نعال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثا
 وأعله دما وأوسطه لبنا فيجرى الدم في العروق والباين في الضرع ويبقى الفرث كما هو (سائغا
 للشاربين) أى جاريا في حلقهم لهذا فلا يضر أحد بالباين (ومن ثمرات النخيل والأعناب) أى
 ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والأعناب (تسخطون منه سكر) أى خمر (ورزقا حسنا)
 كاللبس والحل والتمروالزبيب والله تعالى ذكر ما في هذه الأشياء من المنافع وخطب بها المشركين والخمر
 من أضرهم فهمى منفعة في حقهم ثم نبه في هذه الآية على نحرهم بالانميز بينهما بين الرزق الحسن في
 الذكر فوجب أن لا تكون الخمر رزقا حسنا والخمر يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب
 الشرعة وهذه الآية جامعة بين العناب واللثة وهذا اذا كانت الخمر محرمة قبل نزولها وان كانت سابقة
 النزول على تحريم الخمر فهى دالة على كراهتها (ان في ذلك) أى في اخراج اللين من بين الروث والدم
 وفي اخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (الآية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى
 يستمعون عقولهم بالتأمل في الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الله تعالى (وأوحى
 ربك الى النحل) أى لهم ربك النحل (أن اتخذى من الجبال بيوتا) أى أو كرا (ومن الشجر)
 أى مما يوافق مصالحك ويليق بك (وما يرضون) أى مما يرضه الناس ويبنونه لك أى ان الله
 قدر في نفس النحل الاعمال المجيبة التى تجزى عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل بنى بيوتا على
 شكل سدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمقدار طباعها ولو كانت البيوت مدورة
 أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضامة فالحام ذلك الحيوان الضعيف
 بهذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاطعاب والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك
 البيوت الا بالآلات مثل السطر والفرجار (ثم كل من كل الثمرات) أى من كل ثمرة تشبهها مرها
 وحلوا (فاسلكى سبل ربك) أى فاذا أكلتها فاسلكى راحة الى بيوتك سبل ربك (ذلال)
 حال من السبل أى مستخرة لك أو من الضمير فى اسلكى أى فاسلكى متقادة لما مرت به ولذا يقسم
 يصوبها أعمالها بينها فيض يعمل الشمع وبعض يعمل العسل وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت
 وبعض يبنى البيوت (يخرج من بطونها شراب) أى عسل (يختلف ألوانه) من أبيض وأسود
 وأصفر وأحمر على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار وبحسب اختلاف الفصل أو من النحل فيستحيل
 لنا قول في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها ينسل كالغالب (فيه) أى في ذلك
 الشراب (شفاء للناس) من الأوجاع لأسباب البلية فانه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل
 شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور طليكم بالشفاء من العسل والقرآن (ان في ذلك) أى
 في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وافتدائها الى جميع الاجزاء السليمة من أطراف الاشجار
 والأوراق (آية) أى لمرة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في شؤون النحل جزم قطعاً بأن لها
 خلقا قادرا حكما يليها ذلك (والله خلقكم) فان خلق الابدان هو الله تعالى (ثم توفاكم) أى
 يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم فان الحياة ولدت بالخلق تخليق الله تعالى وتقديره
 (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أحمره وهو الهرم قال العلماء عمر الانسان لأربع مراتب

(والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم توفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أردته يبنى الهرم أولا

(لكيلا يعلم بعد علم شيئا)
 أى يصير كالصبي الذى
 لاعقل لهما قالوا وهذا لا يرفع
 المؤمنين لأن المؤمنين لا يرفع
 عنه علمه وابن كبر (إن الله
 عليم) بما يصنع (قدير)
 على ما يريد (والله فضل
 بعضكم على بعض فى
 الرزق) حيث جعل بعضكم
 ملكا العبيد وجعل بعضكم
 مملوكا (فما الذين فضلوا)
 وهم للملكون (برادى
 رزقهم) أى يجعل رزقهم
 ليسيدهم حتى يكون
 عبيدهم معهم فيه سواء
 وهذا مثل ضربه الله
 للمشركين فى تفسيرهم عبادا
 لله شر كاهه فقال إذا لم يكن
 عبيدكم معكم سواء فى الملك
 فكيف تجعولون عبيدى
 معي سواء (أفمنع الله
 تجعولون) حيث تتخولون
 معه شركا (والله جعل
 لكم من أنفسكم أزواجا)
 يعنى النساء (وجعل لكم
 من أزواجكم بنين وحفدة)
 يعنى ولد الولد (وزرركم
 من الطيبات) أى من أنواع
 الثمار والحبوب والحيوان
 (أفبالباطل يؤمنون) يعنى
 الاضنام (وبنعمة الله هم
 يكفرون) يعنى التوحيد
 (وعبدون من دون الله
 ما لا يملك لهم رزقا من
 السموات) يعنى التبت
 الذى يأتى من جناتها
 (والارض) يعنى النبات والثمار (شيئا) أى قليلا ولا كثيرا

أولها من النشوء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية من الشباب وثانها من
 الوقوف وهى من ذلك إلى أربعين سنة وهو غاية من القوة وكال العقل وثالثها من الانحطاط القليل
 وهو من الكهولة وهو من ذلك إلى الستين سنة ورابعها من الانحطاط الكبير وهو من الشيخوخة
 وهو من ذلك إلى خمسة وستين سنة وفيه بين النقص والمهرم. قال علي بن أبي طالب أردل العمر
 خمسة وسبعون سنة وقال قتادة تسعون سنة وقال السدى إنه الحرف أى زوال العقل وقيل وللسلم
 لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة أى الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أردل
 العمر (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أى يصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية فى نقصان العقل وسوء
 الفهم وفى النسيان (إن الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال إلى حال
 وكان الانسان ميتا حين كان نطفة ثم صار حيا ثم مات فلما كان الموت الأول جائزا كان عود الموت
 جائزا فكذلك لما كانت الحياة الأولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزا فى المرة الثانية ومنى
 كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشور والحشر حق (والله فضل بعضكم على بعض فى
 الرزق) أى فاوت بينكم فى الرزق كما فاوت بينكم فى ذلك كما هو بالبلادة والحسن والتقصير والصحة والسم
 (فما الذين فضلوا) برادى رزقهم على ما ملكت ايماهم فهم فيه سواء) أى فليس الذين فضلوا فى
 الرزق على غيرهم يجعلون رزقهم ليسيدهم حتى تكون عبيدهم فيهمهم سواء فى الملك وهم أمثالهم
 فى البشرية والمخلوقة والمرزوقية. قال ابن عباس رضى الله عنهما زلت هذه الآية فى نصارى نجران
 حين قالوا إن عيسى بن مريم ابن الله فالحق أنكم لا تشركون عبيدكم فيما ملكتكم فتكفون سواء
 فكيف جعلتم عبيدى عيسى ابنا لى وشركا لى فى الالهية (أفمنع الله يجعولون) فإن من أثبت
 لله شركا فقد أسند إليه بعض الخيرات فكان جاحدا لكونهما من عند الله تعالى وأيضا إن أهل
 الطيبات وأهل النجوم يصفون أكثر هذه النعم إلى الطيبات وإلى النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين
 لكونهما من الله تعالى وقرآنهم فى رواية أبى بكرى تجعولون بالثناء على الخطاب (والله جعل لكم من
 أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى زوجات لتأنسوا بها وتقيموا بها ما صلحكم قال الاطباء والتفاوت
 بين الذكر والانثى أن الذكر أسخن مزاجا والانثى أكثر رطوبة فأنثى إذا انصب إلى الحسية العينية من
 الرجل ثم انصب منها إلى الجانب الأيمن من الرحم كان الولد ذكرًا أما فى الله كورفة وانصب إلى الحسية
 اليسرى من الرجل ثم انصب منها إلى الجانب الأيسر من الرحم كان الولد أنثى أما فى الانوثة وانصب
 إلى الحسية العينية ثم انصب منها إلى الجانب الأيسر كان الولد ذكرًا فى طبيعة الانثى وانصب إلى الحسية
 اليسرى ثم انصب منها إلى الجانب الأيمن من الرحم كان الولد أنثى فى طبيعة الذكر (وجعل لكم من
 أزواجكم) أى من نسائكم (بنين وحفدة) أى خلفاء يسرعون فى طاعتكم وهم أم أولاد الأولاد
 وأما البنات فانهن يخدمن البيوت أتم خدمة وأما الاختان على البنات أى فيحصل لهم الاختان بسبب
 البنات (ورزقكم من الطيبات) أى بعض اللذات من النبات والحيوان فالرزق فى الدنيا تموج
 لما فى الآخرة وكل الطيبات فى الجنة (أفبالباطل يؤمنون) أى يكفرون بالله الذى شأنه ذلك
 للذكور ويؤمنون بالباطل بأن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم مثل البحيرة والسائبة
 والوصيلة ويبعوا أنفسهم محرمات حرما الله عليهم وهى لليتى والدم ولحم الخنزير وما ذبح على النصب
 أى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أى وبانعام الله فى تحليل الطيبات
 وتحرر الخبيثات يجعولون (وعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا)
 أى يعبدون الاصنام التى لا تملك لعبدهم رزقا من لطر والنبات لا قليلا ولا كثيرا فشيئا بديل من رزقا

(ولا يستطيعون) أي لا يقدر ون على شيء (فلا تضر بوا لله الامثال) أي لا تشبهوه بخلقه وذلك أن ضرب المثل انما هو تشبيه ذات بذات أو وصف بوصف والله تعالى عن هذا منزّه (ان الله يعلم) ما يكون قبل أن يكون (وأنت لا تعلمون) أي قدر عظمته حيث أشركتم به (ضرب الله مثلا) أي بين الله (٤٦٠) شبهة بين القلوصم ذكرك فقال (عبدالموكل لا يقدر على شيء)

(ولا يستطيعون) أي وليس للاصنام استطاعة تحصيل الملك وهذا معطوف على ما يملك وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبارا للحقيقة ولفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة (فلا تضر بوا لله الامثال) أي لا تشبهوا الله تعالى بخلقه في شأن من الشؤون فإن عبدة الازنات كانوا يقولون ان الله العالم اعظم من أن يعبد الواحد منال نحن نعبد الكواكب أو هذه الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم فان اصغار الناس يخدمون أكبر خدام الملك وأولئك الاكابر يخدمون الملك فكذلكها نحن فند هذا قال الله تعالى لم اتركوا عبادة هذه الاصنام والكواكب ولا تعبدوا الله الامثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين في عبادة الاله التقدير الحكيم (ان الله يعلم) أن خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لأن هذا الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنت لا تعلمون) ذلك فتعجبون في مهابى الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والمحر (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) من التصرفات (ومن رزقناه منار زقا حسنا) أي مستحسنا عند الناس مرضيا (فهو ينفق من ممرها وجبرا) أي حال السر والجبر (هل يستويون) أي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن القريرين سبان في البشرية والمخوقية لله تعالى وأن ما ينفعه الاحرار ليس بما لهم دخل في ايجادها بل هو ما أعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو القريقان فاطنكم رب العالمين حيث تشركون بهمالا دليل اذل منه وهو الاصنام ولعلني لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على التصرف وحرا غنيا كريما كثيرا الانفاق في كل وقت فصرح العقل يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاحلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الصورة البشرية فكيف يجوز للمال أي يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الاصنام التي لا تقدر البتة (الحمد لله) أي كل الحمد لله تعالى لأنه معطي جميع النعم لا يستحقه احد غيره فضلا عن استحقات العباد (بل أكثرهم لا يعلمون) ان كل الحمد لله وحده فيستندون نعمه تعالى الى غيره ويبدونه لأجلها وبض الكفار يعلمون ذلك وأما يعلمون سبب الحمد عاداتا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم يشكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم (وهو كل) أي ثقيل ووبال (على مولاه) أي صاحبه وقريبه (أيأنا يوجهه) أي يرسله (الأيأت بخير) لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه (هل يستويون) أي هذا الأبيكم (ومن يأمر بالعدل) وهو على صراط مستقيم أي وهو عادل مبرا عن العيب واذا ثبت في بديهة العقل أن الابكم عاجز لا يساوي الناطق القادر الكامل في الفضل والشرف مع استوائهما في البشرية فلان نحكم بأن الجادلا يكون مساويا لرب العالمين في العبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي والله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم الخلقين قاطبة فان علمه تعالى حضوري وتحقق التيقن في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة الا كفتح البصر) أي وما أمراة

لأنه عاجز عما لو كان يملك شيئا وهذا مثل ضرب به الله نفسه ولن يعبدونه. ويقول العاجز الذي لا يقدر أن ينفق والمالك المقتدر على الانفاق لا يستويان فكيف يسوى بين العاجز الذي لا تحرك وبين الله الذي هو على كل شيء قدير وهو رازق جميع خلقه ثم بين أنه المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه فقال (الحمد لله) لأنه النعم (بل أكثرهم لا يعلمون) يقول هؤلاء للشركون لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعمة مني والراد بالأكبر هنا الجميع ثم ضرب الله مثلا للذين آمنوا والكافر فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم (وهو كل) أي ثقيل ووبال (على مولاه) أي صاحبه وقريبه (أيأنا يوجهه) أي يرسله (الأيأت بخير) لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه (هل يستويون) أي هذا الأبيكم (ومن يأمر بالعدل) وهو على صراط مستقيم أي وهو عادل مبرا عن العيب واذا ثبت في بديهة العقل أن الابكم عاجز لا يساوي الناطق القادر الكامل في الفضل والشرف مع استوائهما في البشرية فلان نحكم بأن الجادلا يكون مساويا لرب العالمين في العبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي والله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم الخلقين قاطبة فان علمه تعالى حضوري وتحقق التيقن في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة الا كفتح البصر) أي وما أمراة

الساعة

بشهادة الله (وهو على صراط مستقيم) أي دين مستقيم يعني بالأبيكم

أي بن خلف وكان كلا على قومه لأنه كان يؤذيه ومن يأمر بالعدل حمزة بن عبدالمطلب (ولله غيب السموات والأرض) أي علم غيب السموات وهو ما غيبها عن العباد (وما أمر الساعة) يريد القيامة (الا كفتح البصر) أي النظر بسرعة

(أوهو أقرب) من ذلك إذا أردنا يداً يأتى بها فى أسرع من لمح البصر إذا أراد (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً) أى غير ما بين (وجعل لكم السمع والأبصار) أى خلق الحواس التى بها تعلمون (٤٦١) وتفهمون علم ما يجهلون (ألم يروا إلى

الطير مسخرات) أى
مذلات (فى جوار السحاب)
يعنى الهوا وذلك يدل على
مسخر سخرها ومدير
مكها من التصرف
(ما يسكن الله) فى حال
القبض والبسط والاصفاف
(والله جعل لكم من
بيوتكم سكناً) أى موصفاً
تسكنون فيه يستريحون
وحرمتكم وذلك أنه خلق
الخشب وللبر الآلة التى
يمكن بها تسقيف البيوت
(وجعل لكم من جلود
الأنعام) يعنى الأنعام
والأدم بيوتاً وهى القباب
والخيام (تستخفونها يوم
ظعنكم) أى يخف عليكم
حملها فى أسفاركم (ويوم
أقامتكم) أى لاشغل عليكم
فى الحالتين (ومن أصوافها)
وهى الضأن (وأوبارها)
وهى الإبل (وأشعارها)
وهى اللز (أثاناً) أى
طنافس وأكسية وبسطا
(ومتاعاً) أى ما تمتعون
به (الى حين) أى حين
البلى (والله جعل لكم
خلقاً) أى من البيوت
والشجر والتمائم (غلالاً
وجعل لكم من الجبال
أكناناً) يعنى الثيران
والأنساب (وجعل لكم
سراييل) أى قصصاً (تتيقنكم

الساعة وهى إمامة الأحياء وأحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوأان أجمعين
الأكرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها فى سهولته (أوهو أقرب) أى لى أمر إقامة الساعة
أقرب من طرف العين فى السرعة بأن يكون فى زمان نصف تلك الحركة فاقه تعالى بحجى الخلق دفعة
وهى فى جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (ان الله على كل شىء قدير) فان الله تعالى متى أراد
شيئاً أيجاداه وأعادمه حصل فى أمر ما كان (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون
شيئاً) أى غير عارفين شيئاً أصلاً (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أى جعل لكم هذه
الأشياء آلات تحصلون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أى لئلى تستعملوا فى شكر ما أنعم
الله به عليكم طوراً غريباً طوراً غريباً فمواظع الله وتبصر والدلائل الله وتغفلوا عظمة الله (ألم يروا إلى
الطير) أى ألم يظفر كفاركم بأبصارهم اليها وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائى تر والبناء على
خطاب العامة (مسخرات) أى مذلات للطيران (فى جوار السحاب) أى فى الهواء التباعده من
الأرض قال كعب الأحبار ان الطير ترتفع فى الجو مسافة اثنى عشر ميلاً ولا ترتفع فوق ذلك
(ما يسكنون) فى الجوف حين قبض أجنتهن وبسطها ووقوفهن (الآلهة) بقدرته الواسعة فان
جسد الطير ثقيل يمتنع بقاءه فى الجو معلقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فبقاؤه فى الجو معلقاً
فعله وحاصل باختباره فثبت أن خالق فعل البهوه لله تعالى (ان فى ذلك) أى تسخير الطير للطيران
بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناناً كذلك فإذا بسطت أجنحتها وأذنانها تحرق ما بين يديها من
الهواء (الآيات) أى لعلامات لوحدانية الله تعالى (لنقوم يؤمنون) أى يصدقون أن أسماكن
من الله تعالى فانه تعالى أعطى الطير جناحاً يسهل مرة ويكسر مرة أخرى وخلق الهواء خلقه
رفيعة يسهل الطيران بسبب خرفه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (والله جعل لكم من بيوتكم) التى
تبنيونها (سكناً) أى موصفاً تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً) مغارة لبيوتكم
للمهودة هى الخيام (تستخفونها) أى تخفونها خفيفة عليكم فى حملها ونقلها وتضعها فى أسفاركم
(يوم ظعنكم) أى وقت سيركم فى أسفاركم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وفتح العين (ويوم
أقامتكم) أى وقت نزولكم فى الضرب (ومن أصوافها) أى الأنعام (وأوبارها وأشعارها
أثاناً) أى جعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار اللز أنواع متاع البيت من الفرش
والأكسية (ومتاعاً) أى ما يتنفع به فى البيت خاصة ويتزين به (الى حين) أى الى وقت البلاء (والله
جعل لكم مما خلق) من غير صنع من جهنكم (غلالاً) أى ما يستظلون به من شدة الحر وهى غلال
الجندران والأشجار والجبال والتمائم (وجعل لكم من الجبال أكناناً) أى مواضع تسكنون فيها
من شدة البرد والحر من الكهوف والثيران والسررب (وجعل لكم سراييل) أى ثياباً من القطن
والكتان والصوف وغيرها (تتيقنكم الحر) فى الصيف والبرد فى الشتاء ولم يذكر الله تعالى وقاية
البرد لتقدمه فى قوله تعالى فيها دافء (وسراييل) أى جواشن (تتيقنكم بأسكم) أى الشدة
التي تصل الى بعضكم من بعض فى الحرب من الطعن والضرب والرى (كذلك) أى مثل
ما خلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (ثم نعمته) فى الدنيا (عليكم لعلكم) بأهل مكة
(تسلمون) أى تؤمنون به تعالى وتتقادون لأمره ومقرى تسلمون بفتح التاء واللام أى لئلى تسلموا من

الحر والبرد فترك ذكر البرد لأن ما وفى الحر وفى البرد فهو معلوم (وسراييل) يعنى دروع الحديد (تتيقنكم) أى تمنعكم (بأسكم) أى شدة
الطعن والضرب والرى (كذلك) أى مثل ما خلق الله الأشياء لكم (ثم نعمه عليكم) يريد نعمته الدنيوا والخطاب لأهل مكة (لعلكم تسلمون)

أى يتقادون لربو يته فتوحده (فان تولوا) أى أعرضوا عن الإيمان بداليان (فأعالمك البلاغ المبين) وليس عليك من كفرهم وجودهم شئ* (يرفون نعمة الله) يعنى الكفار يقرّون أنها كلها من الله فيقولون بشفاعه ألهنا فهذا انكارهم (وأكثرهم) أى جميعهم (الكافرون ويوم) أى (٤٦٢) وأنذرهم يوم (نبت) وهو يوم القيامة (من كل أمة شهيدا) يعنى الأنبياء يشهدون على الأمم بما فعلوا (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى فى الكلام والاعتذار (ولا هم يستعيبون) أى ولا يطلب منهم أن يرجعوا الى ما رضى الله (وإذا رأى الذين ظلموا) أى أشركوا (الغذاب) أى النار (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولا هم ينظرون) أى يبهلون (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أى أوثانهم التى عبدوها من دون الله (قالوا بنا هؤلاء شركاؤنا) وذلك أن الله يعشها حتى يوردهم النار فإذا رآها عرفوها فقالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعونهم دونك فالتقوا إليهم القول) أى أجابوهم وقالوا لهم (انكم لكاذبون) وذلك أنها كانت جمادا لا تصرف عبادة عابدها فظهر عند ذلك فضيحتهم حين عبدوا من لم يشرب بالعبادة وهذا كقولهم تعالى سيكفرون بعبادتهم (وألقوا الى الله يومئذ السلم) أى استسلموا لحكم الله (وضل عنهم ما كانوا

الجرارحات وأمن الشرك (فان تولوا) أى أعرضوا عن الاسلام وآثر و متابعة الآباء فلا نقص من جهتك (فأعالمك البلاغ المبين) أى لان وظيفتك هى البلاغ الواضح فقد فعلته (يرفون نعمة الله) أى يقرّون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أى لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا انما حصلت هذه النعم بشفاعه هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أى اللنكرون بقاوبهم غير مقرين بأن هذه النعم من الله (ويوم نبت) أى وخوفهم يوم نأتى (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالايان وعلينهم بالكفر وهونينها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار وفى كثرة الكلام ليطهرهم كونهم آسفين من رحمة الله تعالى (ولا هم يستعيبون) أى لا يكفون أن يرضوا ربهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وانما هى دار الجزاء (وإذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (الغذاب) أى عذاب جهنم بمشاهدة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولا هم ينظرون) أى يبهلون فلما بهم يكون داما لأن التوبة هناك غير موجودة (وإذا رأى الذين أشركوا) أى إذا أبصر وأبصر وأبصر (شركاءهم) أى الأصنام التى يسمونها شركاء الله تعالى (قالوا بنا هؤلاء شركاؤنا) أى ألهتنا (الذين كنا ندعوا) أى نعبدهم (من دونك) أى هؤلاء الذين كنا نقول انهم شركاء الله فى العبودية (فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) أى فبادر شركاؤهم بالجواب الى للشركين بقولهم انكم لكاذبون فى قولكم اننا نستحق العبادة وانكم عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتموهماكم والذى أنه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا الى الله يومئذ السلم) أى أسرع الشركون الى الله يومئذ لا تقبلوا لحكم الله فأقر وا بالبراءة عن الشركاء و بر بية الله بعباد كانوا فى الدنيا متكبرين عن علم اعجز واعن الجواب لكن التقيد فى هذا اليوم لا ينفعهم لا تقطع التكليف فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن الله شريكا وبطل أملهم من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول فى الاسلام ومحاولهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أى بحيات وعقارب وجوع وعطش وزمهرير وغير ذلك فىخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار (بما كانوا يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبت) فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم (وهو أعاضوهم فآلهة تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى أنها تشهد عليه وهى العيان والأذان والجلان واليدان والجلد واللسان (وجئنا بك) يا سيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أى الأمم كلها (ونزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (تبيان لكل شئ) من أمور الدين بنص فيه على بعضها وبأحاطته لبعضها على السنة وأعلى الاجماع وأعلى القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدى ورحمة) للمالين فان حرمان الكفرة من منافع آثار الكتاب من تفر يطهم لامن جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة لأنهم المتسمون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أى بالتوسط فى الأمور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج

يفترون) أى بطل ما كانوا يأملون من أن آلهتهم تشفع لهم (ويوم نبت) من كل أمة شهيدا (وهو يوم القيامة يبعث الله فى كل أمة شهيدا (عليهم من أنفسهم) وهونينهم لأن كل نبى يبعث من قومه (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أى على قومك وتم الكلام ههنا قال (ونزلنا عليك الكتاب تبيان لكل شئ) أى بما أمر به ونهى عنه (ان الله يأمر بالعدل) شهادة أن لا اله الا الله

تحت فضيلة القوة العقلية فالحكمة متوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمة فالفطنة متوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعة فالشجاعة متوسطة بين الثور والجن وندر جفبه أيضا الحكم الاعتقادي فالوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك فبنى الاله تعطيل محض وانبات أكثر من الاله واحد تشريك والعدل هو اثبات الاله الواحد وهو قول لاله الله والقول بالكسب متوسط بين الجبر والقسر فان القول بأن العبد ليس له قبرة واختيار جبر محض والقول بأن العبد مستقل بأفعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قبرة وداعية خلقهما الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه تعالى يخلد في النار عبده الآتي بالمصيبة الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بأنه تعالى يخرج من النار كل من اعتقد أنه لاله الا الله وندر جفبه أيضا الحكم العملية فالتعبد بأداء الواجبات متوسط بين البطالة والترهب والحنان مأثور به في شريعتنا فان إبقاء الجلدة مبالغة في تقوية اللفة والاختصاص وقطع الآلات كإعلاء المأثورية افراط فكانت الشريعة أنما أمرت بالحنان سيما في تقليل تلك اللفة حتى يصير ميل الإنسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال وليتلاصير الرغبة فيه غالبية على الطبع وندر جفبه أيضا الحكم الخلقية فالوجود متوسط بين البخل والتبذير وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسط بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى متباعدين عن طرفي الإفراط والتفريط في كل الأمور ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتق ولما أخذ يقوم في السجدة قال تعالى أفصحت أئما خلقناكم عبثا والطلاب رعاية العدل بين طرفي الإفراط والتفريط (والاحسان) أى البالغة في أداء الطاعات امام حسب الكمية كالمتطوع بالتواضع وامام حسب الكيفية كالاستسراق في شهود مقامات الربوبية والحاصل أن العدل عبارة عن اقتدار الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتاء ذى القربى) أى إعطاء الأقارب بما يحتاجون اليه قال صلى الله عليه وسلم إن أعجل الطاعة ثوابا صلاة الرحم (وينهى عن الفحشاء) أى المصاعى كلها (والنكر) وهو ما يعرف في شريعة (والبنى) أى الاستعلاء على الناس والترفع والحاصل ان الفحشاء هى الإفراط في متابعة القوة الشهوية فهى انما ترغب في تحصيل الذات الشهوانية الخارجة عن اذن الشريعة وان للنكر هو الإفراط في اظهار آثار القوة الغضبية السبعة فهى انما تسعى في الإيذاء الى سائر الناس وإيصال البلاء اليهم فاناس يشكرون تلك الحالة وأن البنى من آثار القوة الوهمية الشيطانية فهى انما تسعى في التناول على الناس والترفع عليهم واظهار الرياسة والتفهم (يطمطم) أى يأمركم بتلك الثلاثة ومنها كم عن هذه الثلاثة (للمكم تذكرون) أى لارادة أن تتذكروا طاعتته تعالى وهذا يدل على أن الله تعالى يطلب الايمان من الكل (وأوفوا بعهدنا إذا عاهدتم) وهو العهد الذى يلزمه الإنسان باختياره فيدخل فيه للباية على الايمان بالله ورسوله وعهد الجهاد وعهد الوفاء بالمئنونات والأشياء المؤكدة باليمين (ولا تنتقضوا الأيمان بعد توكيدها) بالقصد ففرق بين اليمين المؤكدة باليمين وبين لغو اليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى شاهدا فان من حلف بالله قد جعل الله كفيلا كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف وهذه وإحلال أى لا تنتقضوا الأيمان وقد قلتم الله شاهد علينا بالوفاء (ان الله يعلم ما تعملون) من النقص والوفاء فيجازيكم على ذلك ان خيرا غير وان شرا فشر وفي هذا ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد قوة الغزل بفنلها وإبرامها (أنكنا) أى أنقاضا وهو مقول ثان لنقضت بمعنى جعلت أو حال من غزلها مؤكدة لعاملها

(والاحسان) أداء القرائض وقيل بالعدل في الأفعال والاحسان في الأقوال (وايتأذى القربى) أى صلة الرحم فتؤذي ذا قراتك من فضل ما رزقك الله (وينهى عن الفحشاء) أى الزنا (والنكر) الشرك (والبنى) الاستطالة على الناس بالظلم (يطمطم) أى ينهاكم عن هذا كله ويأمركم بما أمركم به في هذه الآية (للمكم تذكرون) أى لى تتعظوا (وأوفوا بعهدنا إذا عاهدتم) يبنى كل عهد يجب في الشريعة الوفاء به (ولا تنتقضوا الأيمان بعد توكيدها) أى لا تخشوا فيها بئنا مؤكدة بها باليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حين حلفتم فالوفاؤ والاحال (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) وهى امرأة حنفاء كانت تزل طول يومها ثم تنقضه وتقصد (من بعد قوة) أى للتعزل بأمره وقتله (أنكنا) يبنى قطعاً وتم الكلام ههنا ثم قال

(تتخذون أيمانكم دخلا) أي غشاو خديعة (أن تكون) أي بأن تكون أولان تكون (أمتي أرى من أمة) أي قوم أغني وأعلى من قوم وذلك أنهم كانوا يحالفون (٤٦٤) قومافيجدون أكثر منهم وأغز فينقضون حلفاً أولئك ويحالفون هؤلاء الذين هم

أي منكوا قبل المشبه بمعين وهي امرأة في مكة اسمها راتلة بنت سعد بن تيم وقيل لقب بجرارة وكانت حقاها اتخذت مغزلا فخر ذراع وسنارة مثل اصبع وفلكه عظيمة على قبرها فكانت تنزل الصوف والوبر هي وجوارها من الصفاة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم دخلا) أي مكرا (ينكأن تكون أمتي أرى من أمة) وهو استفهام بمعنى الإنكار والخي أنصرون أيمانكم غشائينكم بسبب أن أمة أزد بنى القوة والكره من أمة أخرى قال مجاهد كان قرش يحالفون الحلفاء ثم إذا وجدوا شوكة في أعادى حلفائهم فتقوا عهدهم مع الحلفاء وعاهدوا أعداء حلفائهم (أي يلوكم الله) أي ياملكم بالأكثر معاملة من يختبركم لينظر أيسكون بحل الوفاء بهد الله أم يترون بكثرة قوم (وليبن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلقون) في الدنيا أي حين يجازيكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله) مشبهة قسر (لجلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وروى الواحدى أن عزير قال يا رب خلقت الخلق فضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال يا عزير أرعش عن هذا فأعاده فانا فقال أرعش عن هذا فأعاده ثالثا فقال أرعش عن هذا والاعحوت اسمك من النبوة (ولتسلن) جميعا يوم القيامة (عما كنتم تعملون) في الدنيا وهذا إشارة إلى الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والضلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) أي خديعة (ينكم) أي لاتنقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به وبشرائه (فقل قدم يدينه) على الطريق الحق بالإيمان أي قتلوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في الضلالة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (بما صدتم عن سبيل الله) أي امتناعكم عن دين الله وبصرفكم الناس عنه بأيمانكم التي أردتم بها خفاء الحق (ولكم) مع ذلك في الآخرة (عذاب عظيم) أي غير منقذ أدامتم على ذلك (ولاتشروا بعهد الله) أي لا تأخذوا بمقابلة بية رسول الله صلى الله عليه وسلم (عنا قليلا) أي عرض الدنيا وكأنتم قرش يصدون ضعفة المسلمين على الارتداد بحطام الدنيا أي انكم وإن وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لاتفتوا إليه وإن كان كثيرا لأن الذى أعده الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تعبدونه في الدنيا على نقض عهد الاسلام (إن ما عند الله) من ثواب البارين والنعمة والثواب الأخرى (هو خير لكم) مما يصدونه (إن كنتم تعملون) تفاوت ما بين الموعزين (ما عندكم ينفد) وإن جمعه عدده (وما عند الله) من خزان رحمة الدينونة والأخرى (باق) لاتفادله (ولنجزين الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بحسب أحسن أفعالهم والخي لتعطيهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم ما نظيه بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفي هذان المدح الجميلة باعتقار ما قد يطرأ عليهم في أثناء الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجليل وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزينهم بنون الظمة على طريقة اللغات والباقيون بالياء من غير التفتت واللام لام قسم أي والله لنجزين الله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حيا طيبة) في الدنيا فيعيش عيشا طيبا فالومر ظاهر والمسر يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فان قلب

أعز فهو عن ذلك (أما) يلوكم الله) أي بما أمر ونهى (وليبن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلقون) في الدنيا ثم نهى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عاهدوه على نصرة الاسلام عن أيمان الخديعة فقال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) ينكم فقل قسم يدينه ثبوتها) أي تزل عن الإيمان بعهد المرفة بالله وهذا بما يستحق في نقض معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرة الدين (وتذوقوا السوء) أي العذاب (بما صدتم عن سبيل الله) وذلك أنهم إذا نقضوا العهد لم يدخل غيرهم في الاسلام فيصبروا كأنهم صلوا عن دين الله (ولاتشروا بعهد الله) لنا قليلا) أي لاتنقضوا عهدهم بطلبون بنقضها عوضا من الدنيا (إن ما عند الله) من الثواب على الوفاء (خير لكم إن كنتم تعملون) ذلك (ما عندكم ينفد) أي ينفى وينقطع يعنى في الدنيا (وما عند الله باق) يعنى من الثواب والكرامة

للؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب إذا كان مملوفاً من هذه المعارف لم يسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا أمالجب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فيصير مملوفاً من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ولنجزنهم) في الآخرة (أجرهم) بأحسن ما كانوا يعملون أي يجزاء أحسن من أعمالهم (فإذا قرأت القرآن) فاستند بالله من الشيطان الرجيم أي فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله أن يعصمك من وساوس الشيطان للطرود من رحمة الله لئلا يوسوسك في القراءة أي فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا الأمر للتعبد عند الجمهور والوجوب عند عطاء وحيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة عند قراءة القرآن فانظروا بمن عداه صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من الأعمال (إنه) أي الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أي والذين هم يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويفرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم (إنما سلطان) أي ولايته بدعوته (على الذين يتولونه) أي يطيعونه (والذين هم به) أي ربهم (مشركون) أي والذين هم بسبب حمل الشيطان إياهم على الشرك بالله صاروا مشركين (وإذا بدلنا آية مكان آية) أي وإذا استخفناكم آية فأبدلنا مكانها حكماً آخر (والله أعلم بما نزل) من التلخيص والتخفيف في مصالح العباد وما التشرائع الصالحة للعباد في المعاش والمعاد فالتلخيص بطور. وهذا الجمل اعتراض بين الشرط وجوابه تنويع الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله إلى الافتراء في التبديل والتغيير على فساد إياهم (قالت) أي الكفار من أهل مكة لتنتي صلى الله عليه وسلم (إنما أنت مفر) أي محتلت من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها تقول كفار قرش والله ما محمد إلا يسخر بأحمانه اليوم بأمر وغدا ينهي عنه وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه فأُنزل الله تعالى هذه الآية (بل أكرمهم لا يعلمون) أن الله لا يأمر عباده إلا بما يصلح لهم وإن في النسخ حكماً بالغة واسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من علم ذلك وأما ينكره عناداً (قل زله) أي القرآن (روح القدس) أي الروح للطهر من الأدران البشرية وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أي بالواقع للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) . على الإيمان بأن القرآن كلام الله فاتهم إذا سمعوا التلخيص وتبدروا ما فيه من رعاية للصالح والاتقاة بالحال رست عقالتهم وطمأن قلوبهم (وهدى بشرى للمسلمين) وهذان معطوفان على ليثبت فيهما تصور بان باعتبار محله ومجروان باعتبار المصدر للوول (ولقد نعلم أنهم) أي كفار مكة (يقولون إنما يعلمه بشر) أي إنما يعلم محمد القرآن بشر لا جبريل كما يدعي قال عبد الله بن مسلم الحضرمي عنوا عبد بن لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السبع بمكة وقرآن التوراة والإنجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرأ فنهأ فجأب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي كلام الذي ينسبون إليه عبراني لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصح الكلام وهذا القرآن كلام عربي ذو بيان وفصاحة فكيف يعلم محمد وهو جاهل بهذا القرآن الفصح الذي عجزتم عنه وأتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمية هذا الذي تشررون بالله فيثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أو حاد إلهي محمد وليس هو من تعليم الذي تشررون إليه ولا هو آت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى

الشيطان (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أي حجة في أغوائهم ودعاتهم إلى الضلالة وللنبي ليس له عليهم سلطان للاغواء (إنما سلطان على الذين يتولونه) أي يطيعونه (والذين هم به) أي يسته وطاعته فيما يدعونه إليه (مشركون) أي بالله (وإذا بدلنا آية مكان آية) أي رفعناها وأزلنا غيرها لنوع من الصلحة (والله أعلم) بمصالح العباد (بما نزل) من التلخيص والنسخ (قالت) يعني الكفار (إنما أنت مفر) أي كذاب تقول من عندك (بل أكرمهم لا يعلمون) أي حقيقة القرآن وقاعدة النسخ والتبديل (قل زله) أي نزل القرآن (روح القدس) أي جبريل (من ربك) أي من كلام ربك (بالحق) أي بالامر الحق (ليثبت الذين آمنوا) أي بما فيه من الحجج والآيات (وهدى) أي وهو هدى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه القرآن) (بشر) ينون عبداً لبني الحضرمي كان يقرأ الكتب (لسان الذي يلحدون إليه) يعني الذي يملكون إليه القول

سأهم كاذبين بقوله
(وأولئك هم الكاذبون
من كفر بالله من بعد
إيمانه) هذا ابتداء الكلام
وخبره في قوله فليعلم
غضب من الله ثم استثنى
الكره على الكفر فقال
(الا من أكره) على التلطف
بكلمة الكفر (وقلبه
مطمئن بالإيمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا)
أي فتحه ووسعه لقبول
ذلك الكفر (ذلك بأنهم
استحبوا الحياة الدنيا)
أي اختاروها (على الآخرة
وأن الله لا يهديهم ولا يرزق
هدايتهم ثم وصفهم بأنهم
مطغور على قلوبهم
وسمعهم وأبصارهم وأهم
غافلون عما يراد بهم ثم
حكم لهم بالحسرة وأمرهم
ذلك بقوله (لاجرم) أي
حقا (أنهم في الآخرة هم
الحاسرون) للتبذرون
(ثم ان ربك للذين هاجروا)
يعني المستضعفين الذين
كانوا بكملة (من بعد ما قاتلوا)
أي عذبوا وأذوا حتى
تلفظوا بما يرضيهم (ثم
جاهدوا) مع النبي صلى الله
عليه وسلم وصبروا أي على
الدين والجهاد (ان ربك
من بعد ما) أي من بعد
الفتن التي أصابتهم (تقفور

(ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يسمونها افتراء أو معاملة من
البشر (لا يهديهم الله) إلى طريق الجنة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي بل يسوقهم إلى النار
(أما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي ان المفتري هو الذي يكتب بآيات الله
ويقول انها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم انما أنت مفتر وقيل لا مفر عليهم ببيان أنهم هم
المفترون (وأولئك هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب ادلا كذب أعظم من تكذيب
آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه) أي من تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى
فليعلم غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف دلالة الخبر الآتي عليه (الامن أكره) على
التلفظ بالكفر فلتلفظ به بأمر لاطاعة له به كالتي خوفه كالضرب الشديد وكالاتامات القوة
ما يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه (وقلبه مطمئن بالإيمان) أي والحال أن قلبه لم تتغير
عقيدته وهذا دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي
ولكن من اعتقد الكفر وانشرح بقلبا (فليعلم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى أن
قريشا أكرهوا محمدا وأبا عبد الله وأمه سمية على الارتداد فرطوا سمية بين يديهم وضربوها
أبرجها بحجارة فماتت وقتل يأسر وأما عمار فاعطاهم بلسانها ما كرهوا عليه فقبل يارسول الله
ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا من إيمان من قرنه إلى قدمه واختلط
الإيمان بلحمه ومنه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسح عينه وقال مالك ان عدوا لك فقل لهم ما قلت فقلت هذه الآية (ذلك) أي الكفر بعد
الإيمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب أنهم رجعوا إلى الدنيا على الآخرة (وأن
الله لا يهدي القوم الكافرين) أي بأنه تعالى ما هداهم إلى الإيمان وما عصمهم عن الكفر (وأولئك
للوصوفون تلك النافحات) الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبقت عن التأمل في الحق
وإدراكه (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم في الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن
تدبر عواقب الأمور (لاجرم) أي حق (أنهم في الآخرة هم الحاسرون) حيث صرفوا أعمارهم
فيا أقصى بهم إلى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) إلى الدين فأتوا ناصرهم (من بعد ما قاتلوا)
أي عذبوا وأذوا هذه الآية في عيشة بن ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة أو من أمه أو في أبي جندل بن
سهل والوليد بن الوليد وسليمة بن هشام وعبد الله بن مسعود فقتلهم للشركون وعذبوهم فاعطوهم
بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم أنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقرأ ابن عاصم فقتلوا بالبناء للفاعل
أي عذبوا المؤمنين كما من بن الحضرمي أكرموا لأمير الرومي حتى ارتد ثم أسلموا وحسن إسلامها
وهاجروا (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرأى (ان ربك من بعد ما)
أي من بعد هذه الأعمال الثلاثة (تقفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا
من بعد وهذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد أن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من
لا يكره فلاتهم في ذلك وان كانت نازلة فيمن ارتد فالمراد ان الثوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له
التفران والرحمة ويريد ان العتاب (يوم تأتي كل نفس فتجادل عن نفسها) فالظرف منصوب بـرحيم
أو بمحذوف أي ذكرهم يوم يأتي كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى في خلاصه من العذاب كقولهم
هؤلاء أضلونا السبيل وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وروى عكرمة

رحيم) أي يفرقهم ما تلفظوا به من الكفر ترقية (يوم تأتي) أي ذكرهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة كل

عن

أعدائهم الا أنفسهم وخاصم ومحتج عن نفسه حتى ان ابراهيم ليذلي بالحق

(عازر زكّم الله) أى من التائب وهذه (٤٦٨) الآية وآتى بها سبق تفسيرهما في سورة البقرة (ولا تقولوا لما تصف السكّ

الكنب) أى لوصف
السكّ الكنب والذى
لا تقولوا لأجل الكنب
وبسببه لا نفيه (هذا
حلال وهذا حرام) يعنى
ما كانوا يحاولون ويحرمونه
من الحرام والالهام (لغفروا
على الله الكنب) أى
بنسبة ذلك التحليل
والتحريم إليه ثم أورد
للفترين فقال (إن الذين
يقفرون على الله الكنب
لا يغفرون متاع قليل)
أى لهم في الدنيا متاع قليل
ثم يردون إلى عذاب أليم
(وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قسمنا عليكم من قبل)
يعنى قوله في سورة الأنعام
وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر (وما علمناهم)
أى بتحريم ما سرنا عليهم
(ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) أى بأنواع
اللعاصي (ثم إن ربك للذين
حملوا السوء بجهالة) أى
الشرك (ثم تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا) أى آمنوا
وصدقوا فأقاموا لله بفرائضه
واتبوا عن معاصيه (إن
ربك من بعد) أى من
بعد تلك الجهالة (لغفور
رحيم) إن إبراهيم كان أمة)
أى كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار (فأتاها

(عازر زكّم الله) أى من التائب (حلالا طيبا) أى انكم لا آمتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال
الطيب وهو التوبة وأمر كوا الحيات وهى البينة والسم (واشكروا نعمته) أى واعرفوا حقها
ولا تقابلوها بالكفران (إن كنتم إياه تميدون) أى تطيعون (ألتخبرم عليكم للينة والسم ولحم
الخنزير وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات في هذه الأربع قاله الخنفة
والقوذة وللتردة والنطبعة وما كل السبع داخلة في البينة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله
تعالى وما أهل لغير الله به (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) أى فمن دعت ضرورة
الضرورة إلى تناول شيء من ذلك غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز زكّم الضرورة وسد المرق فاقه
لا يؤاخذ به ذلك (ولا تقولوا لما تصف السكّ الكنب هذا حلال وهذا حرام) أى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لأجل ذكر السكّ الكنب وتعودها به (لغفروا على الله الكنب) وهذا يدل
من التحليل الأول أى أنهم كانوا يعسبون ذلك التحليل والتحريم إلى الله تعالى ويقولون إن الله أمرنا
بذلك (إن الذين يقفرون على الله الكنب) فى أمر من الأمور (لا يغفرون) أى لا يغفرون
غير لافى الدنيا ولا فى الآخرة (متاع قليل) أى منقصة من أفعال الجاهلية منقصة قليلة (ولهم) فى
الآخرة (عذاب أليم) وعلى الذين هادوا) خاصة (حرمنا ما قسمنا عليكم) أى أشرف الرسلين (من
قبل) أى من قبل محررنا على أهل ملكنا معاد ذلك من المحرمات وهو الذى سبق ذكره فى سورة
الأنعام (وما علمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدى إلى ذلك
التحريم (ثم إن ربك للذين حملوا السوء) أى الكفر واللعاصي (بجهالة) أى بسبب جهالة لأن
أحدا لا يختار الكفر ما يستحقه كونه حقا ولا بفعل البصيرة ما لم يصر الشئ غلبة للعقل فكل من عمل
السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك) أى عمل السوء (وأصلحوا) بأن آمنوا وأطاعوا الله
(إن ربك من بعد) أى التوبة (لغفور) لتلك السوء (رحيم) يشبع على طاعتهم تركوا فعل ما
بالغ الله فى تهديد المشركين على أنواع فباستحقاق من أنكار البت والنبوة وكون القرآن من عند الله
وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه بين الله أن أمثال تلك القبيح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول
لغفوره والرحمة إذا تدمروا على ما فعلوا أو آمنوا فاقه بخلافهم من العذاب (إن إبراهيم كان أمة) على انفراد
لكماله فى صفات الخير وجمعه للفضائل وهو رئيس أهل التوحيد لأنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم
كانوا كفارا ولذلك وصفه بشع صفا (فأتاها) أى مطيعة له تعالى قائما بأمره (حينما) أى ما تلاعن
كل دين باطل إلى الدين الحق لا يزول عنه (ولهم) من المشركين) فى أمر من أمور دينهم فانه كان من
الوحيدين فى الصغر والكبر (شاكرًا لأنهم) روى أن إبراهيم عليه السلام كان لا يتنذى إلا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فخر غداءه فآذاه قوم من اللاتكة فى صورة البشر فداهم إلى الطعام فأظنوا
أنهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكتهم فلا عز نكس على الله تعالى للابتلاءكم بهذا البلاء
(اجتبه) أى اصطفاه للتبوة (وهذا ما صراط مستقيم) أى هداه فى الدعوة إلى طريق موصل إلى
الله تعالى وهو ملة الاسلام (وآتيناهم فى الدنيا حسنة) أى ولها صالحا وسيرة حسنة عند كل أهل الأديان
فجميع اللل يقرصون عن إبراهيم ولا يكفر به أحد (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى لم أصحاب
الرجات العالية فى الجنة (ثم أوحينا إليك) أى سيد للرسائل مع علو طبقك (أن اتبع ملة إبراهيم)
أى فى كيفة الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرقى والسهولة وأتينا الدلائل مرة بعد

أى مطيعة (له حينما) لأنه اختار وقام بمناكح الحرج وقوله (وآتيناهم فى الدنيا حسنة) يعنى الذكر والثناء الحسن فى الناس
كلهم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) هذا رغبته فى الصلاح ليصير صاحبه من جملة من إبراهيم مشرعه (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم

خنيفا) أمر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبريل ابراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا ز يد يد اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق فاختاروا السبت ومعنى اختلفوا فيه على نبيهم حيث لم يطعوه في أخذ الجمعة فجعل السبت عليهم أي غلظ وشدد الامر فيه عليهم (ادع الى سبيل ربك) أي دين ربك (بالحكمة) أي بالنبوة (وللوعظة الحسنة) يعني مواظب القرآن (وجادلهم) أي اتهمهم عما هم عليه (بالحق) أي أحسن) أي بالكلمة البينة وهذا قبل الامر بالقتال (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول هو أعلم بالفرقين فهو يأمرهم فيها بما هو الصلاح (وان عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عاقبتهم) الآية زلت حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى حجرة وقد مثل به فقال والله لا مثلن بسعين منهم مكانك فزل جبريل بهذه الآية فصر رسول الله ﷺ وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد وقوله

أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة للأوفى في القرآن (خنيفا) أي ما تلعن الباطل حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) وهذا تكرير لما سبق لزيادة تأكيد الرد على للمشركين حيث زعموا انهم كانوا على ملّة ابراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي انما فرض تعظيم يوم السبت على الذين اختلفوا بينهم موسى عليه السلام لأجل يوم السبت فان أهل الملل اختلفوا على انه تعالى خلق العالم في ستة أيام وبدأ تعالى بالتكوين من يوم الأحد حتى في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى عليه السلام اليهود أن يضلموا يوم الجمعة كما هو ملّة ابراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الأشغال فيكون عبدا فخالقوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال فاختاروا السبت فأذن الله تعالى لهم فيه وشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه وقالت النصارى مبدأ التكوين هو يوم الأحد فحصل هذا اليوم عيدنا ولنا وقبائحهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضا فقالوا لا ز يد ان يكون عيد اليهود بصلب عيدنا واتخذوا الأحد عيدا لهم وقتلنا من الأمة المحمدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فحصلوا التحام وجوب التفرح الكامل فهو أحق بالتعظيم وبجعله عيدا وأيضا ان الله تعالى خلق في يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو أشرف خلقه وتاب عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة ولم يختار ولا تقسمهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيا كانوا فيه يختلفون) في الدين فانه تعالى سيحكم للحقين بالتواب والمبطلين بالعقاب (ادع) أي تأشرف الرسل من بعث الله اليهم من الامّة طلبة (الى سبيل ربك) أي الى دينه (بالحكمة) أي الحجة القطعية المفيدة لقائد البقية وهذه أشرف الفرجات وهي التي قال الله تعالى في صفحتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (وللوعظة الحسنة) أي الامارات الظنية والدلائل الانعائية (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بدليل مركب من مقدمات مقبولة فالناس على ثلاثة أقسام: الاول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها والثاني أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان والثالث الذين تغلب على طباعهم الخاصّة لطلب العلوم البقية فقلوه تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالدلائل القطعية البينة حتى يعلموا الاشياء بحقائقها وخواص الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الانعائية الظنية وهما رباب السلامة فيهم الكثرة وتكلم مع الشافعين بالجلد على الطريق الأحسن الأكل وهي التي تقيد افهامهم والزامهم والجدل ليس من باب الدعوة بل للتصديق وقطع الجدل عن باب الدعوة لانها لا تحصل بما هي ولا أمر الله محمد ﷺ بتابع ابراهيم بن النبي الذي أمره بتابعته فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والوعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) الباعث أنك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بانه تعالى هو العالم بضلالت النفوس المظلمة الكثرة وبعثه النفوس للشرقة الصافية (وان عاقبتهم) أي ان أرتبهم للمعاقبة (فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم) أي بمثل ما فعل بكم ولا تزدوا عليه وقمرا انه تعالى أمر محمد ﷺ أن يدعو الخلق الى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وبالحكم عليه بالاضلالة وذلك ما يشوش قلوبهم ويحمل اكفرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب تانيا وبالتمسك ثالثا ان ذلك الداعي اذا عرف ذلك جعله عليه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فغند هذا أمر الله الداعي في هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهي

ظلم وهو ممنوع في عدل الله ورحمته والله تعالى أمر في هذه الآية رعاية الانصاف فيدخل فيها ما رآى أن
 النبي ﷺ لما رأى همه حزمة قدم مثل به للشركون في أحد فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأشييه
 وفجروا بطنه قال ابن طغرى في الله بهم لأمنن بسبعين منهم مكانك فزلت هذه الآية فكفر عن يمينه
 وكف عما أراده (ولئن صبرتم) عن العقوبة بالمثل (هو) أى الصبر (خير لصابرين) لأن الرحمة أفضل
 من القسوة والنفع أفضل من الألام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله
 تعالى وطلب ترك الزيادة من الظالم وهذا ليس بمسوخ (واصبر) على ما صابك من جهنم من فنون
 الأذية (وماصبرك) بى من الأشياء (الاباثة) أى بذكره والاستمرار في مراقبة مشنونه تعالى
 وبالتبذل إليه تعالى بمجامع الهمة (ولا تحزن عليهم) أى الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم
 للعذاب العائم (ولأنك في ضيق) أى غم فقرأ ابن كثير بكسر الصاد (بما يعكرون) أى من مكرهم بك
 في المستقبل فالضيق إذا قوى صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب (إن الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين التحظيم لأمر الله تعالى
 والشفقة على خلق الله وللازداء لبعية هي بالرحمة والفضل والرتبة

﴿سورة بني اسرائيل وتسمى سورة الاسراء وسبحان مكية غير قوله وان كاذوا﴾

ليستقر وزنك الى قوله سلطانا نصير افهولاء الآيات الثمانية مديات. وعدد

آياتها مائة وعشر. وكلماتها ألف وخمسة مائة وثلاث وثلاثون

وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون ﴿

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى أمرى عبده﴾ أى نبأ عن الشريك من سير عبده حمدا
 صلى الله عليه وسلم (يا) أى في جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أى من حرم مكة من بيت
 أم هانئ بنت أبي طالب (الى المسجد الأقصى) أى الأيمن من الأرض وأقرب إلى السماء وهو مسجد
 بيت المقدس وسمى أقصى لأنه أبعد للمساجد التي تزار ويطلب بها الاجر من المسجد الحرام وروى أن
 عبده بن سلام قال في حضرة النبي ﷺ عند قراءة هذه الآية لأنه وسط الدنيا لا يز يد شينا ولا
 ينقص فقال ﷺ صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والذين يقولون لا يقال له الحرم اه والحكمة
 في اسرائه ﷺ الى بيت المقدس ليحصل له العروج الى السماء مستويا من غير ترجيح لما روى عن
 كعب بن باب الساء الذي يقال له مصطفي لانه يقابل بيت المقدس قال وهو اقرب الارض الى السماء
 ثمانية عشر ميلا وقيل الحكمة في ذلك ان الشام خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديث صحيح فبى
 أفضل الارض بعد الحرمين وأول اقليم ظهر فيه ملكه ﷺ وروى ان صخرة بيت المقدس من
 جنة الفردوس وقيل الحكمة في ذلك لظاهر الحق على من عادلانه لو عرج به من مكة الى السماء لم
 يجعله نداء سبيل الى الايضاح فلما ذكر ان أمرى به الى بيت المقدس سأله عن أشياء من بيت
 المقدس كانوا يعلموا أنه ﷺ لم يكن رأها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه
 فبدأ كرم الامراء به الى بيت المقدس في ليلة وإذا صبح خره في ذلك لم تصدقه في بقية ذلك من
 خبر العراج الى السموات وقيل الحكمة في ذلك ليجمع الله ﷺ بين القبلتين (التي باركنا
 حوله) أى للمسجد الأقصى من أرض الشام بركة دينية بالياء والاشجار وبركة دينية لانه
 مهبط الوحي ومتنبد الانبياء وأما كنههم أحياء وأمواتا وفي قوله تعالى سبحان الذى أمرى الخ بمعنى
 التز به والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بينه تعالى وبين أفضل خلقه (ان به) أى

(ولئن صبرتم) أى عن
 المجازاة بالمثل (هو) أى
 الصبر خير (لصابرين)
 ثم أمره بالصبر عما فقال
 (واصبر وماصبرك الاباثة)
 أى بتوقيفه ومعوته (ولا
 تحزن عليهم) أى على
 الشركين بما اضرهم عنك
 (ولأنك في ضيق بما يعكرون)
 أى ولا يضيق مسدرك
 بمكرهم (إن الله مع الذين
 اتقوا) الفواش والكبائر
 (والذين هم محسنون) أى
 في العمل بالضرورة والعمرة
 ﴿تفسير سورة الاسراء﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم
 سبحان الذى أمرى
 عبده﴾ قراءة لمن السوء
 أسرى عبده أى سير محمدا
 ﷺ (بلا من المسجد
 الحرام) بى بمكة ومكة كلها
 مسجد (الى المسجد
 الأقصى) وهو بيت المقدس
 وقيل له الأقصى لبعيد المسافة
 بينه وبين المسجد الحرام
 (الذي باركنا حوله) أى
 بالاشجار والانهار (ان به)

محمد صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أى بعض عجائب قدرتنا العظيمة التى من جملتها هدايته بمرهقته الليل مسيرة شهرو ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات فحصل الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد فى جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن وحينئذ يلزم أن القول بثبوت هذا العراج أمر ممكن الوجود فى نفسه لكن يبقى التعجب لأنه حاصل فى جميع العجرات فأقلاب الصوابا تلعب سبعين ألفا من الجبال والعصى ثم تعود فى الحال عاصفة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل الأصم وظلال الجبل العظيم فى الهواء عجيب وكذا القول فى جميع العجرات فإن كان مجرد التعجب يوجب الانكار لزم الجرم بفساد القول بإثبات المعجزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وإن كان مجرد التعجب لا يوجب الإبطال فكذلكها هنا ثبت أن العراج ممكن غير متعنى (أنه هو السمع البصير) أى أنه تعالى هو السمع لأقول أن محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلاذن البصير بأفعاله بلاعين فيكرمه ويقرب به حسب ذلك أى فهو عالم بكونهم مذهب خالصة من شوائب الهوى مقررة بالصدق والصفاء متأهلة للقرب والزنى ويقال أنه تعالى هو السميع لقال القرش البصير بهم روى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان دائما فى بيت هانى بمصلاة العشاء فأمرى بهورج من ليلته وقص القصة على أم هانى وقال مثل لى النبوة فصليت بهم فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبثت هى بشو به صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك أن أخبرتهم قال وإن كذبوني فلما خرج جلس إليه أبو جهل فأخبره بحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤى بن غالب هلم فحدثهم فبن مصفى وأضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وندس من كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال إلى أبي بكر وقالوا إن صاحبك يقول كذا وكذا فقال أبو بكر إن كان قنقال ذلك فهو صادق قالوا أنصدقه على ذلك قال أنى أصدقه على أى بمن ذلك أى كأنه قال بلا سلت رسالته فقصده فيها هو أعظم من هذا فكيف أ كذب فى هذا ثم جاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكماذا صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد أنك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد أنك الصديق حقا وقال إن هذا العبد الذى اختصنا به الاسراء هو خاصة السميع لك لا من البصير لدا فهو السميع أنا وقلنا بالاجابة لنا والقبول لأوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسط ضمير الفصل للاشعار باختصاص صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتيناه موسى الكتاب) أى التوراة أى لما ذكر الله تعالى تشرىف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكره عقبه تشرىف موسى عليه السلام بإزال التوراة عليه مع ما فيه من دعوة تعلى السلام إلى الطور وما وقع فيه من النجاة جمعا بين الأمرين للتحدين فى المعنى أى آتيناه التوراة بعلمنا إسرائيل إلى الطور (وجعلناه هدى لى إسرائيل) والضمير يعود إلى الكتاب أو إلى موسى أى جعلناه موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلانهاهية وإن يحى أى التفسير به أو الزائدة وتتخذوا على اضمار القول أى قلنا لا تتخذوا وقرأ أبو عمرو لا تتخذوا بالياء أخبرا عن بنى إسرائيل فإن مصدرة ولا نافية ولا مفعول مقدر على المعنى آتيناه موسى الكتاب لهداية بنى إسرائيل لئلا يتخذوا (من دوني وكلا) أى باتفوضون إليه أموركم (ذرية من حملناه نوح) نصب على الاختصاص على قراءة التهجى وعلى مفعول يتخذوا الأول ومن دوني حال من وكلا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملناه نوح من دوني وكلا فالناس كلهم ذرية نوح لأنه كان معنى السفينة ثلاثة بنين سام وحام وياث فالناس كلهم من ذرية هؤلاء (أنه) أى نوحا (كان عبدا شكورا) أى كثير الشكر فى جميع حالاته وفى هذا

من آياتنا) وهو ما رأى فى تلك الليلة من الآيات التى تدل على قدرة الله تعالى ثم ذكر أنها كرم موسى أيضا قبله بالكتاب فقال (وآتيناه موسى الكتاب) (وجعلناه هدى لى إسرائيل) أى دللناه به على الهدى (أن لا تتخذوا) أى قلنا لا تتخذوا وأن زائدة والمعنى لا تتكبروا على غيرى ولا تتخذوا من دوني رباً (ذرية) أى بذرية (من حملناه نوح) يعنى بنى إسرائيل وكانوا من ذرية من كان فى سفينة نوح وفى هذا تذكير بالنعمة إذا تجنى أباهم من الترفى ثم أتى على نوح فقال (أنه) كان عبدا شكورا) كان إذا أكل حمد الله وإذا لمس ثوبا حمد الله

(وقضينا إلى بني إسرائيل) أي أوحينا إليهم وأعلمناهم في كتابهم (تفسدن في الأرض مرتين) أي بالمعاصي وخلاف أحكام التوراة (وتعلمن علوا كبيرا) أي لتعظمن وتبغين (فإذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى مرتي الفساد (بنا عليكم) أي أرسلنا عليكم وسلطنا (عبادا لنا) يعني جالوت وقومه (أولى بأس) أي ذي قوة وبطش شديد (فجاسوا خلل الديار) أي ترددوا وطافوا وسط منازلهم ليطلبوا من يقتلونهم (وكان وعدنا مقعولا) أي قضاء قضاء الله عليهم (ثمرددنا لكم الكرة عليهم) أي نصرناكم ورددنا الدولة لكم عليهم (بقتل جالوت) (وأمددناكم بأموال وبنين) حتى عاد أمركم كما كان (وجعلناكم أكثر نفيرا) أي أكثر عددا من عدوكم (إن أجستم أسستم لأنفسكم) أي إن أظلمتم أظفينا نفوسكم عفاعنكم للساوي (وإن أسأتم) أي بالفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم (فلها) أي فليها يقع الوال

اعلام بأن انجاء من معه كان يركه شكره وحث للنسبة على الاقتداء به وزجرهم عن الشرك والفسق ولا تنسروا إلى لان نوحا كان عبدا شكورا وأنتم من ذريته فاقتدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وأنما يكون العبد شكورا إذا كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله تعالى روى أن نوحا عليه السلام كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعني ولوشاء أجاغي وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولوشاء أنظماي وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء أعراني وإذا احتدى قال الحمد لله الذي هداني ولوشاء أحقاني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرجني أذاه عافية ولوشاء حبسه وإذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجدته محتاجا آثره به (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي أخبرناهم في التوراة بمحصل الفساد مرتين (تفسدن في الأرض) أي أرض الشام (مرتين) الأولى بخلافه حكم التوراة وجسب أرمياء عليه السلام حين أظهرهم سطح الله تعالى وقتل شيعة نبي الله في الشجرة وذلك أن ملأتم صدقكم ملأكم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى هم في قومك فلعنهم فأوحى الله إليهم دعوا عليه ليقتلوه فهرب فافلقته شجرة فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ هديتمن نوبه فأزاهم إياها فوضوا للنشار في وسطها فنفثوها حتى قطعوا واطفئوا في وسطها والثاني قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (وتعلمن) أي لتعلمن الناس بغير الحق (علوا كبيرا) أي تجاوزا للحدود ويقال لكل متعبر قلعلا (فإذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتي الفساد (بنا عليكم) عبادا لنا أولى بأس) أي قتال (شديد) عن حذيفة قال قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناء الله تعالى لسليمان بن داود عليهم السلام من ذهب وقضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود لما بناه سخره الجن بآتونه بالذهب والفضة من الملعون وأنوما لجواهر والياقوت والزمرد وسخره الجن حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة قلت يا رسول الله كيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلب الله عليهم مختصر وهو من الجحوس وكان ملكه سبعة مائة سنة وهو قوله تعالى فإذا جاء وعد أولاهما (بنا عليكم) عبادا لنا أولى بأس شديد (فجاسوا خلل الديار) أي فترددوا في أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف فاحتلموها على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل فأقاموا يستخرجون من بني إسرائيل ويستملكونهم باخزي والعتاب والنكال مائة عام (وكان) أي ذلك البعث (وعدا مقعولا) أي منجزا (ثمرددنا لكم الكرة) أي الدولة (عليهم) أي على الذين فعلوا بكم ماضوا بعد مائة سنة حين تبين عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد بظهور كوروش المهداني على مختصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعتما نبت أموالكم (وبنبن) بعتما سميت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) أي رجالا وعددا أي ثم إن الله عز وجل رهم فأوحى إلى ملكه من ملوك فارس وهو كوروش المهداني أن تسير إلى الجحوس في أرض بابل وأن تستنقمن في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي الجحوس واستنقذ ذلك الحى الذي كان من البيت المقدس ورد الله إليه كما كان أول مرة (إن أحستم) بفعل الطاعات (أحستم لأنفسكم) فإن يركه تلك الطاعات يفتح الله عليكم أبواب الخيرات (وإن أسأتم) بفعل المهرات (فلها) أي فقد أسأتم إلى أنفسكم فإن بشؤم تلك المعاصي يفتح الله عليكم أبواب العقوبات

وهو أنه يست عليهم
بختصر فسيا وقتل
وخرب ومعنى (ليسوا
وجوهكم) أي ليحزنكم
حزنا يظهر أثره في وجوهكم
ببسي ذراتكم وإخرب
مساجدكم (وليتبروا ما علوا
تنبيرا) أي ليسدروا
ويخربوا ما غلبوا عليه
(عسى بكم أن يرحمكم)
وهذا أيضا أخبروا بفي
كتابهم والمعنى لعل بكم
أن يرحمكم ويعفو عنكم
بعد انتقامه منكم يائي
اسرائيل (وان عدتم)
بالمصية (عدنا) بالعقوبة
هذا في الدنيا (و) أما في
الآخرة فقد (جعلنا جهنم
للكافرين حسبا) أي
سجنا ومحسا (ان هذا
القرآن يهدي للتي هي
أقوم) أي يرشد إلى الحالة
التي هي أفضل وأصوب
وهي توحيد الله والإيمان
برسله (ويشير المؤمنين
الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا) وأن
أعدائهم معذبون في
الآخرة (و يدع الإنسان
بالشر دعاه بالجبر) الآية
ربما يدعو الإنسان على
نفسه عند التضرع والضجر
وعلى أهل دوله بما لا يحب
أن يستجاب له كما يدعو

(فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الآخرة معنا تطوس بن اسديانوس الرومي مع جنوده (ليسوا
وجوهكم) أي ليحزنوا آثار الحزن ظاهرة في وجوهكم قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحزرة ليسوا
بالتوحيد أي ليحزن الله أو الودع والبعض وجوهكم وقرأ الكسائي ليسوا بنون العظمة (وليبدخوا
للمسجد) أي بيت المقدس (كادخلوا أول مرة) أي كادخل الاعداء فيه في أول مرة (وليتبروا
ما علوا) أي ليهلكوا البلاد التي علوا عليها (تنبيرا) أي اهلاكا أي فلما رجعت بنو اسرائيل إلى
البيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم فيصير فزاهم في البر والبحر فسبهم
وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما في بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة
حتى أودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه للهدى ويرده إلى بيت المقدس وهو ألف
سفينة وسبعائة سفينة يرسي بها على بابل حتى ينقل إلى بيت المقدس (عسى بكم أن يرحمكم) أي
لعل بكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة بتدبير توبة أخرى من المعاصي يائي اسرائيل (وان عدتم) إلى
النسب دمرة أخرى (عدنا) إلى صب ليلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى وان عدتم إلى الاحسان عدنا
إلى الرحمة وقد عدنا إلى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لعملي الله عليه وسلم وكتابنا ما ورد في التوراة
والانجيل فساد الله عليهم بالتمذبح على أيدي العرب غري القتل والجلاء على قرظة وبني النضير وبني
فينقاع ويهود خيبر والباقي منهم مهقرون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي
سجنا لا يستطيعون الخروج منها أبدا (ان هذا القرآن) الذي آتيناك (يهدي) كل الناس (لتي
هي أقوم) أي للطريقة التي هي أقوم الطرائق وهي ملة الاسلام فيصنعهم صل يهديته وهم للمؤمنون
وبعضهم لاوهم الكافرون (ويشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان
(أن لهم أجرا كبيرا) أي بأن لهم في مقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التنصيف
(وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم وهذا عطف على قوله إن لهم
فان القرآن يشير للمؤمنين بشارتين بأجر كبير وتعذيب أعدائهم واعلم أن أكثر اليهود ينكرون
الثواب والعقاب الجسائين وأن بعضهم قال لن نؤمن النار الا ما ما معدودات فهم بذلك صاروا
كالمسكين في الآخرة (و يدعو الإنسان بالشر دعاه بالجبر) في الإلحاح أي أن الإنسان قد يبلغ في
الدعاء طلبا لشيء يعتقد أن خيره فيه مع أن ذلك الشيء يكون منيع ضرره وهو يبلغ في طلبه لطلبه لعماله
ذلك الشيء (و) أعيا يقدم على مثل هذا العمل لكونه مقترنا بظاهر الأمور غير متفحص عن حقائقها
وأسرارها روى أن النضر بن الحرث قال اللهم انصر خير الخزيين اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك إلى آخره فأجاب الله تعالى ذمهم وضرب برقبته يوم بدر وقيل للراد أن الإنسان في وقت
الشجر يلتم نفسه وأهله وولده وماله ولواستجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لملك (وكان
الإنسان) بحسب جبلته (عجولا) أي حسيلا لا يتأني إلى أن يرول عنه ما يطرأ عليه فان كل أحسن
الناس لا يتأجل عن عجلة ولو ترك المكان تركه أفسح في الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي
علامتين داليتين على تمام علمنا وكال قدرتنا فلما بين الله تعالى أن هذا القرآن يدل على الطريق الأقوم
ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي فالقرآن نعم الدين ووجود الليل
والنهار نعم الدنيا فلاولاهما لما حصل للخلق الراحة والكسب والقرآن يخرج من المحسّم والنشابة
فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار فالهكم كالنهار والنشابة كالليل فكأن المقصود من التكليف

(فمحونا آية الليل) أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مضيئة يصرفها (لتبصروا فضلنا من ربكم) أي تبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم (وتعلموا عدد السنين) بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يبين العدد (وكل شيء) مما يحتاج إليه (فصلناه تفصيلا) أي بناه تبينا لا يلتبس معه غيره (وكل إنسان أزمانه طأثره في عتقه) أي كتبنا عليه ما عمل من خير وشر (ونخرج له) أي ونظهر له (يوم القيامة كتابا) صحيفة عمله منشورة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك (كفى بنفسك اليوم عليك حسبا) أي بحسبنا يقول كفى بأنك في محاسبة نفسك (من اهتدى فإمّا يهتدى لنفسه) أي ثواب اهتدائه لنفسه (ومن ضل فإنا يضل علينا) أي على نفسه عقوبة ضلاله (ولا نزر وزرنا أخرى) وذلك ان الوليد بن الصيرة قال ابعوني وأنا حمل أو زاركم فقال سبعانة ولا نزر وزرنا أخرى أي لا نحمل نفس ذنب غيرها

لا يتم الا بذكر الحكم والمقابلة فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به الا بالليل والنهار (فمحونا آية الليل) وهي القمر لأنه يبدو في أول الأمر على صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد ونوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يشرع في الانقصاص قليلا قليلا الى أن يعود الى المحاق (وجعلنا آية النهار) وهي الشمس (مبصرة) أي مضيئة ذات أشعة تظهر بها الأشياء للظلمة فالأضواء سبب لحصول الابصار (لتبصروا فضلنا من ربكم) أي لتبصروا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق والحلال بالكسب ومن الثواب الجزيل بأداء الطاعات والاحتراز عن المنهيات (وتعلموا) بتأقبيها (عدد السنين والحساب) أي حساب ما دون السنين من الشهور والأيام والساعات لأقامة مصالح الدنية والدنيوية (وكل شيء) تفنقرون اليه في مصالح دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي يفناه في القرآن تبينا بليغا لا شبهة فيه فظهر كون القرآن يهدي للتي هي أقوم ظهورا بينا (وكل إنسان أزمانه طأثره) أي عمله الذي قدر فاعمله من خير وشر (في عتقه) وذكر العتق كناية عن شدة الزم أي أزمانه عمله كل يوم القلادة أو الفاء للصفة بحيث لا يفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان زينه لا طوق وان كان شرا كان شينه لا كحل على رقبته وأما بكى العمل بالطير لان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متبائنا أو متبائسا أو مساعد الى الجوى الى غير ذلك فيستلون بكل واحد على الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذلك منهم سعى نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازم وقيل المراد بالطائر صحيفة الأعمال التي كتبها اللاتكة الحفظة فأذات العبد طويت تلك الصحيفة وجعلت معنق قبره حتى تخرج له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يارسول الله ما أول ما يلقي الميت اذا أدخل قبره قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد الا أنت فأول ما ينادي به ملك اسمه رومان بجوس خلال المقابر فيقول يا عبد الله كتب عملك فيقول ليس بي دواء ولا قرطاس ولا قلم فيقول كف فكف قرطاسك ومدادك وريقك وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويلقها في عتقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل إنسان أزمانه طأثره في عتقه أي عمله فيقول المراد بالطائر كتاب اجابته في القبر لئلا يترك (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوبا فيه عمله (يلقاه) أي يلقي الانسان وقرأ ابن عباس يلقيه بضم الباء وفتح اللام والقاف للشدة أي يعطاه (منشورا) أي مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقال بكر بن عبد الله بن أبي مريم يوم القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها وبسببها الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن أنها قد أو بقت قال الله تعالى اذهب فقد غفرنا لك فيها بيني وبينك فيعظم سروره (كفى بنفسك اليوم عليك حسبا) أي بحسبنا قال الحسن ومن عدل الله في حقلك جعلك حسب نفسك. وقال السدي يقول الكافر يومئذ له تعالى انك قضيت أنك لس بظلام للعبيد فأجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسبا (من اهتدى فإمّا يهتدى لنفسه) أي من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما في تضاعفه من الأحكام واتبع عمانه عنه فإمّا تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لاستخطاه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله (ومن ضل فإمّا يضل عليها) أي ومن ضل عن الطريقة التي يهدهي اليها فإمّا وبال ضلاله عليها الا على من لم يباشره (ولا نزر وزرنا أخرى) أي لا نحمل نفس حاملة للأثم ثم نفس أخرى بطينة النفس حتى يمكن تخلف النفس الثانية عن أعمالها ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل أحد مختص بذنب نفسه وهذا قاطع لأطاع

(وما كنا معذنين)
 أحدا (حتى نبعث رسولا)
 بين لهم ما يجب عليه إقامة
 للحجة (وإذا أردنا أن
 نهلك قرية أمرنا فيها)
 أي أمرناهم على لسان
 رسول بالطاعة وعنى
 بالمرتين الجبارين
 والسلطين والملوك وخصهم
 بالأمر لأن غيرهم تبع لهم
 (ففسقوا فيها) أي عرّدا
 في الكفر والفسق في
 الكفر الخروج إلى فحشه
 (فحق عليها القول) أي
 وجب عليها العذاب
 (ففسقوا فيها) أي
 أهلكتنا هلاك استمصال
 (من كان يريد العاجلة)
 أي من كان يريد بصله
 وطاقته واسلامه الدنيا
 (عجلنا فيها ما نشاء) أي
 القدر الذي نشاء (لن
 نرذ) أن نضل له شيئا ثم
 يدخل النار في الآخرة
 (منموما) أي مطرودا
 لانه لم يرده الله بعمله (ومن
 أراد الآخرة) أي الجنة
 (وسعى لها سعيها) أي
 عمل بقاتل الله (وهو
 مؤمن) لأن الله لا يقبل
 حسنة الا من مؤمن
 (فأولئك كان سعيهم
 مشكورا) أي تضاعف
 لهم الحسنات (كلا) أي
 من الفريقين

الكفار حيث كانوا يزعمون أنهم ان يكونوا على الحق فالتعاقب على أسلافهم الذين قلدوهم الدين
 الفاسد (وما كنا معذنين) قوما بالهلاك (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يعلمهم إلى الحق
 ويردعهم عن الضلال ويقم الحجج ويهدى الشرائع وأهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى
 ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسما مستعدا وأربعة أشقياء وثلاثة تحت الشيطان فاما السعداء فقسم
 وحد الله تعالى بنور وجهه في قلبه كقسمين ساعدته كان اذا سئل هل لهذا العالم اله قال العبرة بتدل
 على البعير وأثر الاقدام يدل على السبب وقسم وحده الله تعالى بما تجلى لقلوبهم النور التي لا قدر
 على دفعه وقسم إلى حق من نفسه والحق من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به في عالم النبي
 وقسم اتبع ملته حق من تقبله وقسم طالع في كتب الانبياء ففرق شرف محمد صلى الله عليه وسلم فآمن
 به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران وأما
 الاشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعد ما ثبت بالاستقصاء نظر وقسم أشرك بعن
 تقليد محض وقسم علم الحق وعنده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود الاله عن نظر
 ناقص لضعف في طبعه وقسم أشرك عن نظر أخطأ فيه وقسم عطل بعدما ثبت بغير نظر قوي ونقل
 عن السيوطي أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم تباهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذنين
 حتى نبعث رسولا وحكم من لم تباه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة (وإذا أردنا أن
 نهلك قرية أمرنا فيها) أي وإذا دنا وقت تعلق ارادتنا بهلاك قرية بعناب الاستمصال أمرنا
 على لسان الرسول للبعوث إلى أهلها رؤسائها بالأعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وروى
 برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس أمرنا مترفها بعد الهمة أي كثرت أغنياءها وفساقها
 وعن أبي عمرو أمرنا بتشديد الهم أي جعلنا جبارتها أمراء (ففسقوا فيها) أي ففسقوا عما
 أمرهم الله وعموا للمعاصي فيها (فحق عليها القول) أي فثبت عليها ما وعدناهم به على لسان
 رسولنا من الاهلاك (ففسقوا فيها) أي أهلكتنا هلاك الاستمصال (وكم أهلكتنا من
 القرون من بعد نوح) أي وكثيرا أهلكتنا من الامم للماشية من بعد قوم نوح فان الطريق الذي
 ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد ونحو غيرهم وانما قال
 تعالى من بعد نوح لأنه أول من كذبه قومهم وخوف تعالى بهذه الآية كفار مكة (وكنى ربك بذنوب
 عباده خيرا بصيرا) فانه تعالى عالم بجميع العلومات واما جميع الرئاسات وثبتت انقاد على كل الملكات
 فكان قادرا على اصال الجزاء إلى كل أحد بقدر استحقاقه فانه منزوع الظلم وهذه بشارة عظيمة
 لأهل الطاعة وتخفيف عظيم لأهل اللصية (من كان يريد) بالنبي صلى الله عليه وسلم (العاجلة) أي النار
 العاجلة فقط (عجلنا فيها) أي في تلك النار (مانشاء) تمنجيه لمن نعيمها (لن نرذ)
 لتعجيل ما نشاء له وهذا يدل من الضمير بإعادة الجار بدل بعض من كل فلا يجد كل واحد جميع ما يهواه
 فان كثيرا من الكفار معرضون عن الدين في طلب الدنيا يبقون محرومين عن الدنيا والدين
 (ثم جعلنا له في الآخرة مكان ما جعلناه) (جهنم) وما فيها من أنواع العذاب (صلها) أي
 يدخلها (منموما) أي مهانا بالهم (مدحورا) أي مطرودا من رحمة الله تعالى قيل نزلت هذه
 الآية في مرثد بن ثامة (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة (وسعى لها) أي
 للنار الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن) إيمانا
 صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أي عملهم (مشكورا) أي مقبولا عند الله أحسن القبول قيل
 نزلت هذه الآية في بلال المؤذن (كلا) أي كل واحد من الفريقين مرثد الدنيا ومرثد

(نمد) نريدكم ذكرهما فقال (هؤلاء وهؤلاء من عظام ربك) يعني الدنيا وهي مقسومة بين البر والفاجر (وما كان عظام ربك محظورا) أي ممنوعا في الدنيا من المؤمنين (٤٧٦) والكافرين ثم يختص بالمؤمنين في الآخرة (انظر كيف فضلنا بعضهم على

بعض) في الرزق فمن مقل ومكثر (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) من الدنيا لأن درجات الجنة يقسمونها على قدر أعمالهم (لا تجعل) أيها الانسان المخطأب (مع الله لها آخر فتقصد مذموما) أي ملوما (مغذولا) أي لا ناصر لك (وقضى) أي وأمر (ربك أن لا تعبدوا الاياه وبوالدين احسانا) وأمر احسانا بالوالدين (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) يقول ان عاش أحد والديك حتى يشيب ويكبر أو هما جميعا فلا تقل لهما أف) أي لا تقل لهما رديان الكلام ولا تستقل شيئا من أمرهما) ولا تنهرهما) أي لا تؤاخذهما بكلام تريحهما به (وقل لهما قولا كريما) أي قولا ليلا لطيفا (واخفض لهما جناح الذل) أي أكن لهما جانبك واخفض لهما (من الرحمة) أي من رقتك عليهما وشفقتك (وقل رب ارحمهما) أي مثل رحمتي أي في صغري حتى ربياني (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي بما تضرعون من البر والعقوق

الآخرة (عد) أي تزيد بالطاء (هؤلاء) أي الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أي الذين يريدون الآخرة وهذا من كلام الله يوسع عليهم في الرزق من الأموال والاولاد وغير ممان أسباب العز والريفة في الدنيا (من عطاء ربك) أي من عطائه الواسع وهذا متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك) أي عطائه في الدنيا (محظورا) أي ممنوعا من أحد مومنا كان أو كافرا لأن الشكل مخلوقون في دار العمل فأزاح تعالى المنع عن الشكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الشكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح (انظر) أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فيها أمدا ناهيه من العطايا في الدنيا فمن وضع ورفيع وطالع وضيع ومالك وموكل وموسر ومصلوك (وللاخرة أكبر درجات) من درجات الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا باقية متناهية (وأ أكبر تفضيلا) من تفضيل درجات الدنيا أي التفاوت في الآخرة أكبر لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم ذكر الله تعالى من أنواع التكليف خمسة وعشرين نوعا بعضها أصلى وبعضها فرعى وهي تفصيل ثلاثة شروط لأهل الثواب وهي ارادة الآخرة بالعمل وأن يسعى سعيها موافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال (لا تجعل) أيها الانسان (مع الله لها آخر فتقصد) أي فتصك في الناس أو فتعجز عن سعادة الآخرة أو فتصير (مذموما) من اللاتسكة والمؤمنين (مغذولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أي أمر أمرا جزما وقرأ على وابن عباس وعبد الله ووصى ربك (أن لا تعبدوا الاياه) فان اما مفسرة أو مخففة من الثقيلة واسما ضمير الشأن ولانهاية (وبالوالدين) أي أحسنوا لهما (احسانا) عظيما كاملا فان احسانهما اليك قد بلغ الناية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لا تحصل للكفاة لأن احسانهما عليك كان على سبيل الابتداء وفي الأمثال المشهورة ان البداى بالبر لا يكافأ (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أي ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر فلا تنهجر لواحد منهما بما تستقفر منه ولا تستقل من مؤنه أي ولا تقله كلاما رديا اذا وجدت منه راحة تؤذيك كما أنها لا يتقدر ان منك حين كنت تضر أو تبول وقرأ حمزة والكسائي يبلغان فأحدهما بدل من ضمير الثانية وقرأ ابن كثير وابن عامر أف ففتح الفاء من غير تنوين وناقص بحسب الفاء مع التنوين والياقون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تنهرهما) أي لا تظفر لهما في الكلام وللرأد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف للنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير ومن قوله ولا تنهرهما للنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولا كريما) أي لحنسانا بان يخاطبهما بالكلام للقرن بأمارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أي لين لهما جانبك للقلول وللرأد أفضل التواضع لهما (من الرحمة) أي من أجل فرط عطفك عليهما ورتك لهما بسبب ضعفهما للأجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغرا) أي ادع لهما بالرحمة ولو خمس مرات في اليوم واليلة بأن تقول رب ارحمهما برحمتك اللطيفة والآخر وقرحة مثل ريتهما بالي في صغري ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لأجل ريتهما لي (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من الاخلاص وعلمه في برهما (ان تكونوا صالحين) أي صادقين في نية البر بالوالدين ان كنتم رجاعين الى الله تعالى (فانه) تعالى (كان للاولين) أي للرجاعين اليه تعالى عفا فرط منهم (غفورا) فيكفر

(ان تكونوا صالحين) أي طاعتين لله فانه كان للاولين أي الرجاعين عن معاصي الله (غفورا) أي يغفر لهم ما بدر عنهم وهذا من بدرته بادره وهو لا يضر عفو قاتل ارجع عن ذلك غفر الله ثم أتى في الاقارب وصلة أرحمهم بالاحسان اليهم قوله

(وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالسَّكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ) أَي مَاحِلُ اللَّهِ لَهُمُ الْخَقُّ فِي الْمَالِ (وَلَا تَنْبِرُ تَذِيرًا) أَي لَا تَنْتَفِقْ فِي غَيْرِ الْحَقِّ (إِنَّ الْبَلَرِينَ) أَي النَّفَقِينَ فِي غِبْرَاعَةِ اللَّهِ (كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) لِأَنَّهُمْ يُوَافِقُونَهُمْ (٤٧٧) فَيَأْمُرُونَهُمْ بِهَذَا الشَّيْطَانِ بِقَوْلِهِ (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) أَي جَاحِدًا لِأَمْرِهِ وَهَذَا يُضْمَنُ أَنَّ النَّفَقَةَ فِي السَّرْفِ كُفُورٌ (وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ) الْآيَةُ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَأَلَ فَقَرَاءَ أَصْحَابَهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا يَطْبَعُهُمْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ حَيَاءٌ مِنْهُمْ وَكَثُرَ قَوْلُهُ وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ (إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) أَي أَنْتَظِرُ رِزْقَ مِنْ اللَّهِ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ (وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ) أَي أَعْطَا ذَا الْقُرْبَىٰ مِنْ جِهَةِ الْأَبْوَالِ وَأَنْ يَدَّ (حَقَّهُ) مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ بِالْمَالِ أَوْ غَيْرِهِ (وَالسَّكِينِ) أَي أَعْطَا لِلْسَّكِينِ حَقَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ (وَابْنَ السَّبِيلِ) أَي أَعْطَا النَّصِيفَ النَّازِلَ بِكَ حَقَّهُ وَهُوَ كَرَامَةُ ثَلَاثَةِ أَيْلَمٍ (وَلَا تَنْبِرُ تَذِيرًا) وَهُوَ إِفْطَاقُ الْمَالِ فِي الْحَصَةِ وَفِي الْفَخْرِ وَالسَّعَةِ (إِنَّ الْبَلَرِينَ) كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) أَي أَتْبَاعُهُمْ فِي الصَّرْفِ لِلْعَاصِي (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) فَاتَّهَمَ بِدَنِّهِ لِلْعَاصِي وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَا أَوْجَاهَ فَصَرَفَ إِلَى غَيْرِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ كُفُورًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَكَانَ الْبَلَرُونَ مُوَافِقِينَ لِلشَّيَاطِينِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ (وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ) إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) أَي أَنْ أَعْرَضْتُ عَنْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالسَّكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ حَيَاءً مِنَ اتِّصَافِي بِرَدِّكَ لَكَ كُنْتُ قَصِيرًا فِي وَقْتِ طَلِبِهِمْ مِنْكَ (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا) أَي لِيُنَاسِلُوا بِأَنْ تَعْلَمَهُمْ بِالْعِظَاءِ مُتَدَحِّجِي الرِّزْقِ أَوْ تَقُولَ لَهُمْ اللَّهُ يَسْهَلُ وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْنُو مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَطْبَعُ وَيَسْتَلْ يَقُولُ يَرْزُقُنَا اللَّهُ تَعَالَى وَآيَاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَهْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا كِتَابَةٌ عَنِ الْقُرْآنِ لَا قَدْ لَسَلْتُ يَطْلُبُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَسَمِيَ الْفَقْرَ بِإِبْتِغَاءِ رَحْمَتِهِ مِنَ الْإِفْطَاقِ اسْمُ السَّبِيحِ بِعَنْ اسْمِ السَّبَبِ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) أَي لَا تَجْعَلْ يَدَكَ فِي اتِّبَاعِهَا كَالْمَغْلُولَةِ لِلْمَنْعُوعَةِ مِنَ الْإِنْبِسَاطِ أَي لَا تَمْسِكْ عَنِ الْإِفْطَاقِ بَحِثْ ضَيْقَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ (وَلَا تَنْبِسْطْهَا) فِي الْإِفْطَاقِ (كُلُّ الْبَسْطِ) أَي فِي وَجْهِهِ صِلَةُ الرَّحِمِ وَسَبِيلُ الْخَيْرَاتِ أَي وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي الْإِفْطَاقِ تَوْسَعًا مَرْمُوحًا بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ فِي يَدِكَ شَيْءٌ (فَتَقْصِدْ مَا لَوْ) أَي قَصِّصْ مَا لَوْ أَنَّكَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ أَهْلِكَ قَهْمٌ بِأَوْسُوكَ عَلَى تَضْيِيقِ الْمَالِ بِالْكِبَالَةِ وَابْقَاءُ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ فِي الضَّرِّ وَتَبْقِ مَا لَوْ أَنَّكَ تَقْصِدُكَ بِسَبَبِ سَوْءِ تَنْدِيرِكَ وَتَرْكُ الْحَزَنِ فِي مَهْمَاتِ مَعَاشِكَ (مَحْسُورًا) أَي نَادِمًا أَوْ مُنْقَطِعًا عَنْكَ الْأَحْيَاءُ بِسَبَبِ ذَهَابِ الْأَسْبَابِ (إِنَّ يَدَكَ يَسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْصِرُ) أَي أَنَّ اللَّهَ يَوْسِعُ الرِّزْقَ عَلَى الْبَعْضِ وَيَضِيقُهُ عَلَى الْبَعْضِ الْآخَرُ وَهُوَ يَرِي لِلرَّبِّ يَوْسِيعُ حَاجَاتِهِ عَلَى مَقْدَارِ الصَّلَاحِ عَلَى الْمَبَادِنِ يَقْصِدُوا فِي الْإِفْطَاقِ وَإِنْ يَسْتَوْسُوا بَسْتَهُ تَعَالَى (أَنَّهُ كَانَ بَعْدَهُ خَيْرًا بِصِيرًا) فِيمَنْ مِنْ مَصَالِحِهِ مَا يَنْفَعِي عَلَيْهِمْ وَيَسْلَمُ أَنْ مَصْلَحَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي أَنْ لَا يَطْبَعِيهِ إِلَّا ذَلِكَ الْقَدْرَ الْفَاقِ فِي رِزَاقِ الْعِبَادِ لِأَجْلِ رِعَايَةِ الصَّلَاحِ لِأَجْلِ الْبَيْخُلِ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) أَي خَشْيَةَ وَقُوعِ فَقْرٍ بِكُمْ فَقَتْلُ الْأَوْلَادِ أَنْ كَانَ لَخَوْفِ الْفَقْرِ قَهْمٌ سَوْءٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لِأَجْلِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْبَنَاتِ فَيَوْسِيعُ فِي تَحْرِيبِ الْعَالَمِ بِالْأَوَّلِ ضِدَّ التَّعْظِيمِ لِأَمْرَاتِهِ تَعَالَى وَالثَّانِي ضِدَّ الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِهِ قَالَ الْبَاقِلُ مِنْهُمْ وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ الْحِلَّ وَطُولُ الْأَمَلِ (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) أَي نَرْزُقُهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ رِزْقِكُمْ شَيْءٌ فَيُطْرَأُ عَلَيْكُمْ مَا تَخْشَوْنَ مِنْهُ مِنَ الْفَقْرِ (إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيراً) أَي ذَنْبًا عَظِيماً وَقَرَأَ الْجَهْوَرُ بِكسرِ الْهَاءِ وَمَوْكُونِ الطَّاءِ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بفتحِ التَّاءِ وَالطَّاءِ مَعَ الْقَصْرِ بِمَعْنَى ضِدِّ الصَّوَابِ وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بفتحِ التَّاءِ وَالطَّاءِ مَعَ اللَّامِ (وَلَا تَرْبُوا الزُّنَا) بِأَتْيَانِ مَقْدَمَاتِهِ (أَنَّهُ) أَي الزُّنَا (كَانَ قَاحِشَةً) أَي ظَاهِرَةً الْقَبِيحِ لِأَشْتَالِهِ عَلَى فُسَادِ الْإِنْسَانِ وَعَلَى اتِّقَاتِلِ ظَنِّ الْإِنْسَانِ لَا يَفْرِقُ أَنْ الْوَلَدَ الَّذِي أُمْتُ بِهِ الزَّانِيَةُ أَوْ هُوَ أَوْ مَنْ غَيْرُهُ فَلَا يَحْزَنُ بِرَبِّتِهِ وَذَلِكَ يَرْجِبُ ضِيَاعَ الْأَوْلَادِ وَانْقِطَاعَ النِّسْلِ وَخَرَابَ الْعَالَمِ (وَسَاءَ سَبِيلًا) لِأَنَّهُ لَا يَبْقَىٰ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْبَهَائِمِ فِي عَدَمِ اخْتِصَاصِ الذِّكْرَانِ بِالْإِنَاثِ فَالَّهِ تَعَالَى وَصَفَ الزَّانِيَةَ بِآيَةٍ أُخْرَى بِضَلَّتْ ثَلَاثَةً فَالَّذِي

وَيَقْصِرُ (أَي يَوْسِعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَضِيقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (أَنَّهُ كَانَ بَعْدَهُ خَيْرًا بِصِيرًا) أَي حَيْثُ أَجْرَى رِزْقَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) سَبْقُ تَقْسِيرِهِ فِي سُورَةِ الْإِنْعَامِ وَقَوْلُهُ (خَطَاً) أَي إِثْمًا

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله (الاباحي) يعني يكفر بعد اسلامه وزياد احسانه او قتل نفس تبعد (ومن قتل مظلوما) أي غير احدى هذه الخصال (فقد جئنا لولييه (٤٧٨) سلطانا) أي حجتير يدعى قتل القاتل (فلا يسرف في القتل) ولا يتجاوز

ما حله وهو أن يقتل بالواحد اثنين أو غير القاتل من هومن قبيلة القاتل كفعل العرب في الجاهلية (انه) أي ان الولي (كان منصورا) يقتل قاتل وولي والاقتصاص منه وقيل انه أي ان المقتول ظلمه كان منصورا في الدنيا يقتل قاتله وفي الآخرة بالتواب (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) يعني الأكل بالمعروف وذكرنا هذا في سورة الأنعام (وأوفوا بالعهد) وهو كل ما أمر به ونهى عنه (ان العهد كان مشولا) عنه (وأوفوا الكيل) أي أتموه (اذا كنتم وزنوا بالقياس المستقيم) أي بأقوم الموازين (ذلك خير) أي أقرب الى الله (وأحسن تأويلا) أي عاقبة (ولا تقف على ما ليس لك به علم) أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) أي يسأل الله تعالى المباديغ استعمالوا هذه الحواس (ولا تمش في الأرض مرعا) أي بالكبر والفخر (انك لن تحرقوا الأرض) أي لن تنقها حتى تبلغ آخرها ولا

ليذكر هنا كونه مقنا فان المرأة اذا تمرنت على الزنا يستفذر لها كل طبع سليم وكل خاطر سليم واذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طبع أكثر الحلق فيحذرنها لا تحصل لها الافقة ولا يتم الازدواج (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الاباحي) أي بسبب الحق وهو عند الاقتصاص فهو متعلق بلا تقتلوا (ومن قتل مظلوما) فيسحق بيعه القتل للقاتل (فقد جعلنا لولييه من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطانا) أي استيلاء على القاتل يؤاخذ به بالقصاص أو بالدية (فلا يسرف في القتل) أي فلا يسرف الولي في أمر القتل بأن يزدد على القتل الثلثة وقطع الأعضاء أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد أو بأن يقتل القاتل مع أخذ الدية وقيل للمعنى ولا يسرف القاتل الظالم والاسراف هو اقدامه على القتل بالظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف بالثاء على الخطأ أي لا تسرف في القتل أيها الولي أي اكشف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة أو لا تسرف أيها الانسان أي لا تفعل القتل الذي هو ظلم محض فانك ان قتلت مظلوما استولى في القصاص منك ويصعد هذا قرارة ولا تسرفوا (انه كان منصورا) قال مجاهد ان المقتول المظلوم كان منصورا في الدنيا بإيجاب القتل على قاتله وفي الآخرة بكثرة الثواب له وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله القصاص أو الدية وأمر الحكم بموته في استيفاء حقه فليكشف بهذا القدر ولا يطعم في الزيادة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهي حفظه وارباحه (حتى يبلغ أشده) أي حتى يبلغ الى حيث يمكنه بسبب رشده القيام بمصالحه فحينئذ تزول ولاية غيره عنه فان بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم وبين ربحكم أو جرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان مشولا) أي مشولا عنه فاستلنا كذا وصاحب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أي أتموه (اذا كنتم) لغريكم (وزنوا بالقياس المستقيم) أي يميزان العدل بحيث لا يميل الى أحد الجانبين (ذلك) أي الوزن بالميزان للتدليل وإيضاح الكيل والعهد (خير) في الدنيا فانه يوجب الذكر الجليل بين الناس (وأحسن تأويلا) أي عاقبة في الآخرة فانه يحصل من العقاب الشديد (ولا تقف على ما ليس لك به علم) أي لا تكن أيها الانسان في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يعرفه بوجهه الى مقصده ولراد بالعلم هو الظن للاستفاد من سنده (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أي كل واحد من تلك الأعضاء (كان عنه مسؤولا) أي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه أي عما فعل به صاحبه ولا يبعد أن يخلق الله الحياة والعقل والنطق في هذه الأعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها وفي هذا دليل على أن العبد يؤخذ بزمه على المعصية. روى عن شكل ابن حميد قال أئيب النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علفني تموزنا أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها (ولا تمش في الأرض مرعا) أي اذا شدة فرح أي لا تمش مشيا يدل على الكبرياء والعظمة (انك لن تحرق الأرض) أي لن تنقها بشدة وبلاتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لن يبلغ طولك الجبال وللعنى تواضع ولا تكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلا يليق بك التكبر (كل ذلك) أي الذكور من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) بضمهم الهزلة والمهادى السيئة منه وهي المنهيات

أن تظاول الجبال والمعنى أن قدرت لن تبلغ هذا المبلغ لتكون لك وسيلة الى الاختيال بردها ليس ينبغي العاجز أن يفتخ ويستكبر (كل ذلك) إشارة الى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به نهي عنه (كان سيئه) وهو ما حرم الله ونهى عنه

مفسر في هذه السورة

ثم نزل فيمن قال من
لشركين اللاتكة بنات
الله (أفأصفاكم ربكم
بالبنين) أي أكرم وأخلص
لكم البنين دونه وجعل
لنفسه البنات (انكم
لتقولون قولاً عظيماً ولقد
صرفنا) أي بينا (في هذا
القرآن) من كل مشل
يوجب الاعتبار والتفكير
فيه (ليذكروا) أي ليتفكروا
ويتدبروا (وما يزيدهم)
أي ذلك البيان والتصريف
(الافتقار) عن الحق وذلك
أنهم اعتقدوا أنها حيل
وشبه فنفروا منها أشد
التفوق (قل) للشركين
(لو كان معاً لآلهة كما تقولون
إذا ادبتوا إلى ذي العرش
سبيلاً) أي إذا ادبت الالهة
أن ترى ملك صاحب
العرش (تسبح له السموات
السبع والارض ومن
فيهن وإن من شيء إلا
يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم انه
كان حليماً غفوراً) الرد
بالتبسيع في هذه الآية
الدلالة على أن الله خالق
حكيم مبدئ من الاسماء
والخالقون والخالقات كلها
تدل على هذا وقوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم
مخاطبة للكفار لانهم

الاثنا عشر (عند ربكم مكرها) أي عزمهم بغير ضاف عليه معاقب عليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
سبعة بالثاء والنصب وهو خبر كان وعنده بك صفة لمبيته ومكرها خبر ثان لكان والمعنى كل ما تنقم
من النهايات وهي اثنا عشر خصلة كان سبعة أي ذنباً (ذلك علاوحي اليك بك) أي ذلك التكليف
الأربع والعشرون نواضع ما أوحى اليك بك (من الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته ومعرفة
الحير لأجل العمل به وهذا خبر ثان (وليجلج مع الله لها آخر فتلى في جهنم ماوما) يلوكم نفسك
وغيرها (مدحوراً) أي مبداه من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي اختاركم ربكم فحكمكم
بالذكور (واخذ) لنفسه (من اللاتكة اثنا) أي أن كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الأولاد البنون
وأخسهن البنات ثم انهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية قصصهم وأثبتوا البنات قه مع علمهم
بأن الله هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وذلك يدل على نهاية جهلهم (انكم لتقولون) بسبب
ذلك الاعتقاد (قولاً عظيماً) في القرية على الله حيث تجعلونه تعالى من نوع الأجسام ثم تسبون
الهمم منكروه من أخس الأولاد ثم تصفون اللاتكة الذين هم من أشرف الخلق بالأنوثة التي هي
أخس وأصاف الحيوان (ولقد صرفنا) أي كررنا هذه الدلائل (في هذا القرآن) أي في مواضع منه
(ليذكروا) بفتح الذال والكاف وتشديدها أي ليصرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والسكسائي
ليذكروا سبعة الأبدال مضمومة الكاف أي ليفهموا ما في القرآن أولئك كرهوا بأنفسهم فإن الذكر
باللسان قد يؤدي إلى تأثر القلب بمنه (وما يزيدهم) أي والحال ما يزيدهم ذلك التكرار (الافتقار)
أي تباعداً عن الإيمان وهذا دليل على أن الله ما أراد الإيمان من الكفار (قل) في اظهار بطلان
ذلك من جهة أخرى (لو كان مع) تعالى (آلهة كما تقولون) أي لو كانت موافقة لما يقولون (إذا ادبتوا
إلى ذي العرش سبيلاً) أي لطلبوا إلى من له الملك سبيلاً بالمعاقبة كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض
وقبل المعنى لو كانت هذه الأسماء تقربكم إلى الله لاني كما تقولون طلبت لأنفسهم التراب العالية فلعلهم
تفكر على ذلك فكيف يدرك في العقل أن تقربكم إلى الله منزلة (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً
كبيراً) أي تزداه وارتفع بصفات الكمال عن الشركاء والنقائص ارتفاعاً عظيماً (تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن) أي تزداه تعالى السموات السبع والارض عن كل نقص بدلالة أحوالها
على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكانت تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح وتسبح
العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون ويسبح بالياء في هذه الثلاثة وقرأ حمزة
والسكسائي كلها بالياء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم في الاول بالياء على الخطاب وفي الثاني
والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الأولين بالياء على الحكاية والآخر بالياء وقرأ أبو عمرو الاول
والآخر بالياء والأوسط بالياء (وان من شيء إلا يسبح بحمده) أي ما من شيء من الأشياء حيواناً كان
أو نباتاً أو جماداً إلا يزهه تعالى متلبساً بحمده بلسان الحال عما لا يليق بذاته تعالى من لوازم الإمكان
فلا يكون بأسرها شهادة تلك الزهافة (ولكن لا تفقهون) أيها الشركون (كيسبحهم) فإن
الكفار وإن كانوا مقرين بأنفسهم بإثباته العالم لم يتفكروا في أنواع الدلائل ولم يسلوا كمال
قدرته تعالى فاستبدوا كونه تعالى قادراً على النضر والحشر فهم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد
والتبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركاء وزوجوا وولدا وقرى لا يفقهون على صفة البني للقول
مع فتح القاء وتشديد القاف (انه كان حليماً) ولذلك لم يماجلكم بالقوة مع غفلتكم وسوء
نظركم وجهلكم ولما كان (غفوراً) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين

الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن فحجبه الله عن أعينهم عند قراءة القرآن حتى كانوا يرجون به ولا يرونه وقوله مستور لعماء سارا (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) سبق تفسيره في سورة الأنعام (وإذا ذكرت (٤٨٠) ربك في القرآن وحده) أي قلت لاله الا الله وأنت تتلو القرآن (ولو اعلی

أدبارهم نفورا) أي أعرضوا عنك نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) الآية نزلت حين دعا على رضى الله عنه أشراف قريش إلى طعام اغتذ لهم ودخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله وهم يقولون فيما بينهم متناجين هو ساهر وهو مسحور فآثر الله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به أي يستمعونه أخبر الله أنهم بذلك الحال وبذلك الذي كانوا يستمعونه إذا يستمعون إلى الرسول (وإذا هم نجوى) أي يتناجون بينهم بالكذب والاستهزاء (إذا يقول الظالمون أي للشركون (ان تتبعون) ماتبعون (الارجل مسحورا) أي غثوجا وان اتبعتموه (الظفر كيف ضرر بولك الأمثال) أي يتناولك الأشياء حتى شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر (فضاوا) بذلك نحن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) أي مخربا (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت

الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي للتكرين للبت (حجابا مستورا) روى ابن عباس أن أباسفان والنضر بن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون إلى حديثه فقال النضر يوما لأبى يقول محمد غباري أرى شفته تتحرك بشئ وقال أبو سفان إنى لأرى بعض ما يقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حبيب بن عبد المزى هو شاعر فنزلت هذه الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم بمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن إدراك ما عليه من النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الحجاب شئ لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي مناع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي صمما ناع من سماعه اللائق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي إذا أرادهم بكروه وهو يقرأ القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن إدراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي غير مقرون بألهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أوعلى الظرف (ولو اعلی أدبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند استماع القرآن على حالتين فإذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله بقوام متحيزين لا يفهمون منه شيئا وإذا سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى وذم الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (نحن أعلم بما يستمعون) إلى قراءة القرآن (به) أي بسببه من الهزء والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي إلى قراءة ذلك روى أنصلى الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره رجلان من ولد قصي أو من بني عبد المطلب فيصفقون ويصفرون ويخططون عليه بالأشعار (واذهب نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الارجل مسحورا) أي ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهب ذوو نجوى اذ يقول المشركون بعضهم لبعض انكم ان اتبعتم محمدا فقد اتبعتم رجلا زال عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ خطا ماما يدعو إليه أشراف قريش من المشركين ففعل على ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى نطعمكم العرب وتتقاكم المعجم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة إلى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساهر وهو مسحور وما أشبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى بأنهم يقولون ماتبعون ان وجدتمكم الانبياء الارجل مغضوب على من قبل الشيطان فانه يتخيل له فيظن أنتملك ومن جهة الناس فان محمدا يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يخدعون بهذه الحكايات (انظر) يا أشراف الرسل (كيف ضرر بولك الأمثال) فكل أحد شبهك شئ آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضاوا) في جميع ذلك القول عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيأتون بما لا يرتاب في طلالته أحد (وقالوا أئذا كنا) أي صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) أي ترابا رميا (أنثالبعون خلقا جديدا) أي مخلوقين تجد البروح فيها جديدا (قل) لهم يا أكرم الرسل (كونوا خجرا أو حديدا أو غلظا) آخر (ما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون ججرا مع

انها (ورفاتا) يعني وترابا أنتبع وتخلق خلقا جديدا (قل) كونوا حجارة أو حديدا أو غلظا ما يكبر في صدوركم الآية معناها يقول قلدروا انكم لو خلقتم من حجارة أو حديدا أو كنتم للوت التي هو كبر الأشياء في صدوركم لا ماتكم الله ثم أحياكم لأن القدرة التي بها أنشأكم كما هيديكم وهذا معنى قوله

(فسيقولون من بعدنا قل الذى فطركم) أى خلقكم (أول مرة فينبغون اليك روسهم) أى يحركونها تكذيباً لهذا القول (ويقولون من هو) أى الاعادة والبعث (قل عسى أن يكون قريباً) عسى أن يكون قريباً (يوم يدعوكم) أى بالنداء الذى يسمعكم وهي النفخة الأخيرة

(فستنجبون) أى تنجيبن
(بمحمد) وهو أنكم
تخرجون من القبور
وتقولون سبحانك وبمحمد
حمدوا حين لا ينفعهم الحمد
(وتظنون ان لبثتم الا
قليلاً) استقصروا مدة
لبثهم فى الدنيا وفى البرزخ
مع ما يعلون من طول
لبثهم فى الآخرة (وقل
لمبادى) أى المؤمنين
(يقولوا التى هى أحسن)
نزلت حين شكى أصحاب
التي صلى الله عليه وسلم اليه
أذى المشركين بمكة
واستأذون فى قتالهم فقل
لهل لهم يقولوا الكفار
الكلمة التى هى أحسن
وهو أن يقولوا يهدىكم الله
(ان الشيطان) هو الذى
يفسد بينهم (ربكم أعلم بكم
ان يشأ ربكم) أى
يوفقكم فتؤمنوا (أو ان
يشأ ربكم) أى بأن يمتك
على الكفر (وما أرسلناك
عليهم وكلاً) أى ما وكل
البيانهم فلس عليك
الا التبليغ (وربك أعلم
بمن فى السموات والأرض)
لأنه خالقهم (ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض)
عن علم منا بشأنهم ومعنى

أنها لا تقبل الحياة بحال أو حديد امع أنه أصلب من الحجارة وأخلفا غيرهما كائناً من الأشياء التى تنظم
فى اعتقادكم عن قبول الحياة كالسموات والأرض فلا بد من إجماد الحياة فيكم فإن قدرته تعالى لا تعجز
عن إحيائكم لا شراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاماً مفرقة وقد كانت طرية
موصوفة بالحياة من قبل والثى أقبل لما اعتيد به عالم بعد (فسيقولون) تأدبانى الاستهزاء (من
يعيدنا) أى من الذى يقدر على اعادة الحياة لنا اذا صرنا كذلك (قل الذى فطركم أول مرة) أى قل
أرشاداً لهم الى طريقة الاستدلال قالنى ابتداء خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم الى الحياة بالقدرة
التي ابتداءكم بها فكل ما تعجز تلك عن البداة لا تعجز عن الاعادة (فسينضون اليك روسهم) أى
فسيحركونها جهنم تعجبوا تكذيباً لقولك (ويقولون) استهزاء (من هو) أى الذى وعدنا
من الاعادة (قل عسى أن يكون) ذلك (قريباً) اذ كل آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان
اسرافيل بالنداء الذى يسمعكم من القبور وهو النفخة الأخيرة فإن اسرافيل ينادى أيها الاجسام
البالية والعظام والنخرة والأجزاء المتفرقة عودي كما كنت بقدره الله تعالى وبأذنه (فستنجبون
بمحمد) قال سعيد بن جبير أى فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن روسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبمحمد قال المفسرون حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال الرخشري بجمده حال منهم
أى حامدين وهذا بالمقابلة فيأتيهم لبيب (وتظنون) عند ما روى الاحوال الماثلة (ان لبثتم) أى
ما كنتم فى القبور أوفى الدنيا (الافلا) كالتى مر على قرية (وقل لمبادى) أى للؤمنين اذا أردتم
إتيان الحجة على المخالفين فاذكروها غير مخالطة بالشم والسب فيقابلونهم بمثل ولا يخافونهم بل
(يقولوا) لهم الكلمة (التى هى أحسن) كأن يقولوا يهدىكم الله وقيل نزلت هذه الآية فى عزمين
الخطاب شتمه بعض الكفار فأمر الله تعالى بالصفو (ان الشيطان يزعج بينهم) أى يهيج الشربين
الناس ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم الخصامة (ان الشيطان كان) فى قديم الزمان (للا انسان
عدوا مينا) أى ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم) أى عاقبة أمركم (ان يشأ ربكم) بأن
يوفقكم للايمان واللعرفة الى أن تموتوا فينجبكم من العذاب (أو ان يشأ ربكم) بأن يمتك على
الكفر فيعذبكم الا ان تلك الشبهة غائبة عنكم فاجتهدوا أنتم فى طلب الدين الحق واتصروا على
الباطل ثلاثاً تمروا محرومين عن السعادات الأبدية ويقال هذه تفسيرا لى هى أحسن أى قولوا لهم
هذه الكلمة ولا تقولوا أيها المؤمنون للمشركين انكم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشرع أن
عاقبة أمرهم مغيبة عنكم ففسر يهدىكم الله الى الايمان ويقال ان يشأ ربكم منهم وان يشأ يسلمهم
عليكم (وما أرسلناك عليهم وكلاً) أى موكلوا اليك أمرهم فتقصرهم على الايمان وأما أرسلناك
بشرا ونذير افتادهم ومراً أحبابك بالنداء عليهم فإن الذين عند الدعوة يؤثر فى القلب ويفيد حصول
المقصود (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض) أى بأحوالهم فيختار منهم لتبوءوا ولا يمتن يشاء
من يستحق ذلك وهو رد عليهم اذ قالوا يعيدنا يكون يتم أى طالب نبيا ولا يجوز إطلاق شتم على النبى
صلى الله عليه وسلم لاشعاره بالتعقيب حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كما فى الشفاء (ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لا بكمثرة الأموال والاتباع وهذا إشارة
الى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتنا داود ز بورا) فيه ذكر فضل سيدنا محمد

البؤس والسقم (ولا تحوّل)
 أى من السقم والفقر إلى
 الصحة والتي ثم ذكر
 أوليائه فقال (أولئك
 الذين يدعون يبتغون
 إلى ربهم الوسيلة) أى
 يبتغون الوسيلة إلى الله
 الخلة (يهم) هو (أقرب)
 أى الخلة أى الخلة أى الخلة
 الوسيلة إلى صالح الأعمال
 (وان من قرية إلا نحن
 مهلكوها قبل يوم القيامة
 أو نمذّبوها عبادة شديدة)
 الآية أى مامن قرية
 إلا استهلكها أو يموت أو
 بضاب يستأصلهم أما
 الصالحة قبل الموت وأما الطالحة
 قبل العذاب (كان ذلك
 في الكتاب مسطورا) أى
 مكتوبا في اللوح المحفوظ
 (وما معنا أن نرسل
 بالآيات) لما لاسأل للشركون
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يوسع لهم مكة
 ويجعل الصفا ذهابا أثناء
 جبريل فقال ان شئت
 كان ماسا وأولئكهم ان لم
 يؤمنوا لم ينظروا وان
 شئت استأنيت بهم وأزل
 الله تعالى هذه الآية وسماها
 المزمع بالآيات ثلاثا يكتب
 بها هؤلاء كما كذب الذين
 بن قلمهم ويستحقوا

(واذ قلنا لا إله إلا ربك أحاط بالناس) أي فهم في قبة مقدرة تمنع عنهم حتى تبلغ الرسالة ويحول بينهم أن يقتلوك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) يعني ما أرى ليلة أسرى به وكانت رؤيا يقطعة (والشجرة (٤٨٣) للموتى في القرآن) وهي شجرة الزقوم

(الافتنه للناس) وكانت

الفتنة في الروايات بعضهم

ارتد حين أعلمهم بقصة

الاسراء وازداد السكفار

تكذيبا وكانت الفتنة في

الزقوم أنهم قالوا إن محمدا

يُزعم أن في النار شجرا

والنار تأكل الشجر وقالوا

لأنصرف الزقوم إلا التمر

والزبد فأُزيل الله في ذلك

أما جعلناه فتنة للظالمين

الآيات (ونحوهم) بالزقوم

فما يزدادون إلا كُفرا

(وعتوا) قال يعني إبليس

(أرأيتك) أي أرايت

والسكفار نوكد للحاطبة

(هذا الذي كرمت على)

أي فضلك يعني آدم (لئن

أُخترتني إلى يوم القيامة

لأُنتسكن ذريته) أي

لأُستأصلن بالاغواء

ولأُستولين عليهم الاقليلا

يعني من عصم الله (قال)

الله تعالى (اذهب) أي

أُظفرتك إلى يوم القيامة

(لئن تبعلك) أي أطاعك

(منهم) أي من ذريته

(فإن جهنم جزاؤكم جزاء

موفورا) أي وأفرا

(واستغفر من استغفرت

منهم) أي أزعجه واستخفه

إلى إجاباتك بصوتك وهو

الثناء والزامير (وأُجلب

عليهم) أي وصح (تخلجك ورجلك)

واحتنهم عليهم بالاغواء وشبهه كل زكبي

معصية إله ورجله كل ماش على رجليه في معصية الله

(وشاركهم في الأموال)

وهو كل مال أُخذ بغير حق

مؤخر إلى يوم القيامة (واذ قلنا لا إله إلا ربك أحاط بالناس) أي وأذكر يا أشرف الخلق إذ بشرناك

بأن الله يغلب أهل مكة ويقرهم ويظهر دولتك عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر وعبر الله بالماضي

لأن كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة

المرج وهي ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على اليقظة يعني رأسم من عجائب الأرض والسماء (الافتنه

للناس) أي إلا امتحانا لأهل مكة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء فمنهم من كذبه

ومنهم من كفر بعد اسلامه ومنهم من نافق ومنهم من توقف في حاله ومنهم من تردد في قلبه ومنهم

من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم وازداد المخلصون إيمانا (والشجرة للموتى) أي للموتى

(في القرآن) وهي الزقوم أي وما جعلنا الشجرة للموتى في القرآن (الافتنه للناس) حيث قالوا إن محمدا

يُزعم أن نار جهنم تحرق الأحجار ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت في النار شجر قرطبة وهي

تحرق الشجر فينبسون قدام العجز عن خلق شجر في النار غافلين عن قدرته تعالى على كل شيء فإن

النعامة تنبت الجبل والحديد المحمي بالنار ولا يحرقها وإن السمندر وهي دويبة في بلاد الترك يتخذ

من وبره مناديل فإذا استخبط طرحت في النار فيذهب وسخها وتبقى سالمة لاتعمل فيها النار

(وتخوفهم) بشجرة الزقوم وبغلب الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) ذلك التخوف (الافتيان

كيرا) أي الأعداء في الضبية وتجاوزا عن الحد فلوانا أرسلنا بما افترحوه من الآيات لآزادوا

تماديا في العناد فأهلكوا بعباد الاستمصال كمادة من قبلهم وقد حكمنا بتأخير العقوبة العامة

لهذه الأمة إلى الظامة الكبرى (واذ قلنا للذين كانوا في الأرض (اسجدوا لآدم) بوضع

الجهة عليه امامه السجود له وهو قبله السجود وللنجد له هو الله تعالى (فسجدوا إلا إبليس)

وكان داخل تحت الأمر بالسجود لأنه مندرج تحت أمرهم (قال) عندنا وبغض الله تعالى (أسجد

لمن خلقت طينا) أي من طين (قال) أي إبليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذي كرمت

علي) أي أخبرني عن هذا الذي فضلك على بأمر لك بالسجود لهم فضلك على وأنا خير منه من

حيث أنا مخلوق من النضر العالي (لئن أُخترتني) إلى يوم القيامة لأُنتسكن ذريته) أي

لأُستأصلن بالاغواء أولا فودتهم إلى المصاعى كإتاحة الدابة بجلبها (الاقليلا) لأفقدن أن أقام

شكيتهم قرأ ابن كثير آخرت بآيات ياء التمسك في الوصل والوقف وقرأ طاسم وابن عامر وحمة

والسكائي بالخف وقرأ نافع وأبو عمرو وباتية في الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أي

امض لشأنك الذي اخترته واعلم (لئن تبعلك منهم) أي ذرية آدم في دينك (فإن جهنم جزاؤكم)

أي جزاؤكم ومن تبعلك (جزاء موفورا) أي مكمل فكل معصية توجد يحصل لإبليس مثل وزر

ذلك العامل لأنه هو الأصل فيها فلذلك يخاطب بالوعيد (واستغفر من استغفرت

منهم) استغفرتك أي بدعاتك إلى معصية الله تعالى (وأُجلب عليهم تخيلك ورجلك)

أي واجمع عليهم مصحوبا بجنودك الركاب للشاة فروى أبو الضحى عن ابن عباس أنه قال كل

راكب أو ماش في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم ورجلك

بكسر الجيم وفراشيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم في الأموال) أي في كل تصرف قبيح فيها

عليهم) أي وصح (تخلجك ورجلك) واحتنهم عليهم بالاغواء وشبهه كل زكبي

معصية إله ورجله كل ماش على رجليه في معصية الله

(وشاركهم في الأموال)

وهو كل مال أُخذ بغير حق

(وشاركهم في الأموال)

وهو كل مال أُخذ بغير حق

(وشاركهم في الأموال)

وهو كل مال أُخذ بغير حق

(وشاركهم في الأموال)

وهو كل مال أُخذ بغير حق

(والاولاد) وهوكل ولزنا (وعدهم) أن لاجنة ولانار ولايت وهذه الانواع من الامر كلها امر تهديد قال الله تعالى (وما يهدم الشيطان الاخرورا ان عبادى من المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) أى حجة فى الشرك (وكفى برك وكيل) أى لأوليائه يصمم من القبول من ابليس (ربكم الذى يزجي) أى يسير (لكم الفلك فى البحر لتبتنوا من فضله) أى فى طلب التجارة (انه كان بكم) أى بالمؤمنين (رحاوا اذا مسكم الضر) أى خوف الفرق (فى البحر ضل) أى زال وبطل (من تدعون) أى من الالهة (الاياه) أى الله (فلما تجاكم) (٤٨٤) من الفرق وأخرجكم (الى البر اعرضتم) أى عن الايمان والتوحيد

(والاولاد) أى فى الاضال القبيحة والحرف النميمه والاديان الزائفة والاسماء للنكرة (وعدهم) أى بالامانى الباطلة (وما يصمم الشيطان الاخرورا) أى ما يهدم من الامانى الكاذبة الا لأجل الضرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبادى) المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقطرة على اغواهم (وكفى برك وكيل) أى حفظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان قدرهم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يزجي لكم الفلك فى البحر) أى الذى يسوق لنا فلكم السفن على وجه البحر (لتبتنوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحما) حيث سهل عليكم ما يسر من أسباب ما يحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الفرق (فى البحر ضل) أى ذهب عن خواركم ما كنتم تبتدون من دون الله (الاياه) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لانكم تعلمون أنه لا ينجيكم سواه (فلما تجاكم) من الفرق وأخرجكم من البحر (الى البر اعرضتم) عن الشكر والتوحيد ورجعتم الى الاشراك (وكان الانسان كفورا) أى منكرا لنعم الله (أفأنتم أن تحسف بكم) أى تهجتم من هول البحر فأنتم أن تنور البر بكم (جانبا البر) الذى أتم فيه توضيكم تحت الأرى كما خسف بقارون (أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أى يحا ترمى حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيل) أى حافظا يحفظكم من ذلك (أفأنتم أن يبيدكم فيه) أى فى البحر تارة أخرى بأسباب تلجئكم الى أن تركوه وان كرهتم (يرسل عليكم قاصفا) أى كسرا (من الرجم فيفرقكم) بعد كسر فلككم فى البحر (بما كفرتم) أى بسبب اشراككم وكفرانكم لنعمة الانبىاء (ثم لا تجدوا لكم عينا بتيبنا) أى نارا ياطلنا بما فعلنا بكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو هذه الحصة أن تحسف أو ترسل أن يبيدكم فترسل فترفعكم بنون العظمة على سبيل الالتهات والبقاوت بقاء القبية (ولقد كرمتنا بنى آدم) بالصورة والقامة للعتدة والتسلط على ما فى الارض والتمتع بها والتكبر من الصناعات والعلم والطق وتناول الطعام باليد وغير ذلك (وحملناهم فى البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أى من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والسمن واللبان والنباتية كالثمار والحبوب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا) أى فضلناهم على غير الملائكة تفصيلا عظيما بالعقل والقوى للدركة التى تتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ويستعملوا قواهم فى تحصيل القوائد الحقة (يوم ندعو كل أناس باسمهم) أى بمن

(وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) أى لتعمة ربه جاحدا ثم بين أنه قادر أن يهلكهم فى البر فقال (أفأنتم) يريد حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر (أن تحسف بكم) أى تبيدكم ونهضكم فى جانب البر وهو الأرض (أو ترسل عليكم حاصبا) أى عذابا يحصمهم أى يرميهم بحجارة (ثم لا تجدوا لكم وكيل) يعنى مانعا ولا ناصرا (أم أمنت أن يبيدكم فيه) أى فى البحر (تارة) أى مرة (أخرى) ترسل عليكم قاصفا) أى ريحا شديدة تقصف الفلك وتكسره (فترفعكم بما كفرتم) أى بكفركم حيث سلمتم فى المرة الأولى (ثم لا تجدوا لكم عينا بتيبنا) أى نارا ولا ناصرا والمعنى لا تجدوا من يقيضنا بانكار ما نزل بكم

(ولقد كرمتنا) أى فضلنا (بنى آدم) أى بالعقل والطق والتمييز (وحملناهم فى البر) اقتدوا

أى على الابل والحيل والبغال والحمر (والبحر) أى وفى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أى الثمار والحبوب واللواتى والسمن والزبد والجلود (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) يعنى البهائم والدواب والوحش (يوم ندعو) يعنى يوم القيامة (كل أناس باسمهم) أى نبيهم. وهو أن يقال هاؤا متبى ابراهيم هاؤا متبى موسى هاؤا متبى عيسى هاؤا متبى محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم أهل الحق فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال هاؤا متبى الشيطان هاؤا متبى رؤساء الضلالة وهذا معنى قول ابن عباس امام هدى أو امام ضلالة وقوله

(ولا يظلمون فتيلاً) أى لا ينقصون فتيلاً من الثواب وهي القشرة التي في شق النواة (ومن كان في هذه) أى في الدنيا أعمى القلب عما يرى من قدرتي في خلق السموات والأرض والشمس والقمر وغيرها (فهو في الآخرة) أى في أمم الآخرة بما يغيب عنه (أعمى) أى أشد عمى (وأضل سبيلاً) أى وأبعد سجيحة (وان كادوا) الآية نزلت في وقت تعذيب أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا متعنا بالآلات سنة وحرم وادينا كما حرم مكة فأنحجب ان تعرف العرب فضلنا (٤٨٥) عليهم فأن خشيتم ان تقول العرب

أعطيتهم ما لم تمنحنا فقل الله أمرني بذلك وأقبلوا يلحون على النبي ﷺ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقدمهم أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى (وان كادوا) أى هم أو قاربوا (الفتنوك) أى ليستزلونك (عن الذي أوحينا إليك) يعني القرآن ولعن عن حكمه وذلك ان في اعطائهم ما سألو غلظة لحكم القرآن (لتفتري علينا غيره) أى لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك وهو قولهم قل الله أمرني بذلك (واذا) أى لو فعلت ما أرادوا (لا تخذوك خيلاً) ولولا أن تبنتناك (أى على الحق بصمتنا اياك) لقد كنت تركن (أى تميل (إلهم شيئاً قليلاً) أى ركنوا قليلاً ثم رعدوا على ذلك لوفعه فقال (إذا) لأدناك ضعف الحياة أى ضعف عذاب الدنيا (وضف المات) أى ضعف

افتدوا به روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ينادى يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فأخذون كتبهم بأيديهم ثم ينادى يا أتباع فرعون يا أتباع نمرود يا أتباع ثمود وقال الضحاك وابن زيد أى يكتبهم الذي أنزل عليهم فينادى في القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل وقال الربيع وأبو العلية والحسن أى بكتاب أعمالهم كأن يقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر وقيل بغيرهم فيقال يا خفي يا شافي يا معزى يا قدرى ونحو ذلك وقرأه يدعى كل أناس على البناء للفعول (فن أو في كتابه يمينه) وهم أولو البصائر في الدنيا (فأولئك يقرأون كتابهم) الذي أعطوه تبجحاً بما سطر فيه من الحسنات (ولا يظلمون) أى لا ينقصون من أجور أعمالهم المكتوبة في كتبهم (فتيلاً) أى قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أى من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرة الله في خلق السموات والأرض والبحار والجلال والناس والنبات وعن الشجر عن النعم المذكورة في الآيات للتقدمة فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والهشة على قلبه فيثقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلاً) من الأعمى لتحط الآلات بالكلية (وان كادوا ليقتنوك عن الذي أوحينا إليك) أى ان الشأن قاربوا ان يزولوك عن حكم القرآن (لتفتري علينا غيره) أى لتكتب علينا غير الذي أوحينا إليك (واذا لا تخذوك خيلاً) أى لو ابنت أهواهم لكنك وليهم ولنخرجك من ولايتي قال ابن عباس في رواية عطاء قسم وقد تعجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله شططا وقالوا متعنا بالآلات سنة وحرم وادينا كما حرم مكة شجرها وطيرها وحشها فأنى رسول الله ﷺ ذلك ولم يحجبهم فكرى وذلك الانحسار وقالوا انا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فان كرهت ما تقول وخشيتم ان تقول العرب أعطيتهم ما لم تمنحنا فقل الله أمرني بذلك فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أمار ون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما نذره ثم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولولا أن تبنتناك لقد كنت تركن إليهم شيئاً قليلاً) أى لولا تبنتناك اياك على الحق بصمتنا اياك لقرار بت أن تبذل إليهم شيئاً يسيراً فيما طلبوك (إذا) لوقارب الليل من قلبك (لأدناك ضعف الحياة و ضعف المات) أى لصار عذابك مثلى عذاب للمشرك في الدنيا ومثلى عذابه في الآخرة (ثم) اذا أدناك العذاب للضعف (لا تخذ لك علينا نصيراً) أى أحدا يخلصك من عذابنا (وان كادوا ليستفزونك) أى ليستزلونك (من الأرض ليخرجوك منها) واذا لا يلبثون خلافتك الا قليلاً (أى واذا لو أخرجوك لا يلبثون بعد اخراجك الا زماناً قليلاً حتى يهلكهم قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة حسده اليهود وكرهوا قربهم منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الأنبياء انما بشوا بالشام وهي بلاد مقدسة

عذاب الآخرة يعني ضعف ما يجنب به غيره (وان كادوا ليستفزونك) يعني اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الأنبياء انما بشوا بالشام فان كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت اليها آمنابك فوقع ذلك في قلبك اياهم فأنزل الله هذه الآية. معنى ليستفزونك ليزعجوك من الأرض يعني المدينة (واذا لا يلبثون خلفك الا قليلاً) أعلم الله انهم لو فعلوا ذلك ليلبثوا حتى يتسألوا كسبتنا فيمن قبلهم وهو قوله

وكانت مسكن إبراهيم فلو خرجت إلى الشام أمنا بك واتبعتك وقد علمنا أنه لا ينمك من الخروج
 إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فإله ما نك منهم فمكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 أميال من المدينة حتى يجمع إليه أصحابه ويراها الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول
 الناس في دين الله فزلت هذه الآية فرجع ثم قتل منهم بئريضة وأجل بني النضير بدم من قليل وعلى
 هذا فالآية مدينة والرد بالآية أرض المدينة وهذا قول الكلبي وقال قتادة ومجاهد هم للشركون
 أن يخرجوا رسول الله ﷺ من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالمهجرة فخرج بنفسه
 فأهلكوا بيدر بسجرتهم ﷺ وعلى هذا فالآية مكية والرد بالآية أرض مكة وهذا اختيار
 الزجاج وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وشعبة خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباقيون
 خلافك بكسر الخاء وفتح اللام مع اللد (سنة من قدأرسلنا قبلك من رسلنا) أي سناسنة فيمن
 قدأرسلنا قبلك أي إن عادة الله أن يهلك كل قوم آخر جوانبهم من بينهم (ولا تجدلسنا تحولا)
 أي تغييرا أي أن ما جرى الله تعالى به العادة لا يقدر أحد أن يبدل تلك العادة (أتم الصلاة لملوك
 الشمس) أي لأجل زوال الشمس عن كبد السماء (إلى غسق الليل) أي إلى اجتماع ظلمة الليل وهو
 وقت صلاة العشاء والتي أتم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى ظلمة الليل بأن يدم كل صلاة في وقتها
 فيدخل في هذا الظهر والعصر والغرب (وقرآن الفجر) أي أتم صلاة الفجر (إن قرآن الفجر
 كان مشهودا) تحضره الملائكة الكاتبون والحفظة فانهم يتعاقبون على ابن آدم في صلاة الصبح
 وصلاة العصر وتشهده شواهد القنطرة من تبدل الظلمة بالضاء وتبدل النوم بالانتباه فتشهد العقول
 بأنه لا يقدر على قلب كاية هذا العالم إلا الخالق للدر بالحكمة البالغة وتشهده الجماعة الكثيرة
 (ومن الليل فتهجد) أي وقم بعض الليل فارك النوم في ذلك الوقت للصلاة وقيل المعنى تهجد
 بالقرآن بعض الليل أي صل في ذلك بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك في كثرة الثواب وارتفاع
 الدرجات مختصة بك فإن كل طاعة يأتي بها النبي ﷺ سوى المكتوبة لا يكون تأثيرها في كثرة
 الذنوب البتة لأن الله تعالى قد غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات
 وكثرة الثواب فلهاذا سميت نافلة بخلاف الأمة فإن لهم ذنوباً يحتاج إلى الكفارات فلهذا الطاعات
 لم تكفر الذنوب فلهاذا السبب قال تعالى نافلة لك أي أن الطاعات هذه زوائد حق لك لا في غيرك
 كأنقل عن مجاهد والسدي ومن قال أن صلاة الليل كانت واجبة على النبي ﷺ قالوا معني نافلة
 لك أن صلاة الليل فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمك (عسى أن يعثبك
 ربك مقام محمودا) أي أن يقيمك ربك مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو
 هريرة أن رسول الله ﷺ قال للقائم المحمود هو القائم الذي أشفع فيه لأمي (وقل رب أدخلني مدخل
 صدق) أي في المدينة (وأخرجني مخرج صدق) أي من مكة إليها وذلك حين أمر النبي بالمهجرة فكأفاله
 ابن عباس والحسن وألغى وأخرجني من المدينة إلى مكة غالباً عليها بشخصها وقيل الأكمل بما سبق أن
 يقال رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والأخلاص وحضور قلبي بذكرك ومع القيام
 بلازم شكرك والأكمل من ذلك أن يقال رب أدخلني في القيام بمهمات أداء شريعتك وأخرجني
 بعد الفراغ منها إخراجا لا يبق على منها تبعة والأعلى بما سبق أن يقال رب أدخلني في بحار دلائل
 توحيدك وتزيهك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل إلى ضياء معرفة للقول ومن التأمّل في آثار حدوث
 الحوادث إلى الاستمرار في معرفة الفرد للآخرة عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلني القبر إدخالاً من ضياء

تحويلاً أي لا خلف
 لستني ولا يقدر أحد أن
 يقلبها (أتم الصلاة) أي
 أتمها (لملوك الشمس)
 أي من وقت زوالها (إلى
 غسق الليل) أي إقباله
 بظلامه فيدخل في هذا
 صلاة الظهر والعصر
 والعشاء (وقرآن الفجر)
 يعني صلاة الفجر سهاها
 قرأنا لأن الصلاة لا تجوز
 الاشران (إن قرآن
 الفجر كان مشهودا) أي
 تشهد ملائكة الليل
 والنهار (ومن الليل
 فتهجد) أي فصل (به) أي
 بالقرآن (نافلة لك) أي
 زيادة لك في الدرجات
 لأن غفر له ما تقدم من ذنبه
 وما تأخر فأمره بعمل من عمل
 سوى المكتوبة فهو نافلة
 له من أجل أنه لا يعمل
 ذلك في كثرة الذنوب
 (عسى أن يعثبك) عسى
 من الله واجب ومعنى
 يعثبك (ربك) أي يقيمك
 ربك في مقام محمود وهو
 مقام الشفاعة يحمد
 فيه الخلق (وقل رب
 أدخلني) لما أمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 بالمهجرة أنزلت عليه هذه
 الآية ومعناها أدخلني
 للمدينة أدخل صدق أي
 أدخلنا حسناً لأرى فيه

(واجعل لي من ذلك سلطانا نصيرا) أي قوة بالقدرة والحجة حتى أقبح يهوديك (وقل جاحلق) أي الاسلام (وزهق الباطل) اضمحل الشرك (ان الباطل) أي الشرك (كان زهوقا) أي مضمحلا زائلا مرأى يقول هذا عند دخول مكة يوم الفتح (ونزل من القرآن) أي من الجنس الذي هو قرآن (ما هو شفاء) أي من كل داء لان الله يشفع به كثيرا (٤٨٧) من الكسار (ورحمه للؤمنين)

أي ثواب لا انقطاع له في تلاوته (ولا يزيد) يعني القرآن (الظالمين) أي الشركين (الاخسار) لانهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه (واذا أنعمنا على الانسان) يريد الوليد بن المغيرة (أعرض) أي عن العداوة والانهال فلا يتنهل في البقاء كاتيهاله في البلاء والهنه (ونأى بجانيه) أي بعد بنفسه عن القيام بحقوق الله (واذا مسه الشر) أي أصابه المرض والفقر (كان يؤسا) أي شئ من رحمة الله لانه لا شئ بتفضل الله علي عباده (قل كل يعمل على شاكلته) أي على مذهبه وطريقته فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الاعراض عند الانعام والبأس عند الشدة واللؤم يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر والاحتساب عند البلاء الأثرى أنه قال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي بالمؤمن

واخبرني منه عند البعث اخراجا فرضا لما يلي بالكرامة (واجعل لي من ذلك سلطانا نصيرا) أي اجعل لي في هذا البلد من ذلك قوة ظاهرة في تثبيت دينك واظهار شرعك واجعل لي من عندك حجة بينة تنصرفي بها على جميع من يخالفني (وقل جاء الحق) أي ظهر الاسلام (وزهق الباطل) أي هلك الشرك وتسويات الشيطان (ان الباطل) أي أي باطل كان (كان) بجبلته (زهوقا) زائلا على أسرع الوجوه (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من جميع الأمراض الظاهرة والباطنة (ورحمه للؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم المالية والأخلاق الفاضلة التي يصل بها الانسان الى قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الاخسار) أي لا يزيد القرآن للشركين الاهلاك بتكذيبهم (واذا أنعمنا على الانسان) بأن وصل الي مطلوبه (أعرض) أي اغتر وصار غافلا عن طاعة الله (ونأى بجانيه) أي تباعد من أهل الحق ولم يقند بهم نظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه الشر) أي أصابه بلاء (كان يؤسا) أي فتوتا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل كل) أي كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أي طريقته التي توافق حاله في الهدى والضلالة فان كانت نفسه طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أصوب طريقا (ويسألونك عن الروح) التي هو سبب حياة البدن ينفخه فيه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعل ربي أي أومن علم ربي فانه ما أخص الله تعالى بعلمه ربي أن اليهود قالوا لقرين سلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا أو سكت فليس بني وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو بني فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصتين وأبهم شأن الروح وهو مهم في التوراة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة حقيقة الروح وقال بعضهم جاء في الخبر في بعض الروايات أن الله تعالى خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى ألا له الخلق والأمر ببارك الملمين فبصر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخي بالأمراض والأمر هو الأوليات التي خلقها الله تعالى للبقاء بمحض الأمر التكويني من غير تحصيل من أصل وهي الروح والعقل والقلب والالواح والعرش والكرسي والجنة والنار وسمى عالم الأمر أمرا لان الله أوجده بلا واسطة شيء بل بأمر من لا شيء ولما كان أمره تعالى قديما عما يكون بالأمور القديم كان باقيا وان كان حادثا وسمى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بواسطة شيء مخلوق خلقه للفناء فسمى الروح من أمر ربي انه من عالم الأمر والبقاء لامن عالم الخلق والفناء اه فلا يمكن تعرف الروح بمباديه ولا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما للممكن هذا القدر الاجمالي ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم

الذي لا يعرض عند التعمه ولا يأس عند الحنة (ويسألونك) يعني اليهود (عن الروح) وهو ما يحيى به البدن سأله عن ذلك وحقيقته وكيفيته وموضع من البدن وذلك بما يحضره به أحدا ولا يبط علمه أحدا من عباده فقال (قل الروح من أمر ربي) أي من علم ربي أي انكم لا تعلمونه وقيل من خلق ربي أي أن خلقه (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وكانت اليهود يدعي علم كل شيء بما في كتابهم فقيل لهم وما أوتيتم من العلم الا قليلا بالإضافة الى علم الله

(ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) أي لنحوهن من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجلهن (ثم لنجدنك به علينا وكذا) أي لنجد من تتوكل عليه فردشي منه (الارحمة من ربك) أي لكن الله رحيم فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين (ان فضله كان عليك كبيرا) أي حيث جعلك سيد ولد آدم (٤٨٨) وأعطاك اللقाम الحمود (قل لئن اجتمعت الانس والجن الآلة لمانعاهم

الاقبلا أي وما أعطيت من العلم فباعن الله الاعمال قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) من القرآن أي لنزيل العلم به عن القلوب وعن الصالح (ثم لنجدنك به) أي القرآن (علينا وكذا) أي من تتوكل عليه في استرداد شي منه محفوظا مسطورا (الارحمة من ربك) أي لكن أبقيناه الى قريب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والصالح (ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن عليك وبجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطائك اللقام الحمود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكال المعنى لا يقصرون على آياتين وملائكة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكال المعنى لا يقصرون على آياتين مثله وتخصيص الثقلين بالذکر لان للسكر في كونه من عند الله تعالى منها لامن غيرها لانان غيرها قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا بضم أقوى مافيه الى أقوى مافي حاجبه (ولقد صرفنا) أي كررنا بوجوه مختلفة توجب زيادة بيان (لناس) أي لاهل مكة (في هذا القرآن) المنوع بالنوع الفاضلة (من كل مثل) أي من كل معنى يدع يشبه للثل في الفرية ليتقوم القبول (فأني أكثر الناس) أي فلم يرض أكثر أهل مكة (الا كفورا) أي جصودا للحق (وقالو) عند ظهور عجزهم بالقرآن وغيره من المعجزات الباهرة (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أي أرض مكة (ينبوعا) أي عينا لا ينبض ماؤها (أو تكون لك) وحده (جنة) أي بستان نستر أشجاره مانتها من العرصة (من نخيل وعنب) أي وأشجار عنب وعبر بالجرة لان الاتفاغ بغيرها من الكرم قليل (فتفجر) أي أنت (الأنهار خلاها) أي وسطها (تفجيرا) والرادجاء الأهرار في وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها وتفجر الأولى تكون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم عند عاصم وحزمه والكسائي وضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم الشدة عند الباين ولم تختلف السبعة في تفجير الثانية أنها شدة (أو تسقط السماء كما زعمت) بقولك ان نسا تخسف بهم الارض أو تسقط عليهم كسفان السماء (علينا كسفا) أي قطعا بالذاب (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي مقابلين ومرتئين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى في السماء) أي تصعد اليها (ولن نؤمن لربك) أي لصعودك الى السماء أسلا (حتى تزل علينا كتابا) من الله (نقرؤه) فيه أنك رسول الله النأي لم يظهر لهم كون القرآن معجزا اتسوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المعجزات كما حكي عن ابن عباس أن رؤساء أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فيرهبها لا تنفع بها جحر لا تغنيها عيوننا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلاها نفعجوا فقال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من زخرف فينكحنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع أن تأتي قومك بما يسألونك

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وعجزوا عن معارضته أنزل الله قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في نظموه ولاغته (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا مثل ما يتعاون الشرا على بيت شعر فيقيمونه (ولقد صرفنا) أي بينا (لناس) يعني أهل مكة (في هذا القرآن من كل مثل) أي من الأشكال التي يجب الاعتبار بها (فأني أكثر الناس) أي أكثر أهل مكة (الا كفورا) أي جصودا الحق واقترحوا من الآيات ما ليس لهم وهو قوله (وقالو لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر) أي تسحق (لناس الارض ينبوعا) أي عينا وذلك أنهم سألو أن يجري لهم نهرا كنهال الشام والوراق (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلاها تفجيرا) هذا أيضا كان فيما اقترحوا عليه (أو تسقط

قال

السماء كما زعمت) أنزل بك ان شاء الله ذلك (علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي تأتيهم حتى تراهم مقابلين وعيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وكان فيما اقترحوا عليه أن تكون لهم جنات وكنوز وقصور من ذهب (أو ترقى في السماء) وذلك أن عبادة الله في أمية قال لا آمن بك يا محمد أبدأ حتى تتخلى السماء لسماعهم ترقى فيه وأنظر حتى تأتينا وتأتي بنسخة مشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فقال الله

يعني أهل مكة (أن يؤمنوا)
أي الإيمان (اذ جاءهم
الهدى) يعني اليان وهو
القرآن (الأن قالوا) أي
الا قولهم في التجنب
والانكار (أبت الله بشرا
رسولا) أي هلا بعت
ملكافضل الله تعالى (قل
لو كان في الأرض) بدل
الآدميين (ملائكة
يعشون مطمئنين) أي
مستوطنين الأرض (لزلنا
عليهم من السماء ملكا
رسولا) يريدان الأبلغ في
الاداء اليهم بشر مثلهم
وقوله (ونخسرهم يوم
القيامة على وجوههم) أي
يعشهم الله على وجوههم
(عيا) لا يرون شيئا يسرهم
(وبكا) أي لا ينطقون
بمحبة (وصا) أي
لا يسمعون شيئا يسرهم
وقوله (كنا خبت) أي
سكن لهم (زدناهم سيرا)
أي نارا تنسر (ذلك
جزاؤهم) هذه الآية مفسرة
في هذه السورة (أول بروا)
أي أول ما يعلم (ان الله
الذي خلق السموات
والارض قادر على أن
يخلق مثلهم) أي يخلقهم
ثانيا وأراد بمثلهم إياهم وتم
الكلام ثم قال (وجعل لهم
أجلا لربيفي) يعني أجل
الوئ وأجل القيامة (فأني

فقال لا أستطيع قالوا فإذا كنت لا تستطيع الخيرة فاستطع الشرف أفسط السماء كما عمت علينا كسفا فقال
عبد الله بن أمية المخزومي وهو ابن عاتكة تحت صلى الله عليه وسلم لا أومن بك بأدب حتى تشدلسنا الى
السماء فتصعد فيه ونحن ننظر اليك فتأتى بنسخة منشورة ممك بأر بة من للملائكة يشهدون لك
بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أنؤمن بك أم لا تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا
فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل وقرأ ابن كثير وابن عباس قال بصيغة الماضي (سبحان ربي) أي أنزه
ربي عن أن يكون له آياتين وذهبوا وأعجب من اقتراحاتهم (هل كنت الا بشرا رسولا) أي مأمورا
من قبل ربي بنبيلغ الرسالة كآثر الرسل لا يؤمن قومه الخ بما يظهره الله عليهم من الآيات (وامنع
الناس) أي أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبوتك (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن (الأن قالوا) أبت الله بشرا
رسولا) الينأى وامنع الناس من الإيمان وقتجي الوحي الاعتقادهم ان الله تعالى لو أرسل رسولا
الى الخلق لوجب أن يكون من للملائكة وانكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهننا
جوابا لقولهم (لو كان في الأرض ملائكة يعشون) عليها (مطمئنين) أي قاربن فيها من غير أن
يعرجوا في السماء (لزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي لو كان أهل الأرض ملائكة لوجب
أن يكون رسولهم من للملائكة أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر
لتمكثهم من الاجتماع والفهم منه لما تشبه له في الجنس (قل) لم (كني بالله) وحده (شيدنا بيني
وبينكم) بآتي رسوله اليكم (انه كان عباده خيرا بصيرا) أي يحيط بيواطن أسوأ لهم وطورا هراهاى
فأنكم انما أنكرتم هذا لحض الحسد والاستكفاف من الاقياد للحق (ومن يهده الله فهو ابدا للهدى)
بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكيف وأما في النطق فقرأ نافع وأبرمرو بابيات الباء وصلوا
وحذفوا وفقا وحذفوا الباقون في الحالين (ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) أي أنصارا (من
دونه) تعالى يهونهم الى طريق الحق أي لمن سبق لهم حكم الله بالإيمان وجب أن يضروا مؤمنين
ومن سبق لهم حكم الله بالضلال استحال أن يتقبلوا عن ذلك الضلال وان يوجد من يصرفهم عنه
(ونخسرهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يعشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عيا)
لا يبصرون ما يسر أعينهم (وبكنا) لا ينطقون ما قبل منهم (وصا) لا يسمعون ما يبلذ
مسامهم (ما وأهم جهنم كذا خبت) أي سكن لهم بعد أكل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم
ما يتعلق به النار (زدناهم سيرا) أي توفدنا إعادة الجلود واللحوم ولعل ذلك عقوبة لهم على
انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرير هامة بعد أخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها رها (ذلك)
العذاب (جزاؤهم) بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة (وقالوا) منكبرين
لقدرتنا (أنذا كنا عظاما ورفانا) أي ترابا رميا (أنتالبعوثون خلقا جديدا) أي شيا جديدا
(أول بروا) أي ألم يتفكروا ولم يبصروا سيون قلوبهم (أن الله الذى خلق السموات والارض
قادر على أن يخلق) أي يعيد بالاحياء (مثلهم) وجعل لهم أجلا لربيفيه) أي وقامعوا لمعند الله
لا شك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأني الظالمون) أي لم يقبل المشركون بعد هذه
الدلائل الظاهرة (الا كفورا) أي جحودا للأجل (قل لو أنتم تعلمون خزان رحمة ربي) أي
خزان رزقه التي أقاضها على كافة للوجودات (إذا لأسكنكم) ماملككم (خشية الانفاق) أي مخافة

(٦٢) - (تفسير مراح لبيد) - (أول) الظالمون) أي المشركون (الا كفورا) أي جحودا بذلك الاجل وهو البعث والقيامة
(قل لو أنتم تعلمون خزان رحمة ربي) أي خزان الرزق (إذا لأسكنكم) أي ليخلفكم (خشية الانفاق) أي خشية أن تنفقوا فتفقدوا

(وكان الانسان قنورا) أى فقير بما ذكر قصة موسى وما آتاه الله من الآيات فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وهى اليد والعصا وفاق البحر والطمسة وهى قوله بنا طمس على أموالهم والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (فأسأل) أى محمد (بنى اسرائيل) أى المؤمنين من قريظة والنضير (اذ) (٤٩٠) جاءهم) بنى جاءهم وهذا سؤال استفهام ليعرف اليهود محتما يقول محمد بقول

علمائهم (فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا) أى ساحرا (فقال موسى) لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) أى عبرا ودلالات (واى لأظنك) أى لأعلمك (يا فرعون مشبورا) يعنى ملعونا مطرودا (فأراد) يعنى فرعون (ان يستفزههم) أى يخرجهم يعنى موسى وقومه (من الأرض) يريد أرض مصر وقوله (فأذا جاء وعد الآخرة) يريد القيامة (جئنا بكم لقيفا) أى بجمعين مختلفين (وبالحق أنزلناه) أى أنزل القرآن بالدين القام والأمر الثابت (وبالحق نزل) يريد محمد نزل القرآن أى عليه كما تقول نزلت يزيد (وما أرسلناك) أى محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرأنا فرقاها) أى قلعناها آية آية وسورة سورة فى عشرين سنة (لتقرأ على الناس على مكث) أى تؤدء وترسل ليغموه (ونزلناه

الفقر فلا فائدة فى اسعافكم بذلك للطلوب الذى التسموه (وكان الانسان قنورا) أى بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى واضحات الدلالة على نبوته وهى اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون وتقص الثمرات (فأسأل بنى اسرائيل) أى فأسأل يا أنصف الرسل بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمانك عن موسى فى ما يرى بينو بين فرعون وقومه ليعلموا صدق ما ذكرته عند المشركين فىكون هذا السؤال سؤال استنهاد وهذا الجملة اعتراضية بين العامل والمعمول (اذ جاءهم) أى حين جاء موسى بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمانه عليه السلام وهذا الطرف متعلق بآيتنا فأظهر ما آتينا من الآيات عند فرعون وبلغة ما أرسل به (فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا) أى مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسائى بضم التاء والياقوت بفتحها فالضم قراءة على والفتح قراءة ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على (الا رب السموات والأرض بصائر) أى أدلة ظاهرة يستدل بها على صدق ولكنك تنسرها للحسد وحب الدنيا (واى لأظنك) أى لأعلمك (يا فرعون مشبورا) أى ملعونا نمنوع من الخير (فأراد أن يستفزههم) أى أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الأرض) بالقتل (فأغرقناه ومن معه جميعا) فى البحر (وقلنا من بعده) أى من بعده افرقه (لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أى أرض الشام ومصر (فاذا جاء وعد الآخرة) أى البعث ببدلوت (جئنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لقيفا) أى مختلفين أى وهم فى خطا جميع الحق السلم والكافر والبر والفاجر ثم يحكم بينهم وغير سعادكم من أشقيائكم (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أى ما رددنا بزال القرآن الا اثبات الحق وكأنا ندها الذى فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد انزاله عليك ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا ملتبسا بالحكمة للقتضية لانزاله وما نزل الامتسبا بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما أرسلناك) أى أفضل الخلق (الا مبشرا) للطبع بالثواب (ونذيرا) للعاصى بالعقاب ف هؤلاء الجهال الذين اقتروا عليك تلك المعجزات وتمردوا عن قبول دينك لاشي عليك من كفرهم (وقرأنا فرقاها) وقراء العامة بتخفيف الراء لى يباحلله وحراره أو فرقنا بين الحق والباطل وقرأ على جماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أى فرقنا آياته بين أمر ونهى وحكم وأحكام ومواظ وأمثال وقصص وأخبار ما تيسر ومستقبلة أو نزلنا مفرا فى ثلاث وعشرين سنة أو فى عشرين سنة على الخلق فى تقرر النبوة والسالة وتعاقيما (لتقرأ على الناس على مكث) بضم الليم وفتحها أى على تأني لتكون الاطاعة على دقايقه وحقايقه أسهل (ونزلناه) من عندنا (تنزيلا متفرقا آية وآيتين وثلاثا وهكذا بحسب مقتضى الحكمة وما يحصل من الوقايع (قل) للذين اقتروا تلك المعجزات (آمنوا به) أى القرآن (أولا تؤمنوا) فان ايمانكم به لا يزيدكم كمالا وامتناعكم عن الايمان به لا يورثه نقصا (ان الذين آمنوا العلم من قبله) أى من قبل نزول القرآن منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي (اذا يتلى) أى القرآن (عليهم ينحرون للادقان) أى يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (سجدا) لله شكرا على انجاز وعده فى تلك الكتب

تنزيلا أى مجزأ بدينهم وشيئا بعد شيئا (قل) لاهل مكة (آمنوا به) أى بالقرآن (أو لا تؤمنوا) وهذا تهديدا أى فقد أنذر الله وبلغ رسوله (ان الذين آمنوا العلم من قبله) أى من قبل القرآن يعنى ناسا من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد ﷺ خروا ساجدا وقوله (اذا يتلى عليهم ينحرون للادقان سجدا)

من يشتك وزول القرآن (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) أي تنزيها لعن خلف
وعده (ان) أي ان الشأن (كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبث محمد صلى الله عليه وسلم
(لفعلوا) أي منجزا (ويخرون للاذقان) للسجود لما أثر فيهم من مواضع القرآن (يكون)
من خشية الله (ويزيدهم) أي القرآن أو البكاء أو السجود أو التلاوة (خشوعا) أي تواضعا لله كما
يزيدهم يقيناً بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أي سموا للصعود بحق بهذا الاسم قال ابن
عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجود ما اقتضاه من فقال أبو جهل
ان محمداً يهنا ناعن ألهتنا وهو يدعو الهين فأزل الله هذه الآية أي ان شتمت قولوا بالله وان شتمت قولوا
يارحم (أي امدعوا فله الاسماء الحسنى) أي أي هذين الاسمين سميت فهو حسن لأن المسمى بذلك
الاسماء الحسنى ومعنى حسن أسماء الله كونها مفيدة لمعاني التحميد والتقديس والتعظيم والتعظيم
وعلى صفات الجلال والكمال (ولا تنهر بصلاتك) أي بقرأة صلاتك (ولا تخافت بها) أي بقرأتها
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة
فإذا سمعه للمشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى تعالى إليه ولا تنهر بصلاتك فيسمع للمشركون
فيسبوا الله عدواً بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أصصا بك (وانتع بين ذلك) أي اطلب بين الجهر
والخافتة (سبيلا) أي أمراً وسطاً وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة
وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلجاء النهار وجاء أبو بكر وعمر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني بكرم تخفي صوتك فقال أناجي في وقد علم حاجتي وقال لعمر
لم ترفع صوتك فقال أنزجر الشيطان وأوقف الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته
قليلاً وعمر أن يخفض صوته قليلاً (وقال الله هذه الذي لم يتخذ ولداً) كإزعم اليهود والنصارى وبنو
مليح حيث قالوا عزير ابن الله واليسعيا بن الله والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج
فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل من له ولد يسلك جميع النعم لولده فإذا لم يكن
له ولد أفاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان منقضيًا فلا يقدر على كمال الانعام في كل
الوقاات فلا يستحق الحمد على الإطلاق (ولم يكن له شريك في الملك) أي في الألوهية كما يقوله الثنوية
القائلون بتعدد الآلهة لأنه لو كان معه آله آخر لتصرف في الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم
حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر (ولم يكن له ولي من الدن) أي
ناصر منه لا يؤلجأ عليه ناصر من أجل النعمة يجب شكره لجواز أن يكون غيره تعالى حمله على الانعام
أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتحميد يجب أن يكون مقرونا بالتكبير والتكبير يكون في ذاته
تعالى بأن يتقدّمه واجب الوجود لذاته وأنه غنى عن كل ما سواه وحفاته بأن يتقدّم كل صفة له
فهو من صفات الجلال والكمال والبر والعلو وكل واحد من تلك الصفات لانها في كل صفة له
قد تم من مدته منزّهة عن التبعية وفي أقواله أن يقول أنا محمد الله ونكبره عن أن يجري في سلطانه شيء
لا على وفق حكمه وإرادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته وإرادته وفي أحكامه بأن يتقدّمه ملك مطاع
فلا اعتراض لأحد عليه في شيء من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء وفي أسماؤه بأن لا يذكر إلا بأسمائه
الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته اللزّمة ثم ينهى العبد ببدأً ببالغ في التكبير والتعظيم والتحميد والطاعة
مقدار عقده وفهمه أن يعرف أن عقده وفهمه لا يفي بحرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكر مواعظ الله لا تفي
بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره واقفاً بكنهه مجده وعزته وروى أن قول العبد الله أكبر خير
من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح التلام من بني

ويقولون سبحان ربنا
تنزيها لعن خلف الوعد
(ان كان وعد ربنا
لفعلوا) أي وعده بانزال
القرآن وبث محمد
(ويخرون للاذقان) كرر
القول لتكرار الفعل منهم
(يكونون يزيدهم) القرآن
(خشوعا) أي تواضعا لله
كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول في دعائه يا الله
يارحم فسمع ذلك أبو
جهل فقال ان محمداً يهنا
أنضيد الهين وهو يدعو
لهما آخر مع الله يقال له
الرحمن فأزل الله (قل)
يا محمد (ادعوا الله) يا معشر
الؤمنين (أو ادعوا الرحمن)
أي ان شتمت قولوا بالله
وان شتمت قولوا يا رحمن
(أي امدعوا) أي أي
أسماء الله تدعوا (فله)
الاسماء الحسنى ولا تنهر
بصلاتك أي بقرأة
فيسمعا للمشركين
فيسبوا القرآن (ولا تخافت
بها) يعني ولا تخفها من
أصصا بك فلا تسمعه
(وانتع بين ذلك سبيلا)
أي اسلك طريقاً بين الجهر
والخافتة وقوله (ولم يكن
له ولي من الدن) أي لم يكن
له ولي ينصره عن استدله
(وكبره تكبيرا) أي
وعظمه عظمة نامة

﴿تفسير سورة الكهف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) أى اختلافاً والنباسا (قيا) أى مستقيماً يريد أنزل على عبده الكتاب قياً ولم يجعل له عوجاً (لينذر) الكافر بن (بأساً) أى عذاباً (شديداً من لدنه) أى من قبله وقوله (أجرأ حسناً) يعنى الجنة (٤٩٢) (وينذر) أى بمذاب الله (الذين قالوا اتخذ الله ولداً) وهم اليهود والنصارى

(ما لم به) أى بذلك القول
(من علم) لأنهم قالوا جهلاً
وافترأ على الله (ولا
لآبائهم) أى الذين قالوا
ذلك (كبرت) أى مقاتلهم
نلك (كلمة تخرج من
أفواههم) كلمة تميز للضمير
الهم والمخصوص بالهم
مخوف أى مقاتلهم المذكورة
(ان) ما (يقولون الا
كذباً فاعلمك باخ نفسك)
أى قاتلها (على آثأهم)
أى على أثر توليهم
واعراضهم عنك لشدة
حرصك على إيمانهم (ان
لم يؤمنوا بهذا الحديث)
يعنى القرآن (أسفاً) أى
فيظا وحزناً (انا جعلنا ماعلى

عبد للطلب علمه وقل الحمد لله الآفة واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت انه تعالى ناشر
العظام بعد الموت وسمع الصوت حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم آمين
﴿سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيهما عينة بن حصن الفزارى. وهى
مائة وأحدى عشرة آية. وكلتها ألف وخمسة وأربع وسبعون
وحروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الالهام بثبوت الحمد لله وانشاء الثناء بذلك (الذى أنزل على
عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أى القرآن (ولم يجعل له عوجاً) أى اختلافاً في النظم
وتناقيط المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيا) أى جعله قائماً بمصالح العباد
وأحكام الدين وقيل هاتان الجملتان حالان من الكتاب متواليان أى غير مجعول له عوجاً قياً (لينذر)
تعالى بالكتاب الكافر بن (بأساً شديداً من لدنه) أى عذاباً شديداً نازلاً من عنده تعالى
(ويشعر المؤمنين) أى المصدقين بوقرأ حمزة والكسائي بفتح الباء وسكون الواو وحذف الشين
(الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) في الجنة (ما كنين فيه أبداً) أى خالدين في الأجر
من غير انتهاء (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) وهم كفار العرب الذين يقولون للملائكة بنات
الله واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون للسيح ابن الله (ما لم به من علم ولا آياتهم)
أى ليس لهم ولا لأحد من أسلافهم الذين قلدهم علم بهذا القول أهو صواب أو خطأ بل إنما قالوه مياعن
جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على
الفاعلية فمضى التصيب يكون فاعل كبرت مضمراً مفسراً بما بعده وهولاءم والمخصوص بالهم مخدوف
تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم تلك الملقاة للشعاع والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى
التعجب أى ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذباً) أى ما يقولون في ذلك الشأن الامتقولا كذباً
(فاعلمك باخ نفسك على آثأهم) والمراد بالترجى التهى عن التلم أى لاهلك نفسك بالتم من بعد
اعراضهم عن الإيمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى بهذا القرآن (أسفاً) أى لفرط
الحزن (انا جعلنا ماعلى الأرض) حيواناً كان أو نباتاً أو معدناً (زينة لها) أى الأرض ليمتع
بها الناظرون من السككفين ويتفقوا بها نظراً واستدلالاً فان القارب والحيات من حيث تذكريهما
لعذاب الآخرة من نوع النافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالاته على وجود الصانع
ووحده (لنباومهم) أى لنعالملهم معاملة من يتخبرهم (أيهم حسن أعمالاً) أى أيهم أطوع لله
وأشد استمراً على خدمته (وانا لجاعلون ماعلياً) أى الأرض من الخلقات قاطبة عند تنهاى عمر
الدنيا (صعيداً جزراً) أى تراباً لا نبات فيه (أم حسبت) أى أظننت (أن أصحاب الكهف والرقم
كانوا من آياتنا) أى من بين آياتنا (عجبا) أى آية ذات عجب وفي الآيات أى آثار قدر الله تعالى ما هو
أعجب من ذلك وهى البناء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار. وعجبا خبر كان ومن
آياتنا حال منه والكهف هو الثار الواسع في الجبل والرقم كلب أصحاب الكهف وقيل هو لوح رصاصى

الجبل (والرقم) وهو اللوح الذى كتب فيه أسماؤهم وأنسائهم (كانوا من آياتنا عجبا) أى لم
يكونوا أعجب آياتنا لم يكونوا المعجب من آياتنا فقط فان آياتنا كلها أعجب وكانت قرىش سألوا محمداً صلى الله عليه وسلم عن خبر فتية
فقدوا في الزمان الاول بتلقين اليهود قرىشا فأنزل الله على نبيه خبرهم فقال

(اذأوى القنبة الى الكهف) أى واذا كراذوى القنبة الى الكهف هر بوا اليه من يظلمهم واشتغلوا بالبداء والضرع (فقالوا بنا آتنا من لدنك رحمة) أعطنا من عندك مغفرة ورزقا (وهي) وأصلح (لنا من أمرنا رشا) ارشدنا الى ما يقرب بنا اليك (فضر بنا على آذانهم) سددنا آذانهم بالنوم (فى الكهف سنين عددا) معدودة (ثم بشناهم) (٤٩٣)

(أى الحزين) من

الؤمنين والكافرين

(أحصى) أعد (المشبوا)

للبشم فى الكهف نائمين

(أمدأ) وكأنه وقع

اختلاف بين فرقتين من

الؤمنين والكافرين فى

قدز مدة قدمهم ومنذ

فقدوهم فبشمهم الله تعالى

من نومهم ليتبين ذلك

(نحن نقص عليك نبأهم)

أى خبرهم (بالحق) أى

بالصدق (أنهم قنبة) يعنى

شبيها واحدا (أمنوا

بربهم وزدناهم هدى)

أى ثبتناهم على ذلك

(وودبنا على قلوبهم)

أى ثبتناهم بالبر واليقين

(اذ قاموا) بين يدى

ملكهم الذى كان يقف

أهل الايمان عن دينهم

(فقالوا بنا رب السموات

والأرض لن ندعو من

دونه إلها لقد قلنا اذا

شظا) أى كذبوا وجورا

ان دعونا غيره (هؤلاء

قومنا اتخنا من دونه

آلهة) يعنون الذين عبدوا

الأنصام فى زمانهم (ولولا

أى هلا (يا بون عليهم) أى

على عبادتهم (بسطان

بين) أى بحجة واضحة (فن

أظلم عن أفرى على الله كذبا)

أى فزعم ان معه إلها فقال لهم

تعالى وهو رئيسهم (واذ

اعتزلوهم) فارقتموهم (وما

يعبدون) أى من الأصنام (الآلهة)

فانكم لن تتركوا عبادته (فاو

الى الكهف) أى صبروا الى

من رحمته) أى يسطها عليكم (وهي

لكم من أمركم مرفقا) أى

أوحجرى كتبت فيه أسماؤهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا قنبة من أشرف الروم
أرادهم دقيانوس على الشرك فبروا منه بدنيهم (اذأوى القنبة الى الكهف) ظرف لمعجا أى
حين التجأ الشبان الى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك رحمة)
خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الأعداء (وهي) لنا من أمرنا رشا) أى يسر لنا من
أمرنا الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والثابرة على طاعتك امابة للطريق الى الصواب
(فضر بنا على آذانهم) أى فحجب هذا القول القينا على آذانهم حجبا يمنع من أن تصل الى أسماعهم
الأصوات الموقفة من نومهم (فى الكهف سنين عددا) أى معدودة وفى الكهف حال من المضاف
اليه (ثم بشناهم) أى يقظناهم من نومهم التثنية (لتعلم) أى لتعلمهم معاملة من يختبرهم
(أى الحزين) أى المختلفين فى مدة لبشم (أحصى لما لبثوا أمدا) أى ضبط غاية لبشم فيظهر لهم
عجزهم ويفوضون ذلك الى العلم بالخير ويتعرفون ما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم
فيزدادون يقينا بكال قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك لطفًا لثبوت زيارتهم
وآية بينة لكفارهم فلما رادوا إلز بين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به وقوى
ليعلم بالباء مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل من الأعلام أى ليعلم الله الناس أى الحزين أحصى الخ (نحن
نقص عليك) بأشرف الخلق (بأنهم بالحق) أى على وجه الصدق (أنهم قنبة) أى جماعة من الشبان
(أمنوا برهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من
الدين (وودبنا على قلوبهم) أى قوى بنها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الأهل والاخوان
واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) أى حين اتصموا لظاهر شعار الدين أو وقت
قاموا بين يدى الملك دقيانوس الكافر فانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء
القنبة حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا برؤية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقالوا
ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها) أى لن نعبد أدمام مبدوا آخر (لقد قلنا اذا
شظا) أى والله لئن عبادنا غيره لقد قلنا حينئذ فلأزوراعى ائقدا لأصحاب الكهف عند سر وجهم
من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخنا) أى عبدوا (من دونه آلهة) قومونا عطف
بيان لاسم الإشارة أو خبره واتخذوا حال منه (ولولا يا بون عليهم بسلطان بين) أى هلا يا بون على
عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتعميز وتبكيه لهم (فن أظلم عن أفرى على الله كذبا) أى
فليس أحد أظلم عن أفرى على الله كذبا بنسبة الشرك البه تعالى فان الحكم بثبوت الشيء مع عدم
الدليل عليه ظلم واقتراء على الله وهما من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض القنبة لبعض
وقت اعتزلوهم (واذ اعتزلوهم وما يعبدون) أى واذا أردتم اعتزالهم واعتزال الشيء الذى تعبدونه
(الا الله فاووا الى الكهف) أى انشجوا اليه وهذا جواب اذ (ينشركم ربكم من رحمته) أى
يسطها عليكم فى الدارين (وهي) لكم من أمركم مرفقا) أى ويسهل لكم من أمركم الذى أتم
عليه من الفرار بالدين ما تنفعون به غدا ورقا نافع وابن عامر وعاصم فى راية مرفقا بفتح الميم وكسر

بين) أى بحجة واضحة (فن أظلم عن أفرى على الله كذبا) أى فزعم ان معه إلها فقال لهم تعالى وهو رئيسهم (واذ اعتزلوهم) فارقتموهم (وما يعبدون) أى من الأصنام (الآلهة) فانكم لن تتركوا عبادته (فاووا الى الكهف) أى صبروا الى من رحمته) أى يسطها عليكم (وهي لكم من أمركم مرفقا) أى ويسهل لكم غدا نأكلونه

(ورى الشمس اذا طلعت تراور) أى عيل (عن كنههم ذات العيلين) أى فى ناحية العيلين . (واذا غربت تقررهم) تركهم وتجاوز عنهم
الشمال فلا تصيبهم الشمس البتة لأنها عيل عنهم طالمة وغاربة
(٤٩٤)

(ذات الشمال) أى فى ناحية
فتكون صورهم محفوظة
(وهم فى فجوة) متسع (منه)
من الكهف ينالهم برد
الريح ونسيم الهواء (ذلك)
أى التراور والقرص (من)
آيات الله) ودلائل قدرته
ولطفه بأصحاب الكهف
(من يهد الله فهو ملتقى)
أشار إلى أنه هو الذى تولى
هدايتهم ولولا ذلك لم يهتدوا
(وتحسبهم أيقاظا) لأن
أعينهم مفتحة (وهم)
رقدوا) أى نيام (ونقلبهم
ذات العيلين وذات الشمال)
أى ثلاثاً لكل الأرض
لخومهم (وكلهم باسط
ذراعيه) يديه (بالوصيد)
أى بفناء الكهف (لو)
اطلعت) أى لو أشرقت
(عليهم لو ليت) أى أعرضت
(منهم فرارا) وملتت منهم
رعيا) خوفاً وذلك أن الله
عالى عنهم بالرب لثلاث
براهم أحد (وكذلك) أى
وكما فعلنا بهم هذه الأشياء
(بشأنهم) أى أيقظناهم
من تلك النومة لئلا يسلوا
بينهم) أى ليكون بينهم
سؤال عن مدة لبثهم (قال)
قاتل منهم كم لبثتم) أى كم
مرعينا منذ دخلنا الكهف

الفاء والجمهور بالعكس (ورى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعد ما صار والى الكهف
وهذا ليس اخباراً بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الأخبار بكون الكهف بحيث لو أبصرته تبصر
الشمس (اذا طلعت تراور) قرأ ابن عمر تزور وساكنة الزاى مشدداً له ونافع وابن كثير وأبو
عمرو تراور بتشديد الزاى وبالألف وعاصم وحزم والكاكسى تراور بالتخفيف والألف أى عيل (عن
كنههم ذات العيلين) أى جانب الكهف الذى إلى الغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذا غربت
تقررهم ذات الشمال) أى تدل عن سبيلهم إلى جهة الشمال الذى إلى الشرق فإن الله منع ضوء
الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم
فى فجوة منه) أى والحال أنهم فى فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أى
للكور من انانيتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم فى ذلك الثار تلك اللدة الطويلة (من آيات الله)
العجيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله) إلى الحق بالتوفيق له (فهو الملتقى) أى
الذى أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضل الله) فلن ينجيه أبداً (ولما مرشداً)
أى ناصراً يهديه إلى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظا) أى لو أنهم لم يناموا
المخاطب لا يفتح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقدوا) أى نيام (ونقلبهم ذات العيلين وذات
الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولثلاثاً ترابى الأرض منها بطول اللكت فأن الله قادر على
حفظهم من غير قلب ولا يمكن جعل لكل شئ سبيلاً فى أغلب الأحوال (وكلهم باسط ذراعيه
بالوصيد) أى بموضع الباب من الكهف وكان الكلب أترأ وأصرأ وأصحب وأحرأ وأسرأ اسمه قطمير
أو ريان أو توه أو قظموور أو نور أو حرمان وكانوا أحسنهم فلما خرجوا تبينهم فتشعروا بظلمة الله
ونكلم وقالوا أصحاب آيات الله فكفوا من النهي بهم فلما ناموا نام كنومهم ولما استيقظوا
استيقظ معهم ولما ناموا مات معهم (لو اطلعت عليهم) أى لو شاهدتهم (لو ليت منهم فرارا) أى لو أشرت
عنهم هرباً بما شاهدتهم منهم (ولملت منهم رعيا) أى خوفاً بعلام الصديق لئلا يسلهم الله تعالى من الهيبة
فكل من أراهم فرغ من عيشه ولما قرأ نافع وابن كثير المثلث بتشديد اللام وروى أيضاً عن ابن كثير
بالتخفيف كالجمهور وقرأ السوسى بإبدال الهزرة ياء وقفاً وصلا وحزماً فى الوقف فقط وقرأ ابن عامر
والكاكسى رعياً بضم العين فى جميع القرآن والباقيون بالاسكان (وكذلك) أى كما أغانهم
وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بشأنهم) أى بقتلناهم من النوم بعد مضى
ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضاً فى مدة لبثهم (قال قائل منهم)
هو رئيسهم واسمه مكسلسينا (كم لبثتم) أى كم مقدار مكثكم فى منابكم فى هذا الثار (قالوا) أى
بعضهم (البينا يوماً) لأنهم دخلوا الكهف غدوة ثم ناموا طالع الشمس وكان انتباههم آخر النهار
فلما خرجوا فظنوا إلى الشمس وقد بقي منه شئ قالوا (أو بعض يوم قالوا) أى بعض آخر منهم
وهو مكسلسينا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأتهم لاتعلمون مدة لبثكم (فاثبوا أحدكم) هو عليهما كما قاله
ابن اسحاق (بو رفكم هذه إلى المدينة) وهى منبج وأفسوس بضم الهزرة هذان فى الجاهلية وتسمى فى
الاسلام طرسوس بفتح الراء (فلينظر أيها) أى أى أهلها (أزكى طعاماً) أى أبعد عن كل حرام لأن ملكهم

كان

(قالوا البينا يوماً أو بعض يوم) وذلك أنهم دخلوا
الكهف غدوة وبشأنهم آخر النهار لذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية فقال عليهما
(ربكم أعلم بما لبثتم) ودل ذلك إلى الله (فاثبوا أحدكم بو رفكم) أى بدرأهمكم (هذه إلى المدينة فلينظر أيها) أى أى أهلها (أزكى طعاماً)

أى أحل من جهة أنه ذبيحة مؤمن أو من جهة أنه غير منصوب وقوله (وليتلطف) في دخول المدينة وشراء الطعام حتى لا يطلع عليه (ولا يشرعن) أى ولا يخرجن (بكم) ولا يكانكم (أحدًا منهم ان يظهروا (عليكم) أى يطلعوا و يشرعوا

(٤٩٥)

عليكم (برجوعكم) أى يقتلوكم (أو يسيروكم في ملتهم) أى يردوكم الى دينهم (ولن تفلحوا إذا بدأ) أى لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة ان رجعتم الى دينهم (وكذلك) أى وكما بعثناهم وأتيناهم (أعثرنا عليهم) أى أظلمنا عليهم (ليعلموا) أى ليطل القوم الذين كانوا في ذلك الوقت (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) وأن الساعة أى القيامة (لاربعينها) يعنى لاشك فيها وذلك أنهم يستدلون ببعضهم على صحة أمر البعث (اذ يتنازعون) أى اذ كراهم اذ يتنازع أهل ذلك الزمان أمر أصحاب الكهف (بينهم) وذلك أنهم كانوا يختلفون في مدة مكثهم وعددهم وقيل تنازعوا فقال المؤمنون نبئنا عليهم مسجدا وقال الكافرون نحطو عليهم حائطًا يدل على هنا قوله (قالوا ابناو عليهم بنيانا) أى استروهم عن الناس بنيانا حوهم (و) قوله (ر بهم أعلم) بهم) يدل على أنه وقع تنازع في عدتهم (قال

كان ظلالا وعلما أهل بلدهم كانوا جوسا وفيهم قوم يخفون إيمانهم (فليأتكم برزق) أى بطعام (منه) أى من ذلك الأرزق (وليتلطف) أى وليرفق في الشراء كي لا يبين وفي دخول المدينة ثلاث يعرف (ولا يشرعن بكم أحدًا) أى لا يخرجن بكانكم أحدًا من أهل المدينة فإن ذلك يستلزم شيوع أخباركم (انهم ان يظهروا عليكم) أى ان يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (برجوعكم) أى يقتلوكم بالرجم (أو يسيروكم في ملتهم) أى يسيروكم الى ملتهم كرها (ولن تفلحوا) أى لن تسعدوا (إذا) أى ان دخلتم فيها ولو بالكره (أبدأ) أى في الدنيا والآخرة (وكذلك) أى وكما أعتناهم وبشناهم (أعثرنا عليهم) أى أظلمنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ يسلمنا يسمى يستفاد وذلك أن دقيانوس ماتوا تقضت قرون ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل مملكته في الحشر وبعث الأجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبدوه وقالوا انما نحشر الأرواح دون الأجساد فإن الجسد تأكله الأرض وقال بعضهم نبش الأرواح والأجساد جميعا وكبر ذلك على الملك وبق حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابا وليس للمسوح وقعد على الرماذ ونضرع الى الله تعالى في طلب حجة وبرهان فأعثره الله على أهل الكهف فانهم لما أبشروا أحدهم بورقهم الى المدينة ليأتهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لانه ظهر في بشرة وجهه آثار عجبية تدل على أن مدته قد طالت طولًا خارجا عن العادة لا نور فكان على ضرب دقيانوس فانهموه بأنه وجد كثيرا فذهبوا الى الملك وكان ضالها قدامن هو ومن معه فلما نظروا له قال له لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعوا أنه ان يرينهم وسأل الفتى فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فرارا من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه لعل الله قد بعث لكم آية فلنسر الى الكهف معه فركب مع أهل المدينة اليهم فلقد نادوا الى الكهف قال تليخا أنا أدخل عليهم ثلاثا يرجعوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة آمة مسلمة فخرجوا الى الملك وعظموهم وعظمهم فخرجوا الى كهفهم ورجع من شك في بعث الأجساد فلهذا معني أعثرنا عليهم (ليعلموا) أى الذين أعثرناهم وهم الملك وربعته على أحوالهم العجيبة (ان وعد الله) بالبعث للروح والجنة معا (حق) أى صادق بطريق أن القادر على انانهم مدة طويلة وبقائهم على حلم بلا غفلة قادر على احياء الموتى قال بعض المعارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أى وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء (لارب فيها) أى لاشك في قيامها (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) في صحة البعث وهذا ظرف لقوله تعالى أعثرنا لاقولهم ليعلموا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق (فقالوا ابناو عليهم بنيانا) أى ابنا أعثرناهم عليهم فرأوا مازأوا فعاد الفتية الى كهفهم فقامهم الله تعالى فقال بعضهم ابناو على باب كهفهم بنيانا ثلاثا يطرقت اليهم الناس ضنا برينهم (ر بهم أعلمهم) كأن للتنازعين المارأوا عدهم اهتمامهم الى حقيقة حلم من حيث التسبب والاسم ومن حيث العدد ومن حيث البعث في الكهف قالوا ذلك نفو يزالنا لمر الى عالم النيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والسامون أو أولياء أصحاب الكهف أو رؤساء البلد (لنتخذن عليهم مسجدا) نعبد الله فيه ونستقي آثارهم بسبب ذلك للسجد (سيقولون) أى يقول بعض التنازعين لك يا أشرف

الذين غلبوا على أمرهم) وهم المؤمنون وكانوا غلبين في ذلك الوقت (لنتخذن عليهم مسجدا) فذكر في القصة أنه جعل على باب الكهف مسجدا يصل فيه (سيقولون)

ثلاثة الآية أخبر الله تعالى عن تنازع مجرى في عدة أصحاب الكهف مجرى ذلك بالمدينة حين قدم وفد نصارى نجران بجري ذكر أصحاب الكهف فقال يعقوبية منهم كانوا ثلاثة (رايهم كلهم) وقال النسطورية (خمسة سادسهم كلهم) وقال المسلمون كانوا (سبعة) وثامنهم كلهم) فقال الله (قل) ربي أعلم بعثتهم ما يعلمهم الاقليل) أي من الناس قال ابن عباس

(٤٩٦)

الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم يعقوبية من نصارى نجران هم (ثلاثة) رايهم كلهم ويقولون) أي النصارى وألقاب وأصحابهم النسطورية منهم هم (خمسة سادسهم كلهم) رجا بالتيب) أي غلبنا بالتيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أي المسلمون أو المسلمين من النصارى هم (سبعة) وثامنهم كلهم (قل) يا أشرف الخلق (ربي أعلم بعثتهم ما يعلمهم الاقليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأما يؤهم غلبنا مكشيلينا مشيلينا هؤلاء الثلاثة أصحاب عين الملك وكان عن يساره منوش ورونش شاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الرامى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشطيطوش واسم كلفطيمير وقال ابن عباس هم سبعة مكشيلينا غلبنا من طونس نينونس سار يونس ذونوانس فليستطونس وهو الرامى وعن ابن مسعود كانوا تسعة وسماه ابن اسحق غلبنا مكشيلينا مكشيلينا من طونس كسوطونس سورس يكر بوس بطسوس قالوس اه وقال ابن عباس رضى الله عنهم اخصوا أسماء أهل الكهف فتفهم تسعة أشياء المطلب والمرب ولطف الحريق تكتب على خرقه وترى في وسط النار تطفأ بأذن الله تعالى وليكأ الطفل والحمل للثلاثة وللصغار تند على الضد الأيمن ولأم الصبيان ولأركوب في البحر ولحفظ المال ولنجاة العقل ونجاة الآمين (فلا تمارفهم) أي فلا تجداد معهم في عدد الفتنة (الامراء ظاهرا) بأن لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي لا تناوئ أحد من أهل الكتاب في شأن الفتنة (ولا تقولن) يا أكرم الرسل (لشيء) أي لاجل شيء نزم عليه (أنى فاعل ذلك) (لشيء) (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان (ألا أن شاء الله) أي الأفتان أن شاء الله أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالتطبيق بالشيئة بأن تقول ان شاء الله زالت هذه الآية حين قالت اليهود لفرش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم فقال اتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته فرش (واذكر ربك) بالتسبيح والاستغفار (إذا نسيت) كلمة الاستثناء وهذا لعل في الحث على ذكر هذه الكلمة (وقل) عسى أن يهين ربي لأقرب من هذا رشا) أي لعل ربي يؤتي أعظم دلالة على صحة نبوتى من نبأ أصحاب الكهف (وليشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا أخبار من الله عن مدة لبهم ردا على أهل الكتاب المختلفين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع والسنة عتدهم شمسية فهذا القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قرية والتفاوت بين الشمسية والقمريه في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة فرأ حجة والكسائي ثلاثمائة بغير توين فهو مضاف لسنين والباقرن بالتونين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أي بالزمان الذى لبثوا فيه في نومهم قبل منهم أي الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فارجعوا إلى خبره اقدون ما يقوله أهل الكتاب وهذا إشارة إلى أن الأخبار من الله لا من عنده صلى الله عليه وسلم (لهغيب السموات والأرض)

رضى الله عنهم انا من ذلك القليل ثم ذكرهم بأسمائهم فذكر سبعة (فلا تمار) أي فلا تجداد (فيهم) أي في أصحاب الكهف (الامراء ظاهرا) أي بما أنزل عليك يعنى أفت في قصتهم بالظاهر الذى أنزل إليك وقل ما يعلمهم الاقليل كما أنزل الله ما يعلمهم الا قليل (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) ولا تقولن لشيء أنى فاعل ذلك غدا الآن (يا شاء الله) هذا تأديب من الله لنبيه وأمره بالاستثناء بمشيئة الله فيما يزم ويقول اذا قلت لشيء أنى فاعله غدا فقل ان شاء الله (واذكر ربك اذا نسيت) أي اذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا ذكرت (وقل) عسى أن يهين ربي (أي يعطينى ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف ثم قل

الله بذلك حيث آتاه علم غيب المرسلين وخبرهم ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم في الكهف بقوله

(وليشوا في كهفهم) أي من حين دخوله إلى أن بعثهم الله (ثلاثمائة سنين وازدادوا) بعدها تسع سنين (قل) يا محمد (الله أعلم بما لبثوا) أي من يختلف في ذلك (لهغيب السموات والأرض) أي علم ما غيب فيها من العباد

(من دونه من دلى) يريد من دون الله من ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) أى فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم به الله (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أى انبع القرآن (لا مبدل لكتابه) أى لا منغير للقرآن (ولن نجعل من دونه ملتحد) أى ملجأ (وأصبر نفسك) مفسر في سورة الأنعام إلى قوله (ولا نعدينك بينهم) أى لا نصرف بصرك إلى غيرهم من ذوى الهيئات والزينة (يريدون حياة الدنيا) أى ترهب بحالها (ولا تطلع) أى فى تنحية الفقراء عنك (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلناه غافلا وقوله تعالى (وكان أمره فرطاً) أى ضياعا عما كالاته ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع هواه (وقل يا محمد إن جاءك من الناس (الجن من ربكم) يعنى ما أنتبكم به من الإسلام وللقرآن (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) تخيير معناه التهديد (انا أعبدنا) أى هيأنا (الظالمين) نارا) أى الذين عبدوا غير الله (أحاط بهم مرادقها) وهو جنان يحيط بالكفار يوم

أى له تعالى علم ما خفى من أحوال أهلها لا تهمو جدوا ومدبرها (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع بكل شئ وهذا التجنب يدل على أن علمه تعالى بالبرصات والسموعات خارج عما عليه ادراك للبركين لا يحجب عنه شئ ولا يتحول عنه حائل (ما لم) أى لأهل السموات والأرض (من دونه) تعالى (من دلى) يتولى أمورهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فكيف يطعن هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك تعالى) (في حكمه أحدا) فلما حكم تعالى أن بلهم هو هذا للقدار فليس لأحد أن يقول قولا يخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالتاء على الخطاب لكل أحد وبالجزم على النهى أى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة بلهم فى النار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا فى طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم أنت بقرآن غير هذا أو بعله (لا مبدل لكتابه) أى لا قادر على تبديلها (ولن نجعل من دونه) تعالى (ملتحد) أى ملجأ لتدل إليه ان همتنا لتبديل للقرآن (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى يعبودونه فى كل الأوقات قرأ ابن عامر بالغداة بضم التين وسكون الهمال (يريدون وجهه) أى يريدون بصادتهم رضاه تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تنصرف عينك عنهم إلى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى ترغب فى مجالسة الأغنياء ومجالسة الصورة (ولا تطلع) فى تنحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أى وجدنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) أى عن توحيدنا (واتبع هواه) فى عبادة الأصنام (وكان أمره) فى متابعة الهوى (فرطاً) أى ضامنا زلت هذه الآية عينه بن حسن الفزارى فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها وبه يده خوص يشقون ويسحقون فقال عينك لئنى أباؤك يذكرون هؤلاء نحن سادة مضر وأشرافها ان أسلمنا نسل الناس وما نمتنا من أتباعك الأهولاء فنحنم عنك حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم هو رضى الله عنه وحسن اسلامه وكان فى حنين من للزلفة قلوبهم فأقطعاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة جبرو كذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعلى العباس ابن مرداس أربعين بيرا وروى أبو سعيد رضى الله عنه قال كنت جالسا فى عصابة من صفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضا من العري وقارى" قرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمي من أمرت أن أبصر نفسى معهم ثم جلس وسطنا وقال أبشروا يا صابليكم المهاجرين بالنور التاميرم القيامة تدخلون الجنة تغفل الاغنياء بمقدار خمسين ألف سنة (وقل الحق من ربكم) أى قل أولئك المنافقين هذا الذين الحق انما فى من عندنا فان قبضتموه عاد النفع اليكم وان لم تقبلوه عاد الضر اليكم واتلفق لتلك الفقر والتنى والقمع والحسن والحوار والشهرة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فاقه تعالى لم يأذن فى طرد من آمن وعمل صالحا لأجن أن يدخل فى الإيمان جمع من الكفار وهذه الصيغة تهديد وليست بتخيير (انا أعبدنا للظالمين) أى هيأنا لمن أنقص قبول الحق لأجل أن من قبلوه فقراء (نارا) أحاط بهم مرادقها) أى فسططها فلا يخلص لهم منها (وان يستغيثوا) من الطش (يا نارا) جماعة كالكحل) أى كمدى الزيت أو كالفضة للذابة (يشوى الوجوه) أى اذا قرب إلى الفم ليشرب سقطت فروة وجهه (بس الشراب) ذلك الماء لأن المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ فى احتراق الاجسام

(وسأتمرتققا) يعني الثائر أي ساءت منزلا ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لانضع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب) يحل كل واحد بسوارين (٤٩٨)

مبلغا عظيما (وسأتمرتققا) أي وسأتمرتقا منزلا ومجتمعا للرفقة مع الكفار والشياطين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لانضع أجر من أحسن عملا) أي لانظلم ثواب من أخلص عملا (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم) أي من تحت مساكنهم (الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب) ويسور المؤمنين في الجنة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فيكون في يده هذه الأنواع الثلاثة وفي الحديث الصحيح تبلغ حلية المؤمنين حيث يبلغ الوضوء (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو الديرياج اللطيف (واستبرق) وهو الديرياج الضيق فان الحضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة (متكئين فيها على الأرائك) أي ويجلسون في الجنة متر بعين على السرير في المجال وهي بيوت تزين بأنواع الزينة بالسراير وحده فلا يسمى أريكة (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أي الأرائك (مرتققا) أي منزلا ومجتمعا للرفقة مع الأنبياء والصالحين (واضرب لهم مثلا رجلين) أي بين هؤلاء الذين يطلبون طرد المؤمنين لضيقهم مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين شريكين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قنبر ومنه والآخر مؤمن اسمه يهودا وعليهما لهما ثمانية آلاف دينار فاشترياها فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وإنني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بهما إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإنني اشتري منك دارا في الجنة بألف دينار فتصدق بهما ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إنني أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومناطيا بألف دينار فقال هذا اللهم إنني أشتري منك خدما ومناطيا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أنبت صاحب لي له ينالني منه معروف فجلس على طريق حتى مر به في شحمه فقام إليه فنظر إليه صاحبه فرمقه فقال له فلان قال نعم فقال ما شأنك قال أصابني حاجة بدينك فأنت كيتمين بخير قال فافعل بما لك فقص عليه قصته فقال وإنك لمن الصديق فطرده ووجهه على الصدق بما له وأل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى ففزل في شأتهما قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر (جنتين من أعناب) أي بستانين من كروم متنوعة (وحققناهما بنخل) أي جعلنا النخل يحيطا بالجنتين (وجعلنا بينهما) أي وسط أرض الجنتين (زرعا) ليصكون كل منهما جامعا للأقوات والقواكه فتأني هذه الأرض في كل وقت بمنفعة فكانت منافعا متواصلة (كلتا الجنتين آتت أكلها) أي أخرجت ثمرها كل عام (ولم نظلم منه) أي لم ننقص من ثمرها (شيئا ونجرتنا نخلها) أي أجرنا في داخل تلك الجنتين (نهر) وفي قراءة يقوب ونجرتنا بالتخفيف (وكان له) أي لصاحب الجنتين (نهر) فأعاصم ففتح الثام فإليم أي ثمر البستان وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون اليم والباقون بضم الثاء وإليم في اللو ضعين أي أنواع اللال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك (فقال) أي صاحب الجنتين (صاحبه) الذي جعل مثلا للفقراء المؤمنين (وهو) أي صاحب الجنتين (بحاروه) أي راجع صاحبه بالكلام الذي فيه الإفتخار بالمال والثالث (أنا أكره منك مالا وأعز نفرا) أي أكثرنا محبا من الأولاد وغيرهم ويقال وهو أي صاحبه المؤمنين راجع

من ذهب وكانت الأساورة من زينة الملوك في الدنيا (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) وهما نوعان من الحرير والسندس مارق والاستبرق ما غلظ (متكئين فيها على الأرائك) وهي السرير في المجال (نعم الثواب) أي طلب ثوابهم (وحسنت) أي على الأرائك (مرتققا) يعني موضع الارتفاق يريد اتصافا على الرفاق (واضرب لهم مثلا رجلين) يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي أبوهما وتركهما فاتخذ أحدهما القصور والأجنحة والآخر كان زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة فكان إذا عمل أخوه شيئا من زينة الدنيا أخذ أخوه الزاهد مثل ذلك فقدمه لآخرته واتخذ به عند الله الأجنحة والقصور حتى فقد ماله فضر بهما مثلا للمؤمن والكافر الذي أظهر به النعمة وهو قوله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل) أي جعلنا النخل يحيطا بهما (كلتا الجنتين آتت أكلها) أي رويها

تماما (ولم نظلم منه شيئا) أي لم ننقص (وقهرنا نخلها) أي أخرجنا. وسط الجنتين (نهر) وكان له ثمر (وكان للأخ الكافر أموال كثيرة) فقال لصاحبه) أي لأخيه (وهو بحاروه) أي راجع في الكلام ويجاوبه وذلك أنه سأل عن ماله فم إنفق فقال قيمته بين يدي لأخيه عليه فقال (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي رويها وعشيرته

(ودخل جنته) وذلك أنه أخذ بيد أخيه السلم فأدخله جنته يطوف به فيقول قوله (وهو ظالم لنفسه) أي بالكفر بالله (قال ما ظن أن تبدي هذا بدا وما ظن الساعة تأتيه ولتفردت اليربي) يريد أن كان البعث (٤٩٩) حقا (لأجل أن خيرا منها منقلب) أي

كما أعطاني هذا في الدنيا
سيعطيني في الآخرة أفضل
منه فقال له أخوه السلم
(أكفرت بالذي خلقك
من تراب ثم من نطفة) أي
فروح أمك (ثم سواك
رجلا) أي معتدل الخلق
والقامة (لكن) أي لكن
أنا أقول (هو أقر في ولا
أشرك بربي أحدا ولولا
يخني وهلا (أ) دخلت
جنتك قلت ما شاء الله
أي الأمر ما شاء الله أي
بمشيئة الله (لا قوة إلا بالله)
لا يقوى أحد على ما في يده
من ملك ونعمة إلا بالله
وهذا توبيخ من السلم
للكافر على مقاتله وتعليم
للعجايب أن يقول شريح
إلى نفسه فقال (إن ترن
أنا أقل منك مالا وولدا
فسيرى أن يؤنين) أي
في الآخرة أو في الدنيا
(خيرا من جنتك) ويرسل
عليها حسانا) أي عذابا
يرميها به من برد أو معلقة
(تصبح صيدا زلقا)
أي أرضا لانيات فيها
أو يصبح ماؤها () يعني
التنهر خلالها (غورا) أي
غائرا ذاهبا في الأرض
(فلن تستطيع لطلبها) أي

الكاثر في الكلام بالوعظ والدعاء إلى الإيمان بالله وبالبعث (ودخل جنته) أي يستأنه مع صاحبه
يطوف به فيها ويريه حسناتها (وهو ظالم لنفسه) أي ضار لها بكفره وعجبه واعتاده على الله (قال)
استنفاف بيان لسبب الظلم (ما ظن أن تبدي هذا بدا) أي ما ظن أن تفي هذه الجنة (بدا) وما ظن
الساعة) أي القيامة التي هي وقت البعث (قائمة) أي حاضرة (ولتفردت اليربي) أي بالبعث
عند قيامه كما تقول (لأجل أن خيرا منها) أي من هذه الجنة (منقلب) أي عاقبة وسبب
هذا العین الفاجرة اعتقاده أن أعطاه الله المال في الدنيا لكرامته عنده تعالى وهي معه بعد الموت
وقرأنا في ابن كثير منهما أي الجنين (قاله) أي لصاحب الجنة (صاحبه) الذي هو المؤمن
(وهو) أي المؤمن (يحاوره) أي يحارب الكافر بالتوبيخ على شركه في حصول البعث (أ) كفرت
بالذي خلقك من تراب) أي من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لأبيك وأمك (ثم سواك
رجلا) أي صبرك إنسانا ذكرنا وهياك هبة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز في العقل مع هذه
الحالة أن نعالى أمرك قال من قدر على بدء خلقه من تراب قادر أن يعيده منه وجعل الكافر
بالبعث كغراب الله لأن منشأ الشك في كمال قدرة الله (لكن) أي لكن أنا أقول (هو أقر في ولا
ولا أشرك بربي أحدا) أي أنت كافر بالله لكني مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولولا
أدخلك جنتك) أي وهلا حين دخلت بستانك (قلت) عند أعجابك بها (ما شاء الله) أي
الأمر هو الذي شاء الله (لا قوة إلا بالله) أي لا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بإعانة الله وأقداره
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يصره
(إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما في الدنيا (فسي رى أن يؤنين) أي يعطيني في الآخرة
(خيرا من جنتك) لا يمانى (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسانا) أي نارا (من السماء فتصبح
صيدا زلقا) أي تقصر جنتك أرضا ملساء لانيات فيها بحيث تزلق الرجل لكفره (أو يصبح ماؤها
غورا) أي غائبا في الأرض (فلن تستطيع) أنت (له) أي لئله (طلبها) أي حيلة لتتركها بها
وقوله تعالى أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وإن كان الحسبان بمعنى النار لأنها الحكم الإلهي
بتنخير الجنة فيستبصر عنصرونها ترابا أبلس أو صبرورة منها غائرا ثم أخبر الله تعالى أنه متحقق
ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بشره) أي أهلك ثم يستأنه بجميع أمواله (فأصبح
يقلب كفيه) أي صار يضرب أحداهما على الأخرى وإنما يفعل هذا ندامة (على ما أتفق فيها)
أي في حمارة جنته لأنه أتفق ما يمكن إخداه من الأموال الكثيرة في مثل هذا الشيء السريع الزوال
وقوله على ما أتفق متعلق بقلب لأنه ضمن معنى بدمك كما تعقل فأصبح بدمك على ما مضى فأنعمت
ندامته يصفق أحدى يديه على الأخرى (وهي) أي الجنة (خاوية على عروشها) أي ساقطة على
سقوف الجنة وهي سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكيفية (ويقول)
أي الكافر تلحقا على تلف لال (يا) أي تنبوا يا قومي (ليتي لم أشرك بربي أحدا) وهذا الكافر تذكر
كلام المؤمن وعلم أنه هلك جنته بثبوت شركه فتعنى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه (ولم تكن
له) أي الكافر (فتة ينصرونه) بدفع الهلاك عن الجنة أو برد المالك منها أو باتيان منه (من دون الله)

لا ينبغي له أن يطلبه (وأحيط بشره) أي أهلك أشجاره للشره (فأصبح يقلب كفيه) أي يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة
(على ما أتفق فيها وهي خاوية على عروشها) أي سقوطها ومارشع للكرم (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) تعنى أنه كان موحد
غير مشرك حين لم ينفعه النبي (ولم تكن له فتة ينصرونه من دون الله) أي لم ينفعه النفر الذين افتخر بهم حين قال وأغترقنا

(وما كان منتصرا) أى بأن يسترد بل ما ذهب عنه ثم عاد الكلام الى ما قبل القصة فقال (هناك) أى عند ذلك يعنى يوم القيامة (الولاية لله الحق) أى يتولون الله يؤمنون (٥٠٠) به ويتبرأون عما كانوا يعبدون (وهو خير نوابا) أى أفضل نوابا ممن ترجونوا به

(وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره (واضرب لهم) أى لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء) أى هو كماء (أزله) من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى شرب منه فبدا فيه الرى (فأصبح) أى النبات (هشبا) أى كبيرا متفتتا (تذوره الريح) أى تحمله وتفرقه وهذه الآية مختصرة من قوله أنما مثل الحياة الدنيا كماء أزله الآية (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافشاء (مقتسرا) أى قادرا على انشاء النبات وحل يمكن ثم افشاءه (للل والبنون زينة الحياة الدنيا) هنا زينة الحياة الدنيا) هنا رد على الرؤساء الذين يتفخرون بالمال والابناء أخبر الله أن ذلك مما يزين به فى الحياة الدنيا لا ما ينفع فى الآخرة (والباقيات الصالحات) أى ما ياتى به سلبا وصهيبا وقراءا للسلبيين من الصلوات والأذكار والأعمال الصالحة (خير عند ربك نوابا) أى أفضل نوابا (وخير أملا) من اللال والبنين (ويوم) أى واذك يوم (تسير الجبال) عن وجه الأرض كمناسير السحاب (وترى الأرض يارزة) أى ظاهرة ليس عليها شئ (وحشرناهم) أى

فلم

وجه الأرض كمناسير السحاب (وترى الأرض يارزة) أى ظاهرة ليس عليها شئ (وحشرناهم) أى المؤمنين والكافرين

(فلم تقادر) فلم تترك منهم (أحد) وعرضوا على ربك (يعني المشوون (صفا) أي مصفوفين كل زمرة وأمتصفا ويقال لهم (لقد جثمتونا كما خلقناكم أول مرة) أي حفاة عراة فرادى (بل زعمتم) خطابا للسرى البت (أن لن نجعل لكم موعدا) أي البت والجزاء (ووضع الكتاب) وضع كتاب كل امرئ ميمينه وبنياله (قترى الجرمين) (٥٠٩) الشركين (مشفقين) خائفين عافيه

يريد من الأعال السبعة (و يقولون) لو فوعهم في الملكة (ياو يتناما لهذا الكتاب لا ينادر) أي لا يترك (صغيرة) يعني من أعالنا (ولا كبيرة) الأ (أصاها) أي أبتها وكتبها (وجدوا ماعلاوا حاضرا) أي في الكتاب مكتوبا (ولا يظهر بك أحد) أي لا يعاقب أحدا بغير جرم ثم أمرت به صلى الله عليه وسلم أن يذكر هؤلاء للتكبيرين قصة ابليس وما أورثه التكبر فقال (واذ قلنا للآلثةكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن) أي من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن (ففسق عن أمر به) أي خرج عن طاعته بترك السجود (أفتنخلونه وذرته أولياءه) أي أبعدوا وجامن ابليس ما وجد تنخلونه وذرته أصدقاء يابني آدم (من دوني) فطيعوهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو) أي والحال أن ابليس وذرته لكم أعداء (بش الظالمين بدلا) من الله تعالى في الطاعة ابليس وذرته وعن محامد قال ولما ابليس خسة بقر والأعور و زلنبور ومشوط و داسم فبتر صاحب الصائب والأعور صاحب الزنا و زلنبور الذي يفرق بين الناس ويصير الرجل عيوب غيره ومشوط صاحب الصخب والأخبار يأتي بها فلقبها في أقواء الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذي أذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر كرام الله دخل معه وإذا أكل ولم يذكر كرام الله أكل معه (ما شهدتهم) أي ما أحضرت ابليس وذرته (خلق السموات والأرض) فأنى خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشتيت بعضهم خلق بعض (وما كنتم متخلفين للذين) للناس وهم الشياطين (عددا) أي أعوانا في شأن الخلق حتى شوههم شركتهم في بعض أحكام الربوبية والسنن ما علمتهم على أسرار التسكين وما خصصتهم فضائل لا يحو بها غيرهم حتى يكونوا أقدم للناس فكيف طيعوهم يابني آدم (و يوم يقول) أي وأذ كرمهم بأشرف الخلق أحوال الشركين وألهمهم يوم القيامة إذ يقول الله تعجبا وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا شركاكي) أي نادوا آلهمكم التي قتمت انهم شركاكي (الذين زعمتم) أي عبدتم لتجنوكم من عذاب (فدعوهم) للالغاة (فليستجيبوا الي) ما يدعوهم اليه (وجعلنا بينهم) أي للشركين وألهمهم (موبا) أي حجازا بعيدا أو أديان جهنم من فيج ودم وذلك ان

(فلم تقادر منهم) أي لم تترك من الأولين والآخرين (أحدا) إلا وجمصاصم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض الخندق على السلطان ليقضى بينهم (صفا) أي مصطفين وقدر في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوا وفي حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفاء ثم منها ثمانون أه مقولاهم (لقد جثمتونا) كاثنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلا بلا أموال وأعوان (بل زعمتم) في الدنيا (أن لن نجعل لكم موعدا) أي وقتا للبت (وضع الكتاب) أي وضع في هذا اليوم كتاب كل انسان في يده التي ان كان مؤمنا وفي يده اليسرى ان كان كافرا فقد تبايرت الكتب إلى أيدي الخلق مثل الثلج (قترى الجرمين) أي للشركين وللثاقين (مشفقين) عافيه أي خائفين عافيه أي في الكتاب مكتوبا (وجدوا ماعلاوا حاضرا) أي في الكتاب مكتوبا (ولا يظهر بك أحد) أي لا يعاقب أحدا بغير جرم ثم أمرت به صلى الله عليه وسلم أن يذكر هؤلاء للتكبيرين قصة ابليس وما أورثه التكبر فقال (واذ قلنا للآلثةكة اسجدوا لآدم فسجدوا) جميعا امتثالا بالأمر (الابليس) فأنه لم يسجد بل تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله (كان من الجن) أي من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذي خلق من نار هو أبوهم (ففسق عن أمر به) أي خرج عن طاعته بترك السجود (أفتنخلونه وذرته أولياءه) أي أبعدوا وجامن ابليس ما وجد تنخلونه وذرته أصدقاء يابني آدم (من دوني) فطيعوهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو) أي والحال أن ابليس وذرته لكم أعداء (بش الظالمين بدلا) من الله تعالى في الطاعة ابليس وذرته وعن محامد قال ولما ابليس خسة بقر والأعور و زلنبور ومشوط و داسم فبتر صاحب الصائب والأعور صاحب الزنا و زلنبور الذي يفرق بين الناس ويصير الرجل عيوب غيره ومشوط صاحب الصخب والأخبار يأتي بها فلقبها في أقواء الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذي أذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر كرام الله دخل معه وإذا أكل ولم يذكر كرام الله أكل معه (ما شهدتهم) أي ما أحضرت ابليس وذرته (خلق السموات والأرض) فأنى خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشتيت بعضهم خلق بعض (وما كنتم متخلفين للذين) للناس وهم الشياطين (عددا) أي أعوانا في شأن الخلق حتى شوههم شركتهم في بعض أحكام الربوبية والسنن ما علمتهم على أسرار التسكين وما خصصتهم فضائل لا يحو بها غيرهم حتى يكونوا أقدم للناس فكيف طيعوهم يابني آدم (و يوم يقول) أي وأذ كرمهم بأشرف الخلق أحوال الشركين وألهمهم يوم القيامة إذ يقول الله تعجبا وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا شركاكي) أي نادوا آلهمكم التي قتمت انهم شركاكي (الذين زعمتم) أي عبدتم لتجنوكم من عذاب (فدعوهم) للالغاة (فليستجيبوا الي) ما يدعوهم اليه (وجعلنا بينهم) أي للشركين وألهمهم (موبا) أي حجازا بعيدا أو أديان جهنم من فيج ودم وذلك ان

(ما شهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني ابليس وذرته (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أخبر عن كمال قدرته واستغناة عن الأنصار والأعوان في خلقه (وما كنتم متخلفين للذين) أي أنصارا وأعوانا لاستغناي بقدرته عن الأنصار (و يوم يقول نادوا شركاكي الذين زعمتم) الآية يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة ادعوا الذين أشركتم في تجنؤكم من عذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا اليهم وجعلنا بينهم) أي بين الشركين وأهل لاله الا الله (موبا) أي حجازا

للمشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة لللائكة وعزروا عيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا بأنفسهم ثم حيل بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء للمشركين جهنم وأدخل عزروا عيسى ومريم الجنة وسار لللائكة إلى حيث أراد الله من الصكرامة وحصل بين الكفار ومعبودهم هذا الحاجز وهو ذلك الوادى (ورأى المجرمون) أى الكافرون (النار) من مكان بعيد (فظنوا أنهم واقعوا) أى غلطوا في تلك الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تنظيها وزفيرها (ولم يجدوا عنها مصرفاً) أى مدخلا إلى غيرها لأن لللائكة تسوقهم إليها (ولقد صرفنا) أن ذكرنا على وجوه كثيرة (في هذا القرآن للناس) أى لمنفعتهم (من كل مثل) أى من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان التي هي في القراءة كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الإنسان) بجملته (أكثر شئ جدلاً) أى وكان خصومة الإنسان بالباطل أكثر شئ فيه (وامنع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا) أى أنهم لم يوافقوا (أى القرآن الهادى إلى الإيمان) (ويستغفرونهم) أى عافرتهم منهم من الذنوب (الآن تأتيهم سنة الأولى) أى الالطبات آتيت سنين في الأولى وهو عذاب الاستئصال (أو تأتيهم العذاب قبلاً) وفرأ حمزة وعاصم والكسائي بضم القاف والياء أى أو أوا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقون بكسر القاف وفتح الباء أى عياناً وقرئ (يفتحون أى مستقبلاً) (ومارس) الرسلين) إلى الأمم (الأمميين) بالتواضع على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالمقاب على أفعال المنصية (ويجادل الذين كفروا) للرسلين (بالباطل) أى باقراض الآيات بسلطهم والمعجزات (ليدحضوا بها) أى ليطالوا بجدهم الشرائع (واخذوا آياتي) التي هي معجزات الرسل (وما أنفروا) أى وأندارهم بالعذاب (هزوا) أى سخرهم (ومن أعظم من ذكرى يأتى به) أى ليس أحد طاعاً من وعظ بالقرآن (فأعرض عنها) أى فصرف عن تلك الآيات ولم يندبرها (ونسى ما قدمت بدها) أى تغافل عن كفرهم ونسوا ما علموا من كفرهم في عاقبتهم (أنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغشية (أن يفقهوه) أى مانعة من أن يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقراً) أى صمماً مانعاً من استماعه (وأن تدعهم إلى الهدى) أى إلى التوحيد (قلن سمعنا إذا أبدا) أى قلن يوجدنهم إهداء التقدمة التكليف (وربك الغفور) أى البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها إلى وقت آخر (فوالرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لو يؤاخذهم) أى لو يرد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) أى وقت لهلاكهم (لن يجدوا من دونه) أى العذاب (موثلاً) أى مرجعاً فيكون مرجعهم العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أى أهل قرى عاد وثمود ومثلهما (أهلكناهم) في الدنيا (لما علموا) أى حين كفروا (وجعلناهم لکم موعداً) أى وقتاً لمينالنا تأخرون عنه وفرأ شعبة بفتح الليم واللام أى لهلاكهم وفرأ حفص بفتح الليم وكسر اللام أى لوقت هلاكهم والباقون بضم الليم وفتح اللام أى لاهلاكناهم (وإذ قال) أى وأذ كر حين قال (موسى لفتهاه) يوشع بن نون بن افرام بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشرف بني إسرائيل وأما موسى في موسى عليه السلام لأنه كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع قلبه أن ليس في الأرض أحد أعظم منى فقال الله يا موسى أنى في الأرض عبداً أعبد لى منك وأعلم وهو الحضر فقال موسى يا رب دلنى عليه فقال الله خذ معك ما لحا وماض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة فانضح على السمكة منها حتى تحيا السمكة فثم تلقى الخضر فأخذ حوتا فجعله في مكنى فقال لفتهاه إذا فقلت الحوت فاختبره فذهب عيسىان (لأبرح) أى

القرى التي أهلكناهم بالعذاب (أهلكناهم) أى أنشروا وكذبوا الرسل (وجعلناهم لکم موعداً) أى لاهلاكهم (وإذ قال موسى) وأذ كر أنقل موسى لى في نفسه من البقرة (لفتهاه) يوشع بن نون (لأبرح) أى لأزال أسير

(حتى أبلغ مجمع البحرين) أي حيث يلتقي بحر الروم وبحر فارس (أو أمضى حقبا) أي دهرها وبلا وذلك أن رجلا جاموسا فقال هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله تعالى إليه بل عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوتية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فانطلق هو وفنائه حتى أتيا الصخرة التي عند مجمع البحرين فقال لفتهام أمكت حتى أتيتك فانطلق موسى لحاجته فجرى الحوت حتى وقع في البحر فقال فنائه اذا جاءني الله حدثه فأناسه

(٥٠٣)

مجمع بينهما نسيا حوتهما أراد نسي أحدهما وهو يوشع (فاتخذ سبيله) أي اتخذ الحوت سبيله (في البحر سرايا) أي ذهبها والمضى سربا وبلاية على التقديم والتأخير لأن ذهب الحوت كان قد تقم على النسيان (فلما جاوزا) ذلك المكان الذي ذهب الحوت عنه (قال لفتهام اتناغدا) أي ما أنا ساه بالفتاة (لقبنا من سفرنا هذا نصبا) أي عناء وتعبا ولبعد التعب في جميع سفره حتى جاوز الموضع الذي يريد (فرأيت) التي (أرأيت) إذ أوينا إلى الصخرة) يعني حيث نزلنا (فاني نسيت الحوت) أي نسيت قصة الحوت أن أحدثك بهائم اعتر بناساء الشيطان إياها لئلا نذكر ذلك لموسى لم يجاوز ذلك الموضع وما ناله التعب ثم ذكر قصته فقال (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أخبره عن تعجب من ذلك (فقال)

لأزال سارا (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقى بحر فارس والروم بما يلي للشرق (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا أتقن معه فوات الطلب أو أسير عشرين سنة (فلما بلغا مجمع بينهما) أي نسيا حوتهما وصاحبه الذي كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أي نسيا خبر حوتهما وتفقدا أمره وقبيل فقدها أمارة لوجدان الطلوب (فاتخذ سبيله في البحر سرايا) أي فأدركته الحياة بسبب برد لاه الذي أصابه فتعرك في السكت فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ الحوت في البحر مسلكا كالسرب قبل أن الفتى كان يضل السمكة لانها كانت علة فطرت وسارت (فلما جاوزا) أي موسى وفنائه مجمع البحرين وذهب كثيرا وألقى على موسى الجوع (قال فنائه اتناغدا) لنا لتدلقنا من سفرنا هذا) الذي بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) أي تعبنا قبل أن نمسي لم يتعب ولم يجمع قبل ذلك (قال) أي فنائه (أرأيت أذونا إلى الصخرة) أي أبصرت حالنا إذ كنا عند الصخرة (فاني نسيت الحوت) أي خبر الحوت (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) بدل اشتمال من الماء أي وما أنساني ذكر أمر الحوت لك إلا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ فخص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أي الحوت (سبيله في البحر عجبا) أي اتخذنا عجبا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلتم لاه ومجدنا تحت الحوت منه حتى رجع موسى إليه فرأى مسلكه وكون الحوت خدمات وأكل شقه الأيسر ثم حي بذلك (قال) أي موسى (ذلك) أي الذي ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبلغ) أي الذي كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالطلوب وهو لفتهام الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والسكاكي بإثبات الياء وصلالا وقفا وابن كثير أثبتا في الحالين والياقون حذفوها في الحالين اتباعا لرسم (فأردنا على آثارها مقصدا) أي فرجعنا فمشتين آثارها أو مقصدا على آثارها اقتصاما حتى أتيا الصخرة (فوجدنا عبدا من عبدا) وهو الخضر واسمه بليان ملكان وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين ترهبوا وتركوا الدنيا وروى أنهم وجدوا الخضر وهو نائم على وجه لاه وهو مغشي ثوبه بيض أو أخضر طر فنه تحت رجله والآخر تحت رأسه فلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يأتي بني إسرائيل فقال له موسى ومن أميرك أني بني إسرائيل فقال الذي أدراك في ذلك على. والصحيح أن الخضر بني وذهب الجمهر إلى أنه سي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة (أتينا رحمة من عندنا) أي أكرمنا بالنبوة كقوله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم التوب (قال له موسى) على سبيل التأديب والتلطف في ظرف الاستئذان (هل أتيتك) أي أصحبتك (على أن تعلمن) أثبت الياء نافع وأبو عمرو وصلالا وقفا وابن كثير في الحالين والياقون حذفوها (معاهم شرسا) أي علما يرشدني في ديني وقرأ أبو عمرو يعقوب بفتح الراء والشين والياقون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كني بالتوراة علما وبني إسرائيل فخلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحيث (قال) له الخضر يا موسى

موسى (ذلك ما كنا نبلغ) أي نطلب وزيد من العلامة (فأردنا على آثارها) أي رجعا من حيث جاء (قصدا) يعني يقصان آثارهما حتى أتيا إلى الصخرة التي قبل عندها الحوت ماضل (فوجدنا عبدا من عبدا) يعني الخضر (أتينا رحمة من عندنا) أي نبوة (وعلمناه من لدنا علما) أي أعطينا علما من علم النبي وقوله (رشدنا) أي علما إذا رشد والتقدير على أن تعلمني علما إذا رشد معلمته (قال)

فقال (وكيف تصبر على ما لم تحب به خيرا) أي على ما لم تعلمه من أمر ظاهره منكر فقال له موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) أي لأسألك عن شيء حتى تكون أنت تحدثني به (ولأعصى لك أمرا) أي ولا أخالفك في شيء (قال) له الخضر (فإن اتبعني) أي صحتي (فلا تسألني عن شيء) أي عما أفعله (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أكون أنا الذي أفسره لك (فانطلقا) أي فلما بعثنيان (حتى إذا ركبا البحر في السفينة حرقها) أي شقها الخضر وقلع لوحين مما يلي الماء (قال) موسى منكرا عليه (آخرتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئا لأمرا) أي عظيما منكرا (قال) الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) قال موسى (لا تأخذني بما نيت) أي تركت من وصيتك (ولا تهزقني من أمري عسرا) أي لا تنيق على الأمر في صحتي إياك وقوله (نفسا زكية) يعني طاهرة ولم تبلغ حد التكليف (ينبر نفس) ينبر قود وقوله (إن سألتك) يعني سؤال توبيخ

(انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحب به خيرا) أي على ما لم تعلمه بيانا وحكمة أي انك يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها يا موسى أي على علم من علم الله تعالى علمنيه لآلمه أي وهو علم الكشف وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه أي وهو علم ظاهر الشريعة (قال) له موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) عطف على صابرا أي ستجدني صابرا على ما أأمر منك وغير مخالف لأمرك (قال) له الخضر (فإن اتبعني) أي صحتي (فلا تسألني عن شيء) تشاهد من أفعالي ولوم منكر المحاسب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أتدري ما بخبرك ببيان ذلك الشيء وقرأ ابن عامر فلا تسألني بالنون للثقة وبنيرياء وروى عنه نسائي مثقلا مع الباء وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتخفيف النون وقرأ أبو جعفر هناسلن يفتح السين واللام وتشديد النون من غيرهم (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صفر فموسى إلى بني إسرائيل أو كان معهما وانما يذكر في الآية لأنه تابع لموسى فآكتفي بذلك يوشع عن التابع فالقصود كرموسى والخضر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي شقها الخضر وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما أهلها ن يحملوهم فرفو الخضر بلام فحملواهم بنبرون فلجأوا أي وصلوا إلى الماء التزبر أخذ الخضر فأسا وأخرج بها لوحا من السفينة (قال) له موسى (آخرتها لتفرق أهلها) أي لتفرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكسائي لفرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا لأمرا) أي لقد فعلت شيئا عظيما شديدا على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذوه به عني به الحرق (قال) له الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) قال موسى (لا تأخذني بما نيت) أي بماركت من وصيتك أول مرة أو ههنا من التورية وإيهاهم خلاف المراد فيتي موسى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض وهو بسط غيره في الإنكار فالمراد بما نسيه شيء آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها النفسية (ولا تهزقني من أمري عسرا) أي لا تكلفني مشقة في أمر صحتي إياك فقبل الخضر عذر موسى فخرجوا من السفينة (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما) بين قريتين لم يبلغ الحنث طبع مع عشرة صبيان كان وضيء الوجه اسمه يشور فأخذه الخضر (فقتله) بذهب معطجما بالسكين أو بقتل عنقه (قال) له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بنبر نفس) أي بنبر قتل نفس عذرة وقرأ نافع وابن كثير أبو عمرو وأبى عبد الزاوي وتخفيف الياء بالوقون بالتسديد وينون ألف (لقد جئت شيئا نكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) يا موسى إذا الخضر لك هنا قريبا لموسى وتحمالا في الخطأ (انك لن تستطيع معي صبرا) قيل إن يوشع كان يقول لموسى يا بني الله ذكر العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (إن سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) أي لا تصحبني صاحبك وقرى لا تصحبني بضم التاء وسكون الصاد (قد بلغت من لدني عذرا) أي قد وجدت من قبلي عذرا حيث خالفك ثلاث مرات قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم في بعض الروايات بتخفيف النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) بعد الغروب في ليلة باردة مطرة وهي انطاكية وأوبرة (استطعما أهلها) أي

وانكار (عن شيء بعدها) بعد النفس للقتولة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) فإني

طلبا

وينك حيث أخبرني أني لا أستطيع معك صبرا (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) وهي انطاكية (استطعما أهلها) أي سألوها الطعام

طلبا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فأقام الجائع على الاستطعام أم مباح في كل الشرائع بل ربما
 وجب ذلك عند خوف الضرر والتدبوع أن يرى مرة قال أطمعتهما امرأتان أهل بريرة بعد
 طلبا من الرجال فلم يطمعوا فاندفعوا لنسائهم وفسدوا فلم يبقوا على الاستطعام جوابا ذا وصفة لقرية
 (فأبوا أن يضيفوهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية ثلثا (فوجدوا فيها) أي القرية
 (جدارا) مثلا (لا يريد أن ينقض) أي يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون
 ذراعا واتدأ على وجه الأرض خمسة أذراع (فأقامه) أي رفقته الحضرة بيده فاستقام أو مسحه بيده
 فاستوى أو هداه ثم بناه (قال) موسى (لوشئت) يا خضر (لألتخنت عليه أجرا) أي طلبت على
 عملك أجرة تصرفها إلى تحصيل اللطعم وتحصيل سائر اللهايات كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جملا
 على فعلك لتقمهم فينام حاجتنا وليس لثاني إصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى بسببنا والوسطى شرطا والثالثة عهدا قيل في
 تفسير هذه الآيات التي وقتل موسى مع الحضرة أنها حجة على موسى وعقب عليه وذلك أنه لا أنكر خرق
 السفينة نودي ياموسى أين كان نذيرك هذا وأنت في الثابت مطر وحافى اليم فلما أنكر أمر القام
 قيل له أين أنكرك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من
 رفك حجر البئر لنبات شعيب دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بيني وبينك) أي هذا الانكار
 على ترك الأجر سبب فراق حصل بيني وبينك (سأبتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) السنين
 للتأكيد لا للاستقبال لعدم تراخي التثنية أي أظهر لك بيان وجه ما تصبر عليه أي حكمة هذه الأمور
 الثلاثة قبل فراقك لك (أما السفينة) التي خرقتها (فكانت لما كين يملون في البحر) فيمرون
 بالناس مؤاجرين للسفينة لحل الامتعة ونحوها كانت السفرة أخو قمن لما كين وروها من أيهم
 خمسة زمني وخمسة يملون في البحر فاما الممل منهم فأحدهم كان مجنونا والثاني كان أعور والثالث
 كان أعرج والرابع كان أكر والخامس كان موهوما لا تنقطع عنه الحى الدهر وهو آخرهم والحمسة
 الذين لا يطيقون العمل أهمي وأصم وأخرس ومقعّد ومجنون وكان البحر الذي يملون فيه ما بين
 فارس والروم (فأردت أن أعيبها) أي أن أجعلها ذات عيب (وكان وراهم) أي أمامهم كقرا به ابن
 عباس وابن جبير (ملك) كافر اسمه هدد بن بداء وولده بنى ابن كركر (ياخذ كل سفينة) حصية كما
 قرأ بذلك ابن عباس وابن جبير (غصبا) من أعصابها ولم يكن عندهم علم فقلبك تعجبها فإذا جاوزوا
 الملك أصلحوها (وأما الغلام) الذي قتلته (فكان أبواه مؤمنين) من عطاء تلك القرية قاسم الأب
 كازبرا واسم الأم سهوا (فحسبنا أن يرهقهما) أي نخفنا أن يجعل الوالدان المؤمنين (طفيئا وكفرا)
 لجهنما أو قرى فخاض بك أي كرم بك كراهتم من خلفه وسوء عاقبة الأمر أن يلحق الوالدان مصيبة
 وكفرا أو يقال فظهر بك أن يرهقهما في الكبر وقيل إن أبو به فراجة بين ولد وجزن ناعلي حين قتل
 ولو بقي لكان فيه هلاك كما قاله في البديع قضاء الله تعالى فإن قضاء القول لمن فيها بكبره خير له من
 قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلا كافرا لما قتلا فمن ذلك قتله الخضر وكان أبيه جيسور
 (فأردنا أن يبدلهمار بهما خير امتزجكة) أي صلاحا وطهارة من التورب والأخلاق الرديئة
 (وأقرب رحما) أي عطفنا بأبويه وأوبل رحما بأن يكون أبوهما قال ابن عباس أبدلا بتنا
 ولدت نبيا وهو الذي كان يبد موسى الذي قالت به بنو إسرائيل بعث نبيا لهما قتال في سبيل الله
 وكان اسمه شعمون وقرأ أبو جرود ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفي التحريم وفي التلم
 وقرأ ابن عامر في إحدى الروايتين عن أبي عمير ورحما بضم الحاء (وأما الجدار) التي بيوتته

أخذ الكنز (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي أراد الله أن يبقى ذلك الكنز إلى بلوغ التسلمين حتى يستخرجا (وما فعلت من أمرى) أي انكشفت لي من الله علم فعلت به ولم أعمل من عند نفسي (و يسألونك) يعني اليهود وذلك أنهم سألوه عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها (أنا مكنا له في الأرض) أي سهلنا عليه السير فيها ودللناه طريقها (وأتينا من كل شيء) يحتاج إليه (سببا) أي غاما يتسبب به إلى ما يريد (فأتبع سببا) أي طريقا يوصله إلى مغرب الشمس (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها قرب في عين حمئة) ذات حمأة وهو الطين الأسود (ووجد عندها) أي عند العين (فوقما قلنا إذا القرنين) أما أن تصنب (أي أما أن تقتلهم إن أوبأنا ندعوهم إليه (وأما أن تتخذ فيهم حسنا) أي تأسروهم فتعلمهم الحق خبره الله بين القتل والاسر (قال أمان ظلم) أشرك (فبوف نذبه) أي تقتله أدام يرجع عن الشرك (ثم يرد إلى ربه) أي بعد القتل (فيطعمه عذابا نكرا) يعني في النار

(فكان لتلاميذ يقيمون) هما أصرم وصريم ابنا كاشع وأمهادنيا (في المدينة) وهي المبرعنا أولا بالقرية تحقيرا لما لحقت أهلها وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتغالها على هذين التلاميذ وأيهما (وكان تحته كنز لهما) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهبا وفضة رواء البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب عليه عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجب لمن يؤمن بالحساب كيف يفتل وعجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان أبوهما صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد الجانية بأحوال الأبناء وقدرى أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي قويهما وكما رأيهما (ويستخرجا كنزهما) أي دفنهما من تحت الجدار ولولا أني أفتنه لانتفض وخرج الكنز من تحته وضاع بالكلية (رحمة من ربك) مقول له وعمله أراد أي نعمته لهما من ربك وأعماله مقدر أي فلت هذه الأفعال وحيا من ربك (وما فعلته) أي ما فعلت حاريا من هذه الأحوال (عن أمرى) أي عن اجتهدى ورأى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك الاجوبة الثلاثة تفسير ما لم تصبر عليه من الوقائع الثلاثة وحذف التاء بدل السين هنا للتخفيف روي أن موسى عليه السلام لما أراد أن يبارق الخضر قال له وأمنى قال لا تطلب العلم لتحدث به وأطلبه لتعمل به وقيل ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى قال كن بساما ولا تكن ضحكا ودمع الحاجة ولا تمنى في غرابة ولا تص على الخطأتين خطاياهم وابلك على خطيتك يا ابن عمران (و يسألونك عن ذى القرنين) أي يسألك يا أشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذى القرنين اسمه إسكندر بن فيلوس اليوناني كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة والبسة الهيبة وكان وزيره الخضر والصحيح أنه لم يكن نبيا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانته البلاد وكان داعيا إلى الله (قل) لهم في الجواب (قل سألوها عليكم منذ كرا) أي سأذكركم من حال ذى القرنين خبرا مذكورا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق (إننا نكناه في الأرض) أي أنما نحن نكناه في الأرض من حيث التدبير والراى وعلى الأسباب حيث سخره السحاب بسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض (وأتينا من كل شيء) يحتاج إليه في إصلاح ملكه (سببا) أي طريقا يوصله إلى ذلك الشيء المقصود كالآلة للسير وكثرة الخلد (فأتبع سببا) أي فأخطر بقا يوصله إلى استقصاء بقاع الأرض ليجلاها عدلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يمكن أحدا من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط القربى الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر للسياة بالحالات التي هي مبدأ الأطوال (وجدها) أي الشمس (قرب) فبرأى العين (في عين) أي بحر عظيم (حمئة) أي ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحزمة والكسائي وابن طاهر حامية بألف بعد الهاء ونياء بضد ليم ونهى قراءة ابن مسعود وطلحة (ووجد عندها) أي عند تلك العين (قوما) كقار لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما يلقظه البحر من السمك (قلنا) بالهام (إذا القرنين أمانا نصبت) بالقتل (وأما أن تتخذ فيهم حسنا) أي أجرا إذا حسن بأن تتركهم أحياء (قال) أي ذوالقرنين (أمان ظلم) نفسه باستمراره على الكبر (فسوف نغذيه) بالقتل بعد طول البطء إلى الاسلام (ثم يرد إلى ربه) أي في الآخرة (فيغذيه فيها) أعني أن نكرا (أي شبه دينا وهو

جسلا (ثم أتبع سببا)
أى سلك طريقا آخر

يوصله الى الشرق (حتى

إذا بلغ مطلع الشمس

وجدها تطلع على قوم)

عراة (لم تحصل لهم من

دونها) أى من دون

الشمس (سترا) يعنى

سقاوا لالباسا (كنكك)

القبيل الذين كانوا عند

مغرب الشمس في الكفر

(وقد أسطنا بما لديه)

أى من الجنود والعدة

(خبرنا) أى علما لأننا

أعطيناها ذلك (ثم أتبع

سببا) أى قطار من أقطار

الأرض (حتى إذا بلغ

بين السدين) وهما جبلان

سدا بينهما ذوالقرنين

(وجد من دونهما) أى

عندهما (قوما لا يكادون

يفقهون قولا) أى

لا يفهمون كلاما فاشتكوا

اليغياذ بأجوج ومأجوج

وأذا هم إياهم وهو قولهم (إن

يأجوج ومأجوج مفسدون

في الأرض) أى بالنهب

والبني (فهل نجعل لك

خرجاً) أى جسلا (هل أن

نجعل بيننا وبينهم سدا قال

عذاب النار (وأما من آمن) بسبب دعوى (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) فراحزة والكسائي

وحفص عن عاصم بنصب جزاء أى فله الجنة في الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعوا بالإضافة

أى فله في الدارين جزاء الفعل الحسنى التى هى الايمان والعمل الصالح (وستقول له) أى لمن آمن (من

أمرنا يسرا) أى قولاً سهلاً ما أمره به من الزكاة والخراج وغيرها ولأنهم بالصب الشاق (ثم

أتبع سببا) أى ثم أخذ ذوالقرنين طريقاً نحو للشرق من جهة الجنوب (حتى إذا بلغ مطلع الشمس)

أى موضع طلوعها من معمورة الأرض (وجدها) أى الشمس (تطلع على قوم) هم الزنج (لم تحصل

لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبداً فإذ طلعت الشمس دخلوا

الأسراب والأجر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم (كنكك) أى أمرذى القرنين فيهم كأمره

في أهل المغرب فحكم في أهل الطلوع كما حكم في أهل المغرب من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين

(وقد أحطنا بما لديه خبراً) أى وقد علمنا بما كان عند ذى القرنين من الخبر (ثم أتبع سببا) أى

ثم سلك ذوالقرنين طريقاً معترضا بين الشرق والغرب أخذوا نحو الهم ومن الجنوب إلى الشمال (حتى

إذا بلغ بين السدين) أى بين الجبلين العاليين الأملسين فلا يستطيع الصعود عليهما في آخر بلاد الترك

عما إلى الشرق ويسمى كل منهما سداً لأنه سداً فيجأ الأرض (وجد من دونهما) أى من ورائهما

مجاوزا عنهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى أمة من الناس لا يعرفون يفهمون قول غيرهم

لغلة فطنتهم وفي قراءة حمزة والكسائي ضم الياء وسكون الفاء وكسر القاف أى لا يفهمون الناس

كلامهم لغرابية لغتهم وهم من أولاد يافث وذوالقرنين من أولاد سام قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه

السلام ثلاثة سام وحام ويافث أمساق فها هو العرب والعجم والروم وأما حام فهو أبو الحبشة والزيج

والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر والصقالية وبأجوج ومأجوج (قالوا) لذي القرنين

بواسطة ترجمان ممن هو مجاورهم يفهم كلامهم أو يترجمان على أن فهم ذى القرنين كلامهم

وافهم كلامه إياهم من جملة ما أعطاه الله تعالى من الأسباب (إذا القرنين أن يأجوج ومأجوج

مفسدون في الأرض) أى في أرضنا يكون كل شئ مضمض ومعمول كل شئ يابس ويقتلون أولادنا

وسمى بأجوج ومأجوج لكثرةهم وروى حذيفة حد يشارفون أن يأجوج أمومتو مأجوج أمة

فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألفه ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح

وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال شجر الصنوبر طوله

عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم

لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفقرش أحدهم إحدى أذنيه ويثقب بالأخرى لا يرون وبغل ولا

وحش ولا خنزير إلا كلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وسانتهم بخراسان يشربون أنهار

الشرق وبهمرة تطير (فهل نجعل لك خرجاً) وفي قراءة حمزة والكسائي بفتح الراء معده

والباقيين بسكون الراء فقبيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقبيل

الخرج ما كان بالتبرع والخراج ما يؤخذ (هل أن نجعل بيننا وبينهم) أى بأجوج

ومأجوج (سدا) أى حاجزاً بين هذين الجبلين فلا يصلون اليها (قال) ذوالقرنين (ما كنى

فيه ربي خير) أى ما بطني فيه ربي قادراً من اللال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب

غير مما تعرضون على من الجبل فلا حاجة في اليه وقرأ ابن كثير مكنتي بفك الافلام

(فأعينوني بقوة) أى بالآلات الحداث وبصانع يحسنون البناء والعمل (أجل ينكمحون بينهم رداً)

يعمل يعملون معي (أجل ينكمحون بينهم رداً) أى سداً حاجزاً

آتوني أعطوني (زبر) أي قطع الحديد) فأثروه به فيناه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي جاني الجبلين (قال انفضخوا) أي على زبر الحديد بالكبر والتار (حتى إذا جعله) أي جعل الحديد (نارا) أي كنار (قال آتوني) قطرا وهو التحاس القائب (أفرغ عليه) أي أصب عليه فأفرغ التحاس للذاب على الحديد الحمى حتى التصق بضعه (لما استطاعوا أن يظهروه) أي ما قدر وأن يملوا عليه لارتفاعه وأملسه) وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لصلابته (قال) ذو القرنين لما فرغ منه (هنا رحمت من ربي) يعني التمكن من ذلك البناء والتقوية عليه (فأذا جاء بعد ربي) أي أجل ربي يخرجون بأجوج وأجوج (جعله دكا) أي كسرا (وكان وعبرني) أي يخرجونهم (حقا) صككتنا (وتركتنا بعضهم) يسى الخلق من الناس والجن (يومئذ) أي يوم القيامة (عوج في بعض) أي يدخل ويختلط (ونفخ في الصور) وهو القرن الذي ينفخ فيه للبعث (جمعناهم) في مصيد واحد (وعرضنا) أي أظهرنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم

أي حاجز أجصنوا برضا متينا وها هو كبر من السد أو ثقي (آتوني زبر الحديد) بما ألهمه تعالى أعطوني قطع الحديد الكبيرة وقرأ حمزة آتوني بوصل الحمزة في اللوذين ووافقه أبو بكر هنا وخالفه في الوضع الثاني وللنبي جيئوني زبر الحديد فزبر على قراءة حمزة الوصل منصوب على اسقاط الخافض وحفر ذو القرنين الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والتحاس للذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والقحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان طوله مائة فرسخ (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين بالبناء أي انهم جاءوا إذا القرنين زبر الحديد فنفخ بيئ شيئا فشيئا حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا للهابي السمك وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا ووضع للنافخ والتار حول ذلك (قال) للعبة (انفضخوا) بالكيران في الحديد البني فنفخوا (حتى إذا جعله نارا) أي إذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يقولون أمر التحاس من الإذابة ونحوها (آتوني) أي أعطوني تحاسا مذبا (أفرغ عليه قطرا) أي أصب على الحديد الحمى تحاسا مذبا فأفرغه عليه فدخل مكان الحطب والقحم فأمنج بالحديد والتصق بضعه ببعض وصار جبلا صلبا وهذه كرامة عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن إبدان أولئك المنافقين والمفرغين للقطر (لما استطاعوا) يخلف تاء بدل السين أي فلم يقدر يأجوج ومأجوج (أن يظهروه) أي أن يملوا ظهر الجبل لارتفاعه وبلاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي حرقا من أسفله لصلابته ونخسه لانه كان خمسين ذراعا وكان ارتفاعه مائتي ذراع وكان طول السد على وجه الأرض مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصف (قال) أي ذو القرنين لمن عنده (هذا) السد (رحمة) أي نعمة عظيمة (من ربي) على جميع الخلق (فإذا جاء وعبرني) أي وقت وعبرني بخروج يأجوج ومأجوج (جعله) أي هذا السد (دكا) (بلد أي أرضا مستوية وقرئ دكا أي مكسورا حتى يصير رابا) (وكان وعبرني) يخرجونهم وقت قرب الساعة (حقا) أي صدقا (وتركتنا بعضهم يومئذ عوج في بعض) أي صيرنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السد يخطئ بعضهم الآخر من شدته لا ازدحام عند خروجهم لكن كثرتهم وذلك عقب موت الدجال فيتمتاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور فرار منهم روى أنهم بأتون البحر فيشر بون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقبلون أن يأبوا مكة وللدنية وبيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن منهم بورد أود كرو بحسب نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاجدهم خيرا من مائة دينار فيتوجهون إلى الله تعالى بالثناء فيسلط الله تعالى دودا في أنوفهم وإذا أنهم فموتون به ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه وهم وقاتلهم فينوجه نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طيرا فلتقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيسيل الأرض حتى تصير كالزبد ثم يقال للأرض أنتي ثم ترك ودرى بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في النعم والأبل حتى ان القفحة لتسكن الجماعة الكبيرة فينجاهم كذلك أذن الله تعالى عليهم بحاطية قنا شذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يهاجرون فيها تهاجر الحمر فليتهم تقوم الساعة (ونفخ في الصور) نفخة ثانية للبعث (جمعناهم) أي بأجوج ومأجوج وغيرهم (جمعا) أي جمعا عجيبا بعد ما فرقت وأصلهم وعزقت أجسادهم في حديد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أي أظهرنا هاهنا لهم مع قريتهم منها يوم أجمعنا الخلاق كافة أظهرنا هاهنا لذلك يجري مجرى عقابهم لحصول النعم العظيم بسبب رؤيتهم لسماعها تقيظا وزفرا (الذين كانت أعينهم

سمعا) أي لعدوتهم للتي
صلى الله عليه وسلم
لا يشعرون أن يسمعا
ما يبل عليهم (أفحسب)
أي أظن (الذين كفروا)
أن يشعروا عبادي أي
الشياطين (من دون أولياء)
أي أن يشعروا ذلك و يدفع
عنهم كلا (أنا وعدنا جنة
للكافرين زلا) أي منزل
(قل هل ينسئكم) أي يخبركم
(بالأخسر من أعمال) أي
بالذين هم أشد الخلق
وأعظمهم خسرانا فاعلموا
(الذين ضل سعيهم) أي
حبط عملهم (في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنا) أي يظنون أنهم
يعلمهم مطعون ثم بين
من هم فقال (أولئك الذين
كفروا يات ربهم) أي
بذلائل توحيدهم القرآن
وغيره (ولقائه) يعني البعث
(فحبطت أعمالهم) أي
بطل اجتهدهم (فلانقيم لهم
يوم القيامة وزنا) أي نهيمهم
بصواب النار ولأنهم بهم
شيئا وقوله (جنات
الفرود) وهو وسط الجنة
أصلها درجة وقوله
(لا يفون عنحاولا) أي
لا يريدون أن يتحولوا عنها
(قل لو كان البحر مدادا)
وهو ما يكتب به (لكلمات

قلوبهم وهم في الدنيا (في غطاء) أي غشاوة كغشة (عن ذكرى) على وجهه يلقى شأني وعن كتابي
فلا يشعرون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي قراءة القرآن فلا يشعرون به (أفحسب الذين كفروا)
أي كفروا في مع جلالة شأني فظنوا (أن يشعروا عبادي من دوني) من اللاتسعة وعيسى وعز
(أولياء) أي معبودين ينصرونهم من عندي والذين أظنوا أنهم يشعرون عن عبادي
مع اعراضهم عن تدبر الآيات السمعية والمشهدية وقرأ أبو بكر أفحسب الذين كفروا بكون السنين
ورفع الباء وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أي أفكافهم اتخذهم ذلك من دون طاعتي
(أنا وعدنا جنة) لكافرين زلا) أي منزلا (قل هل ينسئكم بالأخسر من أعمال) في الآخرة
(الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم (في الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بطل ذلك كالعلق
والوقف وإغاة اللهوف لأن الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أي والحال أنهم يظنون (أنهم)
يحسنون صنعا) أي يحسبون في أعمالهم بالاتيان بها على الوجه اللائق ويحسبون أنهم يشعرون
بأنهم هاقيل المراد بهم أهل الكتابين وقيل الرهبانية الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها
على الرياض الشاقة وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حال من اللصاف
إليه (أولئك الذين كفروا يات ربهم) أي بدلائله الداعية إلى توحيد عقال وقلنا (ولقائه)
أي وكفروا بالبعث بعد الموت وبرؤيته تعالى في الآخرة (فحبطت أعمالهم) أي بطلت لأنكارهم
الدلائل (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي فلانجعل لهم حبط أعمالهم حيويا كليا يوم القيامة
فقراب زدرى فهم ليس لهم عندنا قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أي
ذلك الذي ذكرناه من أنواع العيد وهو جزاؤهم (جهنم) عطف بيان للنجار بما كفروا واتخذوا
آياتي) الدالة على وحدانيتي (ورسل) للوידين بالمعجزات (هزوا) أي مهزوا بهما (ان الذين
آمنوا) يات ربهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الأعمال (كانت لهم) فيسبق من حكم الله تعالى
ووعده (جنات الفردوس زلا) أي منزلا خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف حال من زلا (خالدين
فيها لا يغيون عنها حولا) أي لا يطلبون تحولا إلى غيرها وهذا يدل على غاية الكمال فلا مزم يد عليها في
خيرات الجنة حتى يراد أشياء غيرها فان الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت من السعادات
فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها وعن كعب أنه قال ليس في الجنة أعلى من جنة الفردوس وفيها
الأمرون بالمعروف والنهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة مائة
درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة ما بعد ما سأل الله تعالى
فأسأله الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر أنهار الجنة (قل لو كان البحر مدادا لكتبت
ر في لند البحر قبل أن تنفذ كلماتي) أي قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر مداد البحر لكتبت
علم ر وحكمته لند البحر مع كثرة في كتابتها ولم يبق منه شيء لنتاهايه من غير أن تنفذ كلماتي
لعدم تنهايه وقرأ حمزة والكسائي بنفد بالياء التحتية (ولو جئنا بئله) أي بئله ماء البحر (مدادا)
أي زيادة لند البحر ولم تنفذ كلماتي في وقيل هنا بمعنى غيرنا وروى أن حي بن أخطب
قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم قرأون وما أوتيتهم من العلم الا قليلا فنزلت
هذه الآية أي أن ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدينا
محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كتابته

(في) أي لكتابتها وهي حكمه وعجابه والكلمات هي العبارات عنها (لند البحر قبل أن تنفذ كلماتي) أي بئله ماء البحر
(مدادا) أي زيادة على البحر (قل)

تعالى (أنا أنا بشر مثلكم) لأدعي الإحاطة بكلماته تعالى التامة (يوحى الى) لمن تلك الكلمات
 (أنا الحكم إله واحد) لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وأنا تميزت عنكم بذلك
 الوحي (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة
 العزيزة (عَمَلًا صَالِحًا) لا تقابل ذلك الرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة
 ربهم أحدًا) انشأ كاجليا كما فعله الذين كفروا بآياتهم ولقائهم ولا انشأ كاخفيا كما يفعله
 أهل الرياء روى أن جنذب بن زهير العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل
 لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل
 ما شورك فيه فنزلت هذه الآية تصديقه وروى أنه عليه السلام قال له
 لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال رواية الأولى محمولة على ماذا
 قصد بعمله الرياء والسعنة والرواية الثانية محمولة على ماذا
 قصد أن يقتدى به . وللقام الأول مقام للتبذير
 وللقام الثاني مقام الكمالين . والحمد لله
 رب العالمين والصلاة والسلام
 على سيدنا محمد وآله
 وصحبه أجمعين
 آمين

أنا أنا بشر مثلكم (أي
 أدعي (يوحى الى) أنا الحكم
 إله واحد فمن كان يرجو
 أي يأمل (لقاء ربه) نواب
 ربه (فليعمل عملاً صالحاً
 ولا يشرك) أي ولا يرائي
 (بعبادة ربه أحدًا) نزلت
 هذه الآية في التهي عن
 الرياء في الأعمال

﴿ تم الجزء الأول من تفسير مراح لبيد . ويليه الجزء الثاني أوله سورة مريم ﴾

فهرست

﴿ الجزء الاول ﴾

﴿ من تفسير القرآن المجيد للسبحى بمراح لبید الشیخ محمد نوری ﴾

صفحة

٢ سورة الفاتحة

٣ سورة البقرة

٨٦ سورة آل عمران

١٣٨ سورة النساء

١٨٨ سورة المائدة

٢٣٠ سورة الأنعام

٢٧١ سورة الأعراف

٣١٣ سورة الأنفال

٣٤٩ سورة التوبة

٣٨١ سورة يونس

٣٩٨ سورة هود

٤١٧ سورة يوسف

٤٤١ سورة الرعد

٤٥٢ سورة إبراهيم

٤٦٠ سورة الحجر

٤٦٨ سورة النحل

٤٩٠ سورة الأسراء

٥١٢ سورة الكهف

﴿ تم ﴾

Bibliotheca Alexandrina



0588955